

بائع الطير

المعروف بتايخ الاسم والملوك

منشورات

مؤسسة الأمل للطبوعات

بيروت - لبنان

ناتج الأمل والملك

للإمام أبي جعفر محمد بن حنبل الطبري

الجزء الخامس

[قوبلت هذه الطبعة على النسخة المطبوعة]

[بمطبعة « بريل » بمدينة ليدن في سنة ١٨٧٩ م]

راجعته وصححه و ضبطه

نخبة من العلماء الأجلاء

منشورات

مؤسسة الأعلی للطبوعات

ببيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة سبعين

ففي هذه السنة ثارت الروم واستجاشوا على من بالشام من ذلك لصالح عبد الملك ملك الروم على أن يؤدي اليه في كل جمعة ألف دينار خوفا منه على المسلمين (وفيها) شخص فيما ذكر محمد بن عمر مصعب بن الزبير إلى مكة فقدمها بأموال عظيمة فقسمها في قومه وغيرهم وقدم بدواب كثيرة وظهر وأثقال فأرسل إلى عبدالله بن صفوان وجبير بن شيبه وعبدالله بن مطيع مالا كثيرا ونحر بدنا كثيرة (وحج) بالناس في هذه السنة عبدالله بن الزبير وكان عماله على الأمصار في هذه السنة عماله في السنة التي قبلها على المعاون والقضاء

ثم دخلت سنة احدى وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك مسير عبد الملك بن مروان فيها على العراق لحرب مصعب بن الزبير وكان عبد الملك فيما قيل لا يزال يقرب من مصعب حتى يبلغ بطنان حبيب ويخرج مصعب إلى بآجميرا ثم تهجم الشتاء فيرجع كل واحد منهما إلى موضعه ثم يعودان فقال عدى بن زيد بن عدى بن الرقاع العاملي

لعمري لقد أصحرت خيلنا	بأكناف دجلة للبصع
إذا ما منافق أهل العرا	ق عوتب تمت لم يعتب
دلفنا إليه بذي تدرأ	قليل التفقد للغيب
يهيرون كل طويل القنا	ة ملتئم النصل والشعلب
كان وعاهم إذا ما غدوا	ضجيج قطا بلد مخصب
فقدمنا واضح وجهه	كريم الضرائب والمنصب

أَعِينَنَا وَنُصِرْنَا بِهِ وَمَنْ يَنْصُرِ اللَّهَ لَمْ يُغْلَبْ
 * فحدثني عمر بن شبة قال حدثني علي بن محمد قال أقبل عبد الملك من الشام
 يريد مصعبا وذلك قبل هذه السنة في سنة ٧٠ ومعه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد
 فقال خالد لعبد الملك إن وجهتي إلى البصرة وأتبعني خيلا يسيرة رجوت أن
 أغلب لك عليها فوجهه عبد الملك فقدمها مستخفيا في مواليه وخاصته حتى نزل على
 عمرو بن أصمع الباهلي قال عمر قال أبو الحسن قال مسلمة بن محارب أجاز عمرو بن
 أصمع خالدا وأرسل إلى عباد بن الحصين وهو على شرطة ابن معمر وكان مصعب
 إذا شخص عن البصرة استخلف عليها عبيد الله بن عبيد الله بن معمر ورجا عمرو بن
 أصمع أن يبايعه عباد بن الحصين يأتي قد أجرت خالد فأحبت أن تعلم ذلك لتكون
 لي ظهرا فوافاه رسوله حين نزل عن فرسه فقال له عباد قل له والله لا أضع لبد فرسي
 حتى آتيك في الخيل فقال عمرو لخالد إني لأغرك هذا عباد يا تينا الساعة ولا والله
 ما أقدر على منعك ولكن عليك بمالك بن مسمع قال أبو زيد قال أبو الحسن
 ويقال إنه نزل على علي بن أصمع فبلغ ذلك عبادا فأرسل إليه عباد إني سائر إليك
 * حدثني عمر قال حدثني علي بن محمد عن مسلمة وعوانة أن خالدًا خرج من عند
 ابن أصمع يركض عليه قيص قوهي رقيق قد حسر على فخذه وأخرج رجله
 من الركاب حتى أتى مالكا فقال إني قد اضطررت إليك فأجرتني قال نعم وخرج
 هو وابنه وأرسل إلى بكر بن وائل والأزد فكانت أول راية أتمه راية بني يشكر
 وأقبل عباد في الخيل فترافقوا ولم يكن بينهم قتال فلما كان من الغد غدوا إلى جفرة
 نافع بن الحارث التي نسبت بعد إلى خالد ومع خالد رجال من بني تميم قد أتوه منهم
 صعصعة بن معاوية وعبد العزيز بن بشر ومرة بن محكان في عدد منهم وكان أصحاب
 خالد جفرية ينسبون إلى الجفرة وأصحاب ابن معمر زبيرية فكان من الجفرية
 عبيد الله بن أبي بكره وحران والمغيرة بن المهلب ومن الزبيرية قيس بن الهيثم السلمي
 وكان يستأجر الرجال يقاتلون معه فتقاضاه رجل أجره فقال غدا أعطيكها فقال
 غطفان بن أنيف أحد بني كعب بن عمرو:

لَيْسَ مَا حَكَمْتَ يَا جَلَّجِلُ النَّقْدُ دَيْنٌ وَالطَّعَانُ عَاجِلُ
وَأَنْتَ بِالْبَابِ سَمِيرٌ آجِلُ

وكان قيس يعلم في عنق فرسه جلاجل وكان على خيل بني حنظلة عمرو بن وبرة
القحيفي وكان له عبيد يؤاجرهم بثلاثين ثلاثين كل يوم فيعطهم عشرة عشرة فتميل له
لَيْسَ مَا حَكَمْتَ يَا ابْنَ وَبَرَةَ تُعْطَى ثَلَاثِينَ وَتُعْطَى عَشْرَةَ
ووجه المصعب زحر بن قيس الجعفي مددا لابن معمر في ألف ووجه عبد الملك
عبيد الله بن زياد بن ظبيان مددا لخالد فكره أن يدخل البصرة وأرسل مطرب
التوأم فرجع إليه فأخبره بتفرق الناس فلحق بعبد الملك ه قال أبو زيد قال أبو
الحسن فحدثني شيخ من بني عرين عن السكن بن قتادة قال اقتلوا أربعة وعشرين
يوما وأصديت عين مالك فضجر من الحرب ومشت السفراء بينهم يوسف
ابن عبد الله بن عثمان بن أبي العاص فصالحه على أن يخرج خالدا وهو آمن فأخرج
خالدا من البصرة وخاف أن لا يجيز المصعب أمان عبيد الله فلحق مالك بثأج فقال
الفرزدق يذكر مالكا ولحوق التيمية به وبخالد

عَجِبْتُ لِأَقْوَامِ تَمِيمٍ أَبُومُومٍ وَهُمْ فِي بَنِي سَعْدٍ عِظَامُ الْمُبَارِكِ
وَكَانُوا أَعَزَّ النَّاسِ قَبْلَ مَسِيرِهِمْ إِلَى الْأَزْدِ مُصَفَّرًا لِحَاثِهَا وَمَالِكِ
فَمَا ظَنَنْكُمْ يَا ابْنَ الْحَوَارِيِّ مُصْعَبِ إِذَا افْتَرَعْنَ أَنْبِيَاءَهُ غَيْرَ ضَاحِكِ
وَنَحْنُ نَفِينَا مَالِكًا عَنِ بِلَادِهِ وَنَحْنُ فَقَانَا عَيْنَهُ بِالنِّيَّازِكِ

قال أبو زيد قال أبو الحسن حدثني مسلة أن المصعب لما انصرف عبد الملك
إلى دمشق لم يكن له همة الا البصرة وطمع أن يدرك بها خالدا فوجده قد خرج
وآمن ابن معمر الناس فأقام أكثرهم وخاف بعضهم مصعبا فشنص فغضب
مصعب على ابن معمر وحلف أن لا يوليه وأرسل إلى الجفريه فسيهم وأنهم قال
أبو زيد فزعم المدائني وغيره من رواة أهل البصرة أنه أرسل إليهم فأتى بهم فأقبل
عل عبيد الله بن أبي بكره فقال يا ابن مسروح إنما أنت ابن كلبه تعاورها الكلاب
فجاءت بأحر وأسود وأصفر من كل كلب بما يشبهه وإنما كان أبوك عبدأزل إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ثم أقتم البيعة تدعون أن أباسفیان زنى بأمكم أما والله لئن بقيت لألحقنكم بنسبكم ثم دعا بجمران فقال يا ابن اليهودية إنما أنت عليج نبطي سبيت من عين التمر ثم قال للحكم بن المنذر بن الجارود يا ابن الخبيث أتدرى من أنت ومن الجارود إنما كان الجارود عليجا بجزيرة ابن كاوان فارسيا فقطع إلى ساحل البحر فاتمى إلى عبد القيس ولا والله ما أعرف حيا أكثر اشتمالا على سوءة منهم ثم أنكح أخته المكعبر الفارسي فلم يصب شرفا قط أعظم منه فهو لاء ولدها يا ابن قباذ ثم أتى بعبد الله بن فضالة الزهراني فقال ألسنت من أهل هجر ثم من أهل سماهيج أما والله لأردنك إلى نسبك ثم أتى بعلي بن أصمغ فقال أعبد لبي تميم مرة وعزى من باهلة ثم أتى بعبد العزيز بن بشر بن حناط فقال يا ابن المشطور ألم يسرق عمك عنزا في عهد عمر فأمر به فسير ليقطعه أما والله ما أعنت إلا من ينكح أختك وكانت أخته تحت مقاتل بن مسمع ثم أتى بأبي حاضر الأسدي فقال يا ابن الإصطخرية ما أنت والأشراف وإنما أنت من أهل قطر دعى في بني أسديس لك فيهم قريب ولا نسيب ثم أتى بزياد بن عمرو فقال يا ابن الكرمانى إنما أنت عليج من أهل كرمان قطعت إلى فارس فصرت ملاحا مالك وللحرب لأنت بجر القلس أحذق ثم أتى بعبد الله بن عثمان بن أبي العاص فقال أعلّى تكثروا أنت عليج من أهل هجر لحق أبوك بالطائف وهم يضمنون من تأشب إليهم يتعززون به أما والله لأردنك إلى أصلك ثم أتى بشيخ بن النعمان فقال يا ابن الخبيث إنما أنت عليج من أهل زندور دهرت أمك وقتل أبوك فتزوج أخته رجل من بني يشكر فجاءت بغلامين فألحقاك بنسبهما ثم ضربهم مائة مائة وحلق رؤوسهم ولحاهم وهدم دورهم وصهرهم في الشمس ثلاثا وحملهم على طلاق نساءهم وجر أولادهم في البعوث وطاف بهم في أقطار البصرة وأحلفهم أن لا ينكحوا الحرار وبعث مصعب خدش بن يزيد الأسدي في طلب من هرب من أصحاب خالد فأدرك مرة بن تحكان فأخذه فقال مرة

بنى أسد إن تقتلوني تحاربوا تيمنا إذا الحرب العوان اشتملت

بنى أسدٍ هل فيكم من هَوَادَةٍ فَتَعْفُونَ إِنْ كَانَتْ بِي النَّعْلُ زَلَّتِ
فَلَا تَحْسِبِ الْأَعْدَاءُ إِذْ غَبْتُ عَنْهُمْ وَأُورِيَتْ مَعْنَا أَنْ حَرَبِي كَلَّتِ
تمشى خِداشُ في الأَسْكَةِ آمِنَا وَقَدْ نَهَلْتُ مِنِّي الرَّمَاحُ وَعَلَّتِ
فقر به خدش فقتله وكان خدش على شرطة مصعب يومئذ وأمر مصعب
سنان بن ذهل أحد بني عمرو بن مرثد بدار مالك بن مسمع فهدمها وأخذ مصعب
ما كان في دار مالك فكان فيما أخذ جارية ولدت له عمر بن مصعب قال وأقام
مصعب بالبصرة حتى شخص إلى الكوفة ثم لم يزل بالكوفة حتى خرج ل حرب
عبد الملك ونزل عبد الملك مسكن وكتب عبد الملك إلى الروانية من أهل العراق
فأجابهم كلهم وشرط عليه ولاية أصبهان فأنعم بها لهم كلهم منهم حجار بن أبحر
والغضبان بن القبعثرى وعتاب بن ورقاء وقطن بن عبد الله الحارثي ومحمد بن عبد الرحمن
ابن سعيد بن قيس وزحر بن قيس ومحمد بن عمير وعلي مقدمته محمد بن مروان وعلي
ميمته عبد الله بن يزيد بن معاوية وعلي ميسرته خالد بن يزيد وسار إليه مصعب
وقد خذله أهل الكوفة قال عروة بن المغيرة بن شعبة نخرج يسير متكئا على معرفة
دابته ثم تصفح الناس يمينا وشمالا فوقعت عينه على فقال يا عروة إلى فدنوت
منه فقال أخبرني عن الحسين بن علي كيف صنع بإبائه النزول على حكم ابن زياد
وعزمه على الحرب فقال :

إِنَّ الْأَلَى بِالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأْسُوا فَتَسُوا لِلْكَرَامِ التَّأْسِيَا

قال فعلت أنه لا يريم حتى يقتل وكان عبد الملك فيما ذكر محمد بن عمر عن
عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي قررة عن اسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن
رجاء بن حيوة قال لما قتل عمرو بن سعيد وضع السيف فقتل من خالفه فلما
أجمع بالمسير إلى مصعب وقد صفت له الشام وأهلها خطب الناس وأمرهم بالتهيؤ
إلى مصعب فاختلف عليه رؤساء أهل الشام من غير خلاف لما يريد ولكنهم
أحبوا أن يقيم ويقدم الجيوش فإن ظفروا فذاك وإن لم يظفروا أمدم
بالجيوش خشية على الناس أن أصيب في لقائه مصعباً لم يكن وراءه ملك

فقالوا يا أمير المؤمنين لو أقت مكانك وبعثت على هؤلاء الجيوش رجلا من أهل بيتك ثم سرحته إلى مصعب فقال عبد الملك إنه لا يقوم بهذا الأمر إلا قرشي له رأى ولعلّ أبعث من له شجاعة ولا رأى له وإني أجد في نفسي أني بصير بالحرب شجاع بالسيف إن أجتت إلى ذلك ومصعب في بيت شجاعة أبوه أشجع قریش وهو شجاع ولا علم له بالحرب يجب الخفض ومعه من يخالفه ومعه من ينصح لي فسار عبد الملك حتى نزل مسكن وسار مصعب إلى باججيرا وكتب عبد الملك إلى شيعة من أهل العراق فأقبل إبراهيم بن الأشتر بكتاب عبد الملك محتوما لم يقرأه فدفعه إلى مصعب فقال ما فيه؟ فقال ما قرأته فقرأه مصعب فإذا هو يدعو إلى نفسه ويجعل له ولاية العراق فقال لمصعب إنه والله ما كان من أحد آيس منه مني ولقد كتب إلى أصحابك كلهم بمثل الذي كتب إلى فأطعني فيهم فاضرب أعناقهم قال إذا لاتناصنا عشائهم قال فأورقهم حديداً وابعث بهم إلى أبيض كسرى فاحبسهم هنالك ووكل بهم من إن غلبت ضرب أعنقهم وإن غلبت مننت بهم على عشائهم فقال يا أبا النعمان إني لفي شغل عن ذلك يرحم الله أبا بجر إن كان ليحذرني خدر أهل العراق كأنه كان ينظر إلى ما نحن فيه ۞ حدثني عمر قال حدثنا محمد بن سلام عن عبد القاهر بن السري قال هم أهل العراق بالذدر بمصعب فقال قيس بن الهيثم ويحكم لاتدخلوا أهل الشام عليكم فوالله لئن تطعموا بعيشكم ليصفين عليكم منازلكم والله لقد رأيت سيد أهل الشام علي باب الخليفة يفرح إن أرسله في حاجة ولقد رأيتنا في الصوائف وأحدنا على ألف بعير وإن الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزاده خلفه قال ولما تدانى العسكران بدّير الجانليق من مسكن تقدم إبراهيم بن الأشتر فحمل على محمد بن مروان فأزاله عن موضعه فوجه عبد الملك ابن مروان عبد الله بن يزيد بن معاوية فقرب من محمد بن مروان والتقى القوم فقتل مسلم بن عمرو الباهلي وقتل يحيى بن مبشر أحد بني ثعلبة بن يربوع وقتل إبراهيم بن الأشتر فهرب عتاب بن ورقاء وكان على الخيل مع مصعب فقال مصعب لقطن بن عبد الله الحارثي أبا عثمان قدّم خيلك قال ما أرى ذلك قال ولم قال أكره

أن تقتل مذحج في غير شيء فقال لحجار بن أبجر أبا أسيد قدم أرايتك قال إلى هذه العذرة قال ماتت آخر إليه والله أنتن والام فقال لمحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ابن قيس مثل ذلك فقال ما أرى أحداً فعل ذلك فأفعله فقال مصعب يا إبراهيم ولا إبراهيم لي اليوم ﴿﴾ حدثني أبو زيد قال حدثني محمد بن سلام قال أخبر ابن خازم بمسير مصعب إلى عبد الملك فقال أمعه عمر بن عبيد الله بن معمر قيل لا استعمله على فارس قال أمعه المهلب بن أبي صفرة قيل لا استعمله على الموصل قال أمعه عباد بن الحصين قيل لا استخلفه على البصرة فقال وأنا بخراسان
خُذِنِي نُجْرِنِي جَعَارِ وَأُبْشِرِي بَلِّغِمْ أَمْرِي لَمْ يَشْهَدِ الْيَوْمَ نَاصِرُهُ
فقال مصعب لابنه عيسى بن مصعب يا بني اركب أنت ومن معك إلى عمك بمكة فأخبره ما صنع أهل العراق ودعني فإني مقتول فقال ابنه والله لا أخبر قريشا عنك أبداً ولكن إن أردت ذلك فالحق بالبصرة فهم على الجماعة أو الحق بأمر المؤمنين قال مصعب والله لا تتحدث قريش أني فررت بما صنعت ربيعة من خذلانها حتى أدخل الحرم منهزماً ولكن أقاتل فإن قتلت فلعمري ما السيف بعار وما الفرار لي بعادة ولا خلق ولكن إن أردت أن ترجع فارجع فقاتل فرجع فقاتل حتى قتل ه قال علي بن محمد عن يحيى بن اسماعيل بن أبي المهاجر عن أبيه أن عبد الملك أرسل إلى مصعب مع أخيه محمد بن مروان أن ابن عمك يعطيك الأمان فقال مصعب إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالباً أو مغلوباً وقال الهيثم بن عدي حدثنا عبد الله بن عياش عن أبيه قال إننا لو قوف مع عبد الملك ابن مروان وهو يحارب مصعباً إذ دنا منه زياد بن عمرو فقال يا أمير المؤمنين إن اسماعيل بن طلحة كان لي جاراً صديقاً قلباً أرادني مصعب بسوء إلا دفعه عني فإن رأيت أن تؤمنه على جرمه قال هو آمن فمضى زياد وكان ضحياً على ضخم حتى صار بين الصفيين فصاح أين أبو البختری اسماعيل بن طلحة فخرج إليه فقال إني أريد أن أذكر لك شيئاً فدنا حتى اختلفت أعناق دوابهما وكان الناس ينتطقون بالجواشي المحشورة فوضع زياد يده في منطقة اسماعيل ثم اقتلعه عن سرجه وكان نحيفاً فقال

أنشدك الله يا أبا المغيرة إن هذا ليس بالوفاء لمصعب فقال هذا أحب إلي من أن أراك غداً مقتولاً ولما أبى مصعب قبول الأمان نادى محمد بن مروان عيسى ابن مصعب وقال له يا ابن أخي لا تقتل نفسك لك الأمان فقال له مصعب قد آمنك عمك فامض إليه قال لا تتحدث نساء قريش أني أسلمت لك للقتل قال فتقدم بين يدي أحسبك فقاتل بين يديه حتى قتل وأثنى مصعب بالرمي ونظر إليه زائدة ابن قدامة فشد عليه فطعنه وقال يا لثارات المختار فصرعه ونزل إليه عبيد الله بن زياد ابن ظبيان فاحتر رأسه وقال إنه قتل أخى النابى بن زياد فأتى به عبد الملك بن مروان فأثابه ألف دينار فأبى أن يأخذها وقال إنى لم أقتله على طاعتك إنما قتلته على وتر صنعه بى ولا آخذ فى حمل رأس مالا فتركه عند عبد الملك وكان الوتر الذى ذكره عبيد الله بن زياد بن ظبيان أنه قتل عليه مصعباً أن مصعباً كان ولى فى بعض ولايته شرطة مطرف بن سيدان الباهلى ثم أحد بنى جأوة ❀ فحدثنى عمر بن شبة قال حدثنى أبو الحسن المدائنى ومحمد بن يحيى بن حاضر أن مطرفاً أتى بالنابى بن زياد بن ظبيان ورجل من بنى نعيم قد قطعاً الطريق فقتل النابى وضرب النيمى بالسياط فتركه فجمع له عبيد الله بن زياد بن ظبيان جمعاً بعد أن عزله مصعب عن البصرة وولاه الأهواز فخرج يريده فالتقيا فتواقفا وبينهما نهر فعبر مطرف إليه النهر وعاجله ابن ظبيان فطعنه فقتله فبعث مصعب مكرم بن مطرف فى طلب ابن ظبيان فسار حتى بلغ عسكر مكرم فنسب إليه ولم يلق ابن ظبيان ولحق ابن ظبيان بعبد الملك لما قتل أخوه فقال البيهق الشكرى بعد قتل مصعب يذكر ذلك :

ولما رأينا الأمر نكسنا صدوره
وهم الهوادي أن تكن تواليا
صبرنا لأمر الله حتى يقيمهُ
ولم نرض إلا من أمية واليا
ونحن قتلنا مصعباً وابن مصعب
أخا أسد والنخعي البمانيا
ومرت عقاب الموت منا بمسلم
فأهوت له ناباً فأصبح ثاوريا
سقيناً ابن سيدان بكاس روية
كفتنا وخير الأمر ما كان كافيا

❦ حدثني أبو زيد قال حدثني علي بن محمد قال مر ابن ظبيان بابنة مطرف
 بالبصرة فقيل لها هذا قاتل أبيك فقالت في سبيل الله أبي فقال ابن ظبيان:
 فلا في سبيل الله لاقى حِمَامَهُ أَبُوكِ وَلَكِنْ فِي سَبِيلِ الدَّرَاهِمِ
 فلما قتل مصعب دعا عبد الملك بن مروان أهل العراق إلى البيعة فبايعوه
 وكان مصعب قتل على نهر يقال له الدُّجِيل عند دير الجاثليق فلما قتل أمر به
 عبد الملك وِبَابِنه عيسى فدفنا ذكر الواقدي عن عثمان بن محمد عن أبي بكر بن عمر
 عن عروة قال قال عبد الملك حين قتل مصعب واروه فقد والله كانت الحرمة
 بيننا وبينه قديمة ولكن هذا الملك عقيم قال أبو زيد وحدثني أبو نعيم قال حدثني
 عبد الله بن الزبير أبو أبي أحمد عن عبد الله بن شريك العامري قال إني لواقف
 إلى جنب مصعب بن الزبير فأخرجت له كتابا من قبائي فقلت له هذا كتاب
 عبد الملك فقال ما شئت قال ثم جاء رجل من أهل الشام فدخل عسكره فأخرج
 جارية فصاحت واذلاه فنظر إليها مصعب ثم أعرض عنها قال وأتى عبد الملك
 برأس مصعب فنظر إليه فقال متى تغذو قريش مثلك وكانا يتحدثان إلى حبي وهما
 بالمدينة فقيل لها قتل مصعب فقالت تعس قاتله قيل قتله عبد الملك بن مروان قالت
 بأبي القاتل والمقتول قال وحج عبد الملك بعد ذلك فدخلت عليه حبي فقالت
 أقتلت أخاك مصعبا فقال :

من يَذِقِ الحَرْبَ يَجِدْ طَعْمَهَا مَرًّا وَتَتْرُكُهُ بِجَعَجَاعِ

وقال ابن قيس الرقيات :

لقد أَوْرَثَ المَصْرَيْنِ خِزْيًا وَذِلَّةً قَتِيلٌ بَدِيرُ الجِثَالِيْقِ مُقِيمٌ
 فما نصحت لله بكر بن وائل ولا صَبَرْتَ عِنْدَ اللِّقَاءِ تَمِيمٌ
 ولو كان بَكْرِيًّا تَعَطَّفَ حَوَاهُ كِتَابُ يَغْلِي خَمِيهَا وَيَدُومُ
 ولكنه ضاع الذمام ولم يكن بها مُضْرِيٌّ يَوْمَ ذاك كَرِيمٌ
 جرى الله كوفيًا هناك ملامةً وَبَصْرِيَّهْمُ إِنِّ المَلِيْمِ مَلِيْمٌ
 وإن بني العلاتِ أخلوا ظهورنا وَنَحْنُ صَرِيحٌ بَيْنَهُمْ وَصَمِيمٌ

فَانْ تُقَنَّ لَا يَبْقُوا أَوْلَئِكَ بَعْدَنَا لَذِي حُرْمَةٍ فِي الْمُسْلِمِينَ حَرِيمٌ
 (قال أبو جعفر) وقد قيل إن ما ذكرتُ من مقتل مصعب والحرب التي
 جرت بينه وبين عبد الملك كانت في سنة ٧٢ وأن أمر خالد بن عبد الله بن خالد
 ابن أسيد ومصيره إلى البصرة من قبل عبد الملك كان في سنة ٧١ وقتل مصعب
 في جمادى الآخرة (وفي هذه السنة) دخل عبد الملك بن مروان الكوفة وفرق
 أعمال العراق والمصريين الكوفة والبصرة على عماله في قول الواقدي وأما
 أبو الحسن فإنه ذكر أن ذلك في سنة ٧٢ ❦ وحدثني عمر قال حدثني علي بن
 محمد قال قتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى
 أو الآخرة سنة ٧٢ ولما أتى عبد الملك الكوفة فيما ذكر نزل النخيلة ثم دعا
 الناس إلى البيعة فجاءت قضاة فرأى قلة فقال يامعشر قضاة كيف سلمتم من
 مصر مع قتلكم فقال عبد الله بن يعلى النهدي نحن أعز منهم وأمنع قال بمن قال
 بمن معك منا يا أمير المؤمنين ثم جاءت مذحج وهمدان فقال ما أرى لأحد
 مع هؤلاء بالكوفة شيئاً ثم جاءت جُعمي فلما نظر إليهم عبد الملك قال يامعشر
 جعمي اشتملتم على ابن أختكم وواريتموه يعني يحيى بن سعيد بن العاص قالوا
 نعم قال فهاتوه قالوا وهو آمنٌ قال وتشرطون أيضاً فقال رجل منهم إنا والله
 ما نشرط جهلاً بحقك ولكننا نتسحب عليه تسحب الولد على والده فقال
 أما والله لنعم الحق أنتم إن كنتم لفرساناً في الجاهلية والإسلام هو آمن فجأوا به
 وكان يكنى أبا أيوب فلما نظر إليه عبد الملك قال أبا قبيح بأى وجه تنظر إلى
 ربك وقد خلعتني قال بالوجه الذي خلقه فبايع ثم ولى فنظر عبد الملك في قفاه
 فقال لله درّه أى ابن زوملة هو يعني غريبة وقال علي بن محمد حدثني القاسم بن
 معن وغيره أن معبد بن خالد الجدلي قال ثم تقدمنا إليه معشر عدوان قال فقدّمنا
 رجلاً وسياً جميلاً وتأخرتُ وكان معبد دميماً فقال عبد الملك من فقال الكاتب
 عدوانٌ فقال عبد الملك :

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدُوِّ نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ

بغى بعضهم بعضاً فلم يرعوا على بعض
 ومنهم كانت السادات والموفون بالقرض
 ثم أقبل على الجميل فقال إليه فقال لأدرى فقلت من خلفه :
 ومنهم حكم يقضى فلا ينقض ما يقضى
 ومنهم من يُجيز الحجة بالسنة والقرض
 وهم مذودوا شَبَّوا بِسِرِّ النسب المحض

قال فتركتني عبد الملك ثم أقبل على الجميل فقال من هو قال لأدرى فقلت من
 خلفه ذو الإصبع قال فأقبل على الجميل فقال ولم سمي ذا الإصبع فقال لأدرى
 فقلت من خلفه لأن حية عضت أصبعه فقطعتها فأقبل على الجميل فقال ما كان اسمه
 فقال لأدرى فقلت من خلفه حرثان بن الحارث فأقبل على الجميل فقال من أيكم
 كان قال لأدرى فقلت من خلفه من بني ناج فقال

أبعد بني ناج وسعيك بينهم فلا تدب من عينيك ما كان هالكا
 إذا قلت معروفا لأصاح بينهم يقول وهيب لأصالح ذلكا
 فأضحى كظهر العيرجب سنامه تطيف به الولدان أحذب باركا

ثم أقبل على الجميل فقال كم عطاؤك قال سبعمائة فقال لي في كم أنت
 قلت في ثلثمائة فأقبل على الكاتبين فقال حط من عطاء هذا أربعمائة
 وزيدها في عطاء هذا فرجعت وأنا في سبعمائة وهو في ثلثمائة ثم جاءت كندة
 فنظر إلى عبد الله بن إسحاق بن الأشعث فأوصى به بشرا أخاه وقال اجعله
 في صحابتك وأقبل داود بن قحدم في مائتين من بكر بن وائل عليهم الأقبية
 الداودية وبه سميت فجلس مع عبد الملك على سريرته فأقبل عليه عبد الملك ثم نهض
 ونهضوا معه فأتبعهم عبد الملك بصره فقال هؤلاء الفساق والله لولا أن صاحبهم
 جاءني ما أعطاني أحد منهم طاعة ثم إنه ولي فيما قيل آظن بن عبد الله الحارثي
 الكوفة أربعين يوما ثم عزله وولى بشر بن مروان وضعد منبر الكوفة فخطب
 فقال إن عبد الله بن الزبير لو كان خليفة كما يزعم لخرج فآسى بنفسه ولم يغرر ذنبه

في الحرم ثم قال إني قد استعملت عليكم بشر بن مروان وأمرته بالإحسان إلى أهل الطاعة والشدة على أهل المعصية فاسمعوا له وأطيعوا واستعمل محمد بن عمير على همدان ويزيد بن رويم على الري وفرق العمال ولم يف لأحد شرط عليه ولاية أصبهان ثم قال علي هؤلاء الفساق الذين أنغلوا الشام وأفسدوا العراق فقبل قد أجارهم رؤساء عشائرهم فقال وهل يجير علي أحد وكان عبد الله بن يزيد ابن أسد لجأ إلى علي بن عبد الله بن عباس ولجأ إليه أيضاً يحيى بن معيوف الهمداني ولجأ الهذيل بن زفر بن الحارث وعمرو بن زيد الحكمي إلى خالد بن يزيد بن معاوية فآمنهم عبد الملك فظهروا (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة تنازع الرياسة بالبصرة عبيد الله بن أبي بكره وحران بن أبان ؓ حدثني عمر بن شبة قال حدثني علي بن محمد قال لما قتل المصعب وثب حران بن أبان وعبيد الله بن أبي بكره فتنازعا في ولاية البصرة فقال ابن أبي بكره أنا أعظم غناء منك أنا كنت أنفق على أصحاب خالد يوم الجفرة فقبل لحران إنك لا تقوى علي ابن أبي بكره فاستعن بعبد الله بن الأهم فإنه إن أعانك لم يقو عليك ابن أبي بكره ففعل وغلب حران على البصرة وابن الأهم على شرطها وكان لحران منزلة عند بني أمية ؓ حدثني أبو زيد قال حدثني أبو عاصم النبيل قال أخبرني رجل قال قدم شيخ أعرابي فرأى حران فقال من هذا فقالوا حران فقال لقد رأيت هذا وقد مال رداؤه عن عاتقه فابتدره مروان وسعيد بن العاص أيهما يسويه قال أبو زيد قال أبو عاصم فحدث بذلك رجلا من ولد عبد الله بن عامر فقال حدثني أبي أن حران مدرج له فابتدر معاوية وعبد الله بن عامر أيهما يغمزها (وفي هذه السنة) بعث عبد الملك خالد بن عبد الله على البصرة واليا ؓ حدثني عمر قال حدثني علي بن محمد قال مكث حران على البصرة يسيرا وخرج ابن أبي بكره حتى قدم على عبد الملك الكوفة بعد مقتل مصعب فولى عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة وأعمالها فوجه خالد عبيد الله ابن أبي بكره خليفته على البصرة فلما قدم على حران قال أقد جئت لاجئت فكان ابن أبي بكره على البصرة حتى قدم خالد (وفي هذه السنة) رجع عبد الملك فيما زعم الواقدي

إلى الشام . قال وفيها نزع ابن الزبير جابر بن الأسود بن عوف عن المدينة واستعمل عليها طلحة بن عبد الله بن عوف قال وهو آخر وال لابن الزبير على المدينة حتى قدم عليها طارق بن عمرو مولى عثمان فهرب طلحة وأقام طارق بالمدينة حتى كتب إليه عبد الملك (وحج) بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير في قول الواقدي وذكر أبو زيد عن أبي غسان محمد بن يحيى قال حدثني مصعب بن عثمان قال لما انتهى إلى عبد الله بن الزبير قتل مصعب قام في الناس فقال الحمد لله الذي له الخلق والأمر يوتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ألا وإنه لم يذل الله من كان الحق معه وإن كان فردا ولم يعزز من كان وليه الشيطان وحزبه وإن كان معه الأنام طرأ الأوانه قد أتانا من العراق خبر حزنا وأفرحنا أتانا قتل مصعب رحمة الله عليه فأما الذي أفرحنا فعلمنا أن قتله له شهادة وأما الذي حزنا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يرعوى من بعدها ذوالرأى إلى جميل الصبر وكريم العزاء ولئن أصبت بمصعب لقد أصبت بالزبير قبله وما أنا من عثمان بخلو مصيبة وما مصعب إلا عبد من عبيد الله وعون من أعوانى ألا إن أهل العراق أهل الغدر والنفاق أسلموه وباعوه بأقل الثمن فإن يقتل فإننا والله ما نموت على مضاجعنا كما تموت بنو أبي العاص والله ما قتل منهم رجل في زحف في الجاهلية ولا الإسلام وما نموت إلا قصصاً بالرماح وموتاً تحت ظلال السيوف إلا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه ولا يبدل ملكه فإن تقبل لا آخذها أخذ الأشر البطر وإن تُدبر لا أبك عليها بكاء الخرق المهين أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وذكر أن عبد الملك لما قتل مصعباً ودخل الكوفة أمر بطعام كثير فصنع وأمر به إلى الخورنق وأذن إذنا عاماً فدخل الناس فأخذوا مجالسهم فدخل عمرو بن حريث المخزومي فقال إلى وعلى سريري فأجلسه معه ثم قال أى الطعام أكلت أحب إليك وأشهى عندك قال عنقاً حمراء قد أجيد تملجها وأحكم نضجها قال ما صنعت شيئاً فأين أنت من عمرو س راضع قد أجيد سمطه وأحكم نضجه اختاجت إليك رجله فأتبعته يده غدى بشريجين من لبن

وسمن ثم جاءت الموائد فأكلوا فقال عبد الملك بن مروان ما ألد عيشنا لو أن شيئاً يدوم ولكننا كما قال الأول:

وكل جديد يا أميم إلى بلى وكل امرئ يوماً يصير إلى كان
فلما فرغ من الطعام طاف عبد الملك في القصر يقول لعمر بن حريث لعن هذا
البيت ومن بنى هذا البيت وعمرو يخبره فقال عبد الملك

وكل جديد يا أميم إلى بلى وكل امرئ يوماً يصير إلى كان
ثم أتى مجلسه فاستلقى وقال:

اعمل على مهل فانك ميتٌ واكدهج لنفسك أيها الإنسان
فكأن ما قد كان لم يك إذ مضى وكان ما هو كأن قد كان

(وفي هذه السنة) افتتح عبد الملك في قول الواقدي قيسارية

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

(قال أبو جعفر) فمن ذلك ما كان من أمر الخوارج وأمر المهلب بن أبي صفرة
وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد (ذكر هشام بن محمد) عن أبي مخنف أن
حصيرة بن عبد الله وأبا زهير العبسي حدثاه أن الأزارقة والمهلب بعد ما اقتتلوا
بسولاف ثمانية أشهر أشد القتال أتاهم أن مصعب بن الزبير قد قتل فباع ذلك الخوارج
قبل أن يباع المهلب وأصحابه فناداهم الخوارج ألا تخبرونا ما قولكم في مصعب قالوا
إمام هدى قالوا فهو وليكم في الدنيا والآخرة قالوا نعم قالوا أو أتم أولياؤه أحياء وأمواتا
قالوا ونحن أولياؤه أحياء وأمواتا قالوا فما قولكم في عبد الملك بن مروان قالوا ذلك
ابن اللعين نحن إلى الله منه برآء هو عندنا أحل دما منكم قالوا فأنتم منه برآء في الدنيا
والآخرة قالوا نعم كبراءتنا منكم قالوا أو أنتم له أعداء أحياء وأمواتا قالوا نعم نحن له أعداء
كعداوتنا لكم قالوا فان إمامكم مصعبا قد قتله عبد الملك بن مروان ونراكم ستجعلون غداً
عبد الملك إمامكم وأنتم الآن تبرؤون منه وتلعنون أباه قالوا كذبتم بأعداء الله فلما كان

من الغد تبين لهم قتل مصعب فبايع المهلب الناس لعبد الملك بن مروان فأتتهم الخوارج فقالوا اما تقولون في مصعب قالوا يا أعداء الله لا نخبركم ما قولنا فيه وكرهوا أن يكذبوا أنفسهم عندهم قالوا فقد أخبرتمونا أمس أنه وليكم في الدنيا والآخرة وأنكم أولياؤه أحياء وأمواتا فأخبرونا ما قولكم في عبد الملك قالوا ذلك إمامنا وخليفتنا ولم يجدوا إذ بايعوه بدأ من أن يقولوا هذا القول قالت لهم الأزارقة يا أعداء الله أنتم أمس تبرؤن منه في الدنيا والآخرة وتزعمون أنكم له أعداء أحياء وأمواتا وهو اليوم إمامكم وخليفتمكم وقد قتل إمامكم الذي كنتم تولونه فأيهما المحق وأيهما المهتدى وأيهما الضال قالوا لهم يا أعداء الله رضينا بذلك إذ كان ولي أمورنا ونرضى بهذا كما رضينا بذلك قالوا لا والله ولكنكم إخوان الشياطين وأولياء الظالمين وعبيد الدنيا وبعث عبد الملك بن مروان بشر بن مروان على الكوفة وخالد بن عبد الله ابن خالد بن أسيد على البصرة فلما قدم خالد أثبت المهلب على خراج الأهواز ومعونتها وبعث عامر بن مسمع على سابور ومقاتل بن مسمع على أردشير خره ومسمع بن مالك بن مسمع على فساودرا بجرّد والمغيرة بن المهلب على اصطخر ثم إنه بعث إلى مقاتل فبعثه على جيش وألحقه بناحية عبد العزيز فخرج يطلب الأزارقة فانحطوا عليه من قبل كرمان حتى أتوا درابجرد فسار نحوهم وبعث قطري مع صالح بن مخراق تسعمائة فارس فأقبل يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسير بالناس ليلا يجرون على غير تعبئة فهزم الناس ونزل مقاتل بن مسمع فقاتل حتى قتل وانهمز عبد العزيز بن عبد الله وأخذت امرأته ابنة المنذر بن الجارود فأقيمت فيمن يزيد فبلغت مائة ألف وكانت جميلة فغار رجل من قومها كان من رؤس الخوارج يقال له أبو الحديد الشنّي فقال تنحوا هكذا ما أرى هذه المشركة إلا قد فتنتكم فضرب عنقها ثم زعموا أنه لحق بالبصرة فرآه آل منذر فقالوا والله ما ندري أن نحمدك أم نذمك فكان يقول ما فعلته إلا غيرة وحمية وجاء عبد العزيز حتى انتهى إلى رام هرمز وأتى المهلب فأخبر به فبعث إليه شيخاً من أشياخ قومه كان أحد فرسانه فقال اتته فان كان منهزماً فعزه وأخبره أنه لم يفعل شيئاً لم يفعله الناس قبله

وأخبره أن الجنود تأتيه عاجلاً ثم يعزه الله وينصره فأتاه ذلك الرجل فوجدوه نازلاً في نحو من ثلاثين رجلاً كثيراً حزينا فسلم عليه الأزدي وأخبره أنه رسول المهلب وبلغه ما أمره به وعرض عليه أن يذكر له ما كانت له من حاجة ثم انصرف إلى المهلب فأخبره الخبر فقال له المهلب الحق الآن بخالد بالبصرة فأخبره الخبر فقال أنا آتية أخبره أن أخاه هزم والله لا آتية فقال المهلب لا والله لا يأتية غيرك أنت الذي عاينته ورأيتة وأنت كنت رسولاً إليه قال هو إذا يهديك يا مهلب إن ذهب إليه العام ثم خرج قال المهلب أما أنت والله فانك لي آمن أما والله لو أنك مع غيري ثم أرسلك على رجلتك خرجت تشتد قال له وأقبل عليه كأنك إنما تمن علينا بحملك فنحن والله نكافيك بل نزيد ما تعلم أننا نعرض أنفسنا للقتل دونك ونحميك من عدوك ولو كنا والله مع من يجهل علينا ويبعثنا في حاجاته على أرجلنا ثم احتاح إلى قتالنا ونصرتنا جعلناه بيننا وبين عدونا ووقينا به أنفسنا قال له المهلب صدقت صدقت ثم دعا قتي من الأزدي كان معه فسرجه إلى خالد يخبره خبر أخيه فأتاه الفتى الأزدي وحوله الناس وعليه جبة خضراء ومطرف أخضر فسلم عليه فرد عليه فقال ما جاء بك قال أصلحك الله أرسلني إليك المهلب لأخبرك خبر ما عاينته قال وما عاينته قال رأيت عبد العزيز برام هزم مهزوماً قال كذبت قال لا والله ما كذبت وما قلت لك إلا الحق فإن كنت كاذباً فاضرب عنقك وإن كنت صادقاً فأعطني أصلحك الله جبتك ومطرفك قال ويحك ما أيسر ما سألت ولقد رضيت مع الخطر العظيم إن كنت كاذباً بالخطر الصغير إن كنت صادقاً فخبسه وأمر بالإحسان إليه حتى تبينت له هزيمة القوم فكتب إلى عبد الملك أما بعد فإني أخبر أمير المؤمنين أكرم الله أني بعثت عبد العزيز بن عبد الله في طلب الخوارج وأنهم لقوه بفارس فاقتلوا قتالا شديداً فانهزم عبد العزيز لما انهزم عنه الناس وقتل مقاتل بن مسمع وقدم الفل إلى الأهواز فأحبت أن أعلم أمير المؤمنين ذلك ليأتيني رأيه وأمره أنزل عنده إن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله فكتب إليه أما بعد فقد قدم رسولك في كتابك تعلمني فيه بعثتك أخاك على قتال الخوارج وبهزيمة من هزم وقتل من قتل وسألت

رسولك عن مكان المهلب فحدثني أنه عامل لك على الأهواز فقبح الله رأيك حين تبعث أخاك أعرابيا من أهل مكة على القتال وتدع المهلب إلى جنبك بجبي الخراج وهو الميمون النقية الحسن السياسة البصير بالحرب المقاسي لها ابنها وابن أبنائها انظر أن ينهض بالناس حتى تستقبلهم بالأهواز ومن وراء الأهواز وقد بعثت إلى بشر أن يمدك بجيش من أهل الكوفة فإذا أنت لقيت عدوك فلا تعمل فيهم برأى حتى تحضره المهلب وتستشيره فيه إن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله فشق عليه أن فيل رأيه في بعثة أخيه وترك المهلب وفي أنه لم يرض رأيه خالصا حتى قال أحضره المهلب واستشره فيه وكتب عبد الملك إلى بشر بن مروان أما بعد فاني قد كتبت إلى خالد بن عبد الله أمره بالنهوض إلى الخوارج فسرح إليه خمسة آلاف رجل وابعث عليهم رجلا من قبلك ترضاه فاذا قضوا غزواتهم تلك صرفتهم إلى الرى فقاتلوا عدوهم وكانوا في مسالحهم وجبوا فيأهم حتى تأتي أيام عقبهم فتعقبهم وتبعث آخرين مكانهم فقطع على أهل الكوفة خمسة آلاف وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وقال إذا قضيت غزاتك هذه فانصرف إلى الرى وكتب له عليها عهدا وخرج خالد بأهل البصرة حتى قدم الأهواز وجاء عبد الرحمن بن محمد يبعث أهل الكوفة حتى وافاهم بالأهواز وجاءت الأزارقة حتى دنوا من مدينة الأهواز ومن معسكر القوم وقال المهلب لخالد بن عبد الله إني أرى ههنا سفنا كثيرة فضمها اليك فوالله ما أظن القوم إلا محرقها فما لبث إلا ساعة حتى ارتفعت خيل من خيلهم إليها فحرقها وبعث خالد بن عبد الله على ميمنته المهلب وعلى ميسرته داود بن قحدم من بني قيس ابن ثعلبة ومر المهلب على عبد الرحمن بن محمد ولم يخندق فقال له يا ابن أخي ما يمنعك من الخندق فقال والله لهم أهون على من ضرطة الجمل قال فلا يهونوا عليك يا ابن أخي فانهم سباع العرب لا أبرح أو تضرب عليك خندقا ففعل وبلغ الخوارج قول عبد الرحمن بن محمد لهم أهون على من ضرطة الجمل فقال شاعرهم

ياطالب الحق لا تستهوا بالأمل
فإن من دون ما تهوى مدى الاجل

واعمل لربك واسأله مشوَّبتهُ فان تقواه فاعلم أفضل العمل
 وانزُ الخانيث في الماذى مُعلِّمةُ كما تُصبح غَدواً ضَرْطَةً الجمل
 فأقاموا نحواً من عشرين ليلة ثم إن خالداً زحف اليهم بالناس فرأوا أمراً
 هالماً من عدد الناس وعُدَّتْهم فأخذوا يتحازون واجتزا عليهم الناس فكرت
 عليهم الخيل وزحف اليهم فانصرفوا كأنهم على حامية وهم مولون لا يرون لهم
 طاقة بقتال جماعة الناس وأتبعهم خالد بن عبد الله داود بن قحذم في جيش من
 أهل البصرة وانصرف خالد إلى البصرة وانصرف عبد الرحمن بن محمد إلى الري
 وأقام المهلب بالاهواز فكتب خالد بن عبد الله إلى عبد الملك أما بعد فإني أخبر
 أمير المؤمنين أصلحه الله أني خرجت إلى الأزارقة الذين مرقوا من الدين وخرجوا من
 ولاية المسلمين فالتقينا بمدينة الأهواز فتناهضنا فقتلنا كأشد قتال كاذب في الناس ثم إن
 الله أنزل نصره على المؤمنين والمسلمين وضرب الله وجوه أعدائه فأتبعهم المسلمون
 يقتلونهم ولا يمتنعون ولا يمتنعون وأفاء الله ما في عسكرهم على المسلمين ثم أتبعهم
 داود بن قحذم والله إن شاء مهلكهم ومستأصلهم والسلام عليك فلما قدم هذا
 الكتاب على عبد الملك كتب عبد الملك إلى بشر بن مروان أما بعد فابعث من قبلك رجلاً
 شجاعاً بصيراً بالحرب في أربعة آلاف فارس فليسيروا إلى فارس في طلب المارقة فان
 خالداً كتب إلى يخبرني أنه قد بعث في طلبهم داود بن قحذم فمر صاحبك الذي
 تبعث أن لا يخالف داود بن قحذم إذا ما التقيا فان اختلاف القوم بينهم عون لعدوهم
 عليهم والسلام عليك فبعث بشر بن مروان عتَّاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس
 من أهل الكوفة فخرجوا حتى التقوا هم وداود بن قحذم بأرض فارس ثم اتبعوا
 القوم يطلبونهم حتى نفقت خيول عامتهم وأصابهم الجهد والجوع ورجع عامة
 ذينك الجيشين مُشاةً إلى الأهواز فقال ابن قيس الرقيات من بني مخزوم في هزيمة
 عبد العزيز وفراره عن امرأته.

عبد العزيز فَضَحَتْ جَيْشَكَ كُلَّهُمْ وتركتهم صرعى بكل سبيل
 من بين ذى عَجْطٍ بِجُودٍ بِنَفْسِهِ وملحِب بين الرجال قتييل

هَلَّا صَبَرْتَ مَعَ الشَّهِيدِ مُقَاتِلًا إِذْ رُحْتَ مُنْتَكِبَ الْقَوَى بِأَصِيلٍ
وَتَرَكْتَ جَيْشَكَ لِأَمِيرٍ عَلَيْهِمُ فَارْجِعْ بِعَارٍ فِي الْحَيَاةِ طَوِيلٍ
وَنَسِيتَ عِرْسَكَ إِذْ تُقَادُ سَيِّئَةً تُبْكِي الْعَيُونَ بَرْنَةً وَعَوِيلٍ

(وفي هذه السنة) كان خروج أبي فديك الخارجي وهو من بني قيس بن ثعلبة فغلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر الحنفي فاجتمع على خالد بن عبد الله نزول قطري الأهواز وأمر أبي فديك فبعث أخاه أمية بن عبد الله على جند كئيف إلى أبي فديك فهزمه أبو فديك وأخذ جارية له فاتخذها لنفسه وسار أمية على فرس له حتى دخل البصرة في ثلاثة أيام فكتب خالد إلى عبد الملك بحاله وحال الأزارقة (وفي هذه السنة) وجه عبد الملك الحجاج بن يوسف إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير وكان السبب في توجيه الحجاج إليه دون غيره فيما ذكر أن عبد الملك لما أراد الرجوع إلى الشام قام إليه الحجاج بن يوسف فقال يا أمير المؤمنين إني رأيت في منامي أني أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته فابعثني إليه وولني قتاله فبعثه في جيش كئيف من أهل الشام فسار حتى قدم مكة وقد كتب إليهم عبد الملك بالأمان إن دخلوا في طاعته فحدثني الحارث قال حدثني محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا مصعب بن ثابت عن أبي الأسود عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال بعث عبد الملك بن مروان حين قتل مصعب بن الزبير الحجاج ابن يوسف إلى ابن الزبير بمكة فخرج في ألفين من جند أهل الشام في جمادى من سنة ٧٢ فلم يعرض للمدينة وسلك طريق العراق فنزل بالطائف فكان يبعث البعوث إلى عرفة في الحل ويبعث ابن الزبير بعثا فيقتلون هنالك فكل ذلك تهمم خيل ابن الزبير وترجع خيل الحجاج بالظفر ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في حصار ابن الزبير ودخول الحرم عليه ويخبره أن شوكته قد كلت وتفرق عنه عامة أصحابه ويسأله أن يمدّه برجال فجاءه كتاب عبد الملك وكتب عبد الملك إلى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بمن معه من الجند بالحجاج فسار في خمسة آلاف من أصحابه حتى لحق بالحجاج وكان قدوم الحجاج الطائف في

شعبان سنة ٧٢ فلما دخل ذو القعدة رحل الحجاج من الطائف حتى نزل بئر ميمون وحصر ابن الزبير رجع الحجاج بالناس في هذه السنة وابن الزبير محصور وكان قدوم طارق مكة للال ذى الحجة ولم يطف بالبيت ولم يصل اليه وهو محرم وكان يلبس السلاح ولا يقرب النساء ولا الطيب إلى أن قتل عبد الله بن الزبير ونحر ابن الزبير بدنأ بمكة يوم النحر ولم يحج ذلك العام ولا أصحابه لأنهم لم يقفوا بعرفة قال محمد بن عمر حدثني سعيد بن مسلم بن بابك عن أبيه قال حججت في سنة ٧٢ فقدمنا مكة فدخلناها من أعلاها فنجد أصحاب الحجاج وطارق فيما بين الحجون إلى بئر ميمون فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة ثم حج بالناس الحجاج فرأيت واقفا بالهضبات من عرفة على فرس وعليه الدرع والمغفر ثم صدر فرأيت عدل إلى بئر ميمون ولم يطف بالبيت وأصحابه متسلحون ورأيت الطعام عندهم كثيراً ورأيت العير تأتي من الشام تحمل الطعام الكعك والسويق والدقيق فرأيت أصحابه مخاصيب ولقد ابتعنا من بعضهم كعكا بدرهم فكفانا إلى أن بلغنا الجحفة وإنا لثلاثة نفر قال محمد بن عمر حدثني مصعب بن ثابت عن نافع مولى بني أسد قال وكان عالماً بفتنة ابن الزبير قال حصر ابن الزبير ليلة للال ذى القعدة سنة ٧٢ (وفي هذه السنة) كتب عبد الملك إلى عبد الله بن خازم السلمي يدعو إلى بيعته ويطعمه خراسان سبع سنين فذكر علي بن محمد أن المفضل بن محمد ويحيى بن طاقيل وزهير بن هنيذ حدثوه قال وفي خبر بعضهم زيادة على خبر بعض أن مصعب ابن الزبير قتل سنة ٧٢ وعبد الله بن خازم بأبر شهر يقاتل بحير بن ورقاء الصريمي صريم بن الحارث فكتب عبد الملك بن مروان إلى ابن خازم مع سورة بن أشيم النميري إن لك خراسان سبع سنين على أن تباع لي فقال ابن خازم لسورة لولا أن أضرب بين بني سليم وبني عامر لقتلتك ولكن كل هذه الصحيفة فأكلها قال وقال أبو بكر بن محمد بن واسع بل قدم بعهد عبد الله بن خازم سوادة بن عبيد الله النميري وقال بعضهم بعث عبد الملك إلى ابن خازم سنان بن مكل الغنوي وكتب إليه أن خراسان طعمة لك فقال له ابن خازم إنما بعثك أبو الذبان لأنك من غنى

وقد علم أني لا أقتل رجلا من قيس ولكن كل كتابه قال وكتب عبد الملك إلى بكير بن وشاح أحد بني عوف بن سعد وكان خليفة ابن خازم على مرو بعهدده على خراسان ووعده موثناه فخلع بكير بن وشاح عبد الله بن الزبير ودعا إلى عبد الملك ابن مروان فأجابه أهل مرو وبلغ ابن خازم بخاف أن يأتيه بكير بأهل مرو فيجتمع عليه أهل مرو وأهل أبرشهر فترك بحيرا وأقبل إلى مرو يريد أن يأتي ابنه بالترمذ فأتبعه بحير فلحقه بقرية يقال لها بالفارسية شاهمغند بينها وبين مرو ثمانية فراسخ قال فقاتله ابن خازم فقال مولى لبني ليث كنت قريبا من معترك القوم في منزل فلما طلعت الشمس تهايج العسكران فجعلت أسمع وقع السيوف فلما ارتفع النهار خفيت الأصوات فقلت هذا لارتفاع النهار فلما صليت الظهر أوقبل الظهر خرجت فتلقتني رجل من بني تميم فقلت ما الخبر قال قلت عدو الله ابن خازم وها هو ذا وإذا هو محمول على بغل وقد شدوا في مذا كيره جبلا وحجرا أو عدلوه به على البغل قال وكان الذي قتله وكيع بن عميرة القريني وهو ابن الدورقية اعتور عليه بحير بن ورقاء وعمار بن عبد العزيز الجشمي ووكيع فطعنوه فصرعوه فقعد وكيع على صدره فقتله فقال بعض الولاة لو كيع كيف قتلت ابن خازم قال غلبته بفضل القنا فلما صرع قعدت على صدره فحاول القيام فلم يقدر عليه وقلت يالثارات دويلة ودويلة أخ لو كيع لآمه قتل قبل ذلك في غير تلك الأيام قال وكيع فتتخيم في وجهي وقال لعنك الله تقتل كبش مضر بأخيك عالج لا يساوي كفا من نوى أو قال من تراب فما رأيت أحدا أكثر ريقا منه على تلك الحال عند الموت قال فذكر ابن هيرة يوما هذا الحديث فقال هذه والله البسالة قال وبعث بحير ساعة قتل ابن خازم رجلا من بني غدانة إلى عبد الملك بن مروان يخبره بقتل ابن خازم ولم يبعث بالرأس وأقبل بكير بن وشاح في أهل مرو فوافاهم حين قتل ابن خازم فأراد أخذ رأس ابن خازم فمنعه بحير فضربه بكير بعمود وأخذ الرأس وقيده بحيرا وحبسه وبعث بكير بالرأس إلى عبد الملك وكتب إليه يخبره أنه هو الذي قتله فلما قدم بالرأس على عبد الملك دعا الغداني رسول بحير وقال ما هذا

قال لا أدري وما فارقت القوم حتى قتل فقال رجل من بني سليم
 أَلَيْتَنَا بَنِي سَابُورَ رُدِّي عَلَى الصَّبْحِ وَيَحْكُ أَوْ أُنِيرِي
 كَوَاكِبَهَا زَوَاحِفُ لَإِغْبَاتُ كَانَ سَمَاءَهَا يَدِي مُدِيرِ
 تَلُومُ عَلَى الْحَوَادِثِ أَمْ زَيْدٍ وَهَلْ لَكَ فِي الْحَوَادِثِ مِنْ نَكِيرِ
 جَهْلَنْ كِرَامِي وَصَدَدَنْ عَنِّي إِلَى أَجْلِ مَنْ الدُّنْيَا قَصِيرِ
 فَلَوْ شَهِدَ الْفَوَارِسُ مِنْ سَلِيمِ غَدَاةَ يَطَافُ بِالْأَسَدِ الْعَقِيرِ
 لَنَازَلَ حَوْلَهُ قَوْمٌ كَرَامِ فَعَزَّ الْوَتْرُ فِي طَلَبِ الْوَتُورِ
 فَقَدْ بَقِيَتْ كَلَابُ نَابِحَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ بَعْدَكَ مِنْ زَيْرِ

قولي الحج بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف وكان العامل على المدينة
 طارق مولى عثمان من قبل عبد الملك وعلى الكوفة بشر بن مروان وعلى قضائها
 عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد
 ابن أسيد وعلى قضائها هشام بن هبيرة وعلى خراسان في قول بعضهم عبد الله
 ابن خازم السلمي وفي قول بعض بكير بن وشاح وزعم من قال كان على خراسان
 في سنة ٧٢ عبد الله بن خازم أن عبد الله بن خازم إنما قتل بعد ما قتل عبد الله بن
 الزبير وأن عبد الملك إنما كتب إلى عبد الله بن خازم يدعو إلى الدخول
 في طاعته على أن يُطعمه خراسان عشر سنين بعد ما قتل عبد الله بن الزبير
 وبعث برأسه إليه وأن عبد الله بن خازم حلف لما ورد عليه رأس عبد الله
 ابن الزبير أن لا يُعطيه طاعة أبداً وأنه دعا بطست فغسل رأس ابن الزبير وحنطه
 وكفنه وصلى عليه وبعث به إلى أهل عبد الله بن الزبير بالمدينة وأطعم الرسول
 الكتاب وقال لولا أنك رسول لضربت عنقك وقال بعضهم قطع يديه
 ورجليه وضرب عنقه

فصل نذكر فيه الكتاب من بدء أمر الإسلام

(روى) هشام وغيره أن أول من كتب من العرب حرب بن أمية بن
 عبد شمس بالعربية وإن أول من كتب بالفارسية بيوراسب وكان في زمان إدريس

وكان أول من صنف طبقات الكتاب وبين منازلهم لهراسب بن كاوغان بن كيموس وحكى أن أبرويز قال لكتابه إنما الكلام أربعة أقسام سؤالك الشيء وسؤالك عن الشيء وأمرك بالشيء وخبرك عن الشيء فهذه دعائم المقالات إن التمس لها خامس لم يوجد وإن نقص منها رابع لم تتم فإذا طلبت فأصبح وإذا سألت فأوضح وإذا أمرت فاحتم وإذا أخبرت فحقق ه وقال أبو موسى الأشعري أول من قال أما بعد داود وهى فصل الخطاب الذى ذكره الله عنه ه وقال الهيثم بن عدى أول من قال أما بعد قس بن ساعدة الإبادى (أسماء من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم) على بن أبى طالب عليه السلام وثمان بن عفان كانا يكتبان الوحي فإن غابا كتبه أبى بن كعب وزيد بن ثابت وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية ابن أبى سفيان يكتبان بين يديه فى حوائجه وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يعوث والعلاء بن عتبة يكتبان بين القوم فى حوائجهم وكان عبد الله بن الأرقم ربما كتب إلى الملوك عن النبي صلى الله عليه وسلم (وكتب لأبى بكر) عثمان وزيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم وعبد الله بن خلف الخزاعى وحنظلة بن الربيع (وكتب لعمر ابن الخطاب) زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم وعبد الله بن خلف الخزاعى أبو طاحنة الطلحات على ديوان البصرة وكتب له على ديوان الكوفة أبو جيرة بن الضحاك الأنصارى وقال عمر بن الخطاب لكتابه وعماله إن القوة على العمل أن لا تؤخروا عمل اليوم لغد فإنكم إذا فعلتم ذلك تذاءبت عليكم الأعمال فلا تدرؤن بأياها تبتون وأياها تأخذون وهو أول من دون الدواوين فى العرب فى الاسلام (وكان يكتب لثمان) مروان بن الحكم وكان عبد الملك يكتب له على ديوان المدينة وأبو جيرة الأنصارى على ديوان الكوفة وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بنى دهمان من قيس عيلان يكتب له وكان يكتب له أهيب مولاه وعمران مولاه (وكان يكتب لعلى عليه السلام) سعيد بن نمران الهمداني ثم ولى قضاء الكوفة لابن الزبير وكان يكتب له عبد الله بن مسعود وروى أن عبد الله بن جبير كتب له وكان عبيد الله بن أبى رافع يكتب له واختلف فى اسم أبى رافع فقيل اسمه إبراهيم

وقيل أسلمٌ وقيل سنانٌ وقيل عبدالرحمن ٥ وكان يكتب لمعاوية على الرسائل عبيد الله
ابن أوس الغساني وكان يكتب له على ديوان الخراج سرجون بن منصور الرومي
وكتب له عبدالرحمن بن دراج وهو مولى معاوية وكتب على بعض دواوينه
عبيد الله بن نصر بن الحجاج بن علاء السلمي ٥ وكان يكتب لمعاوية بن يزيد الريان
ابن مسلم ويكتب له على الديوان سرجون ويروي أنه كتب له أبو الزعيزعة ٥
وكتب لعبد الملك بن مروان قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي ويكنى أبا اسحاق
وكتب على ديوان الرسائل أبو الزعيزعة مولاه ٥ وكان يكتب للوليد القعقاع بن خالد
أو خليلد العبسي وكتب له على ديوان الخراج سليمان بن سعد الحنثي وعلى ديوان
الحاتم شعيب العماني مولاه وعلى ديوان الرسائل جناح مولاه وعلى المستغلات نفع
ابن ذؤيب مولاه ٥ وكان يكتب لسليمان بن سليمان بن نعيم الحميري ٥ وكان يكتب لمسلمة
سميع مولاه وعلى ديوان الرسائل الليث بن أبي رقية مولى أم الحكم بنت أبي سفيان وعلى
ديوان الخراج سليمان بن سعد الحنثي وعلى ديوان الحاتم نعيم بن سلامة مولى لأهل اليمن
من فلسطين وقيل بل رجاء بن حيوة كان يتقلد الحاتم ٥ وكان يكتب ليزيد بن المهلب
المغيرة بن أبي فروة وكان يكتب لعمر بن عبدالعزيز الليث بن أبي فروة مولى أم الحكم بنت
أبي سفيان ورجاء بن حيوة وكتب له إسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير وعلى
ديوان الخراج سليمان بن سعد الحنثي وقلد مكانه صالح بن جبير الغساني وقيل
الغدائي وعدى بن الصباح بن المثنى ذكر الهيثم بن عدى أنه كان من جملة كتابه ٥
وكتب ليزيد بن عبد الملك قل الخلافة رجل يقال له يزيد بن عبد الله ثم استكتب
أسامة بن يزيد السليحي ٥ وكتب لهشام سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الكلبي
الأبرش ويكنى أبا مخاشع وكان نصر بن سيار يتقلد ديوان خراج خراسان لهشام
وكان من كتابه بالرصافة شعيب بن دينار ٥ وكان يكتب للوليد بن يزيد بكير بن
الشماع وعلى ديوان الرسائل سالم مولى سعيد بن عبد الملك ومن كتابه عبد الله
ابن أبي عمرو ويقال عبد الأعلى بن أبي عمرو وكتب له على الحضرة عمرو بن
عتبة وكتب ليزيد بن الوليد الناقص عبد الله بن نديم وكان عمرو بن الحارث مولى

بنی جُمح يتولى له ديوان الخاتم وكان يتقلد له ديوان الرسائل ثابت بن سليمان بن سعد الخشني ويقال الربيع بن عرعة الخشني وكان يتقلد له الخراج والديوان الذي للخاتم الصغير النضر بن عمرو من أهل اليمن وكتب لإبراهيم بن الوليد ابن أبي جمعة وكان يتقلد له الديوان بفلسطين وبايع الناس إبراهيم أغني ابن الوليد سوى أهل حمص فإنهم بايعوا مروان بن محمد الجعدي وكتب لمروان عبد الحميد ابن يحيى مولى العلاء بن وهب العامري ومصعب بن الربيع الخثعمي وزباد بن أبي الورد وعلي ديوان الرسائل عثمان بن قيس مولى خالد القسري وكان من كتابه مخلد بن محمد بن الحارث ويكنى أباهاشم ومن كتابه مصعب بن الربيع الخثعمي ويكنى أباه موسى وكان عبد الحميد بن يحيى من البلاغة في مكان مكين ومما اختير له من الشعر

ترحل ماليس بالقافل	وأعقب ماليس بالزائل
فلهني على الخلف النازل	ولهني على السلف الراحل
أبكي على ذا وأبكي لذا	بكاء موهبة ثاكل
تبكي من ابن لها قاطع	وتبكي على ابن لها واصل
فليست تفتّر عن عبيرة	لها في الضمير ومن هامل
تقضت غوايات سكر الصبي	وردت التقي عين الباطل

وكتب لأبي العباس خالد بن برمك ودفن أبو العباس ابنته ربيعة إلى خالد ابن برمك حتى أرضعتها زوجته أم خالد بنت يزيد بلبان بنت خالد تدعى أم يحيى وأرضعت أم سلمة زوجة أبي العباس أم يحيى بنت خالد بلبان ابنتها ربيعة وقلد ديوان الرسائل صالح بن الهيثم مولى ربيعة بنت أبي العباس وكتب لأبي جعفر المنصور عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن النعمان الباهلي من أهل خراسان وكتب له هاشم بن سعيد الجعفي وعبد الأعلى بن أبي طلحة من بني تميم بواسط وروى أن سليمان بن مخلد كان يكتب لأبي جعفر ومما كان يتمثل به أبو جعفر المنصور وما إن شفا نفساً كأم صريمة إذا حاجة في النفس طال اعتراضها

وكتب له الربيع وكان عمارة بن حمزة من نبلاء الرجال وله
لا تشكون دهرأ صححت به إن الغنى في صحة الجسم
هبك الإمام أ كنت متفعماً بغضارة الدنيا مع السقم
وكان يتمثل بقول عبد بنى الحساس
أمن أمية دمع العين مذروف لو أن ذامنك قبل اليوم معروف
لاتبك عينك إن الدهر ذو غيرٍ فيه تفرق ذو إلف ومألوف
وكتب للمهدى أبو عبيد الله وأبان بن صدقة على ديوان رسائله ومحمد بن
حميد الكاتب على ديوان جنده ويعقوب بن داود وكان اتخذه على وزارته وأمره وله
عجباً لتصرف الامو ر حبة وكرامية
والدهر يلعب بالرجا ل له دوائر جارية
ولابنه عبد الله بن يعقوب وكان له محمد ويعقوب كلاهما شاعرٌ مجيدٌ
ورع المشيب شراستي وغرامى ومرى الجفون بمسبل سجام
ولقد حرصت بأن أوارى شخصه عن مقلتي فرمت غير مرام
وصبغت ما صبغ الزمان فلم يدم صبغى ودامت صبغة الأيام
• لاتبعدين شبيهة ذبالة فارقتها في سالف الأعوام •
ما كان ما استصجبت من أيامها إلا كبعض طوارق الأحلام
ولابيه

طلق الدنيا ثلاثاً واتخذ زوجا سواها

إنها زوجة سوء لاتبالي من أتاها

واستوزر بعده الفيض بن أبي صالح وكان جواداً وكتب للهادى موسى عبيد الله
ابن زياد بن أبي ليلي ومحمد بن حميد وسأل المهدي يوماً أبا عبيد الله عن أشعار
العرب فصنفها له فقال أحكمها قول طرفة بن العبد

أى قبرٍ نحامٍ بخيلٍ بماله كقبرٍ غوى في البطالة مفسد

ترى جشوتين من تراب عليهما صفايح صم من صفيح مصد

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى
أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة
لعمر كإن الموت ما أخطأ الفتى
وقوله وقد أرانا كلانا هم صاحبه
وكان شيء إلى شيء ففرقه

وقول لييد:

ألا تسألان المرء ماذا يحاول
ألا كل شيء ما خلا الله باطل
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم
وكقول النابغة الجعدي:

وقد طال عهدي بالشباب وأهله
فلم أجد الإخوان إلا صحابة
ألم تعلق أن قد رزئت محاربا
وكقول هذبة بن خشرم:

ولست بمفراح إذا الدهر سرني
ولا أتبعي الشر والشر تاركي
وما يعرف الأقسام للدهر حقه
وللدهر في أهل الفتى وتلاده

وكقول زيادة بن زيد وتمثل به عبد الملك بن مروان

تذكر عن شحط أميمة فارعوى
وإن امرء أقدر بدهر لم يخف
هل الدهر والأيام إلا كما ترى
وكل الذي يأتي فانت نسيه
وليس بعيد ما يجيء كقبل
ولا ما مضى من مفرح بقريب

وكقول ابن مقبل :

لما رأت بدل الشباب بكت له والشيب أرذلُ هذه الابدالِ
والناس همهم الحياة ولا أدرى طول الحياة يزيد غير خيالِ
وإذا افرقت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الاعمالِ
ووزر له يحيى بن خالد ووزر للرشيد ابنه جعفر بن يحيى بن خالد فمن مליح
كلامه الخط سمة الحكمة به تفصل شذورها وينظم منشورها قال ثمامة قلت لجعفر
ابن يحيى ما البيان فقال أن يكون الاسم محيطاً بمعناك مخبراً عن مغزائك مخرجاً من
الشركة غير مستعان عليه بالفكرة قال الأصمعي سمعت يحيى بن خالد يقول الدنيا
دول والمال عارية ولنا بمن قبلنا أسوة وفينا لمن بعدنا عبرة ونأتي بتسمية باقى كتاب
خلفاء بنى العباس إذا انتهينا إلى الدولة العباسية إن شاء الله تعالى

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين

ذكر الكائن الذى كان فيها من الأمور الجليلة

فمن ذلك مقتل عبد الله بن الزبير

ذكر الخبر عن صفة ذلك

❦ حدثني الحارث قال حدثنا محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني
اسحاق بن يحيى عن عبيد الله بن القبطية قال كانت الحرب بين ابن الزبير والحجاج ببطن
مكة ستة أشهر وسبع عشرة ليلة قال محمد بن عمر وحدثني مصعب بن ثابت عن نافع
مولى بنى أسد وكان عالماً بفتنة ابن الزبير قال حصر ابن الزبير ليلة هلال ذى القعدة
سنة ٧٢ و قتل لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ٧٣ وكان حصر الحجاج
لابن الزبير ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة ❦ حدثنا الحارث قال حدثنا محمد بن سعد
قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني اسحاق بن يحيى عن يوسف بن ماهك قال رأيت
المنجنيق يرمى به فرعدت السماء وبرقت وعلا صوت الرعد والبرق على الحجارة
فاشتمل عليها فأعظم ذلك أهل الشام فأمسكوا بأيديهم ورفع الحجاج بركة قبائه ففرزها

في منطقته ورفع حجر المنجنيق فوضعه فيه ثم قال ارموا ورمى معهم قال ثم أصبحوا فجاءت صاعقة تتبعها أخرى فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً فانكسر أهل الشام فقال الحجاج يا أهل الشام لا تكروا هذا فإني ابن تهمامة هذه صواحق تهمامة هذا الفتح قد حضر فأبشروا إن القوم يصيبهم مثل ما أصابكم فصعقت من الغد فأصيب من أصحاب ابن الزبير عدة فقال الحجاج الأتروا أنهم يصابون وأنتم على الطاعة وهم على خلاف الطاعة فلم تزل الحرب بين ابن الزبير والحجاج حتى كان قبيل مقتله وقد تفرق عنه أصحابه وخرج عامة أهل مكة إلى الحجاج في الأمان

❁ حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني اسحاق بن عبيد الله عن المنذر بن جهم الأسدي قال رأيت ابن الزبير يوم قتل وقد تفرق عنه أصحابه وخذله من معه خذلانا شديداً وجعلوا يخرجون إلى الحجاج حتى خرج إليه نحو من عشرة آلاف وذكر أنه كان بمن فارقه وخرج إلى الحجاج ابناه حمزة وخبيب فأخذا منه لأنفسهما أماناً فدخل على أمه أسماء كما ذكر محمد بن عمر عن أبي الزناد عن مخرمة بن سليمان الوالبي قال دخل ابن الزبير على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم فقال يا أمه خذني الناس حتى ولدي وأهلي فلم يبق معي إلا اليسير من ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة والقوم يعطوني ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت والله يا بني أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق واليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقتك يتلعب بها غلمان بني أمية وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك وإن قلت كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين وكم خلودك في الدنيا القتل أحسن فدنا ابن الزبير فقبل رأسها وقال هذا والله رأيي والذي قمت به داعياً إلى يومى هذا ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن يستحل حرمه ولكني أحببت أن أعلم رأيك فزدتني بصيرة مع بصيرتي فانظري يا أمه فإني مقتول من يومى هذا فلا يشتد حزنك وسئلى لأمر

الله فان ابنك لم يتعمد إتيان منكرو ولا عملا بفاحشة ولم يجز في حكم الله ولم يغدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته ولم يكن شيء آثر عندي من رضى ربي اللهم إني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي أنت أعلم بي ولكن أقوله تعزية لأمي لتسلو عني فقالت أمه إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً إن تقدمتني وإن تقدمتك ففي نفسي أخرج حتى أنظر إلى ما يصير أمرك قال جزاك الله يا أمه خيراً فلا تدعى الدعاء لي قبل وبعد فقالت لا أدعه أبداً فمن قتل على باطل فقد قُتِلَ على حق ثم قالت اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل وذلك النحيب والظما في هواجر المدينة ومكة وبره بأبيه وبي اللهم قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين قال مصعب بن ثابت فما مكثت بعده إلا عشرة ويقال خمسة أيام قال محمد بن عمر حدثني موسى بن يعقوب بن عبد الله عن عمه قال دخل ابن الزبير على أمه وعليه الدرع والمغفر فوقف فسلم ثم دنا فتناول يدها فقبلها فقالت هذا وداع فلا تبعه قال ابن الزبير جئت مودعا إني لأرى هذا آخر يوم من الدنيا يمر بي واعلى يا أمه أتى إن قتلت فانما أنا لحم لا يضرني ما صنع بي قالت صدقت يا بُنَيَّ أتمم على بصيرتك ولا تمكن ابن أبي عقيل منك وادن مني أو دَعَكَ فدنا منها فقبلها وعانقها وقالت حيث مسست الدرع ما هذا صليح من يريد ما تريد قال ما لبست هذا الدرع إلا لأشد منك قالت العجوز فانه لا يشد مني فزعتها ثم أدرج كفيه وشد أسفل قميصه وجبة خز تحت القميص فأدخل أسفلها في المنطقة وأمه تقول البس ثيابك مشمرة ثم انصرف ابن الزبير وهو يقول إني إذا أعرف يومى أصبر إذ بعضهم يعرف ثم ينكر فسمعت العجوز قوله فقالت تصبر والله إن شاء الله أبوك أبو بكر والزبير وأملك صفية بنت عبد المطلب ❦ حدثني الحارث قال حدثني ابن سعد قال أخبرني محمد بن عمر قال أخبرنا ثور بن يزيد عن شيخ من أهل حصص شهد وقعة ابن الزبير مع أهل الشام قال رأيت يوم الثلاثاء وأنا لنطلع عليه أهل حصص خمسمائة خمسمائة

من باب لنا ندخله لا يدخله غيرنا فيخرج الينا وحده في أثرتنا ونحن منهزمون
منه فما أنسى أرجوزة له

إني إذا أعرف يومى أصبر وإنما يعرف يوميه الحر
إذ بعضهم يعرف ثم ينكر

فأقول أنت والله الحر الشريف فلقد رأيتك يقف في الأبطح ما يدنو منه أحد
حتى ظننا إنه لا يقتل ❀ حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد
ابن عمر قال حدثنا مصعب بن ثابت عن نافع مولى بنى أسد قال رأيت الأبواب
قد شحنت من أهل الشام يوم الثلاثاء وأسلم أصحاب ابن الزبير المحارس وكثرهم
القوم فأقاموا على كل باب رجالاً وقائداً وأهل بلد فكان لأهل حمص الباب
الذى يواجه باب الكعبة ولأهل دمشق باب بنى شيبه ولأهل الأردن باب
الصفاء ولأهل فلسطين باب بنى جُمح ولأهل قنسرين باب بنى سهم وكان الحجاج
وطارق بن عمرو جميعاً في ناحية الأبطح إلى المروة فمرة يحمل ابن الزبير في هذه
الناحية ومرة في هذه الناحية فلكانه أسد في أجمة ما يقدم عليه الرجال فيعدو
في أثر القوم وهم على الباب حتى يخرجهم وهو يرتجز

إني إذا أعرف يومى أصبر وإنما يعرف يوميه الحر
ثم يصيح يا أبا صفوان ويل أمه فتحا لو كان له رجال
لو كان قرني واحداً كفتيه

قال ابن صفوان إى والله وألف ❀ حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد
قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني ابن أبي الزناد وأبو بكر بن عبد الله بن مصعب
عن ابن المنذر وحدثنا نافع مولى بنى أسد قال لما كان يوم الثلاثاء صبيحة سبع
عشرة من جمادى الأولى سنة ١٧٣ وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب بات
ابن الزبير يصلى عامة الليل ثم احتجى بحمائل سيفه فأغنى ثم انتبه بالفجر فقال
أذن يا سعد فأذن عند المقام وتوضأ ابن الزبير وركع ركعتي الفجر ثم تقدم وأقام
المؤذن فصلى بأصحابه فقرأ ن والقلم حرقاً حرقاً ثم سلم فقام فحمد الله وأثنى عليه

ثم قال اكشفوا وجوهكم حتى أنظر وعليهم المغافر والعمائم فكشفوا وجوههم فقال يا آل الزبير لو طبتم لي نفساً عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلبنا في الله لم تصبنا زبياً بتهً أما بعد يا آل الزبير فلا يرعكم وقع السيوف فإني لم أحضر موطناً قط إلا ارتثت فيه من القتل وما أجد من دواء جراحها أشد مما أجد من ألم وقعها صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم لا أعلم امرأة أكرس سيفه واستبقى نفسه فان الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل غصوا أبصاركم عن البارقة وليشغل كل امرئ قرنه ولا يلهينكم السؤال عني ولا تقولن أين عبد الله بن الزبير ألا من كان سائلاً عني فإني في الرعيل الأول

أبي لابن سلمى أنه غير خالد ملاقي المنايا أي صرف تيمماً
فلست بمتاع الحياة بسبب ولا مرتق من خشية الموت سلماً
احملوا على بركة الله ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون فرمى بأجرة في وجهه
فأرغش لها ودمى وجهه فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه ولحيته قال
كسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقداننا تقطر الدما
وتغاروا عليه قالا وصاحت مولاة لنا مجنونة وأمير المؤمنين قالا وقدراته
حيث هوى فأشارت لهم إليه فقتل وإن عليه ثياب خز وجاء الخبر إلى الحجاج
فسجد وسار حتى وقف عليه وطارق بن عمرو فقال طارق ما ولدت النساء أذكر
من هذا فقال الحجاج تمنح من يخالف طاعة أمير المؤمنين قال نعم هو أعذر لنا
ولولا هذا ما كان لنا عذر إنا محاصروه وهو في غير خندق ولا حصن ولا منعة
منذ سبعة أشهر ينتصف منا بل يفضل علينا في كل ما التقينا نحن وهو فبلغ كلامهما
عبد الملك فصوب طارقاً ؓ مثنا عمر قال حدثنا أبو الحسن عن رجاله قال كآني
أنظر إلى ابن الزبير وقد قتل غلاماً أسود ضربه فمرقه وهو يمر في حمله عليه
ويقول صبراً يا ابن حام فني مثل هذه المواطن تصبر الكرام ؓ مثني الحارث
قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عبد الجبار بن عمارة عن
عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال بعث الحجاج برأس ابن الزبير
(۳ - ۵)

ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة فنصبت بها ثم ذهب بها إلى عبد الملك بن مروان ثم دخل الحجاج مكة فبايع من بها من قريش لعبد الملك بن مروان (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة ولي عبد الملك طارق مولى عثمان المدينة فوليا خمسة أشهر (وفي هذه السنة) توفي بشر بن مروان في قول الواقدي وأما غيره فإنه قال كانت وفاته في سنة ٧٤ (وفيها) أيضا وجه فيما ذكر عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر لقتال أبي فديك وأمره أن يندب معه من أحب من أهل المصريين فقدم الكوفة فندب أهلها فانتدب معه عشرة آلاف ثم قدم البصرة فندب أهلها فانتدب معه عشرة آلاف فأخرج لهم أرزاقهم وأعطياتهم فأعطوها ثم سار بهم عمر بن عبيد الله فجعل أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة وجعل أهل البصرة على اليسرة وعليهم ابن أخيه عمر بن موسى بن عبيد الله وجعل خيله في القلب حتى انتهوا إلى البحرين فصف عمر بن عبيد الله أصحابه وقدم الرجال في أيديهم الرماح قد ألزموها الأرض واستروا بالبراذع فحمل أبو فديك وأصحابه حملة رجل واحد فكشفوا ميسرة عمر بن عبيد الله حتى ذهبوا في الأرض إلا المغيرة بن المهلب ومعن بن المغيرة ومجاعة بن عبد الرحمن وفرسان الناس فإنهم مالوا إلى صف أهل الكوفة وهم ثابتون وارتت عمر بن موسى بن عبيد الله فهو في القتلى قد أثنى جراحة فلما رأى أهل البصرة أهل الكوفة لم ينهزموا تدموا ورجعوا وقاتلوا وما عليهم أمير حتى مروا بعمر بن موسى بن عبيد الله جريحا فحملوه حتى أدخلوه عسكر الخوارج وفيه تبن كثير فأحرقوه ومالت عليهم الريح وحمل أهل الكوفة وأهل البصرة حتى استباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فديك وحصروهم في المشقر فنزلوا على الحكم فقتل عمر بن عبيد الله منهم فيما ذكر نحواً من ستة آلاف وأسر ثمانمائة وأصابوا جارية لامية بن عبد الله حبل من أبي فديك وانصرفوا إلى البصرة (وفي هذه السنة) عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وولاه أخاه بشر بن مروان فصارت ولايتها وولاية الكوفة إليه فمخصص بشر لمأولى مع الكوفة البصرة إلى البصرة

واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث (وفيها) غزا محمد بن مروان الصائفة فهزم الروم وقيل إنه كان في هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم في ناحية أرمينية وهو في أربعة آلاف والروم في ستين ألفا فهزمهم وأكثر القتل فيهم وأقام الحج في هذه السنة للناس الحجاج بن يوسف وهو على مكة واليمن واليمامة وعلى الكوفة والبصرة في قول الواقدي بشر بن مروان وفي قول غيره على الكوفة بشر بن مروان وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان بكير بن وشاح

ثم دخلت سنة أربع وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

فما كان فيها من ذلك عزل عبد الملك طارق بن عمرو عن المدينة واستعماله عليها الحجاج بن يوسف فقدمها فيما ذكر فأقام بها شهراً ثم خرج معتمراً (وفيها) كان فيما ذكر نقض الحجاج بن يوسف بنيان الكعبة الذي كان ابن الزبير بناه وكان إذ بناه أدخل في الكعبة الحجر وجعل لها بابين فأعادها الحجاج على بنائها الأول في هذه السنة ثم انصرف إلى المدينة في صفر فأقام بها ثلاثة أشهر يتعبث بأهل المدينة ويتعنتمهم وبنى بها مسجداً في بني سلة فهو ينسب إليه واستخف فيها بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نغم في أعناقهم فذكر محمد بن عمران بن أبي ذيب حدثه عن رأي جابر بن عبد الله محتوماً في يده وعن ابن أبي ذيب عن إسحاق بن يزيد أنه رأى أنس بن مالك محتوماً في عنقه يريد أن يذله بذلك قال ابن عمر وحدثني شرحبيل بن أبي عون عن أبيه قال رأيت الحجاج أرسل إلى سهل ابن سعد فدعاه فقال ما منعك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان قال قد فعلت قال كذبت ثم أمر به نغم في عنقه برصاص (وفيها) استقضى عبد الملك أبا إدريس الخولاني فيما ذكر الواقدي (وفي هذه السنة) شخص في قول بعضهم بشر بن مروان

من الكوفة إلى البصرة واليا عليها (وفي هذه السنة) ولي المهلب حرب الأزارقة
من قبل عبد الملك

ذكر الخبر عن أمره وأمرهم فيها

ولما صار بشر بالبصرة كتب عبد الملك إليه فيما ذكر هشام عن أبي مخنف
عن يونس بن أبي اسحاق عن أبيه أما بعد فابعث المهلب في أهل مصره إلى الأزارقة
وليتخب من أهل مصره وجوهمهم وفرسانهم وأولى الفضل والتجربة منهم فإنه
أعرف بهم وتخله ورأيه في الحرب فإني أوثق شيء بتجربته ونصيحته للمسلمين
وابعث من أهل الكوفة بعثا كشيفا وابعث عليهم رجلا معروفا شريفا حسيبا
صليبا يعرف بالبأس والنجدة والتجربة للحرب ثم أنهض إليهم أهل المصريين
فليتبعوهم أي وجه ما توجهوا حتى يبيدهم الله ويستأصلهم والسلام عليك فدعا
بشر المهلب فأقرأه الكتاب وأمره أن يتخب من شاء فبعث بجديع بن سعيد بن قبيصة
ابن سراق الأزدي وهو خال يزيد ابنه فأمره أن يأتي الديوان فينتخب الناس
وشق على بشر أن أمرة المهلب جاءت من قبل عبد الملك فلا يستطيع أن يبعث غيره
فأوغرت صدره عليه حتى كأنه كان له إليه ذنب ودعا بشر بن مروان عبد الرحمن
ابن مخنف فبعثه على أهل الكوفة وأمره أن يتخب فرسان الناس ووجوهمهم
وأولى الفضل منهم والنجدة (قال أبو مخنف) فحدثني أشياخ الحمي عن عبد الرحمن
ابن مخنف قال دعاني بشر بن مروان فقال لي إنك قد عرفت منزلتك مني وأترك
عندي وقد رأيت أن أوليك هذا الجيش للذي عرفت من جزئك وغنائك وشرفك
وبأسك فكن عند أحسن ظني بك انظر هذا الكذا كذا يقع في المهلب فاستبدل
عليه بالأمرو ولا تقبلن له مشورة ولا رأيا وتنقصه وقصر به قال فترك أن يوصيني
بالجند وقاتل العدو والنظر لأهل الإسلام وأقبل يغربني بابن عمي كأني من السفهاء
أو ممن يستصبي ويستجهل ما رأيت شيئا مثلي في مثل هيتي ومنزلي طمع منه في
مثل ما طمع فيه هذا الغلام مني شب عمرو عن الطوق قال ولما رأى أني لست
بالذبيط إلى جوابه قال لي مالك قلت أصلحك الله وهل يسعني إلا إنفاذ أمرك

في كل ما أحببت وكرهت قال امض راشداً قال فودعته وخرجت من عنده
وخرج المهلب بأهل البصرة حتى نزل رامَ هرمن فلقى بها الخوارج فخذق عليه
وأقبل عبدالرحمن بن مخنف بأهل الكوفة على ربع أهل المدينة معه بشر بن جرير
وعلى ربع تميم وحمدان محمد بن عبدالرحمن بن سعيد بن قيس وعلى ربع كندة وربيعة
اسحاق بن محمد بن الأشعث وعلى ربع مذحج وأسد زحر بن قيس فأقبل عبدالرحمن
حتى نزل من المهلب على ميل أو ميل ونصف حيث تراءى العسكران برامَ هرمن
فلم يلبث الناس الا عشرة حتى أتاهم نعي بشر بن مروان وتوفي بالبصرة فارفض
ناس كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة واستخلف بشر خالد بن عبدالله بن أسيد
وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حريث وكان الذين انصرفوا من أهل الكوفة
زحر بن قيس واسحاق بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبدالرحمن بن سعيد بن قيس
فبعث عبدالرحمن بن مخنف ابنه جعفر في آثارهم فرد اسحاق ومحمداً وفاته زحر
ابن قيس فحبسهما يومين ثم أخذ عليهما أن لا يفارقاه فلم يلبثا إلا يوماً حتى انصرفا
فأخذ غير الطريق وطلبوا فلم يلحقوا وأقبلوا حتى لحقوا زحر بن قيس بالأهواز فاجتمع
بها ناس كثير ممن يريد البصرة فبلغ ذلك خالد بن عبدالله فكتب إلى الناس كتاباً
وبعث رسولا يضرب وجوه الناس ويردهم فقدم بكتابه مولى له فقراً الكتاب
على الناس وقد جمعوا له بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن عبدالله إلى من بلغه
كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله الا هو
أما بعد فإن الله كتب على عباده الجهاد وفرض طاعة ولاة الأمر فمن جاهد فإنما
يجاهد لنفسه ومن ترك الجهاد في الله كان الله عنه أظنى ومن عصى ولاة الأمر
والقوام بالحق أسخط الله عليه وكان قد استحق العقوبة في بشره وعرض نفسه
لاستفائة ماله وإلقاء عطاءه والتسيير إلى أبعد الأرض وشر البلدان أيها المسلمون
اعلموا على من اجترأتم ومن عصيتم إنه عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الذي
ليست فيه غمزة ولا لاهل المعصية عنده رخصة سوطه على من عصى وعلى من
خالف سيفه فلا تجعلوا على أنفسكم سيلاً فإني لم آلكم نصيحةً عباد الله ارجعوا

إلى مَكْتَبِكُمْ وطاعة خليفتم ولا ترجعوا عاصين مخالفين فإتيكم ماتكروهون
أقسم بالله لا أثقف عاصيا بعد كتابي هذا إلا قتله إن شاء الله والسلام عليكم
ورحمة الله وأخذ كلما قرأ عليهم سطرًا أو سطرين قال له زحر أو جز فيقول له
مولي خالد والله إنى لأسمع كلام رجل ما يريد أن يفهم ما يسمع أشهد لا يعيب
بشيء مما في هذا الكتاب فقال له اقرأ أيها العبد الأحمر ما أمرت به ثم ارجع إلى
أهلك فإنك لا تدري ما فى أنفسنا فلما فرغ من قراءته لم يلتفت الناس إلى ما فى
كتابه وأقبل زحر واسحاق بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن حتى نزلوا قرية لآل
الاشعث إلى جانب الكوفة وكتبوا إلى عمرو بن حريث أما بعد فإن الناس لما
بلغهم وفاة الأمير رحمة الله عليه تفرقوا فلم يبق معنا أحد فأقبلنا إلى الأمير وإلى
مصرنا وأحببنا أن لا ندخل الكوفة إلا بإذن الأمير وعلنه فكتب إليهم أما بعد فإنكم
تركتم مَكْتَبِكُمْ وقبلتم عاصين مخالفين فليس لكم عندنا إذن ولا أمان فلما أتاهم
ذلك انتظروا حتى إذا كان الليل دخلوا إلى رحالم فلم يزالوا مقيمين حتى قدم
الحجاج بن يوسف (وفى هذه السنة) عزل عبد الملك بكير بن وشاح عن خراسان
وولاها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد

ذكر الخبر عن سبب عزل بكير وولاية أمية

وكانت ولاية بكير بن وشاح خراسان إلى حين قدم أمية عليها واليأستين في قول
أبي الحسن وذلك أن ابن خازم قتل سنة ٧٣ وقدم أمية سنة ٧٤ وكان سبب عزل
بكير عن خراسان أن بحير أفيما ذكر على عن المفضل حبسه بكير بن وشاح لما كان منه
فيما ذكرت في رأس ابن خازم حين قتله فلم يزل محبوسا عنده حتى استعمل عبد الملك
أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد فلما بلغ ذلك بكرا أرسل إلى بحير ليصالحه فأبى
عليه وقال ظن بكير أن خراسان تبقى له في الجماعة فمشت السفراء بينهم فأبى بحير
فدخل عليه ضرار بن حصين الضبي فقال ألا أراك مائقا يرسل إليك ابن عمك
يعتذر إليك وأنت أسيره والمشرقي في يده ولو قتلك ما حبقت فيك عنز ولا تقبل
منه ما أنت بموفق قبل الصلح وأخرج وأنت على أمرك فقبل مشورته وصالح
بكيرا فأرسل إليه بكير بأربعين ألفا وأخذ على بحير أن لا يقاتله وكانت تميم قد

اختلفت بخراسان فصارت مُقَاعِسُ والبطون يتعصبون له تخاف أهل خراسان أن تعود الحرب وتفسد البلاد ويقهرهم عدوهم من المشركين فكتبوا إلى عبد الملك ابن مروان إن خراسان لا تصلح بعد الفتنة إلا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه فقال عبد الملك خراسان ثغر المشرق وقد كان به من الشر ما كان وعليه هذا التيمى وقد تعصب الناس وخافوا أن يصيروا إلى ما كانوا عليه فهلك الثغر ومن فيه وقد سألوا ان أولى أمرهم رجلا من قريش فيسمعوا له ويطيعوا فقال أمية بن عبد الله يأمر المؤمنين تداركهم برجل منك قال لولا انحيازك عن أبي فديك كنت ذلك الرجل قال يأمر المؤمنين والله ما انحزت حتى لم أجد مقاتلا وخذلتى الناس فرأيت أن انحيازي إلى فئة أفضل من تعريضى عصبة بقيت من المسلمين للهلكة وقد علم ذلك مرار بن عبد الرحمن بن أبي بكره وكتبت اليك خالد بن عبد الله بما باغى من عذرى قال وكان خالد كتب اليه بعذره ويخبره أن الناس قد خذلوه فقال مرار صدق أمية يأمر المؤمنين لقد صبر حتى لم يجد مقاتلا وخذله الناس فولاه خراسان وكان عبد الملك يحب أمية ويقول نتيجتى أى لدتى فقال الناس مارأينا أحدا عوّض من هزيمة ما عوّض أمية فر من أبى فديك فاستعمل على خراسان فقال رجل من بكر بن وائل فى مجلس بكر بن وشاح

أَتَتِكَ الْعَيْسُ تَنْفُخُ فِي بُرَاهَا تُكشِفُ عَنْ مَنَاكِههَا الْقَطْوَعُ
كَأَنَّ مَوَاقِعَ الْأَكْرَارِ مِنْهَا حَمَامٌ كَكَنَائِسٍ بَقَعُ وَقَوَعُ
بِأَيْضٍ مِنْ أُمِّيَّةٍ مَضْرِحِي كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَنِيعُ

وبحير يومئذ بالسنج يسأل عن مسير أمية فلما بلغه أنه قد قارب أبرشهر قال لرجل من عجم أهل مرو يقال له رزين أوزيرى دلنى على طريق قريب لآلى الأمير قبل قدومه ولك كذا وكذا وأجزل لك العطية وكان عالما بالطريق فخرج به فسار من السنج إلى أرض سرخس فى ليلة ثم مضى به إلى نيسابور فوفى أمية حين قدم أبرشهر فلقبه فأخبره عن خراسان وما يصلح أهلها وتحسن به طاعتهم ويخف على بكر أموالا أصابها وحذره غدره قال وسار معه حتى قدم مرو وكان أمية سيدا

كريمًا فلم يعرض لبكير ولا لعماله وعرض عليه أن يوليه شرطته فأبى بكير فولاهما
بجير بن ورقاء فلام بكيرا رجال من قومه فقالوا أبيت أن تلي فولى بجيرا وقد
عرفت ما بينكما قال كنتُ أمس والى خراسان تحمل الحرابُ بين يدي فأصبر
اليوم على الشرطة أحمل الحربة وقال أمية لبكير اختر ما شئت من عمل خراسان
قال طخارستان قال هي لك قال فتجهز بكير وأنفق مالا كثيرا فقال بجير لأمية
إن أتى بكير طخارستان خلعتك فلم يزل يحذره حتى حذر فأمره بالمقام عنده
(وحج) بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف وكان ولي قضاء المدينة عبد الله
ابن قيس بن مخزوم قبل شخوصه إلى المدينة كذلك ذكر ذلك عن محمد بن عمرو كان
على المدينة ومكة الحجاج بن يوسف وعلى الكوفة والبصرة بشر بن مروان
وعلى خراسان أمية بن عبد الله خالد بن أسيد وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث
وعلى قضاء البصرة هشام بن هيرة وقد ذكر أن عبد الملك بن مروان اعتمر في
هذه السنة ولا نعلم صحة ذلك

ثم دخلت سنة خمس وسبعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قبل مرعش
(وفي هذه السنة) ولي عبد الملك يحيى بن الحكم بن أبي العاصر المدينة (وفي هذه
السنة) ولي عبد الملك الحجاج بن يوسف العراق دون خراسان وسجستان (وفيها)
قدم الحجاج الكوفة ﷺ فحدثني أبو زيد قال حدثني محمد بن يحيى أبو غسان عن
عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال خرج الحجاج بن يوسف من
المدينة حين أتاه كتاب عبد الملك بن مروان بولاية العراق بعد وفاة بشر بن
مروان في اثني عشر راجبا على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار
بجاءة وقد كان بشر بعث المهلب إلى الحرورية فبدأ بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر
وهو متلم بعمامة خز حمراء فقال علي بالناس فحسبوه وأصحابه خارجة فهموا به

حتى إذا اجتمع اليه الناس قام فكشف عن وجهه وقال
 أنا ابنُ جَلَا وِطْلَاعِ الثَّنَابَا متى أضع العمامة تعرفوني
 أما والله إنى لأحمل الشر محمله وأحذره بنعله وأجزيه بمثله وإنى لأرى رؤسا
 قد أينعت وحان قطافها وإنى لأنظر إلى الدماء بين العمام واللعى
 قد شمّرت عن ساقها تشميرا

هذا أوانُ الشّدِّ فاشتدى ريمٌ قد لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطَمٍ
 ليس براعى إِبِلٍ ولا غَنَمٍ ولا بجزّارٍ على ظهرٍ وَضَمٍ
 قد لَفَّهَا اللَّيْلُ بَعْضَلِيٍّ أَوْرَعِ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوَى
 مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيٍّ

ليس أوان يكره الخلاط جاءت به والقلص الأعلاط
 تهوى هوى سابق الغطاط

وإنى والله يا أهل العراق ما أغمز كتغماز التين ولا يققعق لي بالشنان ولقد
 فررت عن ذكاء وجريت إلى الغاية القصوى إن أمير المؤمنين عبد الملك نثر
 كنانته ثم عجم عيداتها فوجدنى أمرها عودا وأصلها مكسرا فوجهنى إليكم فإنكم
 طالما أوضعتم فى الفتن وسنتم سنن الغى أما والله لا لحونكم لحو العود ولا عصبتكم
 عصب السلة ولا ضربتكم ضرب غرائب الإبل إنى والله لا أعد إلا وفيت ولا
 أخلق إلا فريت فإياى وهذه الجماعات وقبلا وقالا وما يقول فيم أنتم وذاك والله
 لتستقيمن على سبل الحق أولاد عن لكل رجل منكم شغلا فى جسده من وجدت
 بعد ثلاثة من بعث المهلب سفكت دمه وأنهبت ماله ثم دخل منزله ولم يزد على ذلك
 قال ويقال إنه لما طال سكوته تناول محمد بن عمير حصى فأراد أن يحصبه بها وقال
 قاتله الله ما أعياه وأدمه والله إنى لأحسب خبره كروأته فلما تكلم الحجاج جعل
 الحصى ينتثر من يده ولا يعقل به وأن الحجاج قال فى خطبته شامت الوجوه إن
 الله ضرب مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت
 بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وأنتم أولئك وأشباه

أولئك فاستوثقوا واستقيموا فوالله لأذيقنكم الهوان حتى تدرؤا ولا عصبنكم
عصب السلة حتى تنقادوا أقسم بالله لتقبلن على الإنصاف ولتدعن الإرجاف
وكان وكان وأخبرني فلان عن فلان والهبر وما الهبر أو لأهبرنكم بالسيف هبرا
يدع النساء أيامي والولدان يتامى وحتى تمشوا السّمهي وتقلعوا عن هاوها إياي
وهذه الزرافات لا يرگبن الرجل منكم إلا وحده إلا إنه لوساغ لأهل المعصية
معصيتهم ما جبي فيء ولا قوتل عدو ولعلطت الثغور ولولا أنهم يُغزّون كرها
ما غزوا طوعا وقد بلغني رفضكم المهلب وإقبالكم على مصركم عصاة مخالفين وإني
أقسم لكم بالله لأجد أبدا بعد ثلاثة إلا ضربت عنقه ثم دعا العرفاء فقال ألقوا
الناس بالمهلب وأتوني بالبرآت بموافاتهم ولا تغلقن أبواب الجسر ليلا ولا نهارا
حتى تنقضى هذه المدة (تفسير الخطبة) قوله أنا ابن جلا فابن جلا الصبح لأنه
يجلو الظلمة والثنايا ما صغر من الجبال وتنا وأينع الثمر بلغ إدراكه وقوله فاشتدى
زيم فهي اسم للحرب والحطم الذي يحطم كل شيء يمر به والوَضْمُ ما وُقي به اللحم
من الأرض والعصبي الشديد والدوية الأرض الفضاء التي يسمع فيها دوى
أخفاف الإبل والإعلاط الإبل التي لا أرسان عليها أنشد أبو زيد الأصمعي
وأعرورت العلط العرضي تركضه أم الفوارس بالديداء والرّبعة

والشنان جمع شنة القرية البالية اليابسة قال الشاعر

كَأَنَّكَ مِنْ جَمَالِ بَنِي أَقِيْشٍ يُقَعِّعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنِّ

وقوله فعجم عيدانها أي غضها والعجم بفتح الفاء حبّ الزبيب قال الأعشى

وملفوظها كلقيط العجم

وقوله أمرها عودا أي أصلها يقال جبل مُرّ إذا كان شديد الفتل وقوله

لا عصبنكم عصب السلّة فالعصب القطع والسلة شجرة من العضاء وقوله لا أخلق

إلا فريت فالخلق التقدير قال الله تعالى (من نطفة مخلّقة وغير مخلّقة) أي مقدرة

وغير مقدرة يعني ما يتم وما يكون سقطا قال الكميّ يصف قرية

لم تجشم الخالقات فريتها ولم يفيض من نطاقها السرب

وإنما وصف حواصل الطير يقول ليست كهذه وصخرة خلقاء أي ملساء قال الشاعر
 ذَبَّوْهُ هَوَاءٌ فَوْقَ مَوْرِكَانِهِ مِنْ الصَّخْرَةِ الْخُلُقَاءِ زُخْلُوقٌ مَلْعَبٌ
 ويقال فریت الادیم إذا أصلحته وأفریت بالآلف إذا أنت أفسدته والسمهی
 الباطل قال أبو عمرو الشیبانی وأصله ما تسمیه العامةُ مخاط الشیطان وهو لعاب
 الشمس عند الظهیرة قال أبو النجم العجلی

وَذَابَ لِلشَّمْسِ لُعَابٌ فَنَزَلَ وَقَامَ مِيزَانُ الزَّمَانِ فَاعْتَدَلَ

والزرافات : الجماعات . تم التفسیر (قال أبو جعفر) قال عمر فحدثنی محمد بن
 یحیی عن عبد الله بن أبی عبیدة قال فلما كان الیوم الثالث سمع تكبیرا فی السوق
 فخرج حتی جلس علی المنبر فقال یا أهل العراق وأهل الشقاق والنفاق ومساوی
 الأخلاق إنی سمعت تكبیرا لیس بالتكبیر الذی یراد الله به فی الترغیب ولكنه
 التكبیر الذی یراد به الترهیب وقد عرفت أنها عجاذة تحتها قصف یابنی المكیة
 وعبید العصا وأبناء الأیامی الأیربع رجل منكم علی ظلمه ویحسن حقن دمه
 ویبصر موضع قدمه فأقسم بالله لا وشك أن أوقع بكم وقعة تكون نکالا لما قبلها
 وأدبا لما بعدها قوله تحتها قصف فهو شدة الريح واللکماء الورهاء وهی الحمقاء
 من الإمام والظلم الضعف والوهن من شدة السیر وقوله تهوی تهوی سابق
 الغطاء فالغطاط بضم الغین ضرب من الطیر قال الأصمعی الغطاء بفتح الغین
 ضرب من الطیر وأنشد لحسان بن ثابت

يُغَشَّوْنَ حَتَّى مَاتَهُمْ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ الْغَطَّاطِ الْمُقْبِلِ

بفتح الغین قال والغطاط بضم الغین اختلاط الضوء بالظلمة من آخر الليل قال الراجز
 قام إلى أدماء في الغطاطِ يَمْشِي بِمِثْلِ قَائِمِ الْفُسْطَاطِ

(تم التفسیر) قال فقام إليه عمیر بن ضابی التیمی ثم الخنظلی فقال أصلح
 الله الأمير أنا فی هذا البعث وأنا شیخ کبیر علیل وهذا ابنی وهو أشب منی قال
 ومن أنت قال عمیر بن ضابی التیمی قال سمعت كلامنا بالأمس قال نعم قال
 ألسنت الذی غزا أمير المؤمنين عثمان قال بلی قال وما حملك علی ذلك قال كان

حبس أبي وكان شيخا كبيرا قال أو ليس يقول
 هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكَتُ عَلَى عِمَّانَ تَبْكِي حَلَاثَتَهُ
 إني لأحسب في قلبك صلاح المصريين قم اليه يا حرمي فاضرب عنقه فقام
 اليه رجل فاضرب عنقه وأنبه ماله ويقال ان عنبة بن سعيد قال للحجاج أتعرف
 هذا قال لا قال هذا أحد قتلة أمير المؤمنين عثمان فقال للحجاج يا عدو الله أفلا
 إلى أمير المؤمنين بعثت بديلا ثم أمر بضرب عنقه وأمر مناديا فنادى ألا إن عمير
 ابن ضابئ أتى بعد ثالثة وقد كان سمع النداء فأمرنا بقتله ألا فإن ذمة الله بريته من
 بات الليلة من جند المهلب فخرج الناس فازدحموا على الجسر وخرجت العرفاء إلى
 المهلب وهو برامهرمز فأخذوا كتبه بالموافاة فقال المهلب قدم العراق اليوم رجل
 ذكر اليوم قوتل العدو قال ابن أبي عبيدة في حديثه فعبر الجسر تلك الليلة أربعة
 آلاف من مذبح فقال المهلب قدم العراق رجل ذكر قال عمر عن أبي الحسن
 قال لما قرأ عليهم كتاب عبد الملك قال القارئ أما بعد سلام عليكم فإني أحمد اليكم
 الله فقال له افطع يا عبيد العصا أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا يرد راد منكم السلام
 هذا أدب ابن نبيه أما والله لاؤدبتم غير هذا الأدب ابدأ بالكتاب فلما بلغ إلى
 قوله أما بعد سلام عليكم لم يبق منهم أحد إلا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله
 قال عمر حدثني عبد الملك بن شيبان بن عبد الملك بن مسمع قال حدثني عمرو بن سعيد
 قال لما قدم الحجاج الكوفة خطبهم فقال إنكم قد اخلتم بعسكر المهلب فلا يصبحن
 بعد ثالثة من جنده أحد فلما كان بعد ثالثة أبي رجل يستدعي فقال من بك قال عمير
 ابن ضابئ البرجمي أمرته بالخروج إلى معسكره فضربني وكذب عليه فأرسل
 الحجاج إلى عمير بن ضابئ فأتى به شيخا كبيرا فقال له ما خلفك عن معسكرك
 قال أنا شيخ كبير لا حراك بي فأرسلت ابني بديلا فهو أجلد مني جلدا وأحدث
 مني سنا فسل عما أقول لك فإن كنت صادقاً وإلا فعاقبني قال فقال عنبة بن سعيد
 هذا الذي أتى عثمان قتيلا فلطم وجهه ووثب عليه فكسر ضلعين من أضلاعه
 فأمر به الحجاج فضربت عنقه قال عمرو بن سعيد فوالله إني لأسير بين الكوفة
 والحيرة إذ سمعت رجلاً مريضاً فعدلت اليهم فقلت ما الخبر فقالوا قدم علينا رجل

من شر أحياء العرب من هذا الحثي من ثمود أسقف الساقين ممسوح الجاعرتين
أنخض العينين فقدم سيد الحثي عمير بن ضابي فضرب عنقه ولما قتل الحجاج عمير
ابن ضابي لقي ابراهيم بن عامر أحد بني غاضرة من بني أسد عبد الله بن الزبير في
السوق فسأله عن الخبر فقال ابن الزبير

أقول لإبراهيم لما لقيته
تجهز وأسرع والحق الجيش لا أرى
تخير فاما أن تزور ابن ضابي
هما خطنا كره نجاؤك منهما
فقال ولو كانت خراسان دونه
فكان ترى من مكره العدو مضمن
أرى الامر أسمى منصباً متشعباً
سوى الجيش إلا في المهالك مذهباً
عميرا وإما أنت تزور المهلبا
ر كؤبك حولياً من الثلج أشهباً
رأها مكان السوق أو هي أقربا
تحتمم حذو السرج حتى تحنّباً

وكان قدوم الحجاج الكوفة فيما قيل في شهر رمضان من هذه السنة فوجه
الحكم بن أيوب الثقفي على البصرة أميراً وأمره أن يشتد على خالد بن عبد الله
فلما بلغ خالداً الخبر خرج من البصرة قبل أن يدخلها الحكم فنزل الجلاء
وشيعه أهل البصرة فلم يبرح مُصلاًه حتى قسم فيهم ألف ألف (وحج) بالناس
في هذه السنة عبد الملك بن مروان حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن حدثه عن
إسحاق بن عيسى عن أبي معشر ووفد يحيى بن الحكم في هذه السنة على عبد الملك
ابن مروان واستخلف على عمله بالمدينة أبان بن عثمان وأمر عبد الملك يحيى بن الحكم
أن يقر على عمله على ما كان عليه بالمدينة وعلى الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف
وعلى خراسان أمية بن عبد الله وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة
زرارة بن أوفى (وفي هذه السنة) خرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة واستخلف
على الكوفة أبا يعفور عمرو بن المغيرة بن شعبة فلم يزل عليها حتى رجع إليها
بعد وقعة رُستقباد (وفي هذه السنة) ثار الناس بالحجاج بالبصرة

ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به

ذكر هشام عن أبي مخنف عن أبي زهير العبيسي قال خرج الحجاج بن يوسف

من الكوفة بعد ما قدمها وقتل ابن ضابئ من فوره ذلك حتى قدم البصرة فقام فيها بخطبة مثل الذي قام بها في أهل الكوفة وتوعدهم مثل وعيده ايام فأتى برجل من بني يشكر فقبل هذا عاص فقال إن بي فتنا وقد رآه يشرف فعدرتني وهذا عطائي مردود في بيت المال فلم يقبل منه وقتله ففرغ لذلك أهل البصرة فخرجوا حتى تداكروا على العارض بقنطرة رامهرمز فقال المهلب جاء الناس رجل ذكر وخرج الحجاج حتى نزل رستقباد في أول شعبان سنة ٧٥ فثار الناس بالحجاج عليهم عبد الله بن الجارود فقتل عبد الله بن الجارود وبعث بثمانية عشر رأساً فنصبت برامهرمز للناس فاشتدت ظهور المسلمين وساء ذلك الخوارج وقد كانوا رجوا أن يكون من الناس فرقة واختلاف فانصرف الحجاج إلى البصرة وكان سبب أمر عبد الله بن الجارود أن الحجاج لما ندب الناس إلى اللحاق بالمهلب بالبصرة فشخصوا سار الحجاج حتى نزل رستقباد قريباً من دستوى في آخر شعبان ومعه وجوه أهل البصرة وكان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فرسخاً فقام في الناس فقال ان الزيادة التي زادكم ابن الزبير في أعطياتكم زيادة فاسق منافق ولست أجزها فقام إليه عبد الله بن الجارود العبدى فقال إنها ليست بزيادة فاسق منافق ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أثبتنا فكذبه وتوعده فخرج ابن الجارود على الحجاج وتابعه وجوه الناس فاقتلوا قتلاً شديداً فقتل ابن الجارود وجماعة من أصحابه وبعث برأسه ورؤس عشرة من أصحابه إلى المهلب وانصرف إلى البصرة وكتب إلى المهلب وإلى عبد الرحمن بن مخنف أما بعد إذا تأتم كتابي هذا فناهضوا الخوارج والسلام (وفي هذه السنة) نفي المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهم في هذه السنة

(ذكر هشام) عن أبي مخنف عن أبي زهير العبسي قال ناهض المهلب وابن مخنف الأزارقة برامهرمز بكتاب الحجاج إليهما لعشر بقين من شعبان يوم الاثنين سنة ٧٥ فأجلوهم عن رامهرمز من غير قتال شديد ولكنهم زحفوا إليهم حتى أزالوهم وخرج القوم كأنهم على حامية حتى نزلوا سابور بأرض منها يقال لها

كازرون وسار المهلب وعبد الرحمن بن مخنف حتى نزلوا بهم في أول رمضان
فخندق المهلب عليه فذكر أهل البصرة أن المهلب قال لعبد الرحمن بن مخنف إن
رأيت أن تخندق عليك فافعل وإن أصحاب عبد الرحمن أبوا عليه وقالوا إنما
خندقنا سيرفنا وإن الخوارج زحفوا إلى المهلب ليلا ليبيتوه فوجدوه قد أخذ
حذره فمالوا نحو عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه لم يخندق فقاتلوه فانهم عنه أصحابه
فنزول فقاتل في أناس من أصحابه فقتل وقتلوا حوله فقال شاعرهم

لَمِنَ الْعَسْكَرِ الْمَكْلُ بِالْبَصْرِ عَى فَهَمَّ بَيْنَ مَيْتٍ وَقَتِيلِ
فَتَرَاهُمْ تَسْفِي الرِّيحَ عَلَيْهِمْ حَاصِبَ الرَّمْلِ بَعْدَ جِرِّ الذَّبُولِ

وأما أهل الكوفة فإنهم ذكروا أن كتاب الحجاج بن يوسف أتى المهلب
وعبد الرحمن بن مخنف أن ناهض الخوارج حين يأتيكما كتابي فناهضاهم يوم الأربعاء
لعشر بقين من رمضان سنة ٧٥ واقتلوا قتالا شديدا لم يكن بينهم فيما مضى قتال
كان أشد منه وذلك بعد الظهر فالت الخوارج بحدتها على المهلب بن أبي صفرة
فاضطروه إلى عسكره فترح إلى عبد الرحمن رجالا من صلحاء الناس فأتوه فقالوا
إن المهلب يقول لك إنما عدونا واحد وقد ترى ما قد لقي المسلمون فأمد إخوانك
يرحمك الله فأخذ يمدده بالخييل بعد الخيل والرجال بعد الرجال فلما كان بعد العصر
ورأت الخوارج ما يجيء من عسكر عبد الرحمن من الخيل والرجال إلى عسكر
المهلب ظنوا أنه قد خف أصحابه فجعلوا خمس كتائب أو ستا تجاه عسكر المهلب
وانصرفوا بجدم وجمعهم إلى عبد الرحمن بن مخنف فلما رأهم قد صدوا له نزل
ونزل معه القراء عليهم أبو الأحوص صاحب عبد الله بن مسعود وخزيمة
ابن نصر أبو نصر بن خزيمة العبسي الذي قتل مع زيد بن علي وُصِّبَ معه بالكوفة
ونزل معه من خاصة قومه أجد وسبعون رجلا وحملت عليهم الخوارج فقاتلتهم
قتالا شديدا ثم إن الناس انكشفوا عنه فبقى في عصابة من أهل الصبر ثبتوا معه
وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه إلى المهلب فنادى في الناس ليتبعوه إلى
أبيه فلم يتبعه إلا ناس قليل فجاء حتى إذا دنا من أبيه حالت الخوارج بينه وبين

أبيه فقاتل حتى ارتثته الخوارج وقاتل عبد الرحمن بن مخنف ومن معه على تل مشرف حتى ذهب نحو من ثلثي الليل ثم قتل في تلك العصابة فلما أصبحوا جاء المهلب حتى أتاه فدقته وصلى عليه وكتب بمصابه إلى الحجاج فكتب بذلك الحجاج إلى عبد الملك بن مروان فنعى عبد الرحمن بمنى وذم أهل الكوفة وبعث الحجاج على عسكر عبد الرحمن بن مخنف عتاب بن ورقاء وأمره إذا ضمتها الحرب أن يسمع للمهلب ويطيع فساءه ذلك فلم يجد بداً من طاعة الحجاج ولم يقدر على مراجعته فجاء حتى أقام في ذلك العسكر وقاتل الخوارج وأمره إلى المهلب وهو في ذلك يقضى أموره ولا يكاد يستشير المهلب في شيء فلما رأى ذلك المهلب اصطنع رجالاً من أهل الكوفة فيهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة فأغرام بعتاب (قال أبو مخنف) عن يوسف بن يزيد أن عتاباً أتى المهلب يسأله أن يرزق أصحابه فأجلسه المهلب معه على مجلسه قال فسأله أن يرزق أصحابه سؤالا فيه غلظة وتجهم قال فقال له المهلب وإنيك لهننا يا ابن اللخناء فبنو تميم يزعمون أنه رد عليه وأما يوسف بن يزيد وغيره فيزعمون أنه قال والله إنها لمعنةٌ تحولةٌ ولوددت أن الله فرق بيني وبينك قال فجرى بينهما الكلام حتى ذهب المهلب ليرفع القضيب عليه فوثب عليه ابنه المغيرة فقبض على القضيب وقال أصلح الله الأمير شيخ من أشياخ العرب وشريف من أشرافهم إن سمعت منه بعض ما تكرهه فاحتمله له فإنه لذلك منك أهل ففعل وقام عتاب فرجع من عنده واستقبله بسطام بن مصقلة يشتمه ويقع فيه هـ فلما رأى ذلك كتب إلى الحجاج يشكو إليه المهلب ويخبره أنه قد أغرى به سفهاء أهل المصر ويسأله أن يضمه إليه فوافق ذلك من الحجاج حاجة إليه فيما لقي أشراف الكوفة من شبيب فبعث إليه أن أقدم وأترك أمر ذلك الجيش إلى المهلب فبعث المهلب عليه حبيب بن المهلب وقال حميد بن مسلم يرثي عبد الرحمن بن مخنف

إن يقتلوك أبا حكيم غُدوةً فلقد تُشُدُّ وتقتلُ الأبطالاً
أو يُشكلونا سيداً لمسودٍ سَمَحَ الخليفة ماجداً مفضالاً

فَلَمَّا قَتَلَ هَدَّ قَوْمَكَ كُلَّهُمْ
 مِنْ كَانَ يَكْشِفُ غَرْمَهُمْ وَقَتْلَهُمْ
 أَقْسَمْتُ مَا نَيْلَتْ بِمَقَاتِلُ نَفْسِهِ
 وَتَنَاجَزَ الْأَبْطَالُ تَحْتَ لَوَائِهِ
 يَوْمًا طَوِيلًا ثُمَّ آخَرَ لِيْلِهِمْ
 وَتَكَشَّفَتْ عَنْهُ الصُّفُوفُ وَخَيْلُهُ
 وَقَالَ سِرَاقَةُ بْنُ مَرْدَاسِ الْبَارِقِيِّ

أَعْنِي جُودًا بِالْذُّمُوعِ السُّوَائِبِ
 عَلَى الْأَزْدِ لَمَّا أَنْ أُصِيبَ سَرَائِهِمْ
 رُجِّي الْخُلُودَ بَعْدَهُمْ وَتَعَوَّقْنَا
 وَكُنَّا بِخَيْرٍ قَبْلَ قَتْلِ ابْنِ مَخْنَفٍ
 أَمَّا دُمُوعُ الشَّيْبِ مِنْ أَهْلِ مِصْرِهِ
 وَقَاتَلَ حَتَّى مَاتَ أَكْرَمَ مِيتَةٍ
 وَضَارَبَ عَنْهُ الْمَارِقِينَ عَصَابَةً
 فَلَا وَلَدَتْ أَنْثَى وَلَا أَبَ غَائِبٍ
 فَيَاعْنِي ابْنِي مَخْنَفًا وَابْنَ مَخْنَفٍ

وَقَالَ سِرَاقَةُ أَيضًا يَرْتِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَخْنَفٍ :

تَوَى سَيْدُ الْأَزْدِينَ أَزْدَ شُؤْءَةٍ
 وَضَارَبَ حَتَّى مَاتَ أَكْرَمَ مِيتَةٍ
 وَصُرِّعَ حَوْلَ التَّلِّ تَحْتَ لَوَائِهِ
 قَضَى نَجْبَهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ ابْنَ مَخْنَفٍ
 أَمْدٌ فَلَمْ يُمَدِّدْ فِرَاحٌ مُشْمَرًا
 وَأَقَامَ الْمُهَلْبُ بِسَابُورٍ يِقَاتِلُهُمْ نَحْوًا مِنْ سَنَةِ (وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ) تَحْرُكُ صَالِحُ بْنُ

مُسرَّح أحد بني امرئ القيس وكان يرى رأى الصفرية وقيل إنه أول من
خرج من الصفرية

ذكر الخبر عن تحرك صالح للخروج وما كان منه في هذه السنة

ذكر أن صالح بن مسرح أحد بني امرئ القيس حج سنة ٧٥ ومعه شيب بن يزيد
وسويد والبطين وأشباههم وحج في هذه السنة عبد الملك بن مروان فهم شيب
بالفتك به وبلغه ذرء من خبرهم فكتب إلى الحجاج بعد انصرافه يأمره بطلبهم
وكان صالح يأتي الكوفة فيقيم بها الشهر ونحوه فيأتي أصحابه ليعدهم فبنت بصالح
الكوفة لما طلبه الحجاج فتكبا

ثم دخلت سنة ست وسبعين

ذكر الكائن من الأحداث فيها

فمن ذلك خروج صالح بن مسرح

ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرح وعن سبب خروجه

وكان سبب خروجه فيما ذكر هشام عن أبي مخنف عن عبد الله بن علقمة عن
قيصة بن عبد الرحمن الحثعمي أن صالح بن مسرح التميمي كان رجلا ناسكا محبنا
مصفر الوجه صاحب عبادة وأنه كان بدارا وأرض الموصل والجزيرة له أصحاب
يقرئهم القرآن ويفقههم ويقص عليهم فكان قيصة بن عبد الرحمن حدث أصحابنا
أن قصص صالح بن مسرح عنده وكان ممن يرى رأيهم فسألوه أن يعث بالكتاب
اليهم ففعل وكان قصصه الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات
والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اللهم إنا لانعدك بك ولا نحفد إلا إليك
ولانعبد إلا إياك لك الخلق والأمر ومنك النفع والضرو إليك المصير ونشهد أن
محمدًا عبدك الذي اصطفيته ورسولك الذي اخترته وارتضيته لتبليغ رسالاتك
ونصيحة عبادك ونشهد أنه قد بلغ الرسالة ونصح للأمة ودعا إلى الحق وقام بالقسط
ونصر الدين وجاهد المشركين حتى توفاه الله صلى الله عليه وسلم أو صيكم بتقوى

الله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وكثرة ذكر الموت وفراق الفاسقين وحب المؤمنين فإن الزهادة في الدنيا ترغب العبد فيما عند الله وتفرغ بدنه لطاعة الله وإن كثرة ذكر الموت يُخيف العبد من ربه حتى يجأره إليه ويستكين له وإن فراق الفاسقين حق على المؤمنين قال الله في كتابه (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) وإن حب المؤمنين للسبب الذي ينال به كرامة الله ورحمته وجنته جعلنا الله وإياكم من الصادقين الصابرين إلا إن من نعمة الله على المؤمنين أن بعث فيهم رسولا من أنفسهم فعلهم الكتاب والحكمة وزكاهم وطهرهم ووقاهم في دينهم وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً حتى قبضه الله صلوات الله عليه ثم ولى الأمر من بعده التقي الصديق على الرضا من المسلمين فاقتدى بهديه واستن بسنته حتى لحق بالله رحمه الله واستخلف عمر فولاه الله أمر هذه الرعية فعمل بكتاب الله وأحيا سنة رسول الله ولم يخنق في الحق على جرتة ولم يخف في الله لومة لائم حتى لحق به رحمه الله عليه وولى المسلمين من بعده عثمان فاستأثر بالنبي وعطل الحدود وجار في الحكم واستذل المؤمن وعزز المجرم فسار إليه المسلمون فقتلوه فبرئ الله منه ورسوله وصالح المؤمنين وولى أمر الناس من بعده علي بن أبي طالب فلم ينشب أن حكم في أمر الله الرجال وشك في أهل الضلال وركن وأدهن فنحن من علي وأشياعه برآء فقيسروا رحمكم الله لجهاد هذه الأحزاب المتحزبة وأئمة الضلال الظلمة وللخروج من دار الفناء إلى دار البقاء واللاحاق باخواننا المؤمنين الموقنين الذين باعوا الدنيا بالآخرة وأنفقوا أموالهم التماس رضوان الله في العاقبة ولا تجزعوا من القتل في الله فإن القتل أيسر من الموت والموت نازل بكم غير ما ترجم الظنون ففرق بينكم وبين آبائكم وأبنائكم وحلائلكم ودنياكم وإن اشتد لذلك كرهكم وجزعكم إلا فبيعوا الله أنفسكم طائعين وأموالكم تدخلوا الجنة آمنين وتمانقوا الحور العين جعلنا الله وإياكم من الشاكرين الذاكرين الذين يهدون بالحق وبه يعدلون (قال أبو مخنف) حدثني عبد الله بن علقمة قال بينا أصحاب صالح يختلفون إليه إذ قال لهم

ذات يوم ما أدري ما تنتظرون وحتى متى أنتم مقيمون هذا الجور قد فشا وهذا العدل قد عفا ولا تزداد هذه الوُلاة على الناس إلا غُلُوأً وعتُوراً وتباعداً عن الحق وجرأة على الرب فاستعدوا وابعثوا إلى إخوانكم الذين يريدون من إنكار الباطل والدعاء إلى الحق مثل الذي تريدون فيأتوكم فنلتقى وننظر فيما نحن صانعون وفي أي وقت إن خرجنا نحن خارجون قال فتراسل أصحاب صالح وتلاقوا في ذلك فيناهم في ذلك إذ قدم عليهم المحلل بن وائل اليشكري بكتاب من شيب إلى صالح بن مسرح أما بعد فقد علمت أنك كنت أردت الشخصوص وقد كنت دعوتني إلى ذلك فاستجبت لك فإن كان ذلك اليوم من شأنك فأنت شيخ المسلمين ولن نعدل بك منا أحداً وإن أردت تأخير ذلك اليوم أعلتني فإن الآجال غادية ورائحة ولا آمن أن تخترمني المنية ولما أجاهد الظالمين فياله غبناً وباله فضلاً متروكاً جعلنا الله وإياك بمن يريد بعمله الله ورضوانه والنظر إلى وجهه ومرافقة الصالحين في دار السلام والسلام عليك قال فلما قدم على صالح المحلل بن وائل بذلك الكتاب من شيب كتب إليه صالح أما بعد فقد كان كتابك وخبرك أبطاً عنى حتى أهمنى ذلك ثم إن أمراء من المسلمين نبأني بلبا مخرجك ومقدمك فنحمد الله على قضاء ربنا وقد قدم على رسولك بكتابك فكل ما فيه قد فهمته ونحن في جهاز واستعداد للخروج ولم ينعنى من الخروج إلا انتظارك فأقبل الينا ثم أخرج بنا متى ما أحببت فإنك بمن لا يستغنى عن رأيه ولا تقضى دونه الأمور والسلام عليك هـ فلما قدم على شيب كتابه بعث إلى نفر من أصحابه فجمعهم إليه منهم أخوه مصاد بن يزيد بن نعيم والمحلل بن وائل اليشكري والصقر بن حاتم من بني تيم بن شيبان وإبراهيم بن حجر أبو الصقير من بني مُحَلَّم والفضل بن عامر من بني ذهل بن شيبان ثم خرج حتى قدم على صالح بن مسرح بدارا فلما لقيه قال أخرج بنا رحمك الله فوالله ما تزداد الهنة إلا دروسا ولا يزداد المجرمون إلا طغيانا فبث صالح رسله في أصحابه وواعدهم الخروج في هلال صفر ليلة الأربعاء سنة ٧٦ فاجتمع بعضهم إلى بعض وتهبأوا وتيسروا للخروج في تلك الليلة واجتمعوا

جميعا عنده في تلك الليلة لميعاده (قال أبو مخنف) فحدثني قزوة بن لقيط الأزدي قال والله إني لمع شبيب بالمدائن إذ حدثنا عن مخرجهم قال لما هممنا بالخروج اجتمعنا إلى صالح بن مسرح ليلة خرج فكان رأيي استعراض الناس ليما رأيت من المنكر والعدوان والفساد في الأرض فقلت يا أمير المؤمنين كيف ترى في السيرة في هؤلاء الظلمة أنقتلهم قبل الدعاء أم ندعوهم قبل القتال وسأخبرك برأيي فيهم قبل أن تخبرني فيهم برأيك أما أنا فأرى أن تقتل كل من لا يرى رأينا قريبا كان أو بعيداً فإنا نخرج على قوم غاوين طاغين باغين قد تركوا أمر الله واستحوذ عليهم الشيطان فقال لا بل ندعوهم فلعمري لا يجيبك إلا من يرى رأيك وليقاتلنك من يزرى عليك والدعاء أقطع لحجتهم وأبلغ في الحججة عليهم قال فقلت له فكيف ترى فيمن قاتلنا فظفرنا به ماتقول في دماهم وأموالهم فقال إن قتلنا وغنمنا فلنأ وإن تجاوزنا وعفونا فوسع علينا ولنا قال فأحسن القول وأصاب رحمة الله عليه وعلينا (قال أبو مخنف) فحدثني رجل من بني محلم أن صالح بن مسرح قال لأصحابه ليلة خرج اتقوا الله عباد الله ولا تعجلوا إلى قتال أحد من الناس إلا أن يكونوا قوما يريدونكم وينصبون لكم فانكم إنما خرجتم غضبا لله حيث انتهكت محارمه وعصى في الأرض فسفكت الدماء بغير حلها وأخذت الأموال بغير حقها فلا تعيبوا على قوم أعمالا ثم تعملوا بها فان كل ما أنتم عاملون أنتم عنه مسؤولون وإن عظيمكم رجالة وهذه دواب لمحمد بن مروان في هذا الرستاق فابدؤا بها فشدوا عليها فاحملوا أرجلكم وتقفوا بها على عدوكم فخرجوا فأخذوا تلك الليلة الدواب فحملوا رجالهم عليها وصارت رجالها فرسانا وأقاموا بأرض دارا ثلاث عشرة ليلة وتحصن منهم أهل دارا وأهل نصيبين وأهل سينجار وخرج صالح ليلة خرج في مائة وعشرين وقيل في مائة وعشرة قال وبلغ مخرجهم محمد بن مروان وهو يومئذ أمير الجزيرة فاستخف بأمرهم وبعث إليهم عدي بن عدي بن عميرة من بني الحارث بن معاوية بن ثور في خمسمائة فقال له أ صلح الله الأمير أتبعثني إلى رأس الخوارج منذ عشرين سنة قد خرج معي رجال من ربيعة قد سُموا لي

كانوا يعازوننا الرجل منهم خير من مائة فارس في خمسمائة رجل قال له فإني أزيدك
 خمسمائة أخرى فسرا إليهم في ألف فارس من حران في ألف رجل فكان أول
 جيش سار إلى صالح وسار إليه عدى وكان يساق إلى الموت وكان عدى رجلا
 يتنسك فأقبل حتى إذا نزل دوغان نزل بالناس ومرح إلى صالح بن مسرح رجلا
 دسه إليه من بني خالد من بني الوريثة يقال له زياد بن عبدالله فقال إن عديا بعثني
 إليك يسألك أن تخرج من هذا البلد وتأتي بلدا آخر فقتل أهلها فإن عديا للقائك
 كاره فقال له صالح ارجع إليه فقال له إن كنت ترى رأينا فأرنا من ذلك مانعرف
 ثم نحن مدلجون عنك من هذا البلد إلى غيره وإن كنت على رأي الجبابة وأئمة
 السوء رأينا رأينا فإن شئنا بدأنا بك وإن شئنا رحلنا إلى غيرك فانصرف
 إليه الرسول فأبلغه ما أرسل به فقال له ارجع إليه فقل له انى والله ما أنا على رأيك
 ولكنى أكره قتالك وقاتل غيرك فقاتل غيرى فقال صالح لأصحابه اركبوا فركبوا
 وحبس الرجل عنده حتى خرجوا ثم تركه ومضى بأصحابه حتى أتى عدى بن عدى
 ابن عميرة في سوق ذوغان وهو قائم يصلى الضحى فلم يشعر إلا والخيل طالعة عليهم
 فلما بصروا بها تنادوا وجعل صالح شيبيا في كتيبة في ميمنة أصحابه وبعث سويد
 ابن سليم الهندي من بني شيبان في كتيبة في ميسرة أصحابه ووقف هو في كتيبة
 في القلب فلما دنا منهم رأهم على غير تعبى وبعضهم يجول في بعض فأمر شيبيا
 فحمل عليهم ثم حمل سويد عليهم فكانت هزيمتهم ولم يقاتلوا وأتى عدى بن عدى
 بدابته وهو يصلى فركبها ومضى على وجهه وجاء صالح بن مسرح حتى نزل عسكره
 وحوى مافيه وذهب فل عدى وأوائل أصحابه حتى دخلوا على محمد بن مروان
 فغضب ثم دعا خالد بن جزء السلى فبعثه في ألف وخمسمائة ودعا الحارث بن جعونة
 من بني ربيعة بن عامر بن صعصعة فبعثه في ألف وخمسمائة ودعاها فقال اخرجنا
 إلى هذه الخارجة القليلة الخبيثة وعجلا الخروج وأغذا السير فأبى كما سبق فهو
 الأمير على صاحبه فخرجا من عنده فأغذا السير وجعل لا يسألان عن صالح بن مسرح
 فيقال لهما إنه توجه نحو آمد فأتبعاه حتى انتهىا إليه وقد نزل على أهل آمد فنزلا

ليلا فخذقا وانبيا إليه وهما متساندان كل واحد منهما في أصحابه على حدته فوجه صالح شييا إلى الحارث بن جعونة العامري في شطر أصحابه وتوجه هو نحو خالد ابن جزء السلي (قال أبو مخنف) فحدثني المحلمي قال انتهوا إلينا في أول وقت العصر فصلى بنا صالح العصر ثم عبانا لهم فاقتلنا كأشد قتال اقتله قوم قط وجعلنا والله نرى الظفر يحمل الرجل منا على العشرة منهم فيزهمهم وعلى العشرين فكذلك وجعلت خيلهم لا تثبت لخيلنا ه فلما رأى أميرهم ذلك ترجلا وأمرنا جل من معهما فترجل فغند ذلك جعلنا لا نقدر منهم على الذي نريد إذا حملنا عليهم استقبلتنا رجالهم بالرمح ونضحتار ماتهم بالنبل وخيلهم تطاردنا في خلال ذلك فقاتلناهم إلى المساء حتى حال الليل بيننا وبينهم وقد أفسوا فينا الجراحة وأفسيناها فيهم والله ما أمسينا حتى كرهناهم وكرهونا وقد قتلوا منا نحو من ثلاثين رجلا وقتلنا منهم أكثر من سبعين فوقفنا مقابلهم ما يقدمون علينا وما تقدم عليهم فلما أمسوا رجعوا إلى عسكرهم ورجعنا إلى عسكرنا فصلينا وتروخنا وأكلنا من الكيسر ثم إن صالحا دعا شييا ورؤوس أصحابه فقال يا أخلائي ماذا ترون فقال شييب أرى أنا قد لقينا هؤلاء القوم فقاتلناهم وقد اعتصموا بخندقهم فلا أرى أن نقيم عليهم فقال صالح وأنا أرى ذلك فخرجوا من تحت ليلتهم سائرين ففضوا حتى قطعوا أرض الجزيرة ثم دخلوا أرض الموصل فساروا فيها حتى قطعوها ومضوا حتى قطعوا الدسكرة ه فلما بلغ ذلك الحجاج سرح إليهم الحارث بن عميرة بن ذى المشعار الحمداني في ثلاثة آلاف رجل من أهل الكوفة ألف من المقاتلة الأولى وألفين من الفرض الذي فرض لهم الحجاج فسار حتى إذا دنا من الدسكرة خرج صالح بن مسرح نحو جلولاء وخانقين وأتبعه الحارث بن عميرة حتى انتهى إلى قرية يقال لها المدبج من أرض الموصل على تخوم ما بينها وبين أرض جوخي وصالح يومئذ في تسعين رجلا فبعي الحارث بن عميرة يومئذ أصحابه وجعل على ميمنته أبا الرواع الشاكري وعلى ميسرته الزبير بن الأرواح التيمي ثم شد عليهم وذلك بعد العصر وقد جعل أصحابه ثلاثة كراديس فهو في كردوس وسيب في كردوس في ميمنته وسويد

ابن سليم في كردوس في الميسرة في كل كردوس منهم ثلاثون رجلاً فلما شد عليهم الحارث بن عميرة في جماعة أصحابه انكشف سويد بن سليم وثبت صالح ابن مسرح فقتل وضارب شيب حتى صرع عن فرسه فوقع في رجالة فشد عليهم فانكشفوا فجاء حتى انتهى إلى موتف صالح بن مسرح فأصابه قتيلاً فنادى إلى يامعشر المسلمين فلاذوا به فقال لأصحابه لييجل كل واحد منكم ظهره إلى ظهر صاحبه وليطاعن عدوه إذا أقدم عليه حتى ندخل هذا الحصن ونرى رأينا ففعلوا ذلك حتى دخلوا الحصن وهم سبعون رجلاً بشيب وأحاط بهم الحارث بن عميرة ممسياً وقال لأصحابه احرقوا الباب فاذا صار جمر أذعوه فانهم لا يقدرون على أن يخرجوا منه حتى نصبهم فقتلهم ففعلوا ذلك بالباب ثم انصرفوا إلى عسكرهم فأشرف شيب عليهم وطائفة من أصحابه فقال بعض أولئك الفرض يا بني الزواني ألم يخزكم الله فقالوا يا فساق نعم تقاتلوننا لقتالنا إياكم إذ عماكم الله عن الحق الذي نحن عليه فما عذركم عند الله في الفري على أمهاتنا فقال لهم حلدوهم إنما هذا من قول شباب فينا سفهاء والله ما يعجبنا قولهم ولا نستحله وقال شيب لأصحابه يا هؤلاء ما تنتظرون فوالله لئن صبحكم هؤلاء غدوة إنه هلاككم فقلوا له مرنا بأمرك فقال لهم إن الليل أخفى للويل يا يعونى أو من شتم منكم ثم اخرجوا بنا حتى نشد عليهم في عسكرهم فإنهم لذلك منكم آمنون وأنا أرجو أن ينصركم الله عليهم قالوا فابسط يدك فلنبايعك فبايعوه ثم جاءوا ليخرجوا وقد صار بابهم جمرًا فأتوا باللبد فلبوها بالماء ثم ألقوها على الجمر ثم قطعوا عليها فلم يشعر الحارث بن عميرة ولا أهل العسكر إلا وشيب وأصحابه يضربونهم بالسيوف في جوف عسكرهم فضارب الحارث حتى صرع واحتمله أصحابه وانهمزوا وخلوا لهم العسكر وما فيه ومضوا حتى نزلوا المدائن فكان ذلك الجيش أول جيش هزمه شيب وأصيب صالح بن مسرح يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقية من جمادى الأولى من سنة (وفي هذه السنة) دخل شيب الكوفة ومعه زوجته غزاة

ذكر الخبر عن دخوله الكوفة وما كان من أمره وأمر الحجاج
بها والسبب الذي دعا شييبا إلى ذلك

وكان السبب في ذلك فيما ذكر هشام عن أبي مخنف عن عبدالله بن علقمة عن
قيصة بن عبدالرحمن الخثعمي أن شييبا لما قتل صالح بن مسرح بالمديح وبايعه
أصحاب صالح ارتفع إلى أرض الموصل فاقى سلامة بن سيار بن المضاء التيمي تيم
شيبان فدعاه إلى الخروج معه وكان يعرفه قبل ذلك إذ كان في الديوان والمغازي
فاشترط عليه سلامة أن يتخبط ثلاثين فارسا ثم لا يغيب عنه الا ثلاث ليال عدداً
فجعل فانتخب ثلاثين فارسا فانطلق بهم نحو عنزة وإنما أرادهم ليثني نفسه منهم
لقتلهم أخاه فضالة وذلك أن فضالة كان خرج قبل ذلك في ثمانية عشر نفسا حتى
نزل ماء يقال له الشجرة من أرض الجبال عليه أثلة عظيمة وعليه عنزة ه فلما رآته عنزة
قال بعضهم لبعض نقتلهم ثم نغدو بهم إلى الأمير فنعطى ونحوي فأجمعوا على ذلك فقالت
بنو نصر أخواله لعمر الله لا نساعدكم على قتل ولدنا فمضت عنزة إليهم فقاتلوهم
فقتلوهم وأنوا برووسهم عبد الملك بن مروان فلذلك أنزلهم بانقياء وفرض لهم ولم
تكن لهم فرائض قبل ذلك إلا قليلة فقال سلامة بن سيار أخو فضالة يذكر قتل
أخيه وخذلان أخواله إياه

وَمَا خِلْتُ أَخْوَالَ الْفَتَى يُسِيدُونَهُ لِيُؤْتِعَ السِّلَاحَ قَبْلَ مَا فَعَلَتْ نَصْرُ
قال وكان خروج أخيه فضالة قبل خروج صالح بن مسرح وشيب ه فلما بايع
سلامة شييبا اشترط عليه هذا الشرط فخرج في ثلاثين فارسا حتى انتهى إلى عنزة
لجعل يقتل المحلة منهم بعد المحلة حتى انتهى إلى فريق منهم فيهم خالته وقد أكتبت
على ابن لها وهو غلام حين احتلم فقالت وأخرجت ثديها إليه أنشدك برحم هذا
يا سلامة فقال لا والله ما رأيت فضالة منذ أناخ بعمر الشجرة يعني أخاه لتقومين
عنه أولاجدن جافتك بالرحم فقامت عن ابنها عند ذلك فقتله (قال أبو مخنف)
فحدثني المفضل بن بكر من بني تيم بن شيبان أن شييبا أقبل في أصحابه نحو راذان
فلما سمعت به طائفة من بني تيم بن شيبان خرجوا هرابا منه ومعهم ناس من غيرهم

قليل فأقبلوا حتى نزلوا ديرة خرد زاد إلى جنب حولايا وهم نحو من ثلاثة آلاف وشيب في نحو من سبعين رجلا أو يزيدون قليلا فنزل بهم فها بوه وتخصتوا منه ثم إن شيباسرى في اثني عشر فارسا من أصحابه إلى أمه وكانت في سفح سائيدمانازلة في مظلة من مظال الأعراب يقال لآتين بأمي فلا جعلتها في عسكري فلا تفارقتي أبدا حتى أموت أو تموت وخرج رجلان من بني تيم بن شيبان تخوفا على أنفسهما فنزلا من الدير فلاحقا بجماعة من قومهما وهم نزول بالجبال منهم على مسيرة ساعة من النهار وخرج شيب في أولئك الرهط في أولهم وهم اثنا عشر يريد أمه بالسفح فإذا هو بجماعة من بني تيم بن شيبان غارين في أموالهم مقيمين لا يرون أن شيبا يمر بهم لمكانهم الذي هم به ولا يشعر بهم فحمل عليهم في فرسانه تلك فقتل منهم ثلاثين شيخا فيهم حوثزة بن أسد ووبرة بن عاصم اللذان كانا نزلا من الدير فلاحقا بالجبال ومضى شيب إلى أمه فحملها من السفح فأقبل بها وأشرف رجل من أصحاب الدير من بكر بن وائل على أصحاب شيب وقد استخلف شيب أخاه على أصحابه مصاد ابن يزيد ويقال لذلك الرجل الذي أشرف عليهم سلام بن حيان فقال لهم يا قوم القرآن بيننا وبينكم ألم تسمعوا قول الله «وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه» قالوا بلى قال لهم فكفروا عنا حتى نصبح ثم نخرج إليكم على أمان لنا منكم لكيلا تعرضوا لنا بشيء نكرهه حتى تعرضوا علينا أمركم هذا فإن نحن قبلناه حرمت عليكم أموالنا ودمائنا وكنا لكم إخوانا وإن نحن لم نقبله رددتمونا إلى ما مننا ثم رأيتكم فيما بيننا وبينكم قالوا لهم فهذا لكم فلما أصبحوا خرجوا إليهم فعرض عليهم أصحاب شيب قولهم ووصفوا لهم أمرهم فقبلوا ذلك كله وخالطوهم ونزلوا إليهم فدخل بعضهم إلى بعض وجاء شيب وقد اصطلحوا فأخبره أصحابه خبرهم فقال أصبتم ووقفتم وأحسبتم ثم إن شيبا ارتحل فخرجت معه طائفة وأقامت طائفة جانحة وخرج يومئذ معه إبراهيم بن حجر المحلي أبو الصيقير كان مع بني تيم بن شيبان نازلا فيهم ومضى شيب في أداني أرض الموصل وتخوم أرض جوخي ثم ارتفع نحو آذربيجان وأقبل سفيان بن أبي العالية

الخشعي في خيل قد كان أمر أن يدخل بها طبرستان فأمر بالقبول فأقبل
راجعا في نحو من ألف فارس فصالح صاحب طبرستان (قال أبو مخنف) فحدثني
عبد الله بن علقمة الخشعي أن كتاب الحجاج أتاه أما بعد فسر حتى تنزل الدسكرة
فيمين معك ثم أقم حتى يأتك جيش الحارث بن عميرة الهمداني بن ذى المشعار
وهو الذي قتل صالح بن مسرح وخيل المناظر ثم سر إلى شيب حتى تناجزه •
فلما أتاه الكتاب أقبل حتى نزل الدسكرة ونودي في جيش الحارث بن عميرة
بالكوفة والمدائن ان برئت الذمة من رجل من جيش الحارث بن عميرة لم يوافق
سفيان بن أبي العالية بالدسكرة قال فخرجوا حتى أتوه وأتته خيل المناظر وكانوا
خمسائة عليهم سورة بن أبحر التيمي من بني أبان بن دارم فراقوه إلا نحواً من خمسين
رجلاً تخلفوا عنه وبعث إلى سفيان بن أبي العالية أن لا تبرح العسكر حتى آتتك
فجعل سفيان فارتحل في طلب شيب فلحقه بخانقين في سفح جبل فجعل على ميمنته
خازم بن سفيان الخشعي من بني عمرو بن شهران وعلى يسرته عدى بن عميرة الشيباني
وأصحهم شيب ثم ارتفع عنهم حتى كأنه يكره لقاءه وقد أكن له أخاه مصاداً معه
خمسون في هزم من الأرض فلما رأوه جمع أصحابه ثم مضى في سفح الجبل مشرقاً فقالوا
هرب عدو الله فاتبعوه فقال لهم عدى بن عميرة الشيباني أيها الناس لا تعجلوا عليهم
حتى تضرب في الأرض ونسير بها فإن يكونوا قد أكنوا لنا كينا قد حذرناهم وإلا فإن
طلبهم لن يفوتنا فلم يسمع منه الناس وأمر عوا في آثارهم • فلما رأى شيب أنهم
قد جازوا الكمين عطف عليهم • ولما رأى الكمين أن قد جازوهم خرجوا إليهم
فحمل عليهم شيب من أمامهم وصاح بهم الكمين من ورائهم فلم يقاتلهم أحد وكانت
الهمزة فثبت ابن أبي العالية في نحو من مائتي رجل فقاتلهم قتالاً شديداً حسناً
حتى ظن أنه انتصف من شيب وأصحابه فقال سويد بن سليم لأصحابه أمنكم أحد
يعرف أمير القوم ابن أبي العالية فوالله لئن عرفته لأجهدن نفسي في قتله فقال
شيب أنا من أعرف الناس به أما ترى صاحب الفرس الأغر الذي دونه المرامية
فإنه ذلك فإن كنت تريد فأمهله قليلاً ثم قال يا قنص اخرج في عشرين فأتم من

ورائهم فخرج قعنب في عشرين فارتفع عليهم ۞ فلما رآه يريد أن يأتيهم من
ورائهم جعلوا يتنقضون ويتسللون وحمل سويد بن سليم على سفیان بن أبي العالیة
قطاعه فلم تصنع رماهما شيئاً ثم اضطربا بسيفيهما ثم اعتق كل منهما صاحبه فوقما
إلى الأرض يعتركان ثم تحاجزوا وحمل عليهم شبيب فانكشفوا وأتى سفیان غلام له
يقال له غزوان فنزل عن بردونه وقال اركب يا مولای فركب سفیان وأحاط
به أصحاب شبيب فقاتل دونه غزوان فقتل وكانت معه رايته وأقبل سفیان بن
أبي العالیة حتى انتهى إلى بابل مهروذ نزل بها وكتب إلى الحجاج أما بعد فإني
أخبر الأمير أصلحه الله أني اتبعت هذه المارقة حتى لحقتهم بخانقين فقاتلهم فضرب
الله وجوههم ونصرنا عليهم فبينما نحن كذلك إذ أتاهم قوم كانوا غيباً عنهم فحملوا
على الناس فهزموهم فنزلت في رجال من أهل الدين والصبر فقاتلهم حتى خرت
بين القتلى فحملت مرتباً فأتى بي بابل مهروذ فذبحها أنا بها والجند الذين وجههم إلى الأمير
ووافوا الأسورة بن أبحر فإنه لم يأتني ولم يشهد معي إذا ما نزلت بابل مهروذ أتاني
يقول ما لا أعرف ويعتذر بغير العذر والسلام ۞ فلما قرأ الحجاج الكتاب قال
من صنع كما صنع هذا وأبلى كما أبلى فقد أحسن ثم كتب إليه أما بعد فقد أحسنت البلاء
وقضيت الذي عليك فإذا خف عنك الوجد فأقبل مأجوراً إلى أهلك والسلام
وكتب إلى سورة بن أبحر أما بعد فيا ابن أم سورة ما كنت خليقاً أن تجترى على
ترك عهدي وخذلان جندي فاذا أتاك كتابي فابعث رجلاً من معك صلياً إلى
الخيال التي بالمدائن فلينتخب منهم خمسمائة رجل ثم ليقدم بهم عليك ثم سر بهم حتى
تلقى هذه المارقة واحزم في أمرك وكذعدوك فإن أفضل أمر الحرب حسن
المكيدة والسلام ۞ فلما أتى سورة كتاب الحجاج بعث عدى بن عميرة إلى المدائن
وكان بها ألف فارس فانتخب منهم خمسمائة ثم دخل على عبد الله بن أبي عصفير
وهو أمير المدائن إمارته الأولى فسلم عليه فأجازه بألف درهم وحمله على فرس
وكساه أثواباً ثم إنه خرج من عنده فأقبل بأصحابه حتى قدم بهم على سورة بن
أبحر ببابل مهروذ فخرج في طلب شبيب وشبيب يحول في جوخي وسورة في طلبه

فجاء شيب حتى انتهى إلى المدائن فتحصن منه أهل المدائن وتحرزوا ووهى أبنية
المدائن الأولى فدخل المدائن فأصاب بها دواب جند كثيرة فقتل من ظهر له ولم
يدخلوا البيوت فأتى قبيل له هذا سورة بن أبحر قد أقبل إليك فخرج في أصحابه
حتى انتهى إلى النهروان فنزلوا به وتوضوا وصلوا ثم أتوا مصارع إخوانهم الذين
قتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام فاستغفروا لإخوانهم وتبرؤا من علي
وأصحابه وبكوا فأطالوا البكاء ثم خرجوا فقطعوا جسر النهروان فنزلوا من
جانبه الشرقي وجاء سورة حتى نزل بقطراثا وجاءته عيونته فأخبرته بمنزل شيب
بالنهروان فدعا رؤس أصحابه فقال إنهم قلما يلقون مصحرين أو على ظهر إلا
انتصفوا منكم وظهروا عليهم وقد حدثت أنهم لا يزيدون على مائة رجل إلا
قليلاً وقد رأيت أن أتنخبكم فأسير في ثلثمائة رجل منكم من أقوياءكم وشجعانكم
فأتيهم الآن إذ هم آمنون لبياتكم فوالله إني لأرجو أن يصرعهم الله مصارع
إخوانهم الذين صرعوا منهم بالنهروان من قبل فقالوا اصنع ما أحببت فاستعمل
على عسكره حازم بن قدامة الحثعمي واتخب من أصحابه ثلاثمائة رجل من
أهل القوة والجلد والشجاعة ثم أقبل بهم نحو النهروان وبات شيب وقد أذكى
الحرس فلما دنا أصحاب سورة منهم نذروا بهم فاستووا على خيولهم وتجنبوا
تبعيتهم فلما انتهى إليهم سورة وأصحابه أصابوهم قد حذروا واستعدوا فحمل
عليهم سورة وأصحابه فثبتوا لهم وضاربوهم حتى صد عنهم سورة وأصحابه ثم صاح
شيب بأصحابه فحمل عليهم حتى تركوا له العرصة وحملوا عليهم معه وجعل شيب
يضرب ويقول

من ينيك العيرينك نياكا جندلتان اصطكتنا اصطكاكا

فرجع سورة إلى عسكره وقد هزم الفرسان وأهل القوة فتحمل بهم حتى أقبل
بهم نحو المدائن فدفع إليهم وقد تحمل وتعدى الطريق الذي فيه شيب واتبعه شيب
وهو يرجو أن يلحقه فيصيب عسكره ويصيب بهزيمته أهل العسكر فأغذ السير
في طلبهم فانتهوا إلى المدائن فدخلوها وجاء شيب حتى انتهى إلى بيوت المدائن

فدفع إليهم وقد دخل الناس وخرج ابن أبي عيفير في أهل المدائن فرماهم الناس بالنبل ورموا من فوق البيوت بالحجارة فارتفع شيب بأصحابه عن المدائن فر على كلوا إذا فأصاب بها دواب كثيرة للحجاج فأخذها ثم خرج يسير في أرض جوخي ثم مضى نحو تكريت فبينما ذلك الجند في المدائن إذ أرجف الناس بينهم فقالوا هذا شيب قد دنا وهو يريد أن يبيت أهل المدائن الليلة فارتحل عامة الجند فلتحقوا بالكوفة (قال أبو مخنف) وحدثني عبد الله بن علقمة الخثعمي قال والله لقد هربوا من المدائن وقالوا نُبِيتُ الليلة وإن شيباً كَتَبْتُكَ ريت قال ولما قدم الفل على الحجاج سرح الجزل بن سعيد بن سُرحبيل بن عمرو الكندي (قال أبو مخنف) حدثنا النضر بن صالح العبسي وفضيل بن خديج الكندي أن الحجاج لما أتاه الفل قال قبح الله سورة ضيع العسكر والجند وخرج بيت الخوارج أما والله لا سوانه وكان بعد قد حبسه ثم عوفي عنه (قال أبو مخنف) وحدثني فضيل بن خديج أن الحجاج دعا الجزل وهو عثمان بن سعيد فقال له تيسر للخروج إلى هذه المارقة فإذا لقيتهم فلا تعجل عجلة الخرق ولا تُحجم إحجام الواني الفرق هل فهمت لله أنت يا أخا بني عمرو بن معاوية فقال نعم أصلح الله الأمير قد فهمت قال له فاخرج فعسكر بدير عبد الرحمن حتى يخرج إليك الناس فقال أصلح الله الأمير لا تبعثن معي أحدا من أهل هذا الجند المفلول المهزوم فإن الرعب قد دخل قلوبهم وقد خشيت أن لا ينفعك والمسلمين منهم أحد قال له فإن ذلك لك ولا أراك الا قد أحسنت الرأي ووقفت ثم دعا أصحاب الدواوين فقال اضربوا على الناس البعث فأخرجوا أربعة آلاف من الناس من كل ربع ألف رجل وأعجلوا ذلك فجمعت العرفاء وجلس أصحاب الدواوين وضربوا البعث فأخرجوا أربعة آلاف فأمرهم بالعسكر فعسكروا ثم نودي فيهم بالرحيل ثم ارتحلوا ونادى منادى الحجاج أن برئت الذمة من رجل أصبناه من هذا البعث متخلفا قال فمضى الجزل بن سعيد وقد قدم بين يديه عياض بن أبي لينة الكندي على مقدمته فخرج حتى أتى المدائن فأقام بها ثلاثا وبعث إليه ابن أبي عصفير بفرس وبرذون

وبغليين وألني درهم ووضع للناس من الجزر والعلف ما كفاهم ثلاثة أيام حتى ارتحلوا فأصاب الناس ما شاءوا من تلك الجزر والعلف الذي وضع لهم ابن أبي عصفير ثم ان الجزل بن سعيد خرج بالناس في أثر شيب فطلبه في أرض جوخي فجعل شيب يريه الهية فيخرج من رستاق إلى رستاق ومن طسوج إلى طسوج ولا يقيم له ارادة أن يفرق الجزل أصحابه ويتعجل اليه فيلقاه في يسير من الناس على غير من تعبية فجعل الجزل لا يسير الا على تعبية ولا ينزل إلا خندق على نفسه خندقا فلما طال ذلك على شيب أمر أصحابه ذات ليلة فسروا (قال أبو مخنف) فحدثني فروة بن لقيط أن شيباً دعانا ونحن بدير بير تاستون ومائة رجل فجعل على كل أربعين من أصحابه رجلا وهو في أربعين وجعل أخاه مصادا في أربعين وبعث سويد بن سليم في أربعين وبعث المحلل بن وائل في أربعين وقد آتته عيونته فأخبرته ان الجزل بن سعيد قد نزل ديري زدجرد قال فدعانا عند ذلك فعبانا هذه التعبية وأمرنا فعلقنا على دوابنا وقال لنا تيسروا فإذا قضمت دوابكم فاركبوا وليسر كل امرئ منكم مع أميره الذي أمرناه عليه ولينظر كل امرئ منكم ما يأمره أميره فليتبعه ودعا أمراءنا فقال لهم إني أريد أن أبيت هذا العسكر الليلة ثم قال لأخيه مصاداتهم فارتفع من فوقهم حتى تأتتهم من ورائهم من قبل حلوان وسأتتهم أنا من أمامي من قبل الكوفة وأتهم أنت يا سويد من قبل المشرق وأتهم أنت يا محلل من قبل المغرب وليج كل امرئ منكم على الجانب الذي يحمل عليه ولا تقلعوا عنهم تحملون وتكرون عليهم وتصيحون بهم حتى يأتكم امرئ فلم نزل على تلك التعبية وكنت أنا في الأربعين الذين كانوا معي حتى إذا قضمت دوابنا وذلك أول الليل أول ما هدأت العيون خرجنا حتى انتهينا إلى دير الخرارة فإذا للقوم مسلحة عليهم عياض بن أبي لينة فما هو إلا أن انتهينا اليهم فحمل عليهم مصاد أخو شيب في أربعين رجلا وكان أمام شيب وقد كان أراد أن يسبق شيبا حتى يرتفع عليهم ويأتهم من ورائهم كما أمره فلما لقي هؤلاء قاتلهم فصبروا ساعة وقاتلهم ثم اتانا فدفعنا اليهم جميعا فحملنا عليهم فهزمناهم وأخذوا الطريق

الأعظم وليس بينهم وبين عسكرهم بدير يزدجرد إلا قريب من ميل فقال لنا شيب اركبوا معاشر المسلمين أكتافهم حتى تدخلوا معهم عسكرهم إن استطعتم فأبعناهم والله ملظين بهم ملحين عليهم ما تُرْفه عنهم وهم منهزمون ما لهم همة إلا عسكرهم فأنهوا إلى عسكرهم ومنعهم أصحابهم أن يدخلوا عليهم ورشقونا بالنبل وكانت عيونهم قد أمتهم فأخبرتهم بمكاننا وكان الجزل قد خندق عليه وتحرز ووضع هذه المسلحة الذين لقميناهم بدير الخرارة ووضع مسلحة أخرى مما يلي حلوان على الطريق فلما أن دفعنا إلى هذه المسلحة التي كانت بدير الخرارة فالحقناهم بعسكر جماعتهم رجعت المسالح الأخرى حتى اجتمعت ومنعها أهل العسكر دخول العسكر وقالوا لهم قاتلوا ونضحوا عنكم بالنبل (قال أبو مخنف) وحدثني جرير ابن الحسين الكندي قال كان على المسلحتين الأخرتين عاصم بن حبر على التي تلي حلوان وواصل بن الحارث السكوني على الأخرى فلما أن اجتمعت المسالح جعل شيب يحمل عليها حتى اضطرها إلى الخندق ورشقهم أهل العسكر بالنبل حتى ردوهم عنهم فلما رأى شيب أنه لا يصل إليهم قال لأصحابه سيروا ودعوهم فمضى على الطريق نحو حلوان حتى إذا كان قريباً من موضع قباب حسين بن زفر من بني بدر بن فزارة وإنما كانت قباب حسين بن زفر بعد ذلك قال لأصحابه انزلوا فأقضموا وأصلحوا نبلكم وتروحووا وصلوا ركعتين ثم اركبوا فنزلوا ففعلوا ذلك ثم إنه أقبل بهم راجعاً إلى عسكر أهل الكوفة أيضاً وقال سيروا على تعبيتكم التي عبأتكم عليها بدير بير ما أول الليل ثم أطيفوا بعسكرهم كما أمرتكم فأقبلوا قال فأقبلنا معه وقد أدخل أهل العسكر مسالحهم إليهم وقد آمنونا فما شعروا حتى سمعوا وقع حوافر خيولنا قريباً منهم فأنهينا إليهم قبيل الصبح فأحطنا بعسكرهم ثم صيحننا بهم من كل جانب فإذا هم يقاتلوننا من كل جانب ويرموننا بالنبل ثم إن شيباً بعث إلى أخيه مصاد وهو يقاتلهم من نحو الكوفة أن أقبل إلينا واخل لهم سبيل الطريق إلى الكوفة فأقبل إليه وترك ذلك الوجه وجعلنا نقاتلهم من تلك الوجوه الثلاثة حتى أصبحنا فأصبحنا ولم نستفل منهم شيئاً

فسرنا وتركناهم فملوا بصيحوون بنا أين يا كلاب النار أين أيتها العصابة المارقة
أصبحوا نخرج اليكم فارتفعنا عنهم نحواً من ميل ونصف ثم نزلنا فصلينا الغداة
ثم أخذنا الطريق على براز الروز ثم مضينا إلى جرجرايا وما يليها فأقبلوا في طلبنا
(قال أبو مخنف) فحدثني مولى لنا يدعى غاضرة أو قيصر قال كنت مع الناس
تاجراً وهم في طلب الحرورية وعلينا الجزل بن سعيد فجعل يتبعهم فلا يسير إلا
على تعب ولا ينزل إلا على خندق وكان شبيب يدعه ويضرب في أرض جوخي
وغيرها يكسر الخراج وطال ذلك على الحجاج فكتب إليه كتاباً فقرأ على الناس
أما بعد فإني بعثت في فرسان أهل مصر ووجوه الناس وأمرتك باتباع هذه المارقة
الضالة المضلة حتى تلقاها فلا تفلح عنها حتى تقتلها وتفتنها فوجدت التعريس في القرى
والتخيم في الخنادق أهون عليك من المضي لما أمرتك به من مناهضتهم ومناجزتهم
والسلام فقرأ الكتاب علينا ونحن بقطرانا ودير أبي مریم فشق ذلك على الجزل وأمر
الناس بالسير فخرجوا في طلب الخوارج جادين وأرجفنا بأمرنا وقلنا يعزل (قال أبو
مخنف) فحدثني اسماعيل بن نعيم الهمداني ثم البرسمي أن الحجاج بعث سعيد بن
المجالد على ذلك الجيش وعهد إليه إن لقيت المارقة فازحف اليهم ولا تناظرهم ولا تطاولهم
وواقفهم واستعن بالله عليهم ولا تصنع صليح الجزل واطلبهم طلب السبع وحذ
عنهم حيدان الضبع وأقبل الجزل في طلب شبيب حتى انتهى إلى النهر وان فأدركوه
فلزم عسكره وخندق عليه وجاء إليه سعيد بن المجالد حتى دخل عسكر أهل الكوفة
أميراً فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفة إنكم قد
عجزتم ووهتم وأغضبتهم عليكم أميركم أنتم في طلب هذه الأعراب العجف منذ
شهرين وهم قد خربوا بلادكم وكسروا خراجكم وأنتم حاذرون في جوف هذه
الخنادق لا تزايلونها إلا إن يبلغكم أنهم قد ارتحلوا عنكم ونزلوا بلداً سوى بلدكم
أخرجوا على اسم الله اليهم فخرج وأخرج الناس معه وجمع إليه خيول أهل العسكر
فقال له الجزل ما تريد أن تصنع قال أريد أن أقدم على شبيب في هذه الخيل فقال
له الجزل أقم أنت في جماعة الجيش فارتحلوا عنهم وأصحروا له فوالله ليقدمن

عليك فلا تفرق أصحابك فان ذلك شر لهم وخير لك فقال له قف أنت في الصف فقال يا سعيد بن مجالد ليس لي فيما صنعت رأى أنا برىء من رأيك هذا سمع الله ومن حضر من المسلمين فقال هو رأى إن أصبت فإله وفقنى له وإن يكن غير صواب فأنتم منه برآء قال فوقف الجزل في صف أهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق وجعل على ميمنتهم عياض بن أبي لينة الكندى وعلى يسرتهم عبدالرحمن ابن عوف أباحيد الرواسى ووقف الجزل في جماعتهم واستقدم سعيد بن مجالد فخرج وأخرج الناس معه وقد أخذ شبيب إلى برّاز الروز فنزل قطيطيا وأمر دهقانها ان يشتري لهم ما يصلحهم ويتخذ لهم غداء ففعل ودخل مدينة قطيطيا وأمر بالباب فأغلق فلم يفرغ من الغداء حتى أتاه سعيد بن مجالد في أهل ذلك العسكر فصعد الدهقان السور فنظر إلى الجند مقبلين قد دنوا من حصنه فنزل وقد تغير لونه فقال له شبيب ما لي أراك متغير اللون فقال له الدهقان قد جاءتك الجنود من كل ناحية قال لا بأس هل أدرك غداؤنا قال نعم قال فقربه وقد أغلق الباب وأتى بالغداء فتغدى وتوضأ وصلى ركعتين ثم دعا ببغل له فركبه ثم انهم اجتمعوا على باب المدينة فأمر بالباب ففتح ثم خرج على بغلة فحمل عليهم وقال لا حكم إلا للحكم الحكيم أنا أبو مدله اثبتوا ان شتمت وجعل سعيد يجمع قومه وخيله ثم يدلفها في أثره ويقول ما هؤلاء إنما هم أكلة رأس فلما رآهم شبيب قد تقطعوا وانتشروا الف خيله كلها ثم جمعها ثم قال استعرضوهم استعراضاً وانظروا إلى أميرهم فوالله لا يقتله أو يقتلنى وحمل عليهم مستعرضاً لهم فهزمهم وثبت سعيد ابن المجالد ثم نادى أصحابه إلى إلى أنا ابن ذى مران وأخذ قلنسوته فوضعها على قربوس سرجه وحمل عليه شبيب فعممه بالسيف فخالط دماغه فخرميتا وانهم ذلك الجيش وقتلوا كل قتلة حتى انتهوا إلى الجزل ونزل الجزل ونادى أيها الناس إلى وناداهم عياض بن أبي لينة أيها الناس إن كان أميركم القادم قد هلك فأمركم الميمون النقيبة المبارك حتى أم يمتم فقاتل الجزل قتالا شديداً حتى حمل من بين القتلى فحمل إلى المدائن مرتثاً وقد قدم فل أهل ذلك العسكر الكوفة وكان من أشد

الناس بلاء يومئذ خالد بن نهيك من بني ذهل بن معاوية وعياض بن أبي لينة حتى استنقذاه وهو مرتث هذا حديث طائفة من الناس والحديث الآخر قتالهم فيما بين دير أبي مریم إلى براز الروز ثم ان الجزل كتب إلى الحجاج قال وأقبل شبيب حتى قطع دجلة عند الكرخ وبعث إلى سوق بغداد فأمنهم وذلك اليوم يوم سوقهم وكان بلغه أنهم يخافونه فأحب أن يؤمنهم وكان أصحابه يريدون أن يشتروا من السوق دواب وثيابا وأشياء ليس لهم منها بد ثم أخذ بهم نحو الكوفة وساروا أول الليل حتى نزلوا عقر الملك الذي يلي قصر ابن هبيرة ثم أخذ السير من الغد فبات بين حمام عمر بن سعد وبين قبين فلما بلغ الحجاج مكانه بعث إلى سويد بن عبد الرحمن السعدي فبعثه في ألقي فارس نقاوة وقال له اخرج إلى شبيب فآلقه واجعل ميمنة وميسرة ثم انزل إليه في الرجال فإن استطرد ذلك فدعه ولا تتبعه فخرج فعسكر بالسبخة فبلغه أن شيبيا قد أقبل فأقبل نحوه وكأنما يساقون إلى الموت وأمر الحجاج عثمان بن قطن فعسكر بالناس بالسبخة ونادى ألا برئت الذمة من رجل من هذا الجند بات الليلة بالكوفة لم يخرج إلى عثمان بن قطن بالسبخة وأمر سويد بن عبد الرحمن أن يسير في الألفين اللذين معه حتى يلقي شيبيا فعبر بأصحابه إلى زُرارة وهو يعبثهم ويحرضهم إذ قيل له قد غشيك شبيب فنزل ونزل معه جل أصحابه وقدم رايته ومضى إلى أقصى زرارة فأخبر أن شيبيا قد أخبر بمكانك فركك ووجد مخاضة فعبر الفرات وهو يريد الكوفة من غير الوجه الذي أنت به ثم قيل له أما تراهم فنادى في أصحابه فركبوا في آثارهم وإن شيبيا أتى دار الرزق فنزلها فليل له إن أهل الكوفة بأجمعهم معسكرون بالسبخة فلما بلغهم مكان شبيب صاح بعضهم ببعض وجالوا وهموا أن يدخلوا الكوفة حتى قيل لهم إن سويد بن عبد الرحمن في آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم في الخيل (قال هشام) وأخبرني عمر بن بشر قال لما نزل شبيب الدير أمر بغنم تهبأ له فصعد الدهقان ثم نزل وقد تغير لونه فقال مالك قال قد والله جاءك جمع كثير قال أبلغ الشواء بعد قال لا قال دعه قال ثم أشرف اشرافة أخرى فقال قد والله احاطوا

بالجوسق قال هات شواءك فجعل يأكل غير مكترث لهم فلما فرغ توضأ وصلى بأصحابه
الاولى ثم تقلد سيفين بعد ما لبس درعه وأخذ عمود حديد ثم قال اسرجوا لي
البعلة فقال أخوه مصاد أفى هذا اليوم تسرج بعلة قال نعم اسرجوها فركبها ثم قال
يا فلان أنت على الميمنة وأنت يا فلان على الميسرة وقال لمصاد أنت في القلب وأمر
الدهقان ففتح الباب في وجوههم قال نخرج اليهم وهو يحكم فجعل سعيد وأصحابه
يرجعون القهقري حتى صار بينهم وبين الدير نحو من ميل قال وجعل سعيد
يقول يا معشر همدان أنا ابن ذى مروان إلى إلى ووجه سر يا مع ابنه وقد أحس
أنها تكون عليه فنظر شبيب إلى مصاد فقال أثكلنيك الله ان لم أئكله ولده قال ثم
علاه بالعمود فسقط ميتا وانهم أصحابه وما قتل بينهم يومئذ الا قتيل واحد قال
وانكشف أصحاب سعيد بن مجالد حتى أتوا الجزل فناداهم الجزل أيها الناس إلى
إلى وناداهم عياض بن أبي لينة أيها الناس إن يكن أميركم هذا القادم قدهلك فهذا
أميركم الميمون النقية أقبوا إليه وقاتلوا معه فمنهم من أقبل إليه ومنهم من ركب
رأسه منهزما وقاتل الجزل قتالا شديدا حتى صرع وقاتل عنه خالد بن نهبك
وعياض بن أبي لينة حتى استنقذاه وهو مرتث وأقبل الناس منهزمين حتى دخلوا
الكوفة فأتى بالجزل حتى أدخل المدائن وكتب إلى الحجاج بن يوسف قال
أبو مخنف حدثني بذلك ثابت مولى زهير أما بعد فإني أخبر الأمير أصلحه الله إني
خرجت فيمن قبلي من الجند الذي وجهني فيه إلى عدوه وقد كنت حفظت عهد
الأمير إلى فيهم ورأيت فسكنت أخرج إليهم إذا رأيت الفرصة وأحبس الناس
عندهم إذا خشيت الورطة فلم أزل كذلك ولقد أرادني العدو بكل إرادة فلم يصب
مني غرة حتى قدم على سعيد بن مجالد رحمة الله عليه ولقد أمرته بالتودة ونهيته
عن العجلة وأمرته أن لا يقاتلهم إلا في جماعة الناس عامة فعصاني وتعجل إليهم
في الخيل فأشهدت عليه أهل المصرين إني بريء من رأيه الذي رأى وإني لأهوى
ما صنع فمضى فأصيب تجار الله عنه ودفع الناس إلى فنزلت ودعوتهم إلى ورفعت
لهم رأيتي وقاتلت حتى صرعت لحماني أصحابي من بين القتلى فما أفقت إلا وأنا على

أيديهم على رأس ميل من المعركة فأنا اليوم بالمدائن في جراحة قد يموت الرجل من دونها ويعافى من مثلها فليسأل الأمير أصلحه الله عن نصيحتي له ولجنده وعن مكايدي عدوه وعن موثقي يوم البأس فإنه يستبين له عند ذلك انى قد صدقته ونصحت له والسلام فكتب إليه الحجاج أما بعد فقد أتاني كتابك وقرأته وفهمت كل ما ذكرت فيه وقد صدقتك في كل ما وصفت به نفسك من نصيحتك لأميرك وحيطتك على أهل مصرك وشدتك على عدوك وقد فهمت ما ذكرت من أمر سعيد وعجلته إلى عدوه فقد رضيت بعجلته وتودتك فأما عجلته فإنها أفضت به إلى الجنة وأما تودتك فإنها لم تدع الفرصة إذا أمكنت وترك الفرصة إذا لم تمكن حزم وقد أصبت وأحسن البلاء وأجرت وأنت عندي من أهل السمع والطاعة والنصيحة وقد أشخصت إليك حيان بن أبجر ليداويك ويعالج جراحتك وبعثت إليك بألني درهم فأنفقها في حاجتك وما ينوبك والسلام فقدم عليه حيان بن أبجر الكنانى من بنى فراس وهم يعالجون الكى وغيره فكان يداويه وبعث إليه عبد الله ابن أبي عصفير بألف درهم وكان يعودده ويتعاهده باللطف والهدية قال وأقبل شبيب نحو المدائن فعلم أنه لاسبيل له إلى أهلها مع المدينة فأقبل حتى انتهى إلى الكرخ فعبّر دجلة إليه وبعث إلى أهل سوق بغداد وهو بالكرخ أن اثبتوا فى سوقكم فلا بأس عليكم وكان ذلك يوم سوقهم وقد كان بلغه أنهم يخافونه قال ويخرج سويد حتى جعل بيوت مزينة وبنى سلیم فى ظهره وظهور أصحابه وحمل عليهم شبيب حملة منكرة وذلك عند المساء فلم يقدر منهم على شيء فأخذ على بيوت الكوفة نحو الخيرة وأتبعه سويد لا يفارقه حتى قطع بيوت الكوفة كلها إلى الخيرة وأتبعه سويد حتى انتهى إلى الخيرة فيجده قد قطع قنطرة الخيرة ذاهبا فتركه وأقام حتى أصبح وبعث إليه الحجاج أن أتبعه فأتبعه ومضى شبيب حتى أغار فى أسفل الفرات على من وجد من قومه وارتفع فى البر من وراء خفان فى أرض يقال لها الغلظة فيصيب رجالا من بنى الورثة فحمل عليهم فاضطروهم إلى جدد من الأرض فجعلوا يرمونه وأصحابه بالحجارة من حجارة الأرحاء كانت حولهم فلما نفدت

وصل إليهم فقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً منهم حنظلة بن مالك ومالك بن حنظلة وحران ابن مالك كلهم من بني الورثة (قال أبو مخنف) حدثني بذلك عطاء بن عرفة بن زياد بن عبد الله الورثي ومضى شبيب حتى يأتي بني أبيه على اللصف ماء لرهطه وعلى ذلك الماء الفزر بن الأسود وهو أحد بني الصلت وهو الذي كان ينهى شيباً عن رأيه وأن يفسد بني عمه وقومه فكان شبيب يقول والله لئن ملكت سبعة أعنة لأغزون الفزر فلما غشيم شبيب في الخيل سأل عن الفزر فاتقاه الفزر فخرج على فرس لا تجارى من وراء البيوت فذهب عليها في الأرض وهرب منه الرجال ورجع وقد أخاف أهل البادية حتى أخذ على القَطَطَانَةَ ثم على قصر مقاتل ثم أخذ على شاطئ الفرات حتى أخذ على الحصاصة ثم على الأنباة ثم مضى حتى دخل دقوقاء ثم ارتفع إلى أداني آذربيجان فتركه الحجاج وخرج إلى البصرة واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة فما شعر الناس بشيء حتى جاء كتاب من ماذرواسب دهقان بابل مهروذ وعظيمها إلى عروة بن المغيرة بن شعبة أن تاجراً من تجار الأنبار من أهل بلادى أتاني فذكر أن شيبياً يريد أن يدخل الكوفة في أول هذا الشهر المستقبل أحببت إعلامك ذلك لترى رأيك ثم لم ألبث إلا ساعة حتى جاءني جايان من جباتي فحدثاني أنه قد نزل خانيجار فأخذ عروة كتابه فأدرجه وسرح به إلى الحجاج بالبصرة فلما قرأه الحجاج أقبل جوادا إلى الكوفة وأقبل شبيب يسير حتى انتهى إلى قرية يقال لها حربى على شاطئ دجلة فعبر منها فقال ما اسم هذه القرية فقالوا حربى فقال حرب يَصلى بها عدوكم وحرب تدخلونه بيوتهم إنما يتطير من يقوف ويعيف ثم ضرب رايته وقال لأصحابه سيروا فأقبل حتى نزل عَقْرُ قَوْفا فقال له سويد بن سليم يا أمير المؤمنين لو تحوَّلت بنا من هذه القرية المشؤمة الاسم قال وقد تطيرت أيضاً والله لا أتحوَّل عنها حتى أسير إلى عدوى منها إنما شؤمها إن شاء الله على عدوكم تحملون عليهم فيها فالعقر لهم ثم قال لأصحابه يا هؤلاء إن الحجاج ليس بالكوفة وليس دون الكوفة إن شاء الله شيء فسيروا بنا فخرج يبادر الحجاج إلى الكوفة وكتب عروة إلى الحجاج

أن شيئا قد أقبل مسرعا يريد الكوفة فالعجل العجل فطوى الحجاج المنازل واستبقا إلى الكوفة ونزلها الحجاج صلاة الظهر ونزل شبيب السبخة صلاة المغرب فصلى المغرب والعشاء ثم أصاب هو وأصحابه من الطعام شيئا يسيرا ثم ركبوا خيولهم فدخلوا الكوفة فجاء شبيب حتى انتهى إلى السوق ثم شد حتى ضرب باب القصر بعموده قال أبو المنذر رأيت ضربة شبيب باب القصر قد أثرت أثرا عظيما ثم أقبل حتى وقف عند المصطبة ثم قال

وكان حافرًا بكل نخيلة
كيل يكيل به شحيح مُعْدِم
عبد دعي من ثمود أصله
لا بل يُقال أبو أيهم يُقْدِم

ثم اقتحموا المسجد الأعظم وكان كثيرا لا يفارقه قوم يصلون فيه فقتل عقيل ابن مصعب الوادعي وعدى بن عمرو الثقفي وأباليث بن أبي سليم مولى عنبسة ابن أبي سفيان وقتلوا أزهري بن عبد الله العامري ومروا بدار حوشب وهو على الشرط فوقفوا على بابه وقالوا إن الأمير يدعو حوشبا فأخرج ميمون غلامه بردون حوشب ليركبه حوشب فكأنه أنكرهم فظنوا أنه قد اتهمهم فأراد أن يدخل فقالوا له كما أنت حتى يخرج صاحبك فسمع حوشب الكلام فأنكر القوم فخرج اليهم فلما رأى جماعتهم أنكرهم وذهب لينصرف فعجلوا نحوه ودخل وأغلق الباب وقتلوا غلامه ميمونة وأخذوا بردونه ومضوا حتى مروا بالجحاف بن نبيط الشيباني من رهط حوشب فقال له سويد انزل إلينا فقال له ما تصنع بنزولي قال له سويد أفضيك ثمن البكرة التي كنت ابتعت منك بالبادية فقال له الجحاف بئس ساعة القضاء هذه الساعة وبئس قضاء الدين هذا المكان أما ذكرت أماتك إلا والليل مظلم وأنت على ظهر فرسك قبج الله يا سويد دينا لا يصلح ولا يتم إلا بقتل ذوى القرابة وسفك دماء هذه الأمة قال ثم مضوا فمروا بمسجد بني ذهل فلقوا ذهل بن الحارث وكان يصلي في مسجد قومه فيطيل الصلاة فصادفوه منصرفا إلى منزله فشدوا عليه ليقتلوه فقال اللهم إني أشكو إليك هؤلاء وظلمهم وجهلهم اللهم إني عنهم ضعيف فانتصر لي منهم فضر بهم حتى قتلوه ثم مضوا حتى خرجوا من

الكوفة متوجهين نحو المردمة (قال هشام) قال أبو بكر بن عياش واستقبله
النضر بن قعقاع بن شور الذهلي وأمه ناجية بنت هانئ بن قبيصة بن هانئ الشيباني
فأبطره حين نظر إليه قال يعني بقوله أبطره أفزعه فقال السلام عليك أيها الأمير
ورحمة الله قال له سويد مبادرا أمير المؤمنين ويك فقال أمير المؤمنين حتى خرجوا
من الكوفة متوجهين نحو المردمة وأمر الحجاج المنادي فنادى يا خيل الله اركبي
وابشري وهو فوق باب القصر و ثم مصباح مع غلام له قائم فكان أول من جاء
إليه من الناس عثمان بن قطن بن عبد الله بن الحصين ذى النخعة ومعه مواله وناس
من أهله فقال أنا عثمان بن قطن أعدوا الأمير مكاني فليأمر بأمره فقال له ذلك
الغلام قف مكانك حتى يأتيك أمر الأمير وجاء الناس من كل جانب ويات عثمان
فيمن اجتمع إليه من الناس حتى أصبح ثم إن الحجاج بعث بسر بن غالب الأسدي
من بني والبة في ألفي رجل وزائدة بن قدامة الثقفي في ألفي رجل وأبا الضريس
مولى بني تميم في ألف من الموالى وأعين صاحب حمام أعين مولى بسر بن مروان
في ألف رجل وكان عبد الملك بن مروان قد بعث محمد بن موسى بن طلحة علي
ببجستان وكتب له عليها عهده وكتب إلى الحجاج أما بعد فاذا قدم عليك محمد بن
موسى فجهز معه ألفي رجل إلى ببجستان وعجل سراجه وأمر عبد الملك محمد بن موسى
بمكاتبة الحجاج فلما قدم محمد بن موسى جعل يتحسر في الجهاز فقال له نصحاؤه
تعجل أيها الأمير إلى عملك فانك لا تدري ما يكون من أمر الحجاج وما يبدوله
فأقام علي حاله وحدث من أمر شيب ما حدث فقال الحجاج لمحمد بن موسى بن
طلحة بن عبيد الله تاق شيبا وهذه الخارجة فتجاهدهم ثم تمضى إلى عملك وبعث
الحجاج مع هؤلاء الأمراء أيضا عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كرز القرشي
وزياد بن عمرو العتكي وخرج شيب حيث خرج من الكوفة فأتى المردمة وبها
رجل من حضر موت على العشور يقال له ناجية بن مرثد الحضرمي فدخل الحمام
ودخل عليه شيب فاستخرجه فضرب عنقه واستقبل شيب النضر بن القعقاع
ابن شور وكان مع الحجاج حين أقبل من البصرة فلما طوى الحجاج المنازل خلفه

وراه فلباراه شيب ومعه أصحابه عرفه فقال له شيب يانضر بن القعقاع لاحكم
 إلا الله وإنما أراد شيب بمقالته له تلقينه فلم يفهم النضر فقال إن الله وإناليه راجعون
 فقال أصحاب شيب يا أمير المؤمنين كأنك إنما تريد بمقالتك أن تلقنه فشدوا على
 نضر فقتلوه قال واجتمعت تلك الأمراء في أسفل الفرات فترك شيب الوجه
 الذي فيه جماعة أو تلك القواد وأخذ نحو القادسية ووجه الحجاج زحر بن قيس
 في جريدة خيل نقاوة ألف وثمانمائة فارس وقال له اتبع شيبا حتى تواقعه حيثما
 أدركته إلا أن يكون منطلقا ذاهبا فتركه ما لم يعطف عليك أو ينزل فيقيم لك فلا تبرح
 إن هو أقام حتى تواقعه فخرج زحر حتى انتهى إلى السليمانين وبلغ شيبا مسيره
 إليه فأقبل نحوه فالتقيا فجعل زحر على ميمته عبد الله بن كناز النهدي وكان شجاعا
 وعلى يسرته عدى بن عدى بن عميرة الكندي ثم الشيباني وجمع شيب خيله كلها
 كبكة واحدة ثم اعترض بها الصف فوجف وجيفا واضطرب حتى انتهى إلى
 زحر بن قيس فنزل زحر بن قيس فقاتل زحر حتى صرع وانهم أصحابه وظن
 القوم أنهم قد قتلوه فلما كان في السحر وأصابه البرد قام يتمشى حتى دخل قرية
 فبات بها وحمل منها إلى الكوفة وبوجهه ورأسه بضعة عشر جراحة من بين ضربة
 وطعنة فمكث أياما ثم أتى الحجاج وعلى وجهه وجراحه القطن فأجلسه الحجاج
 معه على السرير وقال لمن حوله من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة يتمشى بين
 الناس وهو شهيد فليظر إلى هذا وقال أصحاب شيب لشيب وهم يظنون أنهم قد قتلوا
 زحرا قد هزمناهم جندا وقتلناهم أميرامن أمراهم عظيما وانصرف بنا الآن وافرین
 فقال لهم ان قتلنا هذا الرجل وهزيمتنا هذا الجند قد أربعت هذه الأمراء والجنود
 التي بعثت في طلبكم فاتصدوا بنا تصدم فوالله إن نحن قتلناهم مادون الحجاج
 من شيء وأخذ الكوفة إن شاء الله فقالوا نحن لرأيك سمع تبع ونحن طوع يدك قال
 فانتقض بهم جوادا حتى يأتي نجران وهي نجران الكوفة ناحية عين التمر ثم سأل
 عن جماعة القوم فنجبر باجتماعهم برؤذبار في أسفل الفرات في بهباز الأسفل على
 رأس أربعة وعشرين فرسخا من الكوفة فبلغ الحجاج مسيره إليهم فبعث إليهم

عبد الرحمن بن الغرق مولى ابن أبي عقيل وكان على الحجاج كريما فقال له الحق
بجماعتهم يعنى جماعة الأمراء فاعلمهم بمسير المارقة اليهم وقل لهم إن جمعكم قتال
فأمير الناس زائدة بن قدامة فأتاهم بن الغرق فأعلمهم ذلك وانصرف عنهم (قال
أبو مخنف) فحدثني عبد الرحمن بن جندب قال انتهى الينا شيب وفينا سبعة أمراء
على جماعتهم زائدة بن قدامة وقد عبي كل أمير أصحابه على حدة فني ميمنتنا زياد بن
عمر و العتكي وفي ميسرتنا بشر بن غالب الأسدي وكل أمير واقف في أصحابه فأقبل
شيب حتى وقف على تل فأشرف على الناس وهو على فرس له كُميت أغر فنظر
إلى تعبيتهم ثم رجع إلى أصحابه فأقبل في ثلاث كتائب يوجفون حتى إذا دنا من
الناس مضت كتيبة فيها سويد بن سليم فتقف في ميمنتنا ومضت كتيبة فيها مصاد
أخو شيب فوقف على ميسرتنا وجاء شيب في كتيبة حتى وقف مقابل القلب قال
وخرج زائدة بن قدامة يسير في الناس فيما بين ميمنتهم إلى ميسرتهم يحرّض الناس
ويقول يا عباد الله أنتم الكثيرون الطيبون وقد نزل بكم القليلون الخبيثون فاصبروا
جعلت لكم الفداء لكرتين أو ثلاث تكرون عليهم ثم هو النصر ليس بينه حاجز
ولادونه شيء ألا ترون اليهم والله ما يكونون مأتى رجل إنما هم أكلة رأس إنما هم
السراق المراق إنما جاؤكم ليهر يقوا دماءكم ويأخذوا فياكم فلا يكونوا على أخذه
أقوى منكم على منعه وهم قليل وأنتم كثير وهم أهل فرقة وأنتم أهل جماعة غضوا
الابصار واستقبلوهم بالأسنة ولا تحملوا عليهم حتى أمركم ثم انصرف إلى موقفه
قال ويحمل سويد بن سليم على زياد بن عمرو فانكشف صفهم وثبت زياد في
نحو من نصف أصحابه ثم ارتفع عنهم سويد قليلا ثم كر عليهم ثانية ثم اطعنوا
ساعة (قال أبو مخنف) فحدثني فروة بن لقيط قال أنا والله فيهم يومئذ قال اطعنا ساعة
وصبروا لنا حتى ظننت أنهم لن يزولوا وقاتل زياد بن عمرو قتالا شديدا وجعل ينادى
يا حيل ويشد بالسيف فيقاتل قتالا شديدا فلقد رأيت سويد بن سليم يومئذ وإنه لأشجع
العرب وأشده قتالا وما يعرض له قال ثم إننا ارتفعنا عنهم آخر فإذا هم يتقوضون فقال
له أصحابه ألا ترهم يتقوضون أحمل عليهم فقال لهم شيب خلوهم حتى يخفوا فتركهم قليلا

ثم حمل عليهم الثالثة فانهزموا فنظرت إلى زياد بن عمرو وإنه ليضرب بالسيف
وما من سيف يُضرب به إلا نبا عنه وهو مجفف ولقد رأيتُه اعتوره أكثر من
عشرين سيفاً فاضره من ذلك شيء ثم إنه انهزم وقد جرح جراحة يسيرة وذلك
عند المساء قال ثم شددنا على عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فهزمناه وما قاتلنا كثير
قتال وقد ضارب ساعة وقد بلغني أنه كان جرح ثم لحق بزياد بن عمرو فمضيا منهزمين
حتى انتهينا إلى محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب فقاتلنا قتالاً شديداً وصبر لنا
(ذكر هشام) عن أبي مخنف قال حدثني عبد الرحمن بن جندب وقروة بن لقيط
ان أخا شيب مصاد اهل على بشر بن غالب وهو في الميسرة فأبلى وكرم والله
وصبر فنزل ونزل معه رجال من أهل الصبر نحو من خمسين فضاربوا بأسيابهم حتى
قتلوا عن آخرهم وكان فيهم عروة بن زهير بن ناجد الأزدي وأمه زرارة امرأة
ولدت في الأزدي فيقال لهم بنو زرارة فلما قتلوه وانهم أصحابه مالوا فشدوا على
أبي الضريس مولى بني تميم وهو يلي بشر بن غالب فهزموه حتى انتهى إلى موقف
أعين ثم شدوا عليه وعلى أعين جميعاً فهزمواهما حتى انتهوا بهما إلى زائدة بن قدامة
فلما انتهوا إليه نزل ونادى يا أهل الإسلام الأرض الأرض إلى إلى لا يكونوا
على كفرهم أصبر منكم على إيمانكم فقاتلهم عامة الليل حتى كان السحر ثم إن شيباً
شد عليه في جماعة من أصحابه فقتله وأصحابه وتركهم ربيعة حوله من أهل الحفاظ
(قال أبو مخنف) وحدثني عبد الرحمن بن جندب قال سمعت زائدة بن قدامة ليلتذ
رافعاً صوته يقول يا أيها الناس اصبروا وصابروا يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا
الله ينصركم ويثبت أقدامكم ثم والله ما برح يقاتلهم مقبلاً غير مدبر حتى قتل (قال
أبو مخنف) وحدثني فروة بن لقيط أن أبا الصقر الشيباني ذكر أنه قتل زائدة بن
قدامة وقد حابه في ذلك آخر يقال له الفضل بن عامر قال ولما قتل شيب زائدة
ابن قدامة دخل أبو الضريس وأعين جوسقا عظيماً وقال شيب لأصحابه ارفعوا
السيف عن الناس وادعواهم إلى البيعة فدعواهم إلى البيعة عند الفجره قال عبد الرحمن
ابن جندب فكنت فيمن قدم إليه فبايعه وهو واقف على فرس وخيله واقفة

دونه فكل من جاء ليبايعه نُزع سيفه عن عاتقه وأخذ سلاحه منه ثم يُثنى من شبيب فيسلم عليه يا مرة المؤمنين ثم يخلى سبيله قال وإنا لكذلك إذ انفجر الفجر ومحمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله في أقصى العسكر معه عصا به من أصحابه قد صبروا فلما انفجر الفجر أمر مؤذنه فأذن فلما سمع شبيب الأذان قال ما هذا فقال هذا محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله لم يبرح فقال قد ظننت أن حمقه وخيلاءه سيحمله على هذا نحو أهولاء عنا وانزلوا بنا فلنصل قال فنزل فأذن هو ثم استقدم فصلى بأصحابه فقرا وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ - و - أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْتُمُ بِالْإِيمَانِ الَّذِي يَأْتِيهِ الْمَالُ مِنْ غَيْرِ فَهَلْ يُؤْتِيهِ الْوَجْهَ الْكَاذِبَ وَلَا يُخْفِيهِ فِي الْوَجْهِ الْكَافِرِ - قال فثبت طائفة من أصحابه وثبت طائفة قال فروة فما أنسى قوله وقد غشيناه وهو يقاتل بسيفه وهو يقول ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين قال وضارب حتى قتل قال فسمعت أصحابي يقولون إن شيبا هو الذي قتله ثم إننا نزلنا فأخذنا ما كان في العسكر من شيء وهرب الذين كانوا بايعوا شيبا فلم يبق منهم أحد وقد ذكر من أمر محمد بن موسى بن طلحة غير أبي مخنف أمراً غير الذي ذكرته عنه والذي ذكر من ذلك أن عبد الملك بن مروان كان ولي محمد بن موسى بن طلحة سجستان فكتب إليه الحجاج إنك عامل كل بلد مررت به وهذا شبيب في طريقك فعدل إليه محمد فأرسل إليه شبيب إنك امرؤ مخدوع قد اتقى بك الحجاج وأنت جار لك حق فانطلق لما أمرت به ولك الله لا آذيتك فأبى إلا محاربتة فواقفه شبيب وأعاد إليه الرسول فأبى إلا قتاله فدعا إلى البراز فبرز إليه البطين ثم قنعب ثم سويد فأبى إلا شيبا فقالوا لشبيب قد رغب عنا إليك قال فما ظنكم هذه الأشراف فبرز إليه شبيب وقال إني أنشدك الله في دمك فان لك جواراً فأبى إلا قتاله فحمل عليه شبيب فضربه بعصا حديد فيها اثنا عشر رطلا بالشامى فهشم بها بيضة عليه ورأسه فسقط ثم كفنه ودفنه وابتاع ما غنموا من عسكره فبعث به إلى أهله واعتذر إلى أصحابه وقال هو جارى بالكوفة ولي أن أهب ما غنمت لأهل الردة * قال عمر بن شبة قال أبو عبيدة كان محمد بن موسى

مع عمر بن عبيد الله بن معمر بفارس وشهد معه قتال أبي فديك وكان على ميمنته
وشهر بالنجدة وشدة البأس وزوجه عمر بن عبيد الله بن معمر ابنته أم عثمان
وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان فولاه سجستان فر بالكوفة وبها الحجاج
ابن يوسف فقيل للحجاج إن صار هذا إلى سجستان مع نجدة وصهره لعبد الملك
فلجأ إليه أحد من تطلب منك منه قال فما الحيلة قيل تأتيه وتسلم عليه وتذكر نجدة
وبأسه وأن شيباً في طريقه وأنه قد أعياك وأنت ترجو أن يريح الله منه على يده
فيكون له ذكر ذلك وشهرته ففعل فعدل إليه محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله
فواقعه شيب فقال له شيب إنى قد عدت خداع الحجاج وإنما اغترت ووقى بك
نفسه وكأني بأصحابك لو قد التقت حلقاً البطان قد أسلموك فصرعت مصرع
أصحابك فأطعنى وانطلق لشأنك فاني أنفست بك عن الموت فأبى محمد بن موسى
فبارزه شيب فقتله (رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف) قال عبد الرحمن لقد
كان فيمن بايعه تلك الليلة أبو بردة بن أبي موسى الأشعري فلما بايعه قال له شيب
أأنت أبا بردة قال بلى قال شيب لأصحابه يا أخلاًنى أبو هذا أحد الحكمين فقالوا
ألا نقتل هذا فقال إن هذا لا ذنب له فيما صنع أبوه قالوا أجل قال وأصبح شيب
فأتى مقبلاً نحو القصر الذى فيه أبو الضريس وأعين فرموه بالنبل وتحصنا منه
فأقام ذلك اليوم عليهم ثم شخص عنهم فقال له أصحابه مادون الكوفة أحد يمنعنا
فنظر فإذا أصحابه قد خرجوا فقال لهم ما عليكم أكثر مما قد فعلتم فخرج بهم على
نفر ثم على الصراة ثم على بغداد ثم خرج إلى خانيجار فأقام بها قانى ولما بلغ
الحجاج أن شيباً قد أخذ نحو نفر ظن أنه يريد المدائن وهى باب الكوفة ومن
أخذ المدائن كان مافى يده من أرض الكوفة أكثر فهاج ذلك الحجاج وبعث إلى
عثمان بن قطن ودعاه وسرجه إلى المدائن وولاه منبرها والصلاة ومعونة جوخى
كلها وخراج الأستان فخرج مسرعاً حتى نزل المدائن وعزل الحجاج عبد الله بن
أبي عصفير وكان بها الجزل مقبلاً أشهراً يداوى جراحته وكان ابن أبي عصفير
يعوده ويكرمه فلما قدم عثمان بن قطن المدائن لم يعده ولم يكن يتعاهده ولا
يلطفه بشيء فقال الجزل اللهم زد ابن عصفير جورداً وكرماً وفضلاً وزد عثمان

ابن قطن ضيقاً وبخلاً قال ثم إن الحجاج دعا عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال له انتخب الناس واخرج في طلب هذا العدو فأمره بنخبة ستة آلاف فانتخب فرسان الناس ووجوههم وأخرج من قومه ستمائة من كندة وحضرموت واستحثه الحجاج بالعسكر فعسكر بدير عبد الرحمن فلما أراد الحجاج أشخاصهم كتب اليهم أما بعد فقد اعتدتم عادة الأذلاء ووليتم الدبر يوم الزحف وذلك دأب الكافرين وإني قد صفحت عنكم مرة بعد مرة ومرة بعد مرة وإني أقسم لكم بالله قسماً صادقاً إن عدتم لذلك لأوقعن بكم إيقاعاً أكون أشد عليكم من هذا العدو الذي تهربون منه في بطون الأودية والشعاب وتستترون منه بأثناء الأنهار والوادي الجبال تخاف من له معقول على نفسه ولم يجعل عليها سيلاً وقد أعذر من أنذر وقد أسمعت لَو نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِن لَاحِيَاةً لِمَن تَنَادَى

والسلام عليكم قال ثم سرح ابن الأصم مؤذنه فأتى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عند طلوع الشمس فقال له ارتحل الساعة وناد في الناس أن برئت الذمة عن رجل من هذا البعث وجدناه متخلفاً فخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في الناس حتى مر بالمداين فنزل بها يوماً وليلة وتشرى أصحابه حوائجهم ثم نادى في الناس بالرحيل فارتحلوا ثم أقبلوا حتى دخل على عثمان بن قطن ثم أتى الجزل فسأله عن جراحته وسأله ساعة وحدثه ثم إن الجزل قال له يا ابن عم إنك تسير إلى فرسان العرب وأبناء الحرب وأحلاس الخيل والله لكأنما خلقوا من ضلوعها ثم بنوا على ظهورها ثم هم أسد الأجم الفارس منهم أشد من مائة إن لم تبدأ به بدأ وإن هُجِهَ أقدم فإني قد قاتلتهم وبلوتهم فإذا أصحرت لهم اتصفوا مني وكان لهم الفضل على وإذا خندقت على وقاتلتهم في مضيق نلت منهم بعض ما أحب وكان لي عليهم الظفر فلا تلقهم وأنت تستطيع إلا في تبقية أو في خندق ثم إنه ودعه فقال له الجزل هذه فرسي الفسيفساء خذها فإنها لا تجاري فأخذها ثم خرج بالناس نحو شبيب فلما دنا منه ارتفع عنه شبيب إلى دقوقاء وشهرزور فخرج عبد الرحمن في طلبه حتى إذا كان على الزخوم أقام وقال إنما هو في أرض الموصل فليقاتلوا

عن بلادهم أو ليدعوه فكتب اليه الحجاج بن يوسف أما بعد فاطلب شييا
واسلك في أثره أين سلك حتى تدركه فقتله أو تنفيه فانما السلطان سلطانُ
أمير المؤمنين والجنود جنده والسلام نخرج عبد الرحمن حين قرأ كتاب الحجاج
في طلب شيب فكان شيب يدعه حتى اذا دنا منه بيته فيجد قد خندق على نفسه وحذر
فيمضي ويدعه فيتبعه عبد الرحمن فاذا بلغه أنه قد تحمل وأنه يسير أقبل في الخيل
فاذا انتهى إليه وجده قد صف الخيل والرجال وأدنى المرامية فلا يصيب له غرة
ولاله علة فيمضي ويدعه قال ولما رأى شيب أنه لا يصيب لعبد الرحمن غرة
ولا يصل إليه جعل يخرج إذا دنا منه عبد الرحمن في خيله فينزل على مسيرة عشرين
فرسخا ثم يقيم في أرض غليظة جدبة فيجىء عبد الرحمن فاذا دنا من شيب ارتحل
شيب فسار خمسة عشر أو عشرين فرسخا فنزل منزلا غليظا خشنا ثم يقيم حتى
يدنو عبد الرحمن (قال أبو مخنف) فحدثني عبد الرحمن بن جندب أن شييا كان قد
عذب ذلك العسكر وشق عليهم وأحنى دوابهم ولقوامه كل بلاء فلم يزل عبد الرحمن
يتبعه حتى مر به على خانتقين ثم على جلولاء ثم على تامرا ثم أقبل حتى نزل البت
قرية من قرى الموصل على تخوم الموصل ليس بينها وبين سواد الكوفة إلا نهر
يسمى حولا يا قال وجاء عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث حتى نزل في نهر حولا يا
وفي زاذان الأعلى من أرض جوخي ونزل عواقيل من النهر ونزلها عبد الرحمن
حيث نزلها وهي تعجبه يرى أنها مثل الخندق والحصن قال وأرسل شيب إلى
عبد الرحمن ان هذه الأيام أيام عيدنا ولكم فإن رأيتم أن توادعونا حتى تمضي
هذه الأيام فافعلوا فقال له عبد الرحمن نعم ولم يكن شيء أحب إلى عبد الرحمن من
المطالبة والموادعة قال وكتب عثمان بن قطن إلى الحجاج أما بعد فإني أخبر
الأمير أصلحه الله أن عبد الرحمن بن محمد قد حفر جوخي كلها خندقا واحدا وخلي
شييا وكسر خراجها وهو يأكل أهلها والسلام فكتب اليه الحجاج أما بعد فقد
فهمت ما ذكرت لي عن عبد الرحمن وقد لعمرى فعل ما ذكرت فسر إلى الناس
فأنت أميرهم وعاجل المارقة حتى تلقاهم فإن الله إن شاء الله ناصرهم والسلام ٥

قال وبعث الحجاج إلى المدائن مطرف بن المغيرة بن شعبة وخرج عثمان حتى قدم على عبدالرحمن بن محمد ومن معه من أهل الكوفة وهم معسكرون على نهر جولايا قريبا من البت عشية الثلاثاء وذلك يوم التروية فنادى الناس وهو على بغلة أيها الناس اخرجوا إلى عدوكم فوثب إليه الناس فقالوا نشدك الله هذا المساء قد غشينا والناس لم يوطنوا أنفسهم على القتال فبت الليلة ثم اخرج بالناس على تعبية فجعل يقول لا ناجزتهم ولتكونن الفرصة لي أولهم فأتاهم عبدالرحمن فأخذ بعنان دابته وناشده الله لما نزل وقال له عقيل بن شداد السلولى إن الذى تريد من مناجزتهم الساعة أنت فاعله غداً وهو غدا خير لك وللناس إن هذه ساعة ريح وغبرة وقد أمسيت فانزل ثم أبكر بنا إليهم غدوة فنزل فسفت عليه الريح وشق عليه الغبار ودعا صاحب الخراج العلوج فبنوا له قبة فبات فيها ثم أصبح يوم الأربعاء فجاء أهل البت إلى شبيب وكان قد نزل ببيعتهم فقالوا له أصلحك الله أنت ترحم الضعفاء وأهل الجزية ويكلمك من تلى عليه ويشكون إليك ما نزل بهم فتتظر لهم وتكف عنهم وإن هؤلاء القوم جبابرة لا يكلمون ولا يقبلون العذر والله لئن بلغهم أنك مقیم فی بيعتنا ليقتلنا إن قضى لك أن ترتحل عنا فإن رأيت فانزل جانب القرية ولا تجعل لهم علينا مقالا قال فإني أفعل ذلك بكم ثم خرج فنزل جانب القرية قال فبات عثمان ليلته كلها يحرضهم فلما أصبح وذلك يوم الأربعاء خرج بالناس فاستقبلتهم ريح شديدة وغبرة فصاح الناس إليه فقالوا نشدك الله أن تخرج بنا في هذا اليوم فإن الريح علينا فأقام بهم ذلك اليوم وأراد شبيب قتالهم وخرج أصحابه فلما رأهم لم يخرجوا إليه فأقام فلما كان ليلة الخميس خرج عثمان فعبى الناس على أرباعهم فجعل كل ربيع في جانب العسكر وقال لهم اخرجوا على هذه التعبية وسألهم من كان على ميمتكم قالوا نخالد بن نهيك بن قيس الكندى وكان على ميسرتنا عقيل بن شداد السلولى فدعاهما فقال لهما قفا مراقفكما التي كنتما بها فقد وليتكما المجنبتين فائتبارا ولا تفرأفوا الله لا أزول حتى يزول نخل زاذان عن أصوله فقالا ونحن والله الذى لا إله إلا هو لا نفر حتى نظفر أو نقتل فقال لهما جزا كما الله خيرا ثم أقام حتى صلى بالناس الغداة

ثم خرج فجعل ربع أهل المدينة تميم وهدان نحو نهر حولايا في الليسرة وجعل ربع كندة وربيعة ومدحج وأسد في الميمنة ونزل يمشى في الرجال وخرج شبيب وهو يومئذ في مائة وأحد وثمانين رجلا فقطع إليهم النهر فكان هو في ميمنة أصحابه وجعل على ميسرته سويد بن سليم وجعل في القلب مصاد بن يزيد أخاه وزحفوا وسما بعضهم لبعض (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح العبيسي أن عثمان كان يقول فيكثر لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا أين المحافظون على دينهم المحامون عن فيثهم فقال عقيل بن شداد بن حبشي السلولي لعل أن أكون أحدهم قتل أولئك يوم روذبار ثم قال شبيب لأصحابه إني حامل على ميسرتهم مما يلي النهر فإذا هزمتها فليحمل صاحب ميسرتي على ميمنتهم ولا يبرح صاحب القلب حتى يأتيه أمرى وحمل في ميمنة أصحابه مما يلي النهر على ميسرة عثمان بن قطن فانهزموا ونزل عقيل بن شداد فقاتل حتى قُتل وقُتل يومئذ مالك بن عبد الله الحمداني ثم المرهبي عم عياش بن عبد الله بن عياش المتوفى وجعل يومئذ عقيل بن شداد يقول وهو يجالدهم

لأضربن بالحسام الباتر ضرب غلام من سلول صابر

ودخل شبيب عسكرهم وحمل سويد بن سليم في ميسرة شبيب على ميمنة عثمان ابن قطن فهزمها وعليها خالد بن نهيك بن قيس الكندي فنزل خالد فقاتل قتالا شديدا وحمل عليه شبيب من ورائه وهو على ربع كندة وربيعة يومئذ وهو صاحب الميمنة فلم ينثن شبيب حتى علاه بالسيف فقتله ومضى عثمان بن قطن وقد نزلت معه العرفاء وأشراف الناس والفرسان نحو القلب وفيه أخو شبيب في نحو من ستين رجلا فلما دنا منهم عثمان بن قطن شد عليهم في الأشراف وأهل الصبر فصار يومهم حتى فرقوا بينهم وحمل شبيب بالخيول من ورائهم فاشعروا إلا والرماح في أكتافهم تكبهم لوجوههم وعطف عليهم سويد بن سليم أيضا في خيله ورجع مصاد وأصحابه وقد كان شبيب رجلهم فاضطربوا ساعة وقاتل عثمان بن قطن فأحسن القتال ثم إنهم شدوا عليهم فأحاطوا به وحمل عليه مصاد أخو شبيب

فضربه ضربة بالسيف استدار لها ثم قال وكان أمرُ الله مفعولا ثم إن
الناس قتلوه وُقِل يومئذ الأبرد بن ربيعة الكندي وكان على تلٍ فالتى
سلاحه إلى غلامه وأعطاه فرسه وقاتل حتى قتل ووقع عبد الرحمن فرآه ابن
أبي سبرة الجعفي وهو على بغلة فعرفه فنزل إليه فناوله الرمح وقال له اركب فقال
عبد الرحمن بن محمد أينا الرديف قال ابن أبي سبرة سبحان الله أنت الأمير تكون
المقدم فركب وقال لابن أبي سبرة ناد في الناس الحقوا بدير أبي مریم فنادى ثم
انطلقا ذاهبين ورأى واصل بن الحارث السكوني فرس عبد الرحمن الذي حمله
عليه الجزلُ يجول في العسكر فأخذها بعض أصحاب شيب فظن أنه قد هلك فطلبه
في القتلى فلم يجده وسأل عنه فقيل له قد رأينا رجلا قد نزل عن دابته فحمله عليها
فما أخلقه أن يكون إياه وقد أخذها آتفاً فاتبعه واصل بن الحارث على بردونه
ومع واصل غلامه على بغل فلما دنوا منهما قال محمد بن أبي سبرة لعبد الرحمن
قد والله لحق بنا فارسان فقال عبد الرحمن فهل غيرُ اثنين فقال لا فقال عبد الرحمن
فلا يعجز اثنان عن اثنين قال وجعل يحدث ابن أبي سبرة كأنه لا يكثر
بهما حتى لحقهما الرجلان فقال له ابن أبي سبرة رحمك الله قد لحقنا الرجلان فقال
له فانزل بنا فنزلا فانتضيا سيفيهما ثم مضيا اليهما فلما رأهما واصل عرفهما فقال
لها إنكما قد تركتما النزول في موضعه فلا تنزلا الآن ثم حسر العمامة عن وجهه
فعرّاه فرحبا به وقال لابن الأشعث إني لما رأيت فرسك يجول في العسكر
ظننتك راجلا فأنتك ببردوني هذا لتركه فترك لابن أبي سبرة بغلته وركب
البردون وانطلق عبد الرحمن بن الأشعث حتى نزل دير اليعار وأمر شيب
أصحابه فرفعوا عن الناس السيف ودعاهم إلى البيعة فأتاه من بقى من الرجال
فبايعوه وقال له أبو الصقر المحلمي قتل من الكوفيين سبعة في جوف التهر كان
آخرهم رجلا تعلق بثوبي وصاح ورهبنى حتى رهبت ثم إني أقدمت عليه فقتلته
وقتل من كندة مائة وعشرون يومئذ وألف من سائر الناس أوسمائة وقاتل عظم
العرفاء يومئذ (قال أبو مخنف) حدثني قدامة بن حازم بن سفيان الحثعمي أنه

قتل منهم يومئذ جماعة ويات عبد الرحمن بن محمد تلك الليلة بدير اليعار فأتاه فارسان فصعدا اليه فوق البيت وقام آخرُ قريبا منهما فخلا أحدهما بعبد الرحمن طويلاً يناجيه ثم نزل هو وأصحابه وقد كان الناس يتحدثون أن ذلك كان شيباً وأنه قد كان كاتبه ثم خرج عبد الرحمن آخر الليل فسار حتى أتى دير أبي مریم فاذا هو بأصحاب الخيل قد وضع لهم محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة صبر الشعير والقَتَّ بعضه على بعض كأنه القصور ونحر لهم من الجزر ما شاؤوا فأكلوا يومئذ وعلفوا دوابهم واجتمع الناس إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقالوا له ان سمع شيب بمكانك أتاك وكنت له غنيمة قد ذهب الناس وتفرقوا وقتل خيارهم فالحق أيها الرجل بالكوفة فخرج إلى الكوفة ورجع الناس أيضاً وجاء فاخترني من الحجاج حتى أخذ الأمان بعد ذلك (وفي هذه السنة) أمر عبد الملك بن مروان بنقش الدنانير والدرهم (ذكر الواقدي) ان سعد بن راشد حدثه عن صالح بن كيسان بذلك قال وحدثني ابن أبي الزناد عن أبيه أن عبد الملك ضرب الدرهم والدنانير عامئذ وهو أول من أحدث ضربها قال وحدثني خالد بن أبي ربيعة عن أبي هلال عن أبيه قال كانت مثاقيل الجاهلية التي ضرب عليها عبد الملك اثنين وعشرين قيراطاً إلا حبة وكان العشرة وزن سبعة قال وحدثني عبد الرحمن ابن جرير اللثي عن هلال بن أسامة قال سألت سعيد بن المسيب في كم تجب الزكاة من الدنانير قال في كل عشرين مثقالاً بالشأى نصف مثقال قلت ما بال الشأى من المصرى قال هو الذي تُضرب عليه الدنانير وكان ذلك وزن الدنانير قبل أن تضرب الدنانير كانت اثنين وعشرين قيراطاً إلا حبة قال سعيد قد عرفته قد أرسلت بدنانير إلى دمشق فضربت على ذلك (وفي هذه السنة) وفد يحيى ابن الحكم على عبد الملك بن مروان وولى أبان بن عثمان المدينة في رجب (وفيها) استقضى أبان بن نوفل بن مساحق بن عمرو بن خدش من بني عامر بن لؤى (وفيها) وُلد مروان بن محمد بن مروان (وأقام الحج) للناس في هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير على المدينة حدثني بذلك احمد بن ثابت عن

ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وكان على الكوفة
والبصرة الحجاج بن يوسف وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد وعلى قضاء
الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة زرارة بن أوفى

ثم دخلت سنة سبع وسبعين

(ففي هذه السنة) قتل شبيب عتاب بن ورقاء الرياحي وزهرة بن حوية

ذكر الخبر عن سبب مقتلهما

وكان سبب ذلك فيما ذكر هشام عن أبي مخنف عن عبد الرحمن بن جندب
وفروة بن لقيط ان شيبيا لما هزم الجيش الذي كان الحجاج وجهه مع عبد الرحمن
ابن محمد بن الأشعث اليه وقتل عثمان بن قطن وذلك في صيف وحر شديد
اشتد الحر عليه وعلى أصحابه فأتى ما بهراذان فتصيف بها ثلاثة أشهر وأتاه
ناس كثير ممن يطلب الدنيا فالحقوا به وناس ممن كان الحجاج يطلبهم بمال أو
تباعات كان منهم رجل من الحمي يقال له الحر بن عبد الله بن عوف وكان
دهقانان من أهل نهر دريقط قد أساء آ إليه وضيقا عليه فشد عليهما فقتلتهما
ثم لحق بشبيب فكان معه بماه وشهد معه موطنه حتى قُتل فلما آمن الحجاج كل
من كان خرج إلى شبيب من أصحاب المال والتباعات وذلك بعد يوم السبغة
خرج إليه الحر فيمن خرج فجاء أهل الدهقانين يستعدون عليه الحجاج فأتى به
فدخل وقد أوصى ويثس من نفسه فقال له الحجاج يا عدو الله قتلت رجلين من
أهل الخراج فقال له قد كان أصلحك الله ما هو أعظم من هذا فقال وما هو قال
خروجي من الطاعة وفراق الجماعة ثم آمنت كل من خرج إليك فهذا أمانى
وكتابك لي فقال له الحجاج أولى لك قد لعمرى فعلت وخلي سييله قال ولما انفسخ
الحر عن شبيب خرج من ماه في نحو من ثمانمائة رجل فأقبل نحو المدائن وعليها
مُطرف بن المغيرة بن شعبة فجاء حتى نزل قناطر حذيفة بن اليمان فكتب
ماذروا سب عظيم بابل مهروزي إلى الحجاج أما بعد فإني أخبر الأمير أصلحه الله أن

شيئاً قد أقبل حتى نزل قناطر حذيفة ولا أدري أين يريد هـ فلما قرأ الحجاج كتابه قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس والله لتقاتلن عن بلادكم وعن فينكم أو لا بعنن إلى قوم هم أطوع وأسمع وأصبر على الأواء والغيظ منكم فيقاتلون عدوكم ويأكلون فيأكم فقام إليه الناس من كل جانب فقالوا نحن نقاتلهم ونعتب الأمير فليندبنا الأمير إليهم فإننا حيث سره وقام إليه زهرة بن حوية وهو شيخ كبير لا يستم قائماً حتى يؤخذ يده فقال له أصلح الله الأمير إنك إنما تبعث إليهم الناس متقطعين فاستنفر الناس إليهم كافة فلينفر إليهم كافة وابعث عليهم رجلاً ثباتاً شجاعاً مجرباً للحرب ممن يرى الفرار هضماً وعاراً والصبر مجداً وكرماً فقال الحجاج فأنت ذاك فاخرج فقال أصلح الله الأمير إنما يصلح للناس في هذا رجل يحمل الرمح والدرع ويهز السيف ويثبت على متن الفرس وأنا لا أطيق من هذا شيئاً وقد ضعف بصري وضعفت ولكن أخرجني في الناس مع الأمير فإني إنما أثبت على الراحة فأكون مع الأمير في عسكره وأشير عليه برأيي فقال له الحجاج جزاك الله عن الإسلام وأهله في أول الإسلام خيراً وجزاك الله عن الإسلام في آخر الإسلام خيراً فقد نصحت وصدقت أنا فأخرج الناس كافة إلا فسيروا أيها الناس فانصرف الناس فعملوا يسيرون وليس يدرون من أميرهم وكتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان أما بعد فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن شيئاً قد شارف المدائن وإنما يريد الكوفة وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة في كلها يقتل أمراءهم ويفل جنودهم فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إلى أهل الشام فيقاتلوا عدوهم ويأكلوا بلادهم فليفعل والسلام فلما أتى عبد الملك كتابه بعث إليه سفيان بن الأبرد في أربعة آلاف وبعث إليه حبيب بن عبد الرحمن الحكيم من مذحج في ألفين فسرهم حين أتاه الكتاب إلى الحجاج وجعل أهل الكوفة يتجهزون إلى شيب ولا يدرون من أميرهم وهم يقولون يبعث فلاناً أو فلاناً وقد بعث الحجاج إلى عتاب بن ورقاء ليأتيه وهو على خيل الكوفة مع المهلب وقد كان ذلك الجيش من أهل الكوفة هم الذين كان بشر بن مروان بعث

عبد الرحمن بن مخنف عليهم إلى قطرى فلم يلبث عبد الرحمن بن مخنف إلا نحواً من شهرين حتى قدم الحجاج على العراق فلم يلبث عليهم عبد الرحمن بن مخنف بعد قدوم الحجاج إلا رَجَب وشعبان وقتل قطرى عبد الرحمن في آخر رمضان فبعث الحجاج عتاب بن ورقاء على ذلك الجيش من أهل الكوفة الذين أصيب فيهم عبد الرحمن ابن مخنف وأمر الحجاج عتاباً بطاعة المهلب فكان ذلك قد كبر على عتاب ووقع بينه وبين المهلب شر حتى كتب عتاب إلى الحجاج يستغفیه من ذلك الجيش ويضمه إليه فلما أن جاءه كتاب الحجاج بإتيانه سر بذلك قال ودعا الحجاج أشراف أهل الكوفة فيهم زهرة بن حوية السعدي من بني الأعرج وقيصة بن ورقاء التغلبي فقال لهم من ترون أن أبعث على هذا الجيش فقالوا رأيتك أيها الأمير أفضل قال فإني قد بعثت إلى عتاب بن ورقاء وهو قادم عليكم الليلة أو القابلة فيكون هو الذي يسير في الناس قال زهرة بن حوية أصلح الله الأمير رَمَيْتَهُمْ بِحَجَرِهِمْ لا والله لا يرجع إليك حتى يظفر أو يقتل وقال له قيصة بن ورقاء إني مشير عليك برأي فان يكن خطأ فبعد اجتهادي في النصيحة لأمر المؤمنين وللأمر ولعامة المسلمين وإن يك صواباً فالله سددني له إنا قد تحدثنا وتحدث الناس أن جيشاً قد فصل إليك من قبل الشام وأن أهل الكوفة قد هزموا وقلوا واستخفوا بالصبر وهان عليهم عار الفرار فقلوبهم كأنها ليست فيهم كأنما هي في قوم آخرين فإن رأيت أن تبعث إلى جيشك الذي أمددت به من أهل الشام فإخذوا حذرهم ولا يبيتوا إلا وهم يرون أنهم مبيتون فعلت فإنك تحارب حولاً قلباً ظعانا رحالاً وقد جهزت إليه أهل الكوفة ولست واثقاً بهم كل الثقة وإنما إخوانهم هؤلاء القوم الذين بعثوا إليك من الشام أن شيباً بيناهو في أرض إذ هو في أخرى ولا آمن أن يأتهم وهم غارون فإن يهلكوا يهلك ويهلك العراق فقال الله أنت ما أحسن ما رأيت وما أحسن ما أشرت به علي قال فبعث عبد الرحمن ابن الغرق مولى أبي عقيل إلى من أقبل إليه من أهل الشام فأتاهم وقد نزلوا هيت بكتاب من الحجاج أما بعد فاذا حاذيتهم هيت فدعوا طريق الفرات والأنبار وخذوا

على عين التمر حتى تقدموا الكوفة إن شاء الله وخذوا حذرکم وعلجوا السير والسلام فأقبل القوم سراعا قال وقدم عتاب بن ورقاء في الليلة التي قال الحجاج إنه قادم عليكم فيها فأمره الحجاج بخرج بالناس فمسك بهم بحمام أعين وأقبل شيب حتى انتهى إلى كَلْوَاذَا فقطع منها دجلة ثم أقبل حتى نزل مدينة بهر سير الدنيا فصار بينه وبين مطرف بن المغيرة بن شعبة جسر دجلة فلما نزل شيب مدينة بهر سير قطع مطرف الجسر وبعث إلى شيب أن ابعث إلى رجالا من وجوه أصحابك أدارسهم القرآن وأنظر فيما تدعو اليه فبعث اليه شيب رجالا من وجوه أصحابه فيهم قعنب وسويد والمحلل فلما أرادوا أن ينزلوا في السفينة بعث اليهم شيب ألا تدخلوا السفينة حتى يرجع إلى رسولي من عند مطرف فرجع الرسول وبعث إلى مطرف أن ابعث إلى من أصحابك بعدد أصحابي يكونوا رهنا في يدي حتى ترد علي أصحابي فقال مطرف لرسوله القه وقل له كيف آمنتك أنا على أصحابي إذا أنا بعثهم الآن اليك وأنت لا تأمنني على أصحابك فرجع الرسول إلى شيب فأبلغه فأرسل اليه شيب أنك قد علمت أنا لا نستحل الغدر في ديننا وأتم تفعلونه وتستحلونه فبعث اليه مطرف الربيع بن يزيد الأسدي وسليمان بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني ويزيد بن أبي زياد مولاه وصاحب حرسه فلما صاروا في يدي شيب سرح اليه أصحابه فأتوا مطرفا فمكثوا أربعة أيام يتراسلون ثم لم يتفقوا على شيء فلما تبين لشيب أن مطرفا غير تابعه ولا داخل معه تهيأ للمسير إلى عتاب بن ورقاء وإلى أهل الشام (قال أبو مخنف) فحدثني فروة بن لقيط أن شيباً دعا رؤوس أصحابه فقال لهم انه لم يثبطني على رأي قد كنت رأيتة الا هذا الثقبى منذ أربعة أيام قد كنت حدثت نفسي أن أخرج في جريدة خيل حتى ألقى هذا الجيش المقبل من الشام رجاء أن أصادف غرتهم أو يحذروا فلا أباي كنت ألقاهم منقطعين من مصر ليس عليهم أمير كالحجاج يستندون اليه ولا مصر كالكوفة يعتصمون به وقد جاءني عيون في اليوم فخبروني أن أوائلهم قد دخلوا عين التمر فهم الآن قد شارفوا الكوفة وجاءني عيون من نحو عتاب بن ورقاء فحدثوني

أنه قد نزل بجماعة أهل الكوفة الصرارة فما أقرب ما بيننا وبينهم فتيسروا بنا
 للمسير إلى عتاب بن ورقاء قال وخاف مطرف أن يبلغ خبره وما كان من إرساله
 إلى شبيب الحجاج فخرج نحو الجبال وقد كان أراد أن يقيم حتى ينظر ما يكون
 بين شبيب وعتاب فأرسل إليه شبيب أما اذ لم تبايعني فقد نبذت إليك على سواء
 فقال مطرف لأصحابه اخرجوا بنا وافرین فإن الحجاج سيقاتلنا فيقاتلنا وبننا
 قوة أمثل فخرج ونزل المدائن فعقد شبيب الجسر وبعث إلى المدائن أخاه مصاداً
 وأقبل إليه عتاب حتى نزل بسوق حكمة وقد أخرج الحجاج جماعة أهل الكوفة
 مقاتلتهم ومن شط إلى الخروج من شبابهم وكانت مقاتلتهم أربعين ألفاً سوى
 الشباب ووافى مع عتاب يومئذ أربعون ألفاً من المقاتلة وعشرة آلاف من
 الشباب بسوق حكمة فكانوا خمسين ألفاً ولم يدع الحجاج قرشياً ولا رجلاً من
 بيوتات العرب إلا أخرجه (قال أبو مخنف) فحدثني عبد الرحمن بن جندب
 قال سمعت الحجاج وهو على المنبر حين وجه عتاباً إلى شبيب في الناس وهو
 يقول يا أهل الكوفة اخرجوا مع عتاب بن ورقاء بأجمعكم لا أرخص لأحد
 من الناس في الإقامة إلا رجلاً قد وليناه من أعمالنا إلا إن للصابر المجاهد الكرامة
 والآثرة إلا وان للناكل الهارب الهوان والجفوة والذي لا اله غيره لئن فعلتم
 في هذا الموطن كفعلكم في المواطن التي كانت لأولينكم كنا خشناً ولا عرككم
 بكلكل ثقيل ثم نزل وتوافت الناس مع عتاب بسوق حكمة (قال أبو مخنف) فحدثني
 فروة بن لقيط قال عرضنا شبيب بالمدائن فكنا ألف رجل فقام فينا فحمد الله
 وأثنى عليه ثم قال يا معشر المسلمين إن الله قد كان ينصركم عليهم وأنتم مائة ومائتان
 وأكثر من ذلك قليلاً وأنقص منه قليلاً فأنتم اليوم مئون ومئون إلا إلى مصلى
 الظهر ثم سائر بكم فصلى الظهر ثم نودي في الناس يا خيل الله اركبي وأبشري فخرج
 في أصحابه فأخذوا يتخلفون ويتأخرون فلما جاوزنا ساباط ونزلنا معه نص علينا
 وذكرنا بأيام الله وزهدنا في الدنيا ورغبنا في الآخرة ساعة طويلة ثم أمر مؤذنه
 فأذن ثم تقدم فصلى بنا العصر ثم أقبل حتى أشرف بنا على عتاب بن ورقاء وأصحابه

فلما أن رآهم من ساعته نزل وأمر مؤذنه فأذن ثم تقدم فصلى بنا المغرب وكان مؤذنه سلام بن سيار الشيباني وكانت عيون عتاب بن ورقاء قد جاءوه فأخبروه أنه قد أقبل إليه فخرج بالناس كلهم فعبأهم وكان قد خندق أول يوم نزل وكان يظهر كل يوم أنه يريد أن يسير إلى شيبب بالمدائن فبلغ ذلك شيبباً فقال أسير إليه أحب إلي من أن يسير إلى فاتاه فلما صف عتاب الناس بعث على ميمنته محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وقال يا ابن أخي إنك شريف فاصبر وصابر فقال أما أنا فوالله لأقاتلن مائتت معي إنسان وقال لقيصة بن وليق وكان يومئذ على ثلث بني تغلب اكفنى الميسرة فقال أنا شيخ كبير كثير منى أن أثبت تحت رايته قد انبت منى القيام ما أستطيع القيام إلا أن أقام ولكن هذا عبيد الله بن الحليس ونعيم بن عليم التغليان وكان كل واحد منهما على ثلث من أثلاث تغلب فقال ابعث أيهما أحببت فأيهما بعثت فلتبهن ذا حزم وعزم وغناء فبعث نعيم بن عليم على ميسرته وبعث حنظلة بن الحارث اليربوعي وهو ابن عم عتاب شيخ أهل بيته على الرجالة وصفهم ثلاث صفوف صف فيهم الرجال معهم السيوف وصف وهم أصحاب الرماح وصف فيه المرامية ثم سار فيما بين الميمنة إلى الميسرة يمر بأهل راية راية فيحثهم على تقوى الله ويأمرهم بالصبر ويقص عليهم (قال أبو مخنف) فحدثني حصيرة بن عبد الله أن تميم بن الحارث الأزدي قال وقف علينا فقص علينا قصصاً كثيراً كان مما حفظت منه ثلاث كلمات قال يا أهل الإسلام إن أعظم الناس نصيباً في الجنة الشهداء وليس الله لأحد من خلقه بأحمد منه للصابرين ألا ترون أنه يقول اصبروا إن الله مع الصابرين فمن حمد الله فعله فما أعظم درجته وليس الله لأحد أمقت منه لأهل البغي ألا ترون أن عدوكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه لا يرون إلا أن ذلك لهم قرينة عند الله نهم شرار أهل الأرض وكلاب أهل النار ابن القصاص قال ذلك فلم يجبه والله أحد منا فلما رأى ذلك قال أين من يروى شعر عنترة قال فلا والله ما رد عليه إنسان كلمة فقال إنا لله كافي بكم قد فررتم عن عتاب بن ورقاء وتركتموه تسفي في استه

الريح ثم أقبل حتى جلس في القلب معه زهرة بن حوية جالس وعبدالرحمن بن محمد ابن الأشعث وأبو بكر بن محمد بن أبي جهم العدوي وأقبل شبيب وهو في ستمائة وقد تخلف عنه من الناس أربعمائة فقال له لقد تخلف عنا من لا أحب أن يرى فينا فبعث سويد بن سليم في مائتين إلى الميسرة وبعث المحلل بن وائل في مائتين إلى القلب ومضى هو في مائتين إلى الميمنة بين المغرب والعشاء الآخرة حين أضاء القمر فناداهم لمن هذه الرايات قالوا رايات ربيعة فقال شبيب رايات طالما نصرت الحق و طالما نصرت الباطل لها في كل نصيب والله لاجاهدكم محتسباً للخير في جهادكم أنتم ربيعة وأنا شبيب أنا أبو المدله لا حكم إلا للحكم اثبتوا إن شئتم ثم حمل عليهم وهو على مسناة أمام الخندق ففضهم فثبت أصحاب رايات قبيصة بن وائل وعبيد بن الحليس ونعيم بن عليم فقتلوا وانزمت الميسرة كلها وتنادى أناس من بني تغلب قتل قبيصة بن وائل فقال شبيب قتلتم قبيصة بن وائل التغلبي يامعشر المسلمين قال الله (وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) هذا مثل ابن عمك قبيصة بن وائل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ثم جاء يقاتلكم مع الكافرين ثم وقف عليه فقال ويحك لو ثبت على إسلامك الأول سعدت ثم حمل من الميسرة على عتاب بن ورقاء وحمل سويد بن سليم على الميمنة وعليها محمد بن عبد الرحمن فقاتل في الميمنة في رجال من بني تميم وهمدان فأحسنوا القتال فما زالوا كذلك حتى أتوا فقبل لهم قتل عتاب بن ورقاء فانفضوا ولم يزل عتاب جالسا على طنفسة في القلب وزهرة ابن حوية معه إذ غشيهم شبيب فقال له عتاب يا زهرة بن حوية هذا يوم كثر فيه العدد وقل فيه الغناء والهني على خمسمائة فارس من نحو رجال تميم معي من جميع الناس ألا صابر لعدوه ألا مؤايس بنفسه فانفضوا عنه وتركوه فقال له زهرة أحسنت يا عتاب فعلت فعل مثلك والله والله لو منحتمك كتفك ما كان بقاؤك إلا قليلا أبشر فيني أرجو أن يكون الله قد أهدى إلينا الشهادة عند فناء أعمارنا فقال له جزاك الله خيراً ما جرى امرءاً لمعروف وحائناً على تقوى دنا فلما منه شبيب

وثب في عصاة صبرت معه قليلة وقد ذهب الناس يمينا وشمالا فقال له عمار بن يزيد الكلبي من بني المدينة أصلحك الله إن عبد الرحمن بن محمد قد هرب عنك فانصفق معه أناس كثير فقال له قد فر قبل اليوم ومارأيت ذلك الفتي يبالي ما صنع ثم قاتلهم ساعة وهو يقول ما رأيت كاليوم قط موطننا لم أبتل بمثله قط أقل مقاتلا ولا أكثر هاربا خاذلا فرآه رجل من بني تغلب من أصحاب شيب من بني زيد ابن عمرو يقال له عامر بن عمرو بن عبد عمرو وكان قد أصاب دما في قومه فلحق بشيب وكان من الفرسان فقال لشيب والله إني لأظن هذا المتكلم عتاب بن ورقاء فحمل عليه فطعنه فوق فكان هو ولي قتله ووطئت الخيل زهرة بن حوية فأخذ يذب بسيفه وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يقوم فجاء الفضل بن عامر الشيباني فقتله فأنهى إليه شيب فوجده صريعا فعرفه فقال من قتل هذا فقال الفضل أنا قتله فقال شيب هذا زهرة بن حوية أما والله لئن كنت على ضلالة لرب يوم من أيام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك وعظم فيه غناؤك ولرب خيل للشركين قد هزمتها وسرية لهم قد أغرتها وقرية من قراهم جم أهلها قد افتحتها ثم كان في علم الله أن تقتل ناصرا للظالمين (قال أبو مخنف) فحدثني فروة ابن لقيط قال رأينا والله توجع له فقال رجل من شبان بكر بن وائل والله إن أمير المؤمنين منذ الليلة ليتوجع لرجل من الكافرين قال إنك لست بأعرف بضاللتهم مني ولكني أعرف من قديم أمرهم مالا تعرف مالو ثبتوا عليه كانوا إخوانا وقاتل في المعركة عمار بن يزيد بن شيب الكلبي وقتل أبو خيشمة بن عبد الله يومئذ واستمكن شيب من أهل العسكر والناس فقال ارفعوا عنهم السيف ودعوا إلى البيعة فبايعه الناس من ساعتهم وهربوا من تحت ليلتهم وأخذ شيب يبايعهم ويقول إلى ساعة يهربون وحوى شيب على مافي العسكر وبعث إلى أخيه فأتاه من المدائن فلما وفاه بالعسكر أقبل إلى الكوفة وقد أقام بعسكره بيت قرّة يومين ثم توجه نحو وجه أهل الكوفة وقد دخل سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مذحج فيمن معهما من أهل الشام الكوفة فشدوا للجاج

ظهره فاستغنى بهما عن أهل الكوفة فقام على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد يا أهل الكوفة فلا أعز الله من أراد بكم العز ولا نصر من أراد بكم النصر اخرجوا عنا ولا تشهدوا معنا قتال عدونا الحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ولا تقاتلوا معنا إلا من كان لنا عاملاً ومن لم يكن شهد قتال عتاب بن ورقاء (قالوا أبو مخنف) فحدثني فروة بن لقيط قال والله لخرجنا تتبع آثار الناس فانتهى إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس الهمداني وهما يمشيان كأنى أنظر إلى رأس عبد الرحمن قد امتلأ طينا فصددت عنهما وكرهت أن أذعرهما ولو أنى أودن بهما أصحاب شيب لقتلا مكانهما وقلت في نفسى لئن سقت إلى مثلكما من قومي القتل ما أنا برشيد الرأي وأقبل شيب حتى نزل الصراة (قال أبو مخنف) فحدثني موسى بن سوار أن شيباً خرج يريد الكوفة فانتهى إلى سورا فندب الناس فقال أيكم يأتيني برأس عامل سورا فانتدب له بطينٌ وقعنّب وسويد ورجلان من أصحابه فساروا مغذين حتى انتهوا إلى دار الخراج والعمال في سمرجة فدخلوا الدار وقد كادوا الناس بأن قالوا أجيئوا الأمير فقالوا أى الأمراء قالوا أمير خرج من قبل الحجاج يريد هذا الفاسق شيباً فاغتر بذلك العامل منهم ثم إنهم شهبوا السيوف وحكموا حين وصلوا إليه فضربوا عنقه وقبضوا على ما كان من مال ولحقوا بشيب فلما انتهوا إليه قال ما الذى أتيتمونا به قالوا جئناك برأس الفاسق وما وجدنا من مال والمال على دابة فى بدوره فقال شيب أتيتمونا بفتنة للمسلمين هلم الحربة يا غلام فخرق بها البدور وأمر فنخس بالدابة والمال يتناثر من بدوره حتى وردت الصراة فقال إن كان بقى شيء فاقدفه فى الماء ثم خرج إليه سفيان بن الأبرد مع الحجاج وكان أتاه قبل خروجه معه فقال ابعتنى أستقبله قبل أن يأتك فقال ما أحب أن نفرق حتى ألقاه فى جماعتكم والكوفة فى ظهورنا والحصن فى أيدينا (وفى هذه السنة) دخل شيب الكوفة دخلته الثانية

ذكر الخبر عن ذلك وما كان من حربه بها الحجاج

(قال هشام) حدثني أبو مخنف عن موسى بن سوار قال قدم سبرة بن عبد الرحمن ابن مخنف من الدسكرة الكوفة بعد ما قدم جيش الشام الكوفة وكان مطرف ابن المغيرة كتب إلى الحجاج إن شيبا قد أطل علي فابعث إلى المدائن بعثا فبعث إليه سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف في مائتي فارس فلما خرج مطرف يريد الجبل خرج بأصحابه معه وقد أعلمهم ما يريدوكم ذلك سبرة فلما انتهى إلى دسكرة الملك دعاسبرة فأعلمه ما يريد ودعاه إلى أمره فقال له نعم أنا معك فلما خرج من عنده بعث إلى أصحابه فجمعهم وأقبل بهم فيصافف عتاب بن ورقاء قد قتل وشيبا قد مضى إلى الكوفة فأقبل حتى انتهى إلى قرية يقال لها ييطرى وقد نزل شيب حمام عمر نخرج سبرة حتى يعبر الفرات في معبر قرية شاهي ثم أخذ الظهر حتى قدم على الحجاج فوجد أهل الكوفة مسخوطة عليهم فدخل على سفيان بن الأبرد فقص قصته عليه وأخبره بطاعته وفراقه مطرفا وأنه لم يشهد عتابا ولم يشهد هزيمة في موطن من مواطن أهل الكوفة ولم أزل الأمير عاملا ومعى مائتا رجل لم يشهدوا معى هزيمة قط وهم على طاعتهم لم يدخلوا في فتنة فدخل سفيان إلى الحجاج فخبره بخبر ما قص عليه سبرة بن عبد الرحمن فقال صدق وبرقل له فليشهد معنا لقاء عدونا فخرج إليه فأعلمه ذلك وأقبل شيب حتى نزل موضع حمام أعين ودعا الحجاج الحارث ابن معاوية بن أبي زرعة بن مسعود الثقفي فوجهه في ناس من الشرط لم يكونوا شهدوا يوم عتاب ورجالا كانوا أعمالا في نحو من مائتي رجل من أهل الشام فخرج في نحو من ألف فنزل زرارَةَ وبلغ ذلك شيبا فتعجل إليه في أصحابه فلما انتهى إليه حمل عليه فقتله وهزم أصحابه وجاءت المهزومة فدخلوا الكوفة وجاء شيب حتى قطع الجسر وعسكر دونه إلى الكوفة وأقام شيب في عسكره ثلاثة أيام فلم يكن في أول يوم إلا قتل الحارث بن معاوية فلما كان في اليوم الثاني أخرج الحجاج مواليه وغلبانه عليهم السلاح فأخذوا بأفواه السكك مما يلي الكوفة وخرج أهل الكوفة فأخذوا بأفواه سككهم وخشوا إن لم يخرجوا مؤجدة الحجاج وعبد الملك

ابن مروان وجاء شبيب حتى ابنتى مسجداً في أقصى السبخة مما يلي موقف أصحاب
القت عند الأيوان وهو قائم حتى الساعة فلما كان اليوم الثالث أخرج الحجاج أبا
الورد مولى له عليه تجفاف وأخرج مجففة كثيرة وغلمانا له وقالوا هذا الحجاج
فحمل عليه شبيب فقتله وقال إن كان هذا الحجاج فقد أرحتكم منه ثم إن الحجاج
أخرج له غلامه طهمان في مثل تلك العدة على مثل تلك الهيئة فحمل عليه شبيب
فقتله وقال إن كان هذا الحجاج فقد أرحتكم منه ثم إن الحجاج خرج ارتفاع النهار
من القصر فقال اتوني ببغل أركبه ما بيني وبين السبخة فأتى ببغل محجل فقيل له
إن الأعاجم أصلحك الله تطير أن تركب في مثل هذا اليوم مثل هذا البغل فقال
ادنو دمتي فإن اليوم يوم أغر محجل فركبه ثم خرج في أهل الشام حتى أخذ في سكة
البريد ثم خرج في أعلى السبخة فلما نظر الحجاج إلى شبيب وأصحابه نزل وكان شبيب
في ستمائة فارس فلما رأى الحجاج قد خرج إليه أقبل بأصحابه وجاء سيرة بن عبد الرحمن
إلى الحجاج فقال أين يأمرني الأمير أن أقف فقال قف على أفواه السكك فان
جاءوكم فكان فيكم قتال فقاتلوا فانطلق حتى وقف في جماعة الناس ودعا الحجاج
بكرسى له فقعده عليه ثم نادى يا أهل الشام أنتم أهل السمع والطاعة والصبر واليقين
لا يغابن باطل هؤلاء الأرجاس حثكم غضوا الأبصار واجشوا على الركب
واستقبلوا القوم بأطراف الاسنة فجشوا على الركب وأشرعوا الرماح وكانهم
حره سوداء وأقبل اليهم شبيب حتى إذا دنا منهم عبي أصحابه ثلاثة كراديس كتيبة
معه وكتيبة مع سويد بن سليم وكتيبة مع المحلل بن وائل فقال لسويد احمل عليهم
في خيلك فحمل عليهم فثبتوا له حتى إذا غشى أطراف الاسنة وثبوا في وجهه
ووجوه أصحابه فطعنوا قدما حتى انصرف وصاح الحجاج يا أهل السمع والطاعة
هكذا فافعلوا قدم كرسى يا غلام وأمر شبيب المحلل فحمل عليهم ففعلوا به مثل
ما فعلوا بسويد فناداهم الحجاج يا أهل السمع والطاعة هكذا فافعلوا قدم كرسى
يا غلام ثم إن شيبا حمل عليهم في كتيبة فثبتوا له حتى إذا غشى أطراف الرماح
وثبوا في وجهه فقاتلهم طويلا ثم إن أهل الشام طعنوه قدما حتى ألحقوه بأصحابه

فلما رأى صبرهم نادى ياسويد احمل في خيلك على أهل هذه السكة يعني سكة لحام
جرير لعلك تزيل أهلها عنها فتأتى الحجاج من ورائه ونحمل نحن عليه من أمامه
فانفرد سويد بن سليم فحمل على أهل تلك السكة فرمى من فوق البيوت وأفواه
السكك فانصرف وقد كان الحجاج جعل عروة بن المغيرة بن شعبة في نحو من
ثلثمائة رجل من أهل الشام رذء آله ولأصحابه لثلاثمائة وثمانين ورائه (قال أبو مخنف)
فحدثني فروة بن لقيط أن شيبيا قال لنا يومئذ يا أهل الإسلام إنما شرينا الله ومن شري الله
لم يكبر عليه ما أصابه من الأذى والالم في جنب الله الصبر الصبر شدة كشداتكم في
مواطنكم الكريمة ثم جمع أصحابه فلما ظن الحجاج أنه حامل عليهم قال لأصحابه
يا أهل السمع والطاعة اصبروا لهذه الشدة الواحدة ثم ورب السماء ما شيء دون
الفتح فجتوا على الركب وحمل عليهم شيبب بجميع أصحابه فلما غشيهم نادى الحجاج
بجماعة الناس فوثبوا في وجهه فما زالوا يطعنون ويضربون قدما ويدفعون
شيبيا وأصحابه وهو يقاتلهم حتى بلغوا موضع بُستان زائدة فلما بلغ ذلك
المكان نادى شيبب أصحابه يا أولياء الله الأرض الأرض ثم نزل وأمر أصحابه فنزل
نصفهم وترك نصفهم مع سويد بن سليم وجاء الحجاج حتى انتهى إلى مسجد شيبب ثم قال
يا أهل الشام يا أهل السمع والطاعة هذا أول الفتح والذي نفس الحجاج بيده وصعد
المسجد معه نحو من عشرين رجلا معهم النبل فقال إن دنوا منا فارقوهم فاقتلوا
عامة النهار من أشد قتال في الأرض حتى أقره كل واحد من الفريقين لصاحبه ثم
إن خالد بن عتاب قال للحجاج انذن لي في قتالهم فإني موتور وأنا بمن لا يُتهم في
نصيحة قال فإني قد أذنت لك قال فإني آتيهم من ورائهم حتى أغير على عسكرهم
فقال له افعل ما بدا لك قال فخرج معه بعصابة من أهل الكوفة حتى دخل عسكرهم
من ورائهم فقتل مُصاداً أخا شيبب وقتل غزالة امرأته قتلها فروة بن الدفان
الكلبي وحرق في عسكره وأتى ذلك الخبر الحجاج وشيبيا فأما الحجاج وأصحابه
فكبروا تكبيرة واحدة وأما شيبب فوثب هو وكل راجل معه على خيولهم وقال
الحجاج لأهل الشام شدوا عليهم فإنه قد أتاهم ما أربع قلوبهم فشدوا عليهم

فهم مومم وتخلف شبيب في حامية الناس (قال هشام) فحدثني أصغر الخارجي قال حدثني من كان مع شبيب قال لما انهزم الناس فخرج من الجسر تبعه خيل الحجاج قال فجعل يخفق برأسه فقلت يا أمير المؤمنين التفت فانظر من خلفك قال فالتفت غير مكترث ثم أكب يخفق برأسه قال ودنوا منا فقلنا يا أمير المؤمنين قد دنوا منك قال فالتفت والله غير مكترث ثم جعل يخفق برأسه قال فبعث الحجاج إلى خيله أن دعوه في حرق الله وناره فتركوه ورجعوا (قال هشام) قال أبو مخنف حدثني أبو عمرو العذري قال قطع شبيب الجسر حين عبر قال وقال لي فروة كنت معه حين انهزمنا فما حرك الجسر ولا اتبعونا حتى قطعنا الجسر ودخل الحجاج الكوفة ثم صعد المنبر فحمد الله ثم قال والله ما قوتل شبيب قبلها ولي والله هاربا وترك امرأته يكسر في استها القصب (وقد قيل) في قتال الحجاج شيبا بالكوفة ما ذكره عمر بن شبة قال حدثني عبد الله بن المغيرة بن عطية قال حدثني أبي قال حدثنا مزاحم بن زفر بن جساس التيمي قال لما فض شبيب كتاب الحجاج أذن لنا فدخلنا عليه في مجلسه الذي يبيت فيه وهو على سرير وعليه لحاف فقال إني دعوتكم لأمر فيه أمان ونظر فأشيروا علي إن هذا الرجل قد تبجح بحب وحتكم ودخل حريمكم وقتل مقاتلتكم فأشيروا علي فأطرقوا وفصل رجل من الصف بكرسيه فقال إن أذن لي الأمير تكلمت فقال تكلم فقال إن الأمير والله مراقب الله ولا حفظ أمير المؤمنين ولا نصح للرعية ثم جلس بكرسيه في الصف قال وإذا هو قتيبة قال فغضب الحجاج وألقى اللحاف ودلى قدميه من السرير كأنى أنظر اليهما فقال من المتكلم قال فخرج قتيبة بكرسيه من الصف فأعاد الكلام قال فما رأى قال رأى أن تخرج إليه فتحاكه قال فارتد لي معسكرا ثم اغذ إلى قال فخرجنا نلن عنيسة بن سعيد وكان كلم الحجاج في قتيبة فجعله من أصحابه فلما أصبحنا وقد أوصينا جميعا غدونا في السلاح فصرى الحجاج الصبح ثم دخل فجعل رسوله يخرج ساعة بعد ساعة فيقول أجا بعد أجا بعد ولا ندرى من يريد وقد أفعمت المقصورة بالناس فخرج الرسول فقال أجا بعد وإذا قتيبة يمشى

في المسجد عليه قباء هروى أصفر وعمامة خز أحمر متقلدا سيفاً عريضا قصير
الحمائل كأنه في ابطه قد أدخل بركة قبائه في منطقته والدرع يصفق ساقيه ففتح له
الباب فدخل ولم يُحجب قلبه طويلا ثم خرج وأخرج معه لواء منشورا فصلى
الحجاج ركعتين ثم قام فتكلم وأخرج اللواء من باب الفيل وخرج الحجاج يتبعه
فاذا بالباب بغلة شقراء غراء محجلة فركبها وعارضه الوصفاء بالدواب فأبى غيرها
وركب الناس وركب قتيبة فرسا أغر محجلا كيتا كأنه في سرجه رمانة من عظم
السرج فأخذ في طريق دار السقاية حتى خرج إلى السبخة وبها عسكر شيب وذلك
يوم الأربعاء فتواقفوا ثم غدوا يوم الخميس للقتال ثم غادوهم يوم الجمعة فلما كان
وقت الصلاة انهزمت الخوارج • قال أبو زيد حدثني خلاد بن يزيد قال حدثنا
الحجاج بن قتيبة قال جاء شيب وقد بعث إليه الحجاج أميرا فقتله ثم آخر فقتله أحدهما
عين صاحب حمام أعين قال فجاء حتى دخل الكوفة ومعه غزاله وقد كانت نذرت أن
تصلي في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران قال ففعلت قال
واتخذ شيب في عسكره أخصاصا فقام الحجاج فقال لا أراكم تناصحون في قتال
هؤلاء القوم يا أهل العراق وأنا كاتب إلى أمير المؤمنين ليمدني بأهل الشام قال
فقام قتيبة فقال إنك لم تنصح لله ولا لأمير المؤمنين في قتالهم (قال عمر بن شبة)
قال خلاد حدثني محمد بن حفص بن موسى بن عبيد الله بن معمر بن عثمان التيمي أن
الحجاج خنق قتيبة بعمامة خنقا شديدا (ثم رجع الحديث إلى حديث الحجاج ورتيبة)
قال فقال وكيف ذلك قال تبعث الرجل الشريف وتبعث معه رعايا من الناس
فينهزمون عنه ويستجيا فيقاتل حتى يُقتل قال فما الرأي قال أن تخرج بنفسك ويخرج
معك نظراؤك فيؤا سونك بأنفسهم قال فلغنه من ثم وقال الحجاج والله لا برزن له غدا
فلما كان الغد حضر الناس فقال قتيبة اذكر يمينك أصلح الله الأمير فلغنه أيضا
وقال الحجاج اخرج فارتدلى معسكرا فذهب وتهاهو وأصحابه نخرجوا فأتى على
موضع فيه بعض القدر موضع كناسة فقال القوالى ههنا قبيل إن الموضع قدر فقال
ما تدعونني إليه أقدر الأرض تحته طيبة والسماء فوقه طيبة قال فنزل وصف

الناس وخالد بن عتاب بن ورقاء مسخوط عليه فليس في القوم وجاء شبيب وأصحابه لتقربوا دوابهم وخرجوا يمشون فقال لهم شبيب الهوا عن رميكم ودبوا تحت تراسكم حتى إذا كانت أسنتهم فوقها فأزلقوها صُعداً ثم ادخلوا تحتها لتستقلوا فتقطعوا أقدامهم وهي الهزيمة يا ذن الله فأقبلوا يدبون اليهم وجاء خالد بن عتاب في شاكريته فدار من وراء عسكرهم فأضرم أنخصاصهم بالنار فلما رأوا ضوء النار وسمعوا مغمماتها التفتوا فرأوا هاني بيوتهم فولوا إلى خيلهم وتبعهم الناس وكانت الهزيمة ورضى الحجاج عن خالد وعقد له على قتالهم قال لما قتل شبيب عتاباً أراد دخول الكوفة ثانية فأقبل حتى شارفها فوجه إليه الحجاج سيف بن هاني ورجل معه لياً تياه بخبر شبيب فأتيا عسكره فقطن بهما فقتل الرجل وأفلت سيفٌ وتبعه رجل من الخوارج فأوثب سيفٌ فرسه ساقية ثم سأل الرجل الأمان على أن يصدقه فأمنه فأخبره أن الحجاج بعثه وصاحبه لياً تياه بخبر شبيب قال فأخبره أنا نأتيه يوم الاثنين فأتى سيف الحجاج فأخبره فقال كذب وماق فلما كان يوم الاثنين توجهوا يريدون الكوفة فوجه اليهم الحجاج الحارث بن معاوية الثقفي فلقبه شبيب بزُرة فقتله وهزم أصحابه ودنا من الكوفة فبعث البطين في عشرة فوارس يرتاد له منزلاً على شاطئ الفرات في دار الرزق فأقبل البطين وقد وجه الحجاج حواشب بن يزيد في جمع من أهل الكوفة فأخذوا بأفواه السكك فقاتلهم البطين فلم يقو عليهم فبعث إلى شبيب فأمدته بفوارس فعقروا فرس حوشب وهزموه ونجا ومضى البطين إلى دار الرزق وعسكر على شاطئ الفرات وأقبل شبيب فنزل دون الحسر فلم يوجه إليه الحجاج أحداً فمضى فنزل السبخة بين الكوفة والفرات فأقام ثلاثاً لا يوجه إليه الحجاج أحداً فأشير على الحجاج أن يخرج بنفسه فوجه قتيبة بن مسلم فهيا له عسكراً ثم رجع فقال وجدت المأتي سهلاً فسر على الطائر الميمون فنأدى في أهل الكوفة فخرجوا وخرج معه الوجوه حتى نزلوا في ذلك العسكر وتواقفوا وعلى ميمنة شبيب البطين وعلى ميسرته قُعب بن مولى بني أبي ربيعة بن ذهن وهو في زهاء مائتين وجعل الحجاج على ميمنته مطر بن ناجية الرياحي وعلى ميسرته خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي في زهاء

أربعة آلاف وقيل له لا تعرفه موضعك فتكر وأخفى مكانه وشبهه له أبا الورد مولاة فنظر اليه شيب فحمل عليه فضربه بعمود وزنه خمسة عشر رطلا فقتله وشبه له أعين صاحب حمام أعين بالكوفة وهو مولى لبكر بن وائل فقتله فركب الحجاج بغلة غراء محجلة وقال إن الدين أغر محجل وقال لأبي كعب قدم لواءك أنا ابن أبي عقيل وحمل شيب على خالد بن عتاب وأصحابه فبلغ بهم الرحبة وحملوا على مطر ابن ناجية فكشفوه فزل عند ذلك الحجاج وأمر أصحابه فنزلوا فجلس على عباءة ومعه عنبسة بن سعيد فأنهم على ذلك إذ تناول مصقلة بن مهلهل الضبي لجام شيب فقال ما تقول في صالح بن مسرح وبما تشهد عليه قال أعلى هذه الحال وفي هذه الحزة والحجاج ينظر قال فبرئ من صالح فقال مصقلة برئ الله منك وفارقوه إلا أربعين فارساً ثم أشد أصحابه وانحاز الآخرون إلى دار الرزق وقال الحجاج قد اختلفوا وأرسل إلى خالد بن عتاب فأتاهم فقاتلهم فقتلت غزاة ومر برأسها إلى الحجاج فارس فعرفه شيب فأمر علوان فشد على الفارس فقتله وجاء بالرأس فأمر به فغسل ودفنه وقال هي أقرب إليكم رحماً يعني غزاة ومضى القوم على حاميتهم ورجع خالد إلى الحجاج فأخبره بانصراف القوم فأمره أن يحمل على شيب فحمل عليهم وأتبعه ثمانية منهم قنبل والبطين وعلوان وعيسى والمهذب وابن عويمر وسان حتى بلغوا به الرحبة وأتى شيب في موقفه بخوط بن عمير السدوسي فقال له شيب يا خوط لا حكم إلا لله فقال لا حكم إلا لله فقال شيب خوط من أصحابكم ولكنه كان يخاف فأطلقه وأتى بعمر بن القعقاع فقال له لا حكم إلا لله يا عمير فجعل لا يفقه عنه ويقول في سبيل الله شبابي فردد عليه شيب لا حكم إلا لله ليتخلصه فلم يفقه فأمر بقتله وقتل مصاد أخو شيب وجعل شيب ينتظر نفر الذين تبعوا خالداً فأبطوا ونس شيب فأيقظه حبيب بن حذرة وجعل أصحاب الحجاج لا يقدمون عليه هية له وسار إلى دار الرزق فجمع رثة من قتل من أصحابه وأقبل الثانية إلى موضع شيب فلم يجدوه فظنوا أنهم قتلوه ورجع مطر وخالد إلى الحجاج فأمرهما فأتبعاه الرهط الثانية وأتبع الرهط شيباً فمضوا جميعاً حتى قطعوا جسر المدائن فدخلوا

ديرا هنالك وخالده يقفونم فخصرم في الدير فخرجوا عليه فهزموه نحواً من فرسخين حتى ألقوا أنفسهم في دجلة بخيلهم وألقى خالده نفسه بفرسه فتر به ولو أوه في يده فقال شيب قاتله الله فارساً وفرسه؛ هذا أشد الناس وفرسه أقوى فرس في الأرض فقيل له هذا خالد بن عتاب فقال مُعَرِّقٌ له في الشجاعة والله لو علمت لأقمت خلفه ولو دخل النار (رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف) عن أبي عمر والعذري أن الحجاج دخل الكوفة حين انهزم شيب ثم صعد المنبر فقال والله ما قوتل شيب قط قبلها مثلها ولي والله هارباً وترك امرأته يكسر في استها القصب ثم دعا حبيب بن عبد الرحمن الحكمي فبعثه في أثره في ثلاثة آلاف من أهل الشام فقال له الحجاج احذر بياته وحيثما لقيته فنازله فان الله قد قلّ حده وقصم نابه فخرج حبيب بن عبد الرحمن في أثر شيب حتى نزل الأنبار وبعث الحجاج إلى العمال أن دسوا إلى أصحاب شيب أن من جاءنا منهم فهو آمن فكان كل من ليست له تلك البصيرة ممن قد هذه القتال يجيء فيؤمن وقبل ذلك ما قد نادى فيهم الحجاج يوم هزموا إن من جاءنا منكم فهو آمن فتفرق عنه ناس كثير من أصحابه وبلغ شيباً منزلاً حبيب بن عبد الرحمن الأنبار فأقبل بأصحابه حتى إذا دنا من عسكرهم نزل فصلى بهم المغرب (قال أبو مخنف) فحدثني أبو يزيد السكسكي قال أنا والله في أهل الشام ليلة جاءنا شيب فبيتنا قال فلما أمسينا جمعنا حبيب بن عبد الرحمن فجمعنا أرباعاً وقال لكل ربع منا ليجزئ كل ربع منكم جانبه فان قاتل هذا الربع فلا يغتصب هذا الربع الآخر فانه قد بلغني أن هذه الخوارج منا قريب فوطنوا أنفسكم على أنكم مبيتون ومقاتلون فما زلنا على تعبيتنا حتى جاءنا شيب فبيتنا فشد على ربع منا عليهم عثمان بن سعيد العذري فضاربهم طويلاً فمازالت قدم الانسان منهم ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر وقد جعل عليهم سعد بن بجل العامري فقاتلهم فمازالت قدم انسان منهم ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر وعليهم النعمان بن سعد الحميري فما قدر منهم على شيء ثم أقبل على الربع الآخر وعليهم ابن أقيصر الخثعمي فقاتلهم طويلاً فلم يظفر بشيء ثم أطاف بنا يحمل علينا حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل وألز بنا حتى لا يفارقنا

ثم نازلنا راجلا طويلا فسقطت والله بيننا وبينهم الايدي وقهقت الاعين وكثرت القتلى قتلنا منهم نحو من ثلاثين وقتلوا منا نحو من مائة والله لو كانوا فيما نرى يزيدون على مائة رجل لاهلكونا وايم الله على ذلك ما فارقونا حتى مَلَلناهم وملونا وكرهونا وكرهناهم ولقد رأيت الرجل منا يضرب بسيفه الرجل منهم فما يضره شيئا من الإعياء والضعف ولقد رأيت الرجل منا يقاتل جالسا يَنْفَعُ بسيفه ما يستطيع أن يقوم من الإعياء فلما يتسوا منا ركب شيب ثم قال لمن كان نزل من أصحابه اركبوا فلما استووا على متون خيولهم وجه منصرفا عنا (قال أبو مخنف) حدثني فروة بن لقيط عن شيب قال لما انصرفنا عنهم وبنا كآبة شديدة وجراحة ظاهرة قال لنا ما أشد هذا الذي بنا لو كنا إنما نطلب الدنيا وما أيسر هذا في ثواب الله فقال أصحابه صدقت يا أمير المؤمنين قال فما أنسى منه اقباله على سويد بن سليم ولا مقاتله له قتلت منهم أمس رجلين أحدهما أشجع الناس والآخر أجبن الناس خرجت عشية أمس طليعة لكم فلقيت منهم ثلاثة نفر دخلوا قرية يشترون منها حوائجهم فاشترى أحدهم حاجته ثم خرج قبل أصحابه وخرجت معه فقال كأنك لم تشتر علفا فقلت إن لي رفقاء قد كفوني ذلك فقلت له أين ترى عدونا هذا نزل قال بلغني أنه قد نزل منا قريبا وايم الله لو ددت أني قد لقيت شبيهم هذا قلت فتعجب ذلك قال نعم قلت نخذ حذرنا فأنا والله شيب وانتضيت سبني فخر والله ميتا فقلت له ارتفع ويحك وذهبت أنظر فاذا هو قد مات فانصرفت راجعا فأستقبل الآخر خارجا من القرية فقال أين تذهب هذه الساعة وإنما يرجع الناس إلى عسكرهم فلم أكله ومضيت يقرب بي فرسي وأتبعني حتى لحقني فقطعت عليه فقلت له مالك فقال أنت والله من عدونا فقلت أجل والله فقال والله لا تبرح حتى تقتلني أو أقتلك فحملت عليه وحمل علي فاضطربنا بسيفينا ساعة فوالله ما فضلك في شدة نفس ولا إقدام إلا ان سبني كان أنطع من سيفه فقتله قال فضينا حتى قطعنا دجلة ثم أخذنا في أرض جوخي حتى قطعنا دجلة مرة أخرى من عند واسط ثم أخذنا إلى الأهواز ثم إلى فارس ثم

ارتفعنا إلى كرمان (وفي هذه السنة) هلك شيب في قول هشام بن محمد وفي قول غيره كان هلاكه سنة ٧٨

ذكر سبب هلاكه

(قال هشام) عن أبي مخنف قال حدثني أبو يزيد السكسكي قال أوقفنا الحجا إليه يعني إلى شيب فقسم فينا ما لا عظيمًا وأعطى كل جريح منا وكل ذي بلاه ثم أمر سفيان بن الأبرد أن يسير إلى شيب فتجهز سفيان فشق ذلك على حبيب ابن عبد الرحمن الحكمي وقال تبعث سفيان إلى رجل قد فلقته وقتلت فرسان أصحابه فأمضى سفيان بعد شهرين وأقام شيب بكرمان حتى إذا انجبر واستراش هو وأصحابه أقبل راجعا فيستقبله سفيان بجسر دجيل الأهواز وقد كان الحجاج كتب إلى الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل وهو زوج ابنة الحجاج وعامله على البصرة أما بعد فأبعث رجلا شجاعا شريفا من أهل البصرة في أربعة آلاف إلى شيب ومُرّه فليلحق بسفيان بن الأبرد وليسمع له وليطع فبعث إليه زياد بن عمرو العتكي في أربعة آلاف فلم يته إلى سفيان حتى التقى سفيان وشيب ولما أن التقيا بجسر دجيل عبر شيب إلى سفيان فوجد سفيان قد نزل في الرجال وبعث مهاصر بن صيفي العذري على الخيل وبعث على ميمنته بشر بن حسان الفهري وبعث على ميسرته عمر بن هبيرة الفزاري فأقبل شيب في ثلاثة كراديس من أصحابه هو في كتيبة وسويد في كتيبة وقعب المحلبي في كتيبة وخلف المحال بن وائل في عسكره قال فلما حمل سويد وهو في ميمنته على ميسرة سفيان وقعب وهو في ميسرته على ميمنته حمل هو على سفيان فاضطربنا طويلا من النهار حتى انحازوا فرجعوا إلى المكان الذي كانوا فيه فكر علينا هو وأصحابه أكثر من ثلاثين كرة كل ذلك لا نزول من صفنا وقال لنا سفيان بن الأبرد لا تفرقوا ولكن لتزحف الرجال إليهم زحفا فوالله ما زلنا نطاعهم ونضاربهم حتى اضطربناهم إلى الجسر فلما انتهى شيب إلى الجسر نزل ونزل معه نحو من مائة رجل فقاتلناهم حتى المساء أشد قتال قاتله قوم قط فما هو إلا أن نزلوا

فأوقعوا لنا من الطعن والضرب شيئا ما رأينا مثله من قوم قط فلما رأى سفيان انه لا يقدر عليهم ولا يأمن مع ذلك ظفرهم دعا الرماة فقال ارشقوهم بالنبل وذلك عند المساء وكان التقاؤهم نصف النهار فرماه أصحاب النبل بالنبل عند المساء وقد صفهم سفيان بن الأبرد على حدة وبعث على المرامية رجلا فلما رشقوهم بالنبل ساعة شدوا عليهم فلما شدوا على رماتنا شددنا عليهم فشغلناهم عنهم فلما رموا بالنبل ساعة ركب شيب وأصحابه ثم كروا على أصحاب النبل كرة صرع منهم أكثر من ثلاثين رجلا ثم عطف بخيله علينا فمضى عامدا نحونا فطاعناه حتى اختلط الظلام ثم انصرف عنا فقال سفيان لأصحابه أيها الناس دعوهم لا تتبعوهم حتى نصبحهم غدوة قال فكففنا عنهم وليس شيء أحب اليانا من أن ينصرفوا عنا (قال أبو مخنف) فحدثني فروة بن لقيط قال فما هو إلا أن اتهمنا إلى الجسر فقال اعبروا معاشر المسلمين فإذا أصبحنا بكرناهم إن شاء الله فعبرنا أمامه وتخلف في آخرانا فأقبل على فرسه وكانت بين يديه فرس أنثى ماذيانية فتزا فرسه عليها وهو على الجسر فاضطربت الماذيانية ونزل حافر رجل فرس شيب على حرف السفينة فسقط في الماء فلما سقط قال لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا فارتس في الماء ثم ارتفع فقال ذلك تقدير العزيز العليم (قال أبو مخنف) فحدثني أبو يزيد السكسكي بهذا الحديث وكان ممن يقاتله من أهل الشام وحدثني فروة بن لقيط وكان ممن شهد موطنه فأما رجل من رهطه من بني مرة بن همام فإنه حدثني أنه كان معه قوم يقاتلون من عشيرته ولم يكن لهم تلك البصيرة النافذة وكان قد قتل من عشائرهم رجلا كثيرا فكان ذلك قد أوجع قلوبهم وأوغر صدورهم وكان رجل يقال له مقاتل من بني تميم بن شيبان من أصحاب شيب فلما قتل شيب رجلا من بني تميم بن شيبان أغار هو على بني مرة بن همام فأصاب منهم رجلا فقال له شيب ما حملك على قتلهم بغير أمرى فقال له أصلحك الله قتلت كفار قومي و قتلت كفار قومك قال وأنت الوالى على حتى تقطع الأمور دوني فقال أصلحك الله أليس من ديننا قتل من كان على غير رأينا منا كان أو من غيرنا قال بلى قال فانما فعلت ما كان يلغى ولا والله بأمر

المؤمنين ما أصبت من رهطك عُشر ما أصبت من رهطى وما يحمل لك يا أمير المؤمنين أن تجد من قتل الكافرين قال إنى لا أجد من ذلك وكان معه رجال كثير قد أصاب من عشائهم فزعموا انه لما تخلف في أخريات أصحابه قال بعضهم لبعض هل لكم أن تقطع به الجسر فنذكر ثأرنا الساعة فقطعوا الجسر فالت السفن ففزع الفرس ونفر ووقع في الماء فغرق (قال أبو مخنف) فحدثني ذلك المرى بهذا الحديث وناس من رهط شبيب يذكرون هذا أيضا وأما حديث العامة فالحديث الأول (قال أبو مخنف) وحدثني أبو يزيد السكسكى قال إنا والله لتنبأ للانصراف إذ جاء صاحب الجسر فقال أين أميركم قلنا هو هذا فجاءه فقال أصلحك الله إن رجلا منهم وقع في الماء فتنادوا بينهم غرق أمير المؤمنين ثم انهم انصرفوا راجعين وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد فكبر سفيان وكبرنا ثم أقبل حتى انتهى إلى الجسر وبعث مهاصر بن صبيغ فعب إلى عسكرهم فاذا ليس فيه منهم صافر ولا أثر فنزل فيه فاذا أكثر عسكر خلق الله خيرا وأصبحنا فطلبنا شيبا حتى استخر جناه وعليه الدرع فسمعت الناس يزعمون انه شق بطنه فاخرج قلبه وكان مجتمعاً صلباً كأنه صخرة وانه كان يضرب به الأرض فيثب قائمً انسان فقال سفيان احمدا الله الذى أعانكم فأصبح عسكرهم فى أيدينا (قال أبو زيد) عمر بن شبة حدثني خلاد بن يزيد الأرقط قال كان شبيب يُنعى لأمه فيقال قتل فلا تقبل قال فقبل لها انه غرق فقبلت وقالت إني رأيت حين ولده انه خرج منى شهاب نار فعلت انه لا يطفئه إلا الماء (قال هشام) عن أبي مخنف حدثني فروة بن لقيط الأزدي ثم العامري أن يزيد بن نعيم أبا شبيب كان من دخل في جيش سلمان بن ربيعة إذ بعث به وبمن معه الوليد بن عقبة عن أمر عثمان أياه بذلك مدد الأهل الشام أرض الروم فلما قتل المسلمون أقيم السبي للبيع فرأى يزيد بن نعيم أبو شبيب جارية حمراء لاشهلاء ولازرقاء طويلة جميلة تأخذها العين فابتاعها ثم أقبل بها وذلك سنة ٢٥ أول السنة فلما أدخلها الكوفة قال أسلى فأبت عليه فضرها فلم تزد إلا عصيانا فلما رأى ذلك أمر بها فأصلحت ثم

دعا بها فأدخلت عليه فلما تَغَشَّاهَا تَلَقَّتْ مِنْهُ بِحَمَلٍ فَوَلَدَتْ شَيْبَا وَذَلِكَ سَنَةَ ٢٥
 فِي ذِي الْحِجَّةِ فِي يَوْمِ الزَّحْرِ يَوْمَ السَّبْتِ وَأَحْبَبَتْ مَوْلَاهَا حُبًّا شَدِيدًا وَكَانَتْ
 مُحَدِّثَةً وَقَالَتْ إِنْ شِئْتُ أَجْبِتُكَ إِلَى مَا سَأَلْتَنِي مِنَ الْإِسْلَامِ فَقَالَ لَهَا قَدِ شِئْتُ
 فَاسَلْتِ وَوَلَدَتْ شَيْبَا وَهِيَ مُسَلَّمَةٌ وَقَالَتْ إِنْ رَأَيْتِ فِيمَا يَرِي النَّاسُ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ قُبَلِي
 شَهَابٌ فَتَقَبَّ يَسْطَعُ حَتَّى يَبْلُغَ السَّمَاءَ وَيَبْلُغَ الْآفَاقَ كُلَّهَا فَيُنَادِيهِ كَذَلِكَ إِذْ وَقَعَ فِي مَاءٍ
 كَثِيرٍ جَارِ نَجْبًا وَقَدْ وُلِدَتْهُ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا الَّذِي تَهْرِيقُونَ فِيهِ الدَّمَاءَ وَإِنِّي قَدْ أَوْلْتُ
 رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي أَرَى وَوَلَدِي هَذَا غَلَامًا أَرَاهُ سَيَكُونُ صَاحِبَ دَمَاءٍ يَهْرِيقُهَا وَإِنِّي
 أَرَى أَمْرَهُ سَيَعْلُو وَيَعْظُمُ سَرِيعًا قَالَ فَكَانَ أَبُوهُ يَخْتَلِفُ بِهِ وَبِأَمِّهِ إِلَى الْبَادِيَةِ إِلَى
 أَرْضِ قَوْمِهِ عَلَى مَا بَدَعَ الصَّفِّ (قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ) وَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ أَبِي سُوَيْدٍ
 ابْنُ رَادِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ الَّذِينَ جَاءُوا حَمَلُوا مَعَهُمُ الْحِجْرَ فَقَالُوا لَا نَفْرَ مِنْ
 شَيْبٍ حَتَّى يَفْرَ هَذَا الْحِجْرَ فَبَاعَ شَيْبَا أَمْرَهُمْ فَأَرَادَ أَنْ يَكِيدَهُمْ فَدَعَا بِأَفْرَاسٍ أَرْبَعَةَ
 فَرِيطٍ فِي أذْنَاهَا تَرَسَةٌ فِي ذَنْبِ كُلِّ فَرَسٍ تَرَسِينَ ثُمَّ نَدَبَ مَعَهُ ثَمَانِيَةَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ
 وَمَعَهُ غَلَامٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ حَيَّانٌ وَأَمْرُهُ أَنْ يَحْمَلَ مَعَهُ إِدَارَةَ مِنْ مَاءٍ ثُمَّ سَارَ حَتَّى يَأْتِيَ
 نَاحِيَةَ مِنَ الْعَسْكَرِ فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَكُونُوا فِي نَوَاحِي الْعَسْكَرِ وَأَنْ يَجْعَلُوا مَعَ كُلِّ
 رَجُلَيْنِ فَرَسًا ثُمَّ يَمْسُوهُمَا الْحَدِيدَ حَتَّى تَجِدَ حَرَّهُ وَيَخْلُوهُمَا فِي الْعَسْكَرِ وَوَأَعَدَّهُمْ
 ثَلَاثَةَ قَرِيبَةٍ مِنَ الْعَسْكَرِ فَقَالَ مِنْ نَجَا مِنْكُمْ فَإِنَّ مَوْعِدَهُ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ وَكَرِهَ أَصْحَابُهُ
 الْإِقْدَامَ عَلَى مَا أَمَرَهُمْ بِهِ فَتَزَلَّ حَيْثُ رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ حَتَّى صَنَعَ بِالْخَيْلِ مِثْلَ الَّذِي
 أَمَرَهُمْ ثُمَّ وَغَلَّتْ فِي الْعَسْكَرِ وَدَخَلَ يَتَلَوُّهَا بِحِكْمَةٍ فَضَرَبَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ
 قَامَ صَاحِبُهُمُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ حَبِيبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَكَمِيُّ فَنَادَى
 أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ هَذِهِ مَكِيدَةٌ فَالْزَمُوا الْأَرْضَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْأَمْرُ ففَعَلُوا وَبَقِيَ
 شَيْبٌ فِي عَسْكَرِهِمْ فَلَزِمَ الْأَرْضَ حَيْثُ رَأَاهُمْ قَدْ سَكَنُوا وَقَدْ أَصَابَتْهُ ضَرْبَةُ عَمُودٍ
 أَوْهَتْهُ فَلَمَّا أَنْ هَدَأَ النَّاسُ وَرَجَعُوا إِلَى أَبْلِيَّتِهِمْ خَرَجَ فِي غَمَارِهِمْ حَتَّى أَتَى الثَّلَاثَةَ فَإِذَا
 هُوَ بِحَيَّانٍ فَقَالَ أَفْرَغْ يَا حَيَّانُ عَلَى رَأْسِي مِنَ الْمَاءِ فَلَمَّا مَدَّ رَأْسَهُ لِيَصْبَ عَلَيْهِ
 مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ حَيَّانُ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقَهُ فَقَالَ لِنَفْسِهِ لَا أَجِدُ لِي مَكْرَمَةً وَلَا ذِكْرًا

أرفع من قتلى هذا وهو أمانى عند الحجاج فاستقبلته الرعدة حيث هم بما هم به فلما أبطأ بحلّ الإداوة قال ما يبطنك بحلها فتناول السكين من موزجه فخرقها به ثم ناولها إياه فأفرغ عليه من الماء فقال حيان معنى والله الجبن وما أخذنى من الرعدة أن أضرب عنقه بعد ما هممت به ثم لحق شبيب بأصحابه فى عسكره (قال أبو جعفر) وفى هذه السنة خرج مطرف بن المغيرة بن شعبة على الحجاج وخلع عبد الملك بن مروان ولحق بالجيال قُتِل

ذكر السبب الذى كان عند خروجه وخلعه عبد الملك بن مروان

(قال هشام) عن أبي مخنف قال حدثنى يوسف بن يزيد بن بكر الأزدي أن بنى المغيرة بن شعبة كانوا صلحاء زبلاء أشرافا بأبدانهم سوى شرف أبيهم ومنزلتهم فى قومهم قال فلما قدم الحجاج فلقوه وشافهم علم أنهم رجال قومهم وبنو أبيه فاستعمل عروة بن المغيرة على الكوفة ومطرف بن المغيرة على المدائن وحمزة بن المغيرة على همدان (قال أبو مخنف) فحدثنى الحسين ابن عبيد الله بن سعد بن نفيل الأزدي قال قدم علينا مطرف بن المغيرة بن شعبة المدائن فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إن الأمير الحجاج أصلحه الله قد ولانى عليكم وأمرنى بالحكم بالحق والعدل فى السيرة فان عملت بما أمرنى به فانا أسعد الناس وإن لم أفعل فنفسى أوبقت وحظ نفسى ضيعت إلا إنى جالس لكم العصرين فارقعوا إلى حوائجكم وأشيروا على بما يصلحكم ويصلح بلادكم فانى لن آلوكم خيرا ما استطعت ثم نزل وكان بالمدائن إذ ذاك رجال من أشراف أهل المصر وبيروتات الناس وبها مقاتلة لاتسعها عدّة أن كان كرن بأرض جوخى أو بأرض الأنبار فأقبل مطرف حين نزل حتى جلس للناس فى الإيوان وجاء حكيم بن الحارث الأزدي يمشى نحوه وكان من وجوه الأزدي وأشرافهم وكان الحجاج قد استعمله بعد ذلك على بيت المال فقال له أصلحك الله إنى كنت منك نائيا حين تكلمت وإنى أقبلت نحوك لأجيبك فوافق ذلك نزولك إنا قد فهمنا ما ذكرت لنا انه عهد إليك فأرشد الله العاهد والمعهود إليه وقد منيت من نفسك

العدل وسألت المعونة على الحق فأعانك الله على ماويت إنك تشبه أباك في سيرته
برضى الله والناس فقال له مطرف ههنا إلى فأوسع له مجلس إلى جنبه (قال
أبو مخنف) فحدثني الحصين بن يزيد أنه كان من خير عامل قدم عليهم قط أقمعه
للريب وأشدّه إنكاراً للظلم فقدم عليه بشر بن الأجدع الهمداني ثم الثوري
وكان شاعراً فقال

إني كلفتُ بخودٍ غيرِ فاحشةٍ
كأنها الشمس يومَ الدَّجِنِ إذ برزتْ
سَلَّ الهوى بعلنداةٍ مُذَكَّرةٍ
إلى الفتى الماجدِ الفياضِ نعرفهُ
من الأكارم أنساباً إذا نُسبوا
إني أعيدُكَ بالرحمنِ من نَفيرِ
فرسانٍ شيبانٍ لم نسمعِ بِمثلهمِ
شدوا على ابنِ حصينٍ في كَتِيبَتِهِ
وابنُ المجالدِ أَرَدَتْهُ رِمَاحُهُمُ
وكلُّ جمعٍ بروذاً باذٍ كان لهم

فقال له ويحك ماجئت إلا لترغبنا وقد كان شيب أقبيل من سائتد ما فكتب
مطرف إلى الحجاج أما بعد فاني أخبر الأمير أكرمه الله أن شيبا قد أقبيل نحونا
فان رأى الأمير أن يمدتي برجال أضبط بهم المدائن فعل فان المدائن باب الكوفة
وحصنها فبعث إليه الحجاج بن يوسف سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف في مائتين
وعبد الله بن كناز في مائتين وجاء شيب فأقبل حتى نزل قناطر حذيفة ثم جاء
حتى انتهى إلى كوا إذا فعب منها دجلة ثم أقبل حتى نزل مدينة بهر سير ومطرف
ابن المغيرة في المدينة العتيقة التي فيها منزل كسرى والقصر الأبيض ه فلما نزل
شيب بهر سير قطع مطرف الجسر فيما بينه وبين شيب وبعث إلى شيب أن
ابعث إلى رجالا من صلحاء أصحابك أدارسهم القرآن وانظر ما تدعون إليه فبعث

إليه رجلا منهم سُويد بنُ سليم و قَعْنَب والمحلل بن وائل فلما أدنى منهم المَعْبَر
وأرادوا أن ينزلوا فيه أرسل إليهم شيبب أن لا تدخلوا السفينة حتى يرجع إلى
رسولي من عند مطرف وبعث إلى مطرف أن ابعث إلى بعدة من أصحابك حتى
ترد علي أصحابي فقال لرسوله القه قفل له فكيف آمنتك على أصحابي إذا بعثهم
الآن إليك وأنت لا تأمنني على أصحابك فأرسل إليه شيبب إنك قد علمت أنا
لا نستحل في ديننا الغدر وأنتم تفعلونه وتمونونه فسرح إليه مطرف الربيع بن
يزيد الأسدي وسليمان بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني ويزيد بن أبي زياد
مولى المغيرة وكان على حرس مطرف فلما وقعوا في يديه بعث أصحابه إليه (قال
أبو مخنف) حدثني النضر بن صالح قال كنت عند مطرف بن المغيرة بن شعبة
فما أدري أقال إني كنت في الجند الذين كانوا معه أو قال كنت بإزائه حيث دخلت
عليه رسلُ شيبب وكان لي ولاخي ودأمر ما ولم يكن ليسترنا شيئا فدخلوا عليه
وما عنده أحد من الناس غيري وغير أخي حلام بن صالح وهم ستة ونحن ثلاثة
وهم شاكون في السلاح ونحن ليس علينا إلا سيوفنا فلما دنوا قال سويد السلام
علي من خاف مقام ربه وعرف الهدى وأهله فقال له مطرف أجل فسلم الله علي
أولئك ثم جلس القوم فقال لهم مطرف قصوا علي أمركم وخبروني ما الذي
تطلبون وإلى ما تدعون فحمد الله سُويد بن سليم وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن
الذي ندعو إليه كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم وإن الذي نقمنا على قومنا
الاستتار بالنيء وتعطيل الحدود والتسلط بالجبرية فقال لهم مطرف ما دعوتكم
إلا إلى حق ولا نقمتم إلا جورا ظاهرا أنالكم على هذا متابع فتابعوني إلى ما دعوكم
إليه ليجمع أمري وأمركم وتكون يدي وأيديكم واحدة فقالوا هات اذكر
ما تريد أن تذكر فإن يكن ما تدعوننا إليه حقا نجبك قال فاني أدعوكم إلى أن تقاتل
هؤلاء الظلمة العاصين على أحداثهم الذي أحدثوا وأن ندعوكم إلى كتاب الله
وسنة نبيه وأن يكون هذا الأمر شوري بين المسلمين يؤمرون عليهم من يرضون
لا أنفسهم على مثل الحال التي تركهم عليها عمر بن الخطاب فان العرب إذا علمت

إنما يراد بالشورى الرضى من قريش رضوا وكثر تبعكم منهم وأعوانكم على عدوكم
وتم لكم هذا الأمر الذى تريدون قال فوثبوا من عنده وقالوا هذا ما لانجيك
إليه أبدا فلما مضوا فكادوا أن يخرجوا من صفة البيت التفت إليه سويد بن سليم فقال
يا ابن المغيرة لو كان القوم عداةً عُذراً كنت قد أمكنتهم من نفسك ففرع لها مطرف
وقال صدقت وإله موسى وعيسى قال ورجعوا إلى شبيب فأخبروه بمقالته
فقطع فيه وقال لهم إن أصبحتم فليأتته أحدكم فلبا أصبحوا بعث إليه سويداً
وأمره بأمره فجاء سويد حتى انتهى إلى باب مطرف فكنتُ أنا المستأذن له فلما
دخل وجلس أردتُ أن أنصرف فقال لي مطرف اجلس فليس دونك ستر
فجلست وأنا يومئذ شاب أعيد فقال له سويد من هذا الذى ليس لك دونه ستر
فقال له هذا الشريف الحسين هذا ابن مالك بن زهير بن جذيمة فقال له بخ
أكرمت فارتبط إن كان دينه على قدر حسبه فهو الكامل ثم أقبل على فقال إنا
لقينا أمير المؤمنين بالذى ذكرت لنا فقال لنا القوه فقولوا له ألسنت تعلم أن
اختيار المسلمين منهم خيرهم لهم فيما يرون رأى رشيد فقد مضت به السنة بعد
الرسول صلى الله عليه وسلم فإذا قال لكم نعم فقولوا له فانا قد اخترنا لأنفسنا أرضانا
فينا وأشدنا اضطلاماً حمل فمالم يغير ولم يُبدل فهو ولى أمرنا وقال لنا
قولوا له فيما ذكرت لنا من الشورى حين قلت إن العرب إذا علمت
أنكم إنما تريدون بهذا الأمر قريشاً كان أكثر لتبعكم منهم فإن أهل الحق
لا ينقصهم عند الله أن يقلوا ولا يزيد الظالمين خيراً أن يكثروا وإن تركنا
حقنا الذى خرجنا له ودخولنا فيما دعوتنا إليه من الشورى خطيئة وعجز
ورخصة إلى نصر الظالمين ووهن لانا لانرى أن قريشاً أحق بهذا الأمر من غيرها
من العرب فقال له فان زعم أنهم أحق بهذا الأمر من غيرها من العرب فقولوا
له ولم ذاك فان قال لقرابة محمد صلى الله عليه وسلم بهم فقل له فوالله ما كان ينبغي إذا
لأسلافنا الصالحين من المهاجرين الأولين أن يتولوا على أسرة محمد ولا على ولد
أبى لهب لو لم يبق غيرهم ولولا أنهم علموا أن خير الناس عند الله أتقاهم وأن

أولاهم بهذا الأمر أتقاهم وأفضلهم فيهم وأشدهم اضطلاعا بحمل أمورهم ما تولوا
 أمور الناس ونحن أول من أنكر الظلم وغير الجور وقاتل الأحزاب فان اتبعنا
 فله مالنا وعليه ما علينا وهو رجل من المسلمين وإلا يفعل فهو كبعض من تُعادي
 ونقاتل من المشركين فقال له مطرف قد فهمت ما ذكرت ارجع يومك هذا
 حتى ننظر في أمرنا فرجع ودعا مطرف رجالا من أهل ثقاته وأهل نصابه منهم
 سليمان بن حذيفة المزني والربيع بن يزيد الأسدي قال النضر بن صالح وكنت أنا
 ويزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة قائمين على رأسه بالسيف وكان على حرسه
 فقال لهم مطرف يا هؤلاء إنكم نصحاء وأهل مودتي ومن أثق بصلاحي وحسن
 رأيه والله ما زلت لأعمال هؤلاء الظلمة كارها أنكرها بقلبي وأغبرها ما استطعت
 بفعلتي وأمرى فلما عظمت خطيئتهم ومررت بي هؤلاء القوم يجاهدونهم لم أر أنه
 يسعني إلا مناهضتهم وخلافهم إن وجدت أعوانا عليهم وإني دعوت هؤلاء
 القوم فقلت لهم كيت وكيت وقالوا لي كيت وكيت فليست أرى القتال معهم ولو
 تابعوني على رأيي وعلى ما وصفت لهم لخلعت عبد الملك والحجاج ولسرت إليهم
 أجاهدكم فقال له المزني إنهم لن يتابعوك وإنك لن تتابعهم فأخف هذا الكلام
 ولا تظهره لأحد وقال له الأسدي مثل ذلك فجئنا مولاه ابن أبي زياد على
 ركبتيه ثم قال والله لا يخفى مما كان بينك وبينهم على الحجاج كلبة واحدة وليزادن
 على كل كلبة عشرة أمثالها والله أن لو كنت في السحاب هاربا من الحجاج ليلتمسن
 أن يصل إليك حتى يهلكك أنت ومن معك فالتجاء التجاء من مكانك هذا فان
 أهل المدائن من هذا الجانب ومن ذاك الجانب وأهل عسكر شيب يتحدثون
 بما كان بينك وبين شيب ولا تسمى من يومك هذا حتى يبلغ الخبر الحجاج
 فاطلب دارا غير المدائن فقال له صاحبا ما نرى الرأي إلا كما ذكر لك قال
 لهما مطرف فما عندكما قالا الإجابة إلى مادعوتنا إليه والمؤاساة لك بأنفسنا
 على الحجاج وغيره ثم نظر إلى فقال ما عندك فقلت قتال عدوك والصبر معك
 ما صبرت فقال لي ذاك الظن بك قال ومكث حتى إذا كان في اليوم الثالث أتاه

قمنب فقال له إن تابعتنا فأنت منا وإن أبيت فقد نابذناك فقال لا تعجلوا اليوم فانا ننظر قال وبعث إلى أصحابه أن ارحلوا الليلة من عند آخركم حتى توافوا الدسكرة معي لحدث حدث هناك ثم ادلج وخرج أصحابه معه حتى مر بدير يزدجرد فزله فلقه قبيصة بن عبد الرحمن القحافي من خشم فدعاه إلى صحبتته فصحبه فكساه وحمله وأمر له بنفقة ثم سار حتى نزل الدسكرة ه فلما أراد أن يرتحل منها لم يجد بدا من أن يعلم أصحابه ما يريد فجمع إليه رؤوس أصحابه فذكر الله بما هو أهله وصلى على رسوله ثم قال لهم أما بعد فإن الله كتب الجهاد على خلقه وأمر بالعدل والإحسان وقال فيما انزل علينا تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب وإني أشهد الله أني قد خلعت عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف فمن أحب منكم صحبتي وكان على مثل رأيي فليتابعني فان له الأسوة وحسن الصحبة ومن أبي فليذهب حيث شاء فاني لست أحب أن يتبعني من ليست له نية في جهاد أهل الجور أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه وإلى قتال الظلمة فاذا جمع الله لنا أمرنا كان هذا الأمر شوري بين المسلمين يرتضون لأنفسهم من أحبوا قال فوثب إليه أصحابه فبايعوه ثم إنه دخل رحله وبعث الى سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف وإلى عبد الله بن كنانة النهدي فاستخلاهما ودعاهما إلى مثل ما دعا إليه عامة أصحابه فأعطياه الرضى فلما ارتحل انصرفا بمن معهما من أصحابه حتى أتيا الحجاج فوجداه قد نازل شيبيا فشهدا معه وقعة شيب قال وخرج مطرف بأصحابه من الدسكرة موجهها نحو حلوان وقد كان الحجاج بعث في تلك السنة سويد بن عبد الرحمن السعدي على حلوان وماه سبذان ه فلما بلغه أن مطرف بن المغيرة قد أقبل نحو أرضه عرف أنه إن رفق في أمره أو داهن لا يقبل ذلك منه الحجاج فجمع له سويدا أهل البلد والآكراد فأما الآكراد فأخذوا عليه ثنية حلوان وخرج إليه سويد وهو يحب أن يسلم من قتاله وأن يعافى من الحجاج فكان خروجه كالتعذير (قال أبو مخنف) فحدثني عبد الله بن علقمة الخثعمي أن الحجاج بن جارية الخثعمي حين سمع بخروج مطرف من المدائن نحو الجبل أتبعه في نحو من ثلاثين رجلا من قومه وغيرهم قال وكنت

فيهم فلحقناه بجلوان فكنا بمن شهد معه قتال سويد بن عبد الرحمن (قال أبو مخنف) وحدثني بذلك أيضا النضر (قال أبو مخنف) وحدثني عبد الله بن علقمة قال ما هو إلا أن قدمنا على مطرف بن المغيرة فسر بمقدمنا عليه وأجلس الحجاج بن جارية معه على مجلسه (قال أبو مخنف) وحدثني النضر بن صالح وعبد الله بن علقمة أن سويدا لما خرج إليهم بمن معه وقف في الرجال ولم يخرج بهم من البيوت و قدم ابنه القعقاع في الخيل وماخيله يومئذ بكثير (قال أبو مخنف) قال النضر بن صالح أراهم كانوا مائتين وقال ابن علقمة أراهم كانوا ينقصون من الثلاثمائة قال فدعا مطرف الحجاج بن جارية فسرحه إليهم في نحو من عدتهم فأقبلوا نحو القعقاع وهم جادون في قتاله وهم فرسان متعلمون فلما رأهم سويد قد تيسروا نحو ابنه أرسل إليهم غلاما له يقال له رسم قتل معه بعد ذلك بدير الجمجم وفي يده راية بنى سعد فانطلق غلامه حتى انتهى إلى الحجاج بن جارية فأسر إليه إن كنتم تريدون الخروج من بلادنا هذه إلى غيرها فاخرجوا عنا فإننا لا نريد قتالكم وإن كنتم إيانا تريدون فلا بد لنا من منع ما في أيدينا فلما جاءه بذلك قال له الحجاج بن جارية أنت أميرنا فاذا ذكر له ما ذكرت لي فخرج حتى أتى مطرفا فذكر له مثل الذي ذكر للحجاج بن جارية فقال له مطرف ما أريدكم ولا بلادكم فقال له فالزم هذا الطريق حتى تخرج من بلادنا فانا لا نجد بدا من أن يرى الناس وتسمع بذلك أنا قد خرجنا إليك قال فبعث مطرف إلى الحجاج فأتاه ولزموا الطريق حتى مروا بالثنية فاذا الأكراد بها فنزل مطرف ونزل معه عامة أصحابه وصعد إليهم في الجانب الأيمن الحجاج بن جارية وفي الجانب الأيسر سليمان بن حذيفة فهزماهم وقتلهم وسلم مطرف وأصحابه فمضوا حتى دنوا من همدان فتركها وأخذ ذات اليسار إلى ماه دينار وكان أخوه حمزة بن المغيرة على همدان فكره أن يدخلها فيقتلهم أخوه عند الحجاج فلما دخل مطرف أرض ماه دينار كتب إلى أخيه حمزة أما بعد فإن النفقة قد كثرت والموتة قد اشتدت فامدد أخاك بما قدرت عليه من مال وسلاح وبعث إليه يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة فجاء حتى دخل على حمزة بكتاب

مطرف ليلاً فلما رآه قال له ثكلتك أمك أنت قتلت مطرفاً فقال له ما أنا قتله
 جعلت فداك ولكن مطرفاً قتل نفسه وقتلني ولتة لا يقتلك فقال له ويحك من
 سؤل له هذا الأمر فقال نفسه سولت هذا له ثم جلس إليه فقص عليه القصة
 وأخبره بالخبر ودفع كتاب مطرف إليه فقرأه ثم قال نعم وأنا باعث إليه بمال
 وسلاح ولكن أخبرني ترى ذلك يخفى لي قال ما أظن أن يخفى فقال له حمزة فوالله
 لئن أنا خذلته في أنفع النصرين له نصر العلانية لا أخذله في أيسر النصرين نصر
 السريرة قال فرح إليه مع يزيد بن أبي زياد بمال وسلاح فأقبل به حتى أتى مطرفاً
 ونحن نزول في رستاق من رساتيق ماه دينار يقال له سامان متاخم أرض أصبهان
 وهو رستان كانت الحراء تنزله (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح قال
 والله ما هو إلا أن مضى يزيد بن أبي زياد فسمعت أهل العسكر يتحدثون أن
 الأمير بعث إلى أخيه يسأله النفقة والسلاح فأتيت مطرفاً فحدثته بذلك فضرب
 بيده على جبهته ثم قال سبحان الله قال الأول ما يخفى قال ما لا يكون قال وما هو
 إلا أن قدم يزيد بن أبي زياد علينا فسار مطرف بأصحابه حتى نزل قم وقاشان
 وأصبهان (قال أبو مخنف) فحدثني عبد الله بن علقمة أن مطرفاً حين نزل قم وقاشان
 واطمان دعا الحجاج بن جارية فقال له حدثني عن هزيمة شبيب يوم السبخة
 أكانت وأنت شاهداً أم كنت خرجت قبل الواقعة قال لا بل شهدتها قال فحدثني
 حديثهم كيف كان فحدثه فقال إني كنت أحب أن يظفر شبيب وإن كان ضالا
 فيقتل ضالا قال فظننت أنه تمى ذلك لأنه كان يرجو أن يتم له الذي يطلب لو
 هلك الحجاج قال ثم إن مطرفاً بعث عماله (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن
 صالح أن مطرفاً عمل عملاً حازماً لولا أن الأقدار غالبه قال كتب مع الربيع بن
 يزيد إلى سويد بن سرحان الثقفي وإلى بكير بن هارون البجلي أما بعد فإننا ندعوكم
 إلى كتاب الله وسنة نبيه وإلى جهاد من عند عن الحق واستأثر بالنيء وترك حكم
 الكتاب فإذا ظهر الحق ودمغ الباطل وكانت كلمة الله هي العليا جعلنا هذا الأمر
 شورى بين الأمة يرتضى المسلمون لأنفسهم الرضى فمن قبل هذا منا كان أخانا

في ديننا وولينا في محيانا ومماتنا ومن رد ذلك علينا جاهدناه واستنصرنا الله عليه فكفى بنا عليه حجة وكفى بتركه الجهاد في سبيل الله غبنا وبمداهنة الظالمين في أمر الله وهنا إن الله كتب القتال على المسلمين وسماه كرهاً ولن ينال رضوان الله إلا بالصبر على أمر الله وجهاد أعداء الله فأجيبوا رحمكم الله إلى الحق وادعوا إليه من ترجون إجابته وعرفوه ما لا يعرفه وليقبل إلى كل من رأى رأينا وأجاب دعوتنا ورأى عدوه عدونا أرشدنا الله وإياكم وتاب علينا وعليكم إنه هو التواب الرحيم والسلام فلما قدم الكتاب على ذينك الرجلين دبا في رجال من أهل الري ودعوا من تابعهما ثم خرجا في نحو من مائة من أهل الري سرّاً لا يفتن بهم فجاءوا حتى وافوا مطرفاً وكتب البراء بن قبيصة وهو عامل الحجاج على أصبهان أما بعد فإن كان للأمير أصلحه الله حاجة في أصبهان وغير أصبهان فليبعث إلى مطرف جيشاً كثيراً يستأصله ومن معه فإنه لا تزال عصابة قد انتفحت له من بلدة من البلدان حتى توافيه بمكانه الذي هو به فإنه قد استكثف وكثر تبعه والسلام فكتب إليه الحجاج أما بعد إذا أتاك رسولى فعسكر بمن معك فاذا أمرت بك عدى بن وتاد فاخرج معه في أصحابك واسمع له وأطع والسلام فلما قرأ كتابه خرج فعسكر وجعل الحجاج ابن يوسف يسرح إلى البراء بن قبيصة الرجال على دواب البريد عشرين عشرين وخمسة عشر خمسة عشر وعشرة عشرة حتى سرح إليه نحواً من خمسمائة وكان في ألفين وكان الأسود بن سعد الهمداني أتى الري في فتح الله على الحجاج يوم لقي شيبيا بالسبخة فر بهمدان والجبال ودخل على حمزة فاعتذر إليه فقال الأسود فأبلغت الحجاج عن حمزة فقال قد بلغنى ذلك وأراد عزله فخشى أن يمكر به وأن يمتنع منه فبعث إلى قيس بن سعد العجلي وهو يومئذ على شرطة حمزة بن المغيرة ولبنى عجل وربيعة عدو بهمدان فبعث إلى قيس بن سعد بعهد على همدان وكتب إليه أن أوثق حمزة بن المغيرة في الحديد واحبسها قبلك حتى يأتيك أمرى فلما أتاه عهده وأمره أقبل ومعه ناس من عشيرته كثير فلما دخل المسجد وافق الإقامة لصلاة العصر فصلى مع حمزة فلما انصرف حمزة انصرف معه قيس بن سعد العجلي صاحب

شُرطه فأقرأه كتاب الحجاج اليه وأراه عهده فقال حمزة سمعاً وطاعة فأوثقه وحبسه في السجن وتولى أمرهمذان وبعث عماله عليها وجعل عماله كلهم من قومه وكتب إلى الحجاج أما بعد فإني أخبر الأمير أصلحه الله أني قد شدت حمزة بن المغيرة في الحديد وحبسته في السجن وبعثت عمالي على الخراج ووضعيت يدي في الجباية فان رأى الأمير أبقاه الله أن يأذن لي في المسير إلى مطرف أذن لي حتى أجاهده في قومي ومن أطاعني من أهل بلادي فإني أرجو أن يكون الجهاد أعظم أجر من جباية الخراج والسلام فلما قرأ الحجاج كتابه ضحك ثم قال هذا جانب أثر أما قد أمناه وقد كان مكان حمزة بهمدان أثقل ما خلق الله على الحجاج مخافة أن يمدأخاه بالسلاح والمال ولا يدرى لعله يدوله فيعق فلم يزل يكيدته حتى عزله فاطمان وقصد قصد مطرف (قال أبو مخنف) فحدثني مطرف بن عامر بن وائلة أن الحجاج لما قرأ كتاب قيس بن سعد العجلي وسمع قوله إن أحب الأمير سرت اليه حتى أجاهده في قومي قال ما أبغض إلى أن تكثر العرب في أرض الخراج قال فقال لي ابن العرق ما هو الا أن سمعتها من الحجاج فعلبت أنه لو قد فرغ له قد عزله قال وحدثني النضر بن صالح أن الحجاج كتب إلى عدى بن وتاد الإيادي وهو على الري يأمره بالمسير إلى مطرف بن المغيرة وبالمر على البراء بن قبيصة فإذا اجتمعوا فهو أمير الناس (قال أبو مخنف) وحدثني أبي عن عبد الله بن زهير عن عبد الله بن سليم الأزدي قال إني لجالس مع عدى بن وتاد على مجلسه بالري إذ أتاه كتاب الحجاج فقرأه ثم دفعه إلى فقرأته فإذا فيه أما بعد فإذا قرأت كتابي هذا فانفض بثلاثة أرباع من معك من أهل الري ثم أقبل حتى تمر بالبراء بن قبيصة بجي ثم سيرا جميعاً فإذا التقيتما فأنت أمير الناس حتى يقتل الله مطرفاً فإذا كفى الله المؤمنين مؤنته فانصرف إلى عمك في كنف من الله وكلايته وستره فلما قرأته قال لي قم وتجهز قال وخرج فمسك ودعا الكتاب فضربوا البعث على ثلاثة أرباع الناس فامضت جمعة حتى مرنا فانتبهنا إلى جى ويوافيناها قبيصة القحافي في تسعمائة من أهل الشام فيهم عمر بن هبيرة قال ولم نلبث بجي إلا يومين حتى نهض عدى بن وتاد بمن أطاعه

من الناس ومعه ثلاثة آلاف مقاتل من أهل الرى وألف مقاتل مع البراء بن قبيصة بعثهم إليه الحجاج من الكوفة وسبعائة من أهل الشام ونحو من ألف رجل من أهل أصبهان والآكراد فكان في قريب من ستة آلاف مقاتل ثم أقبل حتى دخل على مطرف بن المغيرة (قال أبو مخنف) فحدثني النصر بن صالح عن عبد الله بن علقمة أن مطرفاً لما بلغه مسيرهم إليه خندق على أصحابه خندقاً فلم يزالوا فيه حتى قدموا عليه (قال أبو مخنف) وحدثني يزيد مولى عبد الله بن زهير قال كنت مع مولاى إذ ذاك قال خرج عدى بن وتاد فعبى الناس فجعل على ميمته عبد الله بن زهير ثم قال للبراء بن قبيصة قم فى الميسرة فغضب البراء وقال تأمرنى بالوقوف فى الميسرة وأنا أمير مثلك تلك خيلى فى الميسرة وقد بعثت عليها فارس مضر الطفيل بن عامر ابن وائلة قال فأنهى ذلك إلى عدى بن وتاد فقال لابن أقيصر الخثعمى انطلق فأنت على الخيل وانطلق إلى البراء بن قبيصة فقل له إنك قد أمرت بطاعتى ولست من الميمنة والميسرة والخيل والرجال فى شىء إنما عليك أن تؤمر فتطيع ولا تعرض لى فى شىء أكرهه فأتىكرك وقد كان له مكر ما ثم إن عدياً بعث على الميسرة عمر بن هبيرة وبعثه فى مائة من أهل الشام فجاء حتى وقف برايته فقال رجل من أصحابه للطفيل بن عامر خلّ رايك وتنعّ عنا فإنما نحن أصحاب هذا الموقف فقال الطفيل إنى لأخاصمكم إنما عقد لى هذه الراية البراء بن قبيصة وهو أميرنا وقد علمنا أن صاحبكم على جماعة الناس فإن كان قد عقد لصاحبكم هذا فبارك الله له ما سمعنا وأطوّعنا فقال لهم عمر بن هبيرة مهلاً كفوا عن أخيك وابن عمك رايتنا رايك فإن شئت آثرناك بها قال فما رأينا رجلين كانا أحلم منهما فى موقفهما ذلك قال ونزل عدى بن وتاد ثم زحف نحو مطرف (قال أبو مخنف) فحدثني النصر بن صالح وعبد الله بن علقمة أن مطرفاً بعث على ميمته الحجاج بن جارية وعلى ميسرته الربيع بن يزيد الأسدى وعلى الحامية سليمان بن صخر المزنى ونزل هو يمشى فى الرجال ورايته مع يزيد بن أبى زياد مولى أبيه المغيرة بن شعبة قال فلما زحف القوم بعضهم إلى بعض وتدانوا قال لبكير بن هارون البجليّ أخرج

إليهم فادعهم إلى كتاب الله وسنة نبيه وبكثرتهم بأعمالهم الخبيثة فخرج إليهم بكبير ابن هارون على فرس له أدم أقرح ذنوب عليه الدرع والمغفر والساعدان في يده الرمح وقد شد درعه بعصابة حمراء من حواشي البرود فتأدى بصوت له عال رفيع يا أهل قتلنا وأهل ملتنا وأهل دوتنا إنا نسألكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي عليه بما تُسرون مثل عليه بما تُعلنون لما أنصفتمونا وصدقتمونا وكانت نصحتكم لله لا لخلقه وكنتم شهداء الله على عباده بما يعلمه الله من عباده خبروني عن عبد الملك بن مروان وعن الحجاج بن يوسف أستم تعلمونهما جبارين مستأثرين يقبعان الهوى فيأخذان بالظنة ويقتلان على الغضب قال فتنادوا من كل جانب يا عدو الله كذبت ليسا كذلك فقال لهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افتري ويلكم أو تعلمون الله ما لا يعلم إني قد استشهدتكم وقد قال الله في الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه فخرج إليه صارم مولى عدى ابن وتاد وصاحب رايته فحمل على بكير بن هارون البجلي فاضطربا بسيفيهما فلم تعمل ضربة مولى عدى شيئا وضربه بكير بالسيف فقتله ثم استقدم فقال فارس لفارس فلم يخرج إليه أحد فجعل يقول

صَارْمٌ قَدْ لَأَقَيْتَ سَيْفًا صَارْمًا وَأَسَدًا ذَا لِبْدَةٍ ضَبَارِمًا

قال ثم إن الحجاج بن جارية حمل وهو في الميمنة على عمر بن هبيرة وهو في الميسرة وفيها الطفيل بن عامر بن وائلة فالتقى هو والطفيل وكانا صديقين متواخين فتعارفا وقد رفع كل واحد منهما السيف على صاحبه فكفأ أيديهما فاقتلوا طويلا ثم إن ميسرة عدى بن وتاد زالت غير بعيد وانصرف الحجاج بن جارية إلى موقفه ثم إن الربيع بن يزيد حمل على عبد الله بن زهير فاقتلوا طويلا ثم إن جماعة الناس حملت على الأسدى فقتلته وانكشفت ميسرة مطرف بن المغيرة حتى انتهت إليه ثم إن عمر بن هبيرة حمل على الحجاج بن جارية وأصحابه فقاتله قتالا طويلا ثم إنه حذره حتى انتهى إلى مطرف وحمل ابن أقيصر الحثمي في الخيل على سليمان ابن صخر المزني فقتله وانكشفت خيلهم حتى انتهى إلى مطرف فتم اقتلت

الفرسان أشد قتال رآه الناس قط ثم إنه وصل إلى مطرف (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح أنه جعل يناديهم يومئذ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون قال ولم يزل يقاتل حتى قتل واحتز رأسه عمر بن هبيرة وذكر أنه قتله وقد كان أسرع إليه غير واحد غير أن ابن هبيرة احتز رأسه وأوفده به عدى بن وتاد وحظي به وقاتل عمر بن هبيرة يومئذ وأبلى بلاء حسناً (قال أبو مخنف) وقد حدثني حكيم بن أبي سفیان الأزدي أنه قتل يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة وكان صاحب راية مطرف قال ودخلوا عسكر مطرف وكان مطرف قد جعل على عسكره عبد الرحمن بن عبد الله ابن عفيف الأزدي فقتل وكان صالحاً ناسكاً عفيفاً (قال أبو مخنف) حدثني زيد مولاهم أنه رأى رأسه مع ابن أقيصر الحثعمي فاملكت نفسي أن قلت له أما والله لقد قتلت من المصلين العابدين الذاكرين الله كثيراً قال فأقبل نحوي وقال من أنت فقال له مولاى هذا غلامى ماله قال فأخبره بمقاتلي فقال إنه ضعيف العقل قال ثم انصرفنا إلى الرى مع عدى بن وتاد قال وبعث رجلاً من أهل البلاء إلى الحجاج فأكرمهم وأحسن إليهم قال ولما رجع إلى الرى جاءت بجيلة إلى عدى بن وتاد فطلبوا لبكبير بن هارون الأمان فأمنه وطلبت ثقيف لسويد ابن سرحان الثقفي الأمان فأمنه وطلبت في كل رجل كان مع مطرف عشيرته فأمنهم وأحسن في ذلك وقد كان رجال من أصحاب مطرف أحيط بهم في عسكر مطرف فنادوا يا براء خذنا الأمان يا براء اشفع لنا فشفع لهم فتركوا وأسر عدى ناساً كثيراً نخلي عنهم (قال أبو مخنف) وحدثني النضر بن صالح أنه أقبل حتى قدم على سويد بن عبد الرحمن بجلوان فأكرمه وأحسن إليه ثم إنه انصرف بعد ذلك إلى الكوفة (قال أبو مخنف) وحدثني عبد الله بن علقمة أن الحجاج بن جارية الحثعمي أتى الرى وكان مكتبه بها فطلب إلى عدى فيه فقال هذا رجل مشهور قد شهر مع صاحبه وهذا كتاب الحجاج إلى فيه (قال أبو مخنف) فحدثني أبي عن

عبد الله بن زهير قال كنت فيمن كله في الحجاج بن جارية فأخرج إلينا كتاب الحجاج بن يوسف أما بعد فإن كان الله قتل الحجاج بن جارية فبُعِدَا له فذاك ما أهوى وأحب وإن كان حيا فاطلبه قبلك حتى توثقه ثم سرح به إلى إن شاء الله والسلام قال فقال لنا قد كتب إلى فيه ولا بد من السمع والطاعة ولو لم يكتب إلى فيه آمنت لكم وكففت عنه فلم أطلبه وقتنا من عنده قال فلم يزل الحجاج بن جارية خائفاً حتى عزل عدى بن وتاد وقدام خالد بن عتاب بن ورقاء فمشت إليه فيه فكلمته فأمنه وقال حبيب بن خدره مولى لبي هلال بن عامر

هل أتى فائد عن أيسارنا	إذ خَشِينَا من عدو خُرُقَا
إذ أتانا الخوف من مآمننا	فطوينا في سواد أفضَا
وسلي هدية يوماً هل رأت	بشراً أكرم منا خائفاً
وسليها أعلى العهد لنا	أو يُصرون علينا حنفاً
ولكم من خلة من قبلها	قد صرمتنا حبلها فانطلقا
قد أصبنا العيش عيشاً ناعماً	وأصبنا العيش عيشاً رنقا
وأصبنا الدهر دهر الأشتهي	طبقة منه والوي طبقة
وشهدت الخيل في ملمومة	ما ترى منهن إلا الحدقا
يتساقون بأطراف القنا	من نجيع الموت كأساً دهقا
فطراد الخيل قد يؤنقني	ويرد اللهو عني الأنقا
بمشيع البيض حتى يتركوا	لسيوف الهند فيها طرقة
وكان من غدٍ وافقتا	مثل ما وافق سنن طبقة

(قال أبو جعفر) وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين الأزارقة أصحاب قطرى بن الفجاءة فخالفه بعضهم واعتزله وبايع عبد رب الكبير وأقام بعضهم على بيعة قطرى ذكر الخبر عن ذلك وعن السبب الذي من أجله حدث

الاختلاف بينهم حتى صار أمرهم إلى الهلاك

❦ ذكر هشام عن أبي مخنف عن يوسف بن يزيد أن المهلب أقام بسابور

فقاتل قطرياً وأصحابه من الأزارقة بعد ما صرف الحجاج عتاب بن ورقاء عن
عسكره نحواً من سنة ثم إنه زاحفهم يوم البستان فقاتلهم قتالاً شديداً وكانت
كرمان في أيدي الخوارج وفارس في يد المهلب فكان قد ضاق عليهم مكانهم الذي
هم به لا يأتهم من فارس مادة وَبَعْدَ دِيَارِهِمْ عَنْهُمْ نَجْرَجُوا حَتَّى أَتَوْا كِرْمَانَ
وَتَبِعَهُمُ الْمُهَلَّبُ حَتَّى نَزَلَ بِجَيْرَفَتٍ وَجَيْرَفَتُ مَدِينَةُ كِرْمَانَ فَمَاتَهُمْ بِهَا أَكْثَرَ مِنْ
سَنَةٍ قِتَالًا شَدِيدًا وَحَازَهُمْ عَنِ فَارِسٍ كُلِّهَا فَلَمَّا صَارَتْ فَارِسُ كُلِّهَا فِي يَدِ الْمُهَلَّبِ
بَعَثَ الْحِجَّاجُ عَلَيْهَا عَمَّالَهُ وَأَخَذَهَا مِنَ الْمُهَلَّبِ فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ فَكَتَبَ إِلَى الْحِجَّاجِ
أَمَّا بَعْدَ فَدَّعْ بِيَدِ الْمُهَلَّبِ خِرَاجَ جِبَالِ فَارِسٍ فَإِنَّهُ لَا بَدَ لِلْجَيْشِ مِنْ قُوَّةٍ وَلِصَاحِبِ
الْجَيْشِ مِنْ مَعُونَةٍ وَدَعَّ لَهُ كُورَةَ فَسَاوِدْرًا بِجَرْدٍ وَكُورَةَ اصْطَخْرِ فَرَكَهَا لِلْمُهَلَّبِ
فَبَعَثَ الْمُهَلَّبُ عَلَيْهَا عَمَّالَهُ فَكَانَتْ لَهُ قُوَّةٌ عَلَى عَدُوِّهِ وَمَا يَصْلُحُهُ فَبَيَّنَّا ذَلِكَ يَقُولُ
شَاعِرُ الْأَزْدِ وَهُوَ يَعَاتِبُ الْمُهَلَّبَ

نَقَاتِلُ عَنْ قُصُورِ دِرَاجَرْدٍ وَنَجْبِي لِلْبَغِيرَةِ وَالرُّقَادِ

وكان الرقاد بن زياد بن همام رجل من العتيك كريماً على المهلب وبعث
الحجاج إلى المهلب البراء بن قبيصة وكتب إلى المهلب أما بعد فإنك والله لو شئت
فيما أرى لقد اصطلمت هذه الخارجة المارقة ولكنك تحب طول بقائهم لتأكل
الأرض حولك وقد بعثت إليك البراء بن قبيصة لينهضك إليهم فانهمض إليهم إذا
قدم عليك بجميع المسلمين ثم جاهدكم أشد الجهاد وإياك والعيل والأباطيل والأموار
التي ليست لك عندي بسائغة ولا جائزة والسلام فأخرج المهلب بنه كل ابن له
في كنية وأخرج الناس على آياتهم ومصافهم وأخماسهم وجاء البراء بن قبيصة
فوقفه على تل قريب منهم حيث يراهم فأخذت الكتاب تحمل على الكتاب
والرجال على الرجال فيقتلون أشد قتال رآه الناس من صلاة الغداة إلى انتصاف
النهار ثم انصرفوا فجاء البراء بن قبيصة إلى المهلب فقال له لا والله ما رأيت كبنيتك
فرساناً قط ولا كفرسانك من العرب فرساناً قط ولا رأيت مثل قوم يقاتلونك
قط أصبر ولا أبأس أنت والله المعذور فرجع بالناس المهلب حتى إذا كان عند

العصر خرج إليهم بالناس وبنيه في كتابهم فقاتلوه كقتالهم في أول مرة (قال أبو مخنف) وحدثني أبو المغلس الكنانى عن عمه أبي طلحة قال خرجت كتيبة من كتابهم لكتيبة من كتابنا فاشتد بينهما القتال فأخذت كل واحدة منهما لا تصد عن الأخرى فاقتلتا حتى حجز الليل بينهما فقالت إحداهما للأخرى من أتم فقال هؤلاء نحن من بنى تميم وقال هؤلاء نحن من بنى تميم فانصرفوا عند المساء قال المهلب للبراء كيف رأيت قال رأيت قوما والله ما يعينك عليهم إلا الله فأحسن إلى البراء بن قبيصة وأجازته وحمله وكساه وأمر له بعشرة آلاف درهم ثم انصرف إلى الحجاج فأناه بعذر المهلب وأخبره بما رأى وكتب المهلب إلى الحجاج أما بعد فقد أتاني كتاب الأمير أصلحه الله واتهامه إياى فى هذه الخارجة المارقة وأمرنى الأمير بالنهوض إليهم وإشهاد رسوله ذلك وقد فعلت فليسأله عما رأى فأما أنا فوالله لو كنت أقدر على استئصالهم أو إزالتهم عن مكانهم ثم أمسكت عن ذلك لقد غششت المسلمين وما وفيت لأمر المؤمنين ولا نصحت للأمير أصلحه الله فمأذ الله أن يكون هذا من رأيى ولا بما أدين الله به والسلام ثم إن المهلب قاتلهم بها ثمانية عشر شهراً لا يستفل منهم شيئاً ولا يرى فى موطن يُنقعون له ولمن معه من أهل العراق من الطعن والضرب ما يردعونهم به ويكفونهم عنهم ثم إن رجلاً منهم كان عاملاً لقطرى على ناحية من كرمان خرج فى سرية لهم يدعى المقطر من بنى ضبة فقتل رجلاً قد كان ذا بأس من الخوارج ودخل منهم فى ولاية نقتله المقطر فوثبت الخوارج إلى قطرى فذكروا له ذلك وقالوا أمكننا من الضبي نقتله بصاحبنا فقال لهم ما أرى أن أفعل رجل تأول فأخطأ فى التأويل ما أرى أن تقتلوه وهو من ذوى الفضل منكم والسابقة فيكم قالوا بلى قال لهم لا فوقع الاختلاف بينهم فولوا عبد رب الكبير وخلعوا قطرياً وبايع قطرياً منهم عصابة نحو من ربعمهم أو خمسهم فقاتلهم نحواً من شهر غدوة وعشية فكتب بذلك المهلب إلى الحجاج أما بعد فإن الله قد ألقى بأس الخوارج بينهم فخلع عظيمهم قطرياً وبايعوا عبد رب الكبير وبقيت عصابة منهم مع قطرى وهم يتاتل بعضهم بعضاً

غدوا وعشيا وقد رجوت أن يكون ذلك من أمرهم سبب هلاكهم إن شاء الله
والسلام فكتب إليه أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه اختلاف الخوارج بينها
فإذا أتاك كتابي هذا فناهضهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل أن يجتمعوا
فتكون مؤنتهم عليك أشد والسلام فكتب إليه أما بعد فقد بلغني كتاب الأمير
وكل ما فيه قد فهمت ولست أرى أن أقاتلهم ماداموا يقتل بعضهم بعضا
وينقص بعضهم عدد بعض فإن تمثوا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم وإن
اجتمعوا لم يجتمعوا إلا وقد رقق بعضهم بعضاً فأناهضهم على تفيئة ذلك وهم
أهون ما كانوا وأضعفه بشوكة إن شاء الله والسلام فكف عنه الحجاج وتركهم
المهلب يقتلون شهراً لا يحر كهم ثم ان قطريا خرج بمن اتبعه نحو طبرستان وباع
عامتهم عبد رب الكبير فهض إليهم المهلب فقاتلوه قتالا شديداً ثم إن الله قتلهم
فلم ينج منهم إلا قليل وأخذ عسكرهم وما فيه وسبوا لأنهم كانوا يسبون المسلمين
وقال كعب الأشقرى والأشقر بطن من الأزد يذكر يوم رام هرمز وأيام
سابور وأيام جيرفت

وَقَدْ أَرِقْتُ فَاذَى عَيْنِي السَّهْرُ
وَالشَّيْبُ فِيهِ عَنِ الْأَهْوَاءِ مَزْدَجْرُ
أَمْ حَبَلُهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مُنْبِرُ
فِي غُرْفَةٍ دُونَهَا الْأَبْوَابُ وَالْحَجْرُ
تَكَادُ إِذْ نَهَضَتْ لِلشَّيْءِ تَلْبِيرُ
دَارًا بِهَا يَسْعَدُ الْبَادُونَ وَالْحَضْرُ
مَا زَالَ فِيهِمْ لِمَنْ نَخْتَارُهُمْ خَيْرُ
وَطَالِبُ الْخَيْرِ مُرْتَادٌ وَمُنْتَظَرُ
أَرْجُو نَوَالِكَ لِمَا مَسَّنِي الضَّرْرُ
مَا دَامَتِ الْأَرْضُ فِيهَا الْمَاءُ وَالشَّجَرُ
إِلَّا يُرَى فِيهِمْ مِنْ سَيِّئِكُمْ أَرُّ

يَا حَفْصَ إِنِّي عَدَانِي عَنْكُمْ السَّفْرُ
عُلِقْتَ يَا كَعْبُ بَعْدَ الشَّيْبِ غَانِيَةٌ
أَمْسَكَ أَنْتَ عَنْهَا بِالذِّي عَهَدْتَ
عُلِقْتُ خَوْدًا بِأَعْلَى الطَّافِ مَنَزِلَهَا
دُرْمًا مَنَاكِهَهَا رِيًّا مَا كَيْهَهَا
وَقَدْ تَرَكَتُ بِشَطِّ الزَّابِينِ لَهَا
وَاخْتَرْتُ دَارًا بِهَا حَتَّى أَسْرَبِيهِمْ
لَمَّا نَبَتْ بِي بِلَادِي سِرْتُ مُنْتَجِعًا
أَبَا سَعِيدٍ فَإِنِّي جِئْتُ مُنْتَجِعًا
لَوْلَا الْمَهْلَبُ مَا زُرْنَا بِلَادَهُمْ
فَمَا مِنْ النَّاسِ مِنْ حَتَّى عَلِيَّتُهُمْ

أَحْيَيْتَهُمْ بِسِجَالٍ مِّنْ نَّدَاكَ كَمَا
إِنِّي لَأَرْجُو إِذَا مَا فَاقَهُ نَزَلْتُ
فَاجِبٌ أَخَالِكَ أَوْ هِيَ الْفَقْرُ قُوَّتَهُ
جَفَا ذُوو نَسَبِي عَنِّي وَأَخْلَفَنِي
يَا وَاهِبَ الْقَيْنَةِ الْحَسَنَاءِ سُئِنَهَا
وَمَا تَزَالُ بُدُورٌ مِّنْكَ رَائِحَةٌ
نَمَّاكَ لِلْمَجْدِ أَمْلاكَ وَرَثَتَهُمْ
ثَارُوا بِقَتْلِي وَأُوتَارُ تُعَدُّدَهَا
وَاسْتَسْلِمَ النَّاسُ إِذْ حَلَّ الْعَدُوُّ بِهِمْ
وَمَا تَجَاوَزَ بَابَ الْجِسْرِ مِنْ أَحَدٍ
وَأَدْخَلَ الْخَوْفَ أَجْوَافَ الْبُيُوتِ عَلَى
وَاشْتَدَّتْ الْحَرْبُ وَالْبَلْوَى وَحَلَّ بِنَا
نَظَلَ مِنْ دُونَ خَفِضَ مُعْصِمِينَ بِهِمْ
كَانَا نَهْوَنُ قَبْلَ الْيَوْمِ شَأْنَهُمْ
لَمَّا وَهَنَّا وَقَدْ حَلُّوا بِسَاحَتِنَا
نَادَى أَمْرٌ لَّا خِلَافَ فِي عَشِيرَتِهِ
أَفْسَى هُنَالِكَ بِمَا كَانَ مَذْ عَصَرُوا
تَلَبَّسُوا لِقِرَاعِ الْحَرْبِ بِزِيَّتِهَا
سَارُوا بِالْوَيْةِ لِلْمَجْدِ قَدْ رُفِعَتْ
حَتَّى إِذَا خَلَفُوا الْأَهْوَاذَ وَاجْتَمَعُوا
نَعِيُّ بَشِيرِ جُنَالِ الْقَوْمِ وَانْصَدَعُوا
ثُمَّ اسْتَمَرَّ بِنَا رَاضٍ بِبَيْعَتِهِ
حَتَّى اجْتَمَعْنَا بِسَابُورِ الْجُنُودِ وَقَدْ
تَلَقَى مَسَاعِيرَ أَبْطَالًا كَانَهُمْ

تَحْيَا الْبِلَادُ إِذَا مَا مَسَهَا الْمَطْرُ
فَضْلًا مِنْ اللَّهِ فِي كَفَيْكَ يَبْتَدِرُ
لَعَلَّهُ بَعْدَ وَهِيَ الْعَظِيمِ يَنْجِيرُ
ظَنِي فَاللَّهُ دَرَى كَيْفَ آمُرُ
كَالشَّمْسِ هِرْ كَوْلَةٌ فِي طَرْفِهَا فَتَرُ
وَآخِرُونَ لَهُمْ مِنْ سَيِّبِكَ الْغُرَرُ
ثُمَّ الْعَرَانِينَ فِي أَخْلَاقِهِمْ يَسْرُ
فِي حِينٍ لَّا حَدَثُ فِي الْحَرْبِ يَتَّبِرُ
فَمَا لِأَمْرِهِمْ وَرِدُّ وَلَا صَدْرُ
وَعَضَّتِ الْحَرْبُ أَهْلَ الْمَصْرِ فَانْجَحَرُوا
مِثْلَ الدَّسَاءِ رِجَالٍ مَا بِهِمْ غَيْرُ
أَمْرٌ تُشَمَّرُ فِي أَمْثَالِهِ الْأَزْرُ
فَشَمَّرَ الشَّيْخُ لَمَّا أَعْظَمَ الْخَطَرُ
حَتَّى تَفَاقَمَ أَمْرٌ كَانَ يُحْتَقَرُ
وَاسْتَنْفَرَ النَّاسُ تَارَاتٍ فَمَا تَفَرُّوا
عَنَّهُ وَلَيْسَ بِهِ فِي مِثْلِهِ قِصَرُ
فِيهِمْ صِنَاعٌ بِمَا كَانَ يُدْخَرُ
فَأَصْبَحُوا مِنْ وَرَاءِ الْجِسْرِ قَدْ عَبَرُوا
وَتَحْتَنُّ لُيُوثٌ فِي الْوِغَا وَقُرُ
بِرَامٍ هُرْمُزٍ وَأَفَاؤُمُ بِهَا الْخَبْرُ
إِلَّا بَقَايَا إِذَا مَا ذُكِّرُوا ذُكِّرُوا
يَنْوِي الْوَفَاءَ وَلَمْ تَغْدُرْ كَمَا غَدَرُوا
سُبَّتْ لَنَا وَلَهُمْ نَارٌ لَهَا شَرُّ
جِنُّ نَقَارِعُهُمْ مَا مِثْلُهُمْ بَشَرُ

نُسَقَى وَنَسْقِيهِمْ سَمَا عَلَى حَنْقٍ
 قَتْلِي هُنَاكَ لَا عَقْلٌ وَلَا قَوْدٌ
 حَتَّى تَنْحُوا لَنَا عَنْهَا تُسَوِّقُهُمْ
 لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ غَدَاةَ التَّلِّ كَيْدُهُمْ
 بَاتَتْ كِتَابُنَا تَرْدِي مُسَوِّمَةٌ
 هُنَاكَ وَلَوْ أَحْزَانًا بَعْدَ مَا فَرِحُوا
 عَبُّوا جُنُودَهُمْ بِالسَّفْحِ إِذْ نَزَلُوا
 وَقَدْ لَقُوا مَصْدَنًا مَنَا بِمَنْزِلَةٍ
 بَدَشَتْ بَارِيزَ يَوْمَ الشُّعْبِ إِذْ لَحِقَتْ
 لَا قَوَا كَتَبَ لَا يُخْلُونَ نَعْرَهُمْ
 الْمُقَدِّمِينَ إِذْ مَا خِيَلَهُمْ وَرَدَّتْ
 وَفِي جُبَيْرِينَ إِذْ صَفُّوا بِزَحْفِهِمْ
 وَاللَّهِ مَا نَزَلُوا يَوْمًا بِسَاحَتِنَا
 تَنْفِيهِمْ بِالْقِنَا عَنْ كُلِّ مَنْزِلَةٍ
 وَلَوْ أَحْزَارًا وَقَدْ هَزُّوا أَسْتِنَا
 صَلَّى الْجَبِينَ طَوِيلُ الْبَاعِ ذُو فَرْحٍ
 مَجْرَبُ الْحَرْبِ مِيمُونَ نَقِيبَتُهُ
 وَفِي ثَلَاثِ سَنِينَ يَسْتَدِيمُ بِنَا
 يَقُولُ إِنَّ غَدَاً مُبِيدٍ لِنَظَرِهِ
 دَعُوا التَّابِعَ وَالْأَسْرَاعَ وَارْتَقِبُوا
 حَتَّى آتَتْهُ أُمُورٌ عِنْدَهَا فَرْجٌ
 لِمَا زَوَّاهُمْ إِلَى كَرْمَانَ وَانْصَدَعُوا
 سَرْنَا إِلَيْهِمْ بِمِثْلِ الْمَوْجِ وَازْدَلَفُوا
 وَزَادَنَا حَنْقًا قَتْلِي نُدَّكِرُهَا

مُسْتَأْنِفِي اللَّيْلِ حَتَّى أَسْفَرَ السَّحْرُ
 مِنَّا وَمِنْهُمْ دِمَاءٌ سَفَكَهَا هَدْرُ
 مَنَا لِيُوثَ إِذَا مَا أَتَدَمُوا جَسَرُوا
 عِنْدَ الطَّعَانِ وَلَا الْمَكْرَ الَّذِي مَكَّرُوا
 حَوْلَ الْمَهْلَبِ حَتَّى نَوَّرَ الْقَمْرُ
 وَحَالَ دُونَهُمُ الْأَنْهَارُ وَالْجُدْرُ
 بِكَازِرُونَ فَمَا عَزَّوَا وَلَا ظَفَرُوا
 ظَنُّوَا بِأَنْ يُنْصَرُوا فِيهَا فَمَا نُصِرُوا
 أَسَدٌ بِسَفَكِ دِمَائِ النَّاسِ قَدْ زَبَرُوا
 فِيهِمْ عَلَى مَنْ يَقَاسِي حَرْبَهُمْ صَعْرُ
 وَالْعَاطِفِينَ إِذَا مَا ضَيَّعَ الدَّبْرُ
 وَلَوْ أَحْزَابِيَا وَقَدْ فُلُوا وَقَدْ قَهَرُوا
 إِلَّا أَصَابَهُمْ مِنْ حَرْبِنَا ظَفْرُ
 تَرُوحُ مَنَا مَسَاعِيرُ وَتَبْتَكُرُ
 نَحْوَ الْحُرُوبِ فَمَا نَجَّاهُمُ الْحَذْرُ
 صَنْخُمُ الدَّسِيعَةَ لَا وَا نِ وَلَا غَمْرُ
 لَا يُسْتَخَفُ وَلَا مَنْ رَأَى بِهِ الْبَطْرُ
 يُقَارِعُ الْحَرْبَ أَطْوَارًا وَيَأْتَمُرُ
 وَفِي اللَّيَالِي وَفِي الْأَيَّامِ مُعْتَبَرُ
 إِنَّ الْمُحَارِبَ يَسْتَأْنِي وَيَلْتَمِظُرُ
 وَقَدْ تَبَيَّنَ مَا يَأْتِي وَمَا يَدْرُ
 وَقَدْ تَقَارَبَتِ الْأَجَالُ وَالْقَدْرُ
 وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَتْ يَتَنَامِرُ
 لَا تَسْتَفِيقُ عَيُونَُ كَلْبَا ذَكِرُوا

إذا ذكرنا جرؤنا والذين بها
 تأتي علينا حزازات النفوس فما
 ولا يُقيلوننا في الحرب عثرتنا
 لا عُذر يُقبلُ منا دون أنفسنا
 صفان بالقاع كالطودين بينهما
 على بصائر كل غير تاركها
 يمشون في البيض والابدان إذوردوا
 وشيخنا حوله منا مُسلمة
 في موطن يقطع الأبطال منظره
 مازال منا رجال ثم نضربهم
 وباد كل سلاح يُستعان به
 ندوسهم بعناجيج جحفة
 يغشون قتلى وعقرى ماها رمق
 قتلى بقتلى قصاص يُستقاد بها
 مجاورين بها خيلاً مُعقرة
 في معركة تحسب القتلى بساحته
 وفي مواطن قبل اليوم قد سلفت
 في كل يوم تلاقى الأزد مُفظة
 والأزد قومي خيار القوم قد علموا
 فيهم معاقل من عز بلادها
 حتى بأسيا فيهم يبعون بجدم
 لولا المهلب للجيش الذي وردوا
 إنا اعتصمنا بحبل الله إذ جحدوا
 جاروا عن القصد والإسلام واتبعوا
 قتلى مضى لهم حولان ما فبروا
 نبقي عليهم وما يُبقون إن قدروا
 ولا نقيهم يوماً إذا عثروا
 ولا لهم عندنا عذر لو اعتذروا
 كالبرق يلبع حتى يشخص البصر
 كلاً الفريقين تتلى فيهم السور
 مشى الزوامل تهدي صفهم زمر
 حتى من الأزد فيما نابهم صبر
 تشاط فيه نفوس حين تبكر
 بالمشرفي ونار الحرب تستعير
 في حومة الموت إلا الصارم الذكر
 وبيننا ثم من صم القنا كسر
 كأنما فوقها الجادى يُعتصر
 تشفى صدور رجال طالما وتروا
 للطير فيها وفي أجسادهم جزر
 أعجاز نخيل زفته الريح ينقير
 قد كان للأزد فيها الحمد والظفر
 يشيب في ساعة من هولها الشعر
 إذا قرومهم يوم الوغى خطروا
 يوماً إذا شممت حرب لها درر
 إن المكارم في المكروه تبتدر
 أنهار كرمان بعد الله ما صدروا
 بالمحكّمات ولم تكفركا كفروا
 ديننا بخالف ما جاءت به النذر

وقال الطفيل بن عامر بن وائلة وهو يذكر قتل عبد رب الكبير وأصحابه
وذهب قطرى فى الأرض واتباعهم إياه و مراوغته إياهم :

لقد مس منا عبد ربّ وجنّدهُ عقابٌ فأسى سببهم فى المقاسم
سما لهم بالجيش حتى أزاحهم بكرمان عن مشوى من الأرض ناعم
وما قطرى الكفر إلا نعامه طريد يدوى ليله غير نائم
إذا فر منا هارباً كان وجهه طريقاً سوى قصد الهدى والمعالم
فليس بمنجيه الفرار وإن جرّت به الفلك فى لج من البحر دائم
(قال أبو جعفر) وفى هذه السنة كانت هلكة قطرى وعبدة بن هلال

وعبد رب الكبير ومن كان معهم من الأزارقة

ذكر سبب مهلكهم

وكان سبب ذلك أن أمر الذين ذكرنا خبرهم من الأزارقة لما تشتت
بالاختلاف الذى حدث بينهم بكرمان فصار بعضهم مع عبد رب الكبير وبعضهم
مع قطرى ووهى أمر قطرى توجه يريد طبرستان وبلغ أمره الحجاج فوجه
فيما ذكر هشام عن أبي مخنف عن يونس بن يزيد سفیان بن الأبرد ووجه معه
جيشاً من أهل الشام عظيماً فى طلب قطرى فأقبل سفیان حتى أتى الرى ثم أتبعهم
وكتب الحجاج إلى إسحاق بن محمد بن الأشعث وهو على جيش لأهل الكوفة
بطبرستان أن اسمع وأطع لسفیان فأقبل إلى سفیان فسار معه فى طلب قطرى
حتى لحقوه فى شعب من شعاب طبرستان فقاتلوه ففترق عنه أصحابه ووقع عن
دابته فى أسفل الشعب فتدهدى حتى خر إلى أسفله فقال معاوية بن محسن الكندى
رأيت حيث هوى ولم أعرفه ونظرت إلى خمس عشرة امرأة عربية هن فى الجمال
والبزازة وحسن الهيئة كما شاء ربك ما عدا عجوزاً فهن حملت عليهن فصرقهن
إلى سفیان بن الأبرد فلبادنوت بهن منه انتحت لى بسيفها العجوز فضرب به
عنى فقطعت المغفر وقطعت جلدة من حلقى وأختلج السيف فأضرب بها وجهها
فأصاب قحف رأسها فوقعت ميتة وأقيت بالفتيات حتى دفعتهن إلى سفیان

وإنه ليضحك من العجوز وقال ما أردت إلى قتل هذه أخزاه الله فقلت أو ما رأيت أصلحك الله ضربتها إياي والله إن كادت لتقتلني قال قد رأيت فوالله ما ألومك على فعلك أبعدها الله ويأتي قطرياً حيث تدهدى من الشعب عالج من أهل البلد فقال له قطري أسقني من الماء وقد كان اشتد عطشه فقال أعطني شيئاً حتى أسقيك فقال ويحك والله مامعي إلا ما ترى من سلاحى فأنا مؤتيك إذا أتيتني بماء قال لا بل أعطيه الآن قال لا ولكن اتنى بماء قبل فانطلق العالج حتى أشرف على قطري ثم حذر عليه حجراً عظيماً من فوقه دَهْدَاهُ عليه فأصاب إحدى وركيه فأوهته وصاح بالناس فأقبلوا نحوه والعالج حينئذ لا يعرف قطرياً غير أنه يظن أنه من أشرفهم لحسن هيئته وكال سلاحه فدفع إليه نفر من أهل الكوفة فابتدروا فقتلوه منهم سورة بن أبحر التميمي وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف والصبح بن محمد بن الأشعث وبادام مولى بني الأشعث وعمر بن أبي الصلت بن كزاز مولى بني نصر بن معاوية وهو من الدهاقين فكل هؤلاء ادَّعوا قتله فدفع إليهم أبو الجهم ابن كنانة الكلبي وكلهم يزعم أنه قاتله فقال لهم ادفعوه إلى حتى تصطلحوا فدفعوه إليه فأقبل به إلى إسحاق بن محمد وهو على أهل الكوفة ولم يأته جعفر لشيء كان بينه وبينه قبل ذلك وكان لا يكلمه وكان جعفر مع سفيان بن الأبرد ولم يكن معه إسحاق كان جعفر على ربيع أهل المدينة بالري ه فلما مرَّ سفيان بأهل الري انتخب فرسانهم بأمر الحجاج فسار بهم معه فلما أتى القوم بالرأس فاختموا فيه إليه وهو في يدي أبي الجهم بن كنانة الكلبي قال له امض به أنت ودع هؤلاء المختلفين نخرج برأس قطري حتى قدم به على الحجاج ثم أتى به عبد الملك بن مروان فألحق في الفين وأعطى فلما يعني أنه يفرض للصغار في الديوان وجاء جعفر إلى سفيان فقال له أصلحك الله إن قطرياً كان أصاب والدي فلم يكن لي همٌ غيره فاجمع بيني وبين هؤلاء الذين ادَّعوا قتله فسلهم ألم أكن أمامهم حتى بدرتهم فضربته ضربة فصرعته ثم جاؤني بعد فأقبلوا يضربونه بأسيا فهم فإن أقروا لي بهذا فقد صدقوا وإن أبوا فأنا أحلف بالله أني ضاحجه وإلا فليحلفوا بالله أنهم أصحابه الذين قتلوه وأنهم

لا يعرفون ما أقول ولا حق لي فيه قال جئت الآن وقد سرحنا بالراس فانصرف
 عنه فقال لأصحابه أما والله إنك لأخلق القوم أن تكون صاحبه ثم إن
 سفيان بن الأبرد أقبل منصرفاً إلى عسكر عبيدة بن هلال وقد تحصن في قصر
 بقوميس فحاصره فقاتله أياماً ثم إن سفيان بن الأبرد سار بنا إليهم حتى أحطنا
 بهم ثم أمر مناديه فنادى فيهم أيما رجل قتل صاحبه ثم خرج إلينا فهو آمن
 فقال عبيدة بن هلال :

لعمري لقد قام الأصم بخطبةٍ لذي الشك منها في الصدورِ غليل
 لعمري لئن أعطيتُ سفيانَ يعتي وفارقتُ ديني إنني لجهولُ
 إلى الله أشكو ما ترى بجيادنا تساوكُ هزلي مُخهنٌ قليلُ
 تعاورها القذائفُ من كل جانبٍ بقومس حتى صعبهنٌ ذلولُ
 فإن بكُ أفناها الحصارُ فربما تشحطُ فيما بينهن قتلُ
 وقد كنَّ بما إن يُقدنَ على الوجي لهنَّ بأبواب القباب صهيلُ

فحاصروهم حتى جهدوا وأكلوا دوابهم ثم انهم خرجوا إليه فقاتلوه فقتلهم
 وبعث برؤوسهم إلى الحجاج ثم دخل إلى دناوند وطبرستان فكان هناك حتى
 عزله الحجاج قبل الجماجم (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة قتل بكير بن وشاح
 السعدي أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد

ذكر سبب قتله إياه

وكان سبب ذلك فيما ذكر علي بن محمد عن المفضل بن محمد أن أمية بن عبد الله
 وهو عامل عبد الملك بن مروان على خراسان ولي بكيراً غزو ماوراء النهر وقد
 كان ولاه قبل ذلك طخارستان فتجهز للخروج إليها وأنفق نفقة كثيرة فوشى به
 إليه بحير بن ورقاء الصريمي على ما بينت قبل فأمره أمية بالمقام ه فلما ولاه غزو
 ماوراء النهر تجهز وتكلف الخيل والسلاح وأدان من رجال السغد وتجارهم فقال
 بحير لأمية إن صار بينك وبينه النهر ولقي الملوك خلع الخليفة ودعا إلى نفسه
 فأرسل إليه أمية أقم لعل أغزو فتكون معي فغضب بكير وقال كأنه يضارني وكان

عتاب اللقوة الغداني استدان ليخرج مع بكير فلما أقام أخذه غرماؤه فحبس فأدى عنه بكير وخرج ثم أجمع أمية على الغزو قال فأمر بالجهاز ليغزو بخارى ثم يأتي موسى بن عبد الله بن خازم بالترمذ فاستعد الناس وتجهزوا واستخلف على خراسان ابنه زيادا وسار معه بكير فمسكر بكثماهن فأقام أياما ثم أمر بالرحيل فقال له بحير إني لا آمن أن يتخلف الناس فقل لبكير فلتكن في الساقة ولتحشر الناس قال فأمره أمية فكان على الساقة حتى أتى النهر فقال له أمية اقطع يا بكير فقال عتاب اللقوة الغداني أصلح الله الأمير اعبر ثم يعبر الناس بعدك فعبر ثم عبر الناس فقال أمية لبكير قد خفت أن لا يضبط ابني عمه وهو غلام حدث فارجع إلى مرو فاكفنها فقد وليتها فزين ابني وقم بأمره فانتخب بكير فرسانا من فرسان خراسان قد كان عرفهم ووثق بهم وعبر ومضى أمية إلى بخارى على مقدمته أبو خالد ثابت مولى خزاعة فقال عتاب اللقوة لبكير لما عبر وقد مضى أمية إنا قتلنا أنفسنا وعشائرنا حتى ضبطنا خراسان ثم طلبنا أميرا من قريش يجمع أمرنا فجاءنا أمير يلعب بنا يحولنا من سجن إلى سجن قال فما ترى قال احرق هذه السفن وامض إلى مرو فاخلع أمية وتقيم بمرو تأكلها إلى يوم ما قال فقال الأحنف بن عبد الله العنبري الرأي مارأي عتاب فقال بكير إني أخاف أن يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي فقال أتخاف عدم الرجال أنا آتيك من أهل مرو بما شئت إن هلك هؤلاء الذين معك قال يهلك المسلمون قال إنما يكفيك أن ينادي مناد من أسلم رفعنا عنه الخراج فبأتيك خمسون ألفاً من المصلين أسمع لك من هؤلاء وأطوع قال فيهلك أمية ومن معه قال ولم يهلكون ولم عُدّة وعدد ونجدة وسلاح ظاهر وأداة كاملة ليقاتلوا عن أنفسهم حتى يبلغوا الصين فأحرق بكير السفن ورجع إلى مرو فأخذ ابن أمية فحبسه ودعا الناس إلى خلع أمية فأجابوه وبلغ أمية فصالح أهل بخارى على فدية قليلة ورجع فأمر باتخاذ السفن فاتخذت له وجمعت وقال لمن معه من وجوه تميم ألا تعجبون من بكير إني قدمت خراسان فخذرته ورفع عليه وشكى منه وذكروا

أموالاً أصابها فأعرضت عن ذلك كله ثم لم أفتشه عن شيء ولا أحدًا من عماله ثم عرضت عليه شرطى فأبى فأعفيته ثم وليته فُخذرتَه فأمرته بالمقام وما كان ذلك إلا نظرًا له ثم رددته إلى مرو وليته الأمر فكفر ذلك كله وكافأني بما ترون فقال له قوم أيها الأمير لم يكن هذا من شأنه إنما أشار عليه بإحراق السفن عتابُ القوة فقال وما عتاب وهل عتاب إلا دجاجة حاضنة فباع قوله عتابًا فقال عتاب في ذلك

إِنَّ الْحَوَاضِنَ تَلَقَاهَا مَجْفِفَةً
تَرَكْتَ أَمْرَكَ مِنْ جُبَيْنٍ وَمِنْ خَوْرٍ
لَمَّا رَأَيْتَ جِبَالَ السُّغْدِ مُعْرِضَةً
وَجِئْتَ ذِيخًا مُغْنِيًا مَا تَكَلَّمْنَا
أَوْعِدْ وَعِيدَكَ إِنِّي سَوْفَ تَعْرِفُنِي
يَخْتَبُ بِي مَشْرَفٌ عَارٌ نَوَاهِقُهُ
غَلَبَ الرِّقَابَ عَلَى الْمَنْسُوبَةِ النَّجْبِ
وَجِئْتَنَا حُقًّا يَا أَلَمَ الْعَرَبِ
وَلَيْتَ مُوسَى وَنُوحًا عَكُورَةَ الذَّنْبِ
وَطَرَّتْ مِنْ سَعْفِ الْبَحْرَيْنِ كَالْخَرْبِ
تَحْتَ الْخَوَافِقِ دُونَ الْعَارِضِ اللَّجْبِ
يَغْشَى الْكُتَيْبَةَ بَيْنَ الْعَدُوِّ وَالْحَبِّ

قال فلما تهيأت السفن عبر أمية وأقبل إلى مرو وترك موسى بن عبد الله وقال اللهم إني أحسنت إلى بكير فكفر إحساني وصنع ما صنع اللهم ا كفيه فقال شماس ابن دثار وكان رجوع من سجستان بعد قتل ابن خازم فغزاهم أمية أيها الأمير ا كفيك إن شاء الله فقدّمه أمية في ثمانمائة فأقبل حتى نزل باسان وهي لبني نصر وسار إليه بكيرٌ ومعه مدرك بن أنيف وأبوه مع شماس فقال أما كان في تميم أحد يحاربني غيرك ولا مه فأرسل إليه شماس أنت ألوم وأسوء صنيعا مني لم تف لأمية ولم تشكر له صنيعه بك قدم فأكرمك ولم يعرض لك ولا لأحد من عمالك قال فبيته بكير ففرق جمعه وقال لا تقتلوا منهم أحدا وخذوا سلاحهم فكانوا إذا أخذوا رجلا سلبوه وحلوا عنه ففرقوا ونزل شماس في قرية لطبي يقال لها بُويته وقدم أمية فنزل كشاهن ورجع إليه شماس بن دثار فقدم أمية ثابت بن قطبة مولى خزاعة فلقبه بكبير فأسر ثابتا وفرق جمعه وخلي بكير سبيل ثابت ليد كانت له عنده قال فرجع إلى أمية فأقبل أمية في الناس فقاتله بكير وعلى شرطة بكير أبو رستم الحليل بن أوس العبشمي

فأبى يومئذ فنادوه يا صاحب شرطة عارمة وعارمة جارية بكير فأحجم فقال له بكير لا أبالك لا يهدك نداء هؤلاء القوم فإن للعارمة فخلا يمنعها فقدم لواءك فقاتلوا حتى انحاز بكير فدخل الحائط فنزل السوق العتيقة ونزل أمية بآسان فكانوا يلتقون في ميدان يزيد فأنكشفوا يوما فخام بكير ثم التقوا يوما آخر في الميدان فضرب رجل من بني تميم على رجله فجعل يسحبها وهريم يحميه فقال الرجل اللهم أيدنا فأمدنا بالملائكة فقال له هريم أيها الرجل قاتل عن نفسك فإن الملائكة في شغل عنك فتعامل ثم أعاد قوله اللهم أمدنا بالملائكة فقال هريم لتكفن عنى أولاد عنك والملائكة وحماء حتى ألحقه بالناس قال ونادى رجل من بني تميم يا أمية يا فاضح قريش فآلى أمية إن ظفر به أن يذبحه فظفر به فذبحه بين شرفتين من المدينة ثم التقوا يوما آخر فضرب بكير بن وشاح ثابت بن قطة على رأسه وانتمى أنا بن وشاح فحمل حرث بن قطة أخو ثابت على بكير فأنحاز بكير وانكشف أصحابه وأتبع حرث بكيرا حتى بلغ القنطرة فناداه أين يا بكير فكر عليه فضربه حرث على رأسه فقطع المغفر وعض السيف برأسه فصرع فاحتمله أصحابه فأدخلوه المدينة قال فكانوا على ذلك يقاتلونهم وكان أصحاب بكير يغدون متفضلين في ثياب مصبغة وملاحف وأزرصفرو حمر فيجلسون على نواحي المدينة يتحدثون وينادى مناد من رمى بسهم رمينا إليه برأس رجل من ولده وأهله فلا يرميهم أحد قال فأشفق بكير وخاف إن طال الحصار أن يخذله الناس فطلب الصلح وأحب ذلك أيضا أصحاب أمية لمكان عيالاتهم بالمدينة فقالوا لأمية صالحه وكان أمية يحب العافية فصالحه على أن يقضى عنه أربعمئة ألف ويصل أصحابه ويوليه أيضا أي كور خراسان شاء ولا يسمع قول بحير فيه وإن رابه منه ريب فهو آمن أربعين يوما حتى يخرج عن مرو فأخذ الأمان لبكير من عبد الملك وكتب له كتابا على باب سنجان ودخل أمية المدينة قال وقوم يقولون لم يخرج بكير مع أمية غازيا ولكن أمية لما غزا استخلفه على مرو فخلعه فرجع أمية فقاتله ثم صالحه ودخل مرو ووفى أمية لبكير وعاد إلى ما كان عليه من الإكرام وحسن الإذن وأرسل

إلى عتاب اللقوة فقال أنت صاحب المشورة فقال نعم أصلح الله الأمير قال ولِمَ قال خف ما كان في يدي وكثر ديني وأعديت على غرماي قال ويحك فضربت بين المسلمين وأحرقت السفن والمسلمون في بلاد العدو وماخفت الله قال قد كان ذلك فأستغفر الله قال كم دينك قال عشرون ألفا قال تكف عن غش المسلمين وأقضى دينك قال نعم جعلني الله فداك قال فضحك أمية وقال إن ظني بك غير ما تقول وسأقضى عنك فأدى عنه عشرين ألفا وكان أمية سهلا ليناسخيا لم يُعط أحد من عمال خراسان بها مثل عطاياه قال وكان مع ذلك ثقيلاً عليهم كان فيه زهو شديد وكان يقول ما أكتفى بخراسان وسمجستان لمطبخي وعزل أمية بحيرا عن شرطته وولاها عطاء بن أبي السائب وكتب إلى عبد الملك بما كان من أمر بكير وصفحه عنه فضرب عبد الملك بعثا إلى أمية بخراسان فتجاعل الناس فأعطى شقيق ابن سليل الأسدي جعلته رجلا من جرم وأخذ أمية الناس بالخراج واشتد عليهم فيه فجلس بكير يوما في المسجد وعنده ناس من بني تميم قد كروا شدة أمية على الناس فذمّوه وقالوا سلط علينا الدهاقين في الجباية وبحير وضرار بن حصن وعبد العزيز بن جارية بن قدامة في المسجد فنقل بحير ذلك إلى أمية فكذبه فأدعى شهادة هؤلاء وأدعى شهادة مزاحم بن أبي العجش السلمي فدعا أمية مزاحم فسأله فقال إنما كان يمزح فأعرض عنه أمية ثم أتاه بحير فقال أصلح الله الأمير إن بكيرا والله قد دعاني إلى خلعك وقال لولا مكانك لقتلت هذا القرشي وأكلت خراسان فقال أمية ما أصدق بهذا وقد فعل ما فعل فأمنته ووصلته قال فأتاه بضرار بن حصن وعبد العزيز بن جارية فشهد أن بكيرا قال لهما لو أطعتماني لقتلت هذا القرشي المنخت وقد دعانا إلى الفتك بك فقال أمية أنتم أعلم وما شهدتم وما أظن هذا به وإن تركه وقد شهدتم بما شهدتم عجز وقال لحاجبه عبيدة ولصاحب حرسه عطاء بن أبي السائب إذا دخل بكير وبدل وشمر دل ابنا أخيه فنهضت فخذوم وجلس أمية للناس وجاء بكير وابنا أخيه فلما جلسوا قام أمية عن سريره فدخل وخرج الناس وخرج بكير فحبسوه وابن أخيه فدعا أمية بكير فقال أنت القائل

كذا وكذا قال تثبت أصلحك الله ولا تسمعن قول ابن المخلوقه فخبسه وأخذ
 جاريته العارمة فخبسها وحبس الأحنف بن عبد الله العنبري وقال أنت من أشار
 على بكير بالخلع ه فلما كان من الغد أخرج بكير افشهد عليه بختيار وضرارو عبد العزيز
 ابن جارية أنه دعاهم إلى خلعه والفتك به فقال أصلحك الله تثبت فإن هؤلاء
 أعدائي فقال أمية لزياد بن عقبة وهو رأس أهل العالية ولا بن ولان العدوي
 وهو يومئذ من رؤساء بني تميم وليعقوب بن خالد الذهلي أتقتلونه فلم يجيبوه فقال
 لبيحير أتقتله قال نعم فدفعه إليه فهض يعقوب بن القعقاع الاعلم الأزدي من
 مجلسه وكان صديقا لبكير فاحتضن أمية وقال أذكرك الله أيها الأمير في بكير فقد
 أعطيته ما أعطيته من نفسك قال يا يعقوب ما يقتله إلا قومه شهدوا عليه فقال عطاء
 ابن أبي السائب الليثي وهو على حرس أمية خل عن الأمير قال لا يضربه عطاء بقائم
 السيف فأصاب أنفه فأدماه فخرج ثم قال لبيحير يا بختيار إن الناس أعطوا بكير اذمتهم
 في صلحه وأنت منهم فلا تخفر ذمتك قال يا يعقوب ما أعطيته ذمة ثم أخذ بختيار سيف
 بكير الموصول الذي كان أخذه من إسوار الترجمان ترجمان ابن خازم فقال له بكير
 يا بختيار إنك تفرق أمر بني سعد إن قتلتني فدع هذا القرشي يلى منى ما يريد فقال
 بختيار لا والله يا ابن الإصبهانية لا تصلح بنو سعد ما منا حيين قال فثأرك يا ابن المخلوقه
 فقتله وذلك يوم جمعة وقتل أمية ابني أخى بكير ووهب جارية بكير العارمة لبيحير
 وكلم أمية في الأحنف بن عبد الله العنبري فدعا به من السجن فقال وأنت من أشار
 على بكير وشتمه وقال قد وهبتك لهؤلاء قال ثم وجه أمية رجلا من خزاعة إلى
 موسى بن عبد الله بن خازم فقتله عمرو بن خالد بن حصن الكلابي غيلة فتفرق
 جيشه فاستأمن طائفة منهم موسى فصاروا معه ورجع بعضهم إلى أمية (وفي هذه
 السنة) عبر النهر نهر بلخ أمية للغزو فحوصر حتى جهده وأصحابه ثم نجوا بعد
 ما أشرفوا على الهلاك فانصرف والذين معه من الجند إلى مرو وقال عبد الرحمن
 ابن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة يهجو أمية

ألا أبلغ أمية أن سيجزى ثواب الشر إن له ثوابا

وَمَنْ يَنْظُرْ عِتَابَكَ أَوْ يَرُدَّهُ فَلَسْتُ بِناظِرٍ مِنْكَ الْعِتَابَا
 بِحَالِ الْمَعْرُوفِ مِنْكَ خِلَالَ سُوءٍ مُنَحْتٍ صَنِيعَهَا بِأَبَا فَبَابَا
 وَمَنْ سَمَّاكَ إِذْ قَسَمَ الْأَسَامِي أُمِيَّةً إِذْ وُلِدَتْ فَقَدْ أَصَابَا
 (قال أبو جعفر) وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير على
 المدينة وكان على الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف وعلى خراسان أمية بن
 عبد الله بن خالد بن أسيد ❁ وحديثي أحمد بن ثابت عن حدثه عن إسحاق بن
 عيسى عن أبي معشر قال حج أبان بن عثمان وهو على المدينة بالناس حجتين
 سنة ٧٦ وسنة ٧٧ وقد قيل ان هلاك شبيب كان في سنة ٧٨ وكذلك قيل في هلاك
 قطري وعبيدة بن هلال وعبد رب الكبير وغزا في هذه السنة الصائفة الوليد

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

ذكر الخبر عن الكائن في هذه السنة من الأحداث الجليلة
 فمن ذلك عزل عبد الملك بن مروان أمية بن عبد الله عن خراسان وضمه
 خراسان وسجستان الى الحجاج بن يوسف فلما ضم ذلك اليه فرق فيه عماله
 ذكر الخبر عن العمال الذين ولاهم الحجاج خراسان وسجستان
 وذكر السبب في توليته من ولاء ذلك وشيئا منه
 (ذكر) أن الحجاج لما فرغ من شبيب ومطرف شخص من الكوفة الى
 البصرة واستخلف على الكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل وقد قيل إنه
 استخلف عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي ثم عزله وجعل مكانه المغيرة
 ابن عبد الله فقدم عليه المهلب بها وقد فرغ من الأزارقة فقال هشام حدثني أبو مخنف
 عن أبي المخارق الراسبي أن المهلب بن أبي صفرة لما فرغ من الأزارقة قدم على
 الحجاج وذلك سنة ٧٨ فأجلسه ودعا بأصحاب البلاء من المهلب فأخذ الحجاج
 لا يذكر له المهلب رجلا من أصحابه يبلاء حسن إلا صدقه الحجاج بذلك فحملهم
 الحجاج وأحسن عطاياهم وزاد في أعطياتهم ثم قال هؤلاء أصحاب الفعال وأحق

بالأموال هؤلاء حُماة الثغور وغيظ الأعداء (قال هشام) عن أبي مخنف قال
يونس بن أبي إسحاق قد كان الحجاج ولي المهلب سجستان مع خراسان فقال له المهلب
ألا أدلك على رجل هو أعلم بسجستان مني وقد كان ولي كابل وزابل وجباهم وقاتلهم
وصالحهم قال له بلى فمن هو قال عبيد الله بن أبي بكر ثم إنه بعث المهلب على خراسان
وعبيد الله بن أبي بكر على سجستان وكان العامل هناك أمية بن عبد الله بن
خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية وكان عاملاً لعبد الملك بن مروان لم يكن
للحجاج شيء من أمره حين بُعث على العراق حتى كانت تلك السنة فعزله
عبد الملك وجمع سلطانه للحجاج فمضى المهلب إلى خراسان وعبيد الله بن أبي بكر
إلى سجستان فكث عبيد الله بن أبي بكر بقیة سنته فهذه رواية أبي مخنف عن
أبي المخارق وأما علي بن محمد فإنه ذكر عن المفضل بن محمد أن خراسان وسجستان جمعتا
للحجاج مع العراق في أول سنة ٧٨ بعد ما قتل الخوارج فاستعمل عبيد الله بن أبي بكر
على خراسان والمهلب بن أبي صفرة على سجستان فكره المهلب سجستان فلقى
عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبشمي وكان على شرطة الحجاج فقال إن الأمير
ولاني سجستان وولي ابن أبي بكر خراسان وأنا أعرف بخراسان منه قد عرفتها
أيام الحكم بن عمرو الغفاري وابن أبي بكر أقوى على سجستان مني فكلم الأمير
يحولني إلى خراسان وابن أبي بكر إلى سجستان قال نعم وكلم زاذان فروخ يعينني
فكلمه فقال نعم فقال عبد الرحمن بن عبيد للحجاج وليت المهلب سجستان وابن أبي بكر
أقوى عليها منه فقال زاذان فروخ صدق قال إنا قد كتبنا عهده قال زاذان فروخ
ما أهون تحويل عهده فحول ابن أبي بكر إلى سجستان والمهلب إلى خراسان وأخذ
للمهلب بألف ألف من خراج الأهواز وكان ولاها إباء خالد بن عبد الله فقال
المهلب لابنه المغيرة إن خالداً ولاني الأهواز وولاك اصطخرو وقد أخذني الحجاج
بألف ألف فنصف علي ونصف عليك ولم يكن عند المهلب مال كان إذا عزل
استقرض قال فكلم أباماوية مولى عبد الله بن عامر وكان أبوماوية على بيت مال
عبد الله بن عامر فأسلف المهلب ثلثمائة ألف فقالت خيرة القشيرية امرأة المهلب

هذا لا يني بما عليك فباعته حلياً لها ومتاعاً فأكل خمسمائة ألف ورحل المغيرة إلى أبيه خمسمائة ألف فحملها إلى الحجاج ووجه المهلب ابنه حبيباً على مقدمته فأتى الحجاج فودعه فأمر الحجاج له بعشرة آلاف وبغلة خضراء قال فسار حبيب على تلك البغلة حتى قدم خراسان هو وأصحابه على البريد فسار عشرين يوماً فالتقاهم حين دخلوا حمل حطب فنفرت البغلة فتعجبوا منها ومن نفاها بعد ذلك التعب وشدة السير فلم يعرض لأمية ولا لعماله وأقام عشرة أشهر حتى قدم عليه المهلب سنة ٧٩ (وحيج) بالناس في هذه السنة الوليد بن عبد الملك حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكان أمير المدينة في هذه السنة أبان ابن عثمان وأمير الكوفة والبصرة وخراسان وسجستان وكرمان الحجاج بن يوسف وخليفته بخراسان المهلب وبسجستان عبيد الله بن أبي بكرة وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة فيما قيل موسى بن أنس وأغزى عبد الملك في هذه السنة يحيى بن الحكم

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما أصاب أهل الشام في هذه السنة من الطاعون حتى كادوا يفتنون من شدته فلم يغز في تلك السنة أحدٌ فيما قبل للطاعون الذي كان بها وكثرة الموت (وفيها) فيما قبل أصابت الروم أهل أنطاكية (وفيها) غزا عبيد الله بن أبي بكرة رُبَيْل ذكر الخبر عن غزوه إياه

(قال هشام) حدثني أبو مخنف عن أبي المخارق الراسبي قال لما ولي الحجاج المهلب خراسان وعبيد الله بن أبي بكرة بسجستان مضى المهلب إلى خراسان وعبيد الله بن أبي بكرة إلى سجستان وذلك في سنة ٧٨ فمكث عبيد الله بن أبي بكرة بقية سنته ثم إنه غزا رُبَيْل وقد كان هو الحما وقد كانت العرب قبل ذلك تأخذ منه خراجاً وربما امتنع فلم يفعل فبعث الحجاج إلى عبيد الله بن أبي بكرة أن تاجزه بمن معك من المسلمين

فلا ترجع حتى تستبيح أرضه وتهدم قلاعها وتقتل مقاتلته وتسي ذريته فخرج بمن معه من المسلمين من أهل الكوفة وأهل البصرة وكان على أهل الكوفة شريح بن هاني الحارثي ثم الضبابي وكان من أصحاب علي وكان عبيد الله على أهل البصرة وهو أمير الجماعة فمضى حتى وغل في بلاد رتبيل فأصاب من البقر والغنم والأموال ماشاء وهدم قلاعها وحصونها وغلب على أرض من أرضهم كثيرة وأصحاب رتبيل من الترك يخلون لهم عن أرض بعد أرض حتى أمعنوا في بلادهم ودنوا من مدينتهم وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخاً فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب وخلوهم والرساتيق فسقط في أيدي المسلمين وظنوا أن قد هلكوا فبعث ابن أبي بكرة إلى شريح بن هاني إني مصالح القوم على أن أعطيهم مالا ويخلوا بيني وبين الخروج فأرسل اليهم فصالحهم على سبعمائة ألف درهم فلقبه شريح فقال إنك لا تصالح على شيء إلا حسب السلطان عليكم في أعطياتكم قال لو منعنا العطاء ما حيننا كان أهون علينا من هلاكنا قال شريح والله لقد بلغت سنوا وقد هلكت لذاتي ما تأتي على ساعة من ليل أو نهار فأظنها تمضي حتى أموت ولقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان ولئن فاتتني اليوم ما أخالني مذكرها حتى أموت وقال يا أهل الإسلام تعاونا على عدوكم فقال له ابن أبي بكرة إنك شيخ قد خرفت فقال شريح إنما حسبك أن يقال بستان ابن أبي بكرة وخمام ابن أبي بكرة يا أهل الإسلام من أراد منكم الشهادة فإلى فاتبعه ناس من المتطوعة غير كثير وفرسان الناس وأهل الحفاظ فقاتلوا حتى أصيبوا إلا قليلا فجعل شريح يرتجز يومئذ ويقول:

أصحتُ ذا بَيْتِ أَقَامِي الْكِبَرَا قَدْ عِشْتُ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ أَتَضَرَا
 ثَمَّتْ أَدْرَكْتُ النَّبِيَّ الْمُنْذِرَا وَبَعْدَهُ صِدِّيقَهُ وَعُمَرَا
 وَيَوْمَ مِهْرَانَ وَيَوْمَ تُسْتَرَا وَالْجَمْعَ فِي صِفِّينِهِمِ وَالنَّهْرَا
 وَبِأَجْمِيَّاتٍ مَعَ الْمُشَقَّرَا هِيَاتَ مَا أَطْوَلَ هَذَا عُمرَا

فقاتل حتى قتل في ناس من أصحابه ونجا من نجا فخرجوا من بلاد رتبيل حتى خرجوا منها فاستقبلهم من خرجوا اليهم من المسلمين بالأطعمة فاذا أكل أحدهم

وشبع مات فلما رأى ذلك الناس حذروا يطعمونهم ثم جعلوا يطعمونهم السمن قليلاً قليلاً حتى استمروا وبلغ ذلك الحجاج فأخذه ما تقدم وما تأخر وبلغ ذلك منه كل مبلغ وكتب إلى عبد الملك أما بعد فإن جند أمير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا فلم ينج منهم إلا القليل وقد اجترأ العدو بالذي أصابه على أهل الإسلام فدخلوا بلادهم وغلبوا على حصونهم وقصورهم وقد أردت أن أوجه إليهم جنداً كثيراً من أهل المصرين فأحببت أن أستطلع رأى أمير المؤمنين في ذلك فإن رأى لي بعثة ذلك الجند أمضيته وإن لم يرد ذلك فإن أمير المؤمنين أولى بجنده مع أني أنخوف إن لم يأت رتيلاً ومن معه من المشركين جنداً كثيراً عاجلاً أن يستولوا على ذلك الفرج كله (وفي هذه السنة) قدم المهلب خراسان أميراً وانصرف عنها أمية بن عبد الله وقيل استعفى شرح القاضي من القضاء في هذه السنة وأشار بأبي بردة بن ابن أبي موسى الأشعري فأعفاه الحجاج وولى أبا بردة (وحج) بالناس في هذه السنة فيما حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر أبان ابن عثمان وكذلك قال الواقدي وغيره من أهل السيرة وكان أبان هذه السنة أميراً على المدينة من قبل عبد الملك بن مروان وعلى العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وكان على خراسان المهلب من قبل الحجاج وقيل إن المهلب كان على حربها وابنه المغيرة على خراجها وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس

ثم دخلت سنة ثمانين

ذكر الاحداث الجليلة التي كانت في هذه السنة

(وفي هذه السنة) جاء فيما حدثت عن ابن سعد عن محمد بن عمر الواقدي سئل بمكة ذهب بالحجاج ففرقت بيوت مكة فسمى ذلك العام الجحاف لأن ذلك السيل جحف كل شيء مر به قال محمد بن عمر حدثني محمد بن رفاعة بن ثعلبة عن أبيه عن جده قال جاء السيل حتى ذهب بالحجاج يبطن مكة فسمى لذلك عام الجحاف

ولقد رأيت الإبل عليها الحمولة والرجال والنساء يمر بهم ما لأحد فيهم حيلة وإني لأنظر إلى الماء قد بلغ الركن وجاوزه (وفي هذه السنة) كان بالبصرة طاعون الجارف فيما زعم الواقدي (وفي هذه السنة) قطع المهلب نهر بلخ فنزل على كشم قد كر على بن محمد عن المفضل بن محمد وغيره أنه كان على مقدمة المهلب حين نزل على كشم أبو الأدهم زياد بن عمرو الزماني في ثلاثة آلاف وهم خمسة آلاف إلا أن أبا الأدهم كان يغني غناء الفين في البأس والتدبير والنصيحة قال فأتى المهلب وهو نازل على كشم ابن عم ملك الختل فدعاه إلى غزو الختل فوجه معه ابنه يزيد فنزل في عسكره ونزل ابن عم الملك وكان الملك يومئذ اسمه السبل في عسكره على ناحية بيت السبل ابن عمه فكبر في عسكره فظن ابن عم السبل أن العرب قد غدروا به وأنهم خافوه على الغدر حين اعتزل عسكرهم فأسره السبل فأتى به قلعه فقتله قال فأطاف يزيد بن المهلب بقلعة السبل فصالحوه على فدية حملوها إليه ورجع إلى المهلب فأرسلت أم الذي قتله السبل إلى أم السبل كيف ترجين بقاء السبل بعد قتل ابن عمه وله سبعة أخوة قد وترهم وأتت أم واحد فأرسلت إليها أن الأسد تقل أولادها والخنازير كثير أولادها ووجه المهلب ابنه حبيبا إلى ربنجن فوافي صاحب بخاري في أربعين ألفا فدعا رجل من المشركين المبارزة فبرز له جبة غلام حبيب فقتل المشرك وحمل على جمعهم فقتل منهم ثلاثة نفر ثم رجع ورجع العسكر ورجع العدو إلى بلادهم ونزلت جماعة من العدو قرية فسار إليهم حبيب في أربعة آلاف فقاتلهم فظفر بهم فأحرقها ورجع إلى أبيه فسميت المحترقة ويقال أن الذي أحرقها جبة غلام حبيب قال فكث المهلب سنتين مقبلا بكشم فقيل له لو تقدمت إلى السغد وما وراء ذلك قال ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذه الجند حتى يرجعوا إلى مرو سالمين قال وخرج رجل من العدو يوما فسأله البراز فبرز إليه هریم بن عدی أبو خالد بن هریم وعليه عمامة قد شدها فوق البيضة فأنهى إلى جدول فجاوله المشرك ساعة فقتله هریم وأخذ سلبه فلامه المهلب وقال لو أصبت ثم أمددت بألف فارس ما عدلوك عندي واتهم المهلب وهو بكشم قوما

من مضر فحبسهم بها فلما قفل وصار صلح خلاهم فكتب اليه الحجاج إن كنت أصبت بحبسهم فقد أخطأت في تخليتهم وإن كنت أصبت بتخليتهم فقد ظلمتهم اذ حبستهم فقال المهلب خفتهم فحبستهم فلما أمنت خليتهم وكان فيمن حبس عبد الملك بن أبي شيخ القشيري ثم صالح المهلب أهل كش على فدية فأقام ليقبضها وأتاه كتاب ابن الأشعث بخام الحجاج ويدعوه الى مساعدته على خلعها فبعث بكتاب ابن الأشعث الى الحجاج (وفي هذه السنة) ووجه الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الى سجستان لحرب رتبيل صاحب الترك وقد اختلف أهل السير في سبب توجيهه اياه اليها وأين كان عبد الرحمن يوم ولاه الحجاج سجستان وحرب رتبيل فأما يونس ابن أبي اسحاق فيما حدث هشام عن أبي مخنف عنه فإنه ذكر أن عبد الملك لما ورد عليه كتاب الحجاج بن يوسف بنخبر الجيش الذي كان مع عبيد الله بن بكرة في بلاد رتبيل ومالقواها كتب اليه أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه مصاب المسلمين بسجستان وأولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وعلى الله ثوابهم وأما ما أردت أن يأتيك فيه رأي من توجيه الجنود وامضائها الى ذلك الفرج الذي أصيب فيه المسلمون أو كفها فإن رأي في ذلك أن تمضي رأيك راشدا موقفا وكان الحجاج وائس بالعراق رجل أبغض اليه من عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وكان يقول ما رأيته قط الا أردت قتله (قال أبو مخنف) فحدثني نمير ابن وعلة الهمداني ثم اليناعي عن الشعبي قال كنت عند الحجاج جالسا حين دخل عليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فلما رآه الحجاج قال انظر الى مشيته والله لهمت أن أضرب عنقه قال فلما خرج عبد الرحمن خرجت فسبقته وانتظرته على باب سعيد بن قيس السبيعي فلما انتهى الى قات ادخل بنا الباب اني أريد أن أحدثك حديثا هو عندك بأمانة الله أن تذكره ما عاش الحجاج فقال نعم فأخبرته بمقالة الحجاج له فقال وأنا كما زعم الحجاج إن لم أحاول أن أزيله عن سلطانه فأجهد الجهد إذ طال بي وبه بقاء ثم إن الحجاج أخذ في جهاز عشرين ألف رجل من أهل الكوفة وعشرين ألف رجل من أهل البصرة وجد في ذلك وشم

وأعطى الناس أعطياتهم كملًا وأخذهم بالخيل الروائع والسلاح الكامل وأخذ في عرض الناس ولا يرى رجلاً تُذكر منه شجاعة إلا أحسن معونته فمر عبيد الله ابن أبي محجن الثقفي على عباد بن الحصين الحبطي وهو مع الحجاج يريد عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفي وهو يعرض الناس فقال عبادُ ما رأيت فرساً أروع ولا أحسن من هذا وأن الفرس قوة وسلاح وأن هذه البغلة علنداء فزاده الحجاج خمسين وخمسمائة درهم ومر به عطية العنبري فقال له الحجاج يا عبد الرحمن أحسن إلى هذا فلما استتب له أمر ذينك الجندين بعث الحجاج عطار د بن عمر التيمي فمسكر بالاهواز ثم بعث عبيد الله بن حجر بن ذى الجشن العامري من بني كلاب ثم بدا له فبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وعزل عبيد الله بن حجر فأتى الحجاج عمه إسماعيل بن الأشعث فقال له لا تبعه فاني أخاف خلافه والله ما جاز جسر الفرات قط فرأى لوال من الولاية عليه طاعة وسلطاناً فقال الحجاج ليس هناك هولى أهيب وفي أرغب من أن يخالف أمرى أو يخرج من طاعتي فأمضاه على ذلك الجيش فخرج بهم حتى قدم سجستان سنة ٨٠ فجمع أهلها حين قدمها (قال أبو مخنف) فحدثني أبو الزبير الأرحبي رجل من همدان كان معه أنه صعد منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس أن الأمير الحجاج ولاني ثغركم وأمرني بجهاد عدوكم الذي استباح بلادكم وأباد خياركم فأياكم أن يتخلف منكم رجل فيحل بنفسه العقوبة اخرجوا إلى معسكركم فمسكروا به مع الناس فمسكر الناس كلهم في معسكرهم ووضع لهم الأسواق وأخذ الناس بالجهاز والهيئة بآلة الحرب فبلغ ذلك رتبيل فكتب إلى عبد الرحمن بن محمد يعتذر إليه من مصاب المسلمين ويخبره أنه كان لذلك كارها وأنهم الجؤه إلى قتالهم ويسأله الصلح ويعرض عليه أن يقبل منه الخراج فلم يجبه ولم يقبل منه ولم ينشب عبد الرحمن أن سار في الجنود إليه حتى دخل أول بلاده وأخذ رتبيل بضم إليه جنده وبدع له الأرض رستا قارستا قارستا وحصنا حصنا وطفق ابن الأشعث كلما حوى بلداً بعث إليه عاملاً وبعث معه أعواناً ووضع البرد فيما بين كل بلد وبلد وجعل الأرصاد على العقاب

والشعاب ووضع المسالِح بكل مكان مخوف حتى اذا حاز من أرضه أرضاً عظيمة وملا يديه من البقر والغنم والغنائم العظيمة حبس الناس عن الوجود في أرض رتبيل وقال نكتفي بما أصبناه العام من بلادهم حتى نجيبها ونعرفها وتجترى المسلمون على طرقها ثم تتعاطى في العام المقبل ما وراءها ثم لم نزل تنقصهم في كل عام طائفة من أرضهم حتى نقاتلهم آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم وفي أقصى بلادهم ويمتنع حصونهم ثم لا نزابل بلادهم حتى يهلكهم الله ثم كتب إلى الحجاج بما فتح الله عليه من بلاد العدر وبما صنع الله للمسلمين وبهذا الرأي الذي رآه لهم وأما غير يونس ابن أبي إسحاق وغير من ذكرت الرواية عنه في أمر ابن الأشعث فإنه قال في سبب ولايته سجستان ومسيره إلى بلاد رتبيل غير الذي رويت عن أبي مخنف وزعم ان السبب في ذلك كان أن الحجاج وجه هيمان بن عدى السدوسي إلى كرمان مسلحة لها ليمد عامل سجستان والسندان احتاجا إلى مدد فعصى هيمان ومن معه فوجه الحجاج بن الأشعث في محاربه فهزمه وأقام بموضعه ومات عبيد الله بن أبي بكره وكان عاملا على سجستان فكتب الحجاج عهد ابن الأشعث عليها وجهز اليها جيشاً أنفق عليهم ألفي ألف سوى أعطياتهم كان يدعى جيش الطواويس وأمره بالإقدام على رتبيل (وحج) بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان كذلك حدثني احمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال محمد بن عمر الواقدي وقال بعضهم الذي حج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك وكان على المدينة في هذه السنة أبان بن عثمان وعلى العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وعلى خراسان المهلب بن أبي صفرة من قبل الحجاج وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس وأغزى عبد الملك في هذه السنة ابنه الوليد

ثم دخلت سنة احدى وثمانين

ذكر ما كان فيها من الاحداث

(في هذه السنة) كان فتح قاليقلا حدثني عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد قال أغزى عبد الملك سنة ٨١ ابنه عبيد الله بن عبد الملك ففتح قاليقلا (وفي هذه السنة) قتل بحير بن ورقاء الصريمي بخراسان

ذكر الخبر عن مقتله

وكان سبب قتله أن بحيرا كان هو الذي تولى قتل بكير بن وشاح بأمر أمية بن عبد الله اياه بذلك فقال عثمان بن رجاء بن جابر بن شداد أحد بني عوف بن سعد من الأبناء يحض رجلا من الأبناء من آل بكير بالوتر

لَعَمْرِي لَقَدْ أَغْضَيْتَ عَيْنًا عَلَى الْقَدَى
وَحَلَيْتَ نَارًا طَلَّ وَاخْتَرْتَ نَوْمَةً
فَلَوْ كُنْتَ مِنْ عَوْفِ بْنِ سَعْدٍ ذُوَابَةً
فَقُلْ لِبَحِيرِ بْنِمِمْ وَلَا تَخَشَّ نَائِرًا
دَعِ الضَّانَ يَوْمًا قَدْ سَبَقْتُمْ بَوْتِرِكُمْ
وَهَبُوا فَلَوْ أَمْسَى بِكَبِيرٌ كَعَهْدِهِ
(وقال أيضا)

فلو كان بكر بارزا في أداتيه
ففي الدهر إن أبقاني الدهر مطاب
وذى العرش لم يقدم عليه بحير
وفي الله طلاب بذاك جدير

وبلغ بحيرا أن الأبناء يتوعدونه فقال

توعدني الأبناء جهلاً كأنما
رفعت له كفي بحمد مهني
يرون فئاني مقفراً من بني كعب
حسام كلون الملحذي روثي غضب

قد ذكر علي بن محمد عن المفضل بن محمد أن سبعة عشر رجلا من بني عوف ابن كعب بن سعد تعاقبوا على الطلب بدم بكير فخرج قتي منهم يقال له الشمر دل

من البادية حتى قدم خراسان فنظر إلى بحير واقفا فشد عليه فطعنه فصرعه فظن
 انه قد قتله وقال الناس خارجي فراكضهم فعض فرسه فنذر عنه فقتل ثم خرج
 صعصعة بن حرب العوفي ثم أحد بنى جندب من البادية وقد باع غنيمات له واشترى
 حمارا ومضى إلى سجستان فجاور قرابة لبحير هناك ولاطفهم وقال أنا رجل من
 بنى حنيفة من أهل اليمامة فلم يزل يأتهم ويجالسهم حتى أنسوا به فقال لهم إن لي
 بخراسان ميراثا قد غلبت عليه وبلغني أن بحيرا عظيم القدر بخراسان فاكتبوا لي
 إليه كتابا يعينني على طلب حتى فكتبوا إليه نخرج فقدم مرو والمهلب غازي قال
 فلقى قوما من بنى عوف فأخبرهم أمره فقام إليه مولى لبحير صيقل فقبل رأسه
 فقال له صعصعة اتخذ لي خنجرا فعمل له خنجرا وأحماه وغمسه في لبن أتان مرارا
 ثم شخص من مرو فقطع النهر حتى أتى عسكر المهلب وهو بأخرون يومئذ فلقى بحيرا
 بالكتاب وقال اني رجل من بنى حنيفة كنت من أصحاب ابن أبي بكرة وقد ذهب
 مالي بسجستان ولي ميراث بمر و تقدمت لأبيعه وأرجع إلى اليمامة قال فأمر له بنفقة
 وأنزله معه وقال له استعن بي على ما أحببت قال أقيم عندك حتى يقفل الناس فأقام
 شهرا أو نحوها من شهر يحضر معه باب المهلب ومجلسه حتى عرف به قال وكان بحير
 يخاف الفتك به ولا يأمن أحدا فلما قدم صعصعة بكتاب أصحابه قال هو رجل
 من بكر بن وائل فأمنه فجاء يوما وبحير جالس في مجلس المهلب عليه قبص ورداء
 ونعلان فقعده خلفه ثم دنا منه فأكب عليه كأنه كان يكلمه فوجأه بخنجره في
 خاصرته فغيبه في جوفه فقال الناس خارجي فنأدى بالثارات بكير أنا نأثر بيكير
 فأخذه أبو العجفاء ابن أبي الخرقاء وهو يومئذ على شرط المهلب فأتى به المهلب
 فقال له بؤسا لك ما أدركت بئارك وقتلت نفسك وما على بحير بأس فقال لقد
 طعنته طعنة لو قسمت بين الناس لماتوا ولقد وجدت ريح بطنه في يدي فحبسه
 فدخل عليه السجن قوم من الأبناء فقبلوا رأسه قال ومات بحير من غد عند ارتفاع
 النهار فقبل لصعصعة مات بحير فقال اصنعوا بي الآن ما شئتم وما بدا لكم أليس
 قد حلت نذور نساء بنى عوف وأدركت بئاري لأبالي ما لقيت أما والله لقد

أمكنني ما صنعت خالياً غير مرة فكرهت أن أقتله سرّاً فقال المهلب ما رأيت رجلاً أسخى نفساً بالموت صبراً من هذا وأمر بقتله أبا سويقة ابن عم لبحير فقال له أنس بن طلق ويحك قتل بحير فلا تقتلوا هذا فأبى وقتله فشتمه أنس وقال آخرون بعث به المهلب إلى بحير قبل أن يموت فقال له أنس بن طلق العيشى يا بحير إنك قتلت بكيراً فاستحى هذا فقال بحير ادنوه مني لا والله لا أموت وأنت حتى فادنوه منه فوضع رأسه بين رجله وقال اصبر عفاق إنه شرباق فقال ابن طلق لبحير لعنك الله أكلك فيه وتقتله بين يدي فطعنه بحير بسيفه حتى قتله ومات بحير فقال المهلب إن الله وإنا إليه راجعون غزوة أصيب فيها بحير فغضب عوف بن كعب والأبناء وقالوا علام قتل صاحبنا وإنما طلب بثأره فنازعهم مقاعس والبطون حتى خاف الناس أن يعظم البأس فقال أهل الحجى احملوا دم صعصعة واجعلوا دم بحير بواءً يكبر فودوا صعصعة فقال رجل من الأبناء يمدح صعصعة

لله درّ قتي تجاوزَ همهُ دون العراق مفاوزاً وُبُحُوراً
ما زال يدأبُ نفسه ويكدها حتى تناوَلَ في حرُون بحيراً

قال وخرج عبد ربه الكبير أبو وكيع وهو من رهط صعصعة إلى البادية فقال لرهط بكير قتل صعصعة بطلبه بدم صاحبكم فودوه فأخذ لصعصعة ديتين (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة خالف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الحجاج ومن معه من جند العراق وأقبلوا إليه لحربه في قول أبي مخنف وروايته لذلك عن أبي المخارق الراسبي وأما الواقدي فإنه زعم أن ذلك كان في سنة ٨٢

ذكر الخبر عن السبب الذي دعا عبد الرحمن بن محمد إلى ما فعل من ذلك

وما كان من صليعه بعد خلافة الحجاج في هذه السنة

قد ذكرنا فيما مضى قبل ما كان من عبد الرحمن بن محمد في بلاد رتبيل وكتابه إلى الحجاج بما كان منه هناك وبما عرض عليه من الرأي فيما يستقبل من أبيه في سنة ٨٠ ونذكر الآن ما كان من أمره في سنة ٨١ في رواية أبي مخنف عن أبي المخارق

(ذكر هشام) عن أبي مخنف قال قال أبو المخارق الراسبي كتب الحجاج إلى عبد الرحمن ابن محمد جواب كتابه أما بعد فإن كتابك أتاني وفهمت ما ذكرت فيه وكتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ويستريح إلى المودعة قد صانع عدوا قليلا ذليلا قد أصابوا من المسلمين جنداً كان بلاؤهم حسناً وغناؤهم في الإسلام عظيماً لعمر ك يا ابن أم عبد الرحمن إنك حيث تكف عن ذلك العدو بجندی وحدى لسخى النفس عن أصيب من المسلمين إني لم أعد رأيك الذي زعمت أنك رأيته رأي مكيدة ولكني رأيت أنه لم يحمك عليه إلا ضعفك والتياب رأيك فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم ثم أردفه كتاباً فيه أما بعد فمر من قبلك من المسلمين فليجرتوا وليقيها فإنها دارهم حتى يفتحها الله عليهم ثم أردفه كتاباً آخر فيه أما بعد فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم وإلا فإن إسحاق بن محمد أخاك أمير الناس نخله وماوليته فقال حين قرأ كتابه أنا أحمل ثقل إسحاق فعرض له فقال لا تفعل فقال ورب هذا يعني المصحف لئن ذكرت له لأحد لاقتلك فظن أنه يريد السيف فوضع يده على قائم السيف ثم دعا الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إني لكم ناصح ولصلاحكم محب ولكم في كل ما يحيط بكم نفعه ناظر وقد كان من رأي فيما بينكم وبين عدوكم رأي استشرت فيه ذوى أحلامكم وأولى التجربة للحرب منكم فرضوه لكم رأياً ورأوه لكم في العاجل والآجل صلاحاً وقد كتبت إلى أميركم الحجاج فجاءني منه كتاب يعجزني ويضعفني ويأمرني بتعجيل الوغول بكم في أرض العدو وهي البلاد التي هلك إخوانكم فيها بالأمس وإنما أنا رجل منكم أمضى إذا مضيتم وآبى إذا أبيتم فتار إليه الناس فقالوا لا بل نأبى على عدو الله ولا نطيع له ولا نطيع (قال أبو مخنف) فحدثني مطرف بن عامر بن وائلة الكنانى أن أباه كان أول متكلم يومئذ وكان شاعراً خطيباً فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه أما بعد فإن الحجاج والله ما يرى بكم إلا ما رأى القائل الأول إذ قال لأخيه حمل عبدك على الفرس فإن هلك هلك وإن نجافلك إن الحجاج والله ما يبالي أن يخاطر بكم فيحجمكم

بلاداً كثيرة اللهب والصبوب فإن ظفرتتم فغنتم أكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادة في سلطانه وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الذي لا يبالي عنهم ولا يبتى عليهم اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا عبد الرحمن فإني أشهدكم أني أول خالع فنادى الناس من كل جانب فعلنا فعلنا قد خلعنا عدو الله وقام عبد المؤمن بن شيبث بن ربيع التميمي ثانياً وكان على شرطته حين أقبل فقال عباد الله إنكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم وجرمكم تجمير فرعون الجنود فانه بلغنى أنه أول من جمر البعوث ولن تعانوا الأحبة فيما أرى أو يموت أكثركم بايعوا أميركم وانصرفوا إلى عدوكم فانفوه عن بلادكم فوثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه فقال تباعونى على خلع الحجاج عدو الله وعلى النصر لى وجهاده معى حتى ينفيه الله من أرض العراق فبايعه الناس ولم يذكر خلع عبد الملك إذ ذاك بشيء (قال أبو مخنف) حدثنى عمر بن ذر القاص أن أباه كان معه هنالك وأن ابن محمد كان ضربه وحبسه لانقطاعه كان إلى أخيه القاسم بن محمد فلما كان من أمره الذى كان من الخلاف دعاه فحمله وكساه وأعطاه فأقبل معه فيمن أقبل وكان قاصاً خطيباً (قال أبو مخنف) حدثنى سيف بن بشر العجلي عن المنخل بن حابس العبدي أن ابن محمد لما أقبل من سجستان أمر على بُست عياض بن هميان البكرى من بنى سدوس بن شيان ابن ذهل بن ثعلبة وعلى زرنج عبد الله بن عامر التميمي ثم الدارمي ثم بعث إلى رتبيل فصالحه على أن ابن الأشعث إن ظهر فلا خراج عليه أبداً ما بقى وإن هزم فأراده الجاه عنده (قال أبو مخنف) حدثنى خُشينة بن الوليد العبسي أن عبد الرحمن لما خرج من سجستان مقبلاً إلى العراق سار بين يديه الأعشى على فرس وهو يقول

سَطَّتْ نَوَى مِّنْ دَارِهِ بِالْإِيوَانَ إِيوَانَ كِسْرَى ذَى الْقَرَى وَالرَّيْحَانَ
مِنْ عَاشِقِ أُمِّى بِزَابُلِيسْتَانَ إِنْ ثَقِيفاً مِنْهُمْ الْكَذَّابَانَ
كَذَّابُهَا الْمَاضِى وَكَذَّابُ ثَانَ أَمْكَنَ رَبِّى مِنْ ثَقِيفِ هَمْدَانَ

يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ يُسَلِّي مَا كَانَ
 حِينَ طَفَى فِي الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ
 سَارَ بِجَمْعِ كَالدَّبِّيِّ مِنْ قَطَطَانِ
 بِجَحْفَلِ جَمِّ شَدِيدِ الْإِرْفَانِ
 يَثْبُتُ لَجْمَعٍ مَذْحِجٍ وَهَمْدَانِ
 فَإِنَّهُمْ سَاقُوهُ كَأَسِّ الذِّفَّانِ
 وَمُلْحِقُوهُ بِقُرَى ابْنِ مَرْوَانَ

قال وبعث على مقدمته عطية بن عمرو العنبري وبعث الحجاج اليه الخيل فجعل
 لا يلتقي خيلا إلا هزمها فقال الحجاج من هذا فقيل له عطية فذلك قول الأعشى
 فَإِذَا جَعَلْتَ دُرُوبَ فَارِسَ تَخَلَّفَهُمْ دَرَبًا فَدَرَبًا
 فَأَبْعَثْ عَطِيَّةَ فِي الْخِيُولِ لِيَكْبَهُنَّ عَلَيْكَ كَبًّا

ثم إن عبد الرحمن أقبل يسير بالناس فسأل عن أبي إسحاق السبيعي وكان قد
 كتبه في أصحابه وكان يقول أنت خالي فقيل له ألا تأتيه فقد سألت عنك فكره أن
 يأتيه ثم أقبل حتى مر بكرمان فبعث عليهم خرشة بن عمرو التيمي ونزل أبو إسحاق
 بها فلم يدخل في فنته حتى كانت الجماجم ولما دخل الناس فارس اجتمع الناس
 بعضهم إلى بعض وقالوا إنا إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك
 فاجتمعوا إلى عبد الرحمن فكان أول الناس (قال أبو مخنف) فيما حدثني
 أبو الصلت التيمي خلع عبد الملك بن مروان تيجان بن أبيجر من بني تيم الله بن
 ثعلبة فقام فقال أيها الناس إني خلعت أبا ذبيان كحلعي قيصي فخلعه الناس إلا قليلا
 منهم ووثبوا إلى ابن محمد فبايعوه وكانت بيعته تباعون على كتاب الله وسنة
 نبيه وخلع أئمة الضلالة وجهاد المحلين فإذا قالوا نعم بايع فلما بلغ الحجاج خلعه
 كتب إلى عبد الملك يخبره خبر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ويسأله أن يعجل
 بعثة الجنود اليه وبعث كتابه إلى عبد الملك يتمثل في آخره بهذه الآيات وهي
 للحارث بن وعله

سَائِلٌ مُجَاوِرَ جَرْمٍ هَلْ جَنَيْتُ لَهُمْ
 وَهَلْ سَمَوْتُ بِجَرَارٍ لَهُ لَجَبٌ
 حَرَبًا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجِيَرَةِ الْخُلُطِ
 جَمَّ الصَّوَاهِلِ بَيْنَ الْجَمِّ وَالْفُرُطِ

وهل تركت نساء الحى ضاحية في ساحة الدار يستوقدن بالغيط
 وجاء حتى نزل البصرة وقد كان بلغ المهلب شقاق عبد الرحمن وهو بسجستان
 فكتب اليه أما بعد فانك وضعت رجلك يا ابن محمد في غرز طويل الغى على أمة
 محمد صلى الله عليه وسلم الله فانظر لنفسك لا تهلكها ودماء المسلمين فلا تسفكها
 والجماعة فلا تفرقها والبيعة فلا تنكها فان قلت أخاف الناس على نفسى فالله
 أحق أن تخافه عليها من الناس فلا تعرضها لله في سفك دم ولا استحلال محرم
 والسلام عليك وكتب المهلب الى الحجاج أما بعد فإن أهل العراق قد أقبلوا
 اليك وهم مثل السيل المنحدر من عل ليس شيء يردده حتى يلقى الى قراره وان
 لأهل العراق شرة في أول مخرجهم وصبابة الى أبنائهم ونسائهم فليس شيء يرددهم
 حتى يسقطوا الى أهلهم ويشموا أولادهم ثم واقفهم عندها فإن الله ناصرك عليهم
 ان شاء الله فلما قرأ كتابه قال فعل الله به وفعل لا والله مالى نظر ولكن لابن عمه
 نصح ولما وقع كتاب الحجاج الى عبد الملك هاله ثم نزل عن سريره وبعث الى خالد بن
 يزيد بن معاوية ودعاه فأقرأه الكتاب ورأى ما به من الجزع فقال يا أمير المؤمنين ان
 كان هذا الحدث من قبل سمحان فلا تخفه وان كان من قبل خراسان تخوفته قال
 فخرج الى الناس فقام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان أهل العراق طال عليهم عمرى
 فاستعجلوا قدرى اللهم سلط عليهم سيوف أهل الشام حتى يبلغوا رضاك فاذا بلغوا
 رضاك لم يجاوزوا الى سخطك ثم نزل وأقام الحجاج بالبصرة وتجهز ليلقى ابن محمد وترك
 رأى المهلب وفرسان أهل الشام يسقطون الى الحجاج فى كل يوم مائة وخمسون
 وعشرة وأقل على البرد من قبل عبد الملك وهو فى كل يوم تسقط الى عبد الملك
 كتبه ورسله بنخبر ابن محمد أى كورة نزل ومن أى كورة يرتحل وأى الناس اليه
 أمرع (قال أبو مخنف) حدثني فضيل بن خديج ان مكتبه كان بكرمان وكان بها أربعة
 آلاف فارس من أهل الكوفة وأهل البصرة فلما مر بهم ابن محمد بن الأشعث
 انجفلوا معه وعزم الحجاج رآيه على استقبال ابن الأشعث فسار بأهل الشام حتى
 نزل تستر وقدم بين يديه مطهر بن حر العكلى أو الجذامى وعبد الله بن رميثة

الطائي ومطهر على الفريقين فجاءوا حتى انتهوا الى دجيل وقد قطع عبد الرحمن بن محمد خيلا له عليها عبد الله بن أبان الحارثي في ثلثمائة فارس وكانت مسلحة له وللجند فلما انتهى إليه مطهر بن حرّ أمر عبد الله بن رميثة الطائي فأقدم عليهم فهزمت خيل عبد الله حتى انتهت إليه وجرح أصحابه (قال أبو مخنف) فحدثني أبو الزبير الهمداني قال كنت في أصحاب ابن محمد إذ دعا الناس وجمعهم إليه ثم قال اعبروا إليه من هذا المكان فأقحم الناس خيولهم دجيل من ذلك المكان الذي أمرهم به فوالله ما كان بأسرع من أن عبر عظم خولنا فما تكاملت حتى حملنا على مهر بن حرّ والطائي فهزمناهما يوم الأضحى في سنة ٨١ وقتلناهم قتلا ذريعا وأصبنا عسكرهم وأنت الحجاج الهزيمة وهو يخطب فصعد إليه أبو كعب بن عبيد بن سرجس فأخبره بهزيمة الناس فقال أيها الناس ارتحلوا إلى البصرة إلى معسكر ومقاتل وطعام ومادة فإن هذا المكان الذي نحن به لا يحمل الجند ثم انصرف راجعا وتبعته خيول أهل العراق فكلما أدركوا منهم شادا قتلوه وأصابوا ثقلا حووه ومضى الحجاج لا يلوى على شيء حتى نزل الزاوية وبعث إلى طعام التجار الكلاء فأخذه فحملة إليه وخلي البصرة لأهل العراق وكان عامله عليهم الحكم بن أيوب ابن الحكم بن أبي عقيل الثقفي وجاء أهل العراق حتى دخلوا البصرة وقد كان الحجاج حين صدم تلك الصدمة وأقبل راجعا دعا بكتاب المهلب فقرأه ثم قال لله أبوه أي صاحب حرب هو أشار علينا بالرأي ولكننا لم نقبل وقال غير أبي مخنف كان عامل البصرة يومئذ الحكم بن أيوب على الصلاة والصدقة وعبد الله بن عامر بن مسمع على الشرط فسار الحجاج في جيشه حتى نزل رستقباد وهي من دستوى من كور الإهواز فعسكر بها وأقبل ابن الأشعث فنزل تستر وبينهما نهر فوجه الحجاج مطهر بن حرّ العسكي في ألني رجل فأوقدوا بمسلة لابن الأشعث وسار ابن الأشعث مبادرا فوافقهم وهي عشية عرفة من سنة ٨١ فيقال إنهم قتلوا من أهل الشام ألفا وخمسمائة وجاءه الباكون منهزمين ومعه يومئذ مائة وخمسون ألفا ففرقها في قواده وضمنهم إياها وأقبل منهزما الى البصرة وخطب ابن الأشعث

أصحابه فقال أما الحجاج فليس بشيء ولكننا نريد غزو عبد الملك وبلغ أهل البصرة هزيمة الحجاج فأراد عبد الله بن عامر بن مسمع أن يقطع الجسر دونه فرشاه الحكم ابن أيوب مائة ألف فكف عنه ودخل الحجاج البصرة فأرسل إلى ابن عامر فانتزع المائة ألف منه (رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف عن أبي الزبير الهمداني) فلما دخل عبد الرحمن بن محمد البصرة بايعه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك جميع أهلها من قرأتها وكهولها وكان رجل من الأزد من الجهاضم يقال له عقبة ابن عبد الغافر له صحابة فبازع عبد الرحمن مستبصرا في قتال الحجاج وخندق الحجاج عليه وخندق عبد الرحمن على البصرة وكان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذى الحجة من سنة ٨١ (وحج) بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك كذا حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وقال في هذه السنة ولد ابن أبي ذئب وكان العامل في هذه السنة على المدينة أبان بن عثمان وعلى العراق والمشرق الحجاج بن يوسف وعلى حرب خراسان المهلب وعلى خراجها المغيرة بن مهلب من قبل الحجاج وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين

ذكر الخبر عن الكائن من الأحداث فيها

فمن ذلك ما كان بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد من الحروب بالزاوية (ذكر هشام) بن محمد عن أبي مخنف قال حدثني أبو الزبير الهمداني قال كان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذى الحجة واقتلوا في المحرم من سنة ٨٢ فزاحفوا ذات يوم فاشتد قتالهم ثم إن أهل العراق هزموم حتى انتهوا إلى الحجاج وحتى قاتلهم على خنادقهم وانهممت عامة قريش وثقيف حتى قال عبيد بن موهب حولي الحجاج وكاتبه

فَرَّ الْبَرَاءُ وَإِبْنُ عَمِّهِ مُصَبَّبٌ وَفَرَّتْ قَرِيشٌ غَيْرَ آلِ سَعِيدٍ

ثم إنهم تزاحفوا في المحرم في آخره في اليوم الذي هزم فيه أهل العراق أهل الشام فكسفت ميمنتهم وميسرتهم واضطربت رماحهم وتقوض صفهم حتى دنوا منا فلما رأى الحجاج ذلك جثا على ركبتيه واتضحى نحواً من شبر من سيفه وقال لله درّ مُصعَب ما كان أكرمه حين نزل به ما نزل فعلت أنه والله لا يريد أن يفتر قال فغمزت أبي بعيني لياذن لي فيه فأضربه بسيفي فغمزني غمزة شديدة فسكنت وحانت مني التفاتة فإذا سفيان بن الأبرد الكلبى قد حمل عليهم فهزمهم من قبل الميمنة فقلت أبشر أيها الأمير فإن الله قد هزم العدو فقال لي قم فانظر قال فقامت فنظرت فقلت قد هزمهم الله قال قم يا زياد فانظر قال فقام فنظر فقال الحق أصلحك الله يقينا قد هزموا نحر ساجدا فلما رجعت شتمنى أبي وقال أردت أن تهلكنى وأهل بيتى وقتل فى المعركة عبد الرحمن بن عويجة أبو سفيان النهى وقتل عقبة بن عبد الغافر الأزدي ثم الجهضمى فى أولئك القراء فى ربيعة واحدة وقتل عبد الله بن رزام الحارثى وقتل المنذر بن الجارود وقتل عبد الله ابن عامر بن مسمع وأتى الحجاج برأسه فقال ما كنت أرى هذا فارقتى حتى جاءنى الآن برأسه وبارز سعيد بن يحيى بن سعيد بن العاص رجلاً يومئذ فقتله وزعموا أنه كان مولى للفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب كان شجاعاً يدعى نصيراً فلما رأى مشيته بين الصفيين وكان يلومه على مشيته قال لا ألومه على هذه المشية أبداً وقتل الطفيل بن عامر بن وائلة وقد كان قال وهو بفارس يقبل

مع عبد الرحمن من كرمان إلى الحجاج

ألا طرقتنا بالغريرين بعد ما
كللنا على شحط المزار جنوب
أتوك يقودون المنايا وإنما
هدتها بأولانا إليك ذنوب
ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له
من الله فى دار القرار نصيب
ألا أبلغ الحجاج أن قد أظله
عذاب بأيدى المؤمنين مصيب
متى تهبط المصرين يهرب محمد
وآيس بمنجى ابن العين هروب
قال منيتنا أمراً كان فى علم الله إنك أولى به فتعجل لك فى الدنيا وهو معذبك

في الآخرة وانهمزم الناس فأقبل عبد الرحمن نحو الكوفة وتبعه من كان معه من أهل الكوفة وتبعه أهل القوة من أصحاب الخيل من أهل البصرة ولما مضى عبد الرحمن نحو الكوفة وثب أهل البصرة إلى عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه فقاتل بهم خمس ليال الحجاج أشد قتال رآه الناس ثم انصرف فلحق بابن الأشعث وتبعه طائفة من أهل البصرة فلحقوا به وخرج الحريش بن هلال السعدي وهو من بني أنف الناقة وكان جريحا إلى سفوان فمات من جراحته وقتل في المعركة زياد بن مقاتل بن مسمع من بني قيس ابن ثعلبة فقامت حميدة ابنته تندبه وكان على خمس بكر بن وائل مع ابن الأشعث وعلى الرجال فقالت

حامي زياد على رأيتيه وفر جدي بن العنبر

بجاه البلع السعدي فسمعها وهي تندب أباه وتعيب التميمي فجاء وكان يبيع

سمنا بالمريد فترك سمته عند أصحابه وجاء حتى قام تحنها فقال

علام تلومين من لم يلم
فإن كان أردى أباك السنان
وقد تنطع الخيل تحت العجا
وتحن منعا لواء الحريد
تطاول أيلك من معصر
فقد تلحق الخيل بالمذير
ج غير السرى ولا المعذر
ش وطاح لواء بني جحدر

فقال عامر بن وائلة يرثي ابنه طفيلًا

نحلي طفيل على الهم فانشعبا
وابني سمية لا انساها أبدا
وأخطتني المنايا لا تطالغني
وكنت بعد طفيل كالذي تضبت
فلا يعير له في الأرض يركبه
وسار من أرض خاقان التي غلبت
ومن تجستان أسباب تزيتها
وهذا ذلك ركني هدة عجا
فمن نسيت وكل كان لي نصبا
حتى كبرت ولم يثر كز لي نشبا
عنه المياه وغاز الماء فانقضا
وإن سعى إرم من قد فاته لغبا
أبناء فارس في أربابها غلبا
لك الغيبة حيننا كان مجتلا

حتى وَرَدَتْ حِيَاضَ الْمَوْتِ فَانكَشَفَتْ عَنْكَ الْكِتَابُ لَا تَخْفَى لَهَا عِقَابًا
وَنَادَرُوكَ صَرِيحًا رَهْنًا مَعْرَكَةً تُرَى الذُّسُورُ عَلَى الْقَتْلِ بِهَا عُصَبًا
تَعَاهَدُوا ثُمَّ لَمْ يُوفُوا بِمَا عَاهَدُوا وَأَسْلَمُوا لِلْعَدُوِّ السَّيِّئِ وَالسَّلْبَا
يَأْسُوءَةَ الْقَوْمِ إِذْ تَسْبَى نِسَاؤُهُمْ وَهُمْ كَثِيرٌ يَرَوْنَ الْحِزْيَ وَالْحَرْبَا
﴿ قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ ﴾ فَحَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ أَيُوبَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَقِيلِ الثَّقَفِيِّ
أَنَّ الْحِجَاجَ أَقَامَ بَقِيَّةَ الْحَرَمِ وَأَوَّلَ صَفَرٍ ثُمَّ اسْتَعْمَلَ عَلَى الْبَصْرَةِ أَيُوبَ بْنَ الْحَكَمِ
ابْنَ أَبِي عَقِيلٍ وَمَضَى ابْنُ الْأَشْعَثِ إِلَى الْكُوفَةِ وَقَدْ كَانَ الْحِجَاجُ خَلْفَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ الْحَضْرَمِيِّ جَلِيفَ حَرْبِ بْنِ أُمِيَّةَ عَلَى الْكُوفَةِ
﴿ قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ ﴾ كَمَا حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنَ
أَهْلِ الشَّامِ ﴿ قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ ﴾ فَحَدَّثَنِي سَهْمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُمْ كَانُوا
أَلْفَيْنِ وَكَانَ حَنْظَلَةُ بْنُ الْوَرَادِ مِنْ بَنِي رِيَّاحِ بْنِ يَرْبُوعِ التَّمِيمِيِّ وَابْنُ عَتَابِ بْنِ وَرْقَانَ
عَلَى الْمَدَائِنِ وَكَانَ مَطَرُ بْنُ نَاجِيَةَ مِنْ بَنِي يَرْبُوعِ عَلَى الْمَعُونَةِ فَلَمَّا بَلَغَهُ مَا كَانَ مِنْ
أَمْرِ ابْنِ الْأَشْعَثِ أَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنَ الْكُوفَةِ فَتَحَصَّنَ مِنْهُ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ فِي الْقَصْرِ
وَوَثَبَ أَهْلُ الْكُوفَةِ مَعَ مَطَرِ بْنِ نَاجِيَةَ بِابْنِ الْحَضْرَمِيِّ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ
فَخَاصَرَهُمْ فَصَالِحُوهُ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا وَيَخْلُوهُ وَالْقَصْرَ فَصَالِحُهُمْ ﴿ قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ ﴾
فَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ أَنَّهُ رَأَى يَنْزِلُونَ مِنَ الْقَصْرِ عَلَى الْعَجَلِ وَفَتَحَ بَابَ
الْقَصْرِ لِمَطَرِ بْنِ نَاجِيَةَ فَازْدَحَمَ النَّاسَ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ فَزَحَمَ مَطَرُ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ
فَاخْتَرَطَ سَيْفَهُ فَضْرَبَ بِهِ جِحْفَلَةَ بَغْلٍ مِنْ بَغَالِ أَهْلِ الشَّامِ وَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ
الْقَصْرِ فَأَلْقَى جِحْفَلَتَهُ وَدَخَلَ الْقَصْرَ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ فَأَعْطَاهُمْ مِائَتِي دَرَاهِمٍ قَالَ
يُونُسُ وَأَنَا رَأَيْتُهَا تَقْسِمُ بَيْنَهُمْ وَكَانَ أَبُو السَّقْرِ فَيَمُنُ أُعْطِيهَا وَأَقْبَلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ
مَنْهَزًا إِلَى الْكُوفَةِ وَتَبِعَهُ النَّاسُ إِلَيْهَا ﴿ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ﴾ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ
وَقَعَةُ دِيرِ الْجَمَاجِمِ بَيْنَ الْحِجَاجِ وَابْنِ الْأَشْعَثِ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ قَالَ الْوَاقِدِيُّ كَانَتْ
وَقَعَةُ دِيرِ الْجَمَاجِمِ فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَفِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ كَانَتْ فِي سَنَةِ ٨٣

ذكر الخبر عن ذلك وعن سبب مصير ابن الأشعث إلى دير الجماجم

وذكر ما جرى بينه وبين الحجاج بها

(ذكر هشام) عن أبي مخنف قال حدثني أبو الزبير الهمداني ثم الأرحبي قال كنت قد أصابني جراحة وخرج أهل الكوفة يستقبلون ابن الأشعث حين أقبل فاستقبلوه بعد ما جاز قنطرة زبارا فلما دنا منها قال لي إن رأيت أن تعدل عن الطريق فلا يرى الناس جراحتك فإني لا أحب أن يستقبلهم الجرحى فافعل فعدلت ودخل الناس فلما دخل الكوفة مال إليه أهل الكوفة كلهم وسبقت همدان إليه فحقت به عند دار عمرو بن حريث إلا أن طائفة من تميم ليسوا بالكثير قد أتوا مطر بن ناجية فأرادوا أن يقاتلوا دونه فلم يطيقوا قتال الناس فدعا عبدالرحمن بالسلاليم والعجل فوضعت ليصعد الناس القصر فصعد الناس القصر فأخذوه فأتى به عبدالرحمن بن محمد فقال له استبقني فإني أفضل فرسانك وأعظمهم عنك غني فأمر به فحبس ثم دعا به بعد ذلك فعفا عنه وبايعه مطر ودخل الناس إليه فبايعوه وسقط إليه أهل البصرة وتفرقت إليه المسالح والثغور وجاءه فيمن جاءه من أهل البصرة عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وعرف بذلك وكان قد قاتل الحجاج بالبصرة بعد خروج ابن الأشعث ثلاثا فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فقال قاتل الله عدى الرحمن إنه قد فر وقاتل غلمان من غلمان قريش بعد ثلاثا وأقبل الحجاج من البصرة فسار في البر حتى مر بين القادسية والعذيب ومنعوه من نزول القادسية وبعث إليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من خيل المصرين فمنعوه من نزول القادسية ثم سايروه حتى ارتفعوا على وادي السباع ثم تسايروا حتى نزل الحجاج دير قرة ونزل عبد الرحمن بن العباس دير الجماجم ثم جاء ابن الأشعث فنزل بدير الجماجم والحجاج بدير قرة فكان الحجاج بعد ذلك يقول أما كان عبدالرحمن يزجر الطير حيث رآني نزلت دير قرة ونزل دير الجماجم واجتمع أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الثغور والمسالح بدير الجماجم والقراء

من أهل المصرين فاجتمعوا جميعاً على حرب الحجاج وجمعهم عليه بغضهم والكراهية له وهم إذ ذاك مائة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء ومعهم مثلهم من مواليتهم وجاءت الحجاج أيضاً أمداده من قبل عبد الملك من قبل أن ينزل دير قرّة وقد كان الحجاج أراد قبل أن ينزل دير قرّة أن يرتفع إلى هيت وناحية الجزيرة إرادة أن يقرب من الشام والجزيرة فيأتيه المدد من الشام من قريب ويقرب من رفاغة سعر الجزيرة فلما مر بدير قرّة قال ما بهذا المنزل بعد من أمير المؤمنين وإن الفلاليج وعين التمر إلى جنبنا فنزل فكان في عسكره مخندقا وابن محمد في عسكره مخندقا والناس يخرجون في كل يوم فيقتلون فلا يزال أحدهما يدني خندقه نحو صاحبه فإذا رآه الآخر خندق أيضاً وأدنى خندقه من صاحبه واشتد القتال بينهم فلما بلغ ذلك رؤس قريش وأهل الشام قبل عبد الملك ومواليه قالوا إن كان إنما يرضى أهل العراق أن تنزع عنهم الحجاج فإن نزع الحجاج أيسر من حرب أهل العراق فانزعه عنهم تخلص لك طاعتهم وتحقق به دماءنا ودماءهم فبعث ابنه عبد الله بن عبد الملك وبعث إلى أخيه محمد بن مروان بأرض الموصل يأمره بالقدوم عليه فاجتمعوا جميعاً عنده كلاهما في جنديهما فأمرهما أن يعرضا على أهل العراق نزع الحجاج عنهم وأن يجرى عليهم أعطياتهم كما تجرى على أهل الشام وأن ينزل ابن محمد أي بلد من عراق شاء يكون عليه والياً مادام حياً وكان عبد الملك والياً فإن هم قبلوا ذلك عزل عنهم الحجاج وكان محمد بن مروان أمير العراق وإن أبوا أن يقبلوا فالججاج أمير جماعة أهل الشام وولي القتال ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعته فلم يأت الحجاج أمر قط كان أشد عليه ولا أغبط له ولا أوجع لقلبه منه مخافة أن يقبلوا فيعزل عنهم فكتب إلى عبد الملك يا أمير المؤمنين والله لئن أعطيت أهل العراق نزعى لا يلبثون إلا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا اليك ولا يزيدهم ذلك إلا جرأة عليك ألم تر وتسمع يوثوب أهل العراق مع الأشتر على ابن عفان ه فلما سألهم ما يريدون قالوا نزع سعيد بن العاص فلما نزع لم تتم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه إن الحديد بالحديد يفلح خار الله لك فيما ارتأيت والسلام عليك فأبى عبد الملك إلا عرض هذه

الخصال على أهل العراق إرادة العافية من الحرب فلما اجتمعوا مع الحجاج خرج عبد الله بن عبد الملك فقال يا أهل العراق أنا عبد الله بن أمير المؤمنين وهو يُعطيكم كذا وكذا فذكر هذه الخصال التي ذكرناه وقال محمد بن مروان أنا رسول أمير المؤمنين اليكم وهو يعرض عليكم كذا وكذا فذكر هذه الخصال قالوا نرجع العشيّة فرجعوا فاجتمعوا عند ابن الأشعث فلم يبق قائد ولا رأس قوم ولا فارس إلا أتاه محمد الله ابن الأشعث وأثنى عليه ثم قال أما بعد فقد أعطيتكم أمراً انتهزكم اليوم إياه فرصة ولا آمن أن يكون على ذي الرأي غداً حسرة وإنكم اليوم على النصف وإن كانوا اعتدوا بالزاوية فأنتم تعتدون عليهم بيوم تستر فاقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزاء أقوياء والقوم لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون فلا والله لا زلتهم عليهم جراً ولا زلتهم عندهم أعزاء إن أنتم قبلتم أبداً ما بقيتم فوثب الناس من كل جانب فقالوا إن الله قد أهلكهم فأصبحوا في الأزل والضحك والمجاعة والقلة والذلة ونحن ذوو العدد الكثير والسعر الرفيع والمادة القريبة لا والله لا نقبل فأعادوا ختلعه ثانية وكان عبد الله ابن ذواب السلي وعمير بن تبحان أول من قام بخلعه في الجاهم وكان اجتماعهم على خلعه بالجاهم أجمع من خلعه إياه بفارس فرجع محمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك إلى الحجاج فقالا شأنك بعسرك وجندك فاعمل برأيك فانا قد أمرنا أن نسمع لك ونطيع فقال قد قلت لكما إنه لا يراد بهذا الأمر غيركما ثم قال إنما أقاتل لكما وإنما سلطاني سلطانكما فكانا إذا لقياه سلما عليه بالإمرة وقد زعم أبو يزيد السكسكي أنه إنما كان أيضاً يسلم عليهما بالإمرة إذا لقيهما وخلياه والحرب تتولاها (قال أبو مخنف) فحدثني الكلبي محمد بن السائب أن الناس لما اجتمعوا بالجاهم سمعتُ عبد الرحمن ابن محمد وهو يقول ألا إن بني مروان يعيرون بالزرقاء والله ما لهم نسب أصح منه إلا أن بني أبي العاصر أعلاج من أهل صفورية فإن يكن هذا الأمر في قريش فمبني فقتت بيضة قريش وإن يك في العرب فانا ابن الأشعث بن قيس ومدتها صوتة يسمع الناس وبرزوا للقتال فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليم الكلبي وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي وعلى خيله سفيان بن الأبرد الكلبي وعلى

رجالہ عبد الرحمن بن حبيب الحکمی وجعل ابن الأشعث علی ميمته الحجاج
ابن جارية الخثعمی وعلی میسرته الأبرد بن قرّة التميمی وعلی خيله عبد الرحمن بن
عباس بن ربيعة بن الحارث الهاشمی وعلی رجاله محمد بن سعد بن أبی وقاص وعلی
مجففته عبد الله رزام الحارثی وجعل علی القراء جبلة بن زحر بن قيس الجعفی
وكان معه خمسة عشر رجلا من قريش وكان فيهم عامر الشعبي وسعيد بن جبیر
وأبو البختری الطائي وعبد الرحمن بن أبی لیلی ثم إنهم أخذوا يتزاحفون في كل
يوم ويقتلون وأهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة ومن سوادها فيما شاؤا
من خصبهم وإخوانهم من أهل البصرة وأهل الشام في ضيق شديد قد غلقت
عليهم الأسعار وقلّ عندهم الطعام وفقدوا اللحم وكانوا كأنهم في حصار وهم علی
ذلك يُغادون أهل العراق ويرأونهم فيقتلون أشد القتال وكان الحجاج يذنی
خندقه مرة وهؤلاء أخرى حتى كان اليوم الذي أصيب فيه جبلة بن زحر ثم إنه
بعث إلى كميل بن زياد النخعی وكان رجلا ركيئا وقورا عند الحرب له بأس
وصوت في الناس وكانت كتيبه تُدعى كتيبة القراء يُحمل عليهم فلا يكادون
يبرحون ويحملون فلا يكذبون فكانوا قد عرفوا بذلك فخرجوا ذات يوم كما
كانوا يخرجون وخرج الناس فعبى الحجاج أصحابه ثم زحف في صفوفه وخرج
ابن محمد في سبعة صفوف بعضها على أثر بعض وعبى الحجاج لكتيبة القراء التي
مع جبلة بن زحر ثلاث كتائب وبعث عليها الجراح بن عبد الله الحکمی فأقبلوا
نحوم (قال أبو مخنف) حدثني أبو يزيد السكسكي قال أنا والله في الخيل التي
غبيت لجبلة بن زحر قال حملنا عليه وعلی أصحابه ثلاث حملات كل كتيبة تحمل
حمة فلا والله ما استنقصنا منهم شيئا (وفي هذه السنة) توفي المغيرة بن المهلب
بخراسان (ذكر علی بن محمد) عن المفضل بن محمد قال كان المغيرة بن المهلب
خليفة أبيه بمرور علی عمله كله فمات في رجب سنة ٨٢ فأتى الخبر يزيد وعلیه أهل العسكر
فلم يخبروا المهلب وأحب يزيد أن يبلغه فأمر النساء فصرخن فقال المهلب ما هذا
فقبل مات المغيرة فاسترجع وجرع حتى ظهر جزع عليه فلامه بعض خاصته فدعا

يزيد فوجه إلى مرو فجعل يوصيه بما يعمل ودموعه تنحدر على لحيته وكتب
الحجاج إلى المهلب يعزيه عن المغيرة وكان سيداً وكان المهلب يوم مات المغيرة
مقيماً بكش وراء النهر لحرب أهلها قال فسار يزيد في ستين فارساً ويقال سبعين
فيهم جماعة بن عبد الرحمن العتكي وعبد الله بن معمر بن سمير اليشكري ودينار
السجستاني والهيثم بن المنخل الجرهمي وغزوان الإسكافي صاحب زم وكان
أسلم على يد المهلب وأبو محمد الزمي وعطية مولى لعتيك فلقبهم خمسمائة من الترك
في مفازة نسف فقالوا ما أنتم قالوا تجار قالوا فإين الأثقال قالوا قدمناها قالوا
فأعطونا شيئاً فأبى يزيد فأعطاهم جماعة ثوباً وكرابيس وقوساً فانصرفوا ثم غدروا
وعادوا إليهم فقال يزيد أنا كنت أعلم بهم فقاتلهم فاشتد القتال بينهم ويزيد على
فرس قريب من الأرض ومعه رجل من الخوارج كان يزيد أخذه فقال استبقني
فمن عليه فقال له ما عندك فحمل عليهم حتى خالطهم وصار من ورائهم وقد قتل
رجلاً ثم كر نخالطهم حتى تقدمهم وقتل رجلاً ثم رجع إلى يزيد وقتل يزيد عظيماً
من عظمائهم ورُمى يزيد في ساقه واشتدت شوكتهم وهرب أبو محمد الزمي وصبر
لم يزيد حتى حاجزوه وقالوا قد غدروا ولكن لا نتصرف حتى نموت جميعاً أو
تموتوا أو تعطونا شيئاً فحلف يزيد لا يعطيهم شيئاً فقال جماعة أذكرك الله قدهلك
المغيرة وقد رأيت ما دخل على المهلب من مصابه فأنشدك الله أن تصاب اليوم قال
إن المغيرة لم يعد أجله ولست أعدو أجلى فرمى إليهم جماعة بعمامة صفراء فأخذوها
وانصرفوا وجاء أبو محمد الزمي بفوارس وطعام فقال له يزيد أسلتنا يا أبا محمد فقال
إنما ذهبت لأجيشكم بمدد وطعام فقال الراجز

يزيدُ يا سيفَ أبي سعيدٍ قد علمَ الأقوامُ والجنودُ

والجمعُ يومَ المجمعِ المشهودِ أنك يومَ التركِ صلبُ العودِ

وقال الأشعري :

والتركُ تعلمُ إذ لآقَى جموعَهُمُ أن قد لقوه شهاباً يفرجُ الظلماً

بفتية كاسود الغاب لم يحدوا غيرَ التامسِ وغيرَ الصبرِ معتصماً

نرى شرايح تغشى القوم من علق وما أرى نبوة منهم ولا كزما
وتحتهم قرح يركبن ماركبوا من الكريهة حتى يتلعن دما
في حازة الموت حتى جنّ كليلهم كلاً الفريقين ماولى ولا انهزما
(وفي هذه السنة) صالح المهلب أهل كش على فدية ورحل عنها يريد مرو
ذكر الخبر عن سبب انصراف المهلب عن كش

ذكر علي بن محمد عن المفضل بن محمد أن المهلب اتهم قوما من مضر فحبسهم
وقفل من كش وحلفهم وخلف حريث بن قطبة مولى خزاعة وقال إذا استوفيت
الفدية فردّ عليهم الرهن وقطع النهر فلما صار يبلغ أقام بها وكتب إلى
حريث إني لست آمن إن رددت عليهم الرهن أن يغيروا عليك فإذا قبضت
الفدية فلا تخلي الرهن حتى تقدم أرض بلخ فقال حريث لملك كش إن المهلب
كتب إلى أن احبس الرهن حتى أقدم أرض بلخ فإن عجلت لي ما عليك سلبت إليك
رهائك وسرت فأخبرته أن كتابه ورد وقد استوفيت ما عليكم ورددت عليكم الرهن
فعجل لهم صلحهم وردّ عليهم من كان في أيديهم منهم وأقبل فعرض لهم الترك
فقالوا افسد نفسك ومن معك فقد لقينا يزيد بن المهلب فقدى نفسه فقال حريث ولدتي
إذا أم يزيد وقاتلهم فقتلهم وأسر منهم أسرى فقدوهم فنّ عليهم وخلاهم وردّ عليهم
الفداء وبلغ المهلب قوله ولدتي أم يزيد إذا فقال يأتف العبد أن تلده رحه
وغضب فلما قدم عليه بلخ قال له أين الرهن قال قبضت ما عليهم وخليتهم قال
ألم أكب إليك أن لا تخليهم قال أتاني كتابك وقد خليتهم وقد كفيت ما خفت
قال كذبت ولكنك تقربت اليهم وإلى ملكهم فأطلعت على كتابي إليك وأمر
بتجريدته فجزع من التجريد حتى ظن المهلب أن به برصاً فجرده وضربه ثلاثين
سوطاً فقال حريث وددت أنه ضربني ثلاثمائة سوط ولم يجر دني أنفأ واستحياء
من التجريد وحلف ليقتلن المهلب فركب المهلب يوماً وركب حريث فأمر
غلامين له وهو يسير خلف المهلب أن يضرباه فأبى أحدهما وتركه وانصرف
ولم يجترئ الآخر لما صار وحده أن يقدم عليه فلما رجع قال لغلامه ما منعك

منه قال الإشفاق والله عليك ووالله ماجزعت على نفسي وعلت أنا إن قتلناه
 أنك ستقتل ونقتل ولكن كان نظري لك ولو كنت أعلم أنك تسلم من القتل
 لقتلته قال فترك حريث إتيان المهلب وأظهر أنه وجع وبلغ المهلب أنه تمارض
 وأنه يريد الفتك به فقال المهلب لثابت بن قطبة جئني بأخيك فإنما هو كبعض
 وُلدي عندي وما كان ما كان مني إليه إلا نظراً له وأدباً ولربما ضربت بعض
 وُلدي أوؤدبه فأبى ثابت أخاه فناشده وسأله أن يركب إلى المهلب فأبى وخافه
 وقال والله لا أجيئه بعد ما صنع بي ما صنع ولا آمنه ولا يأمنني فلما رأى ذلك
 أخوه ثابت قال له أما إن كان هذا رأيك فاخرج بنا إلى موسى بن عبد الله بن
 خازم وخاف ثابت أن يفتك حريث بالمهلب فيقتلون جميعاً فخرجوا في ثلثمائة من
 شاكريتهما والمنقطعين اليهما من العرب (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة
 توفي المهلب بن أبي صفرة

ذكر الخبر عن سبب موته ومكان وفاته

قال علي بن محمد حدثني المفضل قال مضى المهلب منصوراً من كش يريد مرو
 فلما كان بزاعول من مرو الرُّوذ أصابته الشوصة وقوم يقولون الشوكة فدعا
 حبيباً ومن حضره من ولده ودعا بسهام فحزمت وقال أترونكم كاسريها بجمعة
 قالوا لا قال أترونكم كاسريها متفرقة قالوا نعم قال فهكذا الجماعة فأوصيكم بتقوى
 الله وصلة الرحم فإن صلة الرحم تنسي في الأجل وتثري المال وتكثر العدد
 وأنها كم عن القطيعة فإن القطيعة تعقب النار وتورث الذلة والقلة فتحأبوا
 وتواصلوا وأجمعوا أمرهم ولا تختلفوا وتباروا تجتمع أموركم إن بنى الأمم
 يختلفون فكيف بنى العلات وعليكم بالطاعة والجماعة وليكن فعالكم أفضل من
 قولكم فإنني أحب للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه واتقوا الجواب وزلة
 اللسان فإن الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته ويزل لسانه فيهلك اعرفوا لمن
 يغشاكم حقه فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له وآثروا الجود على
 البخل وأجسوا العرب واصطنعوا العرف فإن الرجل من العرب تعده العدة

فيموت دونك فكيف الصنعة عنده عليكم في الحرب بالإناء والمكيدة فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة وإذا كان اللقاء نزل القضاء فإن أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوه قيل أتى الأمر من وجهه ثم ظفر فحمد وإن لم يظفر بعد الإناء قيل ما فرط ولا ضيع ولكن القضاء غالب وعلينا بقرأة القرآن وتعليم السنن وأدب الصالحين وإياكم والخفة وكثرة الكلام في مجالسكم وقد استخلفت عليكم يزيد وجعلت حبيباً على الجند حتى يقدم بهم على يزيد فلا تخالفوا يزيد فقال له المفضل لو لم تقدمه لقد مناه ومات المهلب وأوصى إلى حبيب فصلى عليه حبيب ثم سار إلى مرو وكتب يزيد إلى عبد الملك بوفاة المهلب واستخلافه إياه فأقره الحجاج ويقال إنه قال عند موته ووصيته لو كان الأمر إلى لوليت سيد وُلدي حبيباً قال وتوفي في ذي الحجة سنة ٨٢ فقال نهار بن تويسعة التيمي :

أَلَا ذَهَبَ الْغَزْوُ الْمُقَرَّبُ لِلْغَنَى
وَمَاتَ الْوَدَى وَالْجُودُ بَعْدَ الْمَهْلَبِ
أَقَامَا بِمَرُو الرُّوْذِ رَهْنَى ضَرِيحِهِ
وَقَدْ غُيَّبَا عَنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرَبِ
إِذَا قِيلَ أَى النَّاسِ أَوْلَى بِنِعْمَةٍ
عَلَى النَّاسِ قَلْنَاهُ وَلَمْ تَتَهَيَّبِ
أَبَاحَ لَنَا سَهْلَ الْبِلَادِ وَحَزْنَهَا
بِخَيْلِ كَارِسَالِ الْقَطَا الْمُتَسَرَّبِ
يُعَرِّضُهَا لِلطَّعْنِ حَتَّى كَأَنَّمَا
يُجَلِّهَا بِالْأَرْجَوَانِ الْمُخْضَبِ
تُطِيفُ بِهِ قَحْطَانٌ قَدْ عَصَبَتْ بِهِ
وَأَحْلَافُهَا مِنْ حَتَّى بَكْرٍ وَتَغْلِبِ
وَحَيًّا مَعَدِّ عُوْذُ يَلِوَانِهِ
يُفْدُونَهُ بِالنَّفْسِ وَالْأَمِّ وَالْأَبِ

(وفي هذه السنة) ولي الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب خراسان بعد موت المهلب (وفيها) عزل عبد الملك أبان بن عثمان عن المدينة قال الواقدي عزله عنها لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة قال وفيها ولي عبد الملك هشام بن إسماعيل المخزومي المدينة وعزل هشام بن إسماعيل عن قضاء المدينة لمساولها نوفل بن مساحق العامري وكان يحيى بن الحكم هو الذي استقضاه على المدينة هـ فلما عزل يحيى ووليا أبان بن عثمان أفره على قضاها وكانت ولاية أبان المدينة سبع سنين وثلاثة أشهر وثلاث عشرة ليلة فلما عزل هشام بن إسماعيل نوفل بن مساحق عن

القضاء ولى مكانه عمرو بن خالد الزرقى (وحج) بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكان على الكوفة والبصرة والمشرق الحجاج وعلى خراسان يزيد بن المهلب من قبل الحجاج

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فما كان فيها من ذلك هزيمة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بدير الجماجم

ذكر الخبر عن سبب انهزامه

ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف قال حدثني أبو الزبير الهمداني قال كنت في خيل جيلة بن زحل ه فلما حمل عليه أهل الشام مرة بعد مرة نادانا عبد الرحمن ابن أبي ليلى الفقيه فقال يا معشر القراء إن الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم إنى سمعت علياً رفع الله درجته في الصالحين وأثابه أحسن ثواب الشهداء والصديقين يقول يوم لقينا أهل الشام أيها المؤمنون إنه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن أنكر بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه ومن أنكر بالسيف لتكون كلمة الله العلياً وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ونور في قلبه باليقين فقاتلوا هؤلاء المحلين المحدثين المتدعين الذين قد جهلوا الحق فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فليس ينكروه وقال أبو البخترى أيها الناس قاتلوهم على دينكم ودنياكم فوالله لئن ظهر واعليكم ليفسدن عليكم دينكم وليغلبن على دنياكم وقال الشعبي يا أهل الإسلام قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتلهم فوالله ما أعلم قوماً على بساط الأرض أعمل بظلم ولا أجور منهم في الحكم فليكن بهم البدار وقال سعيد بن جبيرة قاتلوهم ولا تأثموا من قتلهم بنية ويقين وعلى آثامهم قاتلوهم على جورهم في الحكم وتجرهم في الدين واستدلاهم الضعفاء وإماتهم الصلاة (قال أبو مخنف) قال أبو الزبير قتيباًنا

للحملة عليهم فقال لنا جبلة إذا حملتم عليهم فاحملوا حملة صادقة ولا تردوا وجوهكم
 عنهم حتى تواقعوا صفهم قال فحملنا عليهم حملة بجد منا في قتالهم وقوة منا عليهم
 فضربنا الكتاب الثلاث حتى اشفرت ثم مضينا حتى واقنا صفهم فضربناهم حتى
 أزلناهم عنه ثم انصرفنا فررنا بجبلة صريحا لاندرى كيف قتل قال فهذهنا ذلك
 وجبنا فوقنا موقفنا الذي كناه وإن قرأنا لمتوافرون ونحن تناعى جبلة بن
 زحر بيننا كأنما فقد به كل واحد منا أباه أو أخاه بل هو في ذلك الموطن كان أشد
 علينا فقدنا فقال لنا أبو البختری الطائي لا يستبين فيكم قتل جبلة بن زحر فانما
 كان كرجل منكم أتته منيته ليومها فلم يكن ليتقدم يومه ولا ليتأخر عنه وكلكم
 ذائق ما ذاق ومدعو فنجيب قال فنظرت إلى وجوه القراء فاذا الكتابة على وجوههم
 بينة وإذا أسننتهم منقطعة وإذا الفشل فيهم قد ظهر وإذا أهل الشام قد سروا
 وجدلوا فنادوا يا أعداء الله قد هلكتم وقد قتل الله طاعوتكم (قال أبو مخنف)
 فحدثني أبو يزيد السكسكي أن جبلة حين حمل هو وأصحابه علينا انكشفنا وتبعونا
 وافتقت منا فرقة فكانت ناحية فنظرنا فاذا أصحابه يتبعون أصحابنا وقد وقف
 لأصحابه ليرجعوا إليه على رأس رهوة فقال بعضنا هذا والله جبلة بن زحر احملا
 عليه مادام أصحابه مشاغيل بالقتال عنه لعلكم تصيبونه قال فحملنا عليه فأشهد
 ما ولي ولكن حمل علينا بالسيف فلهاهبط من الرهوة شجرناه بالرماح فأذريناه
 عن فرسه فوق قتيلا ورجع أصحابه فلما رأيناهم مقبلين تنحينا عنهم فلما رأوه قتيلا
 رأينا من استرجاعهم وجزعهم ماقرت به أعيننا قال فتبيننا ذلك في قتالهم إيانا
 وخروجهم إلينا (قال أبو مخنف) حدثني سهم بن عبد الرحمن الجهني قال لما
 أصيب جبلة هذ الناس مقتله حتى قدم علينا بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني
 فشجع الناس مقدمه وقالوا هذا يقوم مقام جبلة فسمع هذا القول من بعضهم
 أبو البختری فقال قبحتم إن قتل منكم رجل واحد ظنتم أن قد أحيط بكم فان
 قتل الآن ابن مصقلة القيم بأيديكم إلى التهلكة وقتلتم لم يبق أحد يقاتل معه
 ما خلقكم أن يخلف رجاؤنا فيكم وكان مقام بسطام من الرى فالتقى هو وقتية

في الطريق فدعاه قتيبة إلى الحجاج وأهل الشام ودعاه بسطام إلى عبدالرحمن وأهل العراق فكلاهما أبي علي صاحبه وقال بسطام لأن أموت مع أهل العراق أحب إلى من أن أعيش مع أهل الشام وكان قد نزل ماسبذان فلما قدم قال لابن محمد أمرني علي خيل ربيعة ففعل فقال لهم يامعشر ربيعة إن في شرسفة عند الحرب فاحتملوها لي وكان شجاعا فخرج الناس ذات يوم ليقتلوا فحمل في خيل ربيعة حتى دخل عسكرهم فأصابوا فيهم نحواً من ثلاثين امرأة من بين أمة وسرية فأقبل بهن حتى إذا دنا من عسكره ردهن فجئن دخلن عسكر الحجاج فقال أولى لهم منع القوم نساءهم أمالوم يردوهن لسبيت نساؤهم غدا إذا ظهرت ثم اقتتلوا يوماً آخر بعد ذلك فحمل عبدالله بن مليل الهمداني في خيل له حتى دخل عسكرهم فسبأ ثمانين عشرة امرأة وكان معه طارق بن عبدالله الأسدي وكان رامياً فخرج شيخ من أهل الشام من فسطاطه فأخذ الأسدي يقول لبعض أصحابه استرمني هذا الشيخ لعلى أرميه أو أحمل عليه فأطعنه فاذا الشيخ يقول رافعا صوته اللهم لنا وإياهم بعافية فقال الأسدي ما أحب أن أقتل مثل هذا فتركه وأقبل ابن مليل بالنساء غير بعيد ثم خلى سبيلهن أيضا فقال الحجاج مثل مقالته الأولى (قال هشام) قال أبي أقبل الوليد بن نحيث الكلبي من بني عامر في كتيبة إلى جيلة بن زحر فأنحط عليه الوليد من راية وكان جسيما وكان جيلة رجلا ربيعة فالتقيا فضربه على رأسه فسقط وانهمز أصحابه وجيء برأسه (قال هشام) فحدثني بهذا الحديث أبو مخنف وعوانة الكلبي قال لما جيء برأس جيلة بن زحر إلى الحجاج حمله علي رحين ثم قال يا أهل الشام أبشروا هذا أول الفتح لا والله ما كانت فتنة قط نجبت حتى يقتل فيها عظيم من عظماء أهل اليمن وهذا من عظامهم ثم خرجوا ذات يوم فخرج رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة فخرج إليه الحجاج بن جارية فحمل عليه فطعنه فأذراه وحمل أصحابه فاستنقذوه فاذا هو رجل من خشم يقال له أبو الدرداء فقال الحجاج بن جارية أما إنني لم أعرفه حتى وقع ولو عرفته ما بارزته ما أحب أن يصاب من قومي مثله وخرج عبدالرحمن بن عوف الرواسي أبو حميد فدعا إلى المبارزة فخرج إليه ابن عم

له من أهل الشام فاضطر بابسيهيهما فقال كل واحد منهما أنا الغلام الكلابي فقال كل واحد منهما لصاحبه من أنت فلما تساءلا تحاجزا وخرج عبدالله بن رزام الحارثي إلى كتيبة الحجاج فقال أخرجوا إلى رجلا رجلا فأخرج اليه رجل فقتله ثم فعل ذلك ثلاثة أيام يقتل كل يوم رجلا حتى إذا كان اليوم الرابع أقبل فقالوا قد جاء لاجاء الله به فدعا إلى المبارزة فقال الحجاج للجراح اخرج اليه فخرج اليه فقال له عبدالله بن رزام وكان له صديقا ويحك يا جراح ما أخرجك إلى قال قد ابتليت بك قال فهل لك في خير قال ما هو قال أنهزم لك فترجع إلى الحجاج وقد أحسنت عنده وحمدك وأما أنا فإني أحتمل مقالة الناس في انهزامي عنك حبا لسلامتك فإني لأحب أن أقتل من قومي مثلك قال فافعل فحمل عليه فأخذ يستطرد له وكان الحارثي قد قطعت لهاته وكان يعطش كثيرا وكان معه غلام له معه إداوة من ماء فكما عطش سقاه الغلام فاطرد له الحارثي وحمل عليه الجراح حملة بجد لا يريد إلا قتله فصاح به غلامه إن الرجل جاد في قتلك فعطف عليه فضربه بالعمود على رأسه فصرعه فقال لغلامه انضح علي وجهه من ماء الإداوة واسقه ففعل ذلك به فقال يا جراح بئس ما جزيتني أردت بك العافية وأردت أن تزيروني المنية فقال لم أرد ذلك فقال انطلق فقد تركتك للقراية والعشيرة (قال محمد بن عمر الواقدي) حدثني ابن أبي سبرة عن صالح بن كيسان قال قال سعيد الحرشي أنا في صف القتال يومئذ إذ خرج رجل من أهل العراق يقال له قدامة بن الحرishi التيمي فوقف بين الصفيين فقال يا معشر جرامقة أهل الشام إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله فإن أيتم فليخرج إلى رجل فخرج اليه رجل من أهل الشام فقتله حتى قتل أربعة فلما رأى ذلك الحجاج أمر مناديا فنادى لا يخرج إلى هذا الكلب أحد قال فكف الناس قال سعيد الحرشي فدنوت من الحجاج فقلت أصلح الله الأمير إنك رأيت أن لا يخرج إلى هذا الكلب أحد وإنما هلك من هلك من هؤلاء نفر بأجالهم ولهذا الرجل أجل وأرجو أن يكون قد حضر فأذن لأصحابي الذين قدموا معي فليخرج اليه رجل منهم فقال الحجاج إن هذا الكلب

لم يزل هذا له عادة وقد أربع الناس وقد أذنت لأصحابك فمن أحب أن يقوم فليقم فرجع سعيد الحرشي إلى أصحابه فأعلمهم فلما نادى ذلك الرجل بالبراز برز إليه رجل من أصحاب الحرشي فقتله قدامة فشق ذلك على سعيد وثقل عليه لكلامه الحجاج ثم نادى قدامة من يبارز فدنا سعيد من الحجاج فقال أصلح الله الأمير ائذن لي في الخروج إلى هذا الكلب فقال وعندك ذلك قال سعيد نعم أنا كما تحب فقال الحجاج أرني سيفك فأعطاه إياه فقال الحجاج معي سيف أثقل من هذا فأمره بالسيف فأعطاه إياه فقال الحجاج ونظر إلى سعيد فقال ما أجود درعك وأقوى فرسك ولا أدري كيف تكون مع هذا الكلب قال سعيد أرجو أن يُظفرني الله به قال الحجاج اخرج على بركة الله قال سعيد فخرجت إليه فلما دنوت منه قال قف يا عدو الله فوقفت فسرتني ذلك منه فقال اختر إما أن تمكني فأضربك ثلاثاً وإما أن أمكنك فتضربني ثلاثاً ثم تمكني قلت أمكني فوضع صدره على قربوسه ثم قال اضرب فجمعت يدي على سيني ثم ضربت على المغفر متمكناً فلم يصنع شيئاً فسألتني ذلك من سيني ومن ضربتي ثم أجمع رأيي أن أضربه على أصل العاتق فأما أن أنطع وإما أن أوهن يده عن ضربته فضرته فلم أصنع شيئاً فسألتني ذلك ومن غاب عني ممن هو في ناحية العسكر حين بلغه ما فعلت والثاك كذلك ثم اخترت سيفاً ثم قال أمكني فأمكنته فضررتني ضربة صرعتني منها ثم نزل عن فرسه وجلس على صدرى وانتزع من خفيه خنجرًا أو سكيناً فوضعها على حلقى يريد ذبحي فقلت له أنشدك الله فانك لست مصيباً من قتلى الشرف والذكر مثل ما أنت مصيب من تركي قال ومن أنت قلت سعيد الحرشي قال أولى يا عدو الله فانطلق فأعلم صاحبك ما لقيت قال سعيد فانطلقت أسعى حتى انتهيت إلى الحجاج فقال كيف رأيت فقلت الأمير كان أعلم بالامر (رجع الحديث) إلى حديث أبي مخنف عن أبي يزيد قال وكان أبو البختری الطائي وسعيد بن جبیر يقولان ما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله كتاباً مؤجلاً إلى آخر الآية ثم يحملان حتى يوافقا الصف (قال أبو المخارق) قاتلنا مائة يوم سواء أعداها عداً قل نزلنا دير الجماجم مع ابن محمد

غداة الثلاثاء لليلة مضت من شهر ربيع الأول سنة ٨٣ وهزمتنا يوم الأربعاء
عشرة مضت من جمادى الآخرة عند امتداد للضحى ومتوع النهار وما كنا قط
أجرأ عليهم ولا هم أهون علينا منهم في ذلك اليوم قال خرجنا إليهم وخرجوا إلينا
يوم الأربعاء عشرة مضت من جمادى الآخرة فقاتلناهم عامة النهار أحسن
قتال قاتلناهموه قط ونحن آمنون من الهزيمة عالون للقوم إذ خرج سفيان بن الأبرد
الكلبي في الخيل من قبل ميمنة أصحابه حتى دنا من الأبرد بن قرة التميمي وهو على
ميسرة عبدالرحمن بن محمد فوالله ما قاتله كبير قتال حتى انهزم فأنكرها الناس منه
وكان شجاعا ولم يكن الفرار له بعادة فظن الناس أنه قد كان أو من وصوح على
أن ينهزم بالناس فلما فعلها تقوضت الصفوف من نحوه وركب الناس وجوههم
وأخذوا في كل وجه وصعد عبدالرحمن بن محمد المنبر فأخذ ينادى الناس عباد الله
إلى أنا بن محمد فأتاه عبدالله بن رزام الحارثي فوقف تحت منبره وجاء عبدالله بن ذؤاب
السلي في خيل له فوقف منه قريبا وثبت حتى دنا منه أهل الشام فأخذت نبلهم تحوزه
فقال يا ابن رزام احمل على هذه الرجال والخيل فحمل عليهم حتى أمعنوا ثم جاءت خيل لهم
أخرى ورجالة فقال احمل عليهم يا ابن ذؤاب فحمل عليهم حتى أمعنوا وثبت لا يبرح
منبره ودخل أهل الشام العسكر فكبروا فصعد إليه عبدالله بن يزيد بن المغفل الأزدي
وكانت مليكة ابنة أخيه امرأة عبدالرحمن فقال انزل فإني أخاف عليك أن تنزل أن تؤسر
ولعلك إن انصرفت أن تجمع لهم جمعا يهلكهم الله به بعد اليوم فنزل وخيل أهل
العراق العسكر وانهزموا الا يلوون على شيء ومضى عبدالرحمن بن محمد مع ابن جعدة
ابن هبيرة ومعه أناس من أهل بيته حتى إذا حاذوا قرية بني جعدة بالفلوجة دعوا
بمعبر فعبروا فيه وانتهى إليهم بسطام بن مصقلة فقال هل في السفينة عبدالرحمن
ابن محمد فلم يكلموه وظر أنه فيهم فقال

لا وألت نفس عليها تحاذر

ضرم قيس على البلا د حتى إذ اضطرمت أجدما

ثم جاء حتى انتهى إلى بيته وعليه السلاح وهو على فرسه لم ينزل عنه فخرجت

اليه ابنته فالتزمها وخرج اليه اهله ليكون فأوصاهم بوصية وقال لا تبكوا أرايتم ان لم أترككم كم عسيت أن أبقى معكم حتى أموت وإن أنا مت فإن الذي رزقكم الآن حتى لا يموت وسيرزقكم بعد وفاتي كما رزقكم في حياتي ثم ودع أهله وخرج من الكوفة (قال أبو مخنف) فحدثني الكلبي محمد بن السائب أنهم لما هزموا ارتفاع النهار حين امتد وتمتع قال جئت أشد ومعى الرمح والسيف والترس حتى بلغت أهلي من يومى ما أقيت شيئاً من سلاحى فقال الحجاج اتركوهم فليتبددوا ولا تبعوهم ونادى المنادى من رجع فهو آمن ورجع محمد بن مروان إلى الموصل وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام بعد الواقعة وخلياً الحجاج والعراق وجاء الحجاج حتى دخل الكوفة وأجلس مصقلة بن كرب بن رقة العبدى إلى جنبه وكان خطيباً فقال اشتم كل امرئ بما فيه بمن كنا أحسنا اليه فاشتبه بقلة شكره واقوم عهده ومن علمت منه عيباً فعبه بما فيه وصغر إليه نفسه وكان لا يبايعه أحد إلا قال له أتشهد أنك قد كفرت فاذا قال نعم بايعه وإلا قتله فجاء اليه رجل من خشم قد كان معتزلاً للناس جميعاً من وراء الفرات فسأله عن حاله فقال ما زلت معتزلاً وراء هذه النطفة منتظراً أمر الناس حتى ظهرت فأنتك لأبايعك مع الناس قال أمرت بص أشهد أنك كافر قال بنس الرجل أنا ان كنت عبدت الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسى بالكفر قال إذا أقتلك قال وان قتلتنى فوالله ما بقى من عمرى إلا ظمء حمار وإنى لا تنظر الموت صباح مساء قال اضربوا عنقه فضربت عنقه فزعموا أنه لم يبق حوله قرشى ولا شامى ولا أحد من الحزبين إلا رحمه ورثى له من القتل ودعا بكميل بن زياد النخعي فقال له أنت المقتص من عثمان أمير المؤمنين قد كنت أحب أن أجد عليك سيلاً فقال والله ما أدرى على آينا أنت أشد غضباً عليه حين أفاد من نفسه أم على حين عفوت عنه ثم قال أيها الرجل من ثقيف لا تصرف على أنيابك ولا تهدم على تهدم الكتيب ولا تكسر كسران الذئب والله ما بقى من عمرى إلا ظمء الحمار فانه يشرب غدوة ويموت عشية ويشرب عشية ويموت غدوة اقض ما أنت قاض فان الموعد الله وبعد القتل

الحساب قال الحجاج فان الحجة عليك قال ذلك إن كان القضاء اليك قال بلى كنت فيمن قتل عثمان وخلصت أمير المؤمنين اقتلوه فقدم فقتل قتله أبو الجهم بن كنانة الكلبي من بني عامر بن عوف ابن عم منصور بن جمهور وأتى بأخر من بعده فقال الحجاج انى أرى رجلاً ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر فقال أخادعى عن نفسى أنا أكفر أهل الأرض وأكفر من فرعون ذى الأوتاد فضحك الحجاج وخلي سبيله وأقام بالكوفة شهراً وعزل أهل الشام عن بيوت أهل الكوفة (وفي هذه السنة) كانت الواقعة بمسكن بين الحجاج وابن الأشعث بعدما انهزم من دير الجماجم

ذكر الخبر عن سبب هذه الواقعة وعن صفتها

(قال هشام) حدثني أبو مخنف عن أبي يزيد السكسكى قال خرج محمد بن سعد بن أبي وقاص بعد واقعة الجماجم حتى نزل المدائن واجتمع اليه ناس كثير وخرج عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشى حتى أتى البصرة وبها أيوب بن الحكم بن أبي عقيل ابن عم الحجاج فأخذها وخرج عبد الرحمن بن محمد حتى قدم البصرة وهو بها فاجتمع الناس إلى عبد الرحمن ونزل فأقبل عبيد الله حينئذ إلى ابن محمد بن الأشعث وقال له إنى لم أرد فراقك وإنما أخذتها لك وخرج الحجاج فبدأ بالمدائن فأقام عليها خمساً حتى هيا الرجال في المعابر فلما بلغ محمد بن سعد عبورهم اليهم خرجوا حتى لحقوا بابن الأشعث جميعاً وأقبل نحوهم الحجاج فخرج الناس معه إلى مسكن على دجيل وأتاه أهل الكوفة والفلول من الأطراف وتلاوم الناس على الفرار وباع أكثرهم بسطام بن مصقلة على الموت وخندق عبد الرحمن على أصحابه وبتق الماء من جانب فجعل القتال من وجه واحد وقدم عليه خالد بن جرير بن عبد الله القسرى من خراسان فى ناس من بعث الكوفة فاقتلوا خمس عشرة ليلة من شعبان أشد القتال حتى قتل زياد بن غنيم القينى وكان على مسالح الحجاج فهذه ذلك وأصحابه هداً شديداً (قال أبو مخنف) حدثني أبو جهضم الأزدي قال بات الحجاج ليله كله يسير فينا يقول لنا إنكم أهل الطاعة وهم أهل المعصية وأنتم تسعون فى رضوان الله وهم يسعون فى

سخط الله وعادة الله عندكم فيهم حسنة ما صدقتموهم في موطن قط ولا صبرتم لهم الا أعقبكم الله النصر عليهم والظفر بهم فأصبحوا اليهم عادين جادين فاني لست أشك في النصر ان شاء الله قال فأصبحنا وقد عبانا في السحر فباكرناهم فقاتلناهم أشد قتال قاتلناهموه قط وقد جاءنا عبد الملك بن المهلب محففا وقد كشفت خيل سفيان بن الأبرد فقال له الحجاج ضم إليك يا عبد الملك هذا البشر لعل أحمل عليهم ففعل وحمل الناس من كل جانب فانهزم أهل العراق أيضا وقتل أبو البخري الطائي وعبد الرحمن بن أبي ليلى وقالوا قبل أن يقتلوا إن الفرار كل ساعة بنا لقبيح فأصيبا قال ومشى بسطام بن مصقلة الشيباني في أربعة آلاف من أهل الحفاظ من أهل المصريين فكسروا جفون السيوف وقال لهم ابن مصقلة لو كنا إذا فررنا بأنفسنا من الموت نجونا منه فررنا ولكننا قد علمنا أنه نازل بنا عما قليل فآين المحيد عما لا بد منه يا قوم إنكم محقون فقاتلوا على الحق والله لو لم تكونوا على الحق لكان موت في عز خيرا من حياة في ذل فقاتل هو وأصحابه قتالا شديدا كشفوا فيه أهل الشام مرارا حتى قال الحجاج علي بالرماة لا يقاتلهم غيرهم فلما جاءتهم الرماة وأحاط بهم الناس من كل جانب قتلوا إلا قليلا وأخذ بكير ابن ربيعة بن أبي ثروان الضبي أسيرا فأتى به الحجاج فقتله (قال أبو مخنف) فحدثني أبو الجهضم قال جئت بأسير كان الحجاج يعرفه بالبأس فقال الحجاج يا أهل الشام إنه من صنع الله لكم أن هذا غلام من الغلبان جاء بفارس أهل العراق أسيرا اضرب عنقه فقتله قال ومضى ابن الأشعث والفل من المنهزمين معه نحو سجستان فاتبعهم الحجاج عمارة بن تميم اللخمي ومعه ابنه محمد بن الحجاج وعمارة أمير على القوم فسار عمارة بن تميم إلى عبد الرحمن فأدركه بالسوس فقاتله ساعة من نهار ثم انهزم هو وأصحابه فمضوا حتى أتوا سابور واجتمعت إلى عبد الرحمن بن محمد الأكراد مع من كان معه من الفلول فقاتلهم عمارة بن تميم قتالا شديدا على العقبة حتى جرح عمارة وكثير من أصحابه ثم انهزم عمارة وأصحابه وخلوا لهم عن العقبة ومضى عبد الرحمن حتى مر بكرمان (قال الواقدي) كانت

وقعة الزاوية بالبصرة في المحرم سنة ٨٣ (قال أبو مخنف) حدثني سيف بن بشر العجلي عن المنخل بن حابس العبدي قال لما دخل عبد الرحمن بن محمد كerman تلقاه عمرو بن لقيط العبدي وكان عامله عليها فهياً له نزلاً فنزل فقال له شيخ من عبد القيس يقال له معقل والله لقد بلغنا عنك يا ابن الأشعث أن قد كنت جباناً فقال عبد الرحمن والله ما جنت والله لقد دلفت الرجال بالرجال ولففت الخيل بالخيل ولقد قاتلت فارساً وقاتلت راحلاً وما انهزمت ولا تركت العرصة للقوم في موطن حتى لا أجد مقاتلاً ولا أرى معي مقاتلاً ولكني زاوت ملكاً مؤجلاً ثم إنه مضى بمن معه حتى فوز في مفازة كerman (قال أبو مخنف) حدثني هشام ابن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي قال لما مضى ابن محمد في مفازة كerman وأتبعه أهل الشام دخل بعض أهل الشام قصراني المفازة فإذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر أبي جلدة اليشكري وهي قصيدة طويلة

أيا لهفًا ويا حزنًا جميعًا ويا حرَّ الفؤادِ لما ألقينا
تركنا الدينَ والدنيا جميعًا وأسلمنا الحلائلَ والبئينا
فما كنا أناسًا أهلَ دين فنصبرَ في البلاءِ إذا ابتلينا
وما كنا أناسًا أهلَ دنيا فتمنعَها ولو لم نرُجُ دنيا
تركنا دُورنا لَطعامِ عِكِّ وأنباطِ القرى والأشعرينا

ثم إن ابن محمد مضى حتى خرج على زرنج مدينة سجستان وفيها رجل من بني تميم قد كان عبد الرحمن استعمله عليها يقال له عبد الله بن عامر البعاز من بني مجاشع بن دارم فلما قدم عليه عبد الرحمن بن محمد منهزماً أغاق باب المدينة دونه ومنعه دخولها فأقام عليها عبد الرحمن أيام رجاء افتتاحها ودخولها فلما رأى أنه لا يصل إليها خرج حتى أتى بُستَ وقد كان استعمل عليها رجلاً من بكر ابن وائل يقال له عياض بن هميان أبو هشام بن عياض السدوسي فاستقبله وقال له انزل لِحَاءَ حتى نزل به وانتظر حتى إذا غفل أصحاب عبد الرحمن وتفرقوا عنه وثب عليه فأوثقه وأراد أن يأمن بها عند الحجاج ويتخذها عنده مكاناً وقد كان رُتيل

سمع بمقدم عبد الرحمن عليه فاستقبله في جنوده فجاء رتبيل حتى أحاط بيست ثم نزل
وبعث إلى البكري والله لئن آذيت به بما يقضى عينه أو ضررت به ببعض المضرة أو
رزات به جلا من شعر لا أبرح العرصة حتى أستنزلك فأقتلك وجميع من معك ثم
أسبى ذراريكم وأقسم بين الجند أموالكم فأرسل إليه البكري أن أعطنا أمانا على
أنفسنا وأموالنا ونحن ندفعه إليك سالما وما كان له من مال مؤقرا فصالحهم
على ذلك وآمنهم ففتحوا لابن الأشعث الباب وخلوا سبيله فأتى رتبيل فقال له
إن هذا كان عاملي على هذه المدينة وكنت حيث وليته واثقابه مطمئنا إليه فغدر بي
وركب مني ما قد رأيت فأذن لي في قتله قال قد آمنتها وأكره أن أغدر به قال فأذن
لي في دفعه ولهزه والتصغير به قال أما هذا فنعم ففعل به عبد الرحمن بن محمد ثم مضى
حتى دخل مع رتبيل بلاده فأنزله رتبيل عنده وأكرمه وعظمه وكان معه ناس من
الفل كثير ثم إن عظم الفلول وجماعة أصحاب عبد الرحمن ومن كان لا يرجو الأمان
من الرقوس والقادة الذين نصبوا للحجاج في كل موطن مع ابن الأشعث ولم يقبلوا
أمان الحجاج في أول مرة وجهدوا عليه الجهد كله أقبلوا في أثر ابن الأشعث وفي
طلبه حتى سقطوا بسجستان فكان بها منهم ومن تبعهم من أهل سجستان
وأهل البلد نحو من ستين ألفا ونزلوا على عبد الله بن عامر البعاري فحصره وكتبوا
إلى عبد الرحمن يخبرونه بقدمهم وعددهم وجماعتهم وهو عند رتبيل وكان يصلي
بهم عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فكتبوا إليه أن
أقبل الينا لعلنا نسير إلى خراسان فان بها منا جندا عظيما فلعلهم يبايعونا على قتال
أهل الشام وهي بلاد واسعة عريضة وبها الرجال والحصون فخرج اليهم عبد الرحمن
ابن محمد بمن معه فحصروا عبد الله بن عامر البعاري حتى استنزلوه فأمر به
عبد الرحمن فضرب وعذب وحبس وأقبل نحوهم عمارة بن تميم في أهل الشام
فقال أصحاب عبد الرحمن بن محمد لعبد الرحمن اخرج بنا عن سجستان
فلندعها له ونأتي خراسان فقال عبد الرحمن بن محمد علي خراسان يزيد
المهلب وهو شاب شجاع صارم وليس بتارك لكم سبانه ولو دخلت

وجدتموه اليكم سريعاً ولن يدع أهل الشام اتباعكم فأكره أن يجتمع عليكم
أهل خراسان وأهل الشام وأخاف أن لا تنالوا ما تطلبون فقالوا إنما أهل
خراسان منا ونحن نرجو أن لو قد دخلناها أن يكون من يتبعنا منهم أكثر
من يقاتلنا وهي أرض طويلة عريضة نتحى فيها حيث شئنا ونمكث حتى يهلك
الله الحجاج أو عبد الملك أو نرى من رأينا فقال لهم عبد الرحمن سيروا على اسم الله
فساروا حتى بلغوا هراة فلم يشعروا بشيء حتى خرج من عسكره عبيد الله بن
عبد الرحمن بن سمرة القرشي في ألفين فقارقه فأخذ طريقاً سوى طريقهم فلما
أصبح ابن محمد قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإني قد شهدتكم في
هذه المواطن وليس فيها مشهد إلا أصبر لكم فيه نفسي حتى لا يبقى منكم فيه أحد
فلما رأيت أنكم لا تقاتلون ولا تصبرون أتيت ملجأً ومأمناً فكنيت فيه فجاءتني
كتبكم بأن أقبل إلينا فإننا قد اجتمعنا وأمرنا واحد لعلنا نقاتل عدونا فأتيتكم
فأريت أن أمضى إلى خراسان وزعمتم أنكم مجتمعون لي وإنكم لن تفرقوا عني
ثم هذا عبيد الله بن عبد الرحمن قد صنع ما قدر أيتم فحسبي منكم يومى هذا فاصنعوا
مابدا لكم أما أنا فنصرف إلى صاحبي الذي أتيتكم من قبله فمن أحب منكم أن يتبعني
فليتبعني ومن كره ذلك فليذهب حيث أحب في عياد من الله ففرقت منهم طائفة
ونزلت معه طائفة وبقى عظم العسكر فوثبوا إلى عبد الرحمن بن العباس لما
انصرف عبد الرحمن فبايعوه ثم مضى ابن محمد إلى رتبيل ومضوا هم إلى خراسان
حتى انتهوا إلى هراة فلقوا بها الرقاد الأزدي من العتيك فقتلوه وسار إليهم يزيد
ابن المهلب وأما علي بن محمد المدائني فإنه ذكر عن المفضل بن محمد أن ابن
الاشعث لما انهزم من مسكن مضى إلى كابل وأن عبيد الله بن عبد الرحمن بن
سمرة أتى هراة فدم ابن الأشعث وعابه بفراره وأتى عبد الرحمن بن عباس
بمجان فأنضم إليه فل ابن الأشعث فسار إلى خراسان في جمع يقال عشرين ألفاً
فنزله هراة ولقوا الرقاد بن عبيد العتيك فقتلوه وكان مع عبد الرحمن من عبد القيس
عبد الرحمن بن المنذر بن الجارود فأرسل إليه يزيد بن المهلب قد كان لك في البلاد

متسعٌ ومن هو أكل منى حداً وأهون شوكة فارتحل إلى بلد ليس لى فيه سلطان
فانى أكره قتالك وإن أحببت أن أمدك بمال لسفرك أعتك به فأرسل إليه
مانزلنا هذه البلاد لمحاربة ولا مقام ولكننا أردنا أن نريح ثم نشخص إن شاء الله
وليست بنا حاجة إلى ما عرضت فانصرف رسول يزيد إليه وأقبل الهاشمي على
الجباية وبلغ يزيد فقال من أراد يريح ثم يجتاز لم يجب الخراج فقدم المفضل في
أربعة آلاف ويقال في ستة آلاف ثم أتبعه في أربعة آلاف ووزن يزيد نفسه
بسلاحه فكان أربعمئة رطل فقال ما أراى إلا قد ثقلت عن الحرب أى فرس
يحملنى ثم دعا بفرسه الكامل فركبه واستخلف على مرو خاله جديع بن يزيد وصير
طريقه على مرو الروذ فانى قبر أبيه فأقام عنده ثلاثة أيام وأعطى من معه مائة
درهم مائة درهم ثم أتى هراة فأرسل إلى الهاشمي قد أرحت وأسمنت وجبيت فلك
ما جبيت وإن أردت زيادة زدناك فاخرج فوالله ما أحب أن أقاتلك قال فابى إلا
القتال ومعه عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة ودس الهاشمي إلى جند يزيد يمنيهم
ويدعوهم إلى نفسه فأخبر بعضهم يزيد فقال جل الأمر عن العتاب أتعدى بهذا
قبل أن يتعشى بي فسار إليه حتى تدانى العسكران وتأهبوا للقتال وألقى ليزيد
كرسى فقعده عليه وولى الحرب أخاه المفضل فأقبل رجل من أصحاب الهاشمي
يقال له خليل عَيْنَيْنِ من عبد القيس على ظهر فرسه فرفع صوته فقال

دَعَتْ يَا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ دَعْوَةً لَهَا جَزَعٌ ثُمَّ اسْتَهَلَّتْ عِيُونُهَا

وَلَمْ يُسْمِعِ الدَّاعِيَ النِّدَاءَ أَجَابَهَا بِصُحْمِ القَنَا وَالْبَيْضِ تُلَقَى جُفُونُهَا

وَقَدْ فَرَّ أَشْرَافَ العِرَاقِ وَغَادَرُوا بِهَا بَقَرًا لِلْحَسَنِ جُمًّا قُرُونُهَا

وأراد أن يحض يزيد فسكت يزيد طويلًا حتى ظن الناس أن الشعر قد حركه

ثم قال لرجل ناد وأسمهم جشموم ذلك فقال خليل

لبئس المنادى والمنوّه باسمه تناديه أبقارُ العِراقِ وَعَوْنُهَا

يزيدُ إذا يدعى ليومِ حفيظته ولا يَمْنَعُ السَّوَاتِ إِلَّا حُصُونُهَا

فانى أراه عن قليل بنفسه يدان كما قد كانت قبل يدينها

فلا حُرَّةٌ تَبْكِيهِ لَكِن تَوَاحُحٌ تَبْكِي عَلَيْهِ الْبَقْعُ مِنْهَا وَجَوْنُهَا
 فَقَالَ يَزِيدُ لِلْفَضْلِ قَدِمَ خَيْلِكَ فَتَقَدَّمَ بِهَا وَتَهَايَجُوا فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ كَبِيرٌ قَتَالَ
 حَتَّى تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَصَبَرَ وَصَبَرَتْ مَعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْحِفَازِ
 وَصَبَرَ مَعَهُ الْعَبْدِيُّونَ وَحَمَلُ سَعْدِ بْنِ نَجْدِ الْقُرْدُوسِيِّ عَلَي حَلِيسِ الشَّيْبَانِيِّ وَهُوَ
 إِمَامُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَطَعَنَهُ حَلِيسٌ فَأَذْرَاهُ عَنِ فَرَسِهِ وَحَمَاهُ أَصْحَابُهُ وَكَثُرَ مِنَ النَّاسِ
 فَانْكَشَفُوا فَأَمَرَ يَزِيدُ بِالْكَفِّ عَنِ اتِّبَاعِهِمْ وَأَخَذُوا مَا كَانَ فِي عَسْكَرِهِمْ وَأَسْرَوْا
 مِنْهُمْ أَسْرَى فَوَلَّى يَزِيدُ عَطَاءَ بْنَ أَبِي السَّائِبِ الْعَسْكَرَ وَأَمْرَهُ بَضْمَ مَا كَانَ فِيهِ فَأَصَابُوا
 ثَلَاثَ عَشْرَةَ امْرَأَةً فَأَتَوْنَ بَنِي يَزِيدٍ فَدَفَعْنَهُنَّ إِلَى مَرَّةَ بْنِ عَطَاءَ بْنِ أَبِي السَّائِبِ
 فَحَمَلْنَهُنَّ إِلَى الطَّبَسِيِّينَ ثُمَّ حَمَلْنَهُنَّ إِلَى الْعِرَاقِ وَقَالَ يَزِيدُ لِسَعْدِ بْنِ نَجْدٍ مَنْ طَعَنَكَ قَالَ
 حَلِيسُ الشَّيْبَانِيِّ وَأَنَا وَاللَّهِ رَاجِلًا أَشَدَّ مِنْهُ وَهُوَ فَارِسٌ قَالَ فَبَلَغَ حَلِيسًا فَقَالَ كَذَبٌ
 وَاللَّهِ لِأَنَا أَشَدُّ مِنْهُ فَارِسًا وَرَاجِلًا وَهَرَبَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ مَنْدَرِ بْنِ بَشْرِ بْنِ حَارِثَةَ
 فَضَارَ إِلَى مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ قَالَ فَكَانَ فِي الْأَسْرَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ
 أَبِي وَقَاصٍ وَعَمْرُو بْنُ مُوسَى بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ وَعِيَّاشُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ
 عَوْفِ الزَّهْرِيِّ وَالْهَلْقَامُ بْنُ نَعِيمِ بْنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْبُدِ بْنِ زُرَّارَةَ وَفَيْرُوزُ حَصِينِ
 وَأَبُو الْعَلْجِ مَوْلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ وَرَجُلٌ مِنْ آلِ أَبِي عَقِيلٍ وَسَوَّارُ بْنُ مَرْوَانَ
 وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ فَضَالَةَ الزَّهْرَانِيُّ وَلِحَقُّ الْهَاشِمِيِّ
 بِالسَّنَدِ وَأَتَى ابْنَ سَمُرَةَ مَرْوَةَ ثُمَّ انصَرَفَ يَزِيدُ إِلَى مَرْوَةَ وَبَعَثَ بِالْأَسْرَى إِلَى
 الْحِجَابِ مَعَ سَبْرَةَ بْنِ نَخْفِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ وَخَلِيٍّ عَنِ ابْنِ طَلْحَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَضَالَةَ وَسَعَى
 قَوْمَ بَعِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ فَأَخَذَهُ يَزِيدُ فَبَسَمَهُ (وَأَمَّا هِشَامُ) فَانَّهُ ذَكَرَ
 أَنَّهُ حَدَّثَهُ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ الْحَضْرَمِيِّ عَنْ حَفْصِ بْنِ عَمْرِ بْنِ قَبِيصَةَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي
 حَنِيفَةَ يَقُولُ لَهُ جَابِرُ بْنُ عَمَّارَةَ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ حَبَسَ عِنْدَهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ طَلْحَةَ
 وَأَمَّنَهُ وَكَانَ الطَّلْحِيُّ قَدْ آلَى عَلَى يَمِينِ أَنْ لَا يَرَى يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ فِي مَوْقِفٍ إِلَّا أَتَاهُ
 حَتَّى يَقْبَلَ يَدَهُ شُكْرًا لِمَا أَبْلَاهُ قَالَ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ لِيَزِيدَ أَسْأَلُكَ
 بِدَعْوَةِ أَبِي لَا يَبِيكَ نَحْلِي سَبِيلَهُ وَلِقَوْلِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ لِيَزِيدَ أَسْأَلُكَ بِدَعْوَةِ أَبِي لَا يَبِيكَ

حدث فيه بعض الطول (قال هشام) حدثني أبو مخنف قال حدثني هشام بن أيوب ابن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي قال بعث يزيد بن المهلب ببقية الأسرى إلى الحجاج بن يوسف بعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر فقال أنت صاحب شرطة عبد الرحمن فقال أصلح الله الأمير كانت فتنة شملت البر والفاجر فدخلنا فيها فقد أمكنك الله منا فإن عفوت فبحلمك وفضلك وإن عاقبت عاقبت ظلمة مذنبين فقال الحجاج أما قولك إنها شملت البر والفاجر فكذبت ولكنها شملت الفجار وعوفي منها الأبرار وأما اعترافك بذنبك فعسى أن ينفعك فعزل ورجا الناس له العافية حتى قدم بالهلقام بن نعيم فقال له الحجاج أخبرني عنك ما رجوت من اتباع عبد الرحمن بن محمد أرجوت أن يكون خليفة قال نعم رجوت ذلك وطمعت أن ينزلي منزلتك من عبد الملك قال فغضب الحجاج وقال اضربوا عنقه فقتل قال ونظر إلى عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر وقد نحى عنه فقال اضربوا عنقه وقتل بقيتهم وقد كان آمن عمرو بن أبي قررة الكندي ثم الحجري وهو شريف وله بيت قديم فقال يا عمرو كنت تقضى إلى وتحديثي أنك ترغب عن ابن الأشعث وعن الأشعث قبله ثم تبع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث والله ما بك عن اتباعهم رغبة ولا نعمة عين لك ولا كرامة قال وكان الحجاج حين هزم الناس بالجمام نادى مناديه من لحق بقتيبة بن مسلم بالرى فهو أمانه فلحق ناس كثير بقتيبة وكان فيمن لحق به عامر الشعبي فذكر الحجاج الشعبي يوماً فقال أين هو وما فعل فقال له يزيد بن أبي مسلم بلغني أيها الأمير أنه لحق بقتيبة بن مسلم بالرى قال فابعث إليه فلتوث به فكتب الحجاج إلى قتيبة أما بعد فابعث إلى بالشعبي حين تنظر في كتابي هذا والسلام عليك فرح إليه (قال أبو مخنف) فحدثني السري بن اسماعيل عن الشعبي قال كنت لابن أبي مسلم صديقاً فلما قدم بي على الحجاج لقيت ابن أبي مسلم فقلت أشر على قال ما أدري ما أشير به عليك غير أن أعتذر ما استطعت من عذر وأشار بمثل ذلك على نصحائي وإخواني فلما دخلت عليه رأيت والله غير مارأوا لي فسليت عليه بالإمرة ثم قلت أيها الأمير إن الناس قد أمروني أن

أعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق وایم الله لا أقول في هذا المقام إلا حقا قد والله سودنا عليك وحررنا وجهدنا عليك كل الجهد فما آلونا فما كنا بالأقوياء الفجرة ولا الأتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فإن سطوت فبذنوبنا وما جرت إليه أيدينا وإن عفوت عنا فبحلمك وبعدها الحجة لك علينا فقال له الحجاج أنت والله أحب إليّ قولا بمن يدخل علينا يقطر سيفه من دماننا ثم يقول ما فعلت ولا شهدت قد أمنت عندنا يا شعبي فانصرف قال فانصرفت فلما مشيت قليلا قال هلم يا شعبي قال فوجل لذلك قلبي ثم ذكرت قوله قد أمنت يا شعبي فاطمأنت نفسي قال كيف وجدت الناس يا شعبي بعدنا قال وكان لي مكر ما فقلت أصلح الله الأمير اکتحلت والله بعدك السهر واستوعرت الجناب واستحلتست الخوف وفقدت صالح الإخوان ولم أجد من الأمير خلفا قال انصرف يا شعبي فانصرفت (قال أبو مخنف) قال خالد بن قطن الحارثي أتى الحجاج بالأعشى أعشى همدان فقال ليه يا عدو الله أنشدني قولك بين الأشج وبين قيس أنفذي بيتك قال بل أنشدك ما قلت لك قال بل أنشدني هذه فأنشده

أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّمَ نُوْرَهُ
وَيُظْهِرَ أَهْلَ الْحَقِّ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
وَيُنْزِلَ ذُلًّا بِالْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ
وَمَا أَحَدَثُوا مِنْ بِدْعَةٍ وَعَظِيمَةٍ
وَمَا نَكَّشُوا مِنْ بَيْتَةٍ بَعْدَ بَيْعَةٍ
وَجُبْنَا حَشَاءَ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ
فَلَا صِدْقَ فِي قَوْلٍ وَلَا صَبْرَ عِنْدَهُمْ
فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللهُ فَرَّقَ جَمْعَهُمْ
فَقَتَلَاهُمْ قَتْلَى ضَلَالٍ وَفِتْنَةٍ
وَلَمَّا زَحَفْنَا لِابْنِ يُوسُفَ غُدُوَّةً
قَطَعْنَا إِلَيْهِ الْخَنْدَقَيْنِ وَإِنَّمَا

وَيُطْفِئُ نُورَ الْفَاسِقِينَ فَيُخَمِّدَا
وَيُعْدِلُ وَقَعَ السَّيْفِ مَوْكَانَ أَصِيدَا
لَمَّا نَقَضُوا الْعَهْدَ الْوَثِيقَ الْمُؤَكَّدَا
مِنَ الْقَوْلِ لَمْ تَصْعَدْ إِلَى اللهِ مَصْعَدَا
إِذَا ضَمِنُوهَا الْيَوْمَ خَاسُوا بِهَا غَدَا
فَمَا يَقْرَبُونَ النَّاسَ إِلَّا تَهْدُدَا
وَلَكِنَّ نَخْرًا فِيهِمْ وَتَزِيدَا
وَمَزَقَهُمْ عُرْضَ الْبِلَادِ وَشَرَّدَا
وَحَيْثُ أَمْسَى ذَلِيلًا مُطْرَدَا
وَأَبْرَقَ مِنَّا الْعَارِضَانِ وَأَرْعَدَا
قَطَعْنَا وَأَفْضَيْنَا إِلَى الْمَوْتِ مَرِيدَا

فكافحنا الحجاجُ دونَ صُفوفنا
بِصَفِّ كَأَنَّ الْبَرْقَ فِي حَجْرَاتِهِ
دَلَفْنَا إِلَيْهِ فِي صُفُوفٍ كَأَنَّهَا
فَمَا لَبِثَ الْحَجَّاجُ أَنْ سَلَ سَيْفَهُ
وَمَا زَاخَفَ الْحَجَّاجُ إِلَّا رَأْيَتَهُ
وَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَفِي مَرْجِحِنِي
فَمَا شَرَعُوا رُمْحًا وَلَا جَرْدُوا لَهُ
وَكَرَّتْ عَلَيْنَا خَيْلُ سُفْيَانَ كَرَّةً
وَسُفْيَانَ يُهْدِيهَا كَأَنَّ لَوَاءَهُ
كُهُولٌ وَمَرْدٌ مِنْ قَضَاعَةَ حَوْلَهُ
إِذَا قَالَ شُدُّوا شِدَّةَ حَمَلُوا مَعًا
جُنُودُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَيْلُهُ
فِيهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظُهُورُهُ
نَزُوا يَشْتَكُونَ الْبَغْيَ مِنْ أَمْرَائِهِمْ
وَجَدْنَا بَنِي مَرْوَانَ خَيْرَ أُمَّةٍ
وَخَيْرَ قُرَيْشٍ فِي قُرَيْشٍ أَرْوَمَةً
إِذَا مَا تَدَبَّرْنَا عَوَاقِبَ أَمْرِهِ
سَيَغْلِبُ قَوْمٌ غَالِبُوا اللَّهَ جَهْرَةً
كَذَاكَ يَضِلُّ اللَّهُ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ
قَدَّرَكَوَالْأَهْلِينَ وَالْمَالَ خَلْفَهُمْ
يُنَادِيهِمْ مُسْتَعْبِرَاتٍ إِلَيْهِمْ
فَالَا تُنَاوِلُنَّ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ
أَنْكَا وَعِصْيَانًا وَغَدْرًا وَذِلَّةً
لَقَدْ شَامَ الْبِصْرَيْنِ فَرُخٌ مُحَمَّدٍ

كَفَّاحًا وَلَمْ يَضْرِبْ لَذَلِكَ مَوْعِدًا
إِذَا مَا تَجَلَّى بَيْضُهُ وَتَوَقَّدَا
جِبَالُ شَرُورِي لَوْ تُعَانُ فتنهُدَا
عَلَيْنَا فَوَلِي جَمْنًا وَتَبَدَّدَا
مَعَانًا مُلَقَى لِلْفَتْوحِ مُعَوَّدَا
نُشِبْهَهَا قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ أَسْوَدَا
أَلَا رُبَّمَا لَاقَى الْجَبَانَ قَجْرَدَا
بِفُرْسَانِهَا وَالسَّمْهَرِيَّ مُقَصَّدَا
مِنَ الطَّعْنِ سِنْدُ بَاتَ بِالصَّبْغِ مُجَسَّدَا
مَسَاعِيرُ أَبْطَالٍ إِذَا النُّكْسُ عَرَدَا
فَأَنْهَلَ خِرْصَانَ الرَّمَّاحِ وَأُورَدَا
وَسُلْطَانُهُ أَمْسَى عَزِيزًا مُؤَيَّدَا
عَلَى أُمَّةٍ كَانُوا بُغَاةً وَحُسَدَا
وَكَانُوا هُمْ أَبْغَى الْبَغَاةِ وَأَعْنَدَا
وَأَفْضَلَ هَذِي النَّاسِ حِلْمًا وَسُودَدَا
وَأَكْرَمَهُمْ إِلَّا النَّبِيَّ مُحَمَّدَا
وَجَدْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُسَدَّدَا
وَإِنْ كَايْدُوهُ كَانَ أَقْوَى وَأَكِيدَا
مَرِيضًا وَمَنْ وَالَى النِّفَاقَ وَالْحَدَا
وَبِيضًا عَلَيْهِنَّ الْجَلَايِبُ خَرَدَا
وَيُذْرِينَ دَمْعًا فِي الْخُدُودِ وَأَيْمِدَا
يَكُنَّ سَبَايَا وَالْبُعُولَةَ أَعْبَدَا
أَهَانَ الْإِلَهِ مِنْ أَهَانَ وَأَبْعَدَا
بِحَقِّ وَمَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ أَسْعَدَا

كَمَا شَامَ اللَّهُ النَّجِيرَ وَأَهْلَهُ بِجَدِّهِ لَهُ قَدْ كَانَ أَشَقِي وَأَنْكَدًا
 فَقَالَ أَهْلُ الشَّامِ أَحْسَنَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ فَقَالَ الْحِجَاجُ لَأَلَمْ يَحْسُنْ إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ
 مَا أَرَادَ بِهَاتِمٍ قَالَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ إِنَّا لَسْنَا نَحْمَدُكَ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ إِنَّمَا قُلْتَ تَأْسَفُ أَنْ
 لَا يَكُونَ ظَهْرٌ وَظَفْرٌ وَتَحْرِيطٌ لِأَصْحَابِكَ عَلَيْنَا وَلَيْسَ عَنْ هَذَا سَأَلْنَاكَ أَنْفَعْنَا
 قَوْلَكَ بَيْنَ الْأَشْجِ وَبَيْنَ قَيْسٍ بَادِخٌ فَأَنْفَعَهَا فَلَمَّا قَالَ هَبْخَبْ لَوْ أَلِدُهُ وَلِلْمَوْلُودِ
 قَالَ الْحِجَاجُ لَا وَاللَّهِ لَا تُبَخِّجْ بَعْدَهَا لِأَحَدٍ أَبَدًا فَقَدِمَهُ فَضْرَبَ عُنُقَهُ (وَقَدْ ذَكَرَ)
 مِنْ أَمْرِ هَوَّلَاءِ الْأَسْرَى الَّذِينَ أَسْرَهُمْ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَوَجْهَهُمْ إِلَى الْحِجَاجِ وَمَنْ
 فَلَوْلَ ابْنِ الْأَشْعَثِ الَّذِينَ انْهَزَمُوا يَوْمَ مَسْكَنٍ أَمْرٌ غَيْرُ مَا ذَكَرَهُ أَبُو مَخْنَفٍ عَنْ أَصْحَابِهِ
 وَالَّذِي ذَكَرَهُ مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا انْهَزَمَ ابْنُ الْأَشْعَثِ مَضَى هَوَّلَاءُ مَعَ سَائِرِ الْفُلِّ
 إِلَى الرِّيِّ وَقَدْ غَلَبَ عَلَيْهَا عُمَرُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ بْنِ كِنَازٍ مَوْلَى بَنِي نَصْرٍ بْنِ مَعَاوِيَةَ
 وَكَانَ مِنْ أَفْرَسِ النَّاسِ فَانْضَمُّوا إِلَيْهِ فَأَقْبَلَ قَتِيْبَةَ بْنَ مَسْلَمٍ إِلَى الرِّيِّ مِنْ قَبْلِ الْحِجَاجِ
 وَقَدْ وُلَاهُ عَلَيْهَا فَقَالَ النَّفْرُ الَّذِينَ ذَكَرْتُ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَوَجْهَهُمْ إِلَى الْحِجَاجِ
 مَقِيدِينَ وَسَائِرُ فُلِّ ابْنِ الْأَشْعَثِ الَّذِينَ صَارُوا إِلَى الرِّيِّ لِعُمَرَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ
 نَوَلِيكَ أَمْرَنَا وَتَحَارِبَ بِنَاقِيْبَةَ فَشَاوَرَ عُمَرَ أَبَاهُ أَبَا الصَّلْتِ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ وَاللَّهِ يَا بَنِي
 مَا كُنْتُ أَبَالِي إِذَا سَارَ هَوَّلَاءُ تَحْتَ لَوَائِكَ أَنْ تَقْتُلَ مِنْ غَدٍ فَعَقِدْ لَوَاءَهُ وَسَارَ
 فَهَزَمَ وَهَزَمَ أَصْحَابَهُ وَانْكَشَفُوا إِلَى سِجِسْتَانَ وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْفُلُوكُ وَكُتِبُوا إِلَى
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَهُوَ عِنْدَ رُتَيْبِ بْنِ كَانٍ مِنْ أَمْرِهِمْ وَأَمْرُ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ مَا قَدْ
 ذَكَرْتُ هُوَ وَذَكَرَ أَبُو عَيْبَةَ أَنَّ يَزِيدَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُوْجِهَ الْأَسْرَى إِلَى الْحِجَاجِ
 قَالَ لَهُ أَخُوهُ حَبِيبُ بَأَى وَجْهَ تَنْظُرَ إِلَى الْبِمَانِيَةِ وَقَدْ بَعَثَتْ ابْنُ طَلْحَةَ يَزِيدَهُ
 الْحِجَاجِ وَلَا يُتَعَرَّضُ لَهُ وَقَالَ وَطَنُ نَفْسِكَ عَلَى الْعِزْلِ وَلَا تُرْسِلْ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا
 بِلَاءٌ قَالَ وَمَا بِلَاؤُهُ قَالَ لَزِمَ الْمُهَلَّبُ فِي مَسْجِدِ الْجَمَاعَةِ بِمَاتِي أَلْفَ فَادَا مَا طَلْحَةَ
 عَنْهُ فَأَطْلَقَهُ وَأَرْسَلَ بِالْبَاقِينَ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ

وَجَدَّ ابْنُ طَلْحَةَ يَوْمَ لَاقَى قَوْمَهُ قِحْطَانَ يَوْمَ هَرَاةٍ خَيْرَ الْمَعَشَرِ
 وَقِيلَ إِنَّ الْحِجَاجَ لَمَّا أَتَى هَوَّلَاءِ الْأَسْرَى مِنْ عِنْدِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ قَالَ لِحَاجِبِهِ

إذا دعوتك بسيدهم فأتني بفيروز فأبرز سريره وهو حيلثد بواسطة القصب قبل أن تُبنى مدينة واسط ثم قال لحاجبه جثني بسيدهم فقال لفيروز قم فقال له الحجاج أبا عثمان ما أخرجك مع هؤلاء فوالله ما لحك من لحومهم ولا دمك من دماتهم قال فتنة عمت الناس فكنا فيها قال اكتب لي أموالك قال ثم ماذا قال اكتبها أول قال ثم أنا آمن على دمي قال اكتبها ثم أنظر قال اكتب يا غلام ألف ألف النبي ألف فذكر مالا كثيرا فقال الحجاج أين هذه الأموال قال عندي قال فأدعها قال وأنا آمن على دمي قال والله لتؤدبها ثم لاقتلك قال والله لا تجمع مالي ودمي فقال الحجاج للحاجب نحوه فنحاه ثم قال اتنى بمحمد بن سعد بن أبي وقاص فدعاه فقال له الحجاج أيها ياطل الشيطان أعظم الناس تيبها وكبرا تأبى بيعة يزيد ابن معاوية وتشبه بحسين وابن عمر ثم صرت مؤذنا لابن كناز عبد بنى نصر يعنى عمر بن أبي الصلت وجعل يضرب بعود في يده رأسه حتى أدماه فقال له محمد أيها الرجل ملكت فأسبح فكف يده فقال إن رأيت أن تكذب إلى أمير المؤمنين فإن جاءك عفو كنت شريكا في ذلك محموداً وإن جاءك غير ذلك كنت قد أعذرت فأطرق ملياً ثم قال اضرب عنقه فضربت عنقه ثم دعا بعمر بن موسى فقال يا عبد للمرأة أتقوم بالعمود على رأس ابن الحائك وتشرب معه الشراب في حمام فارس وتقول المقالة التي قلت أين الفرزدق قم فأنشده ما قلت فيه فأنشده

وَحَضَبْتَ أَيْرِكَ لِلزَّناءِ وَلَمْ تَكُنْ يَوْمَ الهِجَابِ لِتَخْضِبِ الأَبطالاً

فقال أما والله لقد رفعتك عن عقائل نساءك ثم أمر بضرب عنقه ثم دعا ابن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة فإذا غلام حدث فقال أصلح الله الأمير مالي ذنب إنما كنت غلاماً صغيراً مع أبي وأمي لا أمر لي ولا نهي وكنت معهما حيث كانا فقال وكانت أمك مع أبيك في هذه الفتن كلها قال نعم قال على أيك لعنة الله ثم دعا بالهلقام ابن نعيم فقال اجعل ابن الأشعث طلب ما طلب ما الذي أملت أنت معه قال أملت أن يملك فيوليني العراق كما ولاك عبد الملك قال قم يا حوشب فاضرب عنقه فقام إليه فقال له الهلقام يا ابن لطيفة أتسكا القرع فاضرب عنقه ثم أتى بعبد الله بن

عامر فلما قام بين يديه قال لا رأيت عينك يا حجاج الجنة إن أقلت ابن المهلب بما صنع قال وما صنع قال

لأنه كاس في إطلاق أسرته وقاد نحوك في أغلالها مضراً
وقى بقومك ورد الموت أسرته وكان قومك أدنى عنده خطراً

فأطرق الحجاج ملياً ووَقَرَتْ في قلبه وقال وما أنت وذاك اضرب عنقه فُضِرَتْ عنقه ولم تزل في نفس الحجاج حتى عزل يزيد عن خراسان وحبسه ثم أمر بفيروز فعذب فكان فيما عذب به أن كان يُشَدُّ عليه القصب الفارسي المشقوق ثم يجر عليه حتى يخرق جسده ثم ينضح عليه الخل والملح فلما أحس بالموت قال لصاحب العذاب إن الناس لا يشكون أني قد قتلت ولي ودائع أموال عند الناس لا تؤدى اليكم أبداً فأظهروني للناس ليعلموا أني حي فيؤدوا المال فأعلم الحجاج فقال أظهره فأخرج إلى باب المدينة فصاح في الناس مَنْ عرقى فقد عرقى ومن أنكرني فأنا فيروز حصين إن لي عند أقوام مالا فمن كان لي عنده شيء فهو له وهو منه في حل فلا يؤدين منه أحد درهما ليبلغ الشاهد الغائب فأمر به الحجاج فقتل وكان ذلك مما روى الوليد بن هشام بن قحذم عن أبي بكر الهذلي وذكر ضمرة بن ربيعة عن أبي شاذب أن عمال الحجاج كتبوا إليه إن الخراج قد انكسر وإن أهل الذمة قد أسلبوا ولحقوا بالأمصار فكتب إلى البصرة وغيرها أن من كان له أصل في قرية فليخرج إليها فخرج الناس فمسكروا فجعلوا يبكون وينادون يا محمداه يا محمداه وجعلوا لا يدرون أين يذهبون فجعل قراء أهل البصرة يخرجون اليهم متقنين فيكون لما يسمعون منهم ويرون قال فقدم ابن الأشعث على تفيئة ذلك واستبصر قراء أهل البصرة في قتال الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وذكر عن ضمرة بن ربيعة عن الشيباني قال قتل الحجاج يوم الزاوية أحد عشر ألفاً ما استجيا منهم إلا واحداً كان ابنه في كتاب الحجاج فقال له أتحب أن نعفوك عن أيك قال نعم فتركه لابنه وإنما خدعهم بالأمان أمر منادياً فنادى عند الهزيمة ألا لا أمان لفلان ولا فلان

فسمى رجالاتهم أركان الأشرف ولم يقل الناس آمنون فقالت العامة قد آمن الناس كلهم إلا هؤلاء نفر فأقبلوا إلى حجرته فلما اجتمعوا أمرهم بوضع أسلحتهم ثم قال لأمرن بكم اليوم رجلا ليس بينكم وبينه قرابة فأمر بهم عمارة بن تميم اللخمي فقتلهم ٥ وروى عن النضر بن شميل عن هشام بن حسان أنه قال بلغ ما قتل الحجاج صبياً مائة وعشرين أو مائة وثلاثين ألفاً ٥ وقد ذكر في هزيمة ابن الأشعث بمسكن قول غير الذي ذكره أبو مخنف والذي ذكر من ذلك أن ابن الأشعث والحجاج اجتمعا بمسكن من أرض ابرقباد فكان عسكر ابن الأشعث على نهر يدعى خدش مؤخر النهر نهر تيرى ونزل الحجاج على نهر أفريد والعسكران جميعاً بين دجلة والسيب والكرخ فاقتلوا شهراً وقيل دون ذلك ولم يكن الحجاج يعرف اليهم طريقاً إلا الطريق الذي يلتقون فيه فأتى بشيخ كان راعياً يدعى زورقا فدله على طريق من وراء الكرخ طوله ستة فراسخ في أجمة وضحاح من الماء فانتخب أربعة آلاف من جلة أهل الشام وقال لقائدهم ليكن هذا العليج أمامك وهذه أربعة آلاف درهم معك فإن أقامك على عسكرهم فادفع المال إليه وإن كان كذباً فاضرب عنقه فإن رأيتهم فاحمل عليهم فيمن معك وليكن شعاركم يا حجاج يا حجاج فانطلق القائد صلاة العصر والتقى عسكر الحجاج وعسكر ابن الأشعث حين فصل القائد بمن معه وذلك مع صلاة العصر فاقتلوا إلى الليل فانكشف الحجاج حتى عبر السيب وكان قد عقده ودخل ابن الأشعث عسكره فانهب ما فيه فقيل له لو أتبعته فقال قد تعبنا ونصبنا فرجع إلى عسكره فالتقى أصحابه السلاح وباتوا آمنين في أنفسهم لهم الظفر وهجم القوم عليهم نصف الليل يصيحون بشعارهم لجعل الرجل من أصحاب ابن الأشعث لا يدري أين يتوجه دجيل عن يساره ودجلة أمامه ولها جرف منكر فكان من غرق أكثر ممن قتل وسمع الحجاج الصوت فعب السيب إلى عسكره ثم وجه خيله إلى القوم فالتقى العسكران على عسكر ابن الأشعث وانحاز في ثلثمائة فضى على شاطئ دجلة حتى أتى دجلاً فعبه في اثسفن وعفروا دوابهم وانحدروا

في السفن إلى البصرة ودخل الحجاج عسكره فانتهب ما فيه وجعل يقتل من وجد حتى قتل أربعة آلاف فيقال إن فيمن قتل عبد الله بن شداد بن الهاد وقتل فيهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة وعمرو بن ضبيعة الرقاشي وبشر بن المنذر بن الجارود والحكم بن مخزومة العبديين وبكير بن ربيعة بن ثروان الضبي فأتى الحجاج برؤسهم على ترس فجعل ينظر إلى رأس بسطام ويتمثل:

إِذَا مَرَرْتَ بَوَادِي حَيَّةٍ ذَكَرٍ فَازْهَبْ وَدَعْنِي أَقَاسِي حَيَّةَ الْوَادِي
ثم نظر إلى رأس بكير فقال ما ألقى هذا الشقي مع هؤلاء خذ بأذنه يا غلام فألقه عنهم ثم قال ضَع هذا الترس بين يدي مسمع بن مالك بن مسمع فوضع بين يديه فبكى فقال له الحجاج ما أبكاك أحزنا عليهم قال بل جزعنا لهم من النار (وفي هذه السنة) بنى الحجاج واسطاً وكان سبب بنائه ذلك فيما ذكر أن الحجاج ضرب البعث على أهل الكوفة إلى خراسان فعسكروا بحمام عمر وكان قى من أهل الكوفة من بنى أسد حديث عهد بعُرس ابنته عم له انصرف من العسكر إلى ابنة عمه ليلاً فطرق الباب طارق ودقّه دقاً شديداً فإذا سكران من أهل الشام فقالت للرجل ابنة عمه لقد لقينا من هذا الشامي شراً يفعل بنا كل ليلة ما ترى يريد المكروه وقد شكوته إلى مشيخة أصحابه وعرضوا ذلك فقال ائذنوا له ففعلوا فأغلق الباب وقد كانت المرأة نجت منزلها وطيبته فقال الشامي قد آن لكم فاستقناه الأسدى فأندر رأسه فلما أذن بالفجر خرج الرجل إلى العسكر وقال لامرأته إذا صليت الفجر فابعثي إلى الشاميين أن أخرجوا صاحبكم فسيأتون بك الحجاج فاصدقيه الخبر على وجهه ففعلت ورفع القليل إلى الحجاج وأدخلت المرأة عليه وعنده عنيسة بن سعيد على سريرته فقال لها ما خطبك فأخبرته فقال صدقتني ثم قال لولاة الشامي ادفنوا صاحبكم فإنه قتيل الله إلى النار لا قود له ولا عقل ثم نادى مناديه لا ينزلن أحد على أحد وأخرجوا فعسكروا وبعث روادا يرتادون له منزلاً وأمعن حتى نزل أطراف كسكر فينا هو في موضع واسط إذا راهب قد أقبل على حمار له وعبر دجلة ه فلما كان في موضع واسط تفاجت الإتان فبالت

فزل الراهب فاحتفر ذلك البول ثم احتمله فرمى به في دجلة وذلك بعين الحجاج فقال عليّ به فأتى به فقال ما حملك على ما صنعت قال نجد في كتبنا أنه يُبنى في هذا الموضع مسجد يُعبد الله فيه ما دام في الأرض أحد يوحدّه فاخط الحجاج مدينة واسط وبنى المسجد في ذلك الموضع (وفي هذه السنة) عزل عبد الملك فيما قال الواقدي عن المدينة أبان بن عثمان واستعمل عليها هشام بن اسماعيل المخزومي ه وحج بالناس في هذه السنة هشام بن اسماعيل حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن حدثه عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكان العمال في هذه السنة على الأمصار سوى المدينة هم العمال الذين كانوا عليها في السنة التي قبلها وأما المدينة فقد ذكرنا من كان عليها فيها

ثم دخلت سنة أربع وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

(ففيها) كانت غزوة عبد الله بن عبد الملك بن مروان الروم ففتح فيها المصيصة كذلك ذكر الواقدي (وفيها) قتل الحجاج أيوب بن القرية وكان ممن كان مع ابن الأشعث وكان سبب قتله إياه فيما ذكر أنه كان يدخل حوشب بن يزيد بعد انصرافه من دير الجهاجم وحوشب على الكوفة عامل للحجاج فيقول حوشب انظروا إلى هذا الواقف معي وغداً أو بعد غد يأتي كتاب من الأمير لا أستطيع إلا نفاذه فيينا هو ذات يوم واقف إذ أتاه كتاب من الحجاج أما بعد فإنك صرت كهفاً لمنافق أهل العراق وماوى فاذا نظرت في كتابي هذا فابعث إلى بابن القرية مشدودة يده إلى عنقه مع ثقة من قبلك فلما قرأ حوشب الكتاب رمى به إليه فقراه فقال سمعاً وطاعة فبعث به إلى الحجاج موثقاً فلما دخل على الحجاج قال له يا ابن القرية ما أعددت لهذا الموقف قال أصلح الله الأمير ثلاثة حروف ه كأنهن ركب وقوف ه دنيا وآخرة ومعروف ه قال اخرج مما قلت قال أفعل أما الدنيا فقال حاضر يأكل منه البر والفاجر وأما الآخرة فيزان عادل ومشهد ليس فيه باطل

وأما المعروف فإن كان عليّ اعترفت وان كان لي اعترفت قال أمالي فاعترف
بالسيف إذا وقع بك قال أصلح الله الأمير أفلني عثرتي واسقني ريقى فإنه ليس
جواد إلا له كبوة ولا شجاع إلا له هبوة قال الحجاج كلا والله لأرينك جهنم قال
فأرحني فإني أجد حرّها قال قدّمه يا حرسى فاضرب عنقه فلما نظر إليه الحجاج
يتشجّط في دمه قال لو كنا تركنا ابن القرية حتى نسمع من كلامه ثم أمر به فأخرج
فرمى به قال هشام قال عوانة حين منع الحجاج من الكلام ابن القرية قال له ابن
القرية أما والله لو كنت أنا وأنت على السواء لسكنا جميعاً أولاً لقيت منيما
﴿وفي هذه السنة﴾ فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك ببازغيس

ذكر سبب فتحه إياها

ذكر عليّ بن محمد عن المفضل بن محمد قال كان نيزك ينزل بقلعة بازغيس
فتحين يزيد غزوه ووضع عليه العيون فبلغه خروجه فخالفه يزيد إليها وبلغ نيزك
فرجع فصالحه عليّ أن يدفع إليه ما في القلعة من الخزائن ويرتحل عنها بعياله فقال
كعب بن معدان الأشقريّ

وبازغيس التي من حلّ ذروتها
منيعه لم يكدها قبله ملك
تخال نيرانها من بعد منظرها
لما أطاف بها ضاقت صدورهم
فذل ساكنها من بعد عزته
وبعد ذلك أياماً نعددها
أعطاك ذاك ولي الرزق يقسمه
يداك إحداها تسقى العدو بها
فهل كسب يزيد أو كنا لله
ليسا بأجود منه حين مدّهما
وقال ثنائى على حى العتيك بأنها
عزّ الملوك فان شا جارا وظلها
إلا إذا وجّهت جيشا له وجمها
بعض النجوم إذا ماليلها عتبا
حتى أقروا له بالحكم فاحتكما
يُعطى الجزى عارفاً بالذل مهتضما
وقبلها ما كشفت الكرب والظلمة
بين الخلائق والمحروم من حرما
سما وأخرى نداها لم يزل ديمما
إلا الفرات وإلا النيل حين ظما
إذ يعلوان حداب الأرض والأكما
كرايم مقارها كرام نصابها

إذا عقدوا للجارِ حلَّ بنجوةٍ عزيزٍ مراقبها منيع هضابها
 نقي نيزكا عن باذغيس ونيزك بمنزلة أعيى الملوك اغتصابها
 مُحَلَّقَةٌ دونَ السماءِ كأنها غمامةٌ صيف زل عنها سحابها
 ولا يبلغ الأروى شماريخها العلى ولا الطيرُ إلا نسرُها وعقابها
 وما خوّفت بالذئب ولدان أهلها ولا نبحت إلا النجوم كلابها
 تمنيت أن ألقى العتيك ذوى النهى مُسلطة تُحمى بملك ركابها
 كما تمنى صاحبُ الحرثِ أعطشت مزارعُهُ غيثاً غزيراً ربابها
 فأسقى بعد اليأس حتى تحيرت جداولها ربياً وعب عبابها
 لقد جمع الله النوى وتشعبت شعوبٌ من الآفاق شتى مآبها

قال وكان نيزك يعظم القلعة إذا رآها سجد لها وكتب يزيد بن المهلب إلى
 الحجاج بالفتح وكانت كتب يزيد إلى الحجاج يكتبها يحيى بن يعمر العدواني وكان
 حليفاً لهذيل فكتب إننا لقينا العدو فمحننا الله أكتافهم فقتلنا طائفة وأسرونا طائفة
 ولحقت طائفة برووس الجبال وعراعر الأودية وأهضام الغيطان وأثناء الأنهار
 فقال الحجاج من يكتب ليزيد فليل يحيى بن يعمر فكتب إلى يزيد فحمله على البريد
 فقدم عليه أفصح الناس فقال له أين ولدت قال بالأهواز قال فهذه الفصاحة قال
 حفظت كلام أبي وكان فصيحاً قال من هناك فأخبرني هل يلحن عنبسة بن سعيد
 قال نعم كثيراً قال فقلان قال نعم قال فأخبرني عنى ألحن قال نعم تلحن لنا خفياً
 يزيد حرفاً وتنقص حرفاً وتجعل أن في موضع إن وإن في موضع أن قال قد أجلتك
 ثلاثاً فإن أجذك بعد ثلاث بأرض العراق قتلتك فرجع إلى خراسان (وحج)
 بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي كذلك حدثني أحمد بن ثابت
 عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكانت عمال الأمصار في هذه السنة
 عمالها الذين سميت قبل في سنة ٨٣

ثم دخلت سنة خمس وثمانين

ذکر ما كان فيهما من الأحداث

(ففيها) كان هلاك عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث

ذکر السبب الذي به هلك وكيف كان

(ذکر هشام بن محمد) عن أبي مخنف قال لما انصرف ابن الأشعث من هرة راجعا إلى رتبيل كان معه رجل من أود يقال له علقمة بن عمرو فقال له ما أريد أن أدخل معك فقال له عبدالرحمن لم قال لأنني أخوف عليك وعلى من معك والله لكأنى بكتاب الحجاج قد جاء فوق إلى رتبيل يرغب ويرهبه فإذا هو قد بعث بك سلباً أو قتلهم ولكن ههنا خمسمائة قد تبايعنا على أن ندخل مدينة فتحصن فيها ونقاتل حتى نعطي أماناً أو نموت كراماً فقال له عبدالرحمن أما لو دخلت معي لآسيتك وأكرمتك فأبى عليه علقمة ودخل عبدالرحمن بن محمد إلى رتبيل وخرج هؤلاء الخمسمائة فبعثوا عليهم مودودا النضري وأقاموا حتى قدم عليهم عمارة بن تميم اللخمي فحاصروهم فقاتلوه وامتنعوا منه حتى آمنهم فخرجوا إليه فوفى لهم قال وتابعت كتب الحجاج إلى رتبيل في عبدالرحمن بن محمد أن ابعت به إلى والي فوالذي لا إله إلا هو لا وطن أرضك ألف مقاتل وكان عند رتبيل رجل من بني تميم ثم من بني يربوع يقال له عبيد بن أبي سبيع فقال لرتبيل أنا آخذك من الحجاج عهداً ليكفن الخراج عن أرضك سبع سنين على أن تدفع إليه عبدالرحمن بن محمد قال رتبيل لعبيد فان فعلت فإن لك عندي ما سألت فكذب إلى الحجاج يخبره أن رتبيل لا يعصيه وأنه لن يدع رتبيل حتى يبعث إليه بعبدالرحمن بن محمد فأعطاها الحجاج على ذلك مالا وأخذ من رتبيل عليه مالا وبعث رتبيل برأس عبدالرحمن بن محمد إلى الحجاج وترك له الصلح الذي كان يأخذه منه سبع سنين وكان الحجاج يقول بعث إلى رتبيل بعدد الله فالتقى نفسه من فوق إجار فأت (قال أبو مخنف) وحدثني سليمان بن أبي راشد أنه سمع مليكة ابنة يزيد تقول والله لمات عبدالرحمن وإن رأسه لعلى نخدي كان السل قد أصابه ه فلبا

مات وأرادوا دفعه بعث اليه رتبيل فخر رأسه فبعث به إلى الحجاج وأخذ ثمانية عشر رجلا من آل الأشعث فحبسهم عنده وترك جميع من كان معه من أصحابه وكتب إلى الحجاج بأخذه الثمانية عشر رجلا من أهل بيت عبد الرحمن فكتب إليه أن اضرب رقابهم وابعث إلى برووسهم وكره أن يؤتى بهم إليه أحياء فيطلب فيهم إلى عبد الملك فيترك منهم أحداً وقد قيل في أمر ابن أبي سبيع وابن الأشعث غير ما ذكرت عن أبي مخنف وذلك ما ذكر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنه كان يقول زعم أن عمارة بن تميم خرج من كرمان فأتى سجستان وعليها رجل من بني العنبر يدعى مردودا فحصره ثم آمنه ثم استولى على سجستان وأرسل رتبيل وكتب إليه الحجاج أما بعد فإني قد بعث إليك عمارة بن تميم في ثلاثين ألفاً من أهل الشام لم يخالفوا طاعة ولم يخلعوا خليفة ولم يتبعوا إمام ضلالة يجرى على كل رجل منهم في كل شهر مائة درهم يستطعمون الحرب استطعماً يطلبون ابن الأشعث فأبى رتبيل أن يسلمه وكان مع ابن الأشعث عبيد بن أبي سبيع التيمي قد خص به وكان رسوله إلى رتبيل فخص برتبيل أيضاً وخف عليه فقال القاسم بن محمد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن إني لا آمن غدر التيمي فاقتله فهم به وبلغ ابن أبي سبيع نخافة فوشى به إلى رتبيل وخوفه الحجاج ودعاه إلى الغدر بابن الأشعث فأجابته فخرج سرا إلى عمارة بن تميم فاستعجل في ابن الأشعث فجعل له ألف ألف فأقام عنده وكتب بذلك عمارة إلى الحجاج فكتب إليه أن أعط عبيداً ورتبيل ما سألاك فاشترط رتبيل أن لا تغزى بلاده عشر سنين وأن يؤدي بعد العشر سنين في كل سنة تسعمائة ألف فأعطى وعبيدا ما سألا وأرسل رتبيل إلى ابن الأشعث فأحضره و ثلاثين من أهل بيته وقد أعد لهم الجوامع والقيود فالتقى في عنقه جامعة وفي عنق القاسم جامعة وأرسل بهم جميعاً إلى أدنى مسالح عمارة منه وقال لجماعة من كان مع ابن الأشعث من الناس تفرقوا إلى حيث شئتم ولما قرب ابن الأشعث من عمارة ألقى نفسه من فوق قصر فمات فاحتز رأسه فأتى به وبالأسرى عمارة فضرب أعناقهم وأرسل برأس ابن الأشعث وبرؤوس أهله وبأمراته إلى الحجاج فقال في ذلك بهض الشعراء

هيئات موضع جثة من رأسها رأس بمصر وجثة بالرحج
 وكان الحجاج أرسل به إلى عبد الملك فأرسل به عبد الملك إلى عبد العزيز
 وهو يومئذ على مصر ٥ وذكر عمر بن شبة أن ابن عائشة حدثه قال أخبرني سعد
 ابن عبيد الله قال لما أتى عبد الملك برأس ابن الأشعث أرسل به مع خصي إلى
 امرأة منهم كانت تحت رجل من قريش فلما وضع بين يديها قالت مرحبا بزار
 لا يتكلم ملك من الملوك طلب ما هو أهله فأبت المقادير فذهب الخصي يأخذ الرأس
 فاجتذبه من يده قالت لا والله حتى أبلغ حاجتي ثم دعت بخطمي فغسلته وغلفته
 ثم قالت شأنك به الآن فأخذه ثم أخبر عبد الملك فلما دخل عليه زوجها قال إن
 استطعت أن تصيب منها سخلة ٥ وذكر أن ابن الأشعث نظر إلى رجل من أصحابه
 وهو هارب إلى بلاد رتييل فتمثل

يطرده الخوفُ فهو تائه كذاك من يكره حرَّ الجلالِ
 منخرق الحُفنين يشكو الوجا تنكبه أطرافُ مروٍ حدادِ
 قد كان في الموتِ له راحة والموتُ حتم في رقابِ العبادِ

فالتفت إليه فقال يا الحية هلا ثبت في موطن من المواطن فتموت بين يديك فكان
 خيراً لك بما صرت إليه (قال هشام) قال أبو مخنف خرج الحجاج في أيامه تلك
 يسير ومعه حميد الأرقط وهو يقول:

ما زال يبنّي خندقاً ويهدمه عن عسكري يقوده فيسلبه
 حتى يصير في يديك مقسمة هيئات من مصفّه منهزمة

إنّ أخا الكِظاظ من لا يسأمة

فقال الحجاج هذا أصدق من قول الفاسق أعشى همدان

نُبئت أنّ بنيّ يو سف خرّ من زلقٍ قبياً

قد تبين له من زلقٍ وتبّ ودَحَضَ فانكب وخاف وخاب وشك وارتاب ورفع
 صوته فما بقي أحد إلا فزع لغضبه وسكت الأريقط فقال له الحجاج عد فيما كنت
 فيه مالك يا أرقط قال إني جعلت فداك أيها الأمير وسلطان الله عزير ما هو إلا

أن رأيتك غضبت فأرعدت خصائلي واحزالت مفاصلي وأظلم بصرى ودارت
بى الأرض قال له الحجاج أجل إن سلطان الله عزيز عد فيما كنت فيه ففعل وقال
الحجاج وهو ذات يوم يسير ومعه زياد بن جرير بن عبد الله البجلي وهو أعور
فقال الحجاج للأريقط كيف قلت لابن سمرة قال قلت :

يا أعور العين فدبت العورا كنت حسبت الخندق المحفورا
يرد عنك القدر المقدورا ودائرات السوء أن تدورا

وقد قيل إن مهلك عبد الرحمن بن محمد كان فى سنة ٨٤ (وفى هذه السنة)
عزل الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب عن خراسان وولاه المفضل بن
المهلب أخا يزيد

ذكر السبب الذى من أجله عزله الحجاج عن خراسان واستعمل المفضل
ذكر على بن محمد عن المفضل بن محمد أن الحجاج وفد إلى عبد الملك فر في
منصرفه بدير فزله فقبل له إن فى هذا الدير شيخاً من أهل الكتب عالم فدعا به
فقال يا شيخ هل تجدون فى كتبكم ما أنتم فيه ونحن قال نعم نجد ما مضى من أمركم
وما أنتم فيه وما هو كائن قال أفسمى أم موصوفا قال كل ذلك موصوف بغير اسم
واسم بغير صفة قال فما تجدون صفة أمير المؤمنين قال نجده فى زماننا الذى نحن
فيه ملك أقرع من يقيم لسبيله يصرع قال ثم من قال اسم رجل يقال له الوليد قال ثم
ماذا قال رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس قال أفتر فى قال قد أجبرت بك
قال أفتعلم ما إلى قال نعم قال فمن يليه بعدى قال رجل يقال له يزيد قال فى حياتى
أم بعد موتى قال لا أدرى قال أفتر فى صفة قال يغدر غدرة لا أعرف غير هذا
قال فوقع فى نفسه يزيد بن المهلب وارتحل فسار سبعا وهو وجل من قول الشيخ
وقدم فكتب إلى عبد الملك يستعفيه من العراق فكتب إليه يا ابن أم الحجاج
قد علمت الذى تغزوه وإنك تريد أن تعلم رأى فىك ولعمري إنى لأرى مكان
نافع بن علقمة فإله عن هذا حتى يأتى الله بما هو آت فقال الفرزدق يذكر مسيره
لو أن طيراً كلفت مثل سيره إلى واسط من إيلياء كلفت

سرى بالمهاري من فلسطين بعدما دنا الليل من شمس النهار فقلت
فما عاد ذاك اليوم حتى أناخها بميسان قد ملت سراها وكتبت
كان قطامياً على الرحل طاورياً إذا غمرة الظلباء عنه تجلت
قال فبينما الحجاج يوماً خال إذ دعا عبيد بن موهب فدخل وهو ينكت في
الأرض فرفع رأسه فقال ويحك يا عبيد إن أهل الكتب يذكرون أن ماتحت
يدي يديه رجل يقال له يزيد وقد تذكرت يزيد بن أبي كبشة ويزيد بن حصين بن نمير
ويزيد بن دينار فليسوا هناك وما هو إن كان إلا يزيد بن المهلب فقال عبيد لقد شرفهم
وأعظمت ولايتهم وإن لهم لعدداً وجلداً وطاعة وحظاً فأخلق به فأجمع على عزل
يزيد فلم يجد له شيئاً حتى قدم الخيار بن بن سبرة بن ذؤيب بن عرفة بن محمد بن
سفيان بن مجاشع وكان من فرسان المهلب وكان مع يزيد فقال له الحجاج أخبرني عن
يزيد قال حسن الطاعة لين السيرة قال كذبت أصدقني عنه قال الله أجل وأعظم
قد أسرج ولم يلجم قال صدقت واستعمل الخيار على عمان بعد ذلك قال ثم
كتب إلى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب بالزيرية فكتب إليه عبد الملك إنني
لا أرى نقصاً بآل المهلب طاعتهم لآل الزبير بل أراه وفاء منهم لهم وإن وفاءهم لهم
يدعوهم إلى الوفاء فكتب إليه الحجاج يخوفه غدرهم لما أخبره به الشيخ فكتب
إليه عبد الملك قد أكثرت في يزيد وآل المهلب فسم لي رجلاً يصلح لخراسان
فسمي له جماعة بن سعر السعدي فكتب إليه عبد الملك إن رأيتك الذي دعاك إلى
استفساد آل المهلب هو الذي دعاك إلى جماعة بن سعر فانظر لي رجلاً صار ماضياً
لأمرك فسمي قتيبة بن مسلم فكتب إليه وآله وبلغ يزيد أن الحجاج عزله فقال لأهل
بيته من ترون الحجاج يولي خراسان قالوا رجلاً من ثقيف قال كلا ولكنه يكتب
إلى رجل منكم بعهدده فإذا قدمت عليه عزله وولي رجلاً من قيس وأخلق بقتيبة
قال فلما أذن عبد الملك للحجاج في عزل يزيد كره أن يكتب إليه بعزله فكتب إليه
أن استخلف المفضل وأقبل فاستشار يزيد حُضين بن المنذر فقال له أقم واعتل
فإن أمير المؤمنين حسن الرأي فيك وإنما أتيت من الحجاج فإن أقت ولم تعجل

رجوت أن يكتب اليه أن يقر يزيد قال انا أهل بيت بورك لنا في الطاعة وانا أكره المعصية والخلاف فأخذ في الجهاز وأبطأ ذلك على الحجاج فكتب إلى المفضل إني قد وليتك خراسان فجعل المفضل يستحث يزيد فقال له يزيد إن الحجاج لا يقرك بعدى وإنما دعاه إلى ماصنع مخافة أن أمتنع عليه قال بل حدثني قال يزيد يا ابن بهلة أنا أحسدك ستعلم وخرج يزيد في ربيع الآخر سنة ٨٥ فعزل الحجاج المفضل فقال الشاعر للمفضل وعبد الملك وهو أخوه لأمه

يا ابني بهلة إنما أخزاکما ربی غداة غدا الهمام الأزهري
أحفرتم لأخیکم فوقعتهم فی قعر مظلیة آخرها المعور
جودوا بتوبة مخلصین فانما یابی ویأنف أن یتوب الأخر
وقال حنین لیزید

أمرتک امرًا حازمًا فعصیتنی فأصبحت مسلوب الإمارة نادما
فما أنا بالباکی علیک صباة وما أنا بالداعی لترجع سالیما

فلما قدم قتيبة خراسان قال لحنین کیف قلت لیزید قال قلت

أمرتک امرًا حازمًا فعصیتنی فنفسک أولى اللوم إن كنت لائما
فإن یبلغ الحجاج أن قد عصیته فإنک تلتقی امره متفاقما

قال فماذا أمرته به فصاك قال أمرته أن لا يدع صفراء ولا بيضاء إلا حملها

إلى الأمير فقال رجل لعیاض بن حنین أما أبوك فوجده قتيبة حين فره قارحاً

بقوله أمرته أن لا يدع صفراء ولا بيضاء إلا حملها إلى الأمير قال على وحدثنا

كليب بن خلف قال كتب الحجاج إلى يزيد أن اغزو خوارزم فكتب اليه أيها الأمير

إنها قليلة السلب شديدة الكلب فكتب اليه الحجاج استخلف واقدم فكتب اليه

إني أريد أن اغزو خوارزم فكتب اليه لا تغزها فإنها كما وصفت فغزا ولم يطمعه

فصالحه أهل خوارزم وأصاب سياما صالحوه وقفل في الشتاء فاشتد عليهم

البرد فأخذ الناس ثياب الأسرى فلبسوها فمات ذلك السبي من البرد قال ونزل

يزيد بالاستانة وأصاب أهل مرو الروذ طاعون ذلك العام فكتب اليه الحجاج أن

أقدم فقدم فلم يمر ببلد إلا فرشوا له الرياحين وكان يزيد ولي سنة ٨٢ وعزل سنة ٨٥ وخرج من خراسان في ربيع الآخر سنة ٨٥ وولي قتيبة (وأما هشام بن محمد) فإنه ذكر عن أبي مخنف في عزل الحجاج يزيد عن خراسان سببا غير الذي ذكره علي بن محمد والذي ذكر من ذلك عن أبي مخنف أن أبا المخارق الراسي وغيره حدثوه أن الحجاج لم يكن له حين فرغ من عبد الرحمن بن محمد هم إلا يزيد بن المهلب وأهل بيته وقد كان الحجاج أذل أهل العراق كلهم إلا يزيد وأهل بيته ومن معهم من أهل المصريين بخراسان ولم يكن يتخوف بعد عبد الرحمن بن محمد بالعراق غير يزيد ابن المهلب فأخذ الحجاج في مؤاربة يزيد ليستخرجه من خراسان فكان يبعث إليه ليأتيه فيعتل عليه بالعدو وحرب خراسان فكث بذلك حتى كان آخر سلطان عبد الملك ثم إن الحجاج كتب إلى عبد الملك يشير عليه بعزل يزيد بن المهلب ويخبره بطاعة آل المهلب لابن الزبير وأنه لا وفاء لهم فكتب إليه عبد الملك إنى لأرى تقصيرا بولد المهلب طاعتهم لآل الزبير ولا وفاءهم لهم فان طاعتهم ووفاءهم لهم هو دعاهم إلى طاعتي والوفاء لي ثم ذكر بقية الخبر نحو الذي ذكره علي بن محمد (وفي هذه السنة) غزا المفضل باذغيس ففتحها

ذكر الخبر عن ذلك

ذكر علي بن محمد عن المفضل بن محمد قال عزل الحجاج يزيد وكتب إلى المفضل بولايته على خراسان سنة ٨٥ فولياها تسعة أشهر فغزا باذغيس ففتحها وأصاب مغنا فقسمه بين الناس فأصاب كل رجل منهم ثمانمائة درهم ثم غزا اخرون وشومان فظفر وغنم وقسم ما أصاب بين الناس ولم يكن للمفضل بيت مال كان يعطى الناس كلما جاءه شيء وإن غنم شيئا قسمه بينهم فقال كعب الأشقرى يمدح المفضل :

ترى ذا الغنى والفقير من كل معشر
فمن زائر يرجو فواضل سنيه
إذا ما انتوينا غير أرضك لم نجد
عصائب شتى يلتون المفضلا
وأخر يقضى حاجة قد ترحلا
بها منتوى خيرا ولا متعللا

إذا ما عددنا الأكرمين ذوى النهى
 لعمرى لقد صال المفضل صولة
 ويوم ابن عباس تناولت مثلها
 صفت لك أخلاق المهلب كلها
 أبوك الذى لم يسع ساع كسعيه
 وقد قدموا من صالح كنت أولاً
 أباحت بشومان المناهل والكلاب
 فكانت لنا بين الفريقين قبصلاً
 وسرّبت من مسعاته ما تسربلاً
 فأورثت مجداً لم يكن متحلاً
 (وفى هذه السنة) قتل موسى بن عبد الله بن خازم السلى بالترمذ

ذکر سبب قتله ومصيره إلى الترمذ حتى قتل بها

ذکر أن سبب مصيره إلى الترمذ كان أن أباه عبد الله بن خازم لما قتل من قتل من بنى تميم بفرتنا وقد مضى ذكرى خبر قتله إياهم تفرق عنه عظم من كان بقی معه منهم نخرج إلى نيسابور وخاف بنى تميم على ثقله بمرور فقال لابنه موسى حول ثقلى عن مرو وأقطع نهر بلخ حتى تلجأ إلى بعض الملوك أو إلى حصن تقيم فيه فشخص موسى من مرو فى عشرين ومائتى فارس فأتى آمل وقد ضوى إليه قوم من الصعاليك فصار فى أربعمائة وانضم إليه رجال من بنى سليم منهم زرعة بن علقمة فأتى زم فقاتلوه فظفر بهم وأصاب مالا وقطع النهر فأتى بخارى فسأل صاحبها أن يلجأ إليه فأبى وخافه وقال رجل فانتك وأصحابه مثله أصحاب حرب وشر فلا آمنه وبعث إليه بصلة عين ودواب وكسوة ونزل على عظيم من عظماء أهل بخارى فى نوقان فقال له إنه لا خير لك فى المقام فى هذه البلاد وقد هابك القوم وهم لا يأمونك فأقام عند دهقان نوقان أشهراً ثم خرج يلتمس ملكاً يلجأ إليه أو حصناً فلم يأت بلداً إلا كرهوا مقامه فيهم وسألوه أن يخرج عنهم قال على بن محمد فأتى سمرقند فأقام بها وأكرمه طرخون ملكها وأذن له فى المقام فأقام ما شاء الله ولاهبل الصغد مائدة يوضع عليها لحم ودك وخبز وأبريق شراب وذلك فى كل عام يوماً يجعل ذلك لفارس الصغد فلا يقربه أحد غيره هو طعامه فى ذلك اليوم فإن أكل منه أحد غيره بارزه فأبهما قتل صاحبه فالمائدة له فقال رجل من أصحاب موسى ما هذه المائدة فأخبر

عنها فسكت فقال صاحب موسى لا كان ما على هذه المائدة ولا بارزن فارس الصغد فإن قتلته كنت فارسهم مجلس فأكل ما عليها وقيل لصاحب المائدة فجاء مغضباً فقال يا عربي بارزني قال نعم وهل أريد إلا المبارزة فبارزه فقتله صاحب موسى فقال ملك الصغد أنزلتكم وأكرمتم فقتلتم فارس الصغد لولا أني أعطيتك وأصحابك الأمان لقتلتكم أخرجوا عن بلدي ووصله فخرج موسى فأتى كس فكتب صاحب كس إلى طرخون يستنصره فأتاه فخرج إليه موسى في سبعمائة فقاتلهم حتى أمسوا وتحاجزوا وبأصحاب موسى جراح كثير فلما أصبحوا أمرهم موسى فخلقوا رؤوسهم كما يصنع الخوارج وقطعوا صفات أخبيتهم كما يصنع العجم إذا استماتوا وقال موسى لزراعة بن علقمة انطلق إلى طرخون فاحتل له فأتاه فقال له طرخون لم صنع أصحابك ما صنعوا قال استقتلوا فما حاجتك إلى أن تقتل أيها الملك موسى وتقتل فإنك لا تصل إليه حتى يقتل مثل عدتهم منكم ولو قتلته وإياهم جميعاً ما نلت حظاً لأن له قدراً في العرب فلا يلي أحد خراسان إلا طالبك بدمه فإن سلبت من واحد لم تسلم من آخر قال ليس إلى ترك كس في يده سبيل قال فكف عنه حتى يرتحل فكف وأتى موسى الترمذ وبها حصن يشرف على النهر إلى جانب منه فنزل موسى على بعض دهاقين الترمذ خارجاً من الحصن والدهقان بجانب ترمذ شاه فقال لموسى إن صاحب الترمذ متكرم شديد الحياء فإن أطفته وأهديت إليه أدخلك حصنه فإنه ضعيف قال كلا ولكني أسأله أن يدخلني حصنه فسأله فأبى فما كره موسى وأهدى له وأطفه حتى لطف الذي بينهما وخرج فتصيد معه وكثر الطاف موسى له فصنع صاحب الترمذ طعاماً وأرسل إليه إنني أحب أكرمك فتغد عندي واتي في مائة من أصحابك فانتخب موسى من أصحابه مائة فدخلوا على خيولهم فلما صارت في المدينة تصاهلت فتطير أهل الترمذ وقالوا لهم انزلوا فنزلوا فأدخلوا بيتاً خمسين في خمسين وغدوهم فلما فرغوا من الغداء اضطجع موسى فقالوا له اخرج قال لا أصيب منزلاً مثل هذا فلست بخارج منه حتى يكون بيتي أو قبري وقاتلهم في المدينة فقتل من أهل الترمذ عدة وهرب الآخرون فدخلوا منازلهم وغلب موسى على المدينة وقال ترمذ شاه

أخرج فإني لست أعرض لك ولا لأحد من أصحابك فخرج الملك وأهل المدينة فأتوا الترك يستنصرونهم فقالوا دخل إليكم مائة رجل فأخرجوكم عن بلادكم وقد قاتلناهم بكس فنحن لا نقاتل هؤلاء فأقام ابن خازم بالترمذ ودخل إليه أصحابه وكانوا سبعمائة فأقام فلما قتل أبوه انضم إليه من أصحاب أبيه أربعمائة فارس فقوى فكان يخرج فيغير على من حوله قال فأرسل الترك قوماً إلى أصحاب موسى ليعلموا علمه فلما قدموا قال موسى لأصحابه لا بد من مكيدة هؤلاء قال وذلك في أشد الحر فأمر بنار فأججت وأمر أصحابه فلبسوا ثياب الشتاء ولبسوا فوقها لبوداً ومدوا أيديهم إلى النار كأنهم يصطلون وأذن موسى للترك فدخلوا ففزعوا عما رأوا وقالوا لم صنعتم هذا قالوا نجد البرد في هذا الوقت ونجد الحر في الشتاء فرجعوا وقالوا جننا لأنقاتلهم قال وأراد صاحب الترك أن يغزو موسى فوجه إليه رسلاً وبعث بسم ونشاب في مسك وإنما أراد بالسلم أن حربهم شديدة والنشاب الحرب والمسك السلم فاختر الحرب أو السلم فأحرق السلم وكسر النشاب ونثر المسك فقال القوم لم يريدوا الصلح وأخبر أن حربهم مثل النار وأنه يكسرننا فلم يغزهم قال فولى بكير بن وشاح خراسان فلم يعرض له ولم يوجه إليه أحداً ثم قدم أمية فسار بنفسه يريدته فخالفه بكير وخلع فرجع إلى مرو فلما صالح أمية بكيراً أقام عامه ذلك فلما كان في قابل وجه إلى موسى رجلاً من خزاعة في جمع كثير فعاد أهل الترمذ إلى الترك فاستنصروهم فأبوا فقالوا لهم قد غزاهم قوم منهم وحصروهم فان أعناهم عليهم ظفرنا بهم فسارت الترك مع أهل الترمذ في جمع كثير فأطاف بموسى الترك والخزاعي فكان يقاتل الخزاعي أول النهار والترك آخر النهار فقاتلهم شهرين أو ثلاثة فقال موسى لعمر بن خالد بن حصين الكلابي وكان فارساً قد طال أمرنا وأمر هؤلاء وقد أجمعت أن أيدت عسكر الخزاعي فانهم للبيات آمنون فماترى قال البيات نعماهو وليكن ذلك بالعجم فإن العرب أشد حذراً وأسرع فزعاً وأجراً على الليل من العجم فبيتهم فإني أرجوا أن ينصرونا الله عليهم ثم تنفرد لقتال الخزاعي فنحن في

حصن وهم بالعراء وليسوا بأولى بالصبر ولا أعلم بالحرب منا قال فأجمع موسى على ييات الترك فلما ذهب من الليل ثلثه خرج في أربعائة وقال لعمر بن خالد اخرجوا بعدنا وكونوا منا قريبا فاذا سمعتم تكبيرنا فكبروا وأخذ علي شاطئ النهر حتى ارتفع فوق العسكر ثم أخذ من ناحية كفتان فلما قرب من عسكرهم جعل أصحابه أرباعا ثم قال أطيّفوا بعسكرهم فاذا سمعتم تكبيرنا فكبروا وأقبل وقدم عمرا بين يديه ومشوا خلفه فلما رآته أصحاب الأرصاء قالوا من أنتم قالوا عابري سبيل قال فلما جازوا الرصد تفرقوا وأطافوا بالعسكر وكبروا فلم يشعر الترك إلا بوقع السيوف فثاروا يقتل بعضهم بعضا وولوا وأصيب من المسلمين ستة عشر رجلا وحووا عسكرهم وأصابوا أسلحا ومالا وأصبح الخزاعي وأصحابه قد كسروهم ذلك وخافوا مثلها من البيات فتحذروا فقال لموسى عمرو بن خالد إنك لا تظفر إلا بمكيدة ولهم أمداد وهم يكثرون فدعني آتهم لعل أصيب من صاحبهم فرصة إنى إن خلوتُ به قتلته فتناولني بضرب قال تتعجل الضرب وتعرض للقتل قال أما التعرض للقتل فأنا كل يوم متعرضٌ له وأما الضرب فما أيسرهُ في جنب ما أريد فتناولني بضرب ضربه خمسين سوطا فخرج من عسكر موسى فاني عسكر الخزاعي مستأمنا وقال أنا رجل من أهل اليمن كنت مع عبد الله بن خازم فلما قتل أيت ابنه فلم أزل معه وكنت أول من أتاه فلما قدمت آتهمي وتعصب عليّ وتكر لي وقال لي قد تعصبت لعدونا فأنت عين له فضر بني ولم آمن القتل وقلت ليس بعد الضرب إلا القتل فهربت منه فأمنه الخزاعي وأقام معه قال فدخل يوما وهو خال ولم ير عنده سلاحا فقال كأنه ينصح له أصلحك الله إن مثلك في مثل حالك لا ينبغي أن يكون في حال من أحواله بغير سلاح فقال إن معي سلاحا فرفع صدر فراشه فاذا سيف منتضى فتناولني عمرو فضر به فقتله وخرج فركب فرسه ونذروا به بعد ما أمعن فطلبوه فقاتهم فأتى موسى وتفرق ذلك الجيش فقطع بعضهم النهر وأتى بعضهم موسى مستأمنا فأمنه فلم يوجه إليه أمةٌ أحدا قال وعزل أمة وقد المهب أميرا فلم يعرض لابن خازم وقال لبنيه إياكم وموسى

فانكم لاتزالون ولاه هذا الثغر ما اقام هذا الشط بمكانه فان قتل كان اول طالع عليكم اميرا على خراسان رجل من قيس فمات المهلب ولم يوجه إليه احد ثم تولى يزيد بن المهلب فلم يعرض له وكان المهلب ضرب حريث بن قطبة الخزاعي فخرج هو واخوه ثابت إلى موسى فلما ولي يزيد بن المهلب أخذ أموالهما وحرمهما وقتل أخاهما لأمهما الحارث بن منقذ وقتل صهرالهما كانت عنده أم حفص ابنة ثابت فبلغهما ما صنع يزيد قال فخرج ثابت إلى طرخون فشكا إليه ما صنع به وكان ثابت محبباً في العجم بعيد الصوت يعظمونه ويتقون به فكان الرجل منهم إذا أعطى عهداً يريد الوفاء به حلف بحياة ثابت فلا يغدر فغضب له طرخون وجمع له نيزك والسبل وأهل بخارى والصغانيا فقدموا مع ثابت إلى موسى بن عبد الله وقد سقط إلى موسى فل عبد الرحمن بن العباس من هراة وقل ابن الأشعث من العراق ومن اناحية كابل وقوم من بني تميم ممن كان يقاتل ابن خازم في الفتنة من أهل خراسان فاجتمع إلى موسى ثمانية آلاف من تميم وقيس وربيعة واليمن فقال له ثابت وحرث سر حتى تقطع النهر فتخرج يزيد بن المهلب عن خراسان ونوليك فإن طرخون ونيزك والسبل وأهل بخارى معك فهم أن يفعل فقال له أصحابه إن ثابتاً وأخاه خائفان ليزيد وإن أخرجت يزيد عن خراسان وأمنات وليا الأمر وغلاك على خراسان فأقم مكانك فقبل رأيهم وأقام بالترمذ وقال لثابت إن أخرجنا يزيد قدم عامل لعبد الملك ولكننا نخرج عمال يزيد من وراء النهر عما يلينا وتكرن هذه الناحية لنا نأكلها فرضى ثابت بذلك وأخرج من كان من عمال يزيد من وراء النهر وحملت إليهم الأموال وقوى أمرهم وأمر موسى وانصرف طرخون ونيزك وأهل بخارى والسبل إلى بلادهم وتدير الأمر لحرث و ثابت والامير موسى ليس له غير الاسم فقال لموسى أصحابه لسنا نرى من الأمر في يدك شيئاً أكثر من اسم الإمارة فأما التدبير فلحرث و ثابت فاقتلها وتول الأمر فأبى وقال ما كنت لأغدر بهما وقد قويا أمرى فحسدوهما وألحوا على موسى في أمرهما حتى أفسدوا قلبه وخوفوه غدرهما وهم بمتابعتهم على الوثوب بثابت

وحريث واضطرب أمرهم فإنهم لقي ذلك إذ خرجت عليهم الهياطة والتبت
والترك فأقبلوا في سبعين ألفا لا يعدون الحاسر ولا صاحب بيضة جماء ولا يعدون
إلا صاحب بيضة ذات قونس قال نخرج ابن خازم إلى ربض المدينة في ثلثمائة
راجل وثلاثين مجففا وألقى له كرسى فقعد عليه قال فأمر طرخون أن يثلم حائط
الربض فقال موسى دعوهم فهدموا ودخل أوائلهم فقال دعوهم يكثرون وجعل
يقلب طبرزيينا ييده فلما كثروا قال الآن امنعواهم فركب وحمل عليهم فقاتلهم
حتى أخرجهم عن التلثة ثم رجع فجلس على الكرسى ودمر الملك أصحابه ليعودوا
فأبوا فقال لفرسانه هذا الشيطان من سره أن ينظر إلى رسم فلينظر إلى صاحب
الكرسى فمن أبي فليقدم عليه ثم تحولت الأعاجم إلى رستاق كفتان قال فأغاروا
على سرح موسى فاغتم ولم يطعم وجعل يعبث بلحيته فسار ليلا على نهر في حافيه
نبات لم يكن فيه ماء وهو يفضى إلى خندقهم في سبعمائة فأصبحوا عند عسكرهم وخرج
السرح فأغار عليه فاستاقه واتبعه قوم منهم فعطف عليه سوار مولى لموسى فطعن
رجلا منهم فصرعه فرجعوا عنهم وسلم موسى بالسرح قال وغاداهم العجم القتال
فوقف ملكهم على تل في عشرة آلاف في أكمل عدة فقال موسى إن أزلتم
هؤلاء فليس الباقون بشيء فقصد لهم حريث بن قطبة فقاتلهم صدر النهار
وألح عليهم حتى أزالوهم عن التل ورُمى يومئذ حريث بشابة في جبهته
فتحاجزوا فبينهم موسى وحمل أخوه خازم بن عبد الله بن خازم حتى وصل إلى
شمعة ملكهم فوجأ رجلا منهم بقبعة سيفه فطعن فرسه فاحتمله فألقاه في نهر
ببلغ ففرق وعليه درعان فقتل العجم قتلا ذريعا ونجا منهم من نجا بشر ومات
حريث بن قطبة بعد يومين فدُفن في قبته قال وارتحل موسى وحملوا الرؤس إلى
الترمذ فبنوا من تلك الرؤس جوسقين وجعلوا الرؤس يقابل بعضها بعضا وبلغ
الحجاج خبر الواقعة فقال الحمد لله الذي نصر المنافقين على الكافرين فقال أصحاب
موسى قد كفيينا أمر حريث فأرشنا من ثابت فأبى وقال لا وبلغ ثابتا بعض
ما يخوضون فيه فندس محمد بن عبد الله بن مرثد الخزاعي عم نصر بن عبد الحميد

عامل أبي مسلم على الري وكان في خدمة موسى عبد الله وقال له إياك أن تسلم
بالعربية وان سألوك من أين أنت فقل من سبي الباميان فكان يخدم موسى
وينقل إلى ثابت خبرهم فقال له تحفظ مايقولون وحذر ثابت فكان لا ينام حتى
يرجع الغلام وأمر قوما من شاكريته يحرسونه ويبيتون عنده في داره ومعهم قوم
من العرب وألح القوم على موسى فأضجروه فقال لهم ليلة قدا أكثرتم على وفيما
تريدون هلاككم وقد أبرمتوني فعلى أى وجه تفتكرون به وأنا لا أغدر به فقال
نوح بن عبد الله أخو موسى خلنا وإياه فاذا غدا إليك عدوة عدلنا به إلى بعض
الدور فضربنا عنقه فيها قبل أن يصل إليك قال أما والله إنه هلاككم وأنتم أعلم
والغلام يسمع فأتى ثابتا فأخبره فخرج من ليلته في عشرين فارسا فمضى وأصبحوا
وقد ذهب فلم يدروا من أين أتوا وفقدوا الغلام فعلموا أنه كان عينا له عليهم
ولحق ثابت بحشوزا فنزل المدينة وخرج إليه قوم كثير من العرب والعجم فقال
موسى لأصحابه قد فتحتم على أنفسكم بابا فسُدوه وسار إليه موسى فخرج إليه ثابت
في جمع كثير فقاتلهم فأمر موسى بإحراق السور وقاتلهم حتى ألقوا ثابتا وأصحابه
إلى المدينة وقاتلهم عن المدينة فأقبل رقة بن الحر العنبري حتى اقتحم النار فأنهى
إلى باب المدينة ورجل من أصحاب ثابت واقف يحمي أصحابه فقتله ثم رجع فحاض
النار وهي تلهب وقد أخذت بجوانب نمط عليه فرمى به عنه ووقف وتحصن
ثابت في المدينة وأقام موسى في الرض وكان ثابت حين شخص إلى حشورا أرسل
إلى طرخون فأقبل طرخون معنأ له وبلغ موسى بحىء طرخون فرجع إلى الترمذ
وأعانه أهل كس ونسف وبخارى فصار ثابت في ثمانين ألفا فحصروا موسى
وقطعوا عنه المأادة حتى جُهدوا قال وكان أصحاب ثابت يعبرون نهرا إلى موسى
بالنهار ثم يرجعون بالليل إلى عسكرهم فخرج يوما رقة وكان صديقا لثابت وقد
كان ينهى أصحاب موسى عما صنعوا فنأدى ثابتا فبرز له وعلى رقة قباء خز فقال
له كيف حالك يارقة فقال ماتسأل عن رجل عليه جبة خز في حمارة القيظ
وشكا إليه حالم فقال أنتم صنعتم هذا بأنفسكم فقال أما والله ما دخلت في أمرهم

ولقد كرهت ما أرادوا فقال ثابت أين تكون حتى يأتبك ما أقدر لك قال أنا عند
المُحَلِّ الطفاوى رجل من قيس من يَعْصُرُ وكان المحل شيخا صاحب شراب
فنزّل رقبته عنده قال فبعث ثابت إلى رقبته بخمسمائة درهم مع علي بن المهاجر
الخرزاعى وقال إن لنا تجاراً قد خرجوا من بلخ فإذا بلغك أنهم قد قدموا فأرسل إلى
تأتك حاجتك فأتى عليّ باب المحل فدخل فإذا رقبته والمحل جالسان بينهما جفنة
فيها شراب وخوان عليه دجاج وأرغفة ورقبة شعث الرأس متوشح بمحفة حمراء
فدفع إليه الكيس وأبلغه الرسالة وما كلمه وتناول الكيس وقال له بيده أخرج
ولم يكلمه قال وكان رقبته جسيماً كبيراً غائر العينين نأى الوجنتين مفلج بين كل
سنتين له موضع سنن كأن وجهه ترس قال فلما أضاق أصحاب موسى واشتد عليهم
الحصار قال يزيد بن هزبل إنما مقام هؤلاء مع ثابت والقتل أحسن من الموت
جوعاً والله لا فتكن بثابت أو لأموتن نخرج إلى ثابت فاستأمنه فقال له ظهير أنا
أعرف بهذا منك إن هذا لم يأتك رغبة فيك ولا جزعاً لك ولقد جاءك بغدرة
فاحذره وخلصني وإياه فقال ما كنت لأقدم على رجل أتاني لا أدرى أكذاك هو
أم لا قال فدعني أرتهن منه رهناً فأرسل ثابت إلى يزيد فقال أما أنا فلم أكن
أظن رجلاً يغدر بعد ما يسأل الأمان وابن عمك أعلم بك منى فانظر ما يعاملك
عليه فقال يزيد لظهير أبيت يا أبا سعيد إلا حسداً قال أما يكفيك ما ترى من الذل
تشردت عن العراق وعن أهلى وصرت بخراسان فيما ترى أفما تعطفك الرحم
فقال له ظهير أما والله لو تركت ورأيت فيك لما كان هذا ولكن أرهنا ابنك
قدامة والضحاك فدفعهما إليهم فكانا في يدي سهير قال وأقام يزيد يلتمس غنة
ثابت لا يقدر منه على ما يريد حتى مات ابن لزيد القصير الخزاعى أتى أباه نعيه من
مرو ونخرج ثابت متفضلاً إلى زياد ليعزيه ومعه ظهير ورهط من أصحابه وفيهم يزيد
ابن هزبل وقد غابت الشمس فلما صار على نهر الصغانيان تأخر يزيد بن هزبل
ورجلان معه وقد تقدم ظهير وأصحابه فدنا يزيد من ثابت فضربه فعض السيف
يرأسه فوصل إلى الدماغ قال ورى يزيد وصاحبه بأنفسهم في نهر الصغانيان

فرمؤم فنجائز يد سباحة وقتل صاحباه وحمل ثابت إلى منزله فلما أصبح طرخون أرسل إلى ظهير اثنتي بابني يزيد فأتاه بهما فقدم ظهير الضحاك بن يزيد فقتله ورمى به وبرأسه في النهر وقدم قدامة ليقتله فالتفت فوق سيف في صدره ولم يبين فالتقاء في النهر حيا فغرق فقال طرخون أبوهما قتلها وغدره فقال يزيد ابن هزيل لاقتلن بابني كل خزاعي بالمدينة فقال له عبد الله بن بديل بن عبد الله ابن بديل بن ورقاء وكان بمن أتى موسى من فل بن الأشعث لورمت ذلك من خزاعة لصعب عليك وعاش ثابت سبعة أيام ثم مات وكان يزيد بن هزيل سخيا شجاعا شاعرا ولي أيام بن زياد جزيرة ابن كاوان فقال

قد كنت أدعو الله في السر مخليصا ليُمكِنِي من جزية ورجال
فأترك فيها ذكر طالحة حاملا ويحمدُ فيها نائلي وفعالي

قال فقام بأمر العجم بعد موت ثابت طرخون وقام ظهير بأمر أصحاب ثابت فقاما قياما ضعيفا وانتشر أمرهم فأجمع موسى على بيأتهم فجاء رجل فأخبر طرخون فضحك وقال موسى يعجز أن يدخل متوضأه فكيف يبيتنا لقد طار قلبك لا يحرسن الليلة أحد العسكر فلما ذهب من الليل ثلثه خرج موسى في ثمانمائة قد عباهم من النهار وصبرهم أرباعا قال فصير على ربع ربيعة ابن الحر وعلى ربع أخاه نوح بن عبد الله ابن خازم وعلى ربع يزيد ابن هزيل وصار هو في ربع وقال لهم إذا دخلتم عسكرهم فتفرقوا ولا يمرن أحد منكم بشيء الا ضربه فدخلوا عسكرهم من أربع نواح لا يمرن بدابة ولا رجل ولا خباء ولا جولق إلا ضربوه وسمع الوجبة نيزك فلبس سلاحه ووقف في ليلة مظلمة وقال لعلي بن المهاجر الخزاعي انطلق إلى طرخون فأعلمه موقفي وقل له ما ترى أعمل به فأنى طرخون فاذا هو في فاقة قاعد على كرسي وشاكره قد أوقدوا النيران بين يديه فأبلغه رسالة نيزك فقال اجلس وهو طامح يبصره نحو العسكر والصوت إذ أقبل تحمية السلي وهو يقول حم لا ينصرون فتفرق في الشاكرية ودخل تحمية الفاقة وقام إليه طرخون فبدره فضربه فلم يفتن شيئا قال وطعنه طرخون بذياب السيف في صدره فصرعه

ورجع إلى الكرسي فجلس عليه وخرج محمية يعدو قال ورجعت الشاكرية فقال لهم طرخون فررتم من رجل رأيتم لو كان نارا هل كانت تحرق منكم أكثر من واحد فما فرغ من كلامه حتى دخل جواربه الفائزة وخرج الشاكرية هرا بآ فقال للجواري اجلسن وقال لعل بن المهاجر قم قال فخرجا فإذا نوح بن عبد الله ابن خازم في السرادق فتجاولا ساعة واختلفا ضربتين فلم يصنعا شيئا وولى نوح وأتبعه طرخون فطعن فرس نوح في خاصرته فشَبَّ فسقط نوح والفرس في نهر الصغايان ورجع طرخون وسيفه يقطر دما حتى دخل السرادق وعلى ابن المهاجر معه ثم دخل الفائزة وقال طرخون للجواري ارجعن فرجعن إلى السرادق وأرسل طرخون إلى موسى كَفَّ أصحابك فانا نرتحل إذا أصبحنا فرجع موسى إلى عسكره فلما أصبحوا ارتحل طرخون والعجم جميعا فأتى كل قوم بلادهم قال وكان أهل خراسان يقولون مارأينا مثل موسى بن عبد الله بن خازم ولا سمعنا به قاتل مع أبيه سنتين ثم خرج يسير في بلاد خراسان حتى أتى ملكا فغلبه على مدينته وأخرجه منها ثم سارت إليه الجنود من العرب والترك فكان يقاتل العرب أول النهار والعجم آخر النهار وأقام في حصنه خمس عشرة سنة وصار ما وراء النهر لموسى لا يعازه فيه أحد قال وكان بقومس رجل يقال له عبد الله يجتمع إليه فتيان يتنادمون عنده في مؤوته وتفقته فلزمه دين فأتى موسى بن عبد الله فأعطاه أربعة آلاف فأتى بها أصحابه فقال الشاعر يعاتب رجلا يقال له موسى

فما أنت موسى إذ يُناجى إلهه ولا واهب القينات موسى بن خازم
قال فلما عزل يزيد وولى المفضل خراسان أراد أن يحظى عند الحجاج بقتال موسى بن عبد الله فأخرج عثمان بن مسعود وكان يزيد حبسه فقال إني أريد أن أوجهك إلى موسى بن عبد الله فقال والله لقد وترني وإني لثائر بابن عمي ثابت وبالخزاعي وما يدريك وأخيك عندي وعند أهل بيتي بالحسنة لقد حبستموني وشردتم بني عمي واصطفيتم أموالهم فقال له المفضل دَعْ هذا عنك وسر فأدرك بئارك فوجهه في ثلاثة آلاف وقال له مر مناديا فليناد من لحق بنا فله ديوان فنأدى

بذلك في السوق فسارع اليه الناس وكتب المفضل إلى مدرك وهو يبلغ أن يسير معه نخرج فلما كان يبلغ خرج ليلة يطرف في العسكر فسمع رجلا يقول قتلته والله فرجع إلى أصحابه فقال قتلت موسى ورب الكعبة قال فأصبح فسار من بلخ وخرج مدرك معه متاقلاً فقطع النهر فنزل جزيرة بالترمذ يقال لها اليوم جزيرة عثمان لنزول عثمان بها في خمسة عشر ألفاً وكتب إلى السبيل وإلى طرخون فقدموا عليه فحصره موسى فضيقوا عليه وعلى أصحابه نخرج موسى ليلاً فأتى كفتان فامتار منها ثم رجع فمكث شهرين في ضيق وقد خندق عثمان وحذر البيات فلم يقدر موسى منه على غرة فقال لأصحابه حتى متى اخرجوا بنا فاجعلوا يومكم إما ظفرتهم وإما قتلهم وقال لهم اقصدوا للصغد والترك نخرج وخلف النضر بن سليمان بن عبد الله ابن خازم في المدينة وقال له ان قتلت فلا تدفعن المدينة إلى عثمان وادفعها إلى مدرك بن المهلب وخرج فحصر تلك أصحابه بإزاء عثمان وقال لاتهاجموه إلا أن يقاتلكم وقصد لطرخون وأصحابه فصدقوهم فانهزم طرخون والترك وأخذوا عسكرهم فجعلوا ينقلونه ونظر معاوية بن خالد بن أبي برزة إلى عثمان وهو على بردون لخالد بن أبي برزة الأسلي فقال أنزل أيها الأمير فقال خالد لا تنزل فان معاوية مشؤم وكرت الصغد والترك راجعة فخالوا بين موسى وبين الحصن فقاتلهم فعقر به فسقط فقال لمولى له احملي فقال الموت ككريبه ولكن ارتد فان نجونا نجونا جميعاً وإن هلكنا هلكنا جميعاً قال فارتد فنظر إليه عثمان حين وثب فقال وثبة موسى ورب الكعبة وعليه مغفر له موسى بنحز أحر في أعلاه يا قوته اسمانجونية نخرج من الخندق فكشفوا أصحاب موسى فقصد لموسى وعثرت دابة موسى فسقط هو ومولاه فابتدروه فانطوا عليه قتلوه ونادى منادى عثمان لا تقتلوا أحداً من لقيتموه نخدوه أسيراً قال ففرق أصحاب موسى وأسر منهم قوم فعرضوا على عثمان فكان إذا أتى بأسير من العرب قال دماؤنا لكم حلال ودماؤكم علينا حرام ويأمر بقتله وإذا أتى بأسير من الموالي شتمه وقال هذه العرب تقاتلني فهلا غضبت لي فإمر به فيشدخ وكان فظاً غليظاً فلم يسلم عليه يومئذ أسير إلا عبد الله بن بديل بن عبد الله

ابن بدیل بن ورقاء فانه كان مولاه فلما نظر اليه أعرض عنه وأشار بيده أن خلوا عنه ورقبة بن الحر لما أتى به نظر اليه وقال ما كان من هذا الينا كبير ذنب وكان صديقا لكاتب وكان مع قوم فوفى لهم والعجب كيف أسرتموه قالوا طعن فرسه فسقط عنه في وهدة فأسر فأطلقه وحمله وقال لخالد بن أبي برزة ليكن عندك قال وكان الذي أجهز على موسى بن عبد الله وإصل بن طيسلة العنبري ونظر يومئذ عثمان إلى زُرعة بن علقمة السلمي والحجاج بن مروان وسانن الاعرابي ناحية ناحية فقال لكم الأمان فظن الناس أنه لم يؤمنهم حتى كاتبوه قال وبقيت المدينة في يدي النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم فقال لا أدفعها إلى عثمان ولكني أدفعها إلى مدرك فدفعها اليه وآمنه فدفعها مدرك إلى عثمان وكتب المفضل بالفتح إلى الحجاج فقال الحجاج العجب من ابن بهلة أمره بقتل ابن سمرة فيكتب إلى إنه قتل موسى بن عبد الله بن خازم قال وقتل موسى سنة ٨٥ فذكر البحري أن مغراء بن المغيرة بن أبي صفرة قتل موسى فقال

وقد عرّكت بالترهيد الخيلُ خازمًا ونوحًا وموسى عرّةً بالكلاكلِ
قال فضرب رجل الجند ساق موسى فلما ولي قتيبة أخبر عنه فقال ما دعاك إلى ما صنعت بقتي العرب بعد موته قال كان قتل أخي فأمر به قتيبة فقتل بين يديه (وفي هذه السنة) أراد عبد الملك بن مروان خلع أخيه عبد العزيز بن مروان ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهما فيه

ذكر الواقدي أن عبد الملك هم بذلك فهاه عنه قبيصة بن ذؤيب وقال لا تفعل هذا فإنك باعث على نفسك صوت نعار ولعل الموت يأتيه فتستريح منه فكف عبد الملك عن ذلك ونفسه تنازعه إلى أن يخلعه ودخل عليه روح بن زنباع الجذامي وكان أجل الناس عند عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين لو خلعت ما انتطح فيه عنزان فقال ترى ذلك يا أبا زرعة قال إي والله وأنا أول من يجيبك إلى ذلك فقال نصيح إن شاء الله قال فينا هو على ذلك وقد نام عبد الملك وروح بن زنباع إذ دخل عليهما قبيصة بن ذؤيب طروقا وكان عبد الملك قد تقدم إلى حجاباه

فقال لا يُحجب عنى قبيصةُ أى ساعة جاء من ليل أو نهار إذا كنت خالياً أو عندى رجل واحد وان كنت عند النساء أدخل المجلس وأعلت بمكانه فدخل وكان الخاتمُ إليه وكانت السكة إليه تأتيه الاخبارُ قبل عبد الملك ويقرأ الكتاب قبله ويأتى بالكتاب إلى عبد الملك منشوراً فيقرأه إعظاماً لقبیصة فدخل عليه فسلم عليه وقال آجرك الله يا أمير المؤمنين فى أخيك عبد العزيز قال وهل توفى قال نعم فاسترجع عبد الملك ثم أقبل على روح فقال كفانا الله أبا زرعة ما كنا نريد وما أجمعنا عليه وكان ذلك مخالفاً لك يا أبا اسحاق فقال قبيصة ما هو فأخبره بما كان فقال قبيصة يا أمير المؤمنين إن الرأى كله فى الأناة والعجلة فيها ما فيها فقال عبد الملك ربما كان فى العجلة خير كثير رأيت أمر عمرو بن سعيد ألم تكن العجلة فيه خيراً من التانى (وفى هذه السنة) توفى عبد العزيز بن مروان بمصر فى جمادى الأولى فضم عبد الملك عمله إلى ابنه عبد الله بن عبد الملك وولاه مصر وأما المدائنى فإنه قال فى ذلك ما حدثنا به أبو زيد عنه أن الحجاج كتب إلى عبد الملك يزين له بيعة الوليد وأوفد وفداً فى ذلك عليهم عمران بن عصام العنزى فقام عمران خطيباً فتكلم وتكلم الوفد وحثوا عبد الملك وسألوه ذلك فقال عمران بن عصام

أمير المؤمنين إليك نهدي	على النأي التحية والسلاما
أجبتى فى يدك يكن جوابى	لهم عادية ولنا قواما
فلو أن الوليد أطاع فيه	جعلت له الخلافة والذماما
شبيهاك حول قبته قریش	به يستمطر الناس الغماما
ومثلك فى التقي لم يصب يوماً	لدن خلع القلائد والتماما
فإن تؤير أخاك بها فإننا	وجدك لا نطق لها اتماما
ولكننا نحاذر من بيده	بنى العلات مائة سماما
ونخشى أن جعلت الملك فيهم	سحابا أن تعود لهم جهاماً
فلايك ما حطبت غدا لقوم	وبعد غد بنوك هم العياما
فأقسم لو تخطانى عصام	بذلك ما عذرت به عصاماً

ولو أنى حَبَوْتُ أَخَا بفضل أريدُ به المقالة والمقاما
لَعَقَّبَ فِي بَنِيَّ عَلَى بنيه كذلك أو لَرُمْتُ له مَرَامًا
فَمَنْ يَكُ فِي أَقَارِبِهِ صُدُوعٌ فَصَدْعُ الْمَلِكِ أَبْطَاهُ التَّشَامَا

فقال عبد الملك يا عمران انه عبد العزيز قال احتل له يا أمير المؤمنين قال
على أراد عبد الملك بيعة الوليد قبل أمر ابن الأشعث لان الحجاج بعث في ذلك
عمران بن عصام فلما أبى عبد العزيز أعرض عبد الملك عما أراد حتى مات عبد العزيز
ولما أراد أن يخلع أخاه عبد العزيز ويباع لابنه الوليد كتب إلى أخيه إن رأيت
أن أتصير هذا الأمر لابن أخيك فأبى فكتب إليه فاجعلها له من بعدك فانه أعز الخلق
على أمير المؤمنين فكتب إليه عبد العزيز إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز
ماترى في الوليد فقال عبد الملك اللهم ان عبد العزيز قطعني فاقطعه فكتب إليه عبد الملك
احمل خراج مصر فكتب إليه عبد العزيز يا أمير المؤمنين انى واياك قد بلغنا سنا
لم يبلغها أحد من أهل بيتك إلا كان بقاؤه قليلا وإنى لا أدرى ولا تدري آتينا
يأتيه الموت أو لا فان رأيت أن لا تغث على بقية عمرى فافعل فرق له عبد الملك وقال
لعمرى لا أغث عليه بقية عمره وقال لابنيه إن يرد الله أن يعطيكموها لا يقدر
أحد من العباد على رد ذلك وقال لابنيه الوليد وسليمان هل قارفتما حراما قط قالوا لا
والله قال الله أكبر نلتماها ورب الكعبة قال فلما أبى عبد العزيز أن يجيب
عبد الملك إلى ما أراد قال عبد الملك اللهم قد قطعني فاقطعه فلما مات عبد العزيز
قال أهل الشام رد على أمير المؤمنين أمره فدعا عليه فاستجيب له قال وكتب
الحجاج إلى عبد الملك يشير عليه أن يستكتب محمد بن يزيد الأنصارى وكتب
إليه إن أردت رجلا مأمونا فاضلا عاقلا وديعا مسلما كوما تتخذه لنفسك وتضع
عنده شرك وما لا تحب أن يظهر فاتخذ محمد بن يزيد فكتب إليه عبد الملك احمله
إلى فحمله فاتخذه عبد الملك كاتبا قال محمد فلم يكن يأتيه كتاب إلا دفعه إلى ولا يستر
شيئا إلا أخبرني به وكتمه الناس ولا يكتب إلى عامل من عماله إلا أعلنه فإني
لجالس يومانصف النهار إذا أنا بريد قد قدم من مصر فقال الإذن على أمير المؤمنين

قلت ليست هذه ساعة إذن فأعلمني ما قد قدمت له قال لا قلت فإن كان معك كتاب فادفعه إلىّ قال لا قال فأبلغ بعض من حضرني أمير المؤمنين فخرج فقال ما هذا قلت رسول قدم من مصر قال نُفِذَ الكتاب قلت زعم أنه ليس معه كتاب قال فسله عما قدم له قلت قد سألته فلم يخبرني قال أدخِله فأدخلته فقال آجرك الله يا أمير المؤمنين في عبد العزيز فاسترجع وبكى ووجم ساعة ثم قال يرحم الله عبد العزيز مضى والله عبد العزيز لشأنه وتركنا وما نحن فيه ثم بكى النساء وأهل الدار ثم دعاني من غد فقال إن عبد العزيز رحمه الله قد مضى لسبيله ولا بد للناس من علم وقائم يقوم بالأمر من بعدى فمن ترى قات يا أمير المؤمنين سيّد الناس وأرضاهم وأفضلهم الوليد بن عبد الملك قال صدقت وفقك الله فمن ترى أن يكون بعده قلت يا أمير المؤمنين أين تعد لها عن سليمان قتي العرب قال وفقت أما إنا لو تركنا الوليد وإياها لجعلها لبنيه اكتب عهدا للوليد وسليمان من بعده فكتب بيعة الوليد ثم سليمان من بعده فغضب عليّ الوليد فلم يولني شيئا حين أشرت بسليمان من بعده قال عليّ عن ابن جعدبة كتب عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل المخزومي أن يدعو الناس لبيعة الوليد وسليمان فبايعوا غير سعيد بن المسيب فإنه أبي وقال لا أبايع وعبد الملك حتى يضربه هشام ضربا مبرحاً وألبسه المسوح وسرحه إلى ذباب ثنية بالمدينة كانوا يقتلون عندها ويصلبون فظن أنهم يريدون قتله فلما انتهوا به إلى ذلك الموضع ردوه فقال لو ظننت أنهم لا يصلبونني ما لبست سراويل مسوح ولكن قلت يصلبونني فيسترنى وبلغ عبد الملك الخبر فقال قبح الله هشاما إنما كان ينبغي أن يدعو إلى البيعة فإن أبي يضرب عنقه أو يكف عنه (وفي هذه السنة) بايع عبد الملك لابنيه الوليد ثم من بعده سليمان وجعلهما ولي عهد المسلمين وكتب ببيعتهم إلى البلدان فبايع الناس وامتنع من ذلك سعيد بن المسيب فضربه هشام بن إسماعيل وهو عامل عبد الملك على المدينة وطاف به وحبسه فكتب عبد الملك إلى هشام يلومه على ما فعل من ذلك وكان ضربه ستين سوطا وطاف به في تبان شعر حتى بلغ به رأس الثنية وأما الحارث فإنه قال حدثني ابن سعد عن محمد

ابن عمر الواقدي قال حدثنا عبد الله بن جعفر وغيره من أصحابنا قالوا استعمل عبد الله بن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزهري على المدينة فدعا الناس إلى البيعة لابن الزبير فقال سعيد بن المسيب لا حتى يجتمع الناس فضربه ستين سوطا فبلغ ذلك ابن الزبير فكتب إلى جابر يلومه وقال مالنا ولسعيد دعه * وحدثني الحارث عن ابن سعد أن محمد بن عمر أخبره قال حدثنا عبد الله بن جعفر وغيره من أصحابنا أن عبد العزيز بن مروان توفي بمصر في جمادى سنة ٨٤ فعقد عبد الملك لابنيه الوليد وسليمان الدهر وكتب بالبيعة لهما إلى البلدان وعامله يومئذ هشام بن إسماعيل المخزومي فدعا الناس إلى البيعة فبايع الناس ودعا سعيد بن المسيب أن يبايع لهما فأبى وقال لا حتى أنظر فضربه هشام بن إسماعيل ستين سوطا وطاف به في تبان شعر حتى بلغه رأس الثنية فلما كروا به قال أين تكرون بي قالوا إلى السجن قال والله لولا أني ظننت أنه الصلب لما لبست هذا التبان أبدا فرده إلى السجن وحبسه وكتب إلى عبد الملك يخبره بخلافه وما كان من أمره فكتب إليه عبد الملك يلومه فيها صنع ويقول سعيد والله كان أحوج أن تصل رحمه من أن تضربه وإنا لنعلم ما عنده من شقاق ولا خلاف (وحج) بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي كذلك حدثنا أحمد بن ثابت عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وكان العامل على المشرق في هذه السنة مع العراق الحجاج ابن يوسف

ثم دخلت سنة ست وثمانين

ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

فما كان فيها من ذلك هلاك عبد الملك بن مروان وكان مهلكه في النصف من شوال منها * حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال توفي عبد الملك بن مروان يوم الخميس للنصف من شوال سنة ٨٦ فكانت خلافته ثلاث عشرة سنة وخمسة أشهر وأما الحارث فإنه حدثني عن ابن سعد

عن محمد بن عمر قال حدثني شرحبيل بن أبي عون عن أبيه قال أجمع الناس على عبد الملك بن مروان سنة ٧٣ قال ابن عمر وحدثني أبو معشر نجيح قال مات عبد الملك بن مروان بدمشق يوم الخميس للنصف من شوال سنة ٨٦ فكانت ولايته منذ يوم بويج إلى يوم توفي إحدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا كان تسع سنين منها يقاتل فيها عبد الله بن الزبير ويسلم عليه بالخلافة بالشام ثم بالعراق بعد مقتل مصعب وبقى بعد مقتل عبد الله بن الزبير واجتماع الناس عليه ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليالٍ وأما علي بن محمد المدائني فإنه فيما حدثنا أبو زيد عنه قال مات عبد الملك سنة ٨٦ بدمشق وكانت ولايته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوما

ذكر الخبر عن مبلغ سنه يوم توفي

اختلف أهل السير في ذلك فقال أبو معشر فيه ما حدثني الحارث عن ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني أبو معشر نجيح قال مات عبد الملك بن مروان وله ستون سنة (قال الواقدي) وقد روى لنا أنه مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة قال والأول أثبت وهو علي مولده قال وولد سنة ٢٦ في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وشهد يوم الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين وقال المدائني علي بن محمد فيما ذكر أبو زيد عنه مات عبد الملك وهو ابن ثلاث وستين سنة

ذكر نسبه وكنيته

أما نسبه فإنه عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف وأما كنيته فأبو الوليد وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ابن أمية وله يقول ابن قيس الرقيات

أنت ابن عائشة التي فضلت أروم نساها
لم تلتفت للدائها ومضت على غلواها

ذكر أولاده وأزواجه

منهم الوليد وسليمان ومروان الأكبر ودرج وعائشة أمهم ولادة بنت العباس

ابن جَزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رَوَاحَة بن ربيعة بن مازن بن الحارث
ابن قطيعة بن عبس بن بغيض ويزيد و مروان و معاوية درج و أم كلثوم و أمهم
عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان و هشام و أمه أم هشام بنت هشام
ابن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي و قال المدائني اسمها عائشة
بنت هشام و أبو بكر و اسمه بكار أمه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله
و الحكم دَرَج أمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان و فاطمة بنت عبد الملك
أمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة و عبد الله و مسلمة
و المنذر و عنبة و محمد و سعيد الخير و الحجاج لامهات أولاده قال المدائني و كان
له من النساء سوى من ذكرنا شقراء بنت سلمة بن حليس الطائي و ابنة لعل بن
أبي طالب عليه السلام و أم أبيها بنت عبد الله بن جعفر و ذكر المدائني عن
عوانة و غيره أن سلمة بن زيد بن وهب بن نباتة الفهمي دخل على عبد الملك
فقال له أي الزمان أدركت أفضل و أي الملوك أكمل قال أما الملوك فلم أر إلا
ذاما و حامدا و أما الزمان فيرفع اقواما و يضع اقواما و كلهم يذم زمانه لأنه يبلى
جديدهم و يهرم صغيرهم و كل ما فيه منقطع غير الأمل قال فأخبرني عن فهم قال هم
كما قال من قال

درج الليل و النهار على فقه
و تخلت دارهم فأضحت يبابا
و كذلك الزمان يذهب بالنا
يم بن عمرو فأصبحوا كالرميم
بعد عز و ثروة و نعيم
س و تبقى ديارهم كالرسوم

قال فمن يقول منكم

رأيت الناس مذ خلقوا و كانوا
و إن كان الغني قليل خير
فما أدري علام و فيم هذا
الدنيا فليس هناك دنيا
يحبون الغني من الرجال
بخيلاً بالقليل من النوال
و ماذا يرتجون من البحال
ولا يرجي لحادثه اللبالي
قال أنا قال علي قال أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط

لعبد الملك بن مروان

نبئتُ أن ابن القَلَمَسِ عاتى ومزدا من الناس الصحيح المسَلْمُ
فأبصرَ سُبُلَ الرشدِ سيدُ قومه وقد يُبصرُ الرشدَ الرئيسَ المعتمَمُ
فمن أتم ها تخبرونا من انتم وقد جعلتُ أشياء تَبْدُو وتكتمُ
فقال عبد الملك ما كنت أرى أن مثلنا يقال له من أنتم أما والله لولا ما تعلم
لقلت قولاً الحقكم بأصلكم الخبيث ولضربتك حتى تموت وقال عبد الله بن الحجاج
الثعلبي لعبد الملك

يا ابنَ أبي العاصِ وياخيرَ قتي أنت سِدادُ الدينِ إن دينٌ وهى
أنت الذى لا يجعلُ الأمرُ سُدَى حِيبَ قريشٍ عنكم حُوبَ الرحي
إن أبا العاصى وفى ذاك اعتصى أوصى بِلِيهِ فَوَعَوْا عنه الوصى
إن يسعروا الحزبَ ويأبوا ما أبى الطاعنين فى النجورِ والكلَى
شزراً ورضلاً للسيوف بالخُطَى إلى القتالِ فحَوُوا ما قد حوى
قال أعتى بنى شيان

عرفتُ قريشَ كلها لبني أبي العاصِ الإمارةُ
لأبرها وأحقها عند المشورةِ بالإشارةُ
المانعين لِمَا ولوا والنافعين ذوى الضرارةُ
وهمُ أحقهمُ بها عند الحلاوة والمرارةُ
وقال عبد الملك ما أعلم مكانَ أحد أقوى على هذا الأمر منى وإن ابن
الزبير لطويل الصلاة كثير الصيام ولكن لبخله لا يصلح أن يكون سائساً
خلافة الوليد بن عبد الملك

(وفى هذه السنة) بويع للوليد بن عبد الملك بالخلافة فذكر أنه لما دفن
أباه وانصرف عن قبره دخل المسجد فصعد المنبر واجتمع إليه الناس فخطب
فقال إنا لله وإنا إليه راجعون والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين
والحمد لله على ما أنعم به علينا من الخلافة قوموا فبايعوا فكان أول من قام لبيعته

عبد الله بن همام السلولى فإنه قام وهو يقول

اللهُ أعطاك التي لا فوقها وقد أراد الملحدون عوقها

عنك ويأبى الله إلا سوقها إليك حتى قلدوك طوقها

فبايعه ثم تابع الناس على البيعة وأما الواقدي فإنه ذكر أن الوليد لما رجع من دفن أبيه ودفن خارج باب الجابية ولم يدخل منزله حتى صعد على منبر دمشق فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أيها الناس إنه لا مقدم لما أخرج الله ولا مؤخر لما قدم الله وقد كان من قضاء الله وسابق عليه وما كتب على أنبيائه وحمله عرشه الموت وقد صار إلى منازل الأبرار ولى هذه الأمة الذى يحق عليه الله من الشدة على المريب واللين لأهل الحق والفضل وإقامة ما أقام الله من منار الإسلام وأعلامه من حج هذا البيت وغزو هذه الثغور وشن هذه الغارة على أعداء الله فلم يكن عاجزاً ولا مفرطاً أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فإن الشيطان مع الفرد أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه ومن سكت مات بدائه ثم نزل فنظر إلى ما كان من دراب الخلافة فحازه وكان جباراً عنيداً (وفى هذه السنة) قدم قتيبة بن مسلم خراسان والياً عليها من قبل الحجاج فذكر على بن محمد أن كليب بن خلف أخبره عن طفيل بن مرداس العمى والحسن بن رشيد عن سليمان بن كثير العمى قال أخبرنى عمى قال رأيت قتيبة بن مسلم حين قدم خراسان فى سنة ۸۶ فقدم والمفضل يُعرض الجند وهو يريد أن يغزو آخرون وشومان فخطب الناس قتيبة وحثهم على الجهاد وقال إن الله أحل لكم هذا المحل ليعز دينه ويذب بكم عن الحرمات ويزيد بكم المال استفاضة والعدو وقما وعدنيبه صلى الله عليه وسلم النصر بحديث صادق وكتاب ناطق فقال (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) ووعد المجاهدين فى سبيله أحسن الثواب وأعظم الذخر عنده فقال (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله إلى قوله أحسن ما كانوا يعملون) ثم أخبر عن قتل فى سبيله أنه حتى مرزوق فقال (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله

أَمْوَانًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) فتجزوا موعد ربكم ووطنوا أنفسكم
على أقصى أثر وأمضى ألم وإيأى والهرينا

ذكر ما كان من أمر قتيبة بخراسان في هذه السنة

ثم عرض قتيبة الجند في السلاح والكراع وسار واستخلف بمرو على حربها
لياس بن عبد الله بن عمرو وعلى الخراج عثمان بن السعدى فلما كان بالطالقان
تلقاه دهاقين بلخ وبعض عظمائهم فساروا معه فلما قطع النهر تلقاه بيش الأعور
ملك الصغانيان بهدايا ومفتاح من ذهب فدعاه إلى بلاده فأتاه وأتى ملك كفتان
بهدايا وأموال ودعاه إلى بلاد دلفى مع بيش إلى الصغانيان فسلم إليه بلاده وكان ملك
أخرون وشومان قد أساء جوار بيش وغزاه وضيق عليه فسار قتيبة إلى أخرون
وشومان وهما من طخارستان فجاءه غيسلستان فصالحه على فدية أداها إليه فقبلها
قتيبة ورضى ثم انصرف إلى مرو واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم
وتقدم جنده فسبقهم إلى مرو وفتح صالح بعد رجوع قتيبة بأسار التحصن وكان
معه نصر بن ميسار فأبلى يومئذ فوهب له قرية تدعى تنجانه ثم قدم صالح على
قتيبة فاستعمله على الترمذ وقال وأما الباهليون فيقولون قدم قتيبة خراسان
سنة ٨٥ فعرض الجند فكان جميع ما أحصوا من الدروع في جند خراسان
ثلاثمائة وخمسين درعا فغزا أخرون وشومان ثم قفل فركب السفن فأنحدر إلى
آمل وخلف الجند فأخذوا طريق بلخ إلى مرو وبلغ الحجاج فكتب إليه يلومه
ويعجز رأيه في تخليفه الجند وكتب إليه إذا غزوت فكن في مقدم الناس وإذا
قفلت فكن في آخرياتهم وساقهم و قد قيل إن قتيبة أقام قبل أن يقطع النهر
في هذه السنة على بلخ لأن بعضها كان متقضا عليه وقد ناصب المسلمين فخرب أهلها
فكان من سبي امرأة برمك أبي خالد بن برمك وكان برمك على النوبهار فصارت
لعبد الله بن مسلم الذى يقال له الفقير أخى قتيبة بن مسلم فوقع عليها وكان به شيء
من الجذام ثم إن أهل بلخ صالحوا من غد اليوم الذى حاربهم قتيبة فأمر قتيبة
يرد السبي فقالت امرأة برمك لعبد الله بن مسلم يا نازى إني قد علقت منك وحضرت

عبد الله بن مسلم الوفاة فأوصى أن يلحق به ما في بطنها وردت إلى برمك ه فذكر أن ولد عبد الله بن مسلم جاءوا أيام المهدي حين قدم الرى إلى خالد فأدعوه فقال لهم مسلم بن قتيبة إنه لا بد لكم إن استلحقتموه ففعل من أن تزوجوه فتركوه وأعرضوا عن دعواهم وكان برمك طيبا فداوى بعد ذلك مسلة من علة كانت به (وفي هذه السنة) غزا مسلة بن عبد الملك أرض الروم (وفيها) حبس الحجاج ابن يوسف يزيد بن المهلب وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان وعبد الملك بن المهلب عن شرطته (وحج) بالناس في هذه السنة هشام بن اسماعيل المخزومي كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وكان الأمير على العراق كله والمشرق كله الحجاج بن يوسف وعلى الصلاة بالكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل وعلى الحرب بهامن قبل الحجاج زياد بن جرير بن عبد الله وعلى البصرة أيوب بن الحكم وعلى خراسان قتيبة بن مسلم

ثم دخات سنة سبع وثمانين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

(في هذه السنة) عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن اسماعيل عن المدينة وورد عزله عنها فيما ذكر ليلة الأحد لسبع ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة ٨٧ وكانت إمرته عليها أربع سنين غير شهر أو نحوه (وفي هذه السنة) ولي الوليد عمر بن عبد العزيز المدينة قال الواقدي قدمها واليا في شهر ربيع الأول وهو ابن خمس وعشرين سنة وولد سنة ٦٢ قال وقدم على ثلاثين بعيرا فنزل دار مروان قال فحدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال لما قدم عمر بن عبد العزيز المدينة ونزل دار مروان دخل عليه الناس فسلموا فلما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة عروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وأبا بكر بن عبد الرحمن وأبا بكر ابن سليمان بن أبي خيشمة وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عبد الله بن عمرو بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد فدخلوا

عليه جلسوا الحمد لله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال إني إنمادعوتكم لا مرتوجرون
عليه وتكونون فيه أعوانا على الحق ما أريد أن أقطع أمرا إلا برأيكم أو برأي من
حضر منكم فإن رأيتم أحدا يتعدى أو بلغكم عن عامل لي ظلامة فأخرج الله
على من بلغه ذلك إلا بلغني فخرجوا يجزونه خيرا وافترقوا قال وكتب الوليد إلى
عمر يأمره أن هشام يقف بن إسماعيل للناس وكان فيه شيء الرأى قال الواقدي حدثني
داود بن جبير قال أخبرني أم ولد سعيد بن المسيب أن سعيدا دعا ابنه ومواليه
فقال إن هذا الرجل يوقف للناس أو قد وقف فلا يتعرض له أحد ولا يؤذه
بكلمة فانا سنترك ذلك لله وللرحم فان كان ما علمت لسبي النظر لنفسه فأما كلامه
فلا أكله أبدا ه قال وحدثني محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر عن أبيه قال كان
هشام بن إسماعيل يسيء جوارنا ويؤذينا ولقي منه علي بن الحسين أذى شديدا
فلما عزل أمر به الوليد أن يوقف للناس فقال ما أخاف إلا من علي بن الحسين
فمر به علي وقد وقف عند دار مروان وكان علي قد تقدم إلى خاصته أن لا يعرض
له أحد منهم بكلمة فلما مر ناداه هشام بن إسماعيل الله أعلم حيث يجعل رسالته
(وفي هذه السنة) قدم نيزك على قتيبة وصالح قتيبة أهل باذغيس على أن
لا يدخلها قتيبة

ذكر الخبر عن ذلك

ذكر علي بن محمد أن أبا الحسن الحشمي أخبره عن أشياخ من أهل خراسان
وجبله بن فروخ عن محمد بن المثني أن نيزك طرخان كان في يديه أسراء من المسلمين
وكتب إليه قتيبة حين صالح ملك شومان فيمن في يديه من أسرى المسلمين أن يطلقهم
ويهدده في كتابه بخافه نيزك فأطلق الأسرى وبعث بهم إلى قتيبة فوجه إليه قتيبة
سليما الناصح مولى عبيد الله بن أبي بكره يدعو إلى الصالح وإلى أن يؤمنه وكتب
إليه كتابا يخاف فيه بالله أن لم يقدم عليه ليغزونه ثم ليطلبته حيث كان لا يقع
عنه حتى يظفر به أو يموت قبل ذلك فقدم سليم على نيزك بكتاب قتيبة وكان يستنصحه
فقال له يا سليم ما أظن عند صاحبك خيرا كتب إلى كتابا لا يكتب إلى مثل قال

له سليم يا أبا الهيثاج إن هذا رجل شديد في سلطانه سهل إذا سوهل صعب إذا
 عُوسر فلا يمنعك منه غلظة كتابه إليك فما أحسن حالك عنده وعند جميع مضر
 فقدم نيزك مع سليم على قتيبة فصالحه أهل باذغيس في سنة ٨٧ على أن لا يدخل
 باذغيس (وفي هذه السنة) غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ومعه يزيد بن
 جبير فلقى الروم في عدد كثير بسوسنة من ناحية المصيصة قال الواقدي فيها لاقى
 مسلمة ميمونا الجرجاني ومع مسلمة نحو من ألف مقاتل من أهل انطاكية عند
 طوانة فقتل منهم بشرا كثيرا وفتح الله على يديه حصونا وقيل إن الذي غزا الروم
 في هذه السنة هشام بن عبد الملك ففتح الله على يديه حصن بولق وحصن الأخرم
 وحصن بولس وفتحهم وقتل من المستعربة نحو من ألف مقاتل وسبى ذراتهم
 ونساءهم (وفي هذه السنة) غزا قتيبة بيكند

ذكر الخبر عن غزوته هذه

ذكر علي بن محمد أن أبا الذيال أخبره عن المهلب بن إياس عن أبيه عن
 حصين بن مجاهد الرازي وهارون بن عيسى عن يونس بن أبي إسحاق وغيرهم
 أن قتيبة لما صالح نيزك أقام إلى وقت الغزو ثم غزا في تلك السنة سنة ٨٧ بيكند
 فسار من مرو وأتى مرو ووذ ثم أتى آمل ثم مضى إلى زم فقطع النهر وسار إلى
 بيكند وهي أدنى مدائن بخارى إلى النهر يقال لها مدينة التجار على رأس المفازة
 من بخارى فلما نزل بعقوتهم استنصروا الصغد واستمدوا من حولهم فأتوهم في
 جمع كثير وأخذوا بالطريق فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل إليه رسول ولم يجر له
 خبر شهرين وأبطأ خبره على الحجاج فأشفق الحجاج على الجند فأمر الناس بالدعاء
 لهم في المساجد وكتب بذلك إلى الأمصار وهم يقتتلون في كل يوم قال وكان لقتيبة
 عين يقال له تنذر من العجم فأعطاه أهل بخارى الأعلى مالا على أن يفتأ عنهم قتيبة
 فأتاه فقال أخلصي قهض الناس واحتبس قتيبة ضرار بن حصين الضبي فقال تنذر
 هذا عامل يقدم عليك وقد عزل الحجاج فلوانصرفت بالناس إلى مرو فدعا قتيبة
 سياه مولاه فقال اضرب عنق تنذر فقتله ثم قال لضرار لم يبق أحد يعلم هذا الخبر غيري

وغيرك وإني أعطى الله عهد ان ظهر هذا الحديث من أحد حتى تنقضي حر بنا هذه
لأحقنك به فأملك لسانك فان انتشار هذا الحديث يفتت في أعضاد الناس ثم
أذن للناس قال فدخلوا فراعهم قتل تنذر فوجروا وأطرقوا فقال قتيبة
ما يرو عنكم من قتل عبدأحانه الله قالوا إنا كنا نظنه ناصحا للمسلمين قال بل كان غاشا
فأحانه الله بذنبه فقد مضى لسبيله فاغدوا على قتال عدوكم والقوم بغير ما كنتم
تلقونهم به فغدا الناس متأهبين وأخذوا مصافهم ومشى قتيبة فحضر أهل الرايات
فكانت بين الناس مشاورة ثم تراحفوا والتقوا وأخذت السيوف مأخذها
وأنزل الله على المسلمين الصبر فقاتلوه حتى زالت الشمس ثم منح الله المسلمين
أكتافهم فانهزموا يريدون المدينة وأتبعهم المسلمون فشغلوه عن الدخول
فتفرقوا وركبهم المسلمون قتلا وأسرا كيف شاؤوا واعتصم من دخل المدينة
بالمدينة وهم قليل فوضع قتيبة الفعلة في أصلها ليهدمها فسألوه الصلح فصالحهم
واستعمل عليهم رجلا من بنى قتيبة وارتحل عنهم يريد الرجوع فلما سار مرحلة
أو ثنتين وكان منهم على خمس فراسخ نقضوا وكفروا فقتلوا العامل وأصحابه
وجدعوا آنفهم وأذانهم وبلغ قتيبة فرجع اليهم وقد تحصنوا فقاتلهم شهرا ثم
وضع الفعلة في أصل المدينة فعلقوها بالحشب وهو يريد إذا فرغ من تعليقها أن
يحرق الحشب فتهدم فسقط الحائط وهم يعلقونه فقتل أربعين من الفعلة فطلبوا
الصلح فأبى وقاتلهم فظفر بهم عنوة فقتل من كان فيها من المقاتلة وكان فيمن أخذوا
في المدينة رجل أعور كان هو الذي استجاش الترك على المسلمين فقال لقتيبة أنا
أفدى نفسى فقال له سليم الناصح ما تبذل قال خمسة آلاف حريرة صينية قيمتها
ألف ألف فقال قتيبة ماترون قالوا نرى أن فداء زيادة في غنائم المسلمين وما عسى
أن يبلغ من كيد هذا قال لا والله لا أتروع بك مسلمة أبدا وأمر به فقتل ه قال
على قال أبوالذيال عن المهلب بن إياس عن أبيه والحسن بن رشيد عن طفيل بن
مرداس أن قتيبة لما فتح يكند أصابوا فيها من آنية الذهب والفضة ما لا يحصى
فولى الغنائم والقسم عبد الله بن وألان العسوى أحد بنى ملكان وكان قتيبة

يسميه الأمين ابن الأمين وإياس بن بيهس الباهلي فأذا با الآنية والأصنام فرفعاه إلى قتيبة ورفعاه إليه خبث ما أذا با فوجه لها فأعطاها به أربعين ألفاً فأعلماه فرجع فيه وأمرهما أن يذياه فأذا باه فخرج منه خمسون ومائة ألف مثقال أو خمسون ألف مثقال وأصابوا في بيكند شيئاً كثيراً وصار في أيدي المسلمين من بيكند شيء لم يصيبوا مثله بخراسان ورجع قتيبة إلى مرو وقوى المسلمون فاشتروا السلاح والخيل وجلبت اليهم الدواب وتنافسوا في حسن الهيئة والعدة وغالوا بالسلاح حتى بلغ الرمح سبعين وقال الكميت:

ويوم بيكند لا تُحصى عجائبه وما يُخاراء بما أخطأ العدُدُ

وكان في الخزائن سلاح وآلة من آلة الحرب كثيرة فكتب قتيبة إلى الحجاج يستأذنه في دفع ذلك السلاح إلى الجند فأذن له فأخرجوا ما كان في الخزائن من عدة الحرب وآلة السفر فقسمه في الناس فاستعدوا فلما كان أيام الربيع ندب الناس وقال إني أغزيكم قبل أن تحتاجوا إلى حمل الزاد وانتقلكم قبل أن تحتاجوا إلى الإدفاء فسار في عدة حسنة من الدواب والسلاح فأتى آمل ثم عبر من زم إلى بخارى فأتى نوذشكث وهي من بخارى فصالحوه قال علي حدثنا أبو الذيال عن أشياخ من بني عدي أن مسلماً الباهلي قال لو ألان إن عندي مالا أحب أن أستودعك قال أتريد أن يكون مكتوماً أو لا تكره أن يعلمه الناس قال أحب أن تكتمه قال ابعث به مع رجل تثق به إلى موضع كذا وكذا ومره إذا رأى رجلاً في ذلك الموضع أن يضع مامعه وينصرف قال نعم فجعل مسلم المال في خرّج ثم حمله على بغل وقال لمولى له انطلق بهذا البغل إلى موضع كذا وكذا فإذا رأيت رجلاً جالساً نخلاً عن البغل وانصرف فانطلق الرجل بالبغل وقد كان وألان أتى الموضع لميعاده فأبطأ عليه رسول مسلم ومضى الوقت الذي وعده فظن أنه قد بدا له فانصرف وجاء رجل من بني تغلب فجلس في ذلك الموضع وجاء مولى مسلم فرأى الرجل جالساً نخلاً عن البغل ورجع فقام التغابي إلى البغل فلما رأى المال ولم ير مع البغل أحداً قاد البغل إلى منزله فأخذ البغل وأخذ المال فظن مسلم أن

المال قد صار إلى وألان فلم يسأل عنه حتى احتاج إليه فلقبه فقال مالي فقال ما قبضت شيئاً لالك عندي مال قال فكان مسلم يشكوه ويتنقصه قال فأتى يوماً مجلس بني ضبيعة فشكاه والتغلي جالس فقام إليه فخلاً به وسأله عن المال فأخبره فانطلق به إلى منزله وأخرج الخُرج فقال أتعرفه قال نعم قال والخاتم قال نعم قال اقبض مالك وأخبره الخبر فكان مسلم يأتي الناس والقبائل التي كان يشكو اليهم وألان فيعذره ويخبرهم الخبر وفي وألان يقول الشاعر:

لست كَوَألانَ الذي سَادَ بالثقي ولست كَعِمْرانَ وَلَا كالمُهَلبِ

وعمران بن الفضيل البرجمي (وحج) بالناس في هذه السنة فيما حدثني أحمد ابن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر عمر بن عبدالعزيز وهو أمير على المدينة وكان على قضاء المدينة في هذه السنة أبو بكر بن عمرو بن حزم من قبل عمر بن عبدالعزيز وكان على العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وخليفته على البصرة في هذه السنة فيما قيل الجراح بن عبد الله الحكمي وعلى قضائها عبد الله بن أذينة وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جرير بن عبد الله وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى الأشعري وعلى خراسان قتيبة بن مسلم

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من فتح الله على المسلمين حصناً من حصون الروم يدعى طوارة في جمادى الآخرة وشتوا بها وكان على الجيش مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك ه فذكر محمد بن عمر الواقدي أن ثور بن يزيد حدثه عن أصحابه قال كان فتح طوارة على يدي مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد وهزم المسلمون العدو يومئذ هزيمة صاروا إلى كنيستهم ثم رجعوا فانهزم الناس حتى ظنوا ألا يجتبروها أبداً وبقى العباس معه نفيهم ابن محيرز الجهمي فقال العباس لابن محيرز أين أهل القرآن الذين يريدون

الجنة فقال ابن محيرز نادهم يأتوك فنادى العباس يا أهل القرآن فأقبلوا جميعاً فهزم الله العدو حتى دخلوا طوانة وكان الوليد بن عبد الملك ضرب عبد الملك ضرب البعث على أهل المدينة في هذه السنة ٥ فذكر محمد بن عمر عن أبيه أن مخرمة بن سليمان الوالبي قال ضرب عليهم بعث ألفين وإنهم تجاعلوا فخرج ألف وخمسمائة وتخلف خمسمائة فغزوا الصائفة مع مسلمة والعباس وهما على الجيش وإنهم شتوا بطوانة وافتحوها (وفيها) ولد الوليد بن يزيد بن عبد الملك (وفيها) أمر الوليد بن عبد الملك بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدم بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وإدخالها في المسجد فذكر محمد بن عمر أن محمد بن جعفر بن وردان البناء قال رأيت الرسول الذي بعثه الوليد بن عبد الملك قدم في شهر ربيع الأول سنة ٨٨ قدم معتجراً فقال الناس ما قدم به الرسول فدخل على عمر بن عبد العزيز بكتاب الوليد يأمره بإدخال حُجْر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله وأن يشتري ما في مؤخره ونواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ويقول له قدم القبلة إن قدرت وأنت تقدر لمكان أخوالك فإنهم لا يخالفونك فمن أبي منهم فمر أهل المصر فليقوموا له قيمة عدل ثم اهدم عليهم وادفع اليهم الأثمان فإن لك في ذلك سلف صدق عمر وعثمان فأقرأهم كتاب الوليد وهم عنده فأجاب القوم إلى الثمن فأعطاه إياه وأخذ في هدم بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبناء المسجد فلم يمكث إلا يسيراً حتى قدم الفعلة بعث بهم الوليد (قال محمد بن عمر) وحدثني موسى ابن يعقوب عن عمه قال رأيت عمر بن عبد العزيز يهدم المسجد ومعه وجوه الناس القاسم وسالم وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث وعبيد الله بن عبد الله ابن عتبة وخارجة بن زيد وعبد الله بن عبد الله بن عمر يُروونه أعلاماً في المسجد ويقدرونه فأتسوا أساسه (قال محمد بن عمر) وحدثني يحيى بن النعمان الغفاري عن صالح بن كيسان قال لما جاء كتاب الوليد من دمشق سار خمس عشرة بهدم المسجد تجرد عمر بن عبد العزيز قال صالح فاستعملني على هدمه وبنائه فهدمناه

بعمال المدينة فبدأنا بهدم بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حتى قدم علينا
 الفعلة الذين بعث بهم الوليد (قال محمد) وحدثني موسى بن أبي بكر عن صالح
 ابن كيسان قال ابتدأنا بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر من
 سنة ٨٨ وبعث الوليد إلى صاحب الروم يُعلمه أنه أمر بهدم مسجد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وأن يُعينه فيه فبعث إليه بمائة ألف مثقال ذهب وبعث إليه
 بمائة عامل وبعث إليه من الفُسيّفاء بأربعين حملاً وأمر أن يتبع الفسيّفاء في
 المدائن التي خربت فبعث بها إلى الوليد فبعث بذلك الوليد إلى عمر بن عبدالعزيز
 (وفي هذه السنة) ابتداء عمر بن عبدالعزيز في بناء المسجد (وفيها) غزا أيضا
 مسلمة الروم ففتح على يديه حصون ثلاثة حصن قسطنطين وغازاة وحصن الأخرم
 وقتل من المستعربة نحو من ألف مع سبي الذرية وأخذ الأموال (وفي هذه السنة)
 غزا قتيبة نوْمَشَكْت وراميثنه

ذكر الخبر عما كان من خبر غزوته هذه

ه ذكر علي بن محمد أن المفضل بن محمد أخبره عن أبيه ومصعب بن حيان عن
 مولى لهم أدرك ذلك أن قتيبة غزا نوْمَشَكْت في سنة ٨٨ واستخلف على مرو بشار
 ابن مسلم فلقاه أهلها فصالحهم ثم صار إلى راميثنه فصالحه أهلها فانصرف عنهم
 وزحف إليه الترك معهم السغد وأهل فرغانة فاعترضوا المسلمين في طريقهم
 فلحقوا عبد الرحمن بن مسلم الباهلي وهو على الساقة بينه وبين قتيبة وأوائل العسكر
 ميل فلما قربوا منه أرسل رسولا إلى قتيبة يخبره وغشيه الترك فقاتلوه وأتى الرسول
 قتيبة فرجع بالناس فأنهى إلى عبد الرحمن وهو يقاتلهم وقد كاد الترك يستعلونهم
 فلما رأى الناس قتيبة طابت أنفسهم فصبروا وقاتلوه إلى الظهر وأبلى يومئذ نيزك
 وهو مع قتيبة فهزم الله الترك وفض جمعهم ورجع قتيبة يريد مرو وقطع النهر من
 الترمذ يريد بلخ ثم أتى مرو وقال الباهليون لقي الترك المسلمين عليهم كوربغانون
 التركي ابن أخت ملك الصين في مائتي ألف فأظهر الله المسلمين عليهم (وفي هذه
 السنة) كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبدالعزيز في تسهيل الثنايا وحفر

الآبار في البلدان (قال محمد بن عمر) حدثني ابن أبي سبرة قال حدثني صالح ابن كيسان قال كتب الوليد إلى عمر في تسهيل الثنايا وحفر الآبار بالمدينة وخرجت كتبته إلى البلدان بذلك وكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله بذلك قال وحبس المجذمين عن أن يخرجوا على الناس وأجرى عليهم أرزاقا وكانت تجرى عليهم وقال ابن أبي سبرة عن صالح بن كيسان قال كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز أن يعمل الفوارة التي عند دار يزيد بن عبد الملك اليوم فعملها عمر وأجرى ماءها فلما حج الوليد وقف عليها فنظر إلى بيت الماء والنوارة فأعجبته وأمر لها بقوام يقومون عليها وأن يسقى أهل المسجد منها ففعل ذلك (وحج) بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز في رواية محمد بن عمر ذكر أن محمد بن عبد الله بن جبير مولى لبني العباس حدثه عن صالح بن كيسان قال خرج عمر بن عبد العزيز تلك السنة يعني سنة ٨٨ بعدة من قريش أرسل اليهم بصلات وظهر للأحمولة وأحرموا معه من ذى الحليفة وساق معه بدنا فلما كان بالتنعيم لقيهم نفر من قريش منهم ابن أبي مليكة وغيره فاخبروه أن مكة قليلة الماء وانهم يخافون على الحاج العطش وذلك ان المطر قل فقال عمر فالمطلب ههنا بين تعالوا ندع الله قال فرأيتهم دعوا ودعا معهم فألحوا في الدعاء قال صالح فلا والله ان وصلنا إلى البيت ذلك اليوم إلا مع المطر حتى كان مع الليل وسكنت السماء وجاء سيل الوادي فجاء أمر خافه أهل مكة ومطرت عرفة ومنى وجمع فما كانت إلا عبرا قال ونبئت مكة تلك السنة للنخصب . وأما أبو معشر فانه قال حج بالناس سنة ٨٨ عمر بن الوليد بن عبد الملك حدثني بذلك احمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه وكانت العمال على الأمصار في هذه السنة العمال الذين ذكرنا انهم كانوا عمالها في سنة ٨٧

ثم دخلت سنة تسع وثمانين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

من ذلك افتتاح المسلمين في هذه السنة حصن سوروية وعلى الجيش مسلمة بن

عبد الملك زعم الواقدي أن مسلمة غزا في هذه السنة أرض الروم ومعه العباس
ابن الوليد ودخلها جميعا ثم تفرقا فافتتح مسلمة حصن سورية وافتتح العباس
اذرونية ووافق من الروم جمعا فهزمهم وأما غير الواقدي فإنه قال قصد مسلمة
عمورية فوافق بها للروم جمعا كثيرا فهزمهم الله وافتتح هرقله وقمودية وغزا
العباس الصائفة من ناحية البندنون (وفي هذه السنة) غزا قتيبة بخارى ففتح
راميته ٥ ذكر علي بن محمد عن الباهليين أنهم قالوا ذلك وأن قتيبة رجع بعد
ما فتحها في طريق بلخ فلما كان بالفارياب أتاه كتاب الحجاج أن رِدَّ وردان خذاه
فرجع قتيبة سنة ٨٩ فأتى زَمَّ فقطع النهر فلقية السغد وأهل كَسَّ ونسف في طريق
المفازة فقاتلوه فظفر بهم ومضى إلى بخارى فتزل خرقانة السفلى عن يمين وردان
فلقوه بجمع كثير فقاتلهم يومين وليلتين ثم أعطاه الله الظفر عليهم فقال نهارين توسعة
وبات لهم منا بخرقان كيلة وليلتنا كانت بخرقان أطولا

قال علي أخبرنا أبو الذيال عن المهلب بن إياس وأبو العلاء عن إدريس
ابن حنظلة أن قتيبة غزا وردان خذاه ملك بخارى سنة ٨٩ فلم يطقه ولم يظفر من
البلد بشيء فرجع إلى مرو وكتب إلى الحجاج بذلك فكتب إليه الحجاج أن صورها
لِيُبعث إليه بصورتها فكتب إليه الحجاج أن ارجع إلى مراغتك فكتب إلى الله
عما كان منك وأنها من مكان كذا وكذا وقيل كتب إليه الحجاج أن كَسَّ بكس
وانسف نسفا وردان وإياك والتحويط ودعني من بنيات الطريق (وفي هذه
السنة) ولي خالد بن عبد الله القسري مكة فيما زعم الواقدي وذكر أن عمر بن صالح
حدثه عن نافع مولى بني مخزوم قال سمعت خالد بن عبد الله يقول علي منبر مكة
وهو يخطب أيها الناس أيها أعظم أ خليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم والله
لو لم تعلموا فضل الخليفة إلا إن إبراهيم خليل الرحمن استسقى فسقاه ملحا أجاجا
واستسقاء الخليفة فسقاه عذبا فراتا بئرا حفرها الوليد بن عبد الملك بالثنتين ثنية
طوى وثنية الحجون فكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من آدم إلى جنب زمزم
ليُعرف فضله على زمزم قال ثم غارت البئر فذهبت فلا يدري أين هي اليوم

(وفيها) غزا مسلمة بن عبد الملك الترك حتى بلغ الباب من ناحية آذربيجان ففتح حصونا ومدائن هنالك (وحج) بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكان العمال في هذه على الأعمار الهمال في السنة التي قبلها وقد ذكرناهم قبل

ثم دخلت سنة تسعين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

(في هذه السنة) غزا مسلمة أرض الروم فيما ذكر محمد بن عمر من ناحية سورية ففتح الحصون الخمسة التي بسورية (وغزا) فيها العباس بن الوليد قال بعضهم حتى بلغ الأرزق وقال بعضهم حتى بلغ سورية وقال محمد بن عمر قول من قال حتى بلغ سورية أصح (وفيها) قتل محمد بن القاسم الثقفي داهر بن صصة ملك السند وهو على جيش من قبل الحجاج بن يوسف (وفيها) استعمل الوليد قرّة بن شريك على مصر موضع عبد الله بن عبد الملك (وفيها) أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر فذهبوا به إلى ملكهم فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك (وفيها) فتح قتيبة بخارى وهزم جموع العدو بها

ذكر الخبر عن ذلك

ذكر علي بن محمد أن أبا الذيال أخبره عن المهلب بن إياس وأبو العلاء عن إدريس ابن حنظلة أن كتاب الحجاج لما ورد على قتيبة يأمره بالتوبة مما كان من انصرافه عن وردان خذاه ملك بخارى قبل الظفر به والمصير إليه ويعرفه الموضع الذي يلغى له أن يأتي بلده منه خرج قتيبة إلى بخارى في سنة ٩٠ غازياً فأرسل وردان خذاه إلى السغد والترك ومن حولهم يستنصرونهم فأتوهم وقد سبق إليها قتيبة فحصرهم فلما جاءتهم أمدادهم خرجوا إليهم ليقاتلوهم فقالت الأزد اجعلونا على حدة وخلوا بيننا وبين قتالهم فقال قتيبة تقدموا فتقدموا يقاتلونهم وقتيبة جالس عليه رداءً أصفر فوق سلاحه فصبروا جميعاً ملياً ثم جال المسلمون وركبهم المشركون

فخطموهم حتى دخلوا في عسكر قتيبة وجازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكين
فكروا راجعين وانطوت مجنبتا المسلمين على الترك فقاتلوه حتى ردوهم إلى موافقهم
فوقف الترك على نثر فقال قتيبة من يزيلهم لنا عن هذا الموضع فلم يقدم عليهم
أحد والاحياء كلها وقوف فمشى قتيبة إلى بنى تميم فقال يا بنى تميم إنكم أنتم بمنزلة الحطمية
فيوم كأيامكم أبي لكم الفداء قال فأخذ وكيع اللواء بيده وقال يا بنى تميم أتسلمونني
اليوم قالوا لا يا أبا مطرف وهريم بن أبي طحمة المجاشعي على خيل بنى تميم ووكيع
رأسهم والناس وقوف فأحجموا جميعا فقال وكيع يا هريرم قدم ودفع إليه الراية
وقال قدم خيلك فتقدم هريرم ودب وكيع في الرجال فاتهى هريرم إلى نهر بينه
وبين العدو فوقف فقال له وكيع اتحم يا هريرم قال فنظر هريرم إلى وكيع
نظر الجمل الصورل وقال أنا أتحم خيلي هذا النهر فان انكشفت كان
ملاكها والله إنك لأحق قال يا ابن اللخناء ألا أراك ترد أمرى وحذفه
بعمود كان معه فضرب هريرم فرسه فأفحمه وقال ما بعد هذا أشد من هذا وعب
هريرم في الخيل وانتهى وكيع إلى النهر فدعا بنخشب فقنطر النهر وقال لأصحابه من
وطن منكم نفسه على الموت فليعبر ومن لا فليثبت مكانه فما عبّر معه إلا ثمانمائة
راجل فذب فيهم حتى إذا أعيوا أقعدهم فأراحوا حتى دنا من العدو فجعل الخيل
مجنبتين وقال لهريرم إنى مطاعن القوم فاشغلهم عنا بالخيل وقال للناس شدوا فحملوا
فما انثروا حتى خالطوهم وحمل هريرم خيله عليهم فطاعنوهم بالرماح فما كفوا عنهم
حتى حدرهم عن موقفهم ونادى قتيبة أماترون العدو منهزمين فما عبّر أحد ذلك
النهر حتى ولى العدو منهزمين فأتبعهم الناس ونادى قتيبة من جاء برأس فله مائة
قال فزعم موسى بن المتوكل القريعي قال جاء يومئذ أحد عشر رجلا من بنى قريع
كل رجل رجل يحمي برأس فيقال له من أنت فيقول قريعي قال بقاء رجل من
الأزد برأس فألقاه فقالوا له من أنت قال قريعي قال وجهم بن زحر قاعد فقال
كذب والله أصلحك الله انه لابن عمي فقال له قتيبة ويحك مادعاك إلى هذا قال
رأيت كل من جاء قال قريعي فظننت أنه ينبغي لكل من جاء برأس أن يقول قريعي

قال فضحك تنبية قال وجرح يومئذ خافان وابنه ورجع قتيبة إلى مرو وكتب إلى الحجاج انى بعثت عبد الرحمن بن مسلم ففتح الله على يديه قال وقد شهد الفتح مولى للحجاج فقدم فأخبره الخبر فغضب الحجاج على قتيبة فاغتم لذلك فقال له الناس ابعت وفدا من بنى تميم وأعطتهم وأرضهم يُخبروا الأمير أن الأمر على ما كتبت فبعث رجالا فيهم عرام بن شتير الضبي فلما قدموا على الحجاج صاح بهم وعابهم ودعا بالحجام بيده مقراض فقال لأقطعن ألسنتكم أو لتصدقنى قالوا الأمير قتيبة وبعث عليهم عبد الرحمن فالفتح للأمير والرأس الذى يكون على الناس وكله بهذا عرام بن شتير فسكن الحجاج (وفي هذه السنة) جدد قتيبة الصلح بينه وبين طرخون ملك السغد

ذكر الخبر عن ذلك

ه قال على ذكر أبو السرى عن الجهم الباهلى قال لما أوقع قتيبة بأهل بخارى ففرض جمعهم هابه أهل السغد فرجع طرخون ملك السغد ومعه فارسان حتى وقف قريبا من عسكر قتيبة وبينهما نهر بخارى فسأل أن يبعث إليه رجلا يكلمه فأمر قتيبة رجلا فدنا منه وأما الباهليون فيقولون نادى طرخون حيان النبطى فأتاه فسألهم الصلح على فدية يؤديها اليهم فأجابه قتيبة إلى ما طلب وصالحه وأخذ منه رهنا حتى يبعث إليه بما صالحه عليه وانصرف طرخون إلى بلاده ورجع قتيبة ومعه نيزك (وفي هذه السنة) غدر نيزك ففرض الصلح الذى كان بينه وبين المسلمين وامتنع بقلعته وعاد حربا فغزاه قتيبة

ذكر الخبر عن سبب غدره وسبب الظفر به

ه قال على ذكر أبو الذيال عن المهلب بن إياس والمفضل الضبي عن أبيه وعلى ابن مجاهد وكليب بن خلف العمى كل قد ذكر شيئا فألفته وذكر الباهليون شيئا فألحقته فى خبر دولاهم وألفته أن قتيبة فصل من بخارى ومعه نيزك وقد ذعره ما قدر أى من الفتوح وخاف قتيبة فقال لأصحابه وخاصته مُتَّهَمٌ أنا مع هذا ولست آمنه وذلك أن العربى بمنزلة الكلاب إذا ضربته نبح وإذا أطعمته بصيص واتبعك

وإذا غزوته ثم أعطيته شيئاً رضى ونسى ما صنعت به وقد قاتله طرخون مرارا فلما أعطاه فديةً قبلها ورضى وهو شديد السطوة فاجر فلو استأذنتُ ورجعتُ كان الرأي قالوا استأذنه فلما كان قتيبة يأمل استأذنه في الرجوع إلى تخارستان فأذنه فلما فارق عسكره متوجهاً إلى بلخ قال لأصحابه أغذوا السير فساروا سيرا شديداً حتى أتوا النوبهار فنزل يصلى فيه وتبرك به وقال لأصحابه إني لأشك أن قتيبة قد ندم حين فارقنا عسكره على أذنه لى وسيقدم الساعة رسوله على المغيرة بن عبد الله يأمره بحبسى فأقيموا ربه تنظر فإذا رأيتم الرسول قد جاوز المدينة وخرج من الباب فإنه لا يباع البروقان حتى يباع تخارستان فيبعث المغيرة رجلاً فلا يدركنا حتى ندخل شعب خلم ففعلوا قال وأقبل رسولٌ من قبيل قتيبة إلى المغيرة يأمره بحبس نيزك فلما مر الرسول إلى المغيرة وهو بالبروقان ومدينة بلخ يومئذ خراب ركب نيزك وأصحابه فمضوا وقدم الرسول على المغيرة فركب بنفسه في طلبه فوجده قد دخل شعب خلم فانصرف المغيرة وأظهر نيزك الخلع وكتب إلى أصبهن بلخ وإلى باذام ملك مرو وروذ وإلى سهرك ملك الطالقان وإلى ترسل ملك الفارياب وإلى الجوزجاني ملك الجوزجان يدعوهم إلى خلع قتيبة فأجابوه وواعدهم الربيع أن يجتمعوا ويغزوا قتيبة وكتب إلى كابل شاه يستظهر به وبعث إليه بثقله وماله وسأله أن يأذن له إن اضطر إليه أن يأتيه ويؤمنه في بلاده فأجابه إلى ذلك وضم ثقله قال وكان جيفويه ملك تخارستان ضعيفاً واسمه الشد فأخذه نيزك فقيده بقيد من ذهب مخافة أن يشغب عليه وجيفويه ملك تخارستان ونيزك من عبيده فلما استوثق منه وضع عليه الرقباء وأخرج عامل قتيبة من بلاد جغوبه وكان العامل محمد بن سليم الناصح وبلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء وقد تفرق الجند فلم يبق مع قتيبة إلا أهل مرو فبعث عبد الرحمن أخاه إلى بلخ في اثني عشر ألفاً إلى البروقان وقال أقم بها ولا تحدث شيئاً فإذا حصر الشتاء فمسكر وسر نحو تخارستان واعلم أني قريب منك فسار عبد الرحمن فنزل البروقان وأمهل قتيبة حتى إذا كان في آخر الشتاء كتب إلى أبرشهر وبيورد وسرخس

وأهل هراة ليقدّموا عليه فقدموا قبل أو انهم الذي كانوا يقدمون عليه فيه (وفي هذه السنة) أوقع قتيبة بأهل الطالقان بخراسان فيما قال بعض أهل الأخبار فقتل من أهلها مقتلة عظيمة وصلب منهم ستمائة وأربعة فراسخ في نظام واحد ذكر الخبر عن سبب ذلك

وكان السبب في ذلك فيما ذكر أن نيزك طرخان لما غدر وخلق قتيبة وعزم على حربه طابقه على حربه ملك الطالقان وواعد المصير إليه من استجاب للنهوض معه من الملوك لحرب قتيبة فلما هرب نيزك من قتيبة ودخل شعب خلم الذي يأخذ إلى طخارستان علم أنه لا طاقة له بقتيبة فهرب وسار قتيبة إلى الطالقان فأوقع بأهلها ففعل ما ذكر في ما قبل وقد خولف قائل هذا القول فيما قال من ذلك وأنا إذا ذكره في أحداث سنة ٩١ (و حج) بالناس في هذه السنة عمر بن عبدالعزيز كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال محمد بن عمر وكان عمر بن عبدالعزيز في هذه السنة عامل الوليد بن عبد الملك على مكة والمدينة والطائف وعلى العراق والمشرق الحجاج بن يوسف وعامل الحجاج على البصرة الجراح بن عبد الله وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة وعلى الكوفة زياد ابن جرير بن عبد الله وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى وعلى خراسان قتيبة بن مسلم وعلى مصر قرة بن قرة بن شريك (وفي هذه السنة) هرب يزيد بن المهلب وإخوته الذين كانوا معه في السجن مع آخرين غيرهم فلحقوا بسليمان بن عبد الملك مستجيرين به من الحجاج بن يوسف والوليد بن عبد الملك

ذكر الخبر عن سبب تخلصهم من سجن الحجاج ومسيرهم إلى سليمان (قال هشام) حدثني أبو مخنف عن أبي المخارق الراسبي قال خرج الحجاج إلى رُسْتُقْبَاذ للبعث لأن الأكراد كانوا قد غلبوا على عامة أرض فارس فخرج يزيد وباخوته المفضل وعبد الملك حتى قدم بهم رُسْتُقْبَاذ فجعلهم في عسكره وجعل عليهم كهيفة الخندق وجعلهم في فسطاط قريبا من حجرتهم وجعل عليهم حرسا من أهل الشام وأغرمهم ستة آلاف ألف وأخذ يعذبهم وكان يزيد يصبر صبورا

حسنا وكان الحجاج يغيظه ذلك فقبل له إنه رُمى بلشابة فثبت نصلها في ساقه فهو لا يمسها شيء إلا صاح فان حركت أدنى شيء سمعت صوته فأمر أن يعذب ويدهق ساقه فلما فعل ذلك به صاح وأخته هند بنت المهلب عند الحجاج فلما سمعت صباح يزيد صاحت وناحت فطلقها ثم إنه كف عنهم وأقبل يستأديهم فأخذوا يؤدون وهم يعملون في التخلص من مكانهم فبعثوا إلى مروان بن المهلب وهو بالبصرة يأمره أن يضم لهم الخيل ويرى الناس أنه إنما يريد بيعها ويعرضها على البيع ويُغلي بها لئلا تُشترى فتكون لنا عُدَّة إن نحن قدرنا على أن نجوئها ههنا ففعل ذلك مروان وحبيب بالبصرة يعذب أيضا وأمر يزيد بالحرس فصنع لهم طعام كثير فأكلوا وأمر بشراب فسقوا فكانوا متشاغلين به ولبس يزيد ثياب طبأخه ووضع على لحيته لحية بيضاء وخرج فرآه بعض الحرس فقال كأن هذه مشية يزيد فجاء حتى استعرض وجهه ليلا فرأى يياض اللحية فانصرف عنه فقال هذا شيخ وخرج المفضل على أثره ولم يُفطن له فجأوا إلى سفنهم وقد هياؤها في البطائح وبينهم وبين البصرة ثمانية عشر فرسخا فلما انتهوا إلى السفن أبطأ عليهم عبد الملك وشغل عنهم فقال يزيد للمفضل اركب بنا فإنه لاحق فقال المفضل وعبد الملك أخوه لأمه وهي بهلة هندية لا والله لا أبرح حتى يجي ولو رجعت إلى السجن فأقام يزيد حتى جاءهم عبد الملك وركبوا عند ذلك السفن فساروا إليهم حتى أصبحوا ولما أصبح الحرس علموا بذهابهم فرفع ذلك إلى الحجاج وقال الفرزدق في خروجهم

لَمْ أَرِ كَالرَّهْطِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا
مَضَوْا وَهُمْ مُسْتَيْقِنُونَ بِأَنَّهُمْ
وَإِنْ مِنْهُمْ إِلَّا يُسَكَّنُ جَائِسُهُ
فَلَمَّا التَّقَوْا لَمْ يَلْتَقُوا بِمَنْقَرِهِ
بِمَثَلِ أَبِيهِمْ حِينَ تَمَّتْ لِدَائِهِمْ
فَفَرَعَ لَهُ الْحَجَّاجُ وَذَهَبَ وَهَمَّهُ أَنَّهُمْ ذَهَبُوا قَبْلَ خِرَاسَانَ وَبَعَثَ الْبَرِيدَ إِلَى قَتِيْبَةَ
عَلَى الْجُدْعِ وَالْحِرَاسُ غَيْرُ نِيَامِ
إِلَى قَدَرِ آجَالِهِمْ وَحِمَامِ
بِعَضْبِ صَقِيلِ صَارِمٍ وَحُسَامِ
كَبِيرٍ وَلَا رَحِصِ الْعِظَامِ غُلَامِ
بِخَمْسِينَ تَنْرِي جُرَاةٍ وَتَمَامِ

ابن مسلم يحذره قدومهم ويأمره أن يستعد لهم وبعث إلى أمراء الثغور والكور أن يرصدوهم ويستعدوا لهم وكتب إلى الوليد بن عبد الملك يُخبره بهم وأنه لا يراهم أرادوا إلا خراسان ولم يزل الحجاج يظن بيزيد ما صنع كان يقول إني لأظنه يحدث نفسه بمثل الذي صنع ابن الأشعث ولما دنا يزيد من البطائح من موقع استقباله الخيل قد هبتت له وإخوته نخرجوا عليها ومعهم دليل لهم من كلب يقال له عبد الجبار بن يزيد بن الربعة فأخذ بهم على السماوة وأتى الحجاج بعد يومين فقبل له إنما أخذ الرجل طويق الشام وهذه الخيل حسرى في الطريق وقد أتى من رآهم موجهين في البر فبعث إلى الوليد يعلمه ذلك ومضى يزيد حتى قدم فلسطين فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي وكان كريماً على سليمان وأنزل بعض ثقله وأهله على سفيان بن سليمان الأزدي وجاء وهيب بن عبد الرحمن حتى دخل على سليمان فقال هذا يزيد بن المهلب وإخوته في منزلي وقد أتوك هرباً من الحجاج متعوذين بك قال فأتى بهم فهم آمنون لا يوصل إليهم أبداً وأنا حتى فجاء بهم حتى أدخلهم عليه فكانوا في مكان آمن وقال الكلبي دليهم في مسيرهم

أَلَا جَعَلَ اللَّهُ الْإِخْلَاءَ كُلَّهُمْ
لِنِعْمِ الْفَتَى يَامَعْشَرَ الْأَزْدِ أَسَعَفَتْ
عَدْلَانِ يَمِينًا عَنْهُمْ رَمْلٌ عَالِجٌ
فَإِلَّا تُصْبِحَ بَعْدَ خَمْسِ رَكَبْنَا
تَقَرُّ قَرَارَ الشَّمْسِ مَا وَرَاءَنَا
بِقَوْمٍ هُمْ كَانُوا الْمُلُوكَ هَدَيْتُهُمْ
وَلَا قَمِيرٍ إِلَّا ضَيْلًا كَأَنَّهُ
فِدَاءٌ عَلَى مَا كَانَ لابن المهلب
رِكَابُكُمْ بِالْوَهْبِ شَرِيقِي مَنْقَبِ
وَذَاتِ يَمِينِ الْقَوْمِ أَعْلَامُ غُرَبِ
سُلَيْمَانَ مِنْ أَهْلِ اللُّوِي تَأَوَّبِ
وَتَذَهَبُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبِ
بِظَامَاءَ لَمْ يُبْصِرْ بِهَا ضَوْءَ كَوْكَبِ
سِوَارِ حَنَاهُ صَائِغِ السُّورِ مُذْهَبِ

(قال هشام) فأخبرني الحسن بن أبان العليمي قال بينا عبد الجبار بن يزيد ابن الربعة يسرى بهم فسقطت عمامة يزيد فقدها فقال يا عبد الجبار ارجع فاطلبها لنا قال إن مثل لا يؤمر بهذا فأعاد فأبى فتناوله بالسوط فانتسب له فاستحيامنه فذلك قوله

أَلَا جَعَلَ اللَّهُ الْإِخْلَاءَ كُلَّهُمْ فِدَاءٌ عَلَى مَا كَانَ لابن المهلب

وكتب الحجاج أن آل المهلب خانوا مال الله وهربوا مني ولحقوا بسليمان
وكان آل المهلب قدموا على سليمان وقد أمر الناس أن يحصلوا اليسر حوا إلى خراسان
لا يرون إلا أن يزيد توجه إلى خراسان ليفتن من بها فلما بلغ الوليد مكانه عند سليمان
هون عليه بعض ما كان في نفسه وطار غضبا للبال الذي ذهب به وكتب سليمان
إلى الوليد أن يزيد بن المهلب عندي وقد آمنت به وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف كان الحجاج
أغرهم ستة آلاف ألف فأدوا ثلاثة آلاف ألف وبقي ثلاثة آلاف ألف فهي على
فكتب إليه لا والله لا أرمنه حتى تبعث به إلى فكتب إليه إن أنا بعثت به إليك لا جئت
معه فأشددك الله ألا تفضحني ولا أن تخفرني فكتب إليه والله لن جئتني لا أرمنه فقال
يزيد ابعتني إليه فوالله ما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحربا ولا أن يتشاءم بي
لكما الناس ابعت إليه بي وأرسل معي ابنك و اكتب إليه بالطف ما قدرت عليه
فأرسل ابنه أيوب معه وكان الوليد أمره أن يعث به إليه في وثاق فبعث به إليه
وقال لابنه إذا أردت أن تدخل عليه فادخل أنت ويزيد في سلسلة ثم ادخلا جميعا
على الوليد ففعل ذلك به حين انهبيا إلى الوليد فدخلا عليه فلما رأى الوليد ابن
أخيه في سلسلة قال والله لقد بلغنا من سليمان ثم إن الغلام دفع كتاب أبيه إلى عمه
وقال يا أمير المؤمنين نفسي فداؤك لا تخفر ذمة أبي وأنت أحق من منعها ولا تقطع
منار جاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك ولا تذلل من رجا العز في الانقطاع
إلينا لعزنا بك وقرأ الكتاب لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك
أما بعد يا أمير المؤمنين فوالله إن كنت لأظن لو استجار بي عدو قد نابذك وجاهدك
فأنزله وأجرته أنك لا تذلل جاري ولا تخفر جوارى بل لم أجر إلا سامعا مطيعا
حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته وقد بعثت به إليك فإن
كنت إنما تغزو قطيعتي والإخفار لذمتي والإبلاغ في مساءتي فقد قدرت إن
أنت فعلت وأنا أعيدك بالله من احترام قطيعتي وانتهاك حرمتي وترك برى
وصلتى فوالله يا أمير المؤمنين ما تدرى ما بقائى وبقاؤك ولا متى يفرق الموت
بينى وبينك فإن استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره أن لا يأتي علينا

أجلُ الوفاة الا وهولى واصل ولحقى مؤدوعن مساءتى نازع فليفعل والله
يا أمير المؤمنين ما أصبحت بشيء من أمر الدنيا بعد تقوى الله فيها بأسر منى برضاك
وسرورك وان رضاك مما ألتبس به رضوان الله فإن كنت يا أمير المؤمنين تريد وما
من الدهر مسرتى وصلتى وكرامتى وإعظام حقى فتجاوزلى عن يزيد وكل ما طلبته
به فهو على فلما قرأ كتابه قال لقد شفقتنا على سليمان ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه
وتكلم يزيد فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال
يا أمير المؤمنين إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء فمن ينس ذلك فلسنا ناسيه ومن
يكفر فلسنا كافريه وقد كان من بلائنا أهل البيت فى طاعتكم والطعن فى أعين
أعدائكم فى المواطن العظام فى المشارق والمغارب ما إن المنة علينا فيها عظيمة
فقال له اجلس فجلس فأمنه وكف عنه ورجع إلى سليمان وسعى إخوته فى المال
الذى عليه وكتب إلى الحجاج إنى لم أصل إلى يزيد وأهل بيته مع سليمان فاكف
عنهم والله عن الكتاب إلى فيهم فلما رأى ذلك الحجاج كف عنهم وكان أبو عيينة
ابن المهلب عند الحجاج عليه ألف ألف درهم فتركها له وكف عن حبيب بن المهلب
ورجع يزيد إلى سليمان بن عبد الملك فأقام عنده يعلمه الهيئة ويصنع له طيب
الأطعمة ويهدى له الهدايا العظام وكان من أحسن الناس عنده منزلة وكان لا تأتى يزيد
ابن المهلب هدية إلا بعثها إلى سليمان ولا تأتى سليمان هدية ولا فائدة إلا بعث بنصفها
إلى يزيد بن المهلب وكان لا تعجبه جارية إلا بعث بها إلى يزيد إلا خطيئة الجارية فبلغ ذلك
الوليد بن عبد الملك فدعا الحارث بن مالك بن ربيعة الأشعري فقال انطلق إلى سليمان فقل
له يا خالفة أهل بيته ان أمير المؤمنين قد بلغه أنه لا تأتىك هدية ولا فائدة إلا بعثت إلى
يزيد بنصفها وانك تأتى الجارية من جواريك فلا ينقضى طهرها حتى تبعث بها إلى
يزيد وبيع ذلك عليه وعيره به أتراك مبلغا ما أمرتك به قال طاعتك طاعة وانما أنا رسول
قال فآته فقل له ذلك وأقم عنده فإنى باعته اليه بهدية فادفعها اليه وخذ منه البراءة
بما تدفع اليه ثم أقبل فمضى حتى قدم عليه وبين يديه المصحف وهو يقرأ فدخل
عليه فسلم فلم يرد عليه السلام حتى فرغ من قراءته ثم رفع رأسه إليه فكلمه بكل

شيء أمره به الوليد فتمعر وجهه ثم قال أما والله لئن قدرتُ عليك يومامن الدهر
لأطعن منك طابقاً فقال له إنما كانت على الطاعة ثم خرج من عنده فلما أتى
بذلك الذي بعث به الوليد إلى سليمان دخل عليه الحارث بن ربيعة الأشعري وقال
له اعطني البراءة بهذا الذي دفعت إليك فقال كيف قلت لي قال لا أعيدته عليك
أبداً إنما كان على في الطاعة فسكن وعلم أن قد صدقه الرجل ثم خرج وخرجوا
معه فقال خذوا نصف هذه الأعدال وهذه الأسقاط وابعثوا بها إلى يزيد قال
فعلم الرجل أنه لا يطيع في يزيد أحداً ومكث يزيد بن المهلب عند سليمان تسعة
أشهر وتوفي الحجاج سنة ٩٥ في رمضان لتسع بقين منه في يوم الجمعة

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

(ففيها) غزافيا ذكر محمد بن عمرو وغيره الصائفة عبدالعزیز بن الوليد وكان على الجيش
مسلمة بن عبد الملك (وفيها) غزا أيضا مسلمة الترك حتى بلغ الباب من ناحية
آذريجان ففتح على يديه مدائن وحصون (وفيها) غزا موسى بن نصير الأندلسي
ففتح على يديه أيضا مدائن وحصون (وفي هذه السنة) قتل قتيبة بن مسلم نيزك
طرخان (رجع الحديث) إلى حديث علي بن محمد وقصة نيزك وظفر قتيبة به حتى
قتله ولما قدم من كان قتيبة كتب اليه يأمره بالقدوم عليه من أهل أبرشهر
وبيورد وسرخس وهرات على قتيبة سار بالناس إلى مرو رود واستخلف على
الحرب حماد بن مسلم وعلى الخراج عبدالله بن الأهم وبلغ مرزبان مرو رود إقباله
إلى بلاده فهرب إلى بلاد الفرس وقدم قتيبة مرو رود فأخذ ابنين له فقتلها
وصلبها ثم سار إلى الطالقان فقام صاحبها ولم يحاربه فكف عنه وفيها لصوص
قتلهم قتيبة وصلبهم واستعمل الطالقان وعمرو بن مسلم ومضى إلى الفارياب
فخرج اليه ملك الفارياب مدعنا مقرأ بطاعته فرضى عنه ولم يقتل بها أحداً واستعمل
عليها رجلا من باهلة وبلغ صاحب الجوزجان خبرهم فترك أرضه وخرج إلى

الجبال هاربا وسار قتيبة إلى الجرزجان فلقية أهالها سامعين مطيعين فقبل منهم فلم يقتل فيها أحدا واستعمل عليها عامر بن مالك الحناني ثم أتى بلخ فلقية الاصبند في أهل بلخ فدخلها فلم يقم بها إلا يوما واحدا ثم مضى يتبع عبدالرحمن حتى أتى شعب خلم وقد مضى نيزك فعسكر ببغلان وخلف مقاتلة على فم الشعب ومضايقه يمنعونه ووضع مقاتلة في قلعة حصينة من وراء الشعب فأقام قتيبة أياما يقاتلهم على مضيق الشعب لا يقدر منهم على شيء ولا يقدر على دخوله وهو مضيق الوادي يجري وسطه ولا يعرف طريقا يفضى به إلى نيزك إلا الشعب أو مفازة لا تحمل العساكر فبقى متلدا يلتمس الحيل قال فهو في ذلك إذ قدم عليه الروب خان ملك الروب وسمنجان فاستأمنه على أن يده على مدخل القلعة التي وراء هذا الشعب فأمنه قتيبة وأعطاه ماسأله وبعث معه رجالا ليلا فانتهى بهم إلى القلعة التي من وراء شعب خلم فطرقوهم وهم آمنون فقتلوهم وهرب من بقي منهم ومن كان في الشعب فدخل قتيبة والناس الشعب فأتى القلعة ثم مضى إلى سمنجان ونيزك ببغلان بعين تدعى فنج جاه وبين سمنجان وبغلان مفازة ليست بالشديدة قال فأقام قتيبة بسمنجان أياما ثم سار نيزك وقدام أخاه عبدالرحمن وبلغ نيزك فارتحل من منزله حتى قطع وادي فرغانة ووجه ثقله وأمواله إلى كابل شاه ومضى حتى نزل الكرز وعبد الرحمن بن مسلم يتبعه فنزل عبد الرحمن وأخذ بمضايق الكرز ونزل قتيبة اسكيمشت بينه وبين عبد الرحمن فرسخان فتحرز نيزك في الكرز وأيس إليه مسلك إلا من وجه واحد وذلك الوجه صعب لا تطيقه الدواب فحصره قتيبة شهرين حتى قل ما في يد نيزك من الطعام وأصابهم الجدرى وجدر جيغويه وخاف قتيبة الشتاء فدعا سليما الناصح فقال انطلق إلى نيزك واحتل لأن تأتيني به بغير أمان فإن أعياك وأبي فأمنه واعلم أني إن عايتك وأيس هو معك صلبتك فاعمل لنفسك قال فكتب إلى عبد الرحمن لا يخالفني قال نعم فكتب له إلى عبد الرحمن فقدم عليه فقال له ابعث رجالا فليكونوا على فم الشعب فإذا خرجت أنا ونيزك فليعطوا من ورائنا فيحولوا بيننا وبين الشعب فال فبعث عبد الرحمن خيلا فكانوا حيث

أمرهم سليم ومضى سليم وقد حمل معه من الأطعمة التي تبقى أياماً والأخبصة أوقاراً حتى أتى نيزك فقال له نيزك خذلتنى يا سليم قال ما خذلتك ولكنك عصيتنى وأسأت بنفسك خلعت وغدرت قال فما رأى قال رأى أن تأتبه فقد أمحكته وليس بيارح موضعه هذا قد اعتزم على أن يشتو بمكانه هلك أو سلم قال آتبه على غير أمان قال ما أظنه يؤمنك لما فى قلبه عليك فإنك قد ملأته غيظاً ولكنى أرى أن لا يعلم بك حتى تضع يدك فى يده فإنى أرجو إن فعلت ذلك أن يستحي ويعفو عنك قال أترى ذلك قال نعم قال إن نفسى لتأبى هذا وهو إن رآنى قتلنى فقال له سليم ما أتيتك إلا لأشير عليك بهذا ولو فعلت لرجوت أن تسلم وأن تعود حالك عنده إلى ما كانت فأما إذا أبيت فإنى منصرف قال فنغديك إذا قال إنى لأظنكم فى شغل عن تهيئة الطعام ومعنا طعام كثير قال ودعا سليم بالغداء فجاءوا بطعام كثير لا عهد لهم بمثله منذ حصروا فأنهيه الأتراك فغم ذلك نيزك وقال سليم يا أبا الهياج أنالك من الناصحين أرى أصحابك قد جهدوا وإن طال بهم الحصار وأقت على حالك لم آمنهم أن يستأمنوا بك فانطلق وأت قتيبة قال ما كنت لآمنه على نفسى ولا آتبه على غير أمان فإن ظنى به أنه قاتلى وإن آمنى ولكن الأمان أعذر لى وأرجى قال فقد آمنك أفتهمنى قال لا قال فانطلق مسمى قال له أصحابه اقبل قول سليم فلم يكن ليقول إلا حقاً فدعا بدوابه وخرج مع سليم فلما انتهى إلى الدرجة التي يهبط منها إلى قرار الأرض قال يا سليم من كان لا يعلم متى يموت فإنى أعلم متى أموت أموت إذا عابفت قتيبة قال كلا أيقنتك مع الأمان فركب ومضى معه جيغويه وقد برأ من الجدرى وصول وعثمان ابنا أخى نيزك وصول طرخان خليفة جيغويه وخنس وطرخان صاحب شرطه قال فلما خرج من الشعب عطفت الخيل التي خلفها سليم لى فوهة الشعب فخالوا بين الأتراك وبين الخروج فقال نيزك لاسيم هذا أول الشر قال لا تفعل تخلف هؤلاء عنك خير لك وأقبل سليم ونيزك ومن خرج معه حتى دخلوا على عبدالرحمن بن مسلم فأرسل رسولا إلى قتيبة يعلمه فأرسل قتيبة عمرو بن أبى مهزم إلى عبدالرحمن أن اقدم بهم على فقدم بهم عبدالرحمن

عليه فحبس أصحاب نيزك ودفع نيزك إلى ابن بسام الليثي وكتب إلى الحجاج يستأذنه في قتل نيزك فجعل ابن بسام نيزك في قبته وحفر حول القبة خندقاً ووضع عليه حرساً ووجه قتيبة معاوية بن عامر بن علقمة العليمي فاستخرج ما كان في الكرز من متاع ومن كان فيه وقدم به على قتيبة فحبسهم ينتظر كتاب الحجاج فيما كتب إليه فأتاه كتاب الحجاج بعد أربعين يوماً يأمره بقتل نيزك قال فدعا به فقال هل لك عندي عقد أو عند عبد الرحمن أو عند سليم قال لي عند سليم قال كذبت وقام فدخل ورد نيزك إلى حبسه فكثت ثلاثة أيام لا يظهر للناس قال فقال المهلب بن إياس العدوي وتكلم الناس في أمر نيزك فقال بعضهم ما يحل له أن يقتله وقال بعضهم ما يحل له تركه وكثرت الأقاويل فيه قال وخرج قتيبة اليوم الرابع فجلس وأذن للناس فقال ماترون في قتل نيزك فاختلّفوا فقال قائل اقتله وقال قائل أعطته عهداً فلا تقتله وقال قائل ما نأمنه على المسلمين ودخل ضرار بن حصين الضبي فقال ما تقول يا ضرار قال أقول إني سمعتك تقول أعطيت الله عهداً إن أمكنك منه أن تقتله فإن لم تفعل لا ينصرنك الله عليه أبداً فأطرق قتيبة طويلاً ثم قال والله لو لم يبق من أجلى إلا ثلاث كلمات لقلت اقتلوه اقتلوه وأرسل إلى نيزك فأمر بقتله وأصحابه فقتل مع سبعمائة وأما الباهليون فيقولون لم يؤمنه ولم يؤمنه سليم فلما أراد قتله دعا به ودعا بسيف حنفي فاتصاه وطول كفيه ثم ضرب عنقه بيده وأمر عبد الرحمن ف ضرب عنق صول وأمر صالحاً فقتل عثمان ويقال شقران ابن أخي نيزك وقال لبكر بن حبيب السهمي من باهلة هل بك قوة قال نعم وأريد وكانت في بكر أعراية فقال دونك هؤلاء الدهاقين قال وكان إذا أتى برجل ضرب عنقه وقال أوردوا ولا تصدروا فكان من قتل يومئذ اثنا عشر ألفاً في قول الباهليين و صلب نيزك وابني أخيه في أصل عين تدعى وخش خاشان في أسكيمشت فقال المغيرة بن حبناء يذكر ذلك في كلبه له طويلاً :

لَعَمْرِي لِنِعْمَتِ غَزْوَةِ الْجُنْدِ غَزْوَةٌ قَضَتْ نَجَبَهَا مِنْ نِيزِكٍ وَتَعَلَّتْ
قال علي أخبرنا مصعب بن حيان عن أبيه قال بعث قتيبة برأس نيزك مع محضن

ابن جزء الكلابي وسوار بن زهدم الجرمي فقال الحجاج إن كان قتيبة لحقيقاً أن يبعث برأس نيزك مع ولدٍ مسلمٍ فقال سوار :

أقولٍ لمحفنٍ وجري سليحٍ وآخرٍ بارحٍ من عن يميني
وقد جعلت بوائق من أمورٍ ترفع حوله وتكف دوني
نشدتك هل يسرك أن سرجي وسرجك فوق أبغلٍ باذيين

قال فقال محفن نعم وبالصين قال علي أخبرنا حمزة بن إبراهيم وعلى بن مجاهد عن حنبل بن أبي حريذة عن مرزبان قهستان وغيرهما أن قتيبة دعا يوماً بنيزك وهو محبوس فقال مارأيك في السبل والشذ أتراهما يأتيان إن أرسلت اليهما قال لا قال فأرسل اليهما قتيبة فقدمما عليه ودعائيزك وجيغويه فدخلوا فإذا السبل والشذ بين يديه على كرسيين فجلسا يازأهما فقال الشذ لقتيبة إن جيغويه وإن كان لي عدواً فهو أسن مني وهو الملك وأنا كعبده فأذن لي أدن منه فأذن له فدنا منه فقبل يده وسجد له قال ثم استأذنه في السبل فأذن له فدنا منه فقبل يده فقال نيزك لقتيبة ائذن لي أدن من الشذ فإني عبده فأذن له فدنا منه فقبل يده ثم أذن قتيبة للسبل والشذ فانصرفا إلى بلادهما وضم إلى الشذ الحجاج القيني وكان من وجوه أهل خراسان وقتل قتيبة نيزك فأخذ الزبير مولى عابس الباهلي خفاً لنيزك فيه جوهر وكان أكثر من في بلاده مالا وعقاراً من ذلك الجوهر الذي أصابه في خفه فسوغه إياه قتيبة فلم يزل موسراً حتى هلك بكابل في ولاية أبي داود قال وأطلق قتيبة جيغويه ومن عليه وبعث به إلى الوليد فلم يزل بالشام حتى مات الوليد ورجع قتيبة إلى مرو واستعمل أخاه عبد الرحمن على بلخ فكان الناس يقولون غدر قتيبة بنيزك فقال ثابت قطنة :

لا تحسبن العدر حزمًا فرمًا ترفت به الأقدام يوماً فزلت

وقال وكان الحجاج يقول بعثت قتيبة في غرًا فما زدته ذراعاً إلا زادني باعاً قال علي أخبرنا حمزة بن إبراهيم عن أشياخ من أهل خراسان وعلى بن مجاهد عن حنبل بن أبي حريذة عن مرزبان قهستان وغيرهما أن قتيبة بن مسلم لما رجع

إلى مرو وقتل نيزك طلب ملك الجوزجان وكان قد هرب عن بلاده فأرسل يطلب الأمان فأمنه على أن يأتيه فيصالحه فطلب رهنا يكونون في يديه ويعطى رهائن فأعطى قتيبة حبيب بن عبد الله بن عمرو بن حصين الباهلي وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته فخلف ملك الجوزجان حبيباً بالجوزجان في بعض حصونه وقدم على قتيبة فصالحه ثم رجع فمات بالطالقان فقال أهل الجوزجان سموه فقتلوا حبيباً وقتل قتيبة الرهن الذين كانوا عنده فقال نهار بن توسعه لقتيبة

أراك الله في الأتراك حكماً
كحكيم في قرىظة والنضير
قضاء من قتيبة غير جور
به يشفي الغليل من الصدور
فإن ير نيزك خزيًا وذلاً
فكم في الحرب حتمق من أمير

وقال المغيرة بن حنبل بمدح قتيبة ويذكر قتل نيزك ووصول وابن أخى

نيزك عثمان أو شقران

لَمَنْ الدِّيارُ عَفَّتْ بِسَفْحِ سَنامِ
عَصَفَ الرِّياحُ ذُبُولَها فَمَحَوْنِها
دارُ لِجاريةٍ كانَ رُضاها
أبلغَ أبا حَفِصِ قَتِيبَةَ مَدْحِ
يا سِيفُ أبلغِها فَإِنَّ كُنائِها
يَسْمُو فَتَضِعُ الرِّجالُ إذا سَمِ
لأغرَ مُتَجَبِّ لِكُلِّ عَظِيبَةٍ
يَمضى إذا هابَ الجبانُ وأحِشتُ
تُرَوِّ القنَّاءُ مع اللِواءِ أمامِ
والهَمامُ تَفْرِيبِ السُّيوفِ كأنَّهُ
وتَرى الجِياذِ مَعَ الجِياذِ ضِواءِ
وبنَ أنزَلَ نِيزَكَ من شَاقِ
وأخاهُ شَقْراناً سَقَيْتَ بِكَأْسِهِ
إلا بَقِيَّةَ أَيْصِرٍ ومُتَمِّمِ
وَجَرَيْنَ فِوقَ عِراصِها بِتَمِّمِ
مِسْكَ يُشابُّ مِزاجَهُ بِمَدِّمِ
واقرا عليه نَحِيَّتِي وسَلامِ
حَسَنٌ وَإِنَّكَ شَاهدٌ لِما
لِقَتِيبَةَ الحامِي حَمَى الإسلامِ
نَحيرِ يِياحِ به العَدُوُّ لَها
حَرْبٌ تَسَعَّرُ نارُها بِضَرَمِ
تَحْتَ اللِوامِعِ والنُّحورِ دَوامِ
بالقاعِ حِينَ تَراهُ قَيْضِ نَعامِ
بِفَنائِهِ لِجِوادِثِ الأيامِ
والكَرِزِ حَيْثُ يَرومُ كُلِّ مِرامِ
وسَقَيْتَ كَأْسَهُما أِخاهُ بِأَدامِ

وَتَرَكَتْ صَوْلًا حِينَ صَالَ مُجَدَّلًا يَرْكَبُهُ بَدَوَائِرٍ وَحَوَامٍ
(وفي هذه السنة) أعنى سنة ٩١ غزا قتيبة شومان وكس ونسف غزوة
الثانية وصالح طرخان

ذكر الخبر عن ذلك

قال عليّ أخبرنا بشر بن عيسى عن أبي صفوان وأبو السرى وجبلة بن فروخ
عن سليمان بن مجالد والحسن بن رشيد عن طفيل بن مرداس العمى وأبو السرى
المروزيّ عن عمه وبشر بن عيسى وعليّ بن مجاهد عن حنبل بن أبي حريذة عن
مرزبان قهستان وعياش بن عبد الله الغنوي عن أشياخ من أهل خراسان قال
وحدثني ظهري كل قد ذكر شيئاً فألفته وأدخلت من حديث بعضهم في حديث
بعض أن فيلسنشب باذق وقال بعضهم غيسلستان ملك شومان طرد عامل قتيبة
ومنع الفدية التي صالح عليها قتيبة فبعث إليه قتيبة عياشاً الغنوي ومعه رجل من
نُساك أهل خراسان يدعوان ملك شومان إلى أن يؤدي الفدية علي ما صالح
عليه قتيبة فقدموا البلد فخرجوا إليهما فرمواهما فانصرف الرجل وأقام عياش الغنوي
فقال أما ههنا مسلمٌ فخرج إليه رجل من المدينة فقال أنا مسلم فما تريد قال تعينني علي
جهادهم قال نعم فقال له عياش كن خلني لتمنع لي ظهري فقام خلفه وكان اسم الرجل
للمهلب فقاتلهم عياش فحمل عليهم ففروا عنه وحمل المهلبُ علي عياش من خلفه
فقتله فوجدوا به ستين جراحة فغمهم قتله وقالوا قتلنا رجلاً شجاعاً وبلغ قتيبة فسار
إليهم بنفسه وأخذ طريق بلخ فلما أتاها قدم أخاه عبد الرحمن واستعمل علي بلخ
عمر بن مسلم وكان ملكُ شومان صديقاً للصالح بن مسلم فأرسل إليه صالح رجلاً يأمره
بالطاعة ويضمن له رضى قتيبة إن رجع إلى الصلح فأبى وقال لرسول صالح ما تخوفني به
من قتيبة وأنا أضع الملوك حصناً أرمى أعلاه وأنا أشدّه الناس قوساً وأشدّ درمياً فلا تبلغ
نُشابتى نصف حصني فما أخاف من قتيبة فضى قتيبة من بلخ فعبّر النهر ثم أتى شومان وقد
تحصن ملكها فوضع عليه المجانيق ورمى حصنه فهشمه فلما أخاف أن يظهر عليه ورأى
ما نزل به جمع ما كان له من مال وجوهر فرمى به في عين في وسط القلعة لا يدرك

قعرها قال ثم فتح القلعة وخرج إليهم فقاتلهم فقتل وأخذ قتيبة القلعة عنوة فقتل
المقاتلة وسبي الذرية ثم رجع إلى باب الحديد فأجاز منه إلى كس ونسف
وكتب إليه الحجاج أن كس بكس وانسف نسف وإياك والتحويط ففتح كس
ونسف وامتنع عليه فرياب فخرتها فسميت المحترقة وسرح قتيبة من كس ونسف
أخاه عبد الرحمن بن مسلم إلى السغد إلى طرخون فسار حتى نزل بمرج قريبا منهم
وذلك في وقت العصر فانتبذ الناس وشربوا حتى عبثوا وعاثوا وأفسدوا فأمر
عبد الرحمن أبا مرضية مولى لهم أن يمنع الناس من شرب العصير فكان يضربهم
ويكسر آنيتهم ويصب نبيذهم فسأل في الوادي فسُمي مرج النبيذ فقال بعض شعرائهم
أما النبيذُ فلستُ أشربُهُ أخشى أبا مرضية الكلب
دُعسفاً يسعى بسكته يتوثب الحيطان للشرب

فقبض عبد الرحمن من طرخون شيئاً كان قد صالحه عليه قتيبة ودفع إليه
رهنا كانوا معه وانصرف عبد الرحمن إلى قتيبة وهو ببخارى فرجعوا إلى مرو
فقال السغد لطرخون إنك قد رضيت بالذل واستطيت الجزية وأنت
شيخ كبير فلا حاجة لنا بك قال فولوا من أحببتهم قال فولوا غوزك وحبسوا
طرخون فقال طرخون ليس بعد سلب الملك إلا القتل فيكون ذلك يدي أحب
إلى من أن يليه مني غيري فاتكأ على سيفه حتى خرج من ظهره قال وإنما صنعوا
بطرخون هذا حين خرج قتيبة إلى سجستان وولوا غوزك وأما الباهليون
فيقولون حصر قتيبة ملك شومان ووضع على قلعة المجانيق ووضع منجنيقاً
كان يسميها الفحجاء فرمى بأول حجر فأصاب الحائط ورمى بآخر فوقع في
المدينة ثم تابعت الحجارة في المدينة فوقع حجر منها في مجلس الملك فأصاب
رجلاً فقتله ففتح القلعة عنوة ثم رجع إلى كس ونسف ثم مضى إلى بخارى فنزل
قرية فيها بيت نار وبيت آلهة وكان فيها طواويس فسموه منزل الطواويس ثم
سار إلى طرخون بالسغد ليقبض منه ما كان صالحه عليه فلما أشرف على وادي
السغد فرأى حسنه تمثل

وَادِخِيبٌ عَشِيبٌ ظَلَّ بِمَنْعُهُ مِنْ الْأَنْبِيسِ حِذَارَ الْيَوْمِ ذِي الرَّهَجِ
وَرَدَّتُهُ بِعَنَاجِيجِ مُسْوَمَةٍ يَرْدِينَ بِالشُّعْثِ سَفَاكِينَ لِلْمُهَجِ

قال قبض من طرخون صلحه ثم رجع الى بخارى فملك بخارى خذاه غلاما حدثا وقتل من خاف أن يضاده ثم أخذ على أمل ثم أتى مرو قال وذكر الباهليون عن بشار بن عمرو عن رجل من باهلة قال لم يفرغ الناس من ضرب أبنيتهم حتى افتتحت القلعة (وفي هذه السنة) ولي الوليد بن عبد الملك مكة خالد بن عبد الله القسري فلم يزل واليا عليها الى أن مات الوليد هـ فذكر محمد بن عمر الواقدي أن اسماعيل بن ابراهيم بن عقبة حدثه عن نافع مولى بني مخزوم قال سمعت خالد بن عبد الله يقول يا أيها الناس إنكم بأعظم بلاد الله حرمة وهي التي اختار الله من البلدان فوضع بها بيته ثم كتب على عباده حجه من استطاع إليه سبيلا أيها الناس فعليكم بالطاعة ولزوم الجماعة وإياكم والشبهات فإني والله ما أوتي بأحد يطعن على امامه إلا صلبته في الحرم إن الله جعل الخلافة منه بالوضع الذي جعلها فسلبوا وأطيعوا ولا تقولوا كبت وكبت إنه لا رأى فيما كتب به الخليفة أوراؤه إلا إمضاؤه واعلموا أنه بلغني أن قوما من أهل الخلاف يقدمون عليكم وقيمون في بلادكم فإياكم أن تنزلوا أحدا ممن تعلنون أنه زائع عن الجماعة فإني لأجد أحدا منهم في منزل أحد منكم إلا هدمت منزله فانظروا من تنزلون في منازلكم وعليكم بالجماعة والطاعة فان الفرقة هي البلاء العظيم هـ قال محمد بن عمرو حدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة قال اعتمرت فنزلت دور بني أسد في منازل الزبير فلم أشعر إلا به يدعوني فدخلت عليه فقال ممن أنت قلت من أهل المدينة قال ما أنزلك في منازل المخالف للطاعة قلت إنما مقامى إن أقت يوما أو بعضه ثم رجع إلى منزلي وليس عندي خلاف أنا ممن يعظم أمر الخلافة وأزعم أن من جحدها فقد هلك قال فلا عليك ما أقت إنما يكره أن يُقيم من كان زارياً على الخليفة قلت معاذ الله وسمعت يوماً يقول والله لو أعلم أن هذه الوحش التي تأمن في الحرم لو نطقت لم تقر بالطاعة لأخرجتها من الحرم إنه لا يمكن

حرم الله وأمنه مخالف للجماعة زار عليهم قلت وفق الله الأمير (وحج) بالناس في هذه السنة الوليد بن عبد الملك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال حج الوليد بن عبد الملك سنة ٩١ وكذلك قال محمد بن عمر حدثني موسى ابن أبي بكر قال حدثنا صالح بن كيسان قال لما حضر قدوم الوليد أمر عمر بن عبد العزيز عشرين رجلاً من قريش يخرجون معه فيتلقون الوليد بن عبد الملك منهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الحارث بن هشام وأخوه محمد بن عبد الرحمن وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فخرجوا حتى بلغوا السويداء وهم مع عمر ابن عبد العزيز وفي الناس يومئذ دوابٌ وخيل فلقوا الوليد وهو على ظهر فقال لهم الحاجب انزلوا لا مير المؤمنين فنزلوا ثم أمرهم فركبوا فدعا بعمر بن عبد العزيز فسأره حتى نزل بذى خشب ثم أحضروا فدعاهم رجلاً رجلاً فسلموا عليه ودعا بالغداء فتغدوا عنده وراح من ذى خشب فلما دخل المدينة غدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه فأخرج الناس منه فما ترك فيه أحد وبقي سعيد بن المسيب ما يجترئ أحد من الحرس أن يخرج منه وما عليه إلا ريطتان مائتاويان إلا خمسة دراهم في مصلاه فقيل له لو قت قال والله لا أقوم حتى يأتي الوقت الذي كنت أقوم فيه قيل فلو سلمت على أمير المؤمنين قال والله لا أقوم إليه قال عمر بن عبد العزيز فجعلت أعدل بالوليد في ناحية المسجد رجاء أن لا يرى سعيداً حتى يقوم فخانت من الوليد نظرة إلى القبلة فقال من ذلك الجالس أهو الشيخ سعيد بن المسيب فجعل عمر يقول نعم يا أمير المؤمنين ومن حاله ومن حاله ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك وهو ضعيف البصر قال الوليد قد علمت حاله ونحن نأتيه فنسلم عليه فدار في المسجد حتى وقف على القبر ثم أقبل حتى وقف على سعيد فقال كيف أنت أيها الشيخ فوالله ما تحرك سعيد ولا قام فقال بخير والحمد لله فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله قال الوليد خيرو الحمد لله فانصرف وهو يقول لعمر هذا بقية الناس فقلت أجل يا أمير المؤمنين قال وقسم الوليد بالمدينة رقيقاً كثيراً فجاء بين الناس وآنية من ذهب وفضة وأموالاً وخطب بالمدينة في الجمعة فصلى بهم (قال محمد بن عمر) وحدثني إسحاق بن يحيى قال رأيت الوليد يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة عام

حج قد صف له جنده صفين من المنبر إلى جدار مؤخر المسجد في أيديهم الجِرَزَةَ
وعمد الحديد على العواتق فرأيت طلع في دُرَاعَة وقلنسوة ما عليه رداء فصعد المنبر
فلما صعد سلم ثم جلس فأذن المؤذنون ثم سكتوا فخطب الخطبة الأولى وهو جالس
ثم قام فخطب الثانية قائماً قال إسحاق فلقيت رجاء بن حيوة وهو معه فقلت هكذا
يصنعون قال نعم وهكذا صنع معاوية فهل جراً قلت أفلا تكلمه قال أخبرني قبيصة
ابن ذؤيب أنه كلم عبد الملك بن مروان فأبى أن يفعل وقال هكذا خطب عثمان
فقلت والله ما خطب هكذا ما خطب عثمان إلا قائماً قال رجاء روى لهم هذا
فأخذوا به قال إسحاق لم نرمهم أحداً أشد تجبراً منه (قال محمد بن عمر) وقدم
بطيب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبجمره وبكسوة الكعبة فنشرت
وعلقت على جبال في المسجد من ديباج حسن لم يُر مثله قط فنشرها يوماً وطوى
ورفع قال وأقام الحجاج الوليد بن عبد الملك ٥ وكانت عمال الأمصار في هذه السنة
هم العمال الذين كانوا عمالها في سنة ٩٠ غير مكة فإن عاملها كان في هذه السنة خالد
ابن عبد الله القسري في قول الواقدي وقال غيره كانت ولاية مكة في هذه السنة
أيضاً إلى عمر بن عبد العزيز

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك غزوة مسلمة بن عبد الملك وعمر بن الوليد أرض الروم ففتح على
يدي مسلمة حصون ثلاثة وجلا أهل سُوسَنَة إلى جوف أرض الروم (وفيها)
غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الأندلس في اثني عشر ألفاً فلقى ملك
الأندلس زعم الواقدي أنه يقال له ادرينوق وكان رجلاً من أهل أصبهان قال وهم
ملوك عجم الأندلس فزحف له طارق بجميع من معه فزحف الادرينوق في سرير الملك
وعلى الادرينوق تاجه وقفازه وجميع الحلية التي كان يلبسها الملوك فاقتلوا قتلاً شديداً
حتى قتل الله الادرينوق وفتح الأندلس سنة ٩٢ (وفيها) غزا فيما زعم بعض أهل

السيرة قتيبة سجستان يريد ترتيب الاعظم والزابل فلما نزل سجستان تلقته رسل رتبيل بالصلح فقبل ذلك وانصرف واستعمل عليهم عبد ربه بن عبد الله بن عمير اللبني (وحج) بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وغيره وكان عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فما كان فيها من ذلك غزوة العباس بن الوليد أرض الروم ففتح الله على يديه سَمَسْطِيَّة (وفيها) كانت أيضا غزوة مروان بن الوليد الروم فبلغ خنجره (وفيها) كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم فافتح ماسة وحصن الحديد وغزاة وبرجة من ناحية ملطية (وفيها) قتل قتيبة ملك خام جرد وصالح مالك خوارزم صلحا مجددا

ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه

ذكر علي بن محمد أن أبا الذيال أخبره عن المهلب بن إياس والحسن بن رشيد عن طفيل بن مرداس العمي وعلي بن مجاهد عن حنبل بن أبي حريذة عن مرزبان قهستان وكليب بن خلف والباهليين وغيرهم وقد ذكر بعضهم ما لم يذكر بعض فألفته أن ملك خوارزم كان ضعيفا فغلبه أخوه خرزاذ علي أمره وخرزاذ أصغر منه فكان إذا بلغه أن عند أحد من هو منقطع إلى الملك جارية أو دابة أو متاعا فاخرا أرسل فأخذه أو بلغه أن لأحد منهم بنتا أو أختا أو امرأة جميلة أرسل إليه فغصبه وأخذ ماشاء وحبس ماشاء لا يمتنع عليه أحد ولا يمنع الملك فإذا قيل له قال لا أقوى عليه وقد ملأه مع هذا غيظا فلما طال ذلك منه عليه كتب إلى قتيبة يدعو به إلى أرضه يريد أن يسلمها إليه وبعث إليه بمفاتيح مدائن خوارزم ثلاثة مفاتيح من ذهب واشترط عليه أن يدفع إليه أخاه وكل من كان يضاده

بحكم فيه ما يرى وبعث في ذلك رسلا ولم يُطْلَع أحدا من مرزبته ولادهاقينه على ما كتب به إلى قتيبة فقدمت رسله على قتيبة في آخر الشتاء ووقت الغزو وقد تهيأ للغزو فأظهر قتيبة أنه يريد السغد ورجع رسل خوارزم شاه إليه بما يحب من قبل قتيبة وسار واستخلف على مرو ثابتا الأعور مولى مسلم قال فجمع ملوكه وأجباره ودهاقينه فقال إن قتيبة يريد السغد وليس بغازيكم فهل تنعم في ربيعنا هذا فأقبلوا على الشرب والتنعم وأمنوا عند أنفسهم الغزو قال فلم يشعروا حتى نزل قتيبة في هزارسب دون النهر فقال خوارزم شاه لأصحابه ماترون قالوا نرى أن مقاتله قال لكى لا أرى ذلك قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشد شوكة ولكى أرى أن نصره بشيء تؤدبه إليه فنصره عامنا هذا ونرى رأينا قالوا ورأينا رأيك فأقبل خوارزم شاه فنزل في مدينة الفيل من وراء النهر قال ومدائن خوارزم شاه ثلاث مدائن يطيف بها فارقين واحد مدينة الفيل أحصن فنزلها خوارزم شاه وعتيبة في هزارسب دون النهر لم يعبره بينه وبين خوارزم شاه نهر بلخ فصالحه على عشرة آلاف رأس وعين ومتاع وعلى أن يعينه على ملك خام جرد وأن يني له بما كتب إليه فقبل ذلك منه قتيبة ووفى له وبعث قتيبة أخاه إلى ملك خام جرد وكان يعادى خوارزم شاه فقاتله فقتله عبد الرحمن وغلب على أرضه وقدم منهم على قتيبة بأربعة آلاف أسير فقتلهم وأمر قتيبة لما جاء بهم أخاه عبد الرحمن بسريره فأخرج وبرز للناس قال وأمر بقتل الأسرى فقتل بين يديه ألف وعن يمينه ألف وعن يساره ألف وخلف ظهره ألف قال قال المهلب بن إياس أخذت يومئذ سيوف الأشراف فضرب بها الأعناق فكان فيها مالا يقطع ولا يجرح فأخذوا سبني فلم يضرب به شيء إلا أبانه فحسدني بعض آل قتيبة فغمز الذي يضرب أن اصفح به فصفح به قليلا فوقع في ضرس المقتول فثله (قال أبو الذئبال) والسيف عندي قال ودفع قتيبة إلى خوارزم شاه أخاه ومن كان يخالفه فقتلهم واصطنى أموالهم فبعث بها إلى قتيبة ودخل قتيبة مدينة فيل فقبل من خوارزم شاه ما صالحه عليه ثم رجع إلى هزارسب وقال كتب الأشقرى
رَمَتِكَ فِيلٌ بِمَا فِيهَا وَمَا ظَلَمْتُ
ورامها فبك الفجفاجة الصلِفُ

لا يُجْزَى الشَّعْرَ خَوَارُ القَنَاةِ وَلَا
 هل تَذْكُرُونَ ليالى التَّركِ تَقْتُلُهُمْ
 لم يَرْكَبُوا الخَيْلَ إِلَّا بعدَ ما كَبَرُوا
 أنتم شبَّاس ومرداذان محتقر
 إني رأيتُ أبا حفص تُفَضُّهُ
 قَيْسُ صَرِيحٌ وبعضُ النَّاسِ يَجْمَعُهُمْ
 لو كنتَ طَاوَعْتَ أَهْلَ العِجْزِ ما اقْتَسَمُوا
 وفي سمرقندٍ أُخْرَى أَنْتَ قاسِمُهَا
 ما قَدَّمَ النَّاسُ من خَيْرٍ سَبَقَتْ بِهِ

قال أنشدني علي بن مجاهد رمتك * رمتك فيل بما دون كازه * قال وكذلك
 قال الحسن بن رشيد الجوزجاني وأما غيرهما فقال * رمتك فيل بما فيها * وقالوا
 فيل مدينة سمرقند قال وأثبتها عندي قول علي بن مجاهد قال وقال الباهليون أصاب
 قتيبة من خوارزم مائة ألف رأس قال وكان خاصة قتيبة كلوه سنة ٩٣ وقالوا
 الناس كالون قدموا من سجستان فأجهم عامهم هذا فأبي قال فلا صالح أهل
 خوارزم سار إلى السغد فقال الأشقري
 لو كنت طاوعت أهل العجز ما اقتسموا * سبعين ألفا وعز السغد مؤتلف
 (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم منصرفه من خوارزم
 سمرقند فافتحها

ذكر الخبر عن ذلك

قد تقدم ذكر الإسناد عن القوم الذين ذكر علي بن محمد أنه أخذ عنهم حين صالح قتيبة
 صاحب خوارزم ثم ذكر مدرجاني ذلك أن قتيبة لما قبض صلح خوارزم قام إليه الجسر
 ابن مزاحم السلمي فقال إن لي حاجة فأخني فأحلاه فقال إن أردت السغد يوما
 من الدهر فالآن فانهم آمنون من أن تأتيهم من عامك هذا وإنما بينك وبينهم عشرة
 أيام قال أشار بهذا عليك أحد قال لا قال فأعلته أحد قال لا قال والله لن تكلم

به أحد لا ضربن عنقك فأقام يومه ذلك فلما أصبح من الغد دعا عبد الرحمن فقال
سير في الفرسان والمرامية وقدم الأثقال إلى مرو فوجه الأثقال إلى مرو ومضى
عبد الرحمن يتبع الأثقال يريد مرو يومه كله فلما أمسى كتب إليه إذا أصبحت
فوجه الأثقال إلى مرو وسر في الفرسان والمرامية نحو السغدوا كتم الأخبار
فأثر قال فلما أتى عبد الرحمن الخبر أمر أصحاب الأثقال أن يمضوا إلى مرو
وسار حيث أمره وخطب قتيبة الناس فقال ان الله قد فتح لكم هذه البلدة في
وقت الغزو فيه يمكن وهذه السغد شاعرة برجلها قد نقضوا الهد الذي كان بيننا
ومنعونا ما كنا صالحنا عليه طرخون وصنعوا به ما بلغكم وقال الله من نكث
فإنما ينكث على نفسه، فسيروا على بركة الله فإني أرجو أن يكون خوارزم والسغد
كالنضير وقريظة وقال الله وأخرى لئن تقدرُوا عليها قد أحاط الله بها، قال فأتى
السغد وقد سبقه إليها عبد الرحمن بن مسلم في عشرين ألفاً وقدم عليه قتيبة في أهل
خوارزم وبخارى بعد ثلاثة أو أربعة من نزول عبد الرحمن بهم فقال انا اذا نزلنا
يساحة قوم فساء صباح المنذرين فحصرهم شهراً فقاتلوه في حصارهم مرارا من
وجه واحد وكتب أهل السغد وخافوا طول الحصار إلى ملك الشاش وإخشاذ
فرغاة أن العرب إن ظفروا بنا عادوا عليكم بمثل ما أتونا به فانظروا لأنفسكم
فأجمعوا على أن يأتوهم وأرسلوا إليهم أرسلوا من يشغلهم حتى نبئت عسكرهم قال
وانتخبوا فرسانا من أبناء المرازبة والأساورة والأشداء الأبطال فوجهوهم
وأمرهم أن يبيتوا عسكرهم وجاءت عيون المسلمين فأخبروهم فانتخب قتيبة ثلثمائة
أو ستمائة من أهل النجدة واستعمل عليهم صالح بن مسلم فصيرهم في الطريق الذي
يخاف أن يوتي منه وبعث صالح عيوننا يأتونه بخبر القوم ونزل على فرسخين من
عسكر القوم فرجعت إليه عيونهم فأخبروه أنهم يصلون إليه من ليلتهم ففرق
صالح خيله ثلاث فرقي فجعل كميناً في موضعين وأقام على قارعة الطريق وطرقهم
المشركون ليلاً ولا يعلمون بمكان صالح وهم آمنون في أنفسهم من أن يلقاهم أحد
دون العسكر فلم يعلموا بصالح حتى غشوه قال فشدوا عليهم حتى إذا اختلفت الرياح

بينهم خرج الكمينان فاقتلوا قال وقال رجل من البراجم حضرتهم فمأرت قط
 قوما كانوا أشد قتالا من أبناء أولئك الملوك ولا أصبر فقتلناهم فلم يفلت منهم إلا نفر
 يسير وحوينا سلاحهم واحتزنا رؤوسهم وأسرونا منهم أسرى فسألناهم عن قتلنا
 فقالوا ما قتلتم إلا ابن ملك أو عظيما من العظماء أو بطلا من الأبطال ولقد قتلتم رجالا
 إن كان الرجل ليعدل بمائة رجل فكتبنا على آذانهم ثم دخلنا السكر حين أصبحنا
 ومأنا رجل إلا معلق رأساً معروفا باسمه وسلبنا من جيد السلاح وكريم المتاع
 ومناطق الذهب ودواب فرهة فنقلنا قتيبة ذلك كله وكسر ذلك أهل السغدو وضع
 قتيبة عليهم المجانيق فرماهم بها وهو في ذلك يقاتلهم لا يقلع عنهم وناصحه من معه
 من أهل بخارى وأهل خوارزم فقاتلوا قتالا شديداً وبذلوا أنفسهم فأرسل
 إليه غوزك إنما تقاتلني ياخوتى وأهل بيتى من العجم فأخرج إلى العرب فغضب
 قتيبة ودعا الجدلى فقال اعرض الناس وميز أهل البأس فجمعهم ثم جلس قتيبة
 يعرضهم بنفسه ودعا العرفاء فجعل يدعو برجل رجل فيقول ما عندك فيقول
 العريف شجاع ويقول ما هذا فيقول مختصر ويقول ما هذا فيقول جبان فسمى
 قتيبة الجبناء الأنتان وأخذ خيلهم وجيد سلاحهم فأعطاه الشجعاء والمختصرين
 وترك لهم رث السلاح ثم زحف بهم فقاتلهم بهم فرسانا ورجالا ورعى المدينة
 بالمجانيق فلم فيها ثلثة فسدرها بغرائر الدخن وجاء رجل حتى قام على الثلثة
 فشم قتيبة وكان مع قتيبة قوم رماة فقال لهم قتيبة اختاروا منكم رجلين فاختاروا
 فقال أيكما يرى هذا الرجل فان أصابه فله عشرة آلاف وإن أخطأه
 قطعت يده فتلكاً أحدهما وتقدم الآخر فرماه فلم يخطى عينه فامر له بعشرة
 آلاف قال وأخبرنا الباهليون عن يحيى بن خالد عن أبيه خالد بن باب مولى
 مسلم بن عمرو قال كنت في رماة قتيبة فلما افتتحنا المدينة سعدت السور
 فأتيت مقام ذلك الرجل الذي كان فيه فوجدته ميتاً على الحائط ما أخطأت النشاب
 عينه حتى خرجت من قفاه ثم أصبحوا من غد فرموا المدينة فثلموا فيها وقال
 قتيبة ألقوا عليها حتى تعبروا على الثلثة فقاتلهم حتى صاروا على ثلثة المدينة

ورماهم السغد بالنشاب فوضعوا أترستهم فكان الرجل يضع ترسه على عينه ثم يحمل حتى صاروا على التلثة فقالوا له انصرف عنا اليوم حتى نصالحك غداً فاما باهلة فيقولون قال قتيبة لا نصالحهم إلا ورجالنا على التلثة ومجانيقنا تخطر على رؤسهم ومدينتهم قال وأما غيرهم فيقولون قال قتيبة جزع العبيد فانصرفوا على ظفركم فانصرفوا فصالحهم من الغد على ألفي ألف ومائتي ألف في كل عام على أن يُعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس ليس فيهم صبي ولا شيخ ولا عيب على أن يخلوا المدينة لقتيبة فلا يكون لهم فيها مقاتل فيبني له فيه مسجد فيدخل ويصلي ويوضع له فيها منبر فيخطب ويتغدى ويخرج قال فلما تم الصلح بعث قتيبة عشرة من كل خمس برجلين فقبضوا ما صالحوهم عليه فقال قتيبة الآن ذلوا حين صار إخوانهم وأولادهم في أيديكم ثم أدخلوا المدينة وبنوا مسجداً ووضعوا منبراً ودخلها في أربعة آلاف انتخبهم فلما دخلها أتى المسجد فصلى وخطب ثم تغدى وأرسل إلى أهل السغد من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذ فإني لست خارجاً منها وإنما صنعت هذا لكم ولست آخذ منكم أكثر مما صالحتكم عليه غير أن الجند يقيمون فيها قال أما الباهليون فيقولون صالحهم قتيبة على مائة ألف رأس وبيوت النيران وحلية الأصنام فقبض ما صالحهم عليه وأتى بالأصنام فسلبت ثم وضعت بين يديه فكانت كالقصر العظيم حين جمعت فأمر بتحريقها فقالت الأعاجم إن فيها أصناماً من حرقها هلك فقال قتيبة أنا أحرقتها بيدي فجاء عوزك بخثابين يديه وقال أيها الأمير إن شكرك على واجب لا تعرض لهذه الأصنام فدعا قتيبة بالنار وأخذ شعلة بيده وخرج فكبر ثم أشعلها وأشعل الناس فاضطربت فوجدوا من بقاياها ما كان فيها من مسامير الذهب والفضة خمسين ألف مثقال قال وأخبرنا مخلد بن حمزة بن بيض عن أبيه قال حدثني من شهد قتيبة وفتح سمرقند أو بعض كور خراسان فاستخرجوا منها قدورا عظيماً من نحاس فقال قتيبة لحضين يا أباساسان أترى رقاش كان لها مثل هذه القدور قال لا لكن كان لعيلان قدر مثل هذه القدور فضحك قتيبة وقال أدركت بئارك قال وقال

محمد بن أبي عيينة لمسلم بن قتيبة بين يدي سليمان بن عليّ إن العجم ليعبرون قتيبة الغدر انه غدر بخوارزم و سمرقند قال فأخبرنا شيخ من بني سدوس عن حمزة ابن بيض قال أصاب قتيبة بخراسان بالسغد جارية من ولد يزدجرد فقال أترون ابن هذه يكون هجينا فقالوا نعم يكون هجينا من قبل أبيه فبعث بها إلى الحجاج فبعث بها الحجاج إلى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد ه قال وأخبرنا بعض الباهلين عن نيشل بن يزيد عن عمه وكان قد أدرك ذلك كله قال لما رأى غوزك الحاح قتيبة عليهم كتب إلى ملك الشاش وإخشاذ فرغانة وخاقان إنا نحن دونكم فيما بينكم وبين العرب فان وصل إلينا كنتم أضعف وأذلّ فهما كان عندكم من قوة فابدلوها فنظروا في أمرهم فقالوا إنما نوتى من سفلتنا وأنهم لا يجدون كوجدنا ونحن معشر الملوك المعنيون بهذا الأمر فانتخبوا أبناء الملوك وأهل النجدة من فتيان ملوكهم فليخرجوا حتى يأتوا عسكر قتيبة فليبيت فانه مشغول بحصار السغد ففعلوا وولوا عليهم ابنا لخاقان وساروا وقد أجمعوا أن يبيتوا العسكر وبلغ قتيبة فانتخب أهل النجدة والبأس ووجود الناس فكان شعبة بن ظهير وزهير بن حيان فيمن انتخب فكانوا أربعائة فقال لهم إن عدوكم قد رأوا إبلاء الله عندكم وتأيدوا بكم في مزاحفتكم ومكاثرتكم كل ذلك يفلجكم الله عليهم فأجمعوا على أن يحتالوا غرتكم وبياتكم واختاروا دهاقينهم وملوكهم وأنتم دهاقين العرب وفرسانهم وقد فضلكم الله بدينه فأبلوا الله بلاء حسنا تستوجبون به الثواب مع الذب عن أحسابكم قال ووضع قتيبة عيوننا على العدو حتى إذا قربوا منه قدر ما يصلون إلى عسكره من الليل أدخل الذين انتخبهم فكلهمم وحضهم واستعمل عليهم صالح بن مسلم فخرجوا من العسكر عند المغرب فساروا فنزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم الذين وصفوا لهم ففرق صالح خيله وأكن كميننا عن يمينه وكميننا عن يساره حتى إذا مضى نصف الليل أو ثلثاه جاء العدو باجتماع وإسراع وصمت وصالح واقف في خيله فلما رآوه شدوا عليه حتى إذا اختلفت الرماح شد الكمينان عن يمين وعن شمال فلم نسمع الا الاعتزاء فلم نرقوما كانوا أشد منهم قال وقال رجل من البراجم حدثني زهير

أوسعة قال إننا نختلف عليهم بالطعن والضرب إذ تبينت تحت الليل قتيبة وقد ضربت ضربة أعجبتني وأنا أنظر إلى قتيبة فقلت كيف ترى بأبي أنت وأمي قال اسكت دق الله فاك قال فقتلناهم فلم يفلت منهم الا الشريدوا أقننا نحوي الأسلاب ونحترز الرؤس حتى أصبحنا ثم أقبلنا إلى العسكر فلم أرجعنا قط جاؤا بمثل ما جئنا به ما منا رجل إلا معلق رأسا معروفا باسمه وأسير في وثاقه قال وجئنا قتيبة بالرؤس فقال جزاكم الله عن الدين والأعراض خيرا وأكرمني قتيبة من غير أن يكون باح لي بشيء وقرن بي في الصلة والإكرام حيان العدوى وحليس الشيباني فظننت أنه رأى منهما مثل الذي رأى مني وكسر ذلك أهل السغد فطلبوا الصلح وعرضوا الفدية فأبى وقال أنا نائر بدم طرخون كان مولاي وكان من أهل ذمتي قالوا حدث عمرو بن مسلم عن أبيه قال أطال قتيبة المقام وتلثت الثلثة في سمرقند قال فنأدى مناد فصيح بالعربية يشتم قتيبة قال فقال عمرو بن أبي زهدم ونحن حول قتيبة فحين سمعنا الشتم خرجنا مسرعين فمكثنا طويلا وهو ملح بالشتم فجئت إلى رواق قتيبة فاطلعت فإذا قتيبة مُتَّحَبٌ بشملة يقول كالماجي لنفسه حتى متى يا سمرقند يعشش فيك الشيطان أما والله لئن أصبحت لأحاولن من أهلك أقصى غاية فانصرفت إلى أصحابي فقلت كم من نفس أية ستموت غدا منا ومنهم فأخبرتهم الخبر قال وأما باهلة فيقولون سار قتيبة فحمل الهر يمين حتى ورد بخارى فاستنهضهم معه وسار حتى إذا كان بمدينة أربنجن وهي التي تجلب منها اللبود الأريذنجية لقيهم غوزك صاحب السغد في جمع عظيم من الترك وأهل الشاش وفرغانة فكانت بينهم وقائع من غير مزاحفة كل ذلك يظهر المسلمون ويتحاجزون حتى قربوا من مدينة سمرقند فتراحموا يومئذ فحمل السغد على المسلمين حملة حطموهم حتى جازوا عسكرهم ثم كرم المسلمون عليهم حتى ردوهم إلى عسكرهم وقتل الله من المشركين عددا كثيرا ودخلوا مدينة سمرقند فصالحوهم قال وأخبرنا الباهليون عن حاتم بن أبي صغيرة قال رأيتُ خيلا يومئذ تطاعن خيل المسلمين وقد أمر يومئذ قتيبة بسريره فأبرز وقعد عليه وطاعنوه حتى جازوا قتيبة وإنه لمحتب بسيفه ما حل جبوته وانطوت

مجنبتا المسلمين على الذين هزموا القلب فهزموهم حتى ردوهم إلى عسكرهم وقتل من المشركين عدد كثير ودخلوا مدينة سمرقند فصالحوهم وصنع غوزك طعاما ودعا قتيبة فأتاه في عدد من أصحابه فلما تغدى استوهب منه سمرقند فقال للملك انتقل عنها فانتقل عنها وتلا قتيبة «وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى» قال وأخبرنا أبو الذيال عن عمر بن عبد الله التيمي قال حدثني الذي سرحه قتيبة إلى الحجاج بفتح سمرقند قال قدمت على الحجاج فوجهني إلى الشام فقدمتها فدخلت مسجدها فجلست قبل طلوع الشمس وإلى جنبي رجل ضير فسألته عن شيء من أمر الشام فقال إنك لغريب قلت أجل قال من أي بلد أنت قلت من خراسان قال ما أقدمك فأخبرته فقال والذي بعث محمدا بالحق ما افتحتموها إلا غدرا وإنكم يا أهل خراسان الذين تسلبون بني أمية ملكهم وتنقضون دمشق حجراً حجراً قال وأخبرنا العلاء بن جرير قال بلغني أن قتيبة لما فتح سمرقند وقف على جبلها فنظر إلى الناس متفرقين في مروج السغد فتمثل قول طرفة :

وَأُرْتَعَ أَقْوَامٌ وَلَوْلَا نَحْنُ بِمَخْشِيَةِ رَدُّوا الْجَمَالَ فَقَوَّضُوا

قال وأخبرنا خالد بن الأصفح قال قال الكميت :

كَانَتْ سَمَرْقَنْدُ أَحْقَابًا يَمَانِيَةً فَالْيَوْمَ تَنْسِبُهَا قَيْسِيَّةٌ مُضَرٌ

قال وقال أبو الحسن الجشمي فدعا قتيبة نهار بن توسة حين صالح أهل السغد

فقال يانهارُ أين قولك :

أَلَا ذَهَبَ الْغَزْوُ الْمُقَرَّبُ لِلْغَنَى وَمَاتَ النَّدَى وَالْجُودُ بَعْدَ الْمُهْلَبِ

أَقَامًا يَمْرُوَ الرُّوْذِ رَهْنٌ ضَرِيحِهِ وَقَدْ غُيِّبَا عَنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ

أَفْغَزُوْهُ هَذَا يَانِهَارُ قَالَ لَا هَذَا أَحْسَنُ وَأَنَا الَّذِي أَقُولُ :

وَمَا كَانَ مُذْ كُنَّا وَلَا كَانَ قَبْلَنَا وَلَا هُوَ فِيهَا بَعْدَنَا كَابِنِ مُسْلِمِ

أَعَمُّ لِأَهْلِ التَّرِكِ قَتْلًا بِسَيْفِهِ وَأَكْثَرَ فِينَا مَقْسِمًا بَعْدَ مَقْسِمِ

قال ثم ارتحل قتيبة راجعاً إلى مرو واستخلف على سمرقند عبد الله بن مسلم

وخلف عنده جنداً كثيراً وآلة من آلة الحرب كثيرة وقال لا تدعن مشركاً يدخل

باباً من أبواب سمرقند إلا محتوم اليد وان جفت الطينة قبل أن يخرج فاقتله وإن وجدت معه حديدة سكيناً فاسواه فاقتله وإن أغلقت الباب ليلاً فوجدت فيها أحداً منهم فاقتله فقال كعب الأشقرى ويقال رجل من جعفى :

كُلُّ يَوْمٍ يَحْوِي قَتِيْبَةً نَهَبًا وَيَزِيدُ الْأَمْوَالَ مَا لَا جَدِيدًا
بَاهِلِيَّ قَدْ أَلْبَسَ التَّاجَ حَتَّى شَابَ مِنْهُ مَفَارِقُ كَنْ سُوْدَا
دَوَّخَ الشُّغْدَ بِالْكَتَائِبِ حَتَّى تَرَكَ السُّغْدَ بِالْمَرَاءِ قُعُوْدَا
قَوْلِيْدُ يِكِي لَفَقْدِ أَبِيهِ وَأَبٌ مُوَجِّعٌ يُبْكِي الْوَلِيْدَا
كَلِمَا حَلَّ بِلَدَّةٍ أَوْ أُنَاهَا تَرَكَتْ خَيْلُهُ بِهَا أَخْدُوْدَا

قال وقال قتيبة هذا العداؤ لاعداء عيرين لانه فتح خوارزم وسمرقند في عام واحد وذلك أن الفارس إذا صرع في طلق واحد عيرين قيل عادى بين عيرين ثم انصرف عن سمرقند فأقام بمر و وكان عامله على خوارزم إياس بن عبد الله بن عمرو على حربها وكان ضعيفاً وكان على خراجها عبيد الله بن أبي عبيد الله مولى بنى مسلم قال فاستضعف أهل خوارزم إياساً وجمعوا له فكتب عبيد الله إلى قتيبة فبعث قتيبة عبد الله بن مسلم في الشتاء عاملاً وقال اضرب إياس بن عبد الله وحيان النبطى مائة مائة واحلقهما وضم اليك عبيد الله بن أبي عبيد الله مولى بنى مسلم واسمع منه فإن له وفاءً فمضى حتى إذا كان من خوارزم على سكة فدى إلى إياس فأذره فتحنى وقدم فأخذ حيان فضربه مائة وحلقه قال ثم وجه قتيبة بعد عبد الله المغيرة ابن عبد الله في الجنود إلى خوارزم فبلغهم ذلك فلما قدم المغيرة اعتزل أبناء الذين قتلهم خوارزم شاه وقالوا الانعينك فهرب إلى بلاد الترك وقدم المغيرة فسبي وقتل وصالحه الباقر فأخذ الجزية وقدم على قتيبة فاستعمله على نيسابور (وفي هذه السنة) عزل موسى بن نصير طارق بن زياد عن الأندلس ووجهه إلى مدينة طليطلة ذكر الخبر عن ذلك

ذكر محمد بن عمر أن موسى بن نصير غضب على طارق في سنة ٩٣ فشنخص إليه في رجب منها ومعه حبيب بن عقبة بن نافع الفهرى واستخلف حين شخص

على افريقية ابنة عبد الله بن موسى بن نصير وعبر موسى إلى طارق في عشرة آلاف فلتقاه فترضاه فرضى عنه وقبل منه عذره ووجهه منها إلى مدينة طليطلة وهي من عظام مدائن الأندلس وهي من قرطبة على عشرين يوماً فأصاب فيها مائة سليمان ابن داود فيها من الذهب والجوهر ما الله أعلم به (قال) وفيها أجذب أهل افريقية جدباً شديداً فخرج موسى بن نصير فاستسقى ودعا يومئذ حتى انتصف النهار وخطب الناس فلما أراد أن ينزل قيل له ألا تدعو لأمر المؤمنين قال ليس هذا يوم ذاك فسقروا سقياً كفاهم حيناً (وفيها) عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة

ذكر سبب عزل الوليد إياه عنها

وكان سبب ذلك فيما ذكر أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الوليد يخبره بعسف الحجاج أهل عمله بالعراق واعتدائه عليهم وظلمه لهم بغير حق ولا جناية وأن ذلك بلغ الحجاج فاضطغنه على عمر وكتب إلى الوليد أن من قبلي من مراق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولجأوا إلى المدينة ومكة وإن ذلك وهن فكتب الوليد إلى الحجاج أن أشر على برجلين فكتب إليه يشير عليه بعثمان ابن حيان وخالد بن عبد الله فولى خالداً مكة وعثمان المدينة وعزل عمر بن عبد العزيز قال محمد بن عمر خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة فأقام بالسويداء وهو يقول لمزاحم أتخاف أن تكون ممن نفته طيبة (وفيها) ضرب عمر بن عبد العزيز خبيب بن عبد الله بن الزبير بأمر الوليد إياه وصب على رأسه قرية من ماء بارد (ذكر) محمد بن عمر أن أبا المليح حدثه عن حضر عمر بن عبد العزيز حين جلد خبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سوطاً وصب على رأسه قرية من ماء في يوم شات ووقفه على باب المسجد فكث يومه ثم مات (وحج بالناس في هذه السنة) عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكانت عمال عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها إلا ما كان من المدينة فإن العامل عليها كان عثمان بن حيان المرثى وإياها فيما قيل في شعبان سنة ٩٣ وأما الواقدي

فإنه قال قدم عثمان المدينة لليلتين بقيتا من شوال سنة ٩٤ وقال بعضهم شخص عمر ابن عبد العزيز عن المدينة معزولا في شعبان من سنة ٩٣ وغزا فيها واستخلف عليها حين شخص عنها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري و قدم عثمان ابن حيان المدينة لليلتين بقيتا من شوال

ثم دخلت سنة أربع وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غزوة العباس بن الوليد أرض الروم فقبل إنه فتح فيها انطاكية (وفيها) غزا فيما قبل عبد العزيز بن الوليد أرض الروم حتى بلغ غزاة وبلغ الوليد بن هشام المعيطى أرض بُرج الحمام ويزيد بن أبي كبشة أرض سورية (وفيها) كانت الرجفة بالشام (وفيها) افتتح القاسم بن محمد الثقفي أرض الهند (وفيها) غزاة قتيبة شاش وفرغانة حتى بلغ خجندة وكاشان مدينتي فرغانة

ذكر الخبر عن غزوة قتيبة هذه

ذكر علي بن محمد أن أبا الفوارس التميمي أخبره عن ما هان ويونس بن أبي إسحاق أن قتيبة غزا سنة ٩٤ فلما قطع النهر فرض على أهل بخارى وكس ونسف وحوارزم عشرين ألف مقاتل قال فساروا معه إلى السغد فوجهوا إلى الشاش وتوجه هو إلى فرغانة وسار حتى أتى خجندة فجمع له أهلها فلقوه فاقتلوا مررارا كل ذلك يكون الظفر للمسلمين ففرغ الناس يوماً فركبوا خيولهم فأوفى رجلٌ علي نشر فقال تالله ما رأيت كاليوم غرة لو كان هيج اليوم ونحن على ما أرى من الانتشار لكنت الفضيحة فقال له رجل إلى جنبه كلا نحن كما قال عوف بن الحرير

نوم البلاد لحب اللقا ولا نتقى طائراً حيث طارا

سنيحاً ولا جارياً بارحاً على كل حال نلقى اليساراً

وقال سبحان وائل يذكر قتاهم بخجندة

فَسَلِ الْفَوَارِسَ فِي خُجَنْدَةَ تَحْتَ مَرْهَفَةِ الْعَوَالِي

هل كُنتُ أَجْمَعُهُمْ إِذَا هُزِمُوا وَأَقْدِمُ فِي قِتَالِي
 أَمْ كُنتُ أَضْرِبُ هَامَةَ الْهَمَى وَأَصِيرُ لِلْعَوَالِي
 هَذَا وَأَنْتَ قَرِيعُ قَيْدٍ سِي كُلِّهَا ضَخْمُ النَّوَالِي
 وَفَضَلْتَ قَيْسًا فِي النَّدَى وَأَبُوكَ فِي الْحَجَجِ الْخَوَالِي
 وَلَقَدْ تَبَيَّنَ عَدْلُ حُكْمِكَ فِيهِمْ فِي كُلِّ مَالٍ
 تَمَّتْ مِرْوَاتُكُمْ وَنَا غِي عَزَاكُمْ غُلْبَ الْجِبَالِ

قال ثم أتى قتيبة كاشان مدينة فرغانة وأتاه الجنود الذين وجههم إلى الشاش
 وقد فتحوها وحرقوا أكثرها وانصرف قتيبة إلى مرو وكتب الحجاج إلى محمد
 ابن القاسم الثقفي أن وجه من قبلك من أهل العراق إلى قتيبة ووجه إليهم جهم
 ابن زحر بن قيس فإنه في أهل العراق خير منه في أهل الشام وكان محمد وأدا لجهم
 ابن زحر فبعث سليمان بن صعصعة وجهم بن زحر فلما ودعه جهم بكى وقال
 يا جهم إنه للفراق قال لا بد منه قال وقدم على قتيبة سنة ٩٥ (وفي هذه السنة)
 قدم عثمان بن حيان المرسي المدينة واليا عليها من قبل الوليد بن عبد الملك

ذكر الخبر عن ولايته

قد ذكرنا قبل سبب عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن المدينة ومكة وتأميره
 على المدينة عثمان بن حيان فزعم محمد بن عمر أن عثمان قدم المدينة أميراً عليها لليلتين
 بقيتا من شوال سنة ٩٤ فنزل بها دار مروان وهو يقول محلة والله مظعان المغرور
 من غر بك فاستقضى أبا بكر بن حزم قال محمد بن عمر حدثني محمد بن عبد الله بن
 أبي حرة عن عمه قال رأيت عثمان بن حيان أخذ رباح بن عبيد الله ومنقذ العراقي
 فحبسهم وعاقبهم ثم بعث بهم في جوامع إلى الحجاج بن يوسف ولم يترك بالمدينة
 أحداً من أهل العراق تاجراً ولا غير تاجر وأمر بهم أن يخرجوا من كل بلد
 فرأيتهم في الجوامع واتبع أهل الأهواء وأخذ هنيئاً فقطعه ومنحوراً وكانا من
 الخوارج قال وسمعتة يخطب على المنبر يقول بعد حمد الله أيها الناس إنا وجدناكم
 أهل غش لأمير المؤمنين في قديم الدهر وحديثه وقد ضوى إليكم من يزيدكم خبالاً

أهل العراق هم أهل الشقاق والنفاق هم والله عَشْرُ النفاق وبيضته التي تفلقت عنه والله ما جربت عراقياً قط إلا وجدت أفضلهم عند نفسه الذي يقول في آل أبي طالب ما يقول وما هم لهم بشيعة وإنهم لا عداة لهم ولغيرهم ولكن لما يريد الله من سفك دماهم فإنى والله لا أوتى بأحد آوى أحداً منهم أو أكره منزلاً ولا أنزله إلا هدمت منزله وأنزلت به ما هو أهله ثم إن البلدان لما مصرها عمر بن الخطاب وهو مجتهد على ما يصلح رعيته جعل يمر عليه من يريد الجهاد فيستشيره الشام أحب إليك أم العراق فيقول الشام أحب إلى إنى رأيت العراق داء عضالاً وبها فرخ الشيطان والله لقد أعضلوا بى وإنى لأرانى سأفرقهم فى البلدان ثم أقول لو فرقتم لأفسدوا من دخلوا عليه بجدلٍ وحجاجٍ وكيف ولم وسُرعةٍ وجيفٍ فى الفتنة فإذا خبروا عند السيف لم يخبر منهم طائل لم يصلحوا على عثمان فلقى منهم الأمرين وكانوا أول الناس فتح هذا الفتق العظيم ونقضوا عرى الإسلام عروة عروة وأنغلوا البلدان والله إنى لا تقرب إلى الله بكل ما أفعل بهم لما أعرف من رأيهم ومذاهبهم ثم وليهم أمير المؤمنين معاوية فداجمهم فلم يصلحوا عليه ووليهم رجل الناس جلدأ فبسط عليهم السيف وأخافهم فاستقاموا له أحبوا أو كرهوا وذلك أنه خبرهم وعرفهم أيها الناس إنا والله مارأينا شعاراً قط مثل الأمن ولا رأينا حلساً قط شراً من الخوف فالزموا الطاعة فإن عندى يا أهل المدينة خبرة من الخلاف والله ما أتم بأصحاب قتال فكونوا من أحلاس بيوتكم وعضوا على النواجذ فإنى قد بعثت فى مجالسكم من يسمع فيبلغنى عنكم انكم فى فضول كلامٍ غيرهُ ألزم لكم فدعوا عيب الولاية فإن الأمر إنما ينقض شيئاً شيئاً حتى تكون الفتنة وإن الفتنة من البلاء والفتن تذهب بالدين وبالمال والولد قال يقول القاسم بن محمد صدق فى كلامه هذا الأخير إن الفتنة هكذا قال محمد بن عمرو حدثنى خالد بن القاسم عن سعيد بن عمرو الأنصارى قال رأيت منادى عثمان بن حيان ينادى عندنا يا بنى أمية بن زيد برئت ذمة الله من آوى عراقياً وكان عندنا رجل من أهل البصرة له فضل يقال له أبو سواده من العباد فقال والله ما أحب أن أدخل عليكم

مكروهاً بلغوني ما منى قلت لا خير لك في الخروج إن الله يدفع عنا وعنك قال فأدخلته بيتي وبلغ عثمان بن حيان فبعث أحراساً فأخرجته إلى بيت أخي فما قدروا على شيء وكان الذي سعى بي عدواً فقلت للأمير أصلح الله الأمير يوثق بالباطل فلا تعاقب عليه قال فضرب الذي سعى بي عشرين سوطاً وأخرجنا العراق فكان يصلى معنا ما يغيب يوماً واحداً وحدثنا عبد الحكيم بن نموت دونك فما برح حتى عزل الخبيث ه قال محمد بن عمر وحدثنا عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة قال إنما بعث الوليد عثمان بن حيان إلى المدينة لإخراج من بها من العراقيين وتفريق أهل الأهواء ومن ظهر عليهم أو علا بأمرهم فلم يبعثه والياً فكان لا يصعد المنبر ولا يخطب عليه فلما فعل في أهل العراق ما فعل وفي منحور وغيره أثبتته على المدينة فكان يصعد على المنبر (وفي هذه السنة) قتل الحجاج سعيد بن جبير

ذكر الخبر عن مقتله

وكان سبب قتل الحجاج إياه خروجه عليه مع من خرج عليه مع عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث وكان الحجاج جعله على عطاء الجند حين وجه عبد الرحمن إلى رتبيل لقتاله فلما خلع عبد الرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خلعه معه فلما هزم عبد الرحمن وهرب إلى بلاد رتبيل هرب سعيد * فحدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو بكر بن عياش قال كتب الحجاج إلى فلان وكان على أصبهان وكان سعيد قال الطبري أظنه لما هرب من الحجاج ذهب إلى أصبهان فكتب إليه أن سعيداً عندك فخذته فجاء الأمر إلى رجل تخرج فأرسل إلى سعيد تحوّل عنى فتنحى عنه فأتى آذريجان فلم يزل بأذريجان فطال عليه السنون واعتمر فخرج إلى مكة فأقام بها فكان أناس من ضربه يستخفون فلا يخبرون بأسمائهم قال فقال أبو حصين وهو يحدثنا هذا فبلغنا أن فلانا قد أمر على مكة فقلت له يا سعيد إن هذا الرجل لا يؤمن وهو رجل سوء وأنا أتقيه عليك فأظعن وأشخص فقال يا أبا حصين قد والله فررت حتى استحييت من الله سيحييني ما كتب الله لي قلت أظنك والله

سعيدا كما سمعتك أمك قال فقدم ذلك الرجل الى مكة فأرسل فأخذ فلان له وكنه
فجعل يدبره وذكر أبو عاصم عن عمر بن قيس قال كتب الحجاج الى الوليد إن
أهل النفاق والشقاق قد لجؤا الى مكة فإن رأى أمير المؤمنين ان يأذن لي فيهم
فكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله القسري فأخذ عطاء وسعيد بن جبير ومجاهد
وطلق بن حبيب وعمرو بن دينار فأما عمرو بن دينار وعطاء فأرسلا لأنهما
مكيان وأما الآخرون فبعث بهم إلى الحجاج فمات طلق في الطريق وحبس
مجاهد حتى مات الحجاج وقتل سعيد بن جبير ؓ حدثنا أبو كريب قال حدثنا
أبو بكر قال حدثنا الأشجعي قال لما أقبل الحرسيان بسعيد بن جبير نزل منزلا
قريبا من الربدة فانطلق أحد الحرسيين في حاجته وبقي الآخر فاستيقظ الذي
عنده وقد رأى رؤيا فقال يا سعيد إنى أبرأ إلى الله من دمك إنى رأيت في منامى
فليل ويالك تبرأ من دم سعيد بن جبير اذهب حيث شئت لا أطلبك أبداً فقال
سعيد أرجو العافية وأرجو وأبى حتى جاء ذلك فنزلا من الغد فأرى مثلها فليل
أبرأ من دم سعيد فقال يا سعيد اذهب حيث شئت إنى أبرأ إلى الله من دمك حتى
جاء به فلما جاء به إلى داره التي كان فيها سعيد وهي دارهم هذه ؓ حدثنا أبو كريب
قال حدثنا أبو بكر قال حدثنا يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم قال دخلت عليه
في دار سعيد هذه جئ به مقيدا فدخل عليه قراء أهل الكوفة قلت يا أبا عبد الله
فحدثكم قال إى والله ويضحك وهو يحدثنا وبينة له في حجره فنظرت نظرة
فأبصرت القيد فبكت فسمعتة يقول أى بنية لا تطيرى إياك وشق والله عليه فاتبعناه
نشيعه فاتبعنا به إلى الجسر فقال الحرسيان لا نعبر به أبدا حتى يعطينا كفيلا نخاف
أن يفرق نفسه قال قلنا سعيد يغرق نفسه فما عبروا حتى كفلنا به قال وهب بن
جرير حدثنا أبي قال سمعت الفضل بن سويد قال بعثني الحجاج في حاجة فجئ
بسعيد بن جبير فرجعت فقلت لأنظرن ما يصنع فقمت على رأس الحجاج فقال له
الحجاج يا سعيد ألم أشركك في أماتى ألم أستعملك ألم أفعل حتى ظننت أنه يخلى سبيله
قال بلى قال فاحملك على خروجك على قال عزم على قال فطار غضبا وقال هيه رأيت

لعزيمة عدو الرحمن عليك حقاً ولم تر لله ولا لأمير المؤمنين ولا لى عليك حقاً اضرباً
 عنقه فضربت عنقه فندر رأسه عليه كمة بيضاء لاطية صغيرة ﷺ وحدثت عن
 أبي غسان مالك بن إسماعيل قال سمعت خلف بن خليفة يذكر عن رجل قال لما
 قتل سعيد بن جبير فندر رأسه هليل ثلاثاً مرة يفصح بها وفي الثنتين يقول مثل
 ذلك فلا يفصح بها وذكر أبو بكر الباهلي قال سمعت أنس بن أبي شيخ يقول لما
 أتى الحجاج بسعيد بن جبير قال لعن الله ابن النصرانية قال يعني خالد القسري وهو الذي
 أرسل به من مكة أما كنت أعرف مكانه بلي والله والبيت الذي هو فيه بمكة ثم
 أقبل عليه فقال ياسعيد ما أخرجك على فقال أصلح الله الأمير إنما أنا امرؤ من
 المسلمين يخطئ مرة ويصيب مرة قال فطابت نفس الحجاج وتطلق وجهه ورجا
 أن يتخلص من أمره قال فعاوده في شيء فقال له إنما كانت له بيعة في عنق قال
 فغضب وانتفخ حتى سقط أحد طرفي رده عن منكبه فقال ياسعيد ألم أقدم مكة
 فقتلت ابن الزبير ثم أخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك
 قال بلي قال ثم قدمت الكوفة واليا على العراق فجددت لأمير المؤمنين البيعة
 فأخذت بيعتك له ثانية قال بلي قال فتكثرت بيعتين لأمير المؤمنين وتنفى بواحدة
 للحائك ابن الحائك اضرباً عنقه قال فإياه عنى جرير بقوله

يَارُبَّ نَاكِثِ بَيْعَتَيْنِ تَرَكَتَهُ وَخِضَابِ لِحْيَتِهِ دَمُ الْأَوْدَاجِ

وذكر عتاب بن بشر عن سالم الأفيطس قال أتى الحجاج بسعيد بن جبير وهو
 يريد الركوب وقد وضع إحدى رجله في الفرز أو الركاب فقال والله لا أركب
 حتى تبوء مقعدك من النار اضربوا عنقه فضربت عنقه فالتبس عقله مكانه فجعل
 يقول قيودنا قيودنا فظنوا أنه قال القيود التي على سعيد بن جبير فقطعوا رجله
 من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود قال محمد بن حاتم حدثنا عبد الملك بن عبد الله
 عن هلال بن جناب قال جى بسعيد بن جبير إلى الحجاج فقال اكتب إلى مصعب
 ابن الزبير قال بل كتب إلى مصعب قال والله لاقتلنك قال إنى إذا لسعيد كما سميتى
 أمى قال فقتله فلم يلبث بعده إلا نحواً من أربعين يوماً فكان إذا نام يراه في منامه

يأخذ بمجامع ثوبه فيقول يا عدو الله فيم قتلتي فيقول مالي ولسعيد بن جبير مالي
ولسعيد بن جبير (قال أبو جعفر) وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء مات فيها
عامة فقهاء أهل المدينة مات في أولها علي بن الحسين عليه السلام ثم عروة بن
الزبير ثم سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (واستقصى)
الوليد في هذه السنة بالشام سليمان بن حبيب واختلف فيمن أقام الحج للناس في
هذه السنة فقال أبو معشر فيما حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن
عيسى عنه قال حج بالناس مسلمة بن عبد الملك سنة ٩٤ وقال الواقدي حج بالناس
سنة ٩٤ عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك قال ويقال مسلمة بن عبد الملك وكان
العامل فيها على مكة خالد بن عبد الله القسري وعلى المدينة عثمان بن حيان المري
وعلى الكوفة زياد بن جرير وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى وعلى البصرة
الجراح بن عبد الله وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة وعلى خراسان قتيبة بن مسلم
وعلى مصر قرّة بن شريك وكان العراق والمشرق كله إلى الحجاج

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

ذكر الاحداث التي كانت فيها

(ففيها) كانت غزوة العباس بن الوليد بن عبد الملك أرض الرم ففتح الله
على يديه ثلاثة حصون فيما قيل وهي طولس والمرزبانين وهرقلة (وفيها) فتح
آخر الهند إلا الكيرج والمندل (وفيها) بنيت واسط القصب في شهر رمضان
(وفيها) انصرف موسى بن نصير إلى إفريقية من الأندلس وضحى بقصر الماء
فيما قيل على ميل من القيروان (وفيها) غزا قتيبة بن مسلم الشاش

ذكر الخبر عن غزوته هذه

(رجع الحديث) إلى حديث علي بن محمد قال وبعث الحجاج جيشا من العراق
فقدموا على قتيبة سنة ٩٥ فغزاه فلما كان بالشاش أوبكشها من أتاه موت الحجاج في
شوال فغمه ذلك وقفل راجعا إلى مرو وتمثل

لَعَمْرِي لِنِعْمِ الْمَرْءِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ بِحَوْرَانَ أَمْسَى، اَعْلَقَتْهُ الْحَبَائِلُ
فَإِنْ تَحَى لَا أَمَلَّ حَيَاتِي وَإِنْ تَمَّتْ فَمَا فِي حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ

قال فرجع بالناس ففرقهم فخلف في بخارى قوما ووجه قوما إلى كس ونسف ثم
أتى مرو فأقام بها وأتاه كتاب الوليد قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك في
جهاد أعداء المسلمين وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك كالذي يجب لك فالتم مغازيك
وانتظر ثواب ربك ولا تغيب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كأنى أنظر إلى بلادك
والشعر الذي أنت به (وفيها) مات الحجاج بن يوسف في شوال وهو يومئذ
ابن أربع وخمسين سنة وقيل ابن ثلاث وخمسين سنة وقيل كانت وفاته في هذه
السنة لخمس ليال بقين من شهر رمضان (وفيها) استخلف الحجاج لما حضرته
الوفاة على الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج وكانت إمرة الحجاج على العراق فيما
قال الواقدي عشرين سنة (وفي هذه السنة) افتتح العباس بن الوليد قنسرين
(وفيها) قتل الواضحى بأرض الروم ونحو من ألف رجل معه (وفيها) ذكر
ولد المنصور عبد الله بن محمد بن علي (وفيها) ولي الوليد بن عبد الملك يزيد
ابن أبي كبشة على الحرب والصلاة بالمنصرين الكوفة والبصرة وولى خراجهما
يزيد بن أبي مسلم وقيل إن الحجاج كان استخلف حين حضرته الوفاة على حرب
البلدين والصلاة بأهلها يزيد بن أبي كبشة وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم
فأقرهما الوليد بعد موت الحجاج على ما كان الحجاج استخلفهما عليه وكذلك
فعل بعمال الحجاج كلهم أقرهم بعده على أعمالهم التي كانوا عليها في حياته (وحج)
بالناس في هذه السنة بشر بن الوليد بن عبد الملك حدثني بذلك أحمد بن ثابت
عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وكان عمال
الأمصار في هذه السنة هم العمال الذي كانوا في السنة التي قبلها إلا ما كان من
الكوفة والبصرة فانهما ضمنا إلى من ذكرت بعد موت الحجاج

ثم دخلت سنة ست وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

(ففيها) كانت فيما قال الواقدي غزوة بشر بن الوليد الشامية فقفل وقد مات الوليد (وفيها) كانت وفاة الوليد بن عبد الملك يوم السبت في النصف من جمادى الآخرة سنة ٩٦ في قول جميع أهل السير واختلف في قدر مدة خلافته فقال الزهري في ذلك ما حدثت عن ابن وهب عن يونس عنه ملك الوليد عشر سنين إلا شهرا وقال أبو معشر فيه ما حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عنه كانت خلافة الوليد تسع سنين وسبعة أشهر (وقال هشام) ابن محمد كانت ولاية الوليد ثمان سنين وستة أشهر وقال الواقدي كانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر وليتين واختلف أيضاً في مبلغ عمره فقال محمد بن عمر توفي بدمشق وهو ابن ست وأربعين سنة وأشهر وقال هشام بن محمد توفي وهو ابن خمس وأربعين سنة وقال علي بن محمد توفي وهو ابن اثنتين وأربعين سنة وأشهر وقال علي كانت وفاة الوليد بدير مران ودفن خارج باب الصغير ويقال في مقابر الفراديس ويقال إنه توفي وهو ابن سبع وأربعين سنة وقيل صلى عليه عمر بن عبد العزيز وكان له فيما قال علي تسعة عشر ابناً عبد العزيز ومحمد والعباس وإبراهيم وتمام وخالد وعبد الرحمن ومبشر ومسرور وأبو عبيدة وصدقة ومنصور ومروان وعنبسة وعمر وروح وبشر ويزيد ويحيى وأم عبد العزيز ومحمد وأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وأم أبي عبيدة فزارية وسائرهم لأمهات شتى ذكر الخبر عن بعض سيره

❖ حدثني عمر قال حدثني علي قال كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلافتهم بنى المساجد مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنار وأعطى الناس وأعطى المجذمين وقال لا تسألوا الناس وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً وفتح في ولايته فتوح عظام فتح موسى بن نصير الأندلس

وفتح قتيبة كاشغر وفتح محمد بن القاسم الهند قال وكان الوليد يمر بالبقال
 فيقف عليه فيأخذ حزمة البقل فيقول بكم هذه فيقول بفلس فيقول زد فيها قال
 وأتاه رجل من بني مخزوم يسأله في دينه فقال نعم إن كنت مستحقاً لذلك قال
 يا أمير المؤمنين وكيف لا أكون مستحقاً لذلك مع قرابتي قال أقرأت القرآن قال
 لا قال ادن مني فدنا منه فنزع عمامته بقضيب كان في يده وقرعه قرعات بالقضيب وقال
 لرجل ضم هذا إليك فلا يفارقك حتى يقرأ القرآن فقام إليه عثمان بن
 يزيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فقال يا أمير المؤمنين إن عليّ ديناً فقال
 أقرأت القرآن قال نعم فاستقرأه عشر آيات من الأنفال وعشر آيات من براءة
 فقرأ فقال نعم نقضى عنكم ونصل أرحامكم على هذا قال ومرض الوليد فرهقته
 غشية فمكث عامة يومه عندهم ميتاً فبكى عليه وخرجت البرد بموته فقدم رسول
 على الحجاج فاسترجع ثم أمر بحبل فشد في يديه ثم أوثق إلى اسطوانة وقال اللهم
 لا تسلط عليّ من لا رحمة له فقد طال ما سألتك أن تجعل منيتي قبل منيته وجعل
 يدعو فانه لكذلك إذ قدم عليه يريد بإفاقة قال عليّ ولما أفاق الوليد قال ما أخذ
 أسراً بعافية أمير المؤمنين من الحجاج فقال عمر بن عبد العزيز ما أعظم نعمة الله
 علينا بعافيتك وكأني بكتاب الحجاج قد أتاك يذكر فيه أنه لما بلغه برؤك خر لله
 ساجداً وأعتق كل مملوك له وبعث بقوارير من أنبج الهند فما لبث إلا أياماً حتى
 جاء الكتاب بما قال قال ثم لم يمّ الحجاج حتى نُقل عليّ الوليد فقال خادم
 للوليد إني لأوضيء الوليد يوماً للغداء فمد يده فجعلت أصب عليه الماء وهو ساه
 والماء يسيل ولا أستطيع أن أتكلم ثم نضح الماء في وجهي وقال أناعس أنت
 ورفع رأسه إلىّ وقال ما تدري ما جاء الليلة قلت لا قال ويحك مات الحجاج
 فاسترجعت قال اسكت ما يسرّ مولاك أن في يده تفاحة يشتمها قال عليّ وكان
 الوليد صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع وكان الناس يلتقون في زمانه فانما
 يسأل بعضهم بعضاً عن البناء والمصانع فولى سليمان فكان صاحب نكاح وطعام
 فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن التزويج والجوارى ه فلما ولي عمر بن

عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل ماوردك الليلة وكم تحفظ من القرآن
ومنى تختم ومنى ختمت وما تصوم من الشهر ورثى جرير الوليد فقال

يا عين جودي يدمع هاجه الذكرك
فما لدمعك بعد اليوم مدخر
إن الخليفة قد وارت شمائله
غبراء ملحدة في جوهها زور
أضحى بنوه وقد جلت مصيبتهم
مثل النجوم هوى من بينها القمر
كانوا جميعاً فلم يدفع منيته
عبد العزيز ولا روح ولا عمر

❦ عمري عمر قال حدثنا علي قال حج الوليد بن عبد الملك وحج محمد بن

يوسف من اليمن وحمل هدايا للوليد فقالت أم البنين للوليد يا أمير المؤمنين اجعل
لي هدية محمد بن يوسف فأمر بصرفها إليها فجاءت رسل أم البنين إلى محمد فيها
فأبى وقال حتى ينظر إليها أمير المؤمنين فيرى رأيه وكانت هدايا كثيرة فقالت
يا أمير المؤمنين إنك أمرت بهدايا محمد أن تصرف إلى ولا حاجة لي بها قال ولم
قالت بلغني أنه غصبها الناس وكلفهم عملها وظلمهم وحمل محمد المتاع إلى الوليد
فقال بلغني أنك أصبتها غصباً قال معاذ الله فأمر فاستحلف بين الركن والمقام
خمسين يمينا بالله ما غصب شيئاً منها ولا ظلم أحداً ولا أصابها إلا من طيب خلف قلبها
الوليد ودفعها إلى أم البنين فمات محمد بن يوسف باليمن أصابه داء تقطع منه
(وفي هذه السنة) كان الوليد أراد الشخوص إلى أخيه سليمان لخلعه وأراد البيعة
لابنه من بعده وذلك قبل مرضته التي مات فيها ❦ عمري عمر قال حدثنا علي
قال كان الوليد وسليمان ولي عهد عبد الملك فلما أفضى الأمر إلى الوليد أراد
أن يبايع لابنه عبد العزيز ويخلع سليمان فأبى سليمان فأراده على أن يجعله له من
بعده فأبى فعرض عليه أموالاً كثيرة فأبى فكتب إلى عماله أن يبايعوا لعبد العزيز
ودعا الناس إلى ذلك فلم يجبه أحد إلا الحجاج وقتيبة وخواص من الناس فقال
عباد بن زياد إن الناس لا يجيبونك إلى هذا ولو أجابوك لم آمنهم على الغدر بابتك
فاكتب إلى سليمان فليقدم عليك فإن لك عليه طاعة فأرذه على البيعة لعبد العزيز
من بعده فانه لا يقدر على الامتاع وهو عندك فإن أبى كان الناس عليه فكتب

الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم فأبطأ فاعتزم الوليد على المسير إليه وعلى أن يخلعه فأمر الناس بالتأهب وأمر بحجره فأخرجت فرض ومات قبل أن يسير وهو يريد ذلك قال عمر قال علي وأخبرنا أبو عاصم الزيادي من الهلوات الكلبي قال كنا بالهند مع محمد بن القاسم فقتل الله داهرا وجاءنا كتاب من الحجاج أن اخلعوا سليمان فلما ولي سليمان جاءنا كتاب سليمان أن ازرعوا واحرثوا فلا شأم لكم فلم نزل بتلك البلاد حتى قام عمر بن عبدالعزيز فأقفلنا قال عمر قال علي أراد الوليد أن يبني مسجد دمشق وكانت فيه كنيسة فقال الوليد لأصحابه أقسمت عليكم لما أتاني كل رجل منكم ببلبة فجعل كل رجل يأتيه ببلبة ورجل من أهل العراق يأتيه ببلبتين فقال له ممن أنت قال من أهل العراق قال يا أهل العراق تفرطون في كل شيء حتى في الطاعة وهدموا الكنيسة وبنوها مسجداً فلما ولي عمر بن عبدالعزيز شكوا ذلك إليه فقيل إن كل ما كان خارجاً من المدينة افتتح عنوة فقال لهم عمر نرد عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة توما فإنها فتحت عنوة وبنيتها مسجداً فلما قال لهم ذلك قالوا بل ندع لكم هذا الذي هدمه الوليد ودعوا لنا كنيسة توما ففعل عمر ذلك (وفي هذه السنة) افتتح قتيبة بن مسلم كاشغر وغزا الصين

ذكر الخبر عن ذلك

(رجع الحديث) إلى حديث علي بن محمد بالإسناد الذي ذكرت قبل قال ثم غزا قتيبة في سنة ٩٦ وحمل مع الناس عيالهم وهو يريد أن يحرز عياله في سمرقند خوفاً من سليمان فلما عبر النهر استعمل رجلاً من مواله يقال له الخوارزمي على مقطع النهر وقال لا يجوزن أحد إلا بجواز ومضى إلى فرغانة وأرسل إلى شعب عصام من يسهل له الطريق إلى كاشغر وهي أدنى مدائن الصين فأتاه موت الوليد وهو بفرغانة قال فأخبرنا أبو الذيبال عن المهلب بن إياس قال قال إياس بن زهير لما عبر قتيبة النهر أتيته فقلت له إنك خرجت ولم أعلم رأيك في العيال فنأخذ أهبة ذلك وبنى الأكاير معي ولي عيال قد خلفتهم وأم عجزو وليس عندهم من يقوم بأمرهم فإن رأيت أن تكتب لي كتاباً مع بعض بني أوجهه فيقدم علي بأهلي فكتب

فأعطاني الكتاب فأنهيت إلى النهر وصاحب النهر من الجانب الآخر فالويت
بيدي فجاء قوم في سفينة فقالوا من أنت وأين جوازك فأخبرتهم فقعد معي قوم
ورد قوم السفينة إلى العامل فاخبروه قال ثم رجعوا إلى فحملوني فأنهيت اليهم وهم
يا كلون وأنا جائع فرميت بنفسي فسألني عن الأمر وأنا آكل لأجيبه فقال
هذا أعرابي قدمات من الجوع ثم ركبت فمضيت فأتيت مرو فحملت أمي ورجعت
أريد العسكر وجاءنا موت الوليد فانصرفت إلى مرو وقال وأخبرنا أبو مخنف عن
أبيه قال بعث قتيبة كثير ابن فلان إلى كاشغر فسبى منها سيياً نخم أعناقهم مما أفاء الله
على قتيبة ثم رجع قتيبة وجاءهم موت الوليد قال وأخبرنا يحيى بن زكرياء الهمداني
عن أشياخ من أهل خراسان والحكم بن عثمان قال حدثني شيخ من أهل خراسان
قال وغل قتيبة حتى قرب من الصين قال فكتب إليه ملك الصين أن ابعث إلينا
رجلا من أشراف من معكم يُخبرنا عنكم ونسأله عن دينكم فانتخب قتيبة من
عسكره اثني عشر رجلا وقال بعضهم عشرة من أفناء القبائل لهم جمال وأجسام
والسن وشعور وبأس بعد ما سأل عنهم فوجدهم من صالح من هم منه فكلهم
قتيبة وفاظنهم فرأى عقولا وجمالا فأمر لهم بَعْدَة حَسَنَة من السلاح والمتاع الجيد
من الخزوز والوشى واللّين من البياض والرقيق والنعال والِعِطْر وحملهم على
خيول مطهمة تُقَاد معهم ودواب يركبونها قال وكان هبيرة بن المشمرج الكلابي
مفوها بسيط اللسان فقال ياهبيرة كيف أنت صانع قال أصلح الله الأمير قد
كُفيت الأدب وقل ماشئت أقله وآخذ به قال سيروا على بركة الله وبالله التوفيق
لا تضعوا العمام عنكم حتى تقدموا البلاد فإذا دخلتم عليه فأعلموه أني قد حلفت
أن لا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأختم ملوكهم وأجبي خراجهم قال فساروا
وعليهم هبيرة بن المشمرج فلما قدموا أرسل اليهم ملك الصين يدعوم فدخلوا
الحمام ثم خرجوا فلبسوا ثياباً بياضاً تحتها الغلائل ثم مسوا الغالية وتدخنوا
ولبسوا النعال والأردية ودخلوا عليه وعنده عطاء أهل مملكته فجلسوا فلم
يكلمهم الملك ولا أحد من جلسائه فنهضوا فقال الملك لمن حضره كيف رأيتم

هؤلاء قالوا رأينا قوما مامم إلا نساء ما بقى منا أحد حين رأهم ووجد رايحتهم إلا انتشر ما عنده قال فلما كان الغد أرسل اليهم فلبسوا الوشي وعمائم الخنز والمطارف وغدوا عليه فلما دخلوا عليه قيل لهم ارجعوا فقال لأصحابه كيف رأيتم هذه الهيئة قالوا هذه الهيئة أشبه بهيئة الرجال من تلك الأولى وهم أولئك فلما كان اليوم الثالث أرسل اليهم فشدوا عليهم سلاحهم ولبسوا البيض والمغافر وتقلدوا السيوف وأخذوا الرماح وتكبوا القسي وركبوا خيولهم وغدوا فنظر إليهم صاحب الصين فرأى أمثال الجبال مقلبة فلما دنوا ركزوا رماحهم ثم أقبلوا نحوهم مشمرين فقبل لهم قبل أن يدخلوا ارجعوا لما دخل قلوبهم من خوفهم قال فانصرفوا فركبوا خيولهم واختلجوا رماحهم ثم دفعوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها فقال الملك لأصحابه كيف ترونهم قالوا ما رأينا مثل هؤلاء قط فلما أمسى أرسل إليهم الملك أن ابعثوا إلى زعيمكم وأفضلكم رجلا فبعثوا إليه هبيرة فقال له حين دخل عليه قد رأيتم عظيم ملكي وإنه ليس أحد يمنعكم مني وأنتم في بلادى وإنما أنتم بمنزلة البيضة في كفي وأنا سائلك عن أمر فان لم تصدقني قتلتم قال سل قال لم صنعتن ما صنعتن من الزى في اليوم الأول والثاني والثالث قال أما زينا الأول فلباسنا في أهالينا وريحنا عندهم وأما يومنا الثاني فاذا أتينا أمراءنا وأما اليوم الثالث فزينا لعدونا فاذا هاجنا هيج وفزع كنا هكذا قال ما أحسن ما دبرتم دهركم فانصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له ينصرف فاني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه قال له كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادرا عليها وغزاك وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالا إذا حضرت فأكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه قال فما الذي يرضى صاحبك قال إنه قد حلف أن لا ينصرف حتى يطاء أرضكم ويختم ملوككم ويُعطى الجزية قال فإنا نخرجه من يمينه نبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطأه ونبعث ببعض أبنائنا فيختمهم ونبعث إليه بجزية يرضاهما قال فدعا بصحاف من ذهب فيها تراب وبعث بحرير

وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ثم أجازهم فأحسن جوائزهم فساروا فقدموا
بما بعث به فقبل قتيبة الجزية وختم الغلّة ورددّهم ووطئ التراب فقال سوادة
ابن عبد الله السلوي

لأَعْيَبَ فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ بَعَثْتَهُمْ لِلصِّينِ إِنْ سَلَكُوا طَرِيقَ الْمَنْهَجِ
كسروا الجفون على القذى خوف الردى حاشى الكريم هبيرة بن مشمرج
لم يَرْضَ غَيْرَ الْحَتَمِ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَرَهَائِنِ دُفِعَتْ بِجَمِيلِ سَمْرَجِ
أدى رسالتك التي استرعتني وَأَنَاكَ مِنْ حِنْتِ الْبَيْنِ بِمَخْرَجِ

قال فأوفد قتيبة هبيرة إلى الوليد فمات بقرية من فارس فرثاه سوادة فقال

لِلَّهِ قَبْرُ هَبِيرَةَ بْنِ مَشْمَرَجٍ مَاذَا تَضَمَّنَ مِنْ نَدَى وَجَمَالِ
وَبَدِيهِ يَعْيًا بِهَا أَبْنَاؤُهَا عِنْدَ احْتِفَالِ مَشَاهِدِ الْأَقْوَالِ
كَانَ الرَّيِّعُ إِذَا السَّنُونَ تَتَابَعَتْ وَاللَيْثَ عِنْدَ تَكْعُكِ الْأَبْطَالِ
فَسَقَتْ بَقْرِيَةَ حَيْثُ أَمْسَى قَبْرُهُ غُرٌّ يَرْحَنُ بِمُسْبِلِ هَطَالِ
بَكَتِ الْجِيَادُ الصَّافِنَاتُ لِفَقْدِهِ وَبَكَاهُ كُلُّ مُتَّقِفِ عَسَالِ
وَبِكْتُهُ شُعْتُ لَمْ يَجِدَنَّ مُوَاسِيًا فِي الْعَامِ ذِي السَّنَوَاتِ وَالْإِحْمَالِ

قال وقال الباهليون كان قتيبة إذا رجع من غزاه كل سنة اشترى اثني عشر
فرسا من جباد الخيل واثني عشر هجينا لا يجاوز بالفرس أربعة آلاف فيقام عليها
إلى وقت الغزو فإذا تاهب للغزو وعسكر قادت وأضمرت فلا يقطع نهرا بخيل
حتى تخف لحومها فيحمل عليها من يحملة في الطلائع وكان يبعث في الطلائع
الفرسان من الأشراف ويبعث معهم رجالا من العجم ممن يستنصح على تلك
الهجن وكان إذا بعث بطليعة أمر بلوح فنقب ثم يشقه شقتين فأعطاها شقة واحبس
شقة لتلا يمثل مثلها ويأمره أن يدقها في موضع يصفه له من مخاضة معروفة أو تحت
شجرة معلومة أو خربة ثم يبعث بعده من يستبريها ليعلم أصادق طليعته أم لا وقال
ثابت قطنة العتكي يذكر من قتل من ملوك الترك

أَقْرَّ الْعَيْنَ مَقْتَلُ كَازَرَنْكَ وَكَشْبِيرِ وَمَا لَاقَى بِيَادِ

وقال الكميتُ يذكر غزوة السغد وحوارزم
 وبعْدُ في غزوةٍ كانت مُباركةً تَرِدِي زِراعَةَ أَقوامٍ وَتَحْتَصِدُ
 نالتُ عَمامَتُها فِيلًا بَوابِلِها وَالسُغد حين دنا شَوْبُوبُها البَرْدُ
 إِذ لا يزالُ له نَهَبٌ يُنْقَلُ مِنَ المَقايِمِ لا وَحشٌ ولا نَكْدُ
 تلك الفُتوحُ التي تُدَلِّي بِحُجَّتِها على الخليفةِ أَنَا معشرُ حُشدُ
 لَمْ تَنِّ وَجْهَكَ عن قومٍ غزوتَهُمُ حتى يُقالَ لَهمُ بَعْدًا وقد بَعَدُوا
 لَمْ تَرْضَ مِنْ حِصْنِهِمُ إِذ كان مَمْتَنِعًا حتى يَكبَّرَ فيهِ الواحدُ الصَّمدُ

خِلافةُ سَليمانِ بنِ عبدِ المَلِكِ

(قال أبو جعفر) وفي هذه السنة بُويع سليمان بن عبد الملك بالخِلافةِ وذلك في اليوم الذي توفى فيه الوليد بن عبد الملك وهو بالرملة (وفيها) عزل سليمان ابن عبد الملك عثمان بن حيان عن المدينة ذكر محمد بن عمر أنه نزعه عن المدينة لسبع بقين من شهر رمضان سنة ٩٦ قال وكان عمله على المدينة ثلاث سنين وقيل كانت إمرته عليها سنتين غير سبعة ليال قال الواقدي وكان أبو بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم قد استأذن عثمان أن ينام في عُدُو لا يجلس للناس ليقوم ليلة إحدى وعشرين فأذن له وكان أيوب بن سلمة المخزومي عنده وكان الذي بين أيوب ابن سلمة وبين أبي بكر بن عمرو بن حزم سَيِّئًا فقال أيوب لعثمان ألم تر إلى ما يقول هذا إنما هذا منه رثاء فقال عثمان قد رأيت ذلك ولست لأبي إن أرسلت إليه غدوة ولم أجده جالسًا لا جلده مائة ولا حلقن رأسه ولحيته قال أيوب فجاءني أمر أحبه فعجلت من السحر فاذا شَمعة في الدار فقلت عجل المرى فاذا رسول سليمان قد قدم على أبي بكر بتأميره وعزل عثمان وحده قال أيوب فدخلت دار الإمارة فاذا ابن حيان جالس وإذا بأبي بكر على كرسي يقول للحداد اضرب في رجل هذا الحديد ونظر إلى عثمان فقال
 أبوا على أدبارهم كُشفاً وَالأمرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الأمرُ

(وفي هذه السنة) عزل سليمان بن يزيد بن أبي مسلم عن العراق وأمر عليه يزيد ابن المهلب وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج وأمره أن يقتل آل أبي عقيل ويبسط عليهم العذاب ۞ فحدثني عمر بن شبة قال حدثني علي بن محمد قال قدم صالح العراق على الخراج ويزيد على الحرب فبعث يزيد بن المهلب على عمان وقال له كاتب صالح وإذا كتبت إليه فابدأ باسمه وأخذ صالح آل أبي عقيل فكان يعذبهم وكان يلي عذابهم عبد الملك بن المهلب (وفي هذه السنة) قتل قتيبة ابن مسلم بخراسان

ذكر الخبر عن سبب مقتله

وكان سبب ذلك أن الوليد بن عبد الملك أراد أن يجعل ابنه عبد العزيز بن الوليد وليّ عهده ودسّ في ذلك إلى القواد والشعراء فقال جرير في ذلك

إذا قيلَ أيّ الناس خَيْرُ خليفةٍ أشارتْ إلى عبدِ العزيزِ الأصابعُ
رَأَوْهُ أَحَقُّ الناسِ كُلِّهِمْ بها وما ظَلَمُوا فبايعوه وَسَارِعُوا
وقال أيضا جرير يحضّ الوليد على بيعه عبد العزيز

إلى عبد العزيز سمّت عيون الرّعيّة إذا تحيّرت الرّعاء
إليه دعت دواعيه إذا ما عمّاد الملكِ خرت والسّماءُ
وقال أولو الحكومة من قريش علينا البيع إن بلغ الغلاء
رأوا عبد العزيز وليّ عهدٍ وما ظلموا بذاك ولا أمّاؤا
فماذا تنظرون بها وفيكم جسورٌ بالعظام وأعتلاء
فزحلفها بأزمليها إليه أمير المؤمنين إذا تشاء
فإنّ الناس قد مدّوا إليه أكفّهم وقد برّح الخفاء
ولو قد بايعوك وليّ عهدٍ لقام الوزنُ واعتدلّ البناءُ

فبايعه على خلع سليمان الحجاج بن يوسف وقتيبة ثم هلك الوليد وقام سليمان ابن عبد الملك فخافه قتيبة قال علي بن محمد أخبرنا بشر بن عيسى والحسن بن رشيد وكليب بن خلف عن طفيل بن مرداس وجبله بن فروخ عن محمد بن عزيز

الكندى وجبله بن أبي داود ومسلمة بن محارب عن السكن بن قتادة أن قتيبة لما أتاه موت الوليد بن عبد الملك وقيام سليمان أشفق من سليمان لأنه كان يسعى في بيعه عبد العزيز بن الوليد مع الحجاج وخاف أن يولى سليمان يزيد بن المهلب خراسان قال فكتب إليه كتابا يُهنئه بالخلافة ويعزيه على الوليد ويعلمه بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد وأنه له على مثل ما كان لهما عليه من الطاعة والنصيحة إن لم يعزله عن خراسان وكتب إليه كتابا آخر يُعلمه فيه فتوحه ونكايته وعظم قدره عند ملوك العجم وهيئته في صدورهم وعظم صوته فيهم ويذم المهلب وآل المهلب ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه وكتب كتابا ثالثا فيه خطبه وبعث بالكتب الثلاثة مع رجل من بَاهلة وقال له ادفع إليه هذا الكتاب فإن كان يزيد بن المهلب حاضرا فقرأه ثم ألقاه إليه فادفع إليه هذا الكتاب فإن قرأه وألقاه إلى يزيد فادفع إليه هذا الكتاب فإن قرأ الأول ولم يدفعه إلى يزيد فاحتبس الكتابين الآخرين قال فقدم رسول قتيبة فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلب فدفع إليه الكتاب فقرأه ثم ألقاه إلى يزيد فدفع إليه كتابا آخر فقرأه ثم رمى به إلى يزيد فأعطاه الكتاب الثالث فقرأه فتمعر لونه ثم دعا بطين فحتمه ثم أمسكه بيده وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فإنه قال فيما حدثت عنه كان في الكتاب الأول وقية في يزيد بن المهلب وذكر غدره وكفره وقلة شكره وكان في الثاني ثناء على يزيد وفي الثالث لئن لم تُقرني على ما كنت عليه وتؤمنني لأخلعك خلع النعل ولأملأها عليك خيلا ورجالا وقال أيضا لما قرأ سليمان الكتاب الثالث وضعه بين مثالين من المثل التي تحته ولم يحرف في ذلك مرجوعا (رجع الحديث) إلى حديث علي بن محمد قال ثم أمر يعني سليمان برسول قتيبة أن ينزل فحول إلى دار الضيافة فلما أمسى دعا به سليمان فأعطاه صرة فيها دنانير فقال هذه جائزتك وهذا عهد صاحبك على خراسان فسر هذا رسولي معك بعهدة قال فخرج الباهلي وبعث معه سليمان رجلا من عبد القيس ثم أحد بني ليث يقال له صعصعة أو مصعب فلما كان بجلوان تلقاهم الناس بخلع قتيبة فرجع العبدى ودفع العهد إلى رسول قتيبة

وقد خلع واضطرب الامر فدفع اليه عهده فاستشار إخوته فقالوا الا يثق بك سليمان
بعدهذا (قال علي) وحدثني بعض العنبريين عن أشياخ منهم أن توبة بن أبي أسيد
العنبري قال قدم صالح العراق فوجهني إلى قتيبة ليطلعني طلع ما في يده فصحبني رجل
من بني أسد فسألني عما خرجت فيه فكأتمته أمرى فإنا للسير إذ سنع اناسا فتنظر
إلى رفيقي فقال أراك في أمر جسيم وأنت تكتمني فمضيت فلما كنت بحلوان تلقاني
الناس بقتل قتيبة قال علي وذكر أبو الذيال وكليب بن خلف وأبو علي الجوزجاني
عن طفيل بن مرداس وأبو الحسن الجشمي ومصعب بن حبان عن أخيه مقاتل
ابن حبان وأبو مخنف وغيرهم أن قتيبة لما تم بالخلع استشار إخوته فقال له عبد الرحمن
اقطع بعثا فوجه فيه كل من تخافه ووجه قوما إلى مرو وسرحني تنزل سمرقند ثم قل
لمن معك من أحب المقام فله المواساة ومن أراد الانصراف فغير مستكره ولا
متبوع بسوء فلا يقيم معك الا مناصح وقال له عبد الله أخلعه مكانك وادع الناس إلى
خلعه فليس يختلف عليك رجلان فأخذ برأي عبد الله فخلع سليمان ودعا الناس
إلى خلعه فقال للناس إني قد جمعتكم من عين التمر وبيض البحر فضمنت الأخ
إلى أخيه والولد إلى أبيه وقسمت بينكم فياكم وأجريت عليكم أعطياتكم غير
مكذرة مالا مؤخره وقد جرتم الولاية قبل أن أتم أمية فكتب إلى أمير المؤمنين
ان خراج خراسان لا يقيم بمطبخي ثم جاءكم أبو سعيد فدوم بكم ثلاث سنين
لا تدرون أفي طاعة أنتم أم في معصية لم يجب فينا ولم ينكأ عدوا ثم جاءكم بنوه
بعده يزيد فحل تبارى إليه النساء وانما خليفتمكم يزيد بن مروان هبنة القيسي
قال فلم يجبه أحد فغضب فقال لا أعز الله من نصرتم والله لو اجتمعتم على عز
ما كسرتم قرنه يا أهل السافلة ولا أقول أهل العالية يا أوباش الصدقة جمعتكم
كما تجمع إبل الصدقة من كل أوب يامعشر بكر بن وائل يا أهل النفع والكذب
والبخل بأي يوم يكم تفخرون بيوم حربكم أو يوم سلمكم فوالله لانا أعز
منكم يا أصحاب مسيلة يا بني ذميم ولا أقول تميم يا أهل الخور والقصف والغدر
كنتم تسمون الغدر في الجاهلية كيسان يا أصحاب سجاح يامعشر عبد القيس القساء

تبدلتهم بأبر النخل أئنة الخيل يامعشر الأزد تبدلتهم بقلوس السفن أئنة الخيل
الحسن إن هذا لبدعة في الإسلام والاعراب وما لالاعراب لعنة الله على الاعراب
يا كناسة المصرين جمعتم من منابت الشيخ والقيصوم ومنابت الفلفل تركبون
البقر والحر في جزيرة ابن كاوان حتى إذا جمعتم كما تجمع قرع الخريف قلم كيت
وكيت أما والله إنى لابن أبيه وأخو أخيه أما والله لأعصبنكم عصب السلة إن
حول الصليان الزمزمة يا أهل خراسان هل تدرون من وليكم وليكم يزيد بن مروان
كأنى بأمير مزجاء وحكم قد جاءكم فغلبكم على فيسكم وأطلالكم إن ههنا ناراً
ارموها أرم معكم ارموا غرضكم الأقصى قد استخاف عليكم أبو نافع ذو الودعات إن
الشام أبو مبرور وإن العراق أبو مكفور حتى متى يتبطح أهل الشام بأفئتمكم
وظلال دياركم يا أهل خراسان انسبونى تجدونى عراقى الأم عراقى الأب عراقى
المولد عراقى الهوى والرأى والدين وقد أصبحتم اليوم فيما ترون من الأمن
والعافية قد فتح الله لكم البلاد وآمن سلبكم فالظعينة تخرج من مرو إلى بلخ
بغير جواز فاحمدوا الله على النعمة وسلوه الشكر والمزيد قال ثم نزل فدخل منزله
فأتاه أهل بيته فقالوا مارأينا كاليوم قط والله ما اقتصرت على أهل العالية وهم
شعارك ودثارك حتى تناولت بكرأوهم أنصارك ثم لم ترض بذلك حتى تناولت
تمبها وهم إخوتك ثم لم ترض بذلك حتى تناولت الأزد وهم يدك فقال لما تكلمت
فلم يجبنى أحد غضبت فلم أدر ما قلت إن أهل العالية كابل الصدقة قد جمعت من
كل أوب وأما بكر فإنها أمة لا تمنع بدلامس وأما تميم فجمل أجرب وأما عبد القيس
فما يضرب العير بذنبه وأما الأزد فأعلاج شرار من خلق الله لو ملكت أمرهم
لو سمتم قال فغضب الناس وكرهوا خلع سليمان وغضبت القبائل من شتم قتيبة
فأجمعوا على خلافه وخلعه وكان أول من تكلم في ذلك الأزد فأتوا حضين بن
المنذر فقالوا إن هذا قد دعا إلى مادعا إليه من خلع الخليفة وفيه فساد الدين والدنيا
ثم لم يرض بذلك حتى قصر بنا وشتمنا فما ترى يا أبا حفص وكان يكتنى في الحرب
بأبي ساسان ويقال كنيته أبو محمد فقال لهم حضين مضر بخراسان تعدل هذه الثلاثة

الانحاس وتميم أكثر الخسنيين وهم فرسان خراسان ولا يرضون أن يصير الأمر في غير مضر فان أخر جتموهم من الأمر أعانوا قتيبة قالوا إنه قد وترى تميم بقتل ابن الاهتم قال لا تنظروا إلى هذا فانهم يتعصبون للبضريّة فانصرفوا رادين لرأى حنين فأرادوا أن يولوا عبد الله بن حوذان الجهضمي فأبى وتدافعوا فرجعوا إلى حنين فقالوا قد تدافعنا الرياسة فنحن نوليك أمرنا وربيعة لا تخالفك قال لا نأقده في هذا ولا جعل قالوا ماترى قال إن جعلتم هذه الرياسة في تميم تم أمركم قالوا فمن ترى من تميم قال ما أرى أحدا غير وكيع فقال حيان مولى بني شيبان إن أحدا لا يتقاده هذا الأمر فيصلى بجره ويبدل دمه ويتعرض للقتل فان قدم أمير أخذه بما جنى وكان المهنا لغيره إلا هذا الأعرابي وكيع فإنه مقدم لا يبالي ماركب ولا ينظر في عاقبة وله عشيرة كثيرة تطيعه وهو مورتور يطالب قتيبة برياسته التي صرفها عنه وصيرها لضرار بن حصين بن زيد الفوارس بن حصين بن ضرار الضبي فمضى الناس بعضهم إلى بعض سرا وقيل لقتيبة ليس يفسد أمر الناس إلا حيان فأراد أن يغتاله وكان حيان يلاطف حشم الولاة فلا يخفون عنه شيئا قال فدعا قتيبة رجلا فأمره بقتل حيان وسمعه بعض الخدم فأتى حيان فأخبره فأرسل اليه يدعوه فحذر وتمارض وأتى الناس وكيعا فسألوه أن يقوم بأمرهم فقال نعم وتمثل قول الأشهب بن ربيعة
سأجنى ما جنيت وأن ركني لمعتمد إلى نضد ركني

قال وبخراسان يومئذ من المقاتلة من أهل البصرة من أهل العالية تسعة آلاف وبكر سبعة آلاف رئيسهم الحنين بن المنذر وتميم عشرة آلاف عليهم ضرار ابن حصين الضبي وعبد القيس أربعة آلاف عليهم عبد الله بن حلوان عوذى والأزد عشرة آلاف رأسهم عبد الله بن حوذان ومن أهل الكوفة سبعة آلاف عليهم جهم بن زحر أو عبيد الله بن علي والموالي سبعة آلاف عليهم حيان وحيان يقال إنه من الديلم ويقال إنه من خراسان وإنما قيل له نبطي للكتبة فأرسل حيان إلى وكيع أرايت إن كفت عنك وأعتك تجعل لي جانب نهر بلخ خراجة مادمت حيا ومادمت واليا قال نعم فقال للمعجم هؤلاء يقاثلون على غير دين فدعوهم

يقتل بعضهم بعضا قالوا نعم فبايعوا وكيما سرافاني ضرار بن حصين قتيبة فقال ان
الناس يختلفون الى وكيع وهم يبايعونه وكان وكيع يأتي منزل عبد الله بن مسلم
الفقير فيشرب عنده فقال عبد الله هذا يسعد وكيما وهذا الامر باطل هذا وكيع
في بيتي يشرب ويسكر ويسلخ في ثيابه وهذا يزعم أنهم يبايعونه قال وجاء وكيع
إلى قتيبة فقال احذر ضرارا فاني لا آمنه عليك فأنزل قتيبة ذلك منهما على التحاسد
وتمارض وكيع ثم إن قتيبة دس ضرار بن سنان الضبي إلى وكيع فبايعه سرا
فتبين لمقتيبة أن الناس يبايعونه فقال لضرار قد كنت صدقتني قال إني لم أخبرك
إلا بعلم فأنزلت ذلك مني على الحسد وقد قضيت الذي كان علي قال صدقت وأرسل
قتيبة إلى وكيع يدعو فوجده رسول قتيبة قد طلى على رجله مغرة وعلى ساقه
خرزا وودعا وعنده رجلان من زهران يرقيان رجله فقال له أجب الأمير قال
قد ترى ما برجلي فرجع الرسول إلى قتيبة فأعاده إليه قال يقول لك انتني محمولا على
سرير قال لا أستطيع قال قتيبة لشريك بن الصامت الباهلي أحد بني وائل وكان
على شرطته ورجل من غنى انطلقا إلى وكيع فأتياني به فإن أبي فاضربا عنقه ووجه
معهما خيلا ويقال كان على شرطه بخراسان ورقاء بن نصر الباهلي ه قال علي
قال أبو الديال قال ثمامة بن ناجذ العدوي أرسل قتيبة إلى وكيع من يأتيه به
فقلت أنا آتيك به أصلحك الله فقال انتني به فأتيت وكيما وقد سبق إليه الخبر
أن الخيل تأتيه فلما رآني قال يا ثمامة ناد في الناس فناديت فكان أول من أتاه
هريم بن أبي طحمة في ثمانية قال وقال الحسن بن رشيد الجوزجاني أرسل قتيبة
إلى وكيع فقال هریم أنا آتيك به قال فانطلق قال هریم فركبت برذوني مخافة
أن يردني فأتيت وكيما وقد خرج قال وقال كليب بن خلف أرسل قتيبة إلى وكيع
شعبة بن ظهير أحد بني صخر بن نهشل فأتاه فقال يا ابن ظهير لبتك قليلا تلحق
الكتاب ثم دعا بسكين فقطع خرزا كان على رجله ثم لبس سلاحه وتمثل
سُدُوا عَلِيَّ سُرَّتِي لَا تَنْقَلِبْ يَوْمَ هَمْدَانَ وَيَوْمَ اللَّصِيفِ
وخرج وحده ونظر إليه نسوة فقلن أبو مطرف وحده فجاء هریم بن أبي طحمة

في ثمانية فيهم عميرة بن البريد بن ربيعة العجيني قال حمزة بن ابراهيم وغيره أن
وكيعا خرج فتلقيه رجل فقال ممن أنت قال من بني أسد قال ما اسمك قال ضرغامه
قال ابن من قال ابن ليث قال دونك هذه الراية قال المفضل بن محمد الضبي ودفع وكيع
رايته الى عقبه بن شهاب المازني قال ثم رجع الى حديثهم قالوا نخرج وكيع
وأمر غلماناه فقال اذهبوا بثقلى الى بني العم فقالوا لا نعرف موضعهم قال انظروا
رحمين مجموعين أحدهما فوق الآخر فوقهما مخلاة فهم بنو العم قال وكان في
العسكر ومنهم خمسمائة قال فنادى وكيع في الناس فأقبلوا أرسالا من كل وجه
فأقبل في الناس يقول

قَرَّمْ إِذَا تُحْمَلَ مَكْرُوهَةٌ شَدَّ الشَّرَاسِيفَ لَهَا وَالْحَزِيمَ

وقال قوم تمثل وكيع حين خرج
أَنْحَنُ بِلُقْمَانَ بْنِ عَادٍ فَجِنْسِيهِ أَرِنِي سِلَاحِي إِنْ يَطِيرُوا بِأَعْزَلِ
واجتمع إلى قتيبة أهل بيته وخواص من أصحابه وثقاته فيهم اياس
ابن يهس بن عمرو بن عم قتيبة دنيا وعبد الله بن وألان العدوي وناس من
رهطة بنى وائل وأتاه حيان بن اياس العدوي في عشرة فيهم عبدالعزيب بن الحارث
قال وأتاه ميسرة الجدلي وكان شجاعا فقال ان شئت أتيتك برأس وكيع فقال
قف مكانك وأمر قتيبة رجلا فقال ناد في الناس أين بنو عامر فنادى أين بنو عامر
فقال محض بن جزء الكلابي وقد كان جفاهم حيث وَضَعْتَهُمْ قال ناد أذكركم الله
والرحم فنادى محض أنت قطعها قال ناد لكم العتي فناداه محض أو غيره
لا أقالنا الله إذا فقال قتيبة -

يَا نَفْسِ صَبْرًا عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْمُرِّ إِذَا لَمْ أَجِدْ لِفُضُولِ الْقَوْمِ أَقْرَانَا
ودعا بعامة كانت أمه بعثت بها اليه فاعتم بها كان يعتم بها في الشدائد ودعا ببردون
له مدرب كان يتطير اليه في الزحوف فقرب اليه ليركبه فجعل يقمص حتى أعياه
فلما رأى ذلك عاد الى سريره فعمد عليه وقال دعوه فإن هذا امر يراد وجاء حيان
النبطي في العجم فوقف وقتيبة واجد عليه فوقف معه عبد الله بن مسلم فقال

عبد الله لحيان احمل على هذين الطرفين قال لم يأن لذلك فغضب عبد الله وقال
 ناولني قوسى قال حيان ليس هذا يوم قوس فأرسل وكيع إلى حيان ابن ما وعدتني
 فقال حيان لابنه إذ رأيتني قد حولت قلنسوتي ومضيت نحو عسكر وكيع فمل
 بمن معك من العجم إلى فوقف ابن حيان مع العجم فلما حول حيان قلنسوته مات
 الاعجام إلى عسكر وكيع فكبر أصحابه وبعث قتيبة أخاه صالحا إلى الناس
 فرماه رجل من بني ضبة يقال له سليمان الزنجيرج وهو الخرنوب ويقال بل رماه
 رجل من بلعم فأصاب هامته فحمل إلى قتيبة ورأسه مائل فوضع في مصلاه فتحول
 قتيبة فجلس عنده ساعة ثم تحول إلى سريره قال وقال أبو السرى الأزدي رمى
 صالحا رجل من بني ضبة فأثقله وطعنه زياد بن عبد الرحمن الأزدي من بني شريك
 ابن مالك قال وقال أبو مخنف حمل رجل من غنى على الناس فرأى رجلا مجففا
 فشبّه بجهنم بن زحر بن قيس فطعنه وقال

إِنَّ غَنِيًّا أَهْلُ عِزٍّ وَمُصَدِّقٍ إِذَا حَارَبُوا وَالنَّاسُ مُفْتَتِنُونَا

فإذا الذى طعن علعج وتهايج الناس وأقبل عبد الرحمن بن مسلم نحوهم فرماه
 أهل السوق والغوغاء فقتلوه وأحرق الناس موضعا كانت فيه إبل لقتيبة ودوابه
 ودنوا منه فقاتل عنه رجل من باهلة من بني وائل فقال له قتيبة انج بنفسك فقال
 له بئس ماجزيتك إذا وقد أطعمتني الجردق والبستى الترمق قال فدعا قتيبة بدابة
 فأتى بيرذون فلم يقر ليركبه فقال إن له لشأنا فلم يركبه وجلس وجاء الناس حتى
 بلغوا الفسطاط فخرج إياس بن بيهس وعبد الله بن وألان حين بلغ الناس
 الفسطاط وتركوا قتيبة وخرج عبد العزيز بن الحارث يطلب ابنه عمراً أو عمر
 فلقبه الطائى فخره ووجد ابنه فأردفه قال وفطن قتيبة للهيم بن المنخل وكان ممن
 يعين عليه فقال

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

قال وقتل معه إخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين وعبد الكريم
 بنو مسلم وقتل ابنه كثير بن قتيبة وناس من أهل بيته ونجا أخوه ضرار استنقذه

أخواله وأمه غراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة وقال قوم قتل عبد الكريم بن مسلم بقزوين وقال أبو عبيدة قال أبو مالك قتلوا قتيبة سنة ٩٦ وقاتل من بني مسلم أحد عشر رجلاً فصلبهم وكيع سبعة منهم لصلب مسلم وأربعة من بني أبنائهم قتيبة وعبد الرحمن وعبد الله الفقير وعبيد الله وصالح وبشار ومحمد بنو مسلم وكثير بن قتيبة ومغلس بن عبد الرحمن ولم ينج من صلب مسلم غير عمرو وكان عامل الجوزجان وضرار وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع ابن معبد بن زرارة فجاء أخواله فدفعوه حتى نجوه ففي ذلك يقول الفرزدق

عَشِيَّةَ مَاوَدَ ابْنُ غَرَاءَ أَنَّهُ لَهُ مِنْ سِوَانَا إِذْ دَعَا أَبَوَانِ

وضرب إياس بن عمرو ابن أخي مسلم بن عمرو على ترقوته فعاش قال ولما غشي القوم الفسطاط قطعوا أطنابه قال زهير فقال جهم بن زحر لسعد انزل فخر رأسه وقد أثنى جراحاً فقال أخاف أن تجول الخيل قال تخاف وأنا إلى جنبك فنزل سعد فشق صوفة الفسطاط فاحتز رأسه فقال حُضَيْنُ بن المنذر وأن ابن سعد وابن زحر تعاورا بِسَيْفَيْهِمَا رَأْسَ الْهُمَامِ الْمُتَوَجِّعِ
عَشِيَّةَ جِئْنَا بِابْنِ زَحْرِ وَجِئْتُمْ بِأَدْعَمِ مَرْقُومِ الذَّرَاعِينَ دَيْرِجِ
أَصْمٌ غُدَانِي كَانَ جَبِينَهُ لَطَاخَةُ نِقْسٍ فِي أَدِيمٍ مُجْمَعِ

قال فلما قتل مسلمة يزيد بن المهلب استعمل على خراسان سعيد خدينة بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص فحبس عمال يزيد وحبس فيهم جهم بن زحر الجعفي وعلى عذابه رجل من باهلة فقيل له هذا قاتل قتيبة فقتله في العذاب فلامه سعيد فقال أمرتني أن أستخرج منه المال فعذبتني فأتى على أجله قال وسقطت على قتيبة يوم قتل جارية له خوارزمية فلما قتل خرجت فأخذها بعد ذلك يزيد بن المهلب فهي أم خليدة قال علي قال حمزة بن إبراهيم وأبو اليقظان لما قتل قتيبة سعد عمارة بن جنية الرياحي المنبر فتكلم فأكثر فقال له وكيع دعنا من قدرك وهذرك ثم تكلم وكيع فقال مثلي ومثلي قتيبة كما قال الأول

مَنْ يَنْكِ الْعَيْرَ يَنْكِ نِيَاكَ

أراد قتيبة أن يقتلني وأنا قتال

قد جربوني ثم جربوني من غلوتين ومن المشين

حتى إذا سببت وشيبتوني خلوا عني وتكبوني

أنا أبو مطرف قال وأخبرنا أبو معاوية عن طلحة بن إياس قال قال وكيع

يوم قتل قتيبة

أنا ابن خندف تنميني قبائلها للصالحات وعمي قيس عيلانا

ثم أخذ بلحيته ثم قال

شيخ إذا حمل مكرهة شد الشرا سيف لها والحزيم

والله لاقتلن ثم لاقتلن ولاصلبن ثم لاصلبن إني والنح دما أن مرزبانكم هذا

ابن الزانية قد أغلى عليكم أسعاركم والله ليصيرن القفيز في السوق غداً بأربعة

أو لاصلبته صلوا على نبيكم ثم نزل قال علي وأخبرنا المفضل بن محمد وشيخ من

بني تميم ومسلمة بن محارب قالوا طلب وكيع رأس قتيبة وخاتمه فقيل له إن الأزد

أخذته فخرج وكيع وهو يقول ذه درين سعد القين

في أي يوم من الموت أفرأ يوم لم يُقدر أم يوم قدر

لاخير في أحزم جواد القرع في أي يوم لم أرع ولم أرع

والله الذي لا إله غيره لا أبرح حتى أوتى بالرأس أو يذهب برأسي مع رأس

قتيبة وجاء بخشب فقال إن هذه الخيل لا بد لها من فرسان يتهدد بالصلب فقال

له حضين يا أبا مطرف توتي به فاسكن وأتى حضين الأزد فقال أحمق أنتم بايعناه

وأعطيناه المقادة وعرض نفسه ثم تأخذون الرأس أخرجوه لعنه الله من رأس

جاءوا بالرأس فقالوا يا أبا مطرف إن هذا هو احتزه فاشكمه قال نعم فأعطاه

ثلاثة آلاف وبعث بالرأس مع سليط بن عبد الكريم الخنقي ورجال من القبائل

وعليهم سليط ولم يبعث من بني تميم أحداً قال قال أبو الذيال كان فيمن ذهب

بالرأس أنيف بن حسان أحد بني عدي (قال أبو مخنف) وتي وكيع لحيان النبطي

بما كان أعطاه قال قال خريم بن أبي يحيى عن أشياخ من قيس قالوا قال سليمان

للهديل بن زفر حين وضع رأس قتيبة ورعوس أهل بيته بين يديه هل ساءك هذا يا هديل قال لو ساءني ساء قوماً كثيراً فكلمه خريم بن عمرو والقعقاع بن خليل فقال ائذن في دفن رؤوسهم قال نعم وما أردت هذا كله قال علي قال أبو عبد الله السلي عن يزيد بن سويد قال قال رجل من عجم أهل خراسان يا معشر العرب قتلتم قتيبة والله لو كان قتيبة منافات فينا جعلناه في تابوت فكنا نستفتح به إذا غزونا وما صنع أحد قط بخراسان ما صنع قتيبة إلا أنه قد غدروا ذلك أن الحجاج كتب إليه أن احتلهم واقتلهم في الله قال وقال الحسن بن رشيد قال الأصمعي لرجل يا معشر العرب قتلتم قتيبة ويزيد وهما سيّدا العرب قال فأيهما كان أعظم عندكم وأهيب قال لو كان قتيبة بالمغرب بأقصى جحر به في الأرض مكبلاً بالحديد ويزيد معنا في بلادنا والعلينا لكان قتيبة أهيب في صدورنا وأعظم من يزيد قال علي قال المفضل بن محمد الضبي جاء رجل إلى قتيبة يوم قتل وهو جالس فقال اليوم يُقتل ملك العرب وكان قتيبة عندهم ملك العرب فقال له اجلس قال وقال كليب بن خلف حدثني رجل ممن كان مع وكيع حين قتل قتيبة قال أمر وكيع رجلاً فنادى لا يُسلَبن قتيلاً فرأى ابن عبيد الهجري على أبي الحجر الباهلي فسلبه فبلغ وكيعاً فضرب عنقه قال أبو عبيدة قال عبد الله بن عمر من تيم اللات ركب وكيع ذات يوم فأتوه بسكران فأمر به فقتل فقتل له ليس عليه القتل إنما عليه الحد قال لا أعاقب بالسياط ولكني أعاقب بالسيف فقال نهار بن تيسة

وكنا نُبكي من الباهلي فهذا العَدائيُّ شرٌّ وشرٌّ

(وقال أيضاً)

ولما رأينا الباهلي ابن مسلم
وقال الفرزدق يذكر وقعة وكيع
ومنا الذي سل السيوف وشامها
عشية لم تمنع بنيتها قبيلة
عشية ماوّد ابن غراء أنه
تجبر عمّناه عَضباً مهتداً
عشية باب القصر من قرغان
يعز عراقي ولا ييمان
له من سوانا إذ دعا أبوان

عشية لم تستر هوازنُ عامر
عشية ودَّ الناسُ أنهم لنا
رأوا جبلا يعلو الجبال إذا التقت
رجال على الإسلام إذ ما تجالدوا
وحتى دعا في سور كلِّ مدينه
فيجزي وكيع بالجماعة إذ دعا
جزاء بأعمال الرجال كما جرى
وقال الفرزدق في ذلك أيضا

أتاني ورَحلي بالمدينة وقعة
لآلِ تميم أقعدت كلَّ قائم

وقال عليُّ أخبرنا خريم بن أبي يحيى عن بعض عمومته قال أخبرني شيوخ من
غسان قالوا إنا لبثنية العقاب إذ نحن برجل يشبه الفيوج معه عصا وجراب قلنا
من أين أقبلت قال من خراسان قلنا فهل كان بها من خير قال نعم قتل قتيبة بن
مسلم أمس فتعجبنا لقوله فلبارأي انكارنا ذلك قال أين تروني الليلة من افریقیة
ومضى واتبعناه على خيولنا فاذا شيء يسبق الطرف وقال الطرماح

لولا فوارسُ مذحج ابنة مذحج
وتقطعت بهم البلاد ولم يوب
واستضلعت عقد الجماعة وازدرى
قوم هم قتلوا قتيبة عنوة
بالمرج مرج الصين حيث تبينت
إذ حالفت جزعا ربيعة كلها
وتقدمت أزد العراق ومذحج
فحطان تضرب رأس كل مذحج
والأزد تعلم أن تحت لواها
فبعزنا نصر النبي محمد

والأزد زعزع واستبيح العسكر
منهم إلى أهل العراق مخبر
أمر الخليفة واستحل المنكر
والخيل جانحة عليها العشير
مضر العراق من الأعز الأكبر
وتفرقت مضر ومن يتمضر
للوت يجمعها أبوها الأكبر
تحى بصائرهن إذ لا تبصر
ملكاً قراسية وموت أحر
وبنا ثبت في دمشق المنبر

وقال عبد الرحمن بن جمانه الباهلي
 كان أبا حفص قتيبة لم يسر
 ولم تخفيق الرايات والقوم حوله
 دعتُه المنايا فاستجاب لربه
 فما رزى الإسلام بعد محمد
 يعني أم ولد له وقال الأصم بن الحجاج يرثي قتيبة

الم يأن للأحياء أن يعرفوا لنا
 نقود تميما والموالي ومدحجا
 نقتل من شئنا بعزة ملكنا
 سليمان كم من عسكري قد حوت لكم
 وكم من حصون قد أبحنا منيعه
 ومن بلدة لم يغرها الناس قبلنا
 مرن على الغزو الجرور ووقرت
 وحتى لو أن النار شبت وأكرهت
 تلاعب أطراف الأسيه والقنا
 بهن أبحنا أهل كل مدينة
 ولو لم تعجلنا المنايا لجاوزت
 ولكن آجالا قضين ومدة

(وفي هذه السنة) عزل سليمان بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري عن مكة
 وولاهم طلحة بن داود الحضرمي (وفيها) غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم
 الصائفة ففتح حصنا يقال له حصن عوف (وفي هذه السنة) توفي قره بن شريك العبسي
 وهو أمير مصر في صفر في قول بعض أهل السير وقال بعضهم كان هلاك قره
 في حياة الوليد في سنة ٩٥ في الشهر الذي هلك فيه الحجاج (وحج) بالناس
 في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري كذلك حدثني أحمد

ابن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وغيره وكان الأمير على المدينة في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى حرب العراق وصلاتها يزيد بن المهلب وعلى خراجها صالح بن عبد الرحمن وعلى البصرة سفیان بن عبد الله الكندي من قبل يزيد بن المهلب وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى وعلى حرب خراسان وكيع بن أبي سود

ثم دخلت سنة سبع وتسعين

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك ما كان من تجهيز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية واستعماله ابنه داود بن سليمان على الصائفة فافتح حصن المرأة (وفيها) غزا فيما ذكر الواقدي مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ففتح الحصن الذي كان فتحه الواضح صاحب الواضحية (وفيها) غزا عمرو بن هيرة الفزارى في البحر أرض الروم فشتا بها (وفيها) قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بالاندلس وقدم برأسه على سليمان حبيب بن أبي عبيد الفهري (وفيها) ولي سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب خراسان

ذكر الخبر عن سبب ولايته خراسان

وكان السبب في ذلك أن سليمان بن عبد الملك لما أفضت الخلافة إليه ولي يزيد بن المهلب حرب العراق والصلاة وخراجها (فذكر هشام) بن محمد عن أبي مخنف أن يزيد نظر لما ولاه سليمان ما ولاه من أمر العراق في أمر نفسه فقال إن العراق قد أحر بها الحجاج وأنا اليوم رجاء أهل العراق ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم عليه صرت مثل الحجاج أدخل على الناس الحرب وأعيد عليهم تلك السجون التي قد عاقبهم الله منها ومتى لم آت سليمان بمثل ما جاء به الحجاج لم يقبل مني فأتى يزيد سليمان فقال أدلك على

رجل بصير بالخراج توليه إياه فتكون أنت تأخذه به صالح بن عبد الرحمن مولى
 بنى تميم فقال له قد قبلنا رأيك فأقبل يزيد إلى العراق ﷺ وحدثني عمر بن شبة قال
 قال علي كان صالح قدم العراق قبل قدوم يزيد فنزل واسطاً قال علي فقال عباد
 ابن أيوب لما قدم يزيد خرج الناس يتلقونه فقبل لصالح هذا يزيد وقد خرج
 الناس يتلقونه فلم يخرج حتى قرب يزيد من المدينة فخرج صالح عليه
 دُرّاعة ودبوسية صفراء صغيرة بين يديه أربعمئة من أهل الشام فلقى يزيد
 فسأره فلما دخل المدينة قال له صالح قد فرغت لك هذا الدار فأشار له إلى دار فنزل
 يزيد ومضى صالح إلى منزله قال وضيق صالح على يزيد فلم يملكه شيئاً واتخذ
 يزيد ألف خوان يُطعم الناس عليها فأخذها صالح فقال له يزيد اكتب ثمنها عليّ
 واشترى متاعاً كثيراً وصكّ صكاً إلى صالح لباعتها منه فلم يُنفذه فرجعوا
 إلى يزيد فغضب وقال هذا عملي بنفسى فلم يلبث أن جاء صالح فأوسع له يزيد
 فجلس وقال ليزيد ما هذه الصكّ الخراج لا يقوم لها قد أنفذت لك منذ أيام صكّ
 بمائة ألف وعجّلت لك أرزاقك وسألت مالا للجنّد فأعطيتك فهذا لا يقوم له شيء
 ولا يرضى أمير المؤمنين به وتوخذ به فقال له يزيد يا أبا الوليد أجز هذه الصكّ
 هذه المرّة وضاحكه قال فإني أجزها فلا تكثرنّ عليّ قال لا ه قال علي بن محمد
 حدثنا سلة بن محارب وأبو العلاء التيميّ والطفيّل بن مرداس العمي وأبو حفص
 الأزديّ عن حدثه عن جهم بن زحر بن قيس والحسن بن رشيد عن سليمان بن
 كثير وأبو الحسن الخراسانيّ عن الكرمانيّ وعامر بن حفص وأبو مخنف عن
 عثمان بن عمرو بن محسن الأزديّ وزهير بن هنيّد وغيرهم وفي خبر بعضهم ما ليس
 في خبر بعض فألفت ذلك أن سليمان بن عبد الملك ولي يزيد بن المهلب العراق
 ولم يوله خراسان فقال سليمان بن عبد الملك لعبد الملك بن المهلب وهو بالشام
 وبزيد بالعراق كيف أنت يا عبد الملك إن وليتّك خراسان قال يجديّ أمير المؤمنين
 حيث يحبّ ثمّ أعرض سليمان عن ذلك قال وكتب عبد الملك بن المهلب إلى جرير
 ابن يزيد الجهضميّ وإلى رجال من خاصته إن أمير المؤمنين عرض عليّ ولاية
 خراسان فبلغ الخبر يزيد بن المهلب وقد ضجر بالعراق وقد ضيق عليه صالح

ابن عبد الرحمن فليس يصل معه إلى شيء فدعا عبداً لله بن الأهم فقال إني أريدك
لأمر قد أهمني فأحب أن تكفينيه قال مرني بما أحببت قال أنا فيما ترى
من الضيق وقد أضجرتني ذلك وخراسان شاعرة برجلها وقد بلغتني أن
أمير المؤمنين ذكرها لعبد الملك بن المهلب فهل من حيلة قال نعم سرحني إلى
أمير المؤمنين فإني أرجو أن آتيك بعهدك عليها قال فآتم ما أخبرتك به وكتب
إلى سليمان كتابين أحدهما يذكر له فيه أمر العراق وأثنى فيه على ابن الأهم
وذكر له علمه بها ووجه ابن الأهم وحمله على البريد وأعطاه ثلاثين ألفاً فسار
سبعاً فقدم بكتاب يزيد على سليمان فدخل عليه وهو يتغدى فجلس ناحية فأتى
بذجاجتين فأكلهما قال فدخل ابن الأهم فقال له سليمان لك مجلس غير هذا
تعود إليه ثم دعا به بعد ثلاثة فقال له سليمان إن يزيد بن المهلب كتب إلى يذكر
علمك بالعراق وبخراسان ويثني عليك فكيف علمك بها قال أنا أعلم الناس
بها : بها وُلدتُ وبها نشأت فلي بها وبأصلها خبر وعلم قال ما أحوج أمير المؤمنين
إلى مثلك يشاوره في أمرها فأشرف على برجل أوليه خراسان قال أمير المؤمنين
أعلم بمن يريد يولي فإن ذكر منهم أحداً أخبرته برأي فيه هل يصلح لها
أم لا قال فسمى سليمان رجلاً من قريش قال يا أمير المؤمنين ليس من رجال
خراسان قال فعبد الملك بن المهلب قال لا حتى عدد رجلاً فكان في آخر من ذكر
وكيع بن أبي سود فقال يا أمير المؤمنين وكيع رجل شجاع صارم بثيس مقدم
وليس بصاحبها مع هذا إنه لم يقدر ثلثمائة قط فرأى لأحد عليه طاعة قال صدقت
ويحك فمن لها قال رجل أعلمه لم تُسمه قال فمن هو قال لأبوح باسمه إلا أن يضمن
لي أمير المؤمنين ستر ذلك وأن يجيرني منه إن علم قال نعم سمّه من هو قال
يزيد بن المهلب قال ذاك بالعراق والمقام بها أحب إليه من المقام بخراسان قال
قد علمت يا أمير المؤمنين ولكن تُكرهه على ذلك فيستخلف على العراق رجلاً
ويسير قال أصبت الرأي فكتب عهد يزيد على خراسان وكتب إليه كتاباً إن
ابن الأهم كما ذكرت في عقله ودينه وفضله ورأيه ودفع الكتاب وعهد يزيد إلى

ابن الالهتم فسار سبعا فقدم على يزيد فقال له ما وراءك قال فأعطاه الكتاب فقال ويحك أعندك خير فأعطاه العهد فأمر يزيد بالجهاز للسير من ساعته ودعا ابنه مخلدا فقدمه إلى خراسان قال فسار من يومه ثم سار يزيد واستخلف على واسط الجراح بن عبد الله الحكيم واستعمل على البصرة عبد الله بن هلال الكلابي وصير مروان بن المهلب على أمواله وأموره بالبصرة وكان أوثق إخوته عنده ولمروان يقول أبو البهاء الإيادي

رَأَيْتُ أَبَا قَيْصَةَ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الْعَلَاتِ أَكْرَمَهُمْ طِبَاعًا
إِذَا مَا نَهْمُ آبَا أَنْ يَسْتَطِيعُوا جَسِيمَ الْأَمْرِ يَحْمِلُ مَا اسْتَطَاعَا
وَإِنْ ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ بِأَمْرِ فَضَلَّتْهُمْ بِذَلِكَ نَدَى وَبَاعَا

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فإنه قال في ذلك حدثني أبو مالك أن وكيع ابن أبي سود بعث بطاعته وبرأس قتيبة إلى سليمان فوقع ذلك من سليمان كل موقع فجعل يزيد بن المهلب لعبد الله بن الالهتم مائة ألف على أن ينقر وكيعا عنده فقال أصلح الله أمير المؤمنين والله ما أحد أوجب شكرا ولا أعظم عندي يدا من وكيع لقد أدرك بثأري وشفاني من عدوي ولكن أمير المؤمنين أعظم وأوجب علي حقا وإن النصيحة تلزمني لأمر المؤمنين إن وكيعا لم يجتمع له مائة عنان قط إلا حدثت نفسه بغدرة خامل في الجماعة نابه في الفتنة فقال ما هو إذا من نستعين به وكانت قيس تزعم أن قتيبة لم يخلع فاستعمل سليمان يزيد بن المهلب على حرب العراق وأمره إن أقامت قيس البينة أن قتيبة لم يخلع فينزع يدا من طاعة أن يقيد وكيعا به فغدر يزيد فلم يعط عبد الله بن الالهتم ما كان ضمن له ووجه ابنه مخلد ابن يزيد إلى وكيع (رجع الحديث إلى حديث علي) قال علي أخبرنا أبو مخنف عن عثمان بن عمرو بن محسن وأبو الحسن الخراساني عن الكرمانى قال وجه يزيد ابنه مخلدا إلى خراسان فقدم مخلد عمرو بن عبد الله بن سنان العتكي ثم الصنابحي حين دنا من مرو فلما قدمها أرسل إلى وكيع أن القنى فأبى فأرسل إليه عمرو يا أعرابي أحق جلفاً جافياً انطلق إلى أميرك فتلقيه وخرج وجود من أهل

مرو يتلقون مخلدا و ثناقل و كيع عن الخروج فأخرجه عمرو والأزدى فلما بلغوا
مخلدا نزل الناس كلهم غير و كيع و محمد بن حمران السعدى و عباد بن لقيط أحد
بنى قيس بن ثعلبة فأنزلوهم فلما قدم مرو حبس و كيعا فعذب به و أخذ أصحابه فعذبهم
قبل قدوم أبيه قال على عن كليب بن خلف قال حدثنا إدريس بن حنظلة قال لما
قدم مخلد خراسان حبسنى فجاءنى ابن الأهم فقال لى أتريد أن تنجو قلت نعم قال
أخرج الكتب التى كتبها القعقاع بن خليلد العيسى و خريم بن عمرو المرمى إلى قتيبة
فى خلع سليمان فقلت له يا ابن الأهم إياى تخدع عن دينى قال فدعا بطومار و قال
إنك أحق فكتب كتبنا عن لسان القعقاع و رجال من قيس إلى قتيبة أن الوليد
ابن عبد الملك قد مات و سليمان باعث هذا المزونى على خراسان فاخلعه فقلت
يا ابن الأهم تهلك و الله نفسك و الله لئن دخلت عليه لأعلمنه أنك كتبتها (وفى
هذه السنة) شخص يزيد بن المهلب إلى خراسان أميرا عليها فذكر على بن محمد عن
أبي السرى الأزدى عن عمه قال ولى و كيع خراسان بعد قتل قتيبة تسعة أشهر
أو عشرة و قدم يزيد بن المهلب سنة ٩٧ قال على فذكر المفضل بن محمد عن أبيه
قال أدنى يزيد أهل الشام و قوما من أهل خراسان فقال نهار بقى توسعه

وما كنا تؤمل من أميرٍ كما كنا نؤمل من يزيدٍ
فأخطأ ظننا فيه وقدما زهدنا فى معاشره الزهيد
إذا لم يعطنا نصفاً أميرٌ مشيناً نحوهُ مثل الأسود
فهلاً يا يزيد أنب إلينا ودعنا من معاشره العبيد
تجىء فلا نرى إلا صدوداً على أنا نسلم من بعيد
وترجع خائبين بلا نوالٍ فما بال التجهم والصدود

قال على أخبرنا زياد بن الربيع عن غالب القطان قال رأيت عمر بن عبدالعزيز
واقفا بعرفات فى خلافة سليمان و قد حج سليمان عامئذ و هو يقول لعبد العزيز بن
عبد الله بن خالد بن أسيد العجب لأمير المؤمنين استعمل رجلا على أفضل ثغر
للمسلمين فقد بلغنى ممن يقدم من التجار من ذلك الوجه أنه يعطى الجارية من

جواريه مثل سهم ألف رجل أما والله ما لله أراد بولايته فعرفت أنه يعني يزيد والجهنية فقلت يشكر بلاءهم أيام الأزارقة قال ووصل يزيد عبد الملك بن سلام السلولى فقال

ما زال سَيْبِك يا يزيدُ بِحُوبِي حتى ارتويتُ وَجودكم لا يُنكرُ
أنتَ الرِّيعُ إذا تكونَ خِصاصةُ عاش السَّقِيمُ به وعاش المُقْتِرُ
عمتَ سَحَابَتُهُ جَمِيعَ بِلَادِكُمْ فَرَوُوا وَأغْدَقَهُم سَحَابُ مُطِرِ
فسقاكَ رَبِّكَ حَيْثُ كُنتَ مَحِيلَةً رَبِّيًا سَحَابُهَا تَرُوحُ وتَبْكِرُ

(وفي هذه السنة) حج بالناس سليمان بن عبد الملك حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر (وفيها) عزل سليمان طلحة ابن داود الحضرمي عن مكة قال الواقدي حدثني إبراهيم بن نافع عن ابن أبي مليكة قال لما صدر سليمان بن عبد الملك من الحج عزل طلحة بن داود الحضرمي عن مكة وكان عمله عليها ستة أشهر وولى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها إلا خراسان فإن عاملها على الحرب والخراج والصلاة يزيد بن المهلب وكان خليفته على الكوفة فيما قيل حرمله بن عمير اللخمي أشهر ثم عزله وولاها بشير بن حسان النهدي

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من توجيه سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك إلى القسطنطينية وأمره أن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه أمره فشتاها وصاف فذكر محمد بن عمر أن ثور بن يزيد حدثه عن سليمان بن موسى قال لما دنا مسلمة من قسطنطينية أمر كل فارس أن يحمل على عجز فرسه مدين من طعام حتى يأتي به القسطنطينية فأمر بالطعام فألقى في ناحية مثل الجبال ثم قال للمسلمين لا تأكلوا منه شيئاً غيروا

في أرضهم وازرعوا وعمل بيوتا من خشب فشتا فيها وزرع الناس ومكث ذلك الطعام في الصحراء لا يكتنه شيء والناس يأكلون مما أصابوا من الغارات ثم أكلوا من الزرع فأقام مسلمة بالقسطنطينية قاهرا لأهلها معه وجوه أهل الشام خالد ابن معدان وعبدالله بن أبي زكرياء الخزاعي ومجاهد بن جبر حتى أتاه موت سليمان فقال القائل

تَحْمِلُ مَدْيَهَا وَمَدَى مَسَلَمَه

❁ مثنى أحمد بن زهير عن علي بن محمد قال لما ولي سليمان غزا الروم فنزل دابق وقدم مسلمة فهابه الروم فشخص إليون من أرمينية فقال لمسلمة ابعث إلى رجلا يكلمني فبعث ابن هبيرة فقال له ابن هبيرة ماتعدون الأحق فيكم قال الذي يملأ بطنه من كل شيء يجده فقال له ابن هبيرة إنا أصحاب دين ومن ديننا طاعة أمرائنا قال صدقت كنا وأنتم نقاتل على الدين ونغضب له فأما اليوم فإننا نقاتل على الغلبة والملك نعطيك عن كل رأس دينارا فرجع ابن هبيرة إلى الروم من غدو قال أبي أن يرضى أتيته وقد تغدى وملا بطنه ونام فانتبه وقد غلب عليه البلغم فلم يدر ما قلت وقالت البطارقة لإليون إن صرفت عنامسلمة ملكناك فوثقوا له فأرسله فقال قد علم القوم أنك لا تصدقهم القتال وأنتك تطاولهم مادام الطعام عندك ولو أحرقت الطعام أعطوا بأيديهم فأحرقه فقوى العدو وضاق المسلمون حتى كادوا يهلكون فكانوا على ذلك حتى مات سليمان قال وكان سليمان بن عبد الملك لما نزل دابق أعطى الله عهدا أن لا ينصرف حتى يدخل الجيش الذي وجهه إلى الروم القسطنطينية قال وهلك ملك الروم فأتاه اليون فأخبره وضمن له أن يدفع إليه أرض الروم فوجه معه مسلمة حتى نزل بها وجمع كل طعام حولها وحصر أهلها وأتاهم اليون فملكوه فكذب إلى مسلمة يخبره بالذي كان ويسأله أن يدخل من الطعام ما يعيش به القوم ويصدقونه بأن أمره وأمر مسلمة واحد وأنهم في أمان من السباء والخروج من بلادهم وأن يأذن لهم ليلة في حمل الطعام وقد هيا اليون السفن والرجال فأذن له فمابقي في تلك الحظائر إلا مالا يذكر حمل في ليلة وأصبح

اليون محاربا وقد خدعه خديعة لو كان امرأة لعيبَ بها فاقى الجند ما لم يلق جيش حتى إن كان الرجل ليخاف أن يخرج من العسكر وحده وأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق وكل شيء غير التراب وسليمان مقيم بدارق ونزل الشتاء فلم يقدر يمدّم حتى هلك سليمان (وفي هذه السنة) بايع سليمان بن عبد الملك لابنه أيوب بن سليمان وجعله وليّ عهده فحدثني عمر بن شبة عن عليّ بن محمد قال كان عبد الملك أخذ على الوليد وسليمان أن يبايعا لابن عاتكة ول مروان بن عبد الملك من بعده قال فحدثني طارق بن المبارك قال مات مروان بن عبد الملك في خلافة سليمان منصرفه من مكة فبايع سليمان حين مات مروان لا يوب وأمسك عن يزيد وتربص به ورجا أن يهلك فهلك أيوب وهو وليّ عهده (وفي هذه السنة) فتحت مدينة الصقالبه قال محمد بن عمر أغارت برجان في سنة ٩٨ على مسلمة بن عبد الملك وهو في قلة من الناس فأمدّه سليمان بن عبد الملك بمسعدة أو عمرو بن قيس في جمع فكرت بهم الصقالبه ثم هزمهم الله بعد أن قتلوا شراحيل بن عبدة (وفي هذه السنة) فيما زعم الواقدي غزا الوليد بن هشام وعمرو بن قيس فأصيب ناس من أهل إنطاكية وأصاب الوليد ناسا من ضواحي الروم وأسروهم بشرا كثيرا (وفي هذه السنة) غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان فذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف أن يزيد ابن المهلب لما قدم خراسان أقام ثلاثة أشهر أو أربعة ثم أقبل إلى دهستان وجرجان وبعث ابنه مخلدا على خراسان وجاء حتى نزل بدهستان وكان أهلها طائفة من الترك فأقام عليها وحاصر أهلها معه أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام ووجوه أهل خراسان والري وهو في مائة ألف مقاتل سوى الموالى والمماليك والمتطوعين فكانوا يخرجون فيقاتلون الناس فلا يلبثهم الناس أن يهزموا ثم فسد خلون حصنهم ثم يخرجون أحيانا فيقاتلون فيشتد قتالهم وكان جهنم وجمال ابنا زحر من يزيد بمكان وكان يكرههما وكان محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي له لسان وبأس غير أنه كان يفسد نفسه بالشراب وكان لا يكسر غشيان يزيد وأهل بيته وكأنه أيضا حجزه عن ذلك ما رأى من حسن أثرهم على ابني زحر جهنم وجمال وكان إذا نادى

المنادى يا خيل الله اركبي وأبشري كان أول فارس من أهل العسكر يدير إلى موقف البأس عند الروع محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة فتودى ذات يوم في الناس فبدر الناس ابن أبي سبرة فإنه لو وقف على تل إذ مر به عثمان بن المفضل فقال له يا ابن أبي سبرة ما قدرت على أن أسبقك إلى الموقف قط فقال وما يعنى ذلك عنى وأنتم ترشحون غلمان مذحج وتجهلون حق ذوى الأسنان والتجارب والبلاء فقال أما إنك لو تريد ما قبلنا لم نعدل عنك ما أنت له أهل قال وخرج الناس فاقتلوا قتالا شديدا فحمل محمد بن أبي سبرة على تركي قد صد الناس عنه فاختلفا ضربتين فثبت سيف التركي في بيضة ابن أبي سبرة وضربه ابن أبي سبرة فقتله ثم أقبل وسيفه في يده يقطر دما وسيف التركي في بيضته فنظر الناس إلى أحسن منظر رأوه من فارس ونظر يزيد إلى اتلاق السيفين والبيضة والسلاح فقال من هذا فقالوا ابن أبي سبرة فقال لله أبوه أى رجل هو لولا إسرافه على نفسه وخرج يزيد بعد ذلك يوما وهو يرتاد مكانا يدخل منه على القوم فلم يشعر بشيء حتى هجم عليه جماعة من الترك وكان معه وجوه الناس وفرسانهم وكان في نحو من أربع مائة والعدو في نحو من أربعة آلاف فقاتلهم ساعة ثم قالوا ليزيد أيها الأمير انصرف ونحن نقاتل عنك فأبى أن يفعل وغشى القتال يومئذ بنفسه وكان كأحدهم وقاتل ابن أبي سبرة وابنا زحر والحجاج ابن جارية الخثعمي وجل أصحابه فأحسنوا القتال حتى إذا أرادوا الانصراف جعل الحجاج ابن جارية على الساقة فكان يقاتل من ورائه حتى انتهى إلى الماء وقد كانوا عطشوا فشربووا وانصرف عنهم العدو ولم يظفروا منهم بشيء فقال سفيان بن صفوان الخثعمي لولا ابن جارية الأغر جبينه كسقيت كأسا مرة المتجرع
وحماك في فرسانه وخيوله حتى وردت الماء غير متع
ثم إنه ألح عليها وأنزل الجنود من كل جانب حولها وقطع عنهم المواد فلما جهدوا وعجزوا عن قتال المسلمين واشتد عليهم الحصار والبلاء بعث صولدهقان دهستان إلى يزيد إني أصالحك على أن تؤمننى على نفسى وأهل بيتى ومالى وأدفع

إليك المدينة وما فيها وأهلها فصالحه وقبل منه ووفى له ودخل المدينة فأخذ ما كان فيها من الأموال والكنوز ومن السبي شيئاً لا يحصى وقتل أربعة عشر ألف تركي صبراً وكتب بذلك إلى سليمان بن عبد الملك ثم خرج حتى أتى جرجان وقد كانوا يصلحون أهل الكوفة على مائة ألف ومائتي ألف أحياناً وثلاثمائة ألف وصلحهم عليها فلما أتاهم يزيد استقبلوه بالصلح وهابوه وزادوه واستخلف عليهم رجلاً من الأزد يقال له أسد بن عبد الله ودخل يزيد إلى الإصبهذ في طبرستان فكان معه الفعلة يقطعون الشجر ويصلحون الطرق حتى انتهوا إليه فنزل به فحصره وغلب على أرضه وأخذ الإصبهذ يعرض على يزيد الصلح ويزيده على ما كان يؤخذ منه فبأبي رجاء افتاحها فبعث ذات يوم أخاه أبا عيينة في أهل المصرين فأصعد في الجبل إليهم وقد بعث الإصبهذ إلى الديلم فاستجاش بهم فاقتلوا فحازهم المسلمون ساعة وكشفوهم وخرج رأس الديلم يسأل المبارزة فخرج إليه ابن أبي سبرة فقتله فكانت هزيمتهم حتى انتهى المسلمون إلى فم الشعب فذهبوا ليصعدوا فيه وأشرف عليهم العدو يرشقونهم بالنشاب ويرمونهم بالحجارة فانهم الناس من فم الشعب من غير كبير قتال ولا قوة من عدوهم على اتباعهم وطلبهم وأقبلوا يركب بعضهم بعضاً حتى أخذوا يتساقطون في اللهوب ويتهدأ الرجل من رأس الجبل حتى نزلوا إلى عسكر يزيد لا يعشون بالشر شيئاً وأقام يزيد بمكانه على حاله وأقبل الإصبهذ بكتاب أهل جرجان ويسألهم أن يثبوا بأصحاب يزيد وأن يقطعوا عليه مادته والطرق فيما بينه وبين العرب ويعدهم أن يكافئهم على ذلك فوثبوا بيمينهم كان يزيد خلف من المسلمين فقتلوا منهم من قدروا عليه واجتمع بقيتهم فتحصنوا في جانب فلم يزالوا فيه حتى خرج إليهم يزيد وأقام يزيد على الإصبهذ في أرضه حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف نقداً ومائتي ألف وأربعمائة حمار موقرة زعفران وأربعمائة رجل على رأس كل رجل برنس على البرنس طيلسان ولجام من فضة وسرقة من حرير وقد كانوا صالحوا قبل ذلك على مائتي ألف درهم ثم خرج منها يزيد وأصحابه كأنهم قل ولولا

ما صنع أهل جرجان لم يخرج من طبرستان حتى يفتحها وأما غير أبي مخنف فإنه قال في أمر يزيد وأمر أهل جرجان ما حدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد عن كليب بن خلف وغيره أن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان ثم امتنعوا وكفروا فلم يأت جرجان بعد سبعمائة أحد ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن يسلك طريق خراسان من ناحيته أحد إلا على وجل وخوف من أهل جرجان كأن الطريق إلى خراسان من فارس إلى كرمان فأول من صير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولي خراسان ثم غزا مصقلة خراسان أيام معاوية في عشرة آلاف فأصيب وجنده بالرؤيان وهي متاخمة طبرستان فهلكوا في واد من أوديتها أخذ العدو عليهم بمضايقه فقتلوا جميعا فهو يسمى ودای مصقلة قال وكان يضرب به المثل حتى يرجع مثقلة من طبرستان قال علي عن كليب بن خلف العمى عن طفيل بن مرداس العمى وإدريس بن حنظلة أن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان فكانوا يجيئون أحيانا مائة ألف ويقولون هذا صلحنا وأحيانا مائتي ألف وأحيانا ثلاثمائة ألف وكانوا ربما أعطوا ذلك وربما منعوه ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجا حتى أتاهم يزيد بن المهلب فلم يعاذه أحد حين قدمها فلما صالح صول وفتح البحيرة ودهستان صالح أهل جرجان على صالح سعيد بن العاص رضي الله عنه عن علي بن كليب بن خلف العمى عن طفيل بن مرداس وبشر بن عيسى عن صفوان قال علي وحدثني أبو حفص الأزدي عن سليمان بن كثير وغيرهم أن صول التركي كان ينزل دهستان والبحيرة جزيرة في البحر بينها وبين دهستان خمسة فراسخ وهما من جرجان مما يلي خوارزم فكان صول يغير على فيروز بن قول مرزبان جرجان وبينهم خمسة وعشرون فرسخا فيصيب من أطرافهم ثم يرجع إلى البحيرة ودهستان فوقع بين فيروز وبين ابن عم له يقال له المرزبان منازعة فاعتزله المرزبان فنزل الياسان تخاف فيروز أن يغير عليه الترك فخرج إلى يزيد بن المهلب بخراسان وأخذ صول جرجان فلما قدم على يزيد بن المهلب قال له ما أقدمك قال خفت صولا فهربت منه قال له يزيد هل من حيلة لقتاله قال نعم شيء واحد إن ظفرت به قتلته أو أعطى بيده قال ما هو قال إن خرج من جرجان حتى ينزل البحيرة ثم أتته ثم فحاصرت بها ظفرت به فاكتب

إلى الإصهيد كتاباً تسأله فيه أن يحتال لصول حتى يقيم بجرجان واجعل له على ذلك جعلاً ومنه فإنه يبعث بكتابك إلى صول يتقربُ به إليه لأنه يعظمه فيتحول عن جرجان فينزل البحيرة فكتب يزيد بن المهلب إلى صاحب طبرستان إني أريد أن أغزو صولا وهو بجرجان نخفت إن بلغه أني أريد ذلك أن يتحول إلى البحيرة فينزلها فإن تحول إليها لم أقدر عليه وهو يسمع منك ويستنصحك فإن حبسته العام بجرجان فلم يأت البحيرة حملتُ إليك خمسين ألف مثقال فاحتل له حيلةً تحبسه بجرجان فإنه إن أقام بها ظفرت به فلما رأى الإصهيدُ الكتاب أراد أن يتقرب إلى صول فبعث بالكتاب إليه فلما أتاه الكتاب أمر الناس بالرحيل إلى البحيرة وحمل الأطعمة ليتحصن فيها وبلغ يزيد أنه قد سار من جرجان إلى البحيرة فاعتزم على السير إلى الجرجان فخرج في ثلاثين ألفاً ومعه فيروز بن قول واستخلف على خراسان مخلد بن يزيد واستخلف على سمرقند وكس ونسف وبخارى ابنه معاوية بن يزيد وعلى طخارستان حاتم بن قبيصة بن المهلب وأقبل حتى أتى جرجان ولم تكن يومئذ مدينة إنما هي جبال محيطة بها وأبواب ومخارم يقوم الرجل على باب منها فلا يقدم عليه أحد فدخاها يزيد لم يعازه أحد وأصاب أموالاً وهرب المرزبان وخرج يزيد بالناس إلى البحيرة فأناخ على صول وتمثل حين نزل بهم

نَحْرُ السَّيْفِ وَارْتَعَشَتْ يَدَاهُ وَكَانَ بِنَفْسِهِ وَقِيَّتْ نَفُوسُ

قال فحاصروهم فكان يخرج إليه صول في الأيام فيقاتله ثم يرجع إلى حصنه ومع يزيد أهل الكوفة وأهل البصرة ثم ذكر من قصة جهم بن زحر وأخيه ومحمد نحواً مما ذكره هشام غير أنه قال في ضربة التركي ابن أبي سبرة فنشب سيف التركي في درقة ابن أبي سبرة قال علي بن محمد عن علي بن مجاهد عن عنبسة قال قاتل محمد بن أبي سبرة الترك بجرجان فأحاطوا به واعتوروه بأسيافهم فانقطع في يده ثلاثة أسياف (ثم رجع إلى حديثهم) قال فمكثوا بذلك يعني الترك محصورين يخرجون فيقاتلون ثم يرجعون إلى حصنهم ستة أشهر حتى شربوا ماء الإحساء فأصابهم داء يسمى السواد فوقع فيهم الموت وأرسل صول في ذلك يطلب الصلح

فقال يزيد بن المهلب لا إلا أن ينزل على حكيم فأبى فأرسل إليه أني أصالحك على نفسي ومالي وثلاثمائة من أهل بيتي وخاصتي على أن تؤمنني فتنزل البحيرة فأجابه إلى ذلك يزيد فخرج بماله وثلاثمائة ممن أحب وصار مع يزيد فقتل يزيد من الأتراك أربعة عشر ألفاً صبراً ومن على الآخرين فلم يقتل منهم أحداً وقال الجند ليزيد أعطنا أرزاقنا فدعا إدريس بن حنظلة العمى فقال يا ابن حنظلة أحص لنا ما في البحيرة حتى نعطي الجند فدخلها إدريس فلم يقدر على إحصاء ما فيها فقال ليزيد فيها ما لا أستطيع إحصاءه وهو في ظروف فنحصى الجواليق ونعلم ما فيها ونقول للجند ادخلوا فخذوا فمن أخذ شيئاً عرفنا ما أخذ من الحنطة والشعير والأرز والسمسم والعسل قال نعم ما رأيت فأحصوا الجواليق عدداً وعلوا كل جوق ما فيه وقالوا للجند خذوا فكان الرجل يخرج وقد أخذ ثياباً أو طعاماً أو ما حمل من شيء فبكتب على كل رجل ما أخذ فأخذوا شيئاً كثيراً قال علي قال أبو بكر الهذلي كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب فرفعوا عليه أنه أخذ خريطة فسأله يزيد عنها فأتاه بها فدعا يزيد الذي رفع عليه فشتمه وقال لشهر هي لك قال لا حاجة لي فيها فقال القطامي الكلابي ويقال سنان بن مكمل النميري

أقد باع شهر دينه بخريطة
فمن يأمن القراء بعدك يا شهر
أخذت به شيئاً طيفياً وبعته
من ابن جرنبوذان هذا هو القدر
وقال مرة النخعي لشهر

يا ابن المهلب ما أردت إلى أمري لولاك كان كصالح القراء
قال علي قال أبو محمد الثمني أصاب يزيد بن المهلب تاجا بمرجان فيه جوهر
فقال أترون أحداً يزهد في هذا التاج قالوا لا فدعا محمد بن واسع الأزدي فقال
خذ هذا التاج فهو لك قال لا حاجة لي فيه قال عزمتم عليك فأخذه وخرج فأمر
يزيد رجلاً ينظر ما يصنع به فلقى سائلاً فدفعه إليه فأخذ الرجل السائل فأتى به يزيد
وأخبره الخبر فأخذ يزيد التاج وعرض السائل ما لا كثير أقال علي وكان سليمان
ابن عبد الملك كلما افتتح قتيبة فتحا قال ليزيد بن المهلب أما ترى ما يصنع الله على

يدى قتيبة فيقول ابن المهلب ما فعلت جرجان التي حالت بين الناس والطريق
الاعظم وفسدت قومن وأبرشهر ويقول هذه الفتوح ليست بشيء الشأن في
جرجان فلما ولي يزيد بن المهلب لم يكن له همة غير جرجان قال ويقال كان يزيد بن
المهلب في عشرين ومائة ألف معه من أهل الشام ستون ألفا قال علي في حديثه عن
ذكر خبر جرجان عنهم وزاد فيه علي بن مجاهد عن خالد بن صبيح أن يزيد بن
المهلب لما صالح صول طمع في طبرستان أن يفتحها فاعتزم علي أن يسير إليها
فاستعمل عبد الله بن المعمر الشكري على اليباسان ودهستان وخلف معه أربعة
آلاف ثم أقبل إلى أداني جرجان مما يلي طبرستان واستعمل على اندرستان
أسد بن عمرو وأبو عبد الله بن الربعة وهي مما يلي طبرستان وخلفه في
أربعة آلاف ودخل يزيد بلاد الأصبهين فأرسل إليه يسأله الصلح وأن يخرج
من طبرستان فأبى يزيد ورجا أن يفتحها فوجه أخاه أبا عينة من وجهه وخالد بن
يزيد ابنة من وجهه وأبا الجهم الكلبي من وجهه وقال إذا اجتمعتم فأبو عينة على
الناس فسار أبو عينة في أهل المصرين ومعه هرير بن أبي طحمة وقال يزيد لأبي
عينة شاوره بما فإنه ناصح وأقام يزيد معسكرا قال واستجاش الأصبهين بأهل
جبلان وأهل الديلم فأتوه فالتقوا في سند جبل فانهزم المشركون وأتبعهم
المسلمون حتى انتهوا إلى قم الشعب فدخله المسلمون فصعد المشركون في الجبل وأتبعهم
المسلمون فرماهم العدو بالشباب والحجارة فانهزم أبو عينة والمسلمون فركب
بعضهم بعضا يتساقطون من الجبل فلم يثبتوا حتى انتهوا إلى عسكر يزيد وكف
العدو عن اتباعهم وخافهم الأصبهين فكتب إلى المرزبان ابن عم فيروز بن قول
وهو بأقصى جرجان مما يلي اليباسان إن انا قد قتلنا يزيد وأصحابه فاقتل من في اليباسان
من العرب فخرج إلى أهل اليباسان والمسلمون غارون في منازلهم قد أجمعوا على
قتلهم فقتلوا جميعا في ليلة فأصبح عبد الله بن المعمر مقتولا وأربعة آلاف من
المسلمين لم ينج منهم أحد وقتل من بني العم خمسون رجلا قتل الحسين بن عبد الرحمن
واسماعيل بن إبراهيم بن شماس وكتب إلى الإصبهين يأخذ بالمضايق والطرق
وبلغ يزيد قتل عبد الله بن المعمر وأصحابه فأعظموه ذلك وهالهم ففرع يزيد إلى

حیان النبطی وقال لا یمنعک ما کان منی إلیک من نصیحة المسلمین قد جاءنا عن جرجان ما جاءنا وقد أخذ هذا بالطرق فاعمل فی الصلح قال نعم فأتی حیان الاصبهذ فقال أنا رجل منکم وان کان الدین قد فرق بینی و بینکم فإنی لک ناصح وانت أحب إلی من یزید وقد بعث یستمد وأمداده منه قریبة وانما أصابوا منه طرفا ولست آمن أن یأتیک ما لا تقوم له فأرح نفسك منه وصالحه فإنک إن صالحته صیر حده علی أهل جرجان بغدرهم وقتاهم من قتلوا فصالحه علی سبعمائة ألف وقال علی بن مجاهد علی خمسمائة ألف وأربعمائة وقر زعفران أو قیمته من العین وأربعمائة رجل علی کل رجل برنس وطیلسان ومع کل رجل جام فضة وسرقة خز وکسوة ثم رجع إلی یزید بن المهلب فقال ابعث من یحمل صلحهم الذی صالحتهم علیه قال من عندهم أو من عندنا قال من عندهم وکان یزید قد طابت نفسه علی أن یعطیهم ما سألوا ویرجع إلی جرجان فأرسل یزید من یحمل ما صالحهم علیه حیان وانصرف إلی جرجان وکان یزید قد غرم حیانا مائتی ألف بخاف أن لا یناصح، والسبب الذی له أغرم حیانا فیہ ما حدثنی علی بن مجاهد عن خالد بن صبیح قال کنت مؤدبا لولد حیان فدعانی فقال لی اکتب کتابا إلی مخلد بن یزید ومخلد یومئذ بیلخ ویزید بمر وفتناولت القرطاس فقال اکتب من حیان مولى مصقلة إلی مخلد بن یزید فغمزنی مقاتل بن حیان أن لا تکتب وأقبل علی أبیه فقال یا أبت تکتب إلی مخلد وتبدأ بنفسک قال نعم یا بنی فان لم یرض لقی ما لقی قتیبة ثم قال لی اکتب فکتبت فبعث مخلد بکتابه إلی أبیه فأغرم یزید حیانا مائتی ألف درهم (وفی هذه السنة) فتح یزید جرجان الفتح الآخر بعد غدرهم بجنده و نقضهم العهد قال علی عن الرهط الذین ذکر أنهم حدثوه بخبر جرجان وطبرستان ثم إن یزید لما صالح أهل طبرستان قصد لجرجان فأعطى الله عهداً لئن ظفر بهم أن لا یقلع عنهم ولا یرفع عنهم السیف حتی یطحن بدمائهم ویختبز من ذلك الطحين ویأکل منه فلما بلغ المرزبان أنه قد صالح الاصبهذ وتوجه إلی جرجان جمع أصحابه وأتی وجاه فتحصن فیها وصاحبها لا یحتاج إلی عدة من

طعام ولا شراب وأقبل يزيد حتى نزل عليها وهم متحصنون فيها وحولها غياض
فليس يعرف لها إلا طريق واحد فأقام بذلك سبعة أشهر لا يقدر منهم على شيء
ولا يعرف لهم مآتى إلا من وجه واحد فكانوا يخرجون فى الأيام فيقاتلونه
ويرجعون إلى حصنهم فيبناهم على ذلك إذ خرج رجل من عجم خراسان كان مع
يزيد يتصيدُ ومعه شاكريّة له (وقال هشام بن محمد) عن أبي مخنف فخرج رجل
من عسكره من طيء يتصيد فأبصر وعلا يرقى فى الجبل فاتبعه وقال لمن معه قفوا
مكانكم ووقل فى الجبل يقتص الأثر فما شعر بشيء حتى هجم على عسكرهم فرجع
يريد أصحابه يخاف أن لا يهتدى فجعل يخرق قباؤه ويعقد على الشجر علامات حتى
وصل إلى أصحابه ثم رجع إلى العسكر ويقال إن الذى كان يتصيد الهياج بن عبد الرحمن
الأزدى من أهل طوس وكان منهوما بالصيد فلما رجع إلى العسكر أتى عامر بن
أينم الواشجى صاحب شرطة يزيد فمنعوه من الدخول فصاح إن عندى نصيحة
(وقال هشام) عن أبي مخنف جاء حتى رفع ذلك إلى ابنى زحر بن قيس فانطلق
به ابنا زحر حتى أدخلاه على يزيد فأعلمه الخبر فضمن له بضمان الجهنية أم ولد
كانت ليزيد على شيء قد سماه وقال على بن محمد فى حديثه عن أصحابه فدعا به يزيد
فقال ما عندك قال أتريد أن تدخل وجاءه بغير قتال قال نعم قال جعلتى قال احتكم
قال أربعة آلاف قال لك دية قال عجولوا إلى أربعة آلاف ثم أنتم بعد من وراء
الاحسان فأمر له بأربعة آلاف وندب الناس فانتدب ألف وأربعمائة فقال
الطريق لا يحمل هذه الجماعة لالتفاف الغياض فاختر منهم ثلثمائة فوجههم
واستعمل عليهم جهم بن زحر وقال بعضهم استعمل عليهم ابنه خالد بن يزيد
وقال له ان غلبت على الحياة فلا تغلبن على الموت وإياك أن أراك عندى
منهزما وضم إليه جهم بن زحر وقال يزيد للرجل الذى ندب الناس معه متى
تصل إليهم قال غدا عند العصر فيما بين الصلاتين قال امضوا على بركة الله فأتى
سأجهد على مناهضتهم غدا عند صلاة الظهر فساروا فلما قارب انتصاف النهار
من غدا أمر يزيد الناس أن يشعلوا النار فى حطب كان جمعه فى حصاره إياهم فصيره

آكاما فأضرموه نارا فلم تزل الشمس حتى صار حول عسكره أمثال الجبال من
 النيران ونظر العدو إلى النار فهالهم ما رأوا من كثرتها فخرجوا اليهم وأمر يزيدُ
 الناس حين زالت الشمس فصلوا فجمعوا بين الصلاتين ثم زحفوا اليهم فاقتلوا
 وسار الآخرون بقیة يومهم والغد فهجموا على عسكر الترك قبيل العصر وهم
 آمنون من ذلك الوجه ويزيدُ يقاتل من هذا الوجه فما شعروا إلا بالتكبير من
 ورائهم فانقطعوا جميعا إلى حصنهم وركبهم المسلمون فأعطوا بأيديهم ونزلوا
 على حكم يزيد فسبي ذراريهم وقتل مقاتلتهم وصلبهم فرسخين عن يمين الطريق
 ويساره وقاد منهم اثني عشر ألفا إلى الاندروز وادي جرجان وقال من طلبهم بثأر
 فليقتل فكان الرجل من المسلمين يقتل الأربعة والخمسة في الوادي وأجرى الماء
 في الوادي على الدم وعليه أرحاء ليطحن بدمائهم ولتبر يمينه فطحن واختبزوا كل
 وبنی مدينة جرجان وقال بعضهم قتل يزيد من أهل جرجان أربعين ألفا ولم تكن
 قبل ذلك مدينة ورجع إلى خراسان واستعمل على جرجان جهم بن زحر الجعفی
 (وأما هشام) بن محمد فإنه ذكر عن أبي مخنف أنه قال دعا يزيد جهم بن زحر
 فبعث معه أربع مائة رجل حتى أخذوا في المكان الذي دلوا عليه وقد أمرهم يزيد
 فقال إذا وصلتكم إلى المدينة فانتظروا حتى إذا كان في السحر فكبروا ثم انطلقوا
 نحو باب المدينة فإنكم تجدوني وقد نهضت بجميع الناس إلى بابها فلما دخل ابن زحر المدينة
 أمهل حتى إذا كانت الساعة التي أمره يزيد أن ينهض فيها مشى بأصحابه فأخذ
 لا استقبال من أحراسهم أحدا إلا قتله وكبر ففرع أهل المدينة فرعاهم يدخلهم
 مثله قط فيما مضى فلم يرعهم إلا والمسلمون معهم في مدينتهم يكبرون فدهشوا
 فألقى الله في قلوبهم الرعب وأقبلوا لا يدرون أين يتوجهون غير أن عصابة منهم
 ليسوا بالكثير قد أقبلوا نحو جهم بن زحر فقاتلوا ساعة فدقت يد جهم وصبر
 لهم هو وأصحابه فلم يلبثوهم أن قتلوهم إلا قليلا وسمع يزيد بن المهلب التكبير
 فوثب في الناس إلى الباب فوجدوهم قد شغلهم جهم بن زحر عن الباب فلم يجد عليه
 من يمنعه ولا من يدفع عنه كبير دفع ففتح الباب ودخلها من ساعته فأخرج من كان فيها

من المقاتلة فنصب لهم الجنود فرسخين عن يمين الطريق ويساره فصلبهم أربعة فراسخ
وسبي أهلها وأصاب ما كان فيها قال علي في حديثه عن شيوخه الذين قد ذكرت
أسماءهم قبل وكتب يزيد إلى سليمان بن عبد الملك أما بعد فإن الله قد فتح لأمر المؤمنين
فتحا عظيما وصنع للمسلمين أحسن الصنع فلربنا الحمد على نعمه وإحسانه أظهر
في خلافة أمير المؤمنين على جرجان وطبرستان وقد أعى ذلك سابور ذا الأكتاف
وكسرى بن قباد وكسرى بن هرمز وأعى الفاروق عمر بن الخطاب وعثمان بن
عفان ومن بعدهما من خلفاء الله حتى فتح الله ذلك لأمر المؤمنين كرامة من
الله له وزيادة في نعمه عليه وقد صار عندي من خمس ما أفاء الله على المسلمين بعد
أن صار إلى كل ذي حق حقه من النبي والغنيمة ستة آلاف ألف وأنا حامل ذلك
إلى أمير المؤمنين إن شاء الله فقال له كاتبه المغيرة بن أبي قررة مولى بني سُدوس
لأنك بتسمية مال فإنك من ذلك بين أمرين إما استكثره فأمرك بحمله
وإما سحت نفسه لك به فسوغك فتكلفت الهدية فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقله
فكأن بك قد استغرقت ما سميت ولم يقع منه موقعا ويبقى المال الذي سميت
مخلداً عندهم عليك في دواوينهم فإن ولي وال بعده أخذك به وإن ولي من يتحامل
عليك لم يرض منك بأضعافه فلا تمض كتابك ولكن اكتب بالفتح وسله القدوم
فُشَافَهُ بما أحببت مشافهة وتقصر فإنك إن تقصر عما أحببت أحرى من أن
تكثر فأبى يزيد وأمضى الكتاب وقال بعضهم كان في الكتاب أربعة آلاف
ألف (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة توفي أيوب بن سليمان بن عبد الملك فحدثت
عن علي بن محمد قال حدثنا علي بن مجاهد عن شيخ من أهل الري أدرك يزيد قال
أبى يزيد بن المهلب الري حين فرغ من جرجان فبلغه وفاة أيوب بن سليمان وهو
يسير في باغ أبي صالح على باب الري فارتجز راجز بين يديه فقال
إن يك أيوب مَضَى لِشَأْنِهِ فَإِنَّ دَاوُدَ لِي مَكَانِهِ
يَقِيمُ مَا تَرَى مِنْ سُلْطَانِهِ
(وفي هذه السنة) فتحت مدينة الصقالبة (وفيها) غزا داود بن سليمان بن

عبد الملك أرض الروم ففتح حصن المرأة مما يلي ملطية (وحج) بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وهو يومئذ أمير على مكة حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عليها سنة سبع وقد ذكرناهم قبل غير أن عامل يزيد بن المهلب على البصرة في هذه السنة كان فيما قيل سفيان بن عبد الله الكندي

ثم دخلت سنة تسع وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك وفاة سليمان بن عبد الملك توفي فيما حدثت عن هشام عن أبي مخنف بدأ بق من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام وقد قيل توفي لعشر ليال مضين من صفر وقيل كانت خلافته سنتين وسبعة أشهر وقيل سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام وقد حدث الحسن بن حماد عن طلحة أبي محمد عن أشياخه أنهم قالوا استخلف سليمان بن عبد الملك بعد الوليد ثلاث سنين وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ؓ ومشتى أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال توفي سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة ٩٩ فكانت خلافته ثلاث سنين إلا أربعة أشهر

ذكر الخبر عن بعض سيره

حدثت عن علي بن محمد قال كان الناس يقولون سليمان مفتاح الخير ذهب عنهم الحجاج فولى سليمان فأطلق الأسارى وخلي أهل السجون وأحسن إلى الناس واستخلف عمر بن عبد العزيز فقال ابن بيض

حاز الخلافة والداك كلاهما من بين سُخْطَةِ سَاخِطٍ أَوْ طَائِعِ
أَبَوَاكَ ثُمَّ أَخُوكَ أَصْبَحَ ثَالِثًا وَعَلَى جَبِينِكَ نَوْرُ مُلْكِ الرَّابِعِ
وقال علي قال المفضل بن المهلب دخلت على سليمان بدأ بق يوم جمعة فدعا

بثياب فلبسها فلم تعجبه فدعا بغيرها بثياب خضر سوسية بعث بها يزيد بن المهلب فلبسها واعتم وقال يا ابن المهلب أعجبتك قلت نعم فخر عن ذراعيه ثم قال أنا الملك الفتي فصلى الجمعة ثم لم يجمع بعدها وكتب وصيته ودعا ابن أبي نعيم صاحب الخاتم فحتمه قال علي قال بعض أهل العلم إن سليمان لبس يوماً حلة خضراء وعمامة خضراء ونظر في المرأة فقال أنا الملك الفتي فما عاش بعد ذلك إلا أسبوعاً (قال علي) وحدثنا سحيم بن حفص قال نظرت إلى سليمان جارية له يوماً فقال ما تنظرين فقالت

أنت خير المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان
ليس فيما علمته فيك عيب كان في الناس غير أنك فإن

ففض عمامة (قال علي) كان قاضي سليمان سليمان بن حبيب المحاربي وكان ابن أبي عيينة يقص عنده رضي الله عنه وحدثت عن أبي عبيدة عن روبة بن العجاج قال حج سليمان بن عبد الملك وحج الشعراء معه وحججت معهم فلما كان بالمدينة راجعاً تلقوه بنحو من أربعمائة أسير من الروم ففقد سليمان وأقربهم منه مجلساً عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم فقدم بطر يقهم فقال يا عبد الله اضرب عنقه فقام فما أعطاه أحد سيفاً حتى دفع إليه حرس سيفه فضربه فأبان الرأس وأطن الساعد وبعض الغل فقال سليمان أما والله ما من جودة السيف جادت الضربة ولكن لحسبه وجعل يدفع البقية إلى الوجوه وإلى الناس يقتلونهم حتى دفع إلى جرير رجلاً منهم فدست إليه بنوعيس سيفاً في قراب أيضاً فضربه فأبان رأسه ودفع إلى الفرزدق أسيراً فلم يجد سيفاً فدسوا له سيفاً ددانا متيناً لا يقطع فضرب به الأسير ضربات فلم يصنع شيئاً فضحك سليمان والقوم وشمتم بالفرزدق بنوعيس أخوال سليمان فألقى السيف وأنشأ يقول ويعتذر إلى سليمان ويأتى بنو سيف ورقاء عن رأس خالد

إن يك سيف خان أو قدر أتى بتأخير نفس حنفاً غير شاهد

فسيف بنو عيس وقد ضربوا به تبا يدي ورقاء عن رأس خالد

كذلك سُيُوفُ الهِنْدِ تَنْبُو ظَبَاتَهَا وَتَقَطَّعُ أَحْيَانًا مَنَاطَ القَلَائِدِ
وورقاء هو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي ضرب خالد بن جعفر بن كلاب
وخالد مكب على أبيه زهير قد ضربه بالسيف وصرعه فأقبل ورقاء بن زهير
فضرب خالدًا فلم يصنع شيئًا فقال ورقاء بن زهير

رَأَيْتُ زَهِيرًا تَحْتَ كَلِيكِلْ خَالِدٍ فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى كَالْعُجُولِ أَبَادِرُ
فُشِلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرَبُ خَالِدًا وَيُحْصِنُهُ مِنِّي الحَدِيدُ المُظَاهِرُ
وقال الفرزدق في مقامه ذلك

أَيَعَجِبُ النَّاسُ إِنْ أَضْحَكْتُ خَيْرَهُمْ خَلِيفَةَ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ المَطَرُ
فَمَا نَبَا السِّيفِ عَنِ جُنْبِنِ وَلَا دَهْشِ عِنْدَ الإِمَامِ وَلَكِنْ آخَرَ القَدَرُ
وَلَوْ ضَرَبْتُ عَلِيَّ عَمْرٍ مَقْلَدَهُ لَحَرَ جُثْمَانُهُ مَا فَوْقَهُ شَعْرُ
وَمَا يُعَجَّلُ نَفْسًا قَبْلَ مِيتَتِهَا جَمْعُ اليَدَيْنِ وَلَا الصَّمْصَامَةَ الذَّاكِرُ

وقال جرير في ذلك

بِسِيفِ أَبِي رَغْوَانَ سِيفِ مَجَاشِعِ ضَرَبْتُ وَلَمْ تَضْرِبْ بِسِيفِ ابْنِ ظَالِمِ
ضَرَبْتُ بِهِ عِنْدَ الإِمَامِ فَأَرَعِشْتَ يَدَاكَ وَقَالُوا مُحَدِّثُهُ غَيْرُ صَارِمِ
حدثني عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال حدثني سليمان قال حدثني عبد الله
ابن محمد بن عيينة قال أخبرني أبو بكر بن عبد العزيز بن الضحاك بن قيس قال شهد
سليمان بن عبد الملك جنازة بديق فدفنت في حقل فجعل سليمان يأخذ من تلك
التربة فيقول ما أحسن هذه التربة ما أطيبها فما أتى عليه جمعة أو كما قال حتى دفن
إلى جنب ذلك القبر

خلافة عمر بن عبد العزيز

(وفي هذه السنة) استخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم

ذكر الخبر عن سبب استخلاف سليمان إياه

حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال حدثنا محمد بن عمر قال حدثني الهيثم

ابن واقد قال استخلف عمر بن عبد العزيز بدابق يوم الجمعة لعشر مضين من صفر سنة ٩٩ قال محمد بن عمر حدثني داود بن خالد بن دينار عن سهيل بن أبي سهيل قال سمعت رجاء بن حيوة يقول لما كان يوم الجمعة لبس سليمان بن عبد الملك ثياباً خضراً من خز ونظر في المرآة فقال أنا والله الملك الشاب فخرج إلى الصلاة فصلى بالناس الجمعة فلم يرجع حتى وعك فلما ثقل عهده في كتاب كتبه لبعض بنيه وهو غلام ولم يبلغ فقلت ما تصنع يا أمير المؤمنين إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح فقال سليمان أنا أستخير الله وأنظر فيه ولم أعزم عليه قال فكث يوماً أو يومين ثم خرّقه فدعاني فقال ماترى في داود بن سليمان فقلت هو غائب عنك بقسطنطينية وأنت لا تدري أحيى هو أم ميت فقال لي فمن ترى قلت رأيك يا أمير المؤمنين وأنا أريد أنظر من يذكر قال كيف ترى في عمر بن عبد العزيز فقلت أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً فقال هو والله على ذلك ثم قال والله لئن وليته ولم أولّ أحداً سواه لتكونن فتنة ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن يجعل أحدهم بعده ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم قال فيزيد بن عبد الملك أجعله بعده فإن ذلك مما يسكنهم ويرضون به قلت رأيك قال فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز إني قد وليتك الخلافة من بعدى ومن بعدك يزيد بن عبد الملك فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيكم وختم الكتاب وأرسل إلى كعب بن أحمد العبسي صاحب شرطه فقال مرأهل بيتي فليجتمعوا فأرسل كعب إليهم أن يجتمعوا فاجتمعوا ثم قال سليمان لرجاء بعد اجتماعهم اذهب بكتابي هذا إليهم فاخبرهم أن هذا كتابي وأمرهم فليبايعوا من وليت فيه ففعل رجاء فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا ندخل فنسلم على أمير المؤمنين قال نعم فدخلوا فقال لهم سليمان في هذا الكتاب وهو يشير لهم إليه وهم ينظرون إليه في يد رجاء بن حيوة عهدى فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سميت في هذا الكتاب فبايعوه رجلاً رجلاً ثم خرج بالكتاب محتوماً في يد رجاء بن حيوة قال رجاء فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال أخشى

أن يكون هذا أسند إلى شيئاً من هذا الأمر فأشددك الله وحرمتي ومودتي إلا أعلمتني إن كان ذلك حتى أستغفبه الآن قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة قال رجاء لا والله ما أنا بمنخبرك حرفاً قال فذهب عمر غضبان قال رجاء وليقيني هشام بن عبد الملك فقال يا رجاء إن لي بك حرمة ومودة قديمة وعندي شكر فأعلمني هذا الأمر فإن كان إلى علمت وإن كان إلى غيري تكلمت فليس مثلي قصر به فأعلمني فلك الله على أن لا أذكر من ذلك شيئاً أبداً قال رجاء فأبيت فقلت والله لا أخبرك حرفاً وأحداً مما أسر إلي قال فانصرف هشام وهو قد يش ويضرب يا حدى يديه على الأخرى وهو يقول فإلى من إذا نحييت عنى أخرج من بنى عبد الملك قال رجاء ودخلت على سليمان فإذا هو يموت فجعلت إذا أخذته السكر من سكرات الموت حرفته إلى القبلة فجعل يقول حين يفيق لم يأن لذلك بعد يا رجاء ففعلت ذلك مرتين فلما كانت الثالثة قال من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئاً أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قال فخرفته ومات فلما غمضته بجيئه بقطيفة خضراء وأغلقت الباب وأرسلت إلى زوجته تقول كيف أصبح فقلت نائم وقد تغطى فنظر الرسول إليه مغطى بالقطيفة فرجع فأخبرها فقبلت ذلك وظننت أنه نائم قال رجاء وأجلست على الباب من أثق به وأوصيته أن لا يبرح حتى آتبه ولا يدخل على الخليفة أحد قال فخرجت فأرسلت إلى كعب ابن حامد العبسي فجمع أهل بيت أمير المؤمنين فاجتمعوا في مسجد دابق فقلت بايعوا فقالوا قد بايعنا مرة ونباع أخرى قلت هذا عهد أمير المؤمنين فبايعوا على ما أمر به ومن سمي في هذا الكتاب المختوم فبايعوا الثانية رجلاً رجلاً قال رجاء فلما بايعوا بعد موت سليمان رأيت أني قد أحكمت الأمر قلت قوموا إلى صاحبكم فقدمت قالوا إننا لله وإننا إليه راجعون وقرأت الكتاب عليهم فلما انتهيت إلى ذكر عمر ابن عبد العزيز نادى هشام بن عبد الملك لا تباعه أبداً قلت أضرب والله عنقك قم فبايع فقام يجر رجله قال رجال وأخذت بضبعي عمر بن عبد العزيز فأجلسته لما وقع فيه وهشام يسترجع على المنبر وهو يسترجع لما أخطأه فلما انتهى هشام إلى عمر قال عمر إننا لله

وإنا إليه راجعون حين صارت إلى لكرأته والآخري يقول إنا لله وإنا إليه راجعون حيث نحيث عنى قال وُغُسل سليمان وكفن وصلى عليه عمر بن عبد العزيز قال رجاء فلما فرغ من دفنه أتى بمراكب الخلافة البراذين والخيل والبغال ولكل دابة سائس فقال ما هذا قالوا مراكب الخلافة قال دابتي أوفق لي وركب دابته قال فصرفت تلك الدواب ثم أقبل سائرا فقبل منزل الخلافة فقال فيه عيال أبي أيوب وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا فأقام في منزله حتى فرغوه بعد قال رجاء فلما كان المساء من ذلك اليوم قال يارجاء ادع لي كاتباً فدعوته وقد رأيت منه كل ما سرتني صنع في المراكب ما صنع وفي منزل سليمان فقلت كيف يصنع الآن في الكتاب أيصنع نسخاً أم ماذا فلما جلس الكاتب أملى عليه كتاباً واحداً من فيه إلى يد الكاتب بغير نسخة فأملى أحسن إملاء وأبلغه وأجزه ثم أمر بذلك الكتاب أن يُنسخ إلى كل بلد وبلغ عبد العزيز بن الوليد وكان غائباً عن موت سليمان بن عبد الملك ولم يعلم بيعة الناس عمر بن عبد العزيز وعهد سليمان إلى عمر فعقد لواء ودعا إلى نفسه فبلغته بيعة الناس عمر بعهد سليمان فأقبل حتى دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر قد بلغني أنك كنت بايعت من قبلك وأردت دخول دمشق فقال قد كان ذلك وذلك أنه بلغني أن الخليفة سليمان لم يكن عقد لأحد فخفت على الأموال أن تنهب فقال عمر لو بايعت وقت بالامر ما نازعتك ذلك ولقعدت في بيتي فقال عبد العزيز ما أحب أنه ولي هذا الأمر غيرك وبايع عمر بن عبد العزيز قال فكان يرجي لسليمان بتوليته عمر بن عبد العزيز وترك ولده (وفي هذه السنة) وجه عمر بن عبد العزيز إلى مسلة وهو بأرض الروم وأمره بالققول منها بمن معه من المسلمين ووجه إليه خيلاً عتاقاً وطعاماً كثيراً وحث الناس على معاونتهم وكان الذي وجه إليه من الخيل العتاق فيما قيل خمسمائة فرس (وفي هذه السنة) أغارت الترك على آذربيجان فقتلوا من المسلمين جماعة ونالوا منهم فوجه اليهم عمر بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي فقتل أولئك الترك فلم يفلت منهم إلا اليسير فقدم منهم على عمر بمخاضرة بخمسين أسيراً (وفيها)

عزل عمر يزيد بن المهلب عن العراق ووجه على البصرة وأرضها عدى بن أرطاة
 الفزارى وبعث على الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب
 الأعرج القرشى من بنى عدى بن كعب وضم إليه أبا الزناد فكان أبو الزناد كاتب
 عبد الحميد بن عبد الرحمن وبعث عدى في أثر يزيد بن المهلب موسى بن الوجيه الحميرى
 (وحيج) بالناس في هذه السنة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم وكان عامل عمر على المدينة
 وكان عامل عمر على مكة في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى
 الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن وعلى البصرة وأرضها عدى بن أرطاة وعلى
 خراسان الجراح بن عبد الله وعلى قضاء البصرة إياس بن معاوية بن قرّة المزنى
 وقد ولى فيما ذكر قبله الحسن بن أبي الحسن فشكى فاستقصى إياس بن معاوية وكان
 على قضاء الكوفة في هذه السنة فيما قيل عامر الشعبي (وكان الواقدى) يقول كان
 الشعبي على قضاء الكوفة أيام عمر بن عبد العزيز من قبل عبد الحميد بن عبد الرحمن
 والحسن بن أبي الحسن البصرى على قضاء البصرة من قبل عدى بن أرطاة ثم إن الحسن
 استعفى من القضاء عدياً فأعفاه وولى إياساً

ثم دخلت سنة مائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك خروج الخارجة التي خرجت على عمر بن عبد العزيز بالعراق

ذكر الخبر عن أمرهم

ذكر محمد بن عمر أن ابن أبي الزناد حدثه قال خرجت حرورية بالعراق فكتب
 عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامل العراق
 يأمره أن يدعوهم إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فلما أعذر
 في دعائهم بعث إليهم عبد الحميد جيشاً فهزمتهم الحرورية فبلغ عمر فبعث إليهم
 مسلمة بن عبد الملك في جيش من أهل الشام جهزهم من الرقة وكتب إلى عبد الحميد
 قد بلغنى ما فعل جيشك جيش سوء وقد بعثت مسلمة بن عبد الملك نخل بينه وبينهم

فلقيهم مسلمة في أهل الشام فلم يَنْشَبْ أن أظهره الله عليهم (وذكر أبو عبيدة) معمر بن المثنى أن الذي خرج على عبد الحميد بن عبد الرحمن بالعراق في خلافة عمر بن عبد العزيز شوذب واسمه بسطام من بني يشكر فكان مخرجه بجوخي في ثمانين فارساً أكثرهم من ربيعة فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد ألا تحركهم إلا أن يسفكوا دماً أو يفسدوا في الأرض فإن فعلوا فخل بينهم وبين ذلك وانظر رجلاً صليبا حازماً فوجهه اليهم ووجهه معه جنداً أو وصيه بما أمرتك به فعقد عبد الحميد لمحمد بن جرير بن عبد الله البجلي في ألفين من أهل الكوفة وأمره بما أمره به عمر وكتب عمر إلى بسطام يدعوه ويسأله عن مخرجه فقدم كتاب عمر عليه وقد قدم عليه محمد بن جرير فقام بإزائه لا يحركه ولا يهتجه فكان في كتاب عمر إليه انه بلغني أنك خرجت غَضَباً لله ولنبيه ولست بأولى بذلك مني فهل أنا ظرك فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس وإن كان في يدك فظننا في أمرنا قلم يحرك بسطام شيئاً وكتب إلى عمر قد أنصفت وقد بعثت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك قال أبو عبيدة أحد الرجلين اللذين بعثهما شوذب إلى عمر بمزوج مولى بني شيبان والآخر من صليبة بني يشكر قال فيقال أرسل نفرًا فيهم هذان فأرسل إليهم عمر أن اختاروا رجلين فاختروهما فدخلا عليه فناظراه فقالا له أخبرنا عن يزيد لم تُقره خليفة بعدك قال صيره غيري قال أفرأيت لو وليت مالا لغيرك ثم وكلته إلى غير مأمون عليه أترأى كنت أدبت الأمانة إلى من ائتمتك قال فقال أنظراني ثلاثاً فخرجا من عنده وخاف بنو مروان أن يخرج ما عندهم وفي أيديهم من الأموال وأن يخلع يزيد فدسوا إليه من سقاه سماً فلم يلبث بعد خروجهما من عنده إلا ثلاثاً حتى مات (وفي هذه السنة) أغزى عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المعيطي وعمر بن قيس الكندي من أهل حمص الصائفة (وفيها) شخص عمر بن هبيرة الفزاري إلى الجزيرة عاملاً لعمر عليها (وفي هذه السنة) حمل يزيد بن المهلب من العراق إلى عمر ابن عبد العزيز

ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف وصل إليه حتى استوثق منه
 اختلف أهل السير في ذلك فأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبي مخنف أن عمر
 ابن عبد العزيز لما جاء يزيد بن المهلب قنزل واسطاً ثم ركب السفن يريد
 البصرة بعث عدى بن ارطاة إلى البصرة أميراً فبعث عدى موسى بن الوجيه
 الحميري فلحقه في نهر معقل عند الجسر جسر البصرة فأوثقه ثم بعث به إلى عمر بن
 عبد العزيز فقدم به عليه موسى بن الوجيه فدعا به عمر بن عبد العزيز وقد كان عمر
 يبغض يزيد وأهل بيته ويقول هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم وكان يزيد بن
 المهلب يبغض عمر ويقول إني لأظنه مرانياً فلما ولي عمر عرف يزيد أن عمر كان
 من الرياء بعيداً ولما دعا عمر يزيد سأله عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان
 ابن عبد الملك فقال كنت من سليمان بالمكان الذي قدر أيت وإنما كتبت إلى سليمان
 لأسمع الناس به وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني بشيء سمعت ولا بأمر أكرهه
 فقال له ما أجد في أمرك إلا حبسك فأتق الله وأد ما قبلك فإنها حقوق المسلمين
 ولا يسعني تركها فرده إلى محبسه وبعث إلى الجراح بن عبد الله الحكمي فسرجه
 إلى خراسان وأقبل مخلد بن يزيد من خراسان يعطي الناس ولا يمر بكورة
 إلا أعطاهم فيها أموالاً عظيماً ثم خرج حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فدخل
 عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله يأمر المؤمنين صنع لهذه الأمة بولايتك
 عليها وقد ابتلينا بك فلا نكن أشقى الناس بولايتك علام تحبس هذا الشيخ
 أنا أتحمّل ما عليه فصالحني على ما آياه تسأل فقال عمر لا إلا أن تحمل جميع
 ما نسأله آياه فقال يا أمير المؤمنين إن كانت لك بينة فخذ بها وإن لم تكن بينة فصدق
 مقالة يزيد وإلا فاستحلفه فإن لم يفعل فصالحه فقال له عمر ما أجد إلا أخذه
 بجميع المال فلما خرج مخلد قال هذا خير عندي من أبيه فلم يلبث مخلد إلا قليلاً
 حتى مات فلما أبي يزيد أن يؤدي إلى عمر شيئاً ألبسه جبة من صوف وحمله على
 جمل ثم قال سيروا به إلى دهلك فلما أخرج فمر به على الناس أخذ يقول مالي
 عشيرة مالي يذهب بي إلى دهلك إنما يذهب إلى دهلك بالفاسق المريب الخارب

سبحان الله أما لي عشيرة فدخل على عمر سلامة بن نعيم الخولاني فقال يا أمير المؤمنين ارُدُّدْ يزيد إلى محبسه فأني أخاف إن أمضيته أن ينتزعه قومه فأني قد رأيت قومه غَضِبُوا له فردّه إلى محبسه فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمره وأما غير أبي مخنف فانه قال كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن ارطاة يأمره بتوجيه يزيد بن المهلب ودفعه إلى من بعين التمر من الجند فوجهه عدى ابن ارطاة مع وكيع بن حسان بن أبي سود التيمي مغلولاً مقيداً في سفينة فلما انتهى به إلى نهر أبان عرض لو كيع ناس من الأزد لينتزعوه منه فوثب وكيع فاتضى سيفه وقطع قلس السفينة وأخذ سيف يزيد بن المهلب وحلف بطلاق امرأته ليضربن عنقه إن لم يفرقوا فناداهم يزيد بن المهلب فأعلمهم بين وكيع ففرقوا ومضى به حتى سلمه إلى الجند الذين بعين التمر ورجع وكيع إلى عدى ابن ارطاة ومضى الجند الذين بعين التمر بيزيد بن المهلب إلى عمر بن عبد العزيز فحبسه في السجن (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله عن خراسان وولاهها عبد الرحمن بن نعيم القشيري فكانت ولاية الجراح بخراسان سنة وخمسة أشهر قدمها سنة ٩٩ وخرج منها أيام بقيت من شهر رمضان سنة ١٠٠

ذكر سبب عزل عمر اياه

وكان سبب ذلك فيما ذكر علي بن محمد عن كليب بن خلف عن إدريس بن حنظلة والمفضل عن جده وعلي بن مجاهد عن خالد بن عبد العزيز أن يزيد بن المهلب ولي جهم بن زحر جرجان حين شئخص عنها فلما كان من أمر يزيد ما كان وجه عامل العراق من العراق والياً على جرجان فقدم الوالى عليها من العراق فأخذه جهم فقيده وقيده رهطاً قدموا معه ثم خرج في خمسين من اليمن يريد الجراح بخراسان فأطلق أهل جرجان عاملهم فقال الجراح لجهم لولا أنك ابن عمي لم أسوئك هذا فقال له جهم ولولا أنك ابن عمي لم آتتك وكان جهم سلف الجراح من قبل ابنتي حصين بن الحارث وابن عمه لأن الحكم وجعني ابناً سعد فقال له الجراح خالفت إمامك وخرجت

عاصيا فاغز لعلك أن تظفر فيصلح أمرك عند خليفتك فوجهه إلى الختل فخرج فلما قرب منهم سار متنكراً في ثلاثة وخلف في عسكره ابن عمه القاسم بن حبيب وهو ختنته على ابنته أم الأسود حتى دخل على صاحب الختل فقال له أخلني فأخلاه فاعتزى فنزل صاحب الختل عن سريره وأعطاه حاجته ويقولون الختل موالى النعمان وأصاب مغتما فكتب الجراح إلى عمرو وأوفد وفداً رجلين من العرب ورجلا من الموالى من بني ضببة ويكنى أبا الصيذاء واسمه صالح ابن طريق كان فاضلاً في دينه وقال بعضهم المولى سعيد أخو خالد أو يزيد النحوى فتكلم العربيان والآخرون جالس فقال له عمر أما أنت من الوفد قال بلى قال فما يمنعك من الكلام قال يا أمير المؤمنين عشرون ألفاً من الموالى يغزون بلا عطاء ولا رزق ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج وأميرنا عصبي جاف يقوم على منبرنا فيقول أيتكم حفياً وأنا اليوم عصبي والله لرجل من قومي أحب إلي من مائة من غيرهم وبلغ من جفائه أن كُتِمَ درعه يبلغ نصف درعه وهو بعد سيف من سيوف الحجاج قد عمل بالظلم والعدوان فقال عمر إذن مثلك فليوفد وكتب عمر إلى الجراح انظر من صلى قبلك إلى القبلة فضع عنه الجزية فسارع الناس إلى الإسلام فقبل للجراح أن الناس قد سارعوا إلى الإسلام وإنما ذلك نفوراً من الجزية فامتحنهم بالختان فكتب الجراح بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر إن الله بعث محمداً صلى الله عليه داعياً ولم يبعثه خاتناً وقال عمر ابغوني رجلاً صدوقاً أسأله عن خراسان فقبل له قد وجدته عليك بأبي مجلز فكتب إلى الجراح أن أقبل واحمل أبا مجلز وخلف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم الغامدى وعلى جزيتها عبيد الله أو عبد الله ابن حبيب فخطب الجراح فقال يا أهل خراسان جئتكم في ثيابي هذه التي على وعلى فرسى لم أصب من مالكم إلا حلية سيني ولم يكن عنده إلا فرس قد شاب وجهه وبلغته - شاب وجهها فخرج في شهر رمضان واستخلف عبد الرحمن بن نعيم فلما قدم قال له عمر متى خرجت قال في شهر رمضان قال قد صدق من

وصفك بالجفاء هلا أقت حتى تُفطر ثم تخرج وكان الجراح يقول أنا والله عصبي عقيب يريد من العصية وكان الجراح لما قدم خراسان كتب إلى عمراني قدمت خراسان فوجدت قوماً قد أبطرتهم الفتنة فهم ينزون فيها نزواً أحب الأمور اليهم أن تعود ليمنعوا حق الله عليهم فليس يكفهم إلا السيف والسوط وكرهت الإقدام على ذلك إلا بإذنك فكتب إليه عمر يا ابن أم الجراح أنت أحرص على الفتنة منهم لا تضربن مؤمناً ولا معاهداً سوطاً إلا في حق واحذر القصاص فإنك صائر إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وتقرأ كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ولما أراد الجراح الشخص من خراسان إلى عمر بن عبد العزيز أخذ عشرين ألفاً وقال بعضهم عشرة آلاف من بيت المال وقال هي علي سلفاً حتى أوديتها إلى الخليفة فقدم علي عمر فقال له عمر متى خرجت قال لا أيام بقرين من شهر رمضان وعلي دين فاقضه قال لو قت حتى تفطر ثم خرجت قضيت عنك فأدى عنه قومه في أعطياتهم

ذكر الخبر عن سبب تولية عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن نعيم

وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري خراسان

وكان سبب ذلك فيما ذكر لي أن الجراح بن عبد الله لما شكى واستقدمه عمر ابن عبد العزيز فقدم عليه عزله عن خراسان لما قد ذكرت قبل ثم إن عمر لما أراد استعمال عامل على خراسان قال فيما ذكر علي بن محمد عن خارجة بن مصعب الضبعي وعبد الله بن المبارك وغيرهما ابغوني رجلاً صدوقاً أسأله عن خراسان فقيل له أبو مجلز لاحق بن حميد فكتب إليه فقدم عليه وكان رجلاً لا تأخذه العين فدخل أبو مجلز على عمر في جفة الناس فلم يثبته عمر وخرج مع الناس فسأل عنه فقيل دخل مع الناس ثم خرج فدعا به عمر فقال يا أبا مجلز لم أعرفك قال فهلا أنكرتني إذ لم تعرفني قال أخبرني عن عبد الرحمن بن عبد الله قال يكاني إلا كفاء ويعادي الأعداء وهو أمير يفعل ما يشاء ويقدم إن وجد من يساعده قال عبد الرحمن ابن نعيم قال ضعيف لئن يحب العافية وتأتى له قال الذي يحب العافية وتأتى له

أحب إلى فولاه الصلاة والحرب وولى عبد الرحمن القشيري ثم أحد بني الأعور ابن قشير الخراج وكتب إلى أهل خراسان إنى استعملت عبد الرحمن على حربكم وعبد الرحمن بن عبد الله على خراجكم عن غير معرفة منى بهما ولا اختيار إلا ما أخبرت عنهما فإن كانا على ما تحبون فاحمدوا الله وإن كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال عليٌ وحدثنا أبو السرى الأزدي عن إبراهيم الصائغ أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم أما بعد فكن عبداً ناصحاً لله فى عباده ولا يأخذك فى الله لومة لائم فإن الله أولى بك من الناس وحقه عليك أعظم فلا تولين شيئاً من أمر المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم والتوفير عليهم وأداء الأمانة فيما استرعى وإياك أن يكون ميلك ميلاً إلى غير الحق فإن الله لا يخفى عليه خافية ولا تذهبن عن الله مذهبا فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه قال عليٌ عن محمد الباهلي وأبي نهبك بن زياد وغيرهما إن عمر بن عبد العزيز بعث بعهد عبد الرحمن بن نعيم على حرب خراسان وسجستان مع عبد الله بن صخر القرشى فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى مات عمر بن عبد العزيز وبعد ذلك حتى قتل يزيد بن المهلب ووجه مسلمة سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف وليها فى شهر رمضان من سنة ١٠٠ وعزل سنة ١٠٢ بعد ما قتل يزيد بن المهلب قال عليٌ كانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهراً

أول الدعوة

(قال أبو جعفر) وفى هذه السنة أعنى سنة ١٠٠ توجه محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس من أرض الشراة ميسرة إلى العراق ووجه محمد بن خنيس وأبا بكرمة السراج وهو أبو محمد الصادق وحيان العطار خال إبراهيم بن سلمة إلى خراسان وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله الحكيم من قبل عمر بن عبد العزيز وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته فلقوا من لقوا ثم انصرفوا بكتب من استجاب لهم إلى محمد بن علي فدفعوها إلى ميسرة فبعث بها ميسرة إلى محمد بن علي واختار أبو محمد

الصادق محمد بن عليّ اثني عشر رجلاً نُقباء منهم سليمان بن كثير الخزاعيّ ولاهر
ابن قريظ التيميّ وقحطبة بن شبيب الطائيّ وموسى بن كعب التيميّ وخالد بن
ابراهيم أبو داود من بني عمرو بن شيبان بن ذهل والقاسم بن مجاشع التيميّ
وعمران بن اسماعيل أبو النجم مولى لآل أبي معيط ومالك بن الهيثم الخزاعيّ
وطلحة بن زريق الخزاعيّ وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى لخزاعة وشبيل بن
طهمان أبو عليّ الهرويّ مولى لبني حنيفة وعيسى بن أعين مولى خزاعة واختار
سبعين رجلاً فكتب اليهم محمد بن عليّ كتاباً ليكون لهم مثلاً وسيرة يسرون
بها (وحج) بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم حدثني بذلك
أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي
وكان عمال الأمصار في هذه السنة العمال في السنة التي قبلها وقد ذكرناهم قبل
ما خلا عامل خراسان فان عاملها كان في آخرها عبد الرحمن بن نعيم على الصلاة
والحرب وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج

ثم دخلت سنة إحدى ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز

ذكر الخبر عن سبب هربه منه وكيف كان هربه منه

ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف أن عمر بن عبد العزيز لما كلم في يزيد
ابن المهلب حين أراد نفيه إلى دهلك وقيل له إنا نخشى أن ينتزعه قومه رده إلى
محبسه فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر فأخذ يعمل بعد في الهرب من
محبسه مخافة يزيد بن عبد الملك لأنه كان قد عذب أصحابه آل أبي عقيل كانت أم
الحجاج بنت محمد بن يوسف أختي الحجاج بن يوسف عند يزيد بن عبد الملك
فولدت له الوليد بن يزيد المقتول فكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله لن أمكنه
الله من يزيد بن المهلب ليقطعن منه طابقاً فكان يخشى ذلك فبعث يزيد بن المهلب

إلى مواليه فأعدوا له إبلا وكان مرض عمر في دير سمعان فلما اشتد مرض عمر أمر يابله فأتي بها فلما تبين له أنه قد ثقل نزل من محبسه فخرج حتى مضى إلى المكان الذي واعدهم فيه فلم يجدهم جاءوا فجزع أصحابه وضجروا فقال لأصحابه أتروني أرجع إلى السجن لا والله لا أرجع إليه أبداً ثم إن الإبل جاءت فاحتمل فخرج ومعه عاتكة امرأته ابنة الفرات بن معاوية العامرية من بني البكافي شق المحمل فمضى فلما جاز كتب إلى عمر ابن عبدالعزيز إني والله لو علمت أنك تبقى ما خرجت من محبسي ولكني لم آمن يزيد بن عبد الملك فقال لعمر اللهم إن كان يزيد يريد بهذه الأمة شراً فأكفهم شره واردد كيده في نحره ومضى يزيد بن المهلب حتى مر بحدث الزقاق وفيه الهذيل ابن زفر معه قيس فأتبعوا يزيد بن المهلب حيث مر بهم فأصابوا طرفاً من ثقله وغلبة من وصفائه فأرسل الهذيل بن زفر في آثارهم فردم فقال ما تطلبون أخبروني أتطلبون يزيد بن المهلب أو أحداً من قومه بتبيل فقالوا لا قال فما تريدون إنما هو رجل كان في أسارى فخاف على نفسه فهرب وزعم الواقدي أن يزيد بن المهلب إنما هرب من سجن عمر بعد موت عمر (وفي هذه السنة) توفي عمر بن عبدالعزيز فحدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال توفي عمر ابن عبدالعزيز لخمس ليال بقين من رجب سنة ۱۰۱ وكذلك قال محمد بن عمر حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عمرو بن عثمان قال مات عمر بن عبدالعزيز لعشر ليال بقين من رجب سنة ۱۰۱ (وقال هشام) عن أبي مخنف مات عمر بن عبدالعزيز يوم الجمعة لخمس بقين من رجب بدير سمعان في سنة ۱۰۱ وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر ومات بدير سمعان ۰۰۰ حدثني الحارث قال حدثنا أحمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عمي الهيثم بن واقد قال ولدت سنة ۹۷ واستخلف عمر ابن عبدالعزيز بديار يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة ۹۹ فأصابني من قسمه ثلاثة دنائير وتوفي بمخاضة يوم الأربعاء لخمس ليال بقين من رجب سنة ۱۰۱ وكان شكوه عشرين يوماً وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ومات

وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ودفن بدير سمعان وقد قال بعضهم كان له يوم توفى تسع وثلاثون سنة وخمسة أشهر وقال بعضهم كان له أربعون سنة (وقال هشام) توفى عمر وهو ابن أربعين سنة وأشهر وكان يكنى أبا حفص وله يقول عوف القوافي وقد حضره في جنازة شهدا معه

أَجِبْنِي أبا حَفِصٍ لَقِيتَ مُحَمَّدًا عَلَى حَوْضِهِ مُسْتَدِثِّرًا مَنْ وَرَاكَ
فَأَنْتَ امْرُؤٌ كَلَّتَا يَدَيْكَ مُفِيدَةٌ شِمَالِكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِ سِوَاكَ
وأمة أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وكان يقال له أشج بنى أمية وذلك أن دابة من دواب آبيه كانت شجته فقيل له أشج بنى أمية ❀ حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا سليمان بن حرب قال حدثنا المبارك بن فضالة عن عبيد الله بن عمر عن نافع قال كنت أسمع ابن عمر كثيرا يقول ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلا ❀ وحدثت عن منصور ابن أبي مزاحم قال حدثنا مروان بن شجاع عن سالم الألفطس أن عمر بن عبد العزيز رحمته دابة وهو غلام بدمشق فأتيت به أمة أم عاصم بنت عاصم بن عمر ابن الخطاب فضمته إليها وجعلت تمسح الدم عن وجهه ودخل أبوه عليها على تلك الحال فأقبلت عليه تعذله وتلومه وتقول ضيقت ابني ولم تضم إليه خادما ولا حاضنا يحفظه من مثل هذا فقال لها اسكتي يا أم عاصم فطوباك إذ كان أشج بنى أمية
ذكر بعض سيره

ذكر علي بن محمد أن كليب بن خلف حدثهم عن إدريس بن حنظلة والمفضل عن جده وعلي بن مجاهد عن خالد بن عمر بن عبد العزيز كتب حين ولي الخلافة إلى يزيد بن المهلب أما بعد فإن سليمان كان عبدا من عبيد الله أنعم الله عليه ثم قبضه واستخلفني ويزيد بن عبد الملك من بعدى إن كان وإن الذي ولاني الله من ذلك وقدر لي ليس علي بهين ولو كانت رغبتني في اتخاذ أزواج واعتقاد أموال كان في الذي أعطاني من ذلك ما قد بلغ بي أفضل ما بلغ بأحد من خلقه وأنا أخاف فيها ابتليت به حسابا شديدا ومسئلة غليظة إلا ما عافى الله ورحم وقد بايع من قبلنا

فبايع من قبلك فلما قدم الكتاب على يزيد بن المهلب ألقاه إلى أبي عينة فلما قرأه قال لست من عماله قال ولم قال ليس هذا كلام من مضى من أهل بيته وليس يريد أن يسلك مسلكهم فدعا الناس إلى البيعة فبايعوا قال ثم كتب عمر إلى يزيد استخاف على خراسان وأقبل فاستخلف ابنه مخلدا قال علي وحدثنا علي بن مجاهد عن عبد الأعلى بن منصور عن ميمون بن مهران قال كتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم أن العمل والعلم قريان فكن عالما بالله عاملا له فإن أقواما علموا ولم يعملوا فكان عليهم عليهم وبالا قال وأخبرنا مصعب بن حيان عن مقاتل بن حيان قال كتب عمر إلى عبد الرحمن أما بعد فاعمل عمل رجل يعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين قال علي أخبرنا كليب بن خلف عن طفيل بن مرداس قال كتب عمر إلى سليمان ابن أبي السرى أن اعمل خانات في بلادك فمن بك من المسلمين فاقروه يوم ليلة وتعهدوا دوابهم فمن كانت به علة فاقروه يومين وليتين فإن كان منقطعا به فاقروه بما يصل به إلى بلده فلما أتاه كتاب عمر قال أهل سمرقند لسليمان إن قتيبة غدر بنا وظلمنا وأخذ بلادنا وقد أظهر الله العدل والإنصاف فأذن لنا فليد منا وفد إلى أمير المؤمنين يشكون ظلامتنا فإن كان لنا حق أعطيناها فإن بنا إلى ذلك حاجة فأذن لهم فوجهوا منهم قوما فقدموا على عمر فكتب لهم عمر إلى سليمان ابن أبي السرى إن أهل سمرقند قد شكوا إلى ظلمنا أصحابهم وتحاملا من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم فاذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي فليظن في أمرهم فإن قضى لهم فاجر جهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة قال فأجلس لهم سليمان جميع بن حاضر القاضي الناجي فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينا بندهم على سواء فيكون صلحا جديدا أو ظفرا عنوة فقال أهل السغد بل نرضى بما كان ولا نجد حرجا وتراضوا بذلك فقال أهل الرأي قد خالطنا هؤلاء القوم وأقنناهم وأمنونا وأمنناهم فإن حكم لنا عدنا إلى الحرب ولا ندرى لمن يكون الظفر وإن لم يكن لنا كنا قد اجتلبنا عداوة في المنازعة فتركوا الأمر على ما كان ورضوا ولم ينازعوا قال وكتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم يأمره بإقفال من

وراء النهر من المسلمين بذرارهم قال فأبوا وقالوا لا يسعنا مرو فكتب إلى عمر بذلك فكتب إليه عمر اللهم إني قد قضيت الذي عليّ فلا تغزُ بالمسلمين فحسبهم الذي قد فتح الله عليهم قال وكتب إلى عقبة بن زرعة الطائي وكان قد ولاه الخراج بعد القُشَيْرِيّ إن للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها فالوالي رُكن والقاضي ركنٌ وصاحب بيت المال ركن والركن الرابع أنا وليس من تغور المسلمين تغراً همّ إلى ولا أعظم عندي من تغر خراسان فاستوعب الخراج وأحرزه في غير ظلم فإن يك كفافاً لأعطياتهم فسيل ذلك وإلا فاكتب إلى حتى أحمل إليك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم قال فقدم عقبة فوجد خراجهم يفضل عن أعطياتهم فكتب إلى عمر فأعلمه فكتب إليه عمر أن أقسم الفضل في أهل الحاجة ﷺ وحدثني عبد الله بن أحمد بن شَبْوِيّة قال حدثني أبي قال حدثني سليمان قال سمعت عبد الله يقول عن محمد بن طلحة عن داود بن سليمان الجعفي قال كتب عمر بن عبد العزيز من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الحميد سلام عليك أما بعد فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله وسنة خبيثة استنها عليهم عمال السوء وإن قوام الدين العدل والإحسان فلا يكونن شيء أهم إليك من نفسك فإنه لا قليل من الإثم ولا تحمل خراباً على عامر ولا عامراً على خراب انظر الخراب فخذ منه ما أطاق وأصلحه حتى يعمر ولا يؤخذ من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل الأرض ولا تأخذن في الخراج إلا وزن سبعة ليس لها آيين ولا أجور الضرايين ولا هدية النيروز والمهرجان ولا ثمن الصُحف ولا أجور الفيوج ولا أجور البيوت ولا دراهم النكاح ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض فاتبع في ذلك أمرى فإني قد وليتك من ذلك ما ولاني الله ولا تعجل دوني بقطع ولا صلب حتى تراجعني فيه وانظر من أراد من الذرية أن يحج فعجل له مائة يحج بها والسلام ﷺ حدثنا عبد الله بن أحمد بن شَبْوِيّة قال حدثني أبي قال حدثنا سليمان قال حدثني عبد الله عن شراب بن شريعة المجاشعي قال الحق عمر بن عبد العزيز ذراري الرجال الذين في العطايا أقرع بينهم فمن أصابته القرعة جعله في المائة ومن

لم تصبه القرعة جعله في الأربعين وقسم في فقراء أهل البصرة كل إنسان ثلاثة دراهم فأعطى الزمى خمسين خمسين قال وأراه رزق الفطم رضي الله عنه حدثنا أبي قال حدثنا الفضيل عن عبد الله قال بلغني أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الشام سلام عليكم ورحمة الله أما بعد فإنه من أكثر ذكر الموت قل كلامه ومن علم أن الموت حق رضى السير والسلام قال علي بن محمد وقال أبو مجلز لعمر إنك وضعتنا بمنقطع التراب فاحمل إلينا الأموال قال يا أبا مجلز قلبت الأمر قال يا أمير المؤمنين أهو لنا أم لك قال بل هو لكم إذا قصر خراجكم عن أعطياتكم قال فلا أنت تحمله إلينا ولا نحمله إليك وقد وضعت بعضه على بعض قال أحمله إليكم إن شاء الله ومرض من ليلته فمات من مرضه وكانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهرا (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة توفي عمارة بن أكيمة الليثي ويكنى أبا الوليد وهو ابن تسع وسبعين

زيادة في سيرة عمر بن عبد العزيز ليست من كتاب أبي جعفر

إلى أول خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

روى عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي قال حدثنا رجل في مسجد الجنابذ أن عمر بن عبد العزيز خطب الناس بمخاضة فقال أيها الناس إنكم لم تُخَلِّقُوا عَبَثًا ولن تُتْرَكُوا سُدَى وَإِنْ لَكُمْ مَعَادَا يَنْزِلُ اللَّهُ فِيهِ لِلْحَكْمِ فِيكُمْ وَالْفَصْلِ بَيْنَكُمْ وَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ مَنْ خَرَجَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَحُرْمِ الْجَنَّةِ الَّتِي عَرَضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أَلَا وَاعْلَمُوا أَنَّمَا الْأَمَانُ غَدًا لِمَنْ حَذَرَ اللَّهَ وَخَافَهُ وَبَاعَ نَافِدًا بِيَاقٍ وَقَلِيلًا بكَثِيرٍ وَخَوْفًا بِأَمَانٍ أَلَا تَرَوْنَ أَنْكُمْ فِي أَسْلَابِ الْهَالِكِينَ وَسَيُخَلِّفُهَا بَعْدَكُمْ الْبَاقُونَ كَذَلِكَ حَتَّى تَرُدَّ إِلَى خَيْرِ الْوَارِثِينَ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَشِيعُونَ غَادِيًا وَرَاحًا إِلَى اللَّهِ قَدْ قَضَى نَجْبَهُ وَانْقَضَى أَجَلُهُ فَتَغْيِبُونَهُ فِي صَدْعٍ مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ تَدْعُونَهُ غَيْرَ مُوسِدٍ وَلَا مَهْدٍ قَدْ فَارَقَ الْأَحْبَةَ وَخَلَعَ الْأَسْبَابَ فَسَكَنَ التَّرَابَ وَوَاجَهَ الْحِسَابَ فَهُوَ مَرْتَهَنٌ بِعَمَلِهِ فَقِيرٌ إِلَى مَا قَدَّمَ غَنَى عَمَّا تَرَكَ فَاتَّقُوا اللَّهَ قَبْلَ نَزُولِ الْمَوْتِ وَانْقِضَاءِ مَوَاقِعِهِ وَآيَمِ اللَّهُ إِلَيْنِي لِأَقُولَ لَكُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ وَمَا أَعْلَمُ عِنْدَ

أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندي فأستغفر الله وأتوب إليه وما منكم من أحد تبلغنا عنه حاجة إلا أحببت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه وما منكم أحد يسعه ما عندنا إلا وددت أنه ساواني ولحمتي حتى يكون عيشنا وعيشه سواء وأيم الله أن لو أردت غير هذا من الغضارة والعيش لكان اللسان مني به ذلولا عالما بأسبابه ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة يدل فيها على طاعته وينهى عن معصيته ثم رفع طرف رداثة فبكى حتى شهق وأبكى الناس حوله ثم نزل فكانت إياها لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله (روى خلف بن تميم) قال حدثنا عبد الله بن محمد بن سعد قال بلغني أن عمر بن عبد العزيز مات ابن له فكتب عامل له يعزيه عن ابنه فقال لكتابه أجه عنى قال فأخذ الكاتب يبرى القلم قال فقال للكاتب أدق القلم فإنه أبقى للقرطاس وأوجز للحروف واكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن هذا الأمر قد كنا وطنا أنفسنا عليه فلما نزل لم نذكره والسلام روى منصور ابن مزاحم قال حدثنا شعيب يعني ابن صفوان عن ابن عبد الحميد قال قال عمر بن عبد العزيز من وصل أخاه بنصيحة له في دينه ونظر له في صلاح دنياه فقد أحسن صلته وأدى واجب حقه فاتقوا الله فإنها نصيحة لكم في دينكم فاقبلوها وموعظة منجية في العواقب فالزموها الرزق مقسوم فلن يغدر المؤمن ما قسم له فأجلوا في الطلب فإن في القنوع سعة وبلغة وكفا فإن أجل الدنيا في أعناقكم وجهنم أمامكم وماترون ذاهب وما مضى فكان لم يكن وكل أموال عن قريب وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق وبعد فراغه وقد ذاق الموت والقوم حوله يقولون قد فرغ رحمه الله وعايتم تعجيل إخراجهم وقسمة تراثهم ووجههم مفقود وذكره منسى وبابه مهجور وكان لم يخالط إخوان الحفاظ ولم يعمر الديار فاتقوا هول يوم لا تحقر فيه مثقال ذرة في الموازين روى سهل بن محمود قال حدثنا حرمة ابن عبد العزيز قال حدثني أبي عن ابن عمر بن عبد العزيز قال أمرنا عمر أن نشترى موضع قبره فاشتريناه من الراهب قال فقال بعض الشعراء

أقول لما تقي الناعون لي عمرا لا يبعدن قوام العدل والدين

قَدَّغَادَرَ الْقَوْمُ بِاللَّحْدِ الَّذِي لَحَدُوا بِدَيْرِ سَمْعَانَ قُسَطَاسَ الْمَوَازِينِ

روى عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان قال قال عمر بن عبد العزيز من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه والرضا قليل ومُعَوَّلُ الْمُؤْمِنِ الصَّبْرُ وَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدِ نِعْمَةٍ ثُمَّ أَنْزَعَهَا مِنْهُ فَأَعَاضُهُ مِمَّا أَنْزَعَ مِنْهُ الصَّبْرُ إِلَّا كَانَ مَا أَعَاضُهُ خَيْرًا مِمَّا أَنْزَعَ مِنْهُ ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ « إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » وَقَدَّمَ كِتَابَهُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ نَعِيمٍ لَا تَهْدَمُوا كَنِيسَةَ وَلَا بَيْعَةَ وَلَا بَيْتَ نَارٍ صَوْلِحْتُمْ عَلَيْهِ وَلَا تَحْدِثُوا كَنِيسَةَ وَلَا بَيْتَ نَارٍ وَلَا تَجْرُوا الشَّاةَ إِلَى مَذْبَحِهَا وَلَا تَحْدُوا الشَّفْرَةَ عَلَى رَأْسِ الذَّبِيحَةِ وَلَا تَجْمَعُوا بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ إِلَّا مِنْ عَذْرِ رَوَى عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ عُمَانَ بْنِ عَبْدِ الْهِمِيدِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ بَلَّغْنَا أَنَّ فَاطِمَةَ امْرَأَةَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَتْ اشْتَدَّ عَلَّزُهُ لَيْلَةً فَسَهَرُ وَسَهَرْنَا مَعَهُ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا أَمَرْتُ وَصِيْفًا لَهُ يَقَالُ لَهُ مَرْتَدُ فَقُلْتُ لَهُ يَا مَرْتَدُ كُنْ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ كُنْتُ قَرِيبًا مِنْهُ ثُمَّ انْطَلَقْنَا فَضَرَبْنَا بِرُؤُسِنَا لَطُولَ سَهَرِنَا فَلَمَّا انْتَفَخَ النَّهَارُ اسْتَيْقَظْتُ فَتَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ فَوَجَدْتُ مَرْتَدًا خَارِجًا مِنَ الْبَيْتِ نَائِمًا فَأَيْقَظْتُهُ فَقُلْتُ يَا مَرْتَدُ مَا أَخْرَجَكَ قَالَ هُوَ أَخْرَجَنِي قَالَ يَا مَرْتَدُ أَخْرَجَ عَنِّي فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى شَيْئًا مَا هُوَ بِالْإِنْسِ وَلَا جَانٍ نَخْرَجَتْ فَسَمِعْتُهُ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ « تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَوَجَدْتُهُ قَدْ وَجَّهَ نَفْسَهُ وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ وَإِنَّهُ لَمَيَّتْ رَحِمَةُ اللَّهِ

خِلاَفَةُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ

(وفيها) ولي يزيد بن عبد الملك بن مروان وكنيته أبو خالد وهو ابن تسع وعشرين سنة في قول هشام بن محمد ولما ولي الخلافة نزع عن المدينة أبا بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم وولاهما عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري فقدهما فيما زعم الواقدي يوم الأربعاء لليال بقين من شهر رمضان فاستقضى عبد الرحمن

سلة بن عبد الله بن عبد الأسد المخزومي وذكر محمد بن عمران عبد الجبار ابن عمارة حدثه عن أبي بكر بن حزم أنه قال لما قدم عبد الرحمن بن الضحاك المدينة وعزلي دخلت عليه فسلمت فلم يقبل علي فقلت هذا شيء لا تملكه قريش الأنصار فرجعت إلى منزلي وخفته وكان شاباً مقداماً فإذا هو يبلغني عنه أنه يقول ما يمنع ابن حزم أن يأتيني إلا الكبر وإني لعالم بخيائته فجاءني ما كنت أحذر وما أستيقن من كلامه فقلت للذي جاءني بهذا قل له ما الخيانة لي بعبادة وما أحب أهلها والامير يحدث نفسه بالخلود في سلطانه كم نزل هذه الدار من امير و خليفة قبل الامير فخرجوا منها وبقيت آثارهم أحاديث إن خيراً فخيراً وإن شراً فشرراً فاتق الله ولا تسمع قول ظالم أو حاسد على نعمة فلم يزل الامر يترقى بينهما حتى خاصم إليه رجل من بني فهر وآخر من بني النجار وكان أبو بكر قضى للنجاري على الفهري في أرض كانت بينهما نصفين فدفع أبو بكر الأرض إلى النجاري فأرسل الفهري إلى النجاري وإلى أبي بكر بن حزم فأحضرهما ابن الضحاك فظلم الفهري من أبي بكر بن حزم وقال أخرج مالي من يدي فدفعه إلى هذا النجاري فقال أبو بكر اللهم غفراً أما رأيتني سألت أيا ما في أمرك وأمر صاحبك فاجتمع لي على إخراجها من يدك وأرسلتني إلى من أفتاني بذلك سعيد بن المسيب وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فسألتهما فقال الفهري بلى وليس يلزمي قولها فانكسر ابن الضحاك فقال قوموا فقاموا فقال للفهري تقر له أنك سألت من أفتاه بهذا ثم تقول ردها علي أنت أرعن اذهب فلا حق لك فكان أبو بكر يتقيه ويخافه حتى كلف ابن حيان يزيد أن يقيده من أبي بكر فإنه ضربه حدين فقال يزيد لا أفعل رجل اصطنعه أهل بيتي ولكني أوليك المدينة قال لا أريد ذلك لو ضربته بسلطاني لم يكن لي قوداً فكتب يزيد إلى عبد الرحمن بن الضحاك كتاباً أما بعد فانظر فيما ضرب ابن حزم ابن حيان فإن كان ضربه في أمر بين فلا تلتفت إليه وإن كان ضربه في أمر يختلف فيه فلا تلتفت إليه فإن كان ضربه في أمر غير ذلك فأقده منه فقدم بالكتاب على

عبد الرحمن بن الضحاك فقال عبد الرحمن ما جئت بشيء أتري ابن حزم ضريك في أمر لا يختلف فيه فقال عثمان لعبد الرحمن إن أردت أن تحسن أحسنت قال الآن أصبت المطلب فأرسل عبد الرحمن إلى ابن حزم فضربه حدين في مقام واحد ولم يسأله عن شيء فرجع أبو المعز حيان وهو يقول أنا أبو المعز ابن الحيان والله ما قربت النساء من يوم صنع بي ابن أبي حزم ما صنع حتى يومي هذا واليوم أقرب النساء (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة قتل شوذب الخارجي ذكر الخبر عن مقتله

قد ذكرنا قبل الخبر عما كان من مراسلة شوذب عمر بن عبد العزيز لمناظرته في خلافه عليه فلما مات عمر أحب فيما ذكر معمر بن المثنى عبد الحميد بن عبد الرحمن أن يحظى عند يزيد بن عبد الملك فكتب إلى محمد بن جرير يأمره بمحاربة شوذب وأصحابه ولم يرجع رسولا شوذب ولم يعلم بموت عمر فلما رأوا محمد بن جرير يستعد للحرب أرسل إليه شوذب ما أعجلك قبل انقضاء المدة فيما بيننا وبينكم اليسر قد توأعدنا إلى أن يرجع رسولا شوذب فأرسل إليهم محمد إنه لا يسعنا ترككم على هذه الحالة قال غير أبي عبيدة فقالت الخوارج ما فعل هؤلاء هذا إلا وقد مات الرجل الصالح قال معمر بن المثنى فبرز لهم شوذب فاقتلوا فأصيب من الخوارج نفر وأكثروا في أهل القبلة القتل وولوا منهزمين والخوارج في أعقابهم تقتل حتى بلغوا أخصاص الكوفة ولجأوا إلى عبد الحميد وجرح محمد بن جرير في استه ورجع شوذب إلى موضع فأقام ينتظر صاحبيه فجاءه فأخبراه بما صادرا عليه عمروان قدمات فأقر يزيد عبد الحميد على الكوفة ووجه من قبله تميم بن الحباب في ألفين فراسلهم وأخبرهم أن يزيد لا يفارقهم على ما فارقهم عليه عمر فلعنوه ولعنوا يزيد فخار بهم فقتلوه وهزموا أصحابه فلجأ بعضهم إلى الكوفة ورجع الآخرون إلى يزيد فوجه إليهم نجدة بن الحكم الأزدي في جمع فقتلوه وهزموا أصحابه فوجه إليهم الشحاج ابن وداع في ألفين فراسلهم وراسلوه فقتلوه وقتل منهم نفر آفيهم هذبة الإشكري ابن عم بسطام وكان عابدا وفيهم أبوشبيل مقاتل بن شيبان وكان فاضلا عندهم

فقال أبو ثعلبة أيوب بن خولى يرثيهم

تَبَكَّى عَلَيْهِ عِرْسُهُ وَقَرَابُهُ
كَأَسْلَمَ الشَّحَاجَ أَمْسِ أَقَارِبُهُ
يَغَالِبُ أَمْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَالِبُهُ
وَيَاهُدُبُ لِلخَصْمِ الْآلِدِ يُحَارِبُهُ
وَقَدْ أَسْلَمَتْهُ لِلرَّمَاحِ جَوَالِبُهُ
يُرْجَى وَيَخْشَى بِأَسِهِ مِنْ يَحَارِبُهُ
وَتَخَذَمَهُ بِالسَّيْفِ فِي اللَّهِ ضَارِبُهُ
وَعَضْبًا حَسَامًا لَمْ تَخْنَهُ مَضَارِبُهُ
إِذَا انْقَضَ وَافِيَ الرَّيْشِ حُجْنُ خَالِبِهِ

تَرَكَنَا تَمِيمًا فِي الْغُبَارِ مُلَجَّبًا
وَقَدْ أَسْلَمَتْ قَيْدِسُ تَمِيمًا وَمَالِكَا
وَأَقْبَلَ مِنْ حَرَانَ يَحْمِلُ رَايَةً
فِيَاهُدُبُ لِلهَيْجَا وَيَاهُدُبُ لِلنَّدَى
وَيَاهُدُبُ مِنْ كَمْ مِنْ مُلْحَمٍ قَدْ أَجَبْتُهُ
وَكَانَ أَبُو شَيْبَانَ خَيْرَ مُقَاتِلِ
فَقَارَ وَلَاقَى اللَّهَ بِالْخَيْرِ كُكَلِهِ
تَزَوَّدَ مِنْ دُنْيَاهُ دِرْعًا وَمِغْفَرًا
وَأَجْرَدَ مَحْبُوكَ السَّرَاةِ كَأَنَّهُ

فلما دخل مسلمة الكوفة شكاه اليه أهلها مكان شوذب وخوفهم منه وما قد
قتل منهم فدعا مسلمة سعيد بن عمرو الحرشي وكان فارسا فعقد له على عشرة
آلاف ووجهه اليه وهو مقيم بموضعه فأتاه ما لا طاقة له به فقال شوذب لأصحابه
من كان يريد الله فقد جاءته الشهادة ومن كان إنما خرج للدنيا فقد ذهبت الدنيا
وإنما البقاء في الدار الآخرة فكسروا أغماد السيوف وحلوا فكشفوا سعيدا
وأصحابه مرارا حتى خاف الفضيحة فدمر أصحابه وقال لهم أمن هذه الشرذمة
لا أبالكم تفرون يا أهل الشام يوما كأيامكم قال فحملوا عليهم فطحنهم طحنا لم
يبقوا منهم أحدا وقتلوا بسطاما وهو شوذب وفرسانه منهم الريان بن عبد الله
الشكري وكان من المحشين فقال أخوه شمر بن عبد الله يرثيه

لِلْحَرْبِ سَعْرٍ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ
وَتُرَكَّتْ فَرْدًا غَيْرَ ذِي إِخْوَانِ
كَالنَّارِ مِنْ وَجْدِ عَلِي الرِّيَّانِ
مِنْ يَشْكُرِ عِنْدَ الْوِغَا فَرَسَانَ

وَلَقَدْ فَجَمْتُ بِسَادَةَ وَفَوَارِسِ
إِعْتَاقَهُمْ رَبُّ الزَّمَانِ فَغَاظَهُمْ
كَيْدَ تَجَلَجَلُ فِي فَوَادِي حَسْرَةٍ
وَفَوَارِسِ بِأَعْوَا الْإِلَهِ نُفُوسَهُمْ
وَقَالَ حَسَانُ بْنُ جَعْدَةَ يَرْتِيهِمْ

يَا عَيْنُ أَذْرَى دُمُوعًا مِنْكَ تَسْجَامًا وَابِكِي صَحَابَةَ بَسْطَامٍ وَبِسْطَامَا
 فَلَنْ تَرَى أَبَدًا مَا عِشْتَ مِثْلَهُمْ أَتَقَى زَاكَلَ فِي الْأَحْلَامِ أَحْلَامَا
 بِسْتِيمٍ قَدْ تَأْتَسُوا عِنْدَ شِدَّتِهِمْ وَلَمْ يُرِيدُوا عَنِ الْأَعْدَاءِ إِحْجَامَا
 حَتَّى مَضُوا لِلَّذِي كَانُوا لَهُ خَرَجُوا فَأُورِثُونَا مَنَارَاتٍ وَأَعْلَامَا
 إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنْ قَدْ أَنْزَلُوا عُرْفَا مِنَ الْجِنَانِ وَنَالُوا ثُمَّ خَسَدَامَا
 أَسَقَى الْإِلَهَ بِلَادًا كَانَتْ مَصْرُعُهُمْ فِيهَا سَحَابًا مِنَ الْوَسْمِيِّ سَجَامَا

(قال أبو جعفر) وفي هذه السنة لحق يزيد بن المهلب بالبصرة فغلب عليها
 وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك عليها عدى بن أرطاة الفزاري فحبسه وخلع يزيد
 ابن عبد الملك

ذكر الخبر عن سبب خلعه يزيد بن عبد الملك
 وما كان من أمره وأمر يزيد في هذه السنة

قد مضى ذكرى خبر هرب يزيد بن المهلب من محبسه الذي كان عمر بن
 عبد العزيز حبسه فيه ونذكر الآن ما كان من صنيعه بعد هربه في هذه السنة أعنى
 سنة ١٠١ ولما مات عمر بن عبد العزيز بويع يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي
 مات فيه عمر وبلغه هرب يزيد بن المهلب فكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن يأمره
 أن يطلبه ويستقبله وكتب إلى عدى بن أرطاة يئله هربه ويأمره أن يتبأ
 لاستقباله وأن يأخذ من كان بالبصرة من أهل بيته (فذكر هشام بن محمد) عن
 أبي مخنف أن عدى بن أرطاة أخذهم وحبسهم وفيهم المفضل وحبيب وروان
 بنو المهلب وأقبل يزيد بن المهلب حتى مر بسعيد بن عبد الملك بن مروان فقال
 يزيد لأصحابه ألا نعرض لهذا فنأخذه فذهب به معنا فقال أصحابه لا بل امض بنا
 ودعه وأقبل يسير حتى ارتفع فوق القطة طانة وبعث عبد الحميد بن عبد الرحمن
 هشام بن مساحق بن عبد الله بن مخزومة بن عبد العزيز بن أبي قيس بن عبد و
 ابن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي في ناس من أهل الكوفة
 من الشرط ووجوه الناس وأهل القوة فقال له انطلق حتى تستقبله فانه اليوم يمر

بجانب العذيب فشى هشام قليلاً ثم رجع إلى عبد الحميد فقال آجيتك به أسيراً أم آتيتك برأسه فقال أي ذلك ماشئت فكان يعجب لقوله ذلك من سمعه وجاء هشام حتى نزل العذيب ومر يزيد منهم غير بعيد فائقوا الاقدام عليه ومضى يزيد نحو البصرة فقيه يقول الشاعر

وسارَ ابنُ المهلبِ لم يُعْرَجْ وعَرَّسَ ذُو القَطِيفَةِ من كِنَانِهِ
وَيَأْسَرَ والتِّيَأَسْرُ كان حَزْمًا ولم يَقْرَبْ قُصُورَ القُطُقُطَانَةِ

ذو القطيفة هو محمد بن عمرو وأبو قطيفة بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهو أبو قطيفة وإنما سمي ذا القطيفة لأنه كان كثير شعر اللحية والوجه والصدر ومحمد يقال له ذو الشامة فلما جاء يزيد بن المهلب انصرف هشام بن مساحق إلى عبد الحميد ومضى يزيد إلى البصرة وقد جمع عدى بن أرطاة إليه أهل البصرة وخندق عليها وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي وكان عدى بن أرطاة رجلاً من بني فزارة وقال عبد الملك بن المهلب لعدى بن أرطاة خذ ابني حميداً فاحبس به مكاني وأنا أضمن لك أن أرد يزيد عن البصرة حتى يأتي فارس ويطلب لنفسه الأمان ولا يقربك فأبي عليه وجاء يزيد ومعه أصحابه الذين أقبل فيهم والبصرة محفوفة بالرجال وقد جمع محمد بن المهلب ولم يكن ممن حبس رجالاً وفتية من أهل بيته وناساً من مواليه فخرج حتى استقبله فأقبل في كتيبة يهول من رآها وقد دعا عدى أهل البصرة فبعث على كل خمس من أخماسها رجلاً فبعث على خمس الازد المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي وبعث على خمس بني تميم محرز بن حمران السعدي من بني منقر وعلى خمس بكر بن وائل عمران بن عامر بن مسمع من بني قيس بن ثعلبة فقال أبو منقر رجل من قيس ابن ثعلبة إن الراية لا تصلح إلا في بني مالك بن مسمع فدعا عدى نوح بن شيبان بن مالك بن مسمع فعقد له على بكر بن وائل ودعا مالك بن المنذر بن الجارود فعقد له على عبد القيس ودعا عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر القرشي فعقد له على أهل العالية والعالية قريش وكنانة والازد وبجيلة

وخشم وقيس عيلان كلها ومزينة وأهل العالية بالكوفة يقال لهم ربُّ أهل المدينة وبالبصرة خمس أهل العالية وكانوا بالكوفة أحماساً فجعلهم زياد بن عبيد أربعاً قال هشام عن أبي مخنف وأقبل يزيد بن المهلب لا يمر بخيل من خيلهم ولا قبيلة من قبائلهم إلا تنحوا له عن السبيل حتى يمضي واستقبله المغيرة بن عبد الله الثقفي في الخيل فحمل عليه محمد بن المهلب في الخيل فأفرج له عن الطريق هو وأصحابه وأقبل يزيد حتى نزل داره واختلف الناس إليه وأخذ يبعث إلى عدى ابن أوطاة أن ادفع إلى إخوتى وأنا أصالحك على البصرة وأخلك وإياها حتى آخذ لنفسى ما أحب من يزيد بن عبد الملك فلم يقبل منه وخرج إلى يزيد بن عبد الملك حميد بن عبد الملك بن المهلب فبعث معه يزيد بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسرى وعمر بن يزيد الحكيم بأمان يزيد بن المهلب وأهل بيته وأخذ يزيد بن المهلب يعطى من أتاه من الناس فكان يقطع لهم قطع الذهب وقطع الفضة فقال الناس إليه ولحق به عمران بن عامر بن مسمع ساخطاً على عدى بن أوطاة حين نزع منه رايته راية بكر بن وائل وأعطاه ابن عمه ومالت إلى يزيد ربيعة وبقيّة تميم وقيس وناس بعد ناس فيهم عبد الملك ومالك ابنا مسمع ومعه ناس من أهل الشام وكان عدى لا يعطى إلا درهمين ويقول لا يحل لى أن أعطيكم من بيت المال درهماً إلا بأمر يزيد بن عبد الملك ولكن تبلغوا بهذا حتى يأتى الأمر فى ذلك فقال الفرزدق فى ذلك

أظن رجالَ الدرهمين يسوقهم إلى الموتِ آجالُ لهم ومصارِعُ
فأحزَمُهُم من كان فى قعرِ يديهِ وأيقن أن الأمرَ لاشكِّ وأفعُ
وخرجت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عدى فنزلوا المربد فبعث إليهم
يزيد بن المهلب مولى له يقال له دارس فحمل عليهم فهزمهم فقال الفرزدق فى ذلك
تفرقتِ الحمرَاءُ إذ صاح دارِسٌ ولم يصبروا تحتِ السُّيوفِ الصَّوارِمِ
جزى اللهُ قديساً عن عدى ملامةً ألا صبروا حتى تكون ملاحم
وخرج يزيد بن المهلب حين اجتمع له الناس حتى نزل جبانة بنى يشكر وهو

المنصف فيما بينه وبين القصر وجاءته بنو تميم وقيس وأهل الشام فاقتلوا هنيهة فحمل عليهم محمد بن المهلب فضرب مسور بن عباد الجبطن بالسيف فقطع أنف البيضة ثم أسرع السيف إلى أنفه وحمل على هريم بن أبي طلحة بن أبي نهشل ابن دارم فأخذ بمنطقته فحذفه عن فرسه فوقع فيما بينه وبين الفرس وقال هيات هيات عمك أثقل من ذلك وانهمزوا وأقبل يزيد بن المهلب أثر القوم يتلوم حتى دنا من القصر فقاتلهم وخرج إليه عدى بنفسه فقتل من أصحاب الحارث ابن مصرف الأودي وكان من أشرف أهل الشام وفرسان الحجاج وقتل موسى ابن الوجيه الحميري ثم الكلاعي وقتل راشد المؤذن وانهمز أصحاب عدى وسمع إخوة يزيد وهم في محبس عدى الأصوات تدنو والشباب تقع في القصر فقال لهم عبد الملك إني أرى الشباب تقع في القصر وأرى الأصوات تدنو ولا أرى يزيد إلا قد ظهر وإني لا آمن من مع عدى من مضر ومن أهل الشام أن يأتونا فيقتلونا قبل أن يصل إلينا يزيد إلى الدار فأغلقوا الباب ثم القوا عليه ثياباً ففعلوا فلم يلبثوا إلا ساعة حتى جاءهم عبد الله بن دينار مولى ابن عامر وكان على حرس عدى فجاء يشتد إلى الباب هو وأصحابه وقد وضع بنو المهلب متاعاً على الباب ثم اتكوا عليه فأخذ الآخرون يعالجون الباب فلم يستطيعوا الدخول وأعجلهم الناس فغلقوا عنهم وجاء يزيد بن المهلب حتى نزل دار سالم بن زياد بن أبي سفيان إلى جانب القصر وأتى بالسلالم فلم يلبث عثمان أن فتح القصر وأتى بعدى بن أرطاة فجاء به وهو يتبسم فقال له يزيد لم تضحك فوالله إنه ليبلغني أن يمنعك من الضحك خصلتان إحداهما الفرار من القتل الكريمة حتى أعطيت يدك إعطاء المرأة يدها فهذه واحدة والأخرى إني أتيت بك تتل كما يتل العبد الآبق إلى أربابه وليس معك مني عهد ولا عقد فما يؤمنك أن أضرب عنقك فقال عدى أما أنت فقد قدرت على ولكني أعلم أن بقائي بقاؤك وأن هلاكى مطلوب به من جرته يده إنك قد رأيت جنود الله بالمغرب وعلت بلاء الله عندهم في كل موطن من مواطن الغدر والنكث فندارك فلتك وزلتك بالتوبة واستقالة العثرة قبل أن يرمى إليك البحر بأمواله

فإن طلبت الاستقالة حينئذ لم تقل وإن أردت الصلح وقد أشخصت القوم إليك
وجدتهم لك مباحدين ومالم يشخص القوم إليك فلم يمنعوك شيئاً طلبت فيه الأمان
على نفسك وأهلك ومالك فقال له يزيد أما قولك إن بقاءك بقائى فلا أبقانى الله
حسوة طائر مذعور إن كنت لا يبقينى إلا بقاءوك وأما قولك إن هلاكك مطلوب
به من جرته يده فوالله لو كان فى يدى من أهل الشام عشرة آلاف إنسان ليس
فيهم رجل إلا أعظم منزلة منك فيهم ثم ضربت أعناقهم فى صعيد واحد لكان
فراقى إياهم وخلا فى عليهم أهول عندهم وأعظم فى صدورهم من قتل أولئك ثم
لو شئت أن تهدر لى دماؤهم وأن أحكم فى بيوت أموالهم وأن يجوزوا لى عظيماً
من سلطانهم على أن أضع الحرب فيما بينى وبينهم لفعلوا فلا يخفين عليك أن
القوم ناسوك لو قد وقعت أختيارنا إليهم وأن أعمالهم وكيدهم لا يكون إلا لأنفسهم
لا يذكر ونك ولا يحفلون بك وأما قولك تدارك أمرك واستقله وافعل وافعل
فوالله ما استشرتك ولا أنت عندى بوادٍ ولا نصيح فما كان ذلك منك إلا عجزاً
وفضلاً انطلقوا به فلما ذهبوا به ساعة قال ردوه فلما ردّ قال أما إن حبسى إياك
ليس إلا لحبسك بنى المهلب وأضييقك عليهم فيما كنا نسألك التسهيل فيه عليهم
فلم تكن تألو ما عسرت وضيقت وخالفت فكأنه لهذا القول حين سمعه أمن على
نفسه وأخذ عدى يحدث به كل من دخل عليه وكان رجل يقال له السמידع الكندى
من بنى مالك بن ربيعة من ساكنى عمان يرى رأى الخوارج وكان خرج وأصحاب
يزيد وأصحاب عدى مصطفون فاعتزل ومعه ناس من القراء فقال طائفة من
أصحاب يزيد وطائفة من أصحاب عدى قد رضينا بحكم السמידع ثم إن يزيد بعث
إلى السמידع فدعاه إلى نفسه فأجابه فاستعملوا يزيد على الأبله فأقبل على الطيب
والتخاق والنعيم فلما ظهر يزيد بن المهلب هرب رؤوس أهل البصرة من قيس
وتميم ومالك بن المنذر فلحقوا بعبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة ولحق بعضهم
بالشام فقال الفرزدق

فَدَاءُ لِقَوْمٍ مِنْ تَمِيمٍ تَتَابَعُوا إِلَى الشَّامِ لَمْ يَرْضُوا بِحُكْمِ السَّمِيدِعِ

أَحْكُمُ حَرُورِيَّ مِّنَ الدِّينِ مَارِقٍ أَضَلُّ وَأَغْوَى مِّنَ حِمَارٍ مُّجَدِّعٍ
فَأَجَابَهُ خَلِيفَةُ الْأَقْطَعِ

وَمَا وَجَّهُوهَا نَحْوَهُ عَنِ وِفَادَةٍ وَلَا نُهْزَةَ يُرْجَى بِهَا خَيْرٌ مَّطْمَعٍ
وَلَكِنِّهِمْ رَاحُوا إِلَيْهَا وَأَدْلَجُوا بِأَقْرَعِ أَسْتَاهُ تَرَى يَوْمَ مَقْرَعِ
وَهُمْ مِّنَ حِذَارِ الْقَوْمِ أَنْ يَلْحَقُوا بِهِمْ لَهُمْ نَزَلَةٌ فِي كُلِّ خَمْسٍ وَأَرْبَعِ

وخرج الحواري بن زياد بن عمرو العتكي يريد يزيد بن عبد الملك هارباً من يزيد بن المهلب فلقى خالد عبدالله القسري وعمرو بن يزيد الحكمي ومعهما حميد ابن عبد الملك ابن المهلب قد أقبلوا من عند يزيد بن عبد الملك بأمان يزيد بن المهلب وكل شيء أراده فاستقبلهما فسألاه عن الخبر فخلاهما حين رأى معهما حميد بن عبد الملك فقال أين تريدان فقالا يزيد بن المهلب قد جئناه بكل شيء أراده فقال ماتصنعان يزيد شيئاً ولا يصنعه بكما قد ظهر على عدوه عدى بن أرطاة وقتل القتلى وحبس عدياً فارجمها أيها الرجلان ويمر رجل من باهلة يقال له مسلم بن عبد الملك فلم يقف عليهما فصاحاه وساء لاه فلم يقف عليهما فقال القسري ألا ترده فتجلده مائة جلدة فقال له صاحبه غرّبه عنك وأملا ليصرف ومضى الحواري ابن زياد إلى يزيد بن عبد الملك وأقبلا بحميد بن عبد الملك معهما فقال لها حميد أنشدك الله أن تخالفا أمر يزيد ما بعثنا به فإن يزيد قابل منكما وإن هذا وأهل بيته لم يزالوا لنا أعداء فأنشدك الله أن تقبلا مقاتله فلم يقبلا قوله وأقبلا به حتى دفعاه إلى عبد الرحمن بن سليمان الكلبي وقد كان يزيد بن عبد الملك بعثه إلى خراسان عاملاً عليها فلما بلغه خلع يزيد بن عبد الملك كتب إليه إن جهاد من خالفك أحب إلي من عملي على خراسان فلا حاجة لي فيها فاجعني ممن توجهني إلى يزيد بن المهلب وبعث بحميد بن عبد الملك إلى يزيد ووثب عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب على خالد بن يزيد بن المهلب وهو بالكوفة وعلى حمّال بن زحر الجمفي وليس ممن كان ينطق بشيء إلا أنهم عرفوا ما كان بينه وبين بني المهلب فأوثقهما وسرحهما إلى يزيد بن عبد الملك فحبسهما جميعاً فلم يفارقوا السجن حتى

هلكوا فيه وبعث يزيد بن عبد الملك رجالا من أهل الشام إلى الكوفة يسكنونهم
ويثرون عليهم بطاعتهم ويمنونهم الزيادات منهم القطامي بن الحصين وهو أبو الشرقي
واسم الشرقي الوليد وقد قال القطامي حين بلغه ما كان من يزيد بن المهلب
لَعَلَّ عَيْنِي أَنْ تَرَى يَزِيدًا يَقُودُ جَيْشًا جَحْفَلًا شَدِيدًا
تَسْمَعُ لِلأَرْضِ بِهِ وَتَيْدًا لَا بَرَمًا هِدَا وَلَا حُسُودًا
وَلَا جَبَانًا فِي الوغَى عَدِيدًا تَرَى ذَوِي النَّجَّاحِ لَهُ يُجُودًا
مُكْفَرِينَ خَاشِعِينَ قُودًا وَآخِرِينَ رَحْبُورًا وَفُودًا
لَا يَنْقُضُ العَهْدَ وَلَا المَعْهُودَا مِنْ نَفَرٍ كَانُوا هِجَانًا صِيدَا
تَرَى لَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِيدَا مِنْ الأَعَادِي جَزْرًا مَقْصُودَا

ثم إن القطامي سار بعد ذلك إلى العقر حتى شهد قتال يزيد بن المهلب مع
مسلمة بن عبد الملك فقال يزيد بن المهلب ما أبعد شعر القطامي من فعله ثم إن
يزيد بن عبد الملك بعث العباس بن الوليد في أربعة آلاف فارس جديدة خيل
حتى وافوا الحيرة يبادر إليها يزيد بن المهلب ثم أقبل بعد ذلك مسلمة
ابن عبد الملك وجنود أهل الشام وأخذ على الجزيرة وعلى شاطئ الفرات
فاستوثق أهل البصرة ليزيد بن المهلب وبعث عماله على الأهواز وفارس
وكرمان عليها الجراح بن عبد الله الحكمي حتى انصرف إلى عمر بن عبد العزيز
وعبد الرحمن بن نعيم الأزدي فكان على الصلاة واستخلف يزيد بن عبد الملك
عبد الرحمن القشيري على الجراح وجاء مُدْرِكُ بن المهلب حتى انتهى إلى رأس
المفازة فدس عبد الرحمن بن نعيم إلى بني تميم أن هذا مدرك بن المهلب يريد أن
يلقي بينكم الحرب وأنتم في بلاد عافية وطاعة وعلى جماعة تخرجوا ليلا يستقبلونه
وبلغ ذلك الأزدي فخرج منهم نحو من ألفي فارس حتى لحقهم قبل أن ينتهوا إلى
رأس المفازة فقالوا لهم ما جاء بكم وما أخرجكم إلى هذا المكان فاعتلوا عليهم بأشياء
ولم يقرروا لهم أنهم خرجوا ليتلفوا مدرك بن المهلب فكان لهم الآخرون بل قد
علنا أن تخرجوا لتلقى صاحبنا وهاهو ذا قريب فاشتتم ثم انطلقت الأزدي حتى

تلقوا مدرك بن المهلب على رأس المفازة فقالوا له إنك أحب الناس إلينا وأعزهم علينا وقد خرج أخوك ونابذه فان يظهره الله فانما ذلك لنا ونحن أسرع الناس إليكم أهل البيت وأحقه بذلك وإن تكن الأخرى فوالله مالك في أن يغشينا ما يعرنا فيه من البلاء راحة فعزم له رأيه على الانصراف فقال ثابت فظنة وهو ثابت بن كعب من الأزدي من العتيك

ألم تر دوسرا منعت أخاها
رأوا من دونه الزرق العوالي
شواتها وعمران بن حزم
فما حملوا ولكن نهنتهم
رددنا مدركا بمرد صدق
وتخيل كالفداح مسومات
عليها كل أصيد دوسري
بهم نستعيب السفهاء حتى
وقد حشدت لتقتله تميم
وحيا ما يباح لهم حريم
هناك المجد والحسب الصميم
رياح الأزدي والعز القديم
وليس بوجهه منكم كلوم
لدى أرض مغانيها الجميم
عزيز لا يفتر ولا يريم
تري السفهاء تردعها الحلوم

(قال هشام) قال أبو مخنف فحدثني معاذ بن سعد أن يزيد لما استجمع له البصرة قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم أخبرهم أنه يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويحث على الجهاد ويزعم أن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم قال فدخلت أنا والحسن البصرى وهو واضع يده على عاتق وهو يقول انظر هل ترى وجه رجل تعرفه قلت لا والله ما أرى وجه رجل أعرفه قال فهو لاء والله الاعناء قال ففضينا حتى دنونا من المنبر قال فسمعت يذكر كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثم رفع صوته فقال والله لقد رأيتك واليا وموليا عليك فما ينبغي لك ذلك قال فوثبنا عليه فأخذنا بيده وفه وأجلسناه فوالله ما نشك أنه سمعه ولكنه لم يلتفت إليه ومضى في خطبته قال ثم إننا خرجنا إلى باب المسجد فاذا على باب المسجد النضر بن أنس بن مالك يقول يا عباد الله ما تقمون من أن تجيوا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فوالله ما رأينا

ذلك ولا رأيتموه منذ ولدتم إلا هذه الأيام من إمارة عمر بن عبد العزيز فقال الحسن سبحان الله وهذا النضر بن أنس قد شهد أيضا (قال هشام) قال أبو مخنف وحدثني المثنى بن عبد الله أن الحسن البصرى مر على الناس وقد اصطفوا صفين وقد نصبوا الرايات والرماح وهم ينتظرون خروج يزيد وهم يقولون يدعوننا يزيد إلى سنة العمرين فقال الحسن إنما كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ثم يسرح بها إلى بني مروان يريد بهلاك هؤلاء رضاهم فلما غضب غضبة نصب قصباً ثم وضع عليها خر قائم قال إني قد خالفتهم فخالفوهم قال هؤلاء نعم وقال إني أدعوكم إلى سنة العمرين وإن من سنة العمرين أن يوضع قيد في رجله ثم يرد إلى محبس عمر الذي فيه حبسه فقال له ناس من أصحابه ممن سمع قوله والله لكأنك يا أباسعيد راض عن أهل الشام فقال أنا راض عن أهل الشام قبجهم الله وبرحهم أليس هم الذين أحلوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلون أهله ثلاثة أيام وثلاث ليال قدأباحوهم لأنباطهم وأقباطهم يحملون الحرا وذوات الدين لا يتناهون عن انتهاك حرمة ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام فهدموا الكعبة وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها عليهم لعنة الله وسوء الدار قال ثم إن يزيد خرج من البصرة واستعمل عليها مروان بن المهلب وخرج معه بالسلاح وبيت المال فأقبل حتى نزل واسط وقد استشار أصحابه حين توجه نحو واسط فقال هاتوا الرأي فإن أهل الشام قد نهضوا إليكم فقال له حبيب وقد أشار إليه غير حبيب أيضا فقالوا نرى أن تخرج وتنزل بفارس فتأخذ بالشعاب وبالعباب وتدنو من خراسان وتطاول القوم فإن أهل الجبال ينفضون إليك وفي يدك القلاع والحصون فقال ليس هذا برأى ليس يوافقني هذا إنما تريدون أن تجعلوني طائراً على رأس جبل فقال له حبيب فإن رأى الذي كان ينبغي أن يكون في أول الأمر قد فات قد أمرتك حيث ظهرت على البصرة أن توجه خيلاً عليها أهل بيتك حتى ترد الكوفة فإنما هو عبد الحميد ابن عبد الرحمن مررت به في سبعين رجلاً فعجز عنك فهو عن خيلك أعجز في العدة فلسبق إليها أهل الشام وعظماؤها يرون رأيك وأن تلي عليهم أحب إلى جملتهم من أن يلى عليهم أهل الشام فلم تطعني وأنا أشير الآن برأى

سرح مع أهل بيتك خيلا من خيلك عظيمة فتأتى الجزيرة وتبادر إليها حتى ينزلوا حصنا من حصونها وتسير في أثرهم فاذا أقبل أهل الشام يريدونك لم يدعوا جندا من جنودك بالجزيرة ويقبلون إليك فيقيمون عليهم فكانهم حابستهم عليك حتى تأتيهم فيأتيك من الموصل من قومك وينفض إليك أهل العراق وأهل الثغور وتقاتلهم في أرض ربيعة السمر وقد جعلت العراق كله وراء ظهرك فقال إنى أكره أن أقطع جيشي وجندي فلما نزل واسط أقام بها أياما يسيرة (قال أبو جعفر) وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهرى حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال محمد بن عمر وكان عبد الرحمن عامل يزيد بن عبد الملك على المدينة وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله ابن خالد بن أسيد وكان على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن وعلى قضائها الشعبي وكانت البصرة قد غلب عليها يزيد بن المهلب وكان على خراسان عبد الرحمن بن نعيم

ثم دخلت سنة اثنتين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان فيها من مسير العباس بن الوليد بن عبد الملك ومسلمة بن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب بتوجيه يزيد بن عبد الملك إياهما الحربه (وفيهما) قتل يزيد بن المهلب في صفر

ذكر الخبر عن مقتل يزيد بن المهلب

ذكر هشام عن أبي مخنف أن معاذ بن سعيد حدثه أن يزيد بن المهلب استخلف على واسط حين أراد الشخصوص عنها للقاء مسلمة بن عبد الملك والعباس ابن معاوية وجعل عنده بيت المال والخزائن والأسراء وقدم بين يديه أخاه عبد الملك ثم سار حتى مر بفم النيل ثم سار حتى نزل العقر وأقبل مسلمة يسير على شاطئ الفرات حتى نزل الأنبار ثم عقد عليها الجسر فعبه من قبل قرية يقال لها فارط ثم أقبل حتى نزل على يزيد بن المهلب وقد قدم يزيد أخاه نحو الكوفة فاستقبله العباس بن الوليد

بُسُورًا فاصطفوا ثم اقتتل القوم فشدَّ عليهم أهل البصرة شدة كشفوم فيها وقد كان معهم ناس من بني تميم وقيس ممن انهزم من يزيد من البصرة فكانت لهم جماعة حسنة مع العباس فيهم هريم بن أبي طحمة المجاشعي فلما انكشف أهل الشام تلك الانكشافه ناداهم هريم بن أبي طحمة يا أهل الشام الله الله أن تُسلمونا وقد اضطروهم أصحاب عبد الملك إلى نهر فأخذوا ينادونه لا بأس عليك إن لأهل الشام جولة في أول القتال أتاك الغوث قال ثم إن أهل الشام كروا عليهم فكشف أصحاب عبد الملك وهزموا وقتل المتوفى من بكر بن وائل مولى لهم فقال الفرزدق يحرض بكر بن وائل

تَبَكَّى عَلَى الْمَتُوفِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَتَهَيَّ عَنِ ابْنِي مِسْمَعٍ نَنْ بَكَاهُمَا
غَلَامَيْنِ شَبَابًا فِي الْحُرُوبِ وَأَدْرَكَا كِرَامَ الْمَسَاعِي قَبْلَ وَصْلِ لِحَاهُمَا
وَلَوْ كَانَ حَيًّا مَالِكٌ وَابْنُ مَالِكٍ إِذَا أَوْقَدُوا نَارَيْنِ يَعْلوَا سَنَاهُمَا
وَابْنَا مَسْمَعُ مَالِكٍ وَعَبْدُ الْمَلِكِ ابْنَا مَسْمَعٍ قَتَلَهُمْ مَعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ هـ
فَأَجَابَهُ الْجَعْدُ بْنُ دَرِّهْمٍ مَوْلَى مِنْ هَمْدَانَ

نَبَكَّى عَلَى الْمَتُوفِ فِي نَصْرِ قَوْمِهِ وَلَسْنَا نَبَكَّى الشَّائِدِينَ أَبَاهُمَا
أَرَادَ فِتْنَاءَ الْحَيِّ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فَعِزَّ تَمِيمٌ لَوْ أُصِيبَ فِتْنَاهُمَا
فَلَا لِقِيَا رُوحًا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً وَلَا رَقَاتٍ عَيْنًا شَجِيئًا بَكَاهُمَا
أَفِي الْغَيْشِ نَبَكَّى إِنَّ بَكَيْنَا عَلَيْهِمَا وَقَدْ لَقِيَا بِالْغَيْشِ فِينَا رَدَاهُمَا
وجاء عبد الملك بن المهلب حتى انتهى إلى أخيه بالعقر وأمر عبد الله بن حيان العبدى فعبّر إلى جانب الصراة الأقصى وكان الجسر بينه وبينه ونزل هو وعسكره وجمع من جموع يزيد وخندق عليه وقطع مسلبة اليهم الماء وسعيد بن عمرو والحارثي ويقال عبر اليهم الوضاح فكانوا ييازاتهم وسقط إلى يزيد ناس من الكوفة كثير ومن الجبال وأقبل إليه ناس من الثغور فبعث على أرباع أهل الكوفة الذين خرجوا إليه وربح أهل المدينة عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي وبعث على رابع مذحج وأسد النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي وبعث على

ربع كندة وربيعه محمد بن اسحاق بن محمد بن الأشعث وبعث علي ربع تميم
وهمدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التيمي وجمعهم جميعاً مع لمفضل بن المهلب
(قال هشام بن محمد) عن أبي مخنف حدثني العلاء بن زهير قال والله إنا لجلوس
عند يزيد ذات يوم إذ قال ترون أن في هذا العسكر ألف سيف يُضرب به قال
حنظلة بن عتاب إى والله وأربعة آلاف سيف قال إنهم والله ما ضربوا ألف
سيف قط والله لقد أحصى ديوانى مائة وعشرين ألفاً والله لو ددت أن مكانهم
الساعة معى من بخراسان من قومي (قال هشام) قال أبو مخنف ثم إنه قام ذات
يوم فخرضنا ورغبنا فى القتال ثم قال لنا فيما يقوله إن هؤلاء القوم لن يرُدُّهم
عن غيهم إلا الطعن فى عيونهم والضرب بالمشرية على هامهم ثم قال أنه قد ذكر
لى أن هذه الجرادة الصفراء يعنى مسلة بن عبد الملك وعافر ناقة ثمود يعنى العباس
ابن الوليد وكان العباس أزرق أحمر كانت أمه رومية والله لقد كان سليمان أراد أن
ينفيه حتى كلبته فيه فأقره على نسبه فبلغنى أنه ليس ههما إلا التماسى فى الأرض والله
لوجأوا أهل الأرض جميعاً وليس إلا أنا ما برحت العرصة حتى تكون لى أو لهم
قالوا نخاف أن تعيننا كما عانا عبد الرحمن بن محمد قال إن عبد الرحمن فضيح الذمار
وفضح حسبه وهل كان يعدو أجله ثم نزل قال ودخل علينا عامر بن العميثل رجل
من الأزد قد جمع جموعاً فاتاه فبايعه وكانت بيعة يزيد تبايعون على كتاب الله وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى أن لا تطأ الجنود بلادنا ولا يبيضتنا ولا يعاد علينا
سيرة الفاسق الحجاج فمن بايعنا على ذلك قبلنا منه ومن أبى جاهدناه وجعلنا الله
بيننا وبينه ثم يقول تبايعونا فإذا قالوا نعم بايعهم ه وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن
قد عسكر بالنخيلة وبعث إلى المياه فبثها فيما بين الكوفة وبين يزيد بن المهلب لئلا يصل
إلى الكوفة ووضع على الكوفة مناظر وارساداً لتحبس أهل الكوفة عن
الخروج إلى يزيد وبعث عبد الحميد بعثاً من الكوفة عليهم سيف بن هاني الهمداني
حتى قدموا على مسلة فالطفهم مسلة وأثنى عليهم بطاعتهم ثم قال والله لقل
ما جاءنا من أهل الكوفة فبلغ ذلك عبد الحميد فبعث بعثاً أكثر من ذلك وبعث

عليهم سيرة بن عبد الرحمن بن مخنف الأزدي فلما قدم أثني عليه وقال هذا رجل لأهل بيته طاعة وبلاء ضموا اليه من كان ههنا من أهل الكوفة وبعث مسلمة إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن فعزله وبعث محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة وهو ذو الشامة مكانه فدعا يزيد بن المهلب رؤس أصحابه فقال لهم قد رأيتُ أن أجمع اثني عشر ألف رجل فأبعثهم مع محمد بن المهلب حتى يبيتوا مسلمة ويحملوا معهم البراذع والآكف والزبل لدفن خندقهم فيقاتلهم على خندقهم وعسكرهم بقية ليلتهم وأمدته بالرجال حتى أصبح فإذا أصبحت نهضت اليهم أنا بالناس فتناجزهم فإني أرجو عند ذلك أن ينصرنا الله عليهم قال السَّمِيدِعُ إنا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد زعموا أنهم قابلوا هذا منا فليس لنا أن نمكر ولا نغدر ولا نزيدهم بسوء حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا قال أبو روثبة وكان رأس طائفة من المرجثة ومعه أصحاب له صدق هكذا ينبغي قال يزيد ويحكم أتصدقون بني أمية إنهم يعملون بالكتاب والسنة وقد ضيعوا ذلك منذ كانوا إنهم لم يقولوا لكم إنا نقبل منكم وهم يريدون أن لا يعملوا بسلطانهم إلا ما تأمروهم به وتدعونهم اليه لكنهم أرادوا أن يذكروكم عنهم حتى يعملوا في المكر فلا يسبقوكم إلى تلك أبدوهم بها إني قد لقيت بني مروان فوالله ما لقيت رجلاً هو أملك ولا أبعد غوراً من هذه الجراة الصفراء يعني مسلمة قالوا لا نرى أن نفعل ذلك حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا وكان مروان بن المهلب وهو بالبصرة يحث الناس على حرب أهل الشام ويسرح الناس إلى يزيد وكان الحسن البصري يثبط الناس عن يزيد بن المهلب (قال أبو مخنف) فحدثني عبد الحميد البصري أن الحسن البصري كان يقول في تلك الأيام أيها الناس الزموا رجالكم وكفوا أيديكم واتقوا الله هو لاكم ولا يقتل بعضكم بعضاً على دنيا زائلة وطمع فيها يسير ليس لأهلها بياق وليس الله عنهم فيها اكتسبوا براض إنه لم يكن فتنة إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التيه والخيلاء وليس يسلم منها إلا المجهول الخفي

والمعروف التقيّ فمن كان منكم خفياً فليزِم الحق وليحبس نفسه عما يتنازع
الناس فيه من الدنيا فكفاه والله بمعرفة الله إياه بالخير شرفاً وكنى له به من
الدنيا خلفاً ومن كان منكم معروفاً شريفاً فترك ما يتنافس فيه نظراًؤه من
الدنيا ارادة الله بذلك فواهاً لهذا ما أسعده وأرشدته وأعظم أجره وأهدى
سبيله فهذا غداً يعني يوم القيامة القرير عيناً الكريم عند الله ما بآباً فلما بلغ ذلك
مروان بن المهلب قام خطيباً كما يقوم فأمر الناس بالجد والاحتشاد ثم قال لهم
لقد بلغني أن هذا الشيخ الضال المرأى ولم يسمه يثبط الناس والله لو أن جاره
نزع من خص داره قصبة لظل يرعف أنفه أينكر علينا وعلى أهل مصرنا أن
نطلب خيرنا وأن تنكر مظللتنا أم والله ليكفن عن ذكرنا وعن جمعه إلينا
سقاط الأبتة وعلوج فرات البصرة قوما ليسوا من أنفسنا ولا بمن جرت
عليه النعمة من أحد منا أولانحين عليه مبرداً خشنا فلما بلغ ذلك الحسن قال
والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه فقال ناس من أصحابه لو أرادك ثم شئت
لمنعناك فقال لهم فقد خالفتمكم إذا إلى ما نهيتكم عنه أمرمكم ألا يقتل بعضكم
بعضاً مع غيري وأدعوكم إلى أن يقتل بعضكم بعضاً دوني فبلغ ذلك مروان بن
المهلب فاشتد عليهم وأخافهم وطلبهم حتى تفرقوا ولم يدع الحسن كلامه ذلك
وكف عنه مروان بن المهلب وكانت إقامة يزيد بن المهلب منذ أجمع وهو ومسلمة
ثمانية أيام حتى إذا كان يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من صفر بعث مسلماً إلى
الوضاح أن يخرج بالوضاحية والسفن حتى يحرق الجسر ففعل وخرج مسلماً
فبعي جنود أهل الشام ثم ازدلف بهم نحو يزيد بن المهلب وجعل على يمينته جبلة
ابن مخزومة الكندي وجعل على يسرته الهذيل بن زفر بن الحارث العامري وجعل
العباس على يمينته سيف بن هانئ الحمداني وعلى يسرته سويد بن القعقاع
القيمي ومسلمة على الناس وخرج يزيد بن المهلب وقد جعل على يمينته حبيب
ابن المهلب وعلى يسرته المفضل بن المهلب وكان مع المفضل أهل الكوفة وهو
عليهم ومعه خيل لربيعه معها عدد حسن وكان مما يلي العباس بن الوليد (قال

أبو مخنف) فحدثني الغنوي قال هشام وأظن الغنوي العلاء بن المنهال أن رجلا من الشام خرج فدعا إلى المبارزة فلم يخرج إليه أحد فبرز له محمد بن المهلب فحمل عليه فاتقاه الرجل بيده وعلى كفه كف من حديد فضربه محمد فقطع كف الحديد وأسرع السيف في كفه واعتنق فرسه وأقبل محمد يضربه ويقول المنجل أعود عليك قال فذكر لي أنه حيان النبطي قال فلما دنا الوضاح من الجسر أهب فيه النار فسطع دخانه وقد اقتتل الناس ونشبت الحرب ولم يشتد القتال فلما رأى الناس الدخان وقيل لهم أخرج الجسر انهزموا فقالوا ليزيد قد انهزم الناس قال ومما انهزموا هل كان قتال ينهزم من مثله فقيل له قالوا أخرج الجسر فلم يثبت أحد قال قبحهم الله بئى دخن عليه فطار فخرج وخرج معه أصحابه ومواليه وناس من قومه فقال اضربوا وجوه من ينهزم ففعلوا ذلك بهم حتى كثروا عليه فاستقبلهم منهم مثل الجبال فقال دعوهم فوالله إني لأرجو أن لا يجمعني الله وإياهم في مكان واحد أبدا دعوهم يرحمهم الله غنم عدا في نواحيها الذئب وكان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار وقد كان يزيد بن الحكم بن أبي العاص وأمه ابنة الزبرقان السعدي أتاه وهو بواسط قبل أن يصل إلى العفر فقال

إن بني مروان قد باد ملكهم فإن كنت لم تشعر بذلك فاشعر

قال يزيد ما شعرت قال فقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي :

عش ملكا أو مت كريما وإن تمت وسيفك مشهورا بكفك تُعذر
قال أما هذا فدسى ولما خرج يزيد إلى أصحابه واستقبلته الهزيمة فقال باسميدع
أرأي أم رأيك ألم أعلمك ما يريد القوم قال بلى والله والرأي كان رأيك وأناذا
معك لأزايك فرني بأمرك قال أما لا فانزل فنزل في أصحابه وجاء يزيد بن المهلب
جاء فقال إن حبيبا قد قتل (قال هشام) قال أبو مخنف فحدثني ثابت مولى زهير
ابن سلمة الأزدي قال أشهد أني أسمعه حين قال له ذلك قال لا خير في العيش بعد
حبيب قد كنت والله أبغض العيش بعد الهزيمة فوالله ما زددت له إلا بغضا امضوا
قدما فعلنا والله أن قد استقتل فأخذ من يكره القتال ينكص وأخذوا يتسللون

وبقيت معه جماعة حسنة وهو يزدلف فكلما مرت بخيل كشفها أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه وعن سنن أصحابه فجاء أبو روثبة المرجني فقال ذهب الناس وهو يشير بذلك اليه وأنا أسمعه فقال هل لك أن تتصرف إلى واسط فاتها حصن فترها ويأتيك مدد أهل البصرة ويأتيك أهل عمان والبحرين في السفن وتضرب خندقا فقال له قبح الله رأيك ألي تقول هذا الموت أيسر علي من ذلك فقال له فاني أتخوف عليك لما ترى أما ترى ما حولك من جبال الحديد وهو يشير اليه فقال له أما أنا فما أباليها جبال حديد كانت أم جبال نار اذهب عنا إن كنت لا تريد قتالا معنا قال وتمثل قول حارثة بن بدر الغداني (قال أبو جعفر) اخطأ هذا هو للأعشى :

أبالموتِ خَشْتِي عِبَادُ وَإِنَّمَا رَأَيْتُ مَنَايَا النَّاسِ يَشْتَقِي ذَلِيلُهَا
فَمَا مِثَّةُ إِنْ مَثَّهَا غَيْرَ عَاجِزٍ بَعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسَ غَوْلُهَا

وكان يزيد بن المهلب على برذون له أشهب فأقبل نحو مسلة لا يريد غيره حتى إذا دنا منه أدنى مسلة فرسه ليركب فعطف عليه خيول أهل الشام وعلى أصحابه فقتل يزيد بن المهلب وقتل معه السميدع وقتل معه محمد بن المهلب وكان رجل من كلب من بني جابر بن زهير بن جناب الكلبي يقال له القحل بن عياش لما نظر إلى يزيد قال يا أهل الشام هذا والله يزيد والله لأقتلنه أو ليقتلني وإن دونه ناسا فمن يحمل معي يكفيني أصحابه حتى أصل اليه فقال له ناس من أصحابه نحن نحمل معك ففعلوا فحملوا بأجمعهم واضطربوا ساعة وسطع الغبار وانفرج الفريقان عن يزيد قليلا وعن القحل بن عياش بأخر رمق فأرمى إلى أصحابه يريهم مكان يزيد يقول لهم أنا قتله ويومى إلى نفسه أنه هو قتلى ومر مسلة على القحل بن عياش صريعا إلى جنب يزيد فقال أما إني أظن هذا هو الذي قتلى وجاء برأس يزيد مولى لبي مرة فقيل له أنت قتله فقال لا فلما أتى به مسلة لم يعرف ولم ينكر فقال له الحواري بن زياد بن عمرو العتكي مر برأسه فليُغسل ثم ليُعمَّم ففعل ذلك به فعرفه فبعث برأسه إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد

ابن عقبة بن أبي مُعَيْط (قال أبو مخنف) فحدثني ثابت مولى زهير قال لقد قتل يزيد وهُزِمَ الناس وإن المفضل بن المهلب ليقاتل أهل الشام ما بدرى بقتل يزيد ولا بهزيمة الناس وإنه لعلى بردون شديد قريب من الأرض وإن معه لمجففة أمامه فكما حمل عليها نكصت وانكشفت وانكشفت فيحمل في ناس من أصحابه حتى يخالط القوم ثم يرجع حتى يكون من وراء أصحابه وكان لا يرى منا ملتفتاً إلا أشار إليه بيده ألا يلتفت ليقبل القوم بوجوههم على عدوهم ولا يكون لهم هم غيرهم قال ثم اقتلنا ساعة فكأنى أنظر إلى عامر بن العَمَيْثَل الأزدي وهو يضرب بسيفه ويقول:

قد عَلِمْتُ أُمَّ الصَّبِيِّ المولودِ أَنِي بِنِصْلِ السَّيْفِ غَيْرُ رِعْدِيذِ

قال واضطربنا والله ساعة فانكشفت خيل ربيعة والله ما رأيت عند أهل الكوفة من كبير صبر ولا قتال فاستقبل ربيعة بالسيف يناديهم أي معشر ربيعة الكفرة الكفرة والله ما كنتم بكشف ولا ليام ولا هذه لكم بعادة فلا يؤتين أهل العراق اليوم من قبلكم أي ربيعة فذتكم نفسى اصبروا ساعة من النهار قال فاجتمعوا حوله وثابروا إليه وجاءت كؤوفتك قال فاجتمعنا ونحن نريد الكفرة عليهم حتى أتى فليل له ما تصنع ههنا وقد قتل يزيد وحبيب ومحمد وانهم الناس منذ طويل وأخبر الناس بعضهم بعضاً ففرقوا ومضى المفضل فأخذ الطريق إلى واسط فمأرايت رجلاً من العرب مثل منزلته كان أغشى للناس بنفسه ولا أضرب بسيفه ولا أحسن تعبته لأصحابه منه (قال أبو مخنف) فقال لي ثابت مولى زهير مررت بالحنديق فإذا عليه حائط عليه رجال معهم النبل وأنا مجففٌ وهم يقولون يا صاحب التجفاف أين تذهب قال فما كان شيء أثقل علي من تجفافي قال فما هو إلا أن جرتهم فنزلت فألقيته لأخفف عن دابتي وجاء أهل الشام إلى عسكر يزيد ابن المهلب فقاتلهم أبو روبة صاحب المرجة ساعة من النهار حتى ذهب عظمهم وأسراهم الشام نحواً من ثلاثمائة رجل فسرحهم مسلمة إلى محمد بن عمرو بن الوليد فحبسهم وكان على شرطه العريان بن الهيثم وجاء كتاب من يزيد بن عبد الملك إلى

محمد بن عمرو أن اضرب رقاب الأسراء فقال للعريان بن الهيثم أخرجهم عشرين
عشرين وثلاثين ثلاثين قال فقام نحو من ثلاثين رجلا من بني تميم فقالوا نحن انهم منا
بالناس فاتقوا الله وابدؤا بنا أخرجونا قبل الناس فقال لهم العريان أخرجوا
على اسم الله فأخرجهم إلى المصطبة وأرسل إلى محمد بن عمرو يخبره بإخراجهم
ومقاتلهم فبعث إليه أن اضرب أعناقهم (قال أبو مخنف) فخذتني نجيح أبو عبد الله
مولى زهير قال والله إني لأنظر إليهم ليقولون إنا لله انهم منا بالناس وهذا جزاؤنا
فما هو إلا أن فرغ منهم حتى جاء رسول من عند مسلمة فيه عافية الأسراء والنهي
عن قتلهم فقال حاجب بن ذبيان من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم

لعمري لقد خاضت معيظ دماءنا بأسيا فها حتى انتهى بهم الوحل
وما تحل الأقوام أعظم من دم حرام ولا ذحل إذا التمس الذحل
حقنتم دماء المصلين عليكم وجر على فرسان شيعتك القتل
وقى بهم العريان فرسان قومه فيا عجباً أين الأمانة والعدل

وكان العريان يقول والله ما اعتمدتهم ولا أردتهم حتى قالوا ابدؤا بنا أخرجنا
فما ركت حين أخرجتهم أن أعلنت المأمور بقتلهم فما يقبل حجهم وأمر بقتلهم
والله على ذلك ما أحب أن قتل من قومي مكانهم رجل واثن لاموني ما أنا بالذي
أحفل لأمتهم ولا تكبر على وأقبل مسلمة حتى نزل الحيرة فأتى بنحو من خمسين
أسيرا ولم يكونوا فيمن بعث إلى الكوفة كان أقبل بهم معه فلما رأى الناس أنه
يريد أن يضرب رقابهم قام إليه الحصين بن حماد الكلبي فاستوهبه ثلاثة زياد بن
عبد الرحمن القشيري وعتبة بن مسلم وسماعيل مولى آل بني عقيل بن مسعود
فوهبهم له ثم استوهب بقيتهم أصحابه فوهبهم لهم فلما جاءت هزيمة يزيد إلى واسط
أخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيرا كانوا في يده فضرب أعناقهم
منهم عدى بن أرطاة ومحمد بن عدى بن أرطاة ومالك وعبد الملك ابنا مسمع وعبد الله
بن عزرة البصري وعبد الله بن وائل وابن أبي حاضر التميمي من بني أسيد بن عمرو
ابن تميم وقد قال له القوم ويحك إنا لا نراك تقتلنا إلا أن أباك قد قتل وان قتلنا

ليس بنافع لك في الدنيا وهو ضارك في الآخرة فقتل الأسارى كلهم غير ربيع بن زياد بن الربيع بن أنس بن الرقان تركه فقال له ناس نسيته فقال ما نسيته ولكن لم أكن لاقتله وهو شيخ من قومي له شرف ومعروفٌ وبيتٌ عظيمٌ ولست أتهمه في وُدِّ ولا أخاف بغيه فقال ثابت قطنة في قتل عدى بن أوطاة

مَاسَرَّنِي قَتْلُ الْفَزَارِيِّ وَابْنِهِ عَدِيٍّ وَلَا أَحْبَبْتُ قَتْلَ ابْنِ مِسْمَعٍ
وَلَكِنَّهَا كَانَتْ مُعَاوِيَةَ زَلَّةً وَضَعْتُ بِهَا أَمْرِي عَلَى غَيْرِ مَوْضِعٍ

ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه المال والخزائن وجاء المفضل بن المهلب واجتمع جميع آل المهلب بالبصرة وقد كانوا يتخوفون الذي كان من يزيد وقد أعدوا السفن البحرية وتجهزوا بكل الجهاز وقد كان يزيد بن المهلب بعث وداع بن حميد الأزدي على قنديل أميراً وقال له إني سائر إلى هذا العدو ولو قد لقيتهم لم أبرح العرصة حتى تكون إلى أولهم فان ظفرت أكرمتك وان كانت الأخرى كنت بقنديل حتى يقدم عليك أهل بيتي فيتحصنوا بها حتى يأخذوا أنفسهم أماناً أما إني قد اخترتك لأهل بيتي من بين قومي فكن عند أحسن ظني وأخذ عليه أماناً غلاظاً لنا نحن أهل بيته ان هم احتاجوا إليه ولجؤا إليه فلما اجتمع آل المهلب بالبصرة بعد الهزيمة حملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحرية ثم لججوا في البحر حتى مروا بهرم بن القرار العبدى وكان يزيد استعمله على البحرين فقال لهم أشير عليكم ألا تفارقوا سفنكم فان ذلك بقاؤكم وإني أتخوف عليكم إن خرجتم من هذه السفن أن يخطفكم الناس وأن يتقربوا بكم إلى بني مروان فمضوا حتى إذا كانوا بحيال كرمان خرجوا من سفنهم وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدواب وكان معاوية بن يزيد بن المهلب حين قدم البصرة قدمها ومعه الخزائن وبيت المال فكأنه أراد أن يتأمر عليهم فاجتمع آل المهلب وقالوا للمفضل أنت أكبرنا وسيدنا وإنما أنت غلام حديث السن كبعض فتیان أهلك فلم يزل المفضل عليهم حتى خرجوا إلى كرمان وبكرمان فلول كثيرة فاجتمعوا إلى المفضل وبعث مسلة ابن عبد الملك مدرك بن ضب الكلبي في طلب آل المهلب وفي أثر الفل فأدرك

مدرك المفضل بن المهلب وقد اجتمعت اليه الفلول بفارس فتبعهم فادر كههم في عقبه
فعطفوا عليه فقاتلوه واشتد قتالهم اياه فقتل مع المفضل بن المهلب النعمان بن ابراهيم
ابن الاشتر النخعي ومحمد بن اسحاق بن محمد بن الأشعث وأخذ ابن صول ملك قهستان
أسيرا وأخذت سُريرة المفضل العالية وجرح عثمان بن اسحاق ابن محمد بن الأشعث
جراحة شديدة وهرب حتى انتهى إلى حلوان فدل عليه فقتل وحمل رأسه إلى مسلة
بالخيرة ورجع ناس من أصحاب يزيد بن المهلب فطلبوا الأمان فأومنوا منهم مالك بن
إبراهيم بن الأشتر والورد بن عبدالله بن حبيب السعدي من تميم وكان قد شهد مع
عبد الرحمن بن محمد موطنه وأيامه كلها فطلب له الأمان محمد بن عبدالله بن عبد الملك بن
مروان إلى مسلة بن عبد الملك عمه وابنة مسلة تحته فأمنه فلما أتاه الورد وقفه مسلة
فشتمه قائما فقال صاحب خلاف وشقاق ونفاق ونقار في كل فتنة مرة مع حائك كندة
ومرة مع ملاح الأزدي ما كنت بأهل أن تؤمن قال ثم انطلق وطلب الأمان لمالك بن
إبراهيم بن الأشتر الحسن بن عبد الرحمن بن شراحيل وشراحيل يلقب رستم
الحضرمي فلما جاء ونظر إليه قال له الحسن بن عبد الرحمن الحضرمي هذا مالك
ابن إبراهيم بن الأشتر قال له انطلق قال له الحسن أصلحك الله لم تشتمه كما شتمت
صاحبه قال أجللنكم عن ذلك وكنتم أكرم على من أصحاب الآخر وأحسن طاعة
قال فإنه أحب إلينا أن تشتمه فهو والله أشرف أبا وجدأ وأسوأ أثرا من أهل
الشأم من الورد بن عبد الله فكان الحسن يقول بعد أشهر ما تركه إلا حسداً
من أن يعرف صاحبنا فأراد أن يرينا أنه قد حقره ومضى آل المهلب ومن سقط
منهم من الفلول حتى انتهوا إلى قنديل وبعث مسلة إلى مدرك بن ضب الكلبي
فرده وسرح في أثرهم هلال بن أحوز التيمي من بني مازن بن عمرو بن تميم
فلحقهم بقنديل فأراد آل المهلب دخول قنديل فنعهم وداع بن حميد وكاتبه
هلال بن أحوز ولم يباين آل المهلب فيفارقه فبين لهم فراقه لما التقوا وصفوا
كان وداع بن حميد على الميمنة وعبد الملك بن هلال على الميسرة وكلاهما أزدى
فرفع لهم هلال راية الأمان فقال اليهم وداع بن حميد وعبد الملك بن هلال وارضض

عنهم الناس فخلوهم فلما رأى ذلك مروان بن المهلب ذهب يريد أن ينصرف إلى النساء فقال له المفضل أين تريد قال أدخل إلى نساتنا فأقتلن لئلا يصل اليهن هؤلاء الفساق فقال ويحك أقتل أخواتك ونساء أهل بيتك أنا والله ما نخاف عليهن منهم قال فرده عن ذلك ثم مشوا بأسيا فبهم فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم إلا أبا عينة بن المهلب وثمان بن المفضل فانهما نجوا فلاحقا بخاقان ورتيل وبعث بنساتهم وأولادهم إلى مسلة بالحيرة وبعث برؤسهم إلى مسلة فبعث بهم مسلة إلى يزيد بن عبد الملك وبعث بهم يزيد بن عبد الملك إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك وهو على حلب فلما نصبوا خرج لينظر اليهم فقال لأصحابه هذا رأس عبد الملك هذا رأس المفضل والله لكانه جالس معي يحدثني (وقال مسلة) لا بيعن ذريتهم وهم في دار الرزق فقال الجراح بن عبد الله فانا أشتريهم منك لأبريمك فاشتراهم منه بمائة ألف قال هاتها قال إذا شئت نخذها فلم يأخذ منه شيئا وخلي سبيلهم إلا تسعة فتية منهم أحداث بعث بهم إلى يزيد بن عبد الملك فقدم بهم عليه فضرب رقابهم فقال ثابت قطنة حين بلغه قتل يزيد بن المهلب يرثيه

ألا ياهند طال على ليلي
 كاني حين حلقت الثريا
 أمر على حلو العيش يوم
 مصاب بنى أبك وغبت عنهم
 فلا والله لا أنسى يزيدا
 فعلى أن أبؤ بأخيك يوما
 وعلى أن أقود الخيل شعنا
 فأصبحهن خمير من قريب
 ونسقي مذحجا والحى كلبا
 عشائرنا التي تبغى علينا
 ولولاهم وما جلبوا علينا
 وعاد قصيره ليلا تماما
 سقيت لعاب أسود أو سماما
 من الأيام شيبني غلاما
 فلم أشهدهم ومضوا كراما
 ولا القتلى التي قتلت حراما
 يزيدا أو أبوة به هشاما
 شوارب ضمرا تقص الإكاما
 وعكا أو أرغ بهما جذاما
 من الذيفان أنفاسا قواما
 تجربنا زكا عاما بعاما
 لأصبح وسطنا مليكا هماما

وقال أيضا يرثي يزيد بن المهلب

أَبِي طُولُ هَذَا اللَّيْلِ أَنْ يَتَّصِرَ مَا
أَرِقْتُ وَلَمْ تَأْرُقْ مَعِيَ أُمُّ خَالِدٍ
عَلَى هَالِكِ هَدِّ الْعَشِيرَةِ فَقَدُهُ
عَلَى مَلِكِ بَأَصَاحِ بِالْعَقْرِ جُبْنَتْ
أَصِيبٌ وَلَمْ أَشْهَدْ وَلَوْ كُنْتُ شَاهِدًا
وَفِي غَيْرِ الْإِيَّامِ يَا هِنْدُ فَاعْلَمِي
فَعَلَى إِنْ مَاتَ بَنِي الرَّيْحِ مَيْلَةً
أَمْسَلَمَ أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْكَ رِمَاخُنَا
وَإِنْ تَلَقَّ لِلْعَبَّاسِ فِي الدَّهْرِ عَثْرَةٌ
هَاصَا وَلَا نَعْدُ وَالَّذِي كَانَ قَدَأَى
سَتَعَلَّمُ إِنْ زَلَّتْ بِكَ النَّعْلُ زَلَّةً
مَنْ الظَّالِمِ الْجَانِي عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ
وَإِنَّا لَهَاطَانُونَ بِالْحَلْمِ بَعْدَ مَا
وَإِنَّا لَحَلَّالُونَ بِالثَّغْرِ لِأَنْزَى
نَرَى أَنْ لِلْجَبْرِانِ حَاجًّا وَحُرْمَةً
وَإِنَّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ مِنْ قَمْعِ الذَّرَى
وَرَا حَتَّ بَصْرَادٍ مُلِكٍ جَلِيدُهُ
أَبُونَا أَبُو الْإِنصَارِ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ
وَقَدْ كَانَ فِي غَسَّانَ مَجْدٌ يَعْدُهُ

فلما فرغ مسلة بن عبد الملك من حرب يزيد بن المهلب جمع له يزيد بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخراسان في هذه السنة فلما ولاه يزيد ذلك ولي مسلة الكوفة ذا الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط وقام بأمر البصرة بعد أن خرج منها آل المهلب فيما قيل شبيب بن الحارث التميمي فضبطها فلما ضمت

إلى مسلمة بعث عاملاً عليها عبد الرحمن بن سليم الكلابي وعلى شرطتها وأحداثها
 عمر بن يزيد التميمي فأراد عبد الرحمن بن سليم أن يستعرض أهل البصرة وأفشى
 ذلك إلى عمر بن يزيد فقال له عمر أتريد أن تستعرض أهل البصرة ولم تمن
 حصنا بكويفة وتدخل تحتاج إليه فوالله لو رماك أهل البصرة وأصحابك بالحجارة
 لتخوفت أن يقتلوننا ولكن أنظرنا عشرة أيام حتى نأخذ أهبة ذلك ووجه رسولا
 إلى مسلمة يخبره بما هم به عبد الرحمن فوجه مسلمة عبد الملك بن بشر بن مروان
 على البصرة وأقر عمر بن يزيد على الشرطة والأحداث (قال أبو جعفر) وفي
 هذه السنة وجه مسلمة بن عبد الملك سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن
 أبي العاص وهو الذي يقال له سعيد خذينة وإنما لقب بذلك فيما ذكر أنه كان
 رجلاً لنا سهلاً متنعماً قدم خراسان على بختية معلقاً سكيناً في منطقتة فدخل عليه
 ملك أبقر وسعيد متفضل في ثياب مصبغة حوله مرافق مصبغة فلما خرج من عنده
 قالوا له كيف رأيت الأمير قال خذينة لمتة سُكِينِيَّة فلقب خذينة وخذينة هي
 الدهقانة ربة البيت وإنما استعمل مسلمة سعيد خذينة على خراسان لأنه كان
 ختته على ابنته كان سعيد متزوجاً بابنة مسلمة

ذكر الخبر عن أمر سعيد في ولاية خراسان في هذه السنة

ولما ولي مسلمة سعيد خذينة خراسان قدم إليها قبل شخوصه سورة بن الحر
 من بني دارم فقدمها قبل سعيد فيما ذكر بشهر فاستعمل شعبة بن ظهير النهشلي على
 سمرقند فخرج إليها في خمسة وعشرين رجلاً من أهل بيته فأخذ على أمل فأتى بخارى
 فصحبه منها مائتا رجل فقدم السغد وقد كان أهلها كفروا في ولاية عبد الرحمن
 ابن نعيم الغامدي ووايها ثمانية عشر شهراً ثم عادوا إلى الصلح فخطب شعبة أهل
 السغد ووبخ سكانها من العرب وغيرهم بالجلين فقال ما أرى فيكم جريماً ولا أسمع
 فيكم آفة فاعتذروا إليه بأن جبنوا عاملهم علباء بن حبيب العبدى وكان على الحرب ثم
 قدم سعيد فأخذ عمال عبد الرحمن بن عبدالله القشيري الذين ولوا أيام عمر بن
 عبد العزيز فحبسهم فكلّمهم فيهم عبد الرحمن بن عبدالله القشيري فقال له سعيد قد

رفع عليهم أن عندهم أموالاً من الخراج قال فأنا أضمتهم فضمن عنهم سبعمائة ألف ثم لم يأخذه بها ثم إن سعيداً رفع إليه فيما ذكر علي بن محمد أن جهم بن زحر الجعفي وعبد العزيز بن عمرو بن الحجاج الزبيدي والمنتجع بن عبد الرحمن الأزدي والقعقاع الأزدي ولو اليزيد بن المهلب وهم ثمانية وعندهم أموال قد اختاروها من فيء المسلمين فأرسل إليهم فحبسهم في قهندر مراً وقيل له إن هؤلاء لا يؤدون إلا أن تبسط عليهم فأرسل إلى جهم بن زحر فحمل على حمار من قهندر مرو فمروا به على الفيض بن عمران فقام إليه فوجأ أنفه فقال له جهم يا فاسق هلا فعلت هذا حين أتوني بك سكران قد شربت الخمر فضربتك حداً فغضب سعيد علي جهم فضربه مائة سوط فكبر أهل السوق حين ضرب جهم بن زحر وأمر سعيد بجهم والثمانية الذين كانوا في السجن فدفعوا إلى ورقاء بن نصر الباهلي فاستغفاه فاعفاه (وقال) عبد الحميد بن دنار أو عبد الملك بن دنار والزيبر بن نشيط مولى باهلة وهو زوج أم سعيد خدينة ولنا محابسه فو لاهم فقتلوا في العذاب جهما وعبد العزيز ابن عمرو والمنتجع وعذبوا القعقاع وقوماً حتى أشرفوا على الموت قال فلم يزالوا في السجن حتى غزتهم الترك وأهل السغد فأمر سعيد بإخراج من بقي منهم فكان سعيد يقول تبجح الله الزبير فإنه قتل جهما (وفي هذه السنة) غزا المسلمون السغد والترك فكان فيها الواقعة بينهم بقصر الباهلي (وفيها) عزل سعيد خدينة شعبة ابن ظهير عن سمرقند

ذكر الخبر عن سبب عزل سعيد شعبة وسبب هذه الواقعة وكيف كانت

ذكر علي بن محمد عن الذين تقدم ذكرى خبره عنهم أن سعيد خدينة لما قدم خراسان دعا قوماً من الدهاقين فاستشارهم فيمن يوجه إلى الكور فأشاروا إليه بقوم من العرب فولاهم فشكروا إليه فقال للناس يوماً وقد دخلوا عليه إني قدمت البلد وليس لي علم بأهله فاستشرت فأشاروا علي بقوم فسألت عنهم فحمدوا فوليتهم فأخرج إليكم لما أخبرتموني عن عمالي فأثني عليهم القوم خيراً فقال عبد الرحمن بن عبد الله القشيري لو لم تخرج علينا لكففت فأما إذ خرجت علينا

فإنك شاورت المشركين فأشاروا عليك بمن لا يخالفهم وبأشباههم فهذا علنا
فيهم قال فاتكى سعيد ثم جلس فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن
الجاهلين قوموا قال وعزل سعيد شعبة بن ظهير عن السغد وولى حربها عثمان
ابن عبد الله بن مطرف بن الشيخير وعلى الخراج سليمان بن أبي السرى مولى بنى عوافة
واستعمل على هراة معقل بن عروة القشيري فسار إليها وضعف الناس سعيدا
وسموه خذينة فطمع فيه الترك فجمع له خاقان الترك ووجههم إلى السغد فكان
على الترك كورصول وأقبلوا حتى نزلوا قصر الباهلي وقال بعضهم أراد عظيم
من عظماء الدهاقين أن يتزوج امرأة من باهلة وكانت في ذلك القصر فارسل إليها
يخطبها فأبت فاستجاش ورجا أن يسبوا من في القصر فيأخذ المرأة فأقبل كورصول
حتى حصر أهل القصر وفيه مائة أهل بيت بذرارهم وعلى سمرقند عثمان بن عبد الله
وخافوا أن يبطن عنهم المدد فصالحوا الترك على أربعين ألفا وأعطوهم سبعة عشر
رجلا رهينة وندب عثمان بن عبد الله الناس فانتدب المسيب بن بشر الرياحي
وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل فقال شعبة بن ظهير لو كان ههنا خيول
خراسان ما وصلوا إلى غايتهم قال وكان فيمن انتدب من بنى تميم شعبة بن ظهير
النهشلي وبلعاء بن مجاهد العنزي وعميرة بن ربيعة أحد بنى العجيف وهو عميرة
الثريد وغالب بن المهاجر الطائي وهو أبو العباس الطوسي وأبو سعيد معاوية
ابن الحجاج الطائي وثابت قطنة وأبو المهاجر بن دارة من غطفان وجليس الشيباني
والحجاج بن عمر والطائي وحسان بن معدان الطائي والأشعث أبو حطامة وعمر
ابن حسان الطيئان فقال المسيب بن بشر لما عسكروا إنكم تقدمون على حلبة
الترك حلبة خاقان وغيرهم والعوض إن صبرتم الجنة والعقاب النار أن فررتم فمن
أراد الغزو والصبر فليقدم فانصرف عنه ألف وثلاثمائة وسار في الباقي فلما سار
فرسخا قال للناس مثل مقاتلة الأولى فاعتزل ألف ثم سار فرسخا آخر فقال لهم
مثل ذلك فاعتزل ألف ثم سار وكان دليلهم الأشهب بن عبيد الحنظلي حتى إذا
كان على فرسخين من القوم نزل فأتاهم ترك خاقان ملك قى فقال إنه لم يبق

هنا دهقان إلا وقد بايع الترك غيرى وأنا فى ثلاثمائة مقاتل فهم معك وعندى
الخبر قد كانوا صالحوم على أربعين ألفاً عطوم سبعة عشر رجلاً ليكنوا رهناء فى
أيديهم حتى يأخذوا صلحهم فلما بلغهم مسيركم إليهم قتل الترك من كان فى أيديهم من
الرهائن قال وكان فيهم نهل بن يزيد الباهلى فنجا لم يقتل والأشهب بن عبيد الله
الخنزلى وميعادم أن يقاتلوهم غداً أو يفتحوا القصر فبعث المسيب رجلين رجلاً
من العرب ورجلاً من العجم من ليلته على خيولهم وقال لهم إذا قربتم فشدوا دوابكم
بالشجر واعلموا علم القوم فأقبلا فى ليلة مظلمة وقد أجرت الترك الماء فى نواحي
القصر فليس يصل إليه أحد ودنوا من القصر فصاح بهما الرية فقالا لا تصح
وادع لنا عبد الملك بن دثار فدعاه فقالا له أرسلنا المسيب وقد أتاكم الغياث قال
أبن هو قال على فرسخين فهل عندكم امتاع ليلتك وغداً فقال قد أجمعنا على تسليم
نساتنا وتقديمهم للموت أمامنا حتى نموت جميعاً غداً فرجعا إلى المسيب فأخبراه
فقال المسيب للذين معه إني سائر إلى هذا العدو فمن أحب أن يذهب فليذهب فلم
يفارقه أحدٌ وبايعوه على الموت فسار وقد زاد الماء الذى أجروه حول المدينة
تحصينا فلما كان بينه وبينهم نصف فرسخ نزل فأجمع على يياتهم فلما أمسى أمر الناس
فشدوا على خيولهم وركب فحثهم على الصبر ورغبهم فيما يصير إليه أهل الاحتساب
والصبر وما لهم فى الدنيا من الشرف والنعمة إن ظفروا وقال لهم اكموا دوابكم
وقودوم فإذا دنوتم من القوم فاركبوها وشدوا شدة صادقة وكبروا وليكن
شعاركم يا محمد ولا تتبعوا مولى أو عليكم بالدواب فاصقروها فإن الدواب إذا عقرت
كانت أشد عليهم منكم والليل الصابر خيرٌ من الكثير الفشل وليست بكم قلة فإن
سبماتة سيف لا يضرب بها فى عسكر إلا أوهنوه وإن كثر أهله قال وعباهم
وجعل على الميمنة كثير الدبوسى وعلى الميسرة رجلاً من ربيعة يقال له ثابت
قطة وساروا حتى إذا كانوا منهم على غلوتين كبروا وذلك فى السحر وثار الترك
وخالط المسلمون العسكر فعقروا الدواب وصارهم الترك فجال المسلمون وانهزموا
حتى صاروا إلى المسيب وتبعهم الترك وضربوا عجز دابة المسيب فترجل رجال

من المسلمين فيهم البخترى أبو عبد الله المرائى ومحمد بن قيس الغنوى ويقال محمد ابن قيس العنبرى وزيادة الأصبهاني ومعاوية بن الحجاج وثابت قطنة فقاتل البخترى فقطعت يمينه فأخذ السيف بشماله فقطعت فجعل يذب بيديه حتى استشهدوا واستشهد أيضاً محمد بن قيس العنبرى أو الغنوى وشيب بن الحجاج الطائى قال ثم انهزم المشركون وضرب ثابت قطنة عظيماً من عظمتهم فقتله ونادى منادى المسيب لا تتبعهم فانهم لا يدرون من الرعب اتبعتموهم أم لا واقصدوا القصر ولا تحملوا شيئاً من المتاع إلا المال ولا تحملوا من يقدر على المشى وقال المسيب من حمل امرأة أو صبياً أو ضعيفاً حسبة فأجره على الله ومن أبى فله أربعون درهما وإن كان فى القصر أحد من أهل عهدكم فاحملوه قال فقصدوا جميعاً القصر فحملوا من كان فيه وانتهى رجل من بنى فقيم إلى امرأة فقالت أغنى أغنى الله فوقف وقال دونك وعجز الفرس فوثبت فاذا هى على عجز الفرس فاذا هى أفرس من رجل فتناول الفقيمى بيد ابنا غلاماً صغيراً فوضعه بين يديه وأتوا ترك خاقان فأنزلهم قصره وأتاهم بطعام وقال الحقوا بسمرقند لا ترجعوا فى آثاركم فخرجوا نحو سمرقند فقال لهم هل بقى أحد قالوا هلال الحريرى قال لا أسلمه فأتاه وبه بضع وثلاثون جراحة فاحتمله فبرأ ثم أصيب يوم الشعب مع الجنيد قال ورجع الترك من الغد فلم يروا فى القصر أحداً وراوا قتلاهم فقالوا لم يكن الذين جاءوا من الإنس فقال ثابت قطنة

فَدَتْ نَفْسِي فَوَارِسَ مِنْ تَمِيمٍ	غَدَاةَ الرُّوعِ فِي ضَنْكَِ الْمَقَامِ
فَدَتْ نَفْسِي فَوَارِسًا اِكْتَفَوْنِي	عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي رَهَجِ الْقَتَامِ
بِقَصْرِ الْبَاهِلِيِّ وَقَدْ رَأَوْنِي	أَحَامِي حَيْثُ ضَنَّ بِهَ الْمُحَامِي
بَسِينِي بَعْدَ حَطْمِ الرُّوحِ قَدَمَا	أَذُودُهُمْ بَدَى شَطْبِ حُسَامِ
أَكْرَهُ عَلَيْهِمُ الْيَحْمُومَ كَرَا	كَكْرَ الشَّرْبِ آتِيَةَ الْمُدَامِ
أَكْرَهُ بِهَ لَدَى الْعَمْرَاتِ حَتَّى	تَجَلَّتْ لَا يَضِيقُ بِهَا مَقَامِي
فَلَوْلَا اللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ	وَضَرَبَنِي قَوْنَسَ الْمَلِكِ الْمَهَامِ
إِذَا كَسَعَتْ نِسَاءُ بَنِي دِنَارِ	أَمَامَ التَّرِكِ بَادِيَةَ الْحِدَامِ

فمن مثل المسيب في نعيمه
وقال جرير يذكر المسيب

لولا حياة يربوع نساءكم
حامي المسيب والخيلان في رهج
إذ ما زن ثم لا يحمي لها جار
إذ لا عقال يحامي عن ذماركم
ولا زرارة يحميها وزرار

قال وعور تلك الليلة أبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائي وشلت يده وقد كان ولي ولاية قبل سعيد فخرج عليه شيء مما كان بقي عليه فأخذه فدفعه سعيد إلى شداد بن خليل الباهلي ليحاسبه ويستأديه فضيق عليه شداد فقال يا معشر قيس سرت إلى قصر الباهلي وأنا شديد البطش حديد البصر فعورت وشأت يدي وقاتلت مع من قاتل حتى استنقذناهم بعد أن أشرفوا على القتل والأسر والسبي وهذا صاحبكم يصنع بي ما يصنع فكفوه عنى نخلاه قال وقال عبد الله بن محمد عن رجل شهديلة قصر الباهلي قال كنا في القصر فلما التقوا ظننا أن القيامة قد قامت لما سمعنا من همام القوم ووقع الحديد وصهيل الخيل (وفي هذه السنة) قطع سعيد خذينة نهر بلخ وغزا السغد وكانوا نقضوا العهد وأعانوا الترك على المسلمين ذكر الخبر عما كان من أمر سعيد والمسلمين في هذه الغزوة

وكان سبب غزو سعيد هذه الغزوة فيما ذكر أن الترك عادوا إلى السغد فكلم الناس سعيدا وقالوا تركت الغزو فقد أغار الترك وكفر أهل السغد فقطع النهر وقصد للسغد فلقية الترك وطائفة من أهل السغد فهزمهم المسلمون فقال سعيد لا تتبعوهم فإن السغد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتوهم أفتريدون بوارهم وقد قاتلتم بأهل العراق الخلفاء غير مرة فهل أباروكم وسار المسلمون فأنهوا إلى واد بينهم وبين المرج فقال عبد الرحمن بن صبح لا يقطن هذا الوادي بجفف ولا راجل وليعبر من سواهم فعبروا وراهم الترك فأكنوا كميننا وظهرت لهم خيل المسلمين فقاتلوهم فأنحاز الترك فأتبعوهم حتى جازوا الكمين فخرجوا عليهم فانهزم المسلمون حتى انتهوا إلى الوادي فقال لهم عبد الرحمن بن صبح سابقوهم ولا تقطعوا فانكم إن قطعتم أبادوكم فعبروا لهم حتى انكشفوا عنهم فلم يتبعوهم فقال قوم قتل يومئذ شعبة بن ظهير

وأصحابه وقال قوم بل انكشفت الترك منهم يومئذ منهزمين ومعهم جمع من أهل
السغد فلما كان الغد خرجت مسلحة للمسلمين والمسلحة يومئذ من بني تميم فما شعروا
إلا بالترك معهم خرجوا عليهم من غيضة وعلى خيل بني تميم شعبة بن ظهير
فقاتلهم شعبة فقتل أعجلوه عن الركوب وقتل رجل من العرب فأخرجت جاريته
حناء وهي تقول حتى متى أعدت لك مثل هذا الخضاب وأنت محتضب بالدم مع
كلام كثير فأبكت أهل العسكر وقتل نحو من خمسين رجلا وانهزم أهل المسلحة
وأتى الناس الصريح فقال عبد الرحمن بن المهلب العدوي كنت أنا أول من أتاهم
لما أتانا الخبر وتحتي فرس جواد فاذا عبد الله بن زهير إلى جنب شجرة كأنه قنفذ
من الشباب وقد قتل وركب الخليل بن أوس العبشمي أحد بني ظالم وهو شاب
ونادى يا بني تميم أنا الخليل إلى فانضمت إليه جماعة فحمل بهم على العدو فكفروهم
وورعهم عن الناس حتى جاء الأمير والجماعة فانهزم العدو فصار الخليل على خيل
بني تميم يومئذ حتى ولي نصر بن سيار ثم صارت رياسة بني تميم لأخيه الحكم بن
أوس وذكر علي بن محمد عن شيوخه أن سورة بن الحر قال لحيان انصرف يا حيان
قال عقيرة الله أدعها وانصرف قال يانبطي قال أنبط الله وجهك قال وكان حيان
النبطي يكنى في الحرب أبا الهياج وله يقول الشاعر

إنَّ أبا الهياج أَرِيحِي لِلرَّيحِ فِي أَثْوَابِهِ دَوِي

قال وعبر سعيد النهر مرتين فلم يجاوز سمرقند نزل في الأولى يإزاء العدو
فقال له حيان مولى مصقلة بن هبيرة الشيباني أيها الأمير ناجز أهل السغد فقال
لا هذه بلاد أمير المؤمنين فرأى دخانا ساطعا فسأل عنه فقيل له السغد قد كفروا
ومعهم بعض الترك قال فناوشهم فانهزموا فألحوا في طلبهم فنادى منادى سعيد
لا تطلبوهم إنما السغد بستان أمير المؤمنين وقد هز متموم أفر يدون بوارهم وأنتم
يا أهل العراق قد قاتلتم أمير المؤمنين غير مرة ففعا عنكم ولم يستأصلكم ورجع فلما
كان العام المقبل بعث رجلا من بني تميم إلى ورغسر فقالوا ليتنا تلقى العدو
فنتاردهم وكان سعيد إذا بعث سرية فأصابوا وغنموا وسبوا ذراري السبي

وعاقب السرية فقال الهجري وكان شاعراً

سَرَيْتَ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَلْهُو بِلَعْبَةٍ وَأَيْرُكَ مَسْلُوكٌ وَسَيْفُكَ مُغَمَّدٌ
وَأَنْتَ لِمَنْ عَادَيْتَ عِرْسٌ خَفِيَةٌ وَأَنْتَ عَلَيْنَا كَالْحَسَامِ الْمُهَنْدِ
فَلَهُ دَرُ السَّغْدِ لِمَا تَحْزَبُوا وَيَعْجَبُ مِنْ كَيْدِكَ الْمُتَرَدِّدِ

قال فقال سورة بن الحر لسعيد وقد كان حفظ عليه وحقده عليه قوله أنبط
الله وجهك إن هذا العبد أعدى الناس للعرب والعمال وهو أفسد خراسان على
قتيبة بن مسلم وهو واثب بك مفسد عليك خراسان ثم يتحصن في بعض هذه
القلاع فقال يا سورة لا تسمعن هذا أحداً ثم مكث أياماً ثم دعا في مجلسه بلبن وقد
أمر بذهب فسحق وألقى في إناء حيان فشربه وقد خلط بالذهب ثم ركب فركب
الناس أربع فراسخ إلى باركت كأنه يطلب عدواً ثم رجع فعاش حيان أربعة أيام
ومات في اليوم الرابع فثقل سعيد على الناس وضعفوه وكان رجل من بني أسد
يقال له إسماعيل منقطعاً إلى مروان بن محمد فذكر إسماعيل عند خدينة ومودته
لمروان فقال سعيد وما ذاك الماط فهجاه إسماعيل فقال

زَعَمْتُ خُدَيْنَةَ أَنْتِ مِلْطُ لِحُدَيْنَةَ الْمَرَاةَ وَالْمُشْطُ
وَجَجَامِرٌ وَمَكَا حِلٌّ جُعِلَتْ وَمَعَا زِفٌ وَبَخْدَهَا نَقْطُ
أَفْذَاكَ أَمْ زَعَفٌ مُضَاعَفَةٌ وَمُهَنْدٌ مِنْ شَأْنِهِ الْقَطُ
لِمُقَرِّسٍ ذَكَرَ أَخِي ثِقَةَ لَمْ يَغْدُهُ التَّأْنِيثُ وَاللَّقَطُ
أَغْضَبْتَ أَنْ بَاتَ ابْنُ أَمِّكُمْ بِهِمْ وَأَنْتَ أَبَاكُمْ سَقَطُ
إِنِّي رَأَيْتُ نَبَاهُمْ كَسَيْتَ رِيَشَ اللُّوَامِ وَنَبَلَكُمْ مَرَطُ
وَرَأَيْتُهُمْ جَعَلُوا مَكَا سِرَّهُمْ عِنْدَ النَّدَى وَأَنْتُمْ خِلْطُ

(وفي هذه السنة) عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق وخراسان وانصرف إلى الشام

ذكر الخبر عن سبب عزله وكيف كان ذلك

وكان سبب ذلك فيما ذكر على بن محمد أن مسلمة لما ولي ما ولي من أرض العراق
وخراسان لم يرفع من الخراج شيئاً وأن يزيد بن عاتكة أراد عزله فاستحى منه وكتب

إليه أن استخلف على عمالك وأقبل وقد قيل إن مسلمة شاور عبد العزيز بن حاتم ابن النعمان في الشخوص إلى ابن عاتكة ليزوره فقال له أمن شوق بك إليه إنك لطروب وإن عهدك به لقريب قال لا بد من ذلك قال إذا لا تخرج من عمالك حتى تلقى الوالى عليه فشخص فلما بلغ دورين لقيه عمر بن هبيرة على خمس من دواب البريد فدخل عليه ابن هبيرة فقال إلى أين يا ابن هبيرة فقال وجهنى أمير المؤمنين فى حيازة أموال بنى المهلب فلما خرج من عنده أرسل إلى عبد العزيز فجاءه فقال هذا ابن هبيرة قد لقينا كما ترى قال قد أنباتك قال فإنه إنما وجهه لحيازة أموال بنى المهلب قال هذا أعجب من الأول يصرف عن الجزيرة ويوجه فى حيازة أموال بنى المهلب قال فلم يلبث أن جاءه عزل ابن هبيرة عماله والغلظة عليهم فقال الفرزدق

رَاحَتْ بِمَسْلَمَةَ الرِّكَابُ مُودَعًا فَارَعَى فَزَارَةَ لَاهِنَاكَ المَرْتَعُ
عُزَلَ ابْنُ بَشِيرٍ وَابْنُ عَمْرِو قَبْلَهُ وَأُخِرَ هَرَاةٌ لِمِثْلِهَا يَتَوَقَّعُ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَنْ فَزَارَةَ أُمِرْتُ أَنْ سَوْفَ يَطْمَعُ فِي الإِمَارَةِ أَشْجَعُ
مَنْ خَلَقَ رَبِّكَ مَا هُمْ وَمِثْلُهُمْ فِي مِثْلِ مَا نَأَتْ فَزَارَةَ يَطْمَعُ

يعنى بابن بشر عبد الملك بن بشر بن مروان و بابن عمرو ومحمدا ذا الشامة ابن عمرو ابن الوليد و بأخى هراة سعيد خدينة بن عبد العزيز كان عاملا لمسلمة على خراسان (وفى هذه السنة) غزا عمر بن هبيرة الروم بأرمينية فهزمهم وأسر منهم بشرا كثيرا قبل سبعمائة أسير (وفىها) وجه فيما ذكر ميسرة رسله من العراق إلى خراسان وظهر أمر الدعوة بها فجاء رجل من بنى تميم يقال له عمرو بن بختيار بن ورقاء السعدى إلى سعيد خدينة فقال له إن هاهنا قوما قد ظهر منهم كلام قبيح فبعث اليهم سعيد فأتى بهم فقال من أنتم قالوا أناس من التجار قال فما هذا الذى يحكى عنكم قالوا الاندرى قال جئتم دعاء فقالوا إن لنا فى أنفسنا و تجارتنا شغلا عن هذا فقال من يعرف هؤلاء فجاء أناس من أهل خراسان جملهم ربيعة واليمن فقالوا نحن نعرفهم وهم علينا إن أتاك منهم شيء تكرهه نغلى سبيلهم (وفىها) أغنى سنة ١٠٢ قتل يزيد بن أبى مسلم بأفريقية وهو وال عايبها ذكر الخبر عن سبب قتله
وكان سبب ذلك أنه كان فيما ذكر عزم أن يسير بهم بسيرة الحجاج بن يوسف

في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة فأسلم بالعراق ممن ردهم إلى قراهم ورساتيقهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم فلما عزم على ذلك تأمروا في أمره فأجمع رأيهم فيما ذكر على قتله فقتلوه وولوا على أنفسهم الوالي الذي كان عليهم قبل يزيد بن أبي مسلم وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار وكان في جيش يزيد بن أبي مسلم وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك إننا لم نخلع أيدينا من الطاعة ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا عاملك فكتب اليهم يزيد بن عبد الملك إنني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم وأقر محمد بن يزيد على أفريقية (وفي هذه السنة) استعمل عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة على العراق وخراسان (وحج) بالناس في هذه السنة عبد الرحمن ابن الضحاك كذلك قال أبو معشر والواقدي وكان العامل على المدينة عبد الرحمن ابن الضحاك وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى الكوفة محمد بن عمرو ذو الشامة وعلى قضائها القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود وعلى البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان وعلى خراسان سعيد خذينة وعلى مصر أسامة بن زيد

ثم دخلت سنة ثلاث ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك عزل عمر بن هبيرة سعيد خذينة عن خراسان وكان سبب عزله عنها فيما ذكر على بن محمد عن أشياخه أن المجشر بن مزاحم السلمي وعبد الله ابن عمير اللبني قدما على عمر بن هبيرة فشكواه فعزله واستعمل سعيد بن عمرو ابن الأسود بن مالك بن كعب بن وقدان بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة وخذينة غازي بن سمرقند فبلغ الناس عزله ففعل خذينة وخلف بسمرقند ألف فارس فقال نهار بن توسة

فمن ذا مبلغُ قتيانِ قومي بأنَّ النبلَ ريشَتُ كُلِّ ريشِ
 بأنَّ اللهَ أبدلَ من سَعِيدِ سعيداً لا المَعْنَتَ من قريشِ
 قال ولم يعرض سعيد الحرشي لأحد من عمال خديجة فقراً رجل عهده فلحن
 فيه فقال سعيد صه مهما سمعتم فهو من الكاتب والامير منه برى، فقال الشاعر
 يضعف الحرشي في هذا الكلام

تَبَدَّلْنَا سَعِيداً من سَعِيدِ لَجَدُّ السوءِ والقَدْرِ المتاحِ

(قال الطبري) وفي هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح مدينة يقال
 لها رسة (وفيها) أغارت الترك على اللان (وفيها) أضمت مكة إلى عبدالرحمن بن
 الضحاك الفهري فجمعت له مع المدينة (وفيها) ولي عبدالواحد بن عبدالله النضري
 الطائف وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد عن مكة (وفيها) أمر
 عبد الرحمن بن الضحاك أن يجمع بين أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعثمان بن
 حيان المري وكان من أمره وأمرهما ما قد مضى ذكره قبل (وحج) بالناس في
 هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري كذلك قال أبو معشر والواقدي
 وكان عامل يزيد بن عاتكة في هذه السنة على مكة والمدينة عبد الرحمن بن الضحاك
 وعلى الطائف عبد الواحد بن عبد الله النضري وعلى العراق وخراسان عمر بن
 هبيرة وعلى خراسان سعيد بن عمرو الحرشي من قبل عمر بن هبيرة وعلى قضاء
 الكوفة القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود وعلى قضاء البصرة عبد الملك
 ابن يعلى (وفيها) استعمل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي على خراسان
 ذكر الخبر عن سبب استعماله الحرشي على خراسان

ذكر علي بن محمد عن أصحابه أن ابن هبيرة لما ولي العراق كتب إلى يزيد بن عبد الملك
 بأسماء من أبلي يوم العقرو ولم يذكر الحرشي فقال يزيد بن عبد الملك لم يذكر
 الحرشي فكتب إلى ابن هبيرة ول الحرشي خراسان فولاه فقدم الحرشي على مقدمته
 المجشر بن مزاحم السلمي سنة ١٠٣ تم قدم الحرشي خراسان والناس بازاء
 العدو وقد كانوا نكبوا نخطبهم وحثهم على الجهاد فقال إنكم لا تقاتلون عدو

الإسلام بكثرة ولا بعدة ولكن بنصر الله وعز الإسلام فقولوا لا حول ولا
قوة إلا بالله وقال

فَلَسْتُ لِعَامرٍ إِن لَّمْ تَرَوْنِي أَمَامَ الْخَيْلِ أَطَعَنْ بِالْعَوَالِي
فَأَضْرِبُ هَامَةَ الْجَبَّارِ مِنْهُمْ بَعْضُ الْحَدِّ حَوْدِثَ بِالصَّقَالِ
فَمَا أَنَا فِي الْحُرُوبِ بِمُسْتَكِينٍ وَلَا أَخْشَى مُصَاوَلَةَ الرَّجَالِ
أَبِي لِي وَالْيَدِي مِنْ كُلِّ ذَمٍّ وَخَالِي فِي الْحَوَادِثِ خَيْرُ خَالِ
إِذَا خَطَرَتْ أُمَامِي حَتَّى كَعَبَ وَزَافَتْ كَالْجِبَالِ بَنُو هِلَالِ

(وفي هذه السنة) ارتحل أهل السغد عن بلادهم عند مقدم سعيد بن عمرو
الحرشي فلحقوا بفرغانة فسألوا ملكها معونتهم على المسلمين

ذكر الخبر عما كان منهم ومن صاحب فرغانة

ذكر علي بن محمد عن أصحابه أن السغد كانوا قد أعانوا الترك أيام خديجة فلما
ولاهم الحرشي خافوا على أنفسهم فأجمع عظماءهم على الخروج عن بلادهم فقال
لهم ملكهم لا تفعلوا أقيموا واحملوا إليه خراج ما مضى واطمنوا له خراج
ما تستقبلون واطمنوا له عمارة أرضيكم والغزو معه إن أراد ذلك واعتذروا
بما كان منكم وأعطوه رهائن يكونون في يديه قالوا نخاف أن لا يرضى ولا يقبل
منا ولكننا نأتي خجندة فلتجبر ملكها ونرسل إلى الأمير فنسأله الصفع عما
كان منا ونوثق له أن لا يرى أمراً يكرهه فقال أنا رجل منكم وما أشرت به
عليكم كان خيراً لكم فأبوا فخرجوا إلى خجندة وخرج كازميج وكشين وبياركث
وثابت بأهل اشتدخن فأرسلوا إلى ملك فرغانة الطار يسألونه أن يمنعهم وينزلهم
مدينة فهم أن يفعل فقالت له أمه لا تدخل هؤلاء الشياطين مدينتك ولكن
فرغ لهم رستاقاً يكونون فيه فأرسل إليهم سموالي رستاقاً أفرغه لكم وأجلوني
أربعين يوماً ويقال عشرين يوماً وإن شئتم فرغت لكم شعب عصام بن عبد الله
الباھلي وكان قتيبة خلفه فيهم فقبلوا شعب عصام فأرسلوا إليه فرغه لنا قال
نعم وليس لكم على عقد ولا جوار حتى تدخلوه وإن أتكم العرب قبل أن

تدخلوه لم أمنعكم فرضوا ففرغ لهم الشعب وقد قيل إن ابن هبيرة بعث اليهم قبل ان يخرجوا من بلادهم يسألهم أن يقيموا ويستعمل عليهم من أحبوا فأبوا وخرجوا الى خجندة وشعب عصام من رستاق أسفرة وأسفرة يومئذ ولي عهد ملك فرغانة بيلاذا وبيلاذا أبو أبوجور ملكها وقيل قال لهم كارزنج أخيركم ثلاث خصال إن تركتموها هلكتم إن سعيدياً فارس العرب وقد وجه على مقدمته عبد الرحمن ابن عبد الله القشيري في حماة أصحابه فبيتوه فاقتلوه فإن الحرشي إذا أتاه خبره لم يغزكم فأبوا عليه قال فاقطعوا نهر الشاش فسلوهم ماذا تريدون فان أجابوكم وإلا مضيتم إلى سوياب قالوا لا قال فأعطوهم قال فارتحل كارزنج وجلنج بأهل قى وأبار بن ماخون وثابت بأهل اشتيخن وارتحل أهل يياركت وأهل سبسكت بألف رجل عليهم مناطق الذهب مع دهاقين بزماجن فارتحل الديواشني بأهل بنجيكث إلى حصن أبغر ولحق كارزنج وأهل السغد بخجندة

ثم دخلت سنة أربع ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

(في هذه السنة) كانت وقعة الحرشي بأهل السغد وقتله من قتل من دهاقينها

ذكر الخبر عن أمره وأمرهم في هذه الوقعة

ذكر علي عن أصحابه أن الحرشي غزا في سنة ١٠٤ فقطع النهر وعرض الناس ثم سار فنزل قصر الريح على فرسخين من الدبوسية ولم يجتمع إليه جنده قال فأمر الناس بالرحيل فقال له هلال بن عليم الخنظلي يا هناه إنك وزير أخير منك أميراً الأرض حرب شاعرة برجلها ولم يجتمع لك جنودك وقد أمرت بالرحيل قال فكيف لي قال تأمر بالنزول ففعل وخرج النيلان ابن عم ملك فرغانة إلى الحرشي وهو نازل على مغون فقال له إن أهل السغد بخجندة وأخبره خبرهم وقال عاجلهم قبل أن يصيروا إلى الشعب فليس لهم علينا جوار حتى يمضي الأجل فوجه الحرشي مع النيلان عبد الرحمن القشيري وزبياد بن عبد الرحمن

القشيري في جماعة ثم ندم على ما فعل فقال جاءني عالج لا أدري صدق أم كذب
فقررت بجند من المسلمين وارتحل في أثرهم حتى نزل في أشروسة فصالحهم
بشيء يسير فبينا هو يتعشى إذ قيل له هذا عطاء الدبوسي وكان فيمن وجهه مع
القشيري ففرع وسقطت اللقمة من يده ودعا بعطاء فدخل عليه فقال ويالك
قاتلتم أحداً فقال لا قال الحمد لله وتعشى وأخبره بما قدم له عليه فسار جواداً مغذاً
حتى لحق القشيري بعد ثلثة وسار فلما انتهى إلى خجندة قال للفضل بن بسام ما ترى
قال أرى المعالجة قال لا أرى ذلك إن جرح رجل فإلى أين يرجع أو قتل قيل
فإلى من يحمل ولكني أرى النزول والتأني والاستعداد للحرب فنزل فرفع الأبنية
وأخذ في التأهب فلم يخرج أحد من العدو فحين الناس الحرشي وقالوا كان هذا
يذكر بأسه بالعراق ورأيه فلما صار بخراسان ما قال فحمل رجل من العرب
فضرب باب خجندة بعمود ففتح الباب وقد كانوا حفروا في ربضهم وراء
الباب الخارج خندقاً وغطوه بقصب وعلوه بالتراب مكيدة وأرادوا إذا التقوا
إن انهزموا أن يكونوا قد عرفوا الطريق ويشكل على المسلمين فيسقطوا في
الخندق قال فلما خرجوا قاتلوهم فانهزموا واخطأ وهم الطريق فسقطوا في الخندق
فأخرجواهم من الخندق أربعين رجلاً على الرجل درعان وحصرم
الحرشي ونصب عليهم المجانيق فأرسلوا إلى ملك فرغانة غدرت بنا وسألوه أن
ينصرهم فقال لهم لم أغدر ولا أنصركم فانظروا لأنفسكم فقد أتوكم قبل انقضاء
الأجل ولستم في جوارى فلما أيسوا من نصره طلبوا الصلح وسألوا الأمان
وأن يردهم إلى السغد فاشترط عليهم أن يردوا من في أيديهم من نساء العرب
وذراريهم وأن يؤدوا ما كسروا من الخراج ولا يغتالوا أحداً ولا يتخلف منهم
بخجندة أحد فإن أحدثوا حدثاً حلت دماؤهم قال وكان السفير فيما بينهم موسى
ابن مشكان مولى آل بسام فخرج إليه كازنج فقال له إن لي حاجة أحب أن تشفعني
فيها قال وما هي قال أحب إن جنى منهم رجل جناية بعد الصلح أن لا تأخذني بما
جنى فقال الحرشي ولي حاجة فاتضها قال وما هي قال لا تلحقني في شرطي ما أكره

قال فأخرج الملوك والتجار من الجانب الشرقي وترك أهل خجندة الذين هم أهلها على حالهم فقال كارزنج للحرشي ما تصنع قال أخاف عليكم معرفة الجند قال وعظماؤهم مع الحرشي في العسكر نزلوا على معارفهم من الجند ونزل كارزنج على أيوب بن أبي حسان فبلغ الحرشي أنهم قتلوا امرأة من نسائك في أيديهم فقال لهم بلغني أن ثابتاً الأشتيخني قتل امرأة ودقها تحت حائط فجدوا فأرسل الحرشي إلى قاضي خجندة فنظر و إذا المرأة مقتولة قال فدعا الحرشي ثابت فأرسل كارزنج غلامه إلى باب السرادق ليأتيه بالخبر وسأل الحرشي ثابتاً وغيره عن المرأة فجد ثابت وتيقن الحرشي أنه قتلها فقتله فرجع غلام كارزنج إليه بقتل ثابت فجعل يقبض على لحيته ويقرضها بأسنانه وخاف كارزنج أن يستعرضهم الحرشي فقال لأيوب بن أبي حسان إني ضيفك و صديقك فلا يجعل بك أن يقتل صديقك في سراويل خلق قال فخذ سراويلي قال وهذا لا يجعل أقتل في سراويلاتكم فسرحت غلامك إلى جلنج ابن أخي يجيئوني بسراويل جديدة وكان قد قال لابن أخيه إذا أرسلت إليك أطلب سراويل فاعلم أنه القتل فلما بعث بسراويل أخرج فرندة خضراء فقطعها عصاب وعصبا برؤوس شاكريته ثم خرج هو وشاكريته فاعترض الناس فقتل ناساً ومر يحيى بن حنين فنفحه نفحة على رجله فلم يزل يجمع منها وتضعض أهل العسكر ولقي الناس منه شراً حتى انتهى إلى ثابت بن عثمان بن مسعود في طريق ضيق فقتله ثابت بسيف عثمان بن مسعود وكان في أيدي السغد أسراء من المسلمين قتلوا منهم خمسين ومائة ويقال قتلوا منهم أربعين قال فأقلت منهم غلام فأخبر الحرشي ويقال بل أتاه رجل فأخبره فسألهم فجدوا فأرسل إليهم من علم عليهم فوجد الخبر حقا فأمر بقتلهم وعزل التجار عنهم وكان التجار أربع مائة كان معهم مال عظيم قدموا به من الصين قال فامتنع أهل السغد ولم يكن لهم سلاح فقاتلوا بالخشب فقتلوا عن آخرهم فلما كان الغد دعا الحرايين ولم يعلموا ما صنع أصحابهم فكان يختم في عنق الرجل ويخرج من حائط إلى حائط فيقتل وكانوا ثلاثة آلاف ويقال سبعة آلاف فأرسل جرير بن هميان والحسن بن أبي العمرطة ويزيد بن

أبي زيب فأحصوا أموال التجار وكانوا اعتزلوا وقالوا لا نقاتل فاصطنى أموال
السغد وذراريهم فأخذ منه ما أعجبه ثم دعا مسلمُ بديل العدوى عدى الرباب فقال
قد وليتك المقسم قال بعد ما عمل فيه عمالك ليلة ولته غيرى فولاه عبيد الله بن زهير
ابن حيان العدوى فأخرج الخمس وقسم الأموال وكتب الحرشى إلى يزيد بن
عبد الملك ولم يكتب إلى عمر بن هبيرة فكان هذا ما وجد فيه عليه عمر بن هبيرة
فقال ثابت قطنة يذكر ما أصابوا من عظائمهم

أقرَّ العَيْنُ مَصْرَعُ كَارِزْنَجٍ وَكَشْكِيشٍ وَمَا لَاقَى يَارُ
وَدِيَوَاشِنِي وَمَا لَاقَى جَلَنْجُجٍ بِمِحْصِنٍ خُجَنْدٍ إِذْ دَمَرُوا فَبَارُوا

ويروى أقر العين مصرع كارزنج وكشكيش ويقال إن ديواشنى دهقان أهل
سمرقند واسمه ديواشنج فأعربوه ديواشنى ويقال كان على أقباض خجندة علباء
ابن أحمريشكرى فاشترى رجلاً من جونه بدرهمين فوجد فيها سبائك ذهب فرجع
وهو واضع يده على لحيته كأنه رمد فرد الجونة وأخذ الدرهمين فطلب فلم يوجد
قال وسرح الحرشى سليمان بن أبي السرى مولى بنى عوافة إلى قلعة لا يطيف بها
وإلى السغد إلا من وجه واحد ومعه شوكر بن حميك وخوارزم شاه وعورم
صاحب آخرون وشومان فوجه سليمان بن أبي السرى على مقدمته المسيب بن بشر
الرياحى فتلقوه من القلعة على فرسخ فى قرية يقال لها كوم فهزمهم المسيب حتى
ردم إلى القلعة فحصرهم سليمان ودهقانها يقال له ديواشنى قال فكتب إليه الحرشى
فعرض عليه أن يمدّه فأرسل إليه ملتقانا ضيق فسر إلى كس فإنا فى كفاية الله
إن شاء الله فطلب الديواشنى أن ينزل على حكم الحرشى وأن يوجهه مع المسيب
ابن بشر إلى الحرشى فوفى له سليمان ووجهه إلى سعيد الحرشى فألطفه وأكرمه
مكيدة فطلب أهل القلعة الصلح بعد مسيره على أن لا يعرض لمائة أهل بيت منهم
ونسائهم وأبنائهم ويسلبون القلعة فكتب سليمان إلى الحرشى أن يبعث الأماناء
فى قبض ما فى القلعة قال فبعث محمد بن عزيز الكندى وعلباء بن أحمريشكرى
فباعوا ما فى القلعة مزايده فأخذ الخمس وقسم الباقي بينهم وخرج الحرشى إلى كس

فصالحوه على عشرة آلاف رأس ويقال صالح دهقان كس واسمه ويك على ستة
آلاف رأس يوفيه في أربعين يوماً على أن لا يأتيه فلما فرغ من كس خرج إلى
ربنجن فقتل الديواشني وصلبه على ناوس وكتب على أهل ربنجن كتاباً بمائة
إن فقد من موضعه وولى نصر بن سيار قبض صلح كس ثم عزل سورة بن الحر
وولى نصر بن سيار واستعمل سليمان ابن أبي السري على كس ونسف حربها
وخارجها وبعث برأس الديواشني إلى العراق ويده اليسرى إلى سليمان بن أبي
السري إلى طخارستان قال وكانت خزار منيعة فقال المجشربن مزاحم لسعيد بن عمرو
الحرشي ألا أدلك على من يفتحها لك بغير قتال قال بلى قال المسربل بن الخريت
ابن راشد الناجي فوجه إليها وكان المسربل صديقاً للملكها واسم الملك سبقرى وكانوا
يحبون المسربل فأخبر الملك ما صنع الحرشي بأهل خجندة وخوفه قال فماترى قال أرى
أن تنزل بأمان قال فما أصنع بمن لحق بي من عوام الناس قال نصيرهم معك في أمانك
فصالحهم فأمنوه وبلاده قال ورجع الحرشي إلى مرو ومعه سبقرى فلما نزل أسنان
وقدم مهاجر بن يزيد الحرشي وأمره أن يوافيه بيرزون بن كشانيشاه قتل سبقرى
وصلبه ومعه أمانه ويقال كان هذا دهقان ابن ماجر قدم على ابن هبيرة فأخذ
أماناً لأهل السغد فحبسه الحرشي في قهندزمر فلما قدم مرو دعا به وقتله وصلبه
في الميدان فقال الراجز :

إذا سَعِيدٌ سَارَ في الأَخماسِ في رَهَجٍ يَأْخُذُ بالأنفاسِ
دارت على التُّرْكِ أمرُ الكاسِ وطارتِ التُّرْكُ على الإحلايسِ
ولو فرارًا عَطَلَّ القياسِ

(وفي هذه السنة) عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك بن
قيس الفهرى عن المدينة ومكة وذلك للنصف من شهر ربيع الأول وكان عامه
على المدينة ثلاث سنين (وفيها) ولى يزيد بن عبد الملك المدينة عبد الواحد النضرى

ذكر الخبر عن سبب عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك

عن المدينة وما كان ولاه من الأعمال

وكان سبب ذلك فيما ذكر محمد بن عمر عن عبد الله بن محمد بن أبي يحيى قال
خطب عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري فاطمة ابنة الحسين فقالت والله
ما أريد النكاح ولقد قعدت على بنى هؤلاء وجعلت تحاجره وتكره أن تنابذه
لما تخاف منه قال وألح عليها وقال والله لئن لم تفعلى لأجلدن أكبر بئيك فى الخمر
يعنى عبد الله بن الحسن فىنا هو كذلك وكان على ديوان المدينة ابن هرمز رجل
من أهل الشام فكتب إليه يزيد أن يرفع حسابه ويدفع الديوان فدخل على فاطمة
بنت الحسين يودعها فقال هل من حاجة فقالت تخبر أمير المؤمنين بما ألقى من
ابن الضحاك وما يتعرض متى قال وبعثت رسولا بكتاب إلى يزيد تخبره وتذكر
قربتها ورحمها وتذكر ما ينال ابن الضحاك منها وما يتوعد بها به قال فقدم ابن هرمز
والرسول معا قال فدخل ابن هرمز على يزيد فاستخبره عن المدينة وقال هل كان
من مغربة خبر فلم يذكر ابن هرمز من شأن ابنة الحسين فقال الحاجب أصلح
الله الأمير بالباب رسول فاطمة بنت الحسين فقال ابن هرمز أصلح الله الأمير
إن فاطمة بنت الحسين يوم خرجت حملتى رسالة إليك فأخبره الخبر قال فنزل
من أعلى فراشه وقال لا أم لك ألم أسألك هل من مغربة خبر وهذا عندك لا تخبرني
قال فاعتذر بالنسيان قال فأذن للرسول فأدخله فأخذ الكتاب فاقرأه قال وجعل
يضرب بخيزران فى يديه وهو يقول لقد اجترأ ابن الضحاك هل من رجل يسمعى
صوته فى العذاب وأنا على فراشى قيل له عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضرى
قال فدعا بقرطاس فكتب بيده إلى عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضرى
وهو بالطائف سلام عليك . أما بعد فإني قد وليتك المدينة فإذا جاءك كتابي هذا
فاهبط واعزل عنها ابن الضحاك وأغرمه أربعين ألف دينار وعذبه حتى أسمع
صوته وأنا على فراشى قال وأخذ البريد الكتاب وقدم به المدينة ولم يدخل على
ابن الضحاك وقد أوجست نفس ابن الضحاك فأرسل إلى البريد فكشف له عن

طرف المفرش فإذا ألف دينار فقال هذه ألف دينار لك ولك العهد والميثاق
لئن أنت أخبرتني خبر وجهك هذا دفعتها إليك فأخبره فاستنظر البريد ثلاثاً حتى
يسير ففعل ثم خرج ابن الضحاك فأغذ السير حتى نزل على مسلة بن عبد الملك
فقال أنا في جوارك فغدا مسلة على يزيد فرقه وذكر حاجة جاء لها
فقال كل حاجة تكلمت فيها هي في يدك ما لم يكن ابن الضحاك فقال هو والله
ابن الضحاك فقال والله لا أعفيه أبداً وقد فعل ما فعل قال فرده إلى المدينة
إلى النضرى قال عبد الله بن محمد فرأيتُه في المدينة عليه جبة من صوف
يسأل الناس وقد عذب ولقي شراً وقد قدم النضرى يوم السبت للنصف من شوال
سنة ١٠٤ (قال) محمد بن عمر حدثني إبراهيم بن عبد الله بن أبي فروة عن الزهري
قال قلت لعبد الرحمن بن الضحاك إنك تقدم على قومك وهم ينكرون كل شيء
خالف فعلهم فالزم ما أجمعوا عليه وشاور القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله فإنهما
لا يألونك رشداً قال الزهري فلم يأخذ بشيء من ذلك وعادى الأنصار طراً
وضرب أبا بكر بن حزم ظالماً وعدواناً في باطل فما بقي منهم شاعر إلا هجاه
ولا صالح إلا عابه وأتاه بالقيح فلما ولي هشام رأيتُه ذليلاً وولي المدينة عبد الواحد
ابن عبد الله بن بشر فأقام بالمدينة لم يقدم عليهم وال أحب عليهم منه وكان يذهب
مذاهب الخير لا يقطع أمراً إلا استشار فيه القاسم وسالم (وفي هذه السنة)
غزا الجراح بن عبد الله الحكمي وهر أمير على أرمينية وأذربيجان أرض الترك
ففتح على يديه بلنجرم وهزم الترك وخرقهم وعامة ذراريمهم في الماء وسبوا
ماشأوا وفتح الحصون التي تلي بلنجر وجلا عامة أهلها (وفيها) ولد فيما ذكر
أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي في شهر ربيع الآخر (وفيها) دخل أبو محمد
الصادق وعدة من أصحابه من خراسان إلى محمد بن علي وقد ولد أبو العباس قبل
ذلك بخمس عشرة ليلة فأخرجه إليهم في خرقة وقال لهم والله ليتمن هذا الأمر
حتى تدركوا ثأركم من عدوكم (وفي هذه السنة) عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو
الحرشي عن خراسان وولاهما مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي

ذكر الخبر عن سبب عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمر الحرشي عن خراسان ذكر أن سبب ذلك كان من موجدة وجدها عمر على الحرشي في أمر الديواشني وذلك أنه كان كتب إليه يأمره بتخليته وقتله وكان يستخف بأمر ابن هبيرة وكان البريد والرسول إذا ورد من العراق قال له كيف أبو المثنى ويقول لكاتبه اكتب إلى أبي المثنى ولا يقول الأمير ويكثر أن يقول قال أبو المثنى وفعل أبو المثنى فباغ ذلك ابن هبيرة فدعا جميل بن عمران فقال له بلغني أشياء عن الحرشي فاخرج إلى خراسان وأظهر أنك قدمت تنظر في الدواوين واعلم لي علمه فقدم جميل فقال له الحرشي كيف تركت أبو المثنى فجعل ينظر في الدواوين فقبل للحرشي ما قدم جميل لينظر في الدواوين وما قدم الا يعلم عليك فسم بطيخة وبعث بها إلى جميل فأكلها فمرض وتساقت شعره ورجع إلى ابن هبيرة فعولج واستبل وصح فقال لابن هبيرة الأمر أعظم مما بلغتك ما يرى سعيد إلا أنك عامل من عماله فغضب عليه وعزله وعذبه ونفح في بطنه النمل وكان يقول حين عزله لو سألتني عمر درهما يضعه في عينه ما أعطيته فلما عذب أدى فقال له رجل ألم تزعم أنك لا تعطيه درهما قال لا تعنفي إنه لما أصابني الحديد جزعت فقال أذينة بن كليب أو كليب بن أذينة

تَصَبَّرَ أَبَا يَحْيَى فَقَدْ كُنْتَ عَلِمْنَا صَبُورًا وَنَهَاضًا بِثِقَلِ الْمَغَارِمِ

وقال علي بن محمد إنما غضب عليه ابن هبيرة أنه وجه معقل بن عروة إلى هراة إما عاملا وإما في غير ذلك من أموره فنزل قبل أن يمر على الحرشي وأتى هراة فلم ينفدله ما قدم فيه وكتب إلى الحرشي فكتب الحرشي إلى عامله أن احمل إلى معقلا حمله فقال له الحرشي ما منعك من إتياني قبل أن تأتي هراة قال أنا عامل لابن هبيرة ولاني كما ولاك فضر به مائتين وحلقه فعزله ابن هبيرة واستعمل على خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة فكتب إلى الحرشي يلخنه فقال له سعيد بل هو ابن اللخناء وكتب إلى مسلم أن احمل إلى الحرشي مع معقل بن عروة فدفعه إليه فأساء به وضيق عليه ثم أمره يوما فعذبه وقال اقتله بالعذاب فلما أمسى ابن هبيرة سمر فقال من سيد قيس قالوا الأمير قال دعوا هذا سيد قيس الكوثر

ابن زفرلوبوق بليل لو افاه عشرون ألفا لا يقولون لما دعوتنا ولا يسألونه وهذا الحمار الذي في الحبس قد أمرت بقتله فارسها وأما خير قيس لها فعسى أن أكونه إنه لم يعرض إلى أمر أرى أنى أقدر فيه على منفعة وخير إلا جررته إليهم فقال له أعرابي من بني فزارة ما أنت كما تقول لو كنت كذلك ما أمرت بقتل فارسها فأرسل إلى معقل أن كف عما كنت أمرتك به قال علي قال مسلم بن المغيرة لما هرب ابن هبيرة أرسل خالد في طلبه سعيد بن عمرو والحريش فلحقه بموضع من الفرات يقطعه إلى الجانب الآخر في سفينة وفي صدر السفينة غلام لابن هبيرة يقال له قبيض فعرفه الحريش فقال له قبيض قال نعم قال أفي السفينة أبو المثنى قال نعم قال نخرج اليه ابن هبيرة فقال له الحريش أبا المثنى ما ظنك بي قال ظني بك أنك لا تدفع رجلا من قومك إلى رجل من قريش قال هو ذاك قال فالتجأ قال علي قال أبو اسحاق بن ربيعة لما حبس ابن هبيرة الحريش دخل عليه معقل بن عروة القشيري فقال أصلح الله الأمير قيدت فارس قيس وفضحتة وما أنا براض عنه غير أني لم أحب أن تبلغ منه ما بلغت قال أنت بيني وبينه قدمت العراق فوليته البصرة ثم وليته خراسان فبعث إلى يبرذون حطم واستخف بأمرى وخان فعزلته وقلت له يا ابن نسعة فقال لي يا ابن بسرة فقال معقل وفضل ابن الفاعلة ودخل على الحريش السجن فقال يا ابن نسعة أمك دخلت واشتريت بثمانين عنزاً جرباً كانت مع الرعاء ترادفها الرعاء مطية الصادر والوارد تجعلها نذاً لبنت الحارث بن عمرو بن حرجة وافترى عليه فلما عزل ابن هبيرة وقدم خالد العراق استعدى الحريش على معقل ابن عروة وأقام البيعة أنه قدفه فقال للحريش اجلده فحده وقال لولا أن ابن هبيرة وهن في عضدي لنقبت عن قلبك فقال رجل من بني كلاب لمعقل أسأت إلى ابن عمك وقدفته فأداله الله منك فصرت لاشهادة لك في المسلمين وكان معقل حين ضرب الحد قدف الحريش أيضا فأمر خالد بإعادة الحد فقال القاضي لا يحد قال وأم عمر بن هبيرة بسرة بنت حسان عدوية من عدى الرباب (وفي هذه السنة) ولى عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة بن عمرو بن خويلد الصعق خراسان

بعدما عزل سعيد بن عمر والحرشي عنها

ذكر الخبر عن سبب توليته إياها

(ذكر علي بن محمد) أن أبا الذيال وعلي بن مجاهد وغيرهما حدثوه قالوا لما قتل سعيد بن أسلم ضم الحجاج ابنه مسلم بن سعيد مع ولده فتأدب ونبل فلما قدم عدى بن أرطاة أراد أن يوليه فشاور كاتبه فقال وله ولاية خفيفة ثم ترفعه فولاه ولاية فقام بها وضبطها وأحسن فلما وقعت فتنة يزيد بن المهلب حمل تلك الأموال إلى الشام فلما قدم عمر بن هبيرة أجمع على أن يوليه ولاية فدعاه ولم يكن شاب بعد فنظر فرأى شيبه في لحية فكبر قال ثم سمر ليلة ومسلم في سمره فتخلف مسلم بعد السمارو في يد ابن هبيرة سفر جلة فرمى بها وقال أيسرك أن أوليك خراسان قال نعم قال غدوة إن شاء الله قال فلما أصبح جلس ودخل الناس فعقد لمسلم على خراسان وكتب عهده وأمره بالسير وكتب إلى عمال الخراج أن يكتبوا مسلم ابن سعيد ودعا بجبله بن عبد الرحمن مولى باهلة فولاه كرمان فقال جبله ما صنعت بي الملووية كان مسلم يذبحني يطمع أن ألي ولاية عظيمة فأوليه كورة فعقد له على خراسان وعقد لي على كرمان قال فسار مسلم فقدم خراسان في آخر سنة ١٠٤ أو ١٠٣ نصف النهار فوافق باب دار الإمارة مغلقاً فأتى دار الدواب فوجد الباب مغلقاً فدخل المسجد فوجد باب المقصورة مغلقاً فصلى وخرج وصيف من باب المقصورة فقيل له الأمير فشى بين يديه حتى أدخله مجلس الوالي في دار الإمارة وأعلم الحرشي وقيل له قدم مسلم بن سعيد بن أسلم فأرسل إليه أقدمت أميراً أو وزيراً أو زائراً فأرسل إليه مثلي لا يقدم خراسان زائراً ولا وزيراً فأتاه الحرشي فشتته وأمر بحبسه فقيل له إن أخرجته نهراً قتل فأمر بحبسه عنده حتى أمسى ثم حبسه ليلاً وقيده ثم أمر صاحب السجن أن يزيد قيدا فأتاه حزينا فقال مالك فقال أمرت أن أزيدك قيدا فقال لكاتبه اكتب إليه إن صاحب سجنك ذكر أنك أمرته أن يزيدني قيدا فان كان أمرا من فوقك، فسمعا وطاعة وإن كان رأيا رأيت فسيرك المحققة وتمثل

مُ إِنْ يَثْقُونِي يَقْتُلُونِي وَمَنْ أَثَقَفَ فَلَيْسَ إِلَى خُلُودِ
 وَيُرْوَى: فِيمَا تَثْقُونِي فَاقْتُلُونِي فَمَنْ أَثَقَفَ فَلَيْسَ إِلَى خُلُودِ
 هُمُ الْأَعْدَاءُ إِنْ شَهِدُوا وَغَابُوا أُولُو الْأَحْقَادِ وَالْأَكْبَادُ سَوْدُ
 أَرِيغُونِي إِرَاغَتِكُمْ فَإِنِّي وَحِدَقَةٌ كَالشَّجَا تَحْتَ الْوَرِيدِ

ويروى: أريدوني إرادتكم، قال وبعث مسلم على كوره رجلا من قبله على حربها
 قال وكان ابن هبيرة حريصاً أخذ قهر ماناً ليزيد بن المهلب له علم بخراسان وبأشرفهم
 فحبسه فلم يدع منهم شريفاً إلا قره فبعث أبا عبيدة العنبري ورجلا يقال له خالد
 وكتب إلى الحرشي وأمره أن يدفع الذين سماهم إليه يستأديهم فلم يفعل فرد رسول
 ابن هبيرة فلما استعمل ابن هبيرة مسلم بن سعيد أمره بحماية تلك الأموال فلما قدم
 مسلم أراد أخذ الناس بتلك الأموال التي قرفت عليهم فقبل له إن فعلت هذا هؤلاء
 لم يكن لك بخراسان قرار وإن لم تعمل في هذا حتى توضع عنهم فسدت عليك
 وعليهم خراسان لأن هؤلاء الذين تريد أن تأخذهم بهذه الأموال أعيان البلد
 قرفوا بالباطل إنما كان على مهزم بن جابر ثلثمائة ألف فزادوا مائة ألف فصارت
 أربعمائة ألف وعامة من سموا لك بمن كثر عليه بمنزله فكذب مسلم بذلك إلى ابن
 هبيرة وأوفد وفداً فيهم مهزم بن جابر فقال له مهزم بن جابر أيها الأمير إن الذي
 رفع إليك الظلم والباطل ما علينا من هذا كله لو صدق إلا القليل الذي لو أخذنا به
 أديناه فقال ابن هبيرة إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها فقال
 اقرأ ما بعدها وإذا حكمت بين الناس أن تحكموا بالعدل فقال ابن هبيرة لا بد من
 هذا المال قال أما والله لئن أخذته لتأخذنه من قوم شديدة شوكتهم ونكايتهم في
 عدوك وليضرن ذلك بأهل خراسان في عدتهم وكراعهم وحلقهم ونحن في ثغر
 نكابد فيه عدواً لا ينقضي حربهم إن أحدنا ليلبس الحديد حتى يخلص صداه إلى
 جلده حتى إن الخادم التي تخدم الرجل لتصرف وجهها عن مولاها وعن الرجل
 الذي تخدمه لريح الحديد وأنتم في بلادكم متفضلون في الرقاق وفي المعصرة والذين
 قرفوا بهذا المال وجوه أهل خراسان وأهل الولايات والكلف العظام

في المغازي وقبلنا قوم قدموا علينا من كل فج عميق فجاءوا على الحرامات فولوا الولايات
فاقتطعوا الأموال فهي عندهم موقرة جمعة فكتب ابن هبيرة إلى مسلم بن سعيد بما
قال الوفد وكتب إليه أن استخراج هذه الأموال ممن ذكر الوفد أنها عندهم فلما
أتى مسلماً كتاب ابن هبيرة أخذ أهل العهد بتلك الأموال وأمر حاجب بن عمرو
الحارثي أن يعذبهم ففعل وأخذ منهم ما قرأ عليهم (و حجب) بالناس في هذه السنة
عبد الواحد بن عبد الله النضري كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق
ابن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وكان العامل على مكة والمدينة
والطائف في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضري وعلى العراق والمشرق
عمر بن هبيرة وعلى قضاء الكوفة حسين بن الحسن الكندي وعلى قضاء البصرة
عبد الملك بن يعلى

ثم دخلت سنة خمس ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك غزوة الجراح بن عبد الله الحكمي اللان حتى جاز ذلك
إلى مدائن وحصون من وراء بآنجر ففتح بعض ذلك وجلى عنه بعض أهله وأصاب
غنائم كثيرة (وفيها) كانت غزوة سعيد بن عبد الملك أرض الروم فبعث سرية
في نحو من ألف مقاتل فأصيبوا فيها ذكر جميعاً (وفيها) غزا مسلم بن سعيد الترك
فلم يفتح شيئاً فقفل ثم غزا أفشينة مدينة من مدائن السغد بعد في هذه السنة
فصالح ملكها وأهلها

ذكر الخبر عن ذلك

(ذكر علي بن محمد) عن أصحابه أن مسلم بن سعيد مرزب بهرام سيس فجعله
المرزبان وإن مسلماً غزا في آخر الصيف من سنة ١٠٥ فلم يفتح شيئاً وقفل فاتبعه
الترك فلحقوه والناس يعبرون نهر بلخ وتميم على الساقه وعبيد الله بن زهير بن حيان
على خيل تميم فحاموا عن الناس حتى عبروا ومات يزيد بن عبد الملك وقام هشام

وغزا مسلم أفشين فصالح ملكها على ستة آلاف رأس ودفع اليه القلعة فانصرف
تمام سنة ١٠٥ (وفي هذه السنة) مات الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان الخنس
ليال بقين من شعبان منها حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن
عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي (وقال الواقدي) كانت وفاته بيلقاء من
أرض دمشق وهو يوم مات ابن ثمان وثلاثين سنة وقال بعضهم كان ابن أربعين سنة
وقال بعضهم ابن ست وثلاثين سنة فكانت خلافته في قول أبي معشر وهشام بن
محمد وعلي بن محمد أربع سنين وشهر او في قول الواقدي أربع سنين وكان يزيد بن
عبد الملك يكنى أبا خالد كذلك قال أبو معشر وهشام بن محمد والواقدي وغيرهم وقال
علي بن محمد توفي يزيد بن عبد الملك وهو ابن خمس وثلاثين سنة أو أربع وثلاثين
سنة في شعبان يوم الجمعة لخمس بقين منه سنة ١٠٥ قال ومات بأربد من أرض البلقاء
وصلى عليه ابنه الوليد وهو ابن خمس عشرة سنة وهشام بن عبد الملك يومئذ بمصر
حدثني بذلك عمر بن شبة عن علي (وقال هشام بن محمد) توفي يزيد بن عبد الملك وهو
ابن ثلاث وثلاثين سنة (قال علي) قال أبو معاوية أو غيره من اليهود ليزيد بن
عبد الملك إنك تملك أربعين سنة فقال رجل من اليهود كذب لعنه الله إنما رأى أنه
يملك أربعين قصبه والقصبه شهر فجعل الشهر سنة

ذكر بعض سيره وأموره

❁ حدثني عمر بن شبة قال حدثنا علي قال كان يزيد بن عاتكة من فتيانهم فقال
يوما وقد طرب وعنده حباة وسلامة دعوتني أظير فقالت حباة إلى من تدع
الامة فلما مات قالت سلامة القس

لا تَلْنَا - إن خَشَعْنَا أو هَمَمْنَا بالخشوع -
قد كَعَمِرِي بِتِ لَيْلِي كأخِي الدَّاءِ الوَجِيعِ -
ثم باتَ الهَمُّ مِنِّي دونَ مَنْ لِي مِن ضَجِيعِ
للذي حلَّ بنا اليو مَ من الأمرِ الفَظِيعِ -
كلما أَبْصَرْتُ رَبَعًا خالِيًا فَاضَتْ دُمُوعِي

قد خلا من سيديكا ن لنا غير مضيج

ثم نادى وأمر المؤمنين والشعر لبعض الأنصار (قال علي) حج يزيد ابن عبد الملك في خلافة سليمان بن عبد الملك فاشترى حباة وكان اسمها العالية بأربعة آلاف دينار من عثمان بن سهل بن خنيفة فقال سليمان هممت أن أحجر علي يزيد فرد يزيد حباة فاشتراها رجل من أهل مصر فقالت سعدة ليزيد يا أمير المؤمنين هل بقي من الدنيا شيء تتمناه بعد قال نعم حباة فأرسلت سعدة رجلا فاشتراها بأربعة آلاف دينار فصنعها حتى ذهب عنها كلال السفر فأتت بها يزيد فأجلستها من وراء الستر فقالت يا أمير المؤمنين أبقى شيء من الدنيا تتمناه قال ألم تسألني عن هذا مرة فأعلمتك فرفعت الستر وقالت هذه حباة وقامت وخطها عنده فخطت سعدة عند يزيد وأكرمها وحباها وسعدة امرأة يزيد وهي من آل عثمان بن عفان (قال علي) عن يونس بن حبيب إن حباة جارية يزيد ابن عبد الملك غنت يوما

بين التراقي واللاهة حرارة ما تظمن وما تسوغ فتبرد

فأهوى ليطير فقالت يا أمير المؤمنين إن لنا فيك حاجة فرضت وثقلت فقال كيف أنت يا حباة فلم تجبه فبكى وقال
لئن تسل عنك النفس أو تذهل الهوى
فباليأس يسلو القلب لا بالتجديد
وسمع جارية لها تمثل

كني حزنا بالهائم الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة فقرا
فكان يتمثل بهذا (قال عمر) قال علي مكث يزيد بن عبد الملك بعد موت حباة سبعة أيام لا يخرج إلى الناس أشار عليه بذلك مسلمة وخاف أن يظهر منه شيء يسفه عند الناس

خلافة هشام بن عبد الملك

(وفي هذه السنة) استخلف هشام بن عبد الملك ليلال بقين من شعبان منها

وهو يوم استخلف ابن أربع وثلاثين سنة وأشهر ١٠٠٠ مئتي عمر بن شبة قال حدثني
عليّ قال حدثنا أبو محمد القرشيّ وأبو محمد الزبديّ والمنهال بن عبد الملك وسحيم
ابن حفص العجينيّ قالوا ولد هشام بن عبد الملك عام قتل مصعب بن الزبير سنة
٧٢ وأمه عائشة بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله
ابن عمر بن مخزوم وكانت حمقاء أمرها أهلها أن لا تكلم عبد الملك حتى تلد وكانت
تثني الوسائد وتركب الوسادة وتزجرها كأنها دابة وتشترى الكندر فتمضغه
وتعمل منه تماثيل وتضع التماثيل على الوسائد وقد سمت كل تماثيل باسم جارية
وتنادى يافلانة ويافلانة فطلقها عبد الملك لحقها وسار عبد الملك إلى مصعب فقتله
فلما قتله بلغه مولد هشام فسماه منصورا يتفاهل بذلك وسمته أمه باسم أبيها هشام
فلم ينكر ذلك عبد الملك وكان هشام يكنى أبا الوليد و ذكر محمد بن عمر عن
حدثه أن الخلافة أتت هشاما وهو بالزيتونة في منزله في دويرة له هناك (قال
محمد بن عمر) وقد رأيتها صغيرة فجاءه البريد بالعصا والخاتم وسلم عليه بالخلافة
فركب هشام من الرصافة حتى أتى دمشق (وفي هذه السنة) قدم بكير بن ماهان
من السند وكان بهامع الجنيد بن عبد الرحمن ترجمانا له فلما عزل الجنيد بن عبد الرحمن
قدم الكوفة ومعه أربع لبنات من فضة ولبنة من ذهب فأتى أبا بكرمة الصادق
وميسرة ومحمد بن خنيس وسالما الآعين وأبا يحيى مولى بني سلية فذكروا له أمر
دعوة بني هاشم فقبل ذلك ورضيه وأنفق مامعه عليهم ودخل إلى محمد بن علي
ومات ميسرة فوجه محمد بن علي بكير بن ماهان إلى العراق مكان ميسرة فأقامه
مقامه (وحج) بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل والنضريّ
على المدينة قال الواقديّ حدثني إبراهيم بن محمد بن شرحبيل عن أبيه قال كان
إبراهيم بن هشام بن إسماعيل حج فأرسل إلى عطاء بن رباح متى أخطب بمكة قال
بعد الظهر قبل التروية يوم نخطب قبل الظهر وقال أمرني رسول بهذا عن عطاء
فقال عطاء ما أمرته إلا بعد الظهر قال فاستحي إبراهيم بن هشام يومئذ وعدوه
منه جهلا (وفي هذه السنة) عزل هشام بن عبد الملك عمر بن هيرة عن العراق
وما كان إليه من عمل المشرق وولى ذلك كله خالد بن عبد الله القسريّ في

شوال ه ذكر محمد بن سلام الجمحي عن عبد القاهر بن السري عن عمر بن يزيد بن عمير الاسيدي قال دخلت على هشام بن عبد الملك وعنده خالد بن عبد الله القسري وهو يذكر طاعة أهل اليمن قال فصفقت تصفيقة بيدي دق الهواء منها فقلت تالله ما رأيت هكذا خطأ ولا مثله خطأ والله ما فتحت فتنه في الإسلام إلا بأهل اليمن هم قتلوا أمير المؤمنين عثمان وهم خلعوا أمير المؤمنين عبد الملك وإن سيوفنا لتقطر من دماء آل المهلب قال فلباقت تبغني رجل من آل مروان كان حاضراً فقال يا أخا بني تميم ورت بك زنادي قد سمعت مقاتلك وأمير المؤمنين مول خالدا العراق وليست لك بداره ذكر عبد الرزاق أن حماد بن سعيد الصنعاني قال أخبرني زياد بن عبيد الله قال أتيت الشام فاقتضت فينا أنا يوماً على الباب باب هشام إذ خرج علي رجل من عند هشام فقال لي من أنت يا قتي قلت يمان قال فمن أنت قلت زياد بن عبيد الله ابن عبد المدان قال فتبسم وقال قم إلى ناحية العسكر فقل لأصحابي ترحلوا فإن أمير المؤمنين قد رضى عني وأمرني بالمسير ووكل بي من يخرجني قال قلت من أنت يرحمك الله قال خالد بن عبد الله القسري قال ومُرهم يا قتي أن يعطوك مندبل ثيابي وبرذوني الأصفر فلما جُزئت قليلاً ناداني فقال يا قتي وإن سمعت بي قد وليت إلى العراق يوماً فألحق بي قال فذهبت إليهم فقلت إن الأمير قد أرسلني إليكم بأن أمير المؤمنين قد رضى عنه وأمره بالمسير فجعل هذا يحتضني وهذا يقبل رأسي فلما رأيت ذلك منهم قلت وقد أمرني أن تعطوني مندبل ثيابه وبرذونه الأصفر قالوا إي والله وكرامة قال فأعطوني مندبل ثيابه وبرذونه الأصفر فما أمسى بالعسكر أحد أجود ثياباً مني ولا أجود مركباً مني فلم ألبث إلا يسيراً حتى قيل قد ولي خالد العراق فركبني من ذلك هم فقال لي عريف لنا مالي أراك مهموماً قلت أجل قد ولي خالد كذا وكذا وقد أصبتُ ههنا رزيقاً عشت به وأخشى أن أذهب إليه فيتغير علي فيفوتني ههنا وههنا فقلت أدرى كيف أصنع فقال لي هل لك في خصلة قلت وما هي قال توكلني بأرزاقتك وتخرج فان أصبت ما تحب فلي أرزاقتك

وإلا رجعت فدفعتها إليك فقلت نعم وخرجت فلما قدمت الكوفة لبست من صالح ثيابي وأذن للناس فتركهم حتى أخذوا بمجالسهم ثم دخلت فقامت بالبواب فسلمت ودعوت وأثنت فرفع رأسه فقال أحسنت بالرحب والسعة فما رجعت إلى منزلي حتى أصبت ستمائة دينار بين نقد وعرض ثم كنت أختلفُ إليه فقال لي يوماً هل تكتب يا زياد فقلت أقرأ ولا أكتب أصلح الله الأمير فضرب يده على جبينه وقال إنا لله وإنا إليه راجعون سقط منك تسعة أعشار ما كنت أريده منك وبقي لك واحدة فيها غنى الدهر قال قلت أيها الأمير هل في تلك الواحدة من غلام قال وماذا حينئذ قلت تشتري غلاماً كاتباً تبعث به إلى فيعلمني قال هيات كبرت عن ذلك قال قلت كلا فاشترى غلاماً كاتباً حاسباً بستين ديناراً فبعث به إلى فأكبت على الكتاب وجعلت لا آتية إلا ليلاً فما مضت إلا خمس عشرة ليلة حتى كتبت ماشئت وقرأت ماشئت قال فاني عنده ليلة إذ قال ما أدري هل أنجحت من ذلك الأمر شيئاً قلت نعم أكتب ماشئت وأقرأ ماشئت قال إني أراك ظفرت منه بشيء يسير فأعجبك قلت كلا فرفع شاد كونه فاذا طومار فقال اقرأ هذا الطومار فقرأت ما بين طرفيه فاذا هو من عامله على الري فقال أخرج فقد وليتك عمله فخرجت حتى قدمت الري فأخذت عامل الخراج فأرسل إلى أن هذا أعرابي مجنون فان الأمير لم يول على الخراج عريباً قط وإنما هو عامل المعونة فقل له فليقرني على عملي وله ثلثمائة ألف قال فنظرت في عهدي فاذا أنا على المعونة فقلت والله لا انكسرت ثم كتبت إلى خالد إنك بعثتني على الري فظننت أنك جمعها لي فأرسل إلى صاحب الخراج أن أقره على عمله ويعطيني ثلثمائة ألف درهم فكتب إلى أن أقبل ما أعطاك واعلم أنك مغبون فأقمت بها ما أقمت ثم كتبت أني قد اشتقت إليك فارفعني إليك ففعل فلما قدمت عليه ولاني الشرطة وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف عبد الواحد بن عبد الله النضري وعلى قضاء الكوفة حسين بن حسن الكندي وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس وقد قيل إن هشاماً إنما استعمل خالد بن عبد الله القسري على العراق وخراسان

في سنة ١٠٦ وأن عامله على العراق وخراسان في سنة ١٠٥ كان عمر بن هبيرة

ثم دخلت سنة ست ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

(في هذه السنة) عزل هشام بن عبد الملك عن المدينة عبد الواحد بن عبد الله النضري وعن مكة والطائف وولى ذلك كله خاله ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي فقدم المدينة يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من جمادى الآخرة سنة ١٠٦ فكانت ولاية النضري على المدينة سنة وثمانية أشهر (وفيها) غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة (وفيها) غزا الحجاج بن عبد الملك اللان فصالح أهلها وأدوا الجزية (وفيها) ولد عبد الصمد بن علي في رجب (وفيها) مات الإمام طاووس مولى بجير بن ريسان الحميري بمكة وسالم بن عبد الله بن عمر فصلي عليهما هشام وكان موت طاووس بمكة وموت سالم بالمدينة ❀ حدثني الحارث قال حدثنا بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة قال مات سالم بن عبد الله سنة ١٠٥ في عقب ذى الحجة فصلي عليه هشام بن عبد الملك بالبيع فرأيت القاسم بن محمد بن أبي بكر جالساً عند القبر وقد أقبل هشام ما عليه إلا دراعة فوقف على القاسم فسلم عليه فقام إليه القاسم فسأله هشام كيف أنت يا أبا محمد كيف حالك قال بخير قال اني أحب والله أن يجعلكم بخير ورأى في الناس كثرة فضرب عليهم بعث أربعة آلاف فسمى عام الأربعة آلاف (وفيها استقضى ابراهيم بن هشام محمد بن صفوان الجمحي ثم عزله واستقضى الصلت الكندي (وفي هذه السنة) كانت الواقعة التي كانت بين المضرية واليمانية وربيعه بالبروقان من أرض بلخ (ذكر الخبر عن سبب هذه الواقعة)

وكان سبب ذلك فيما قيل أن مسلم بن سعيد غزا فقطع النهر وتباطأ الناس عنه وكان ممن تباطأ عنه البختری بن درهم فلما أتى النهر رد نصر بن سيار وسليم بن سليمان بن عبد الله بن خازم وبلعاء بن مجاهد بن بلعاء العنبري وأبا حفص بن وائل الخنظلي

وعقبة بن شهاب المازني وسالم بن ذؤابة إلى بلخ وعليهم جميعا نصر بن سيار وأمرهم أن يخرجوا الناس إليه فأحرق نصر باب البختری وزياد بن ظريف الباهلي فمنعهم عمرو بن مسلم من دخول بلخ وكان عليها وقطع مسلم بن سعيد النهر فنزل نصر البروقان فأتاه أهل صغانيان وأتاه مسلمة العُقفاني من بني تميم وحسان ابن خالد الأسدي كل واحد منهما في خمسمائة وأتاه سنان الأعرابي وزرعة ابن علقمة وسلمة بن أوس والحجاج بن هارون النيرى في أهل بيته وتجمعت بكر والأزد بالبروقان رأسهم البختری وعسكر بالبروقان على نصف فرسخ منهم فأرسل نصر إلى أهل بلخ قد أخذتم أعطياتكم فالحقوا بأمركم فقد قطع النهر فخرجت مضر إلى نصر وخرجت ربيعة والأزد إلى عمرو بن مسلم وقال قوم من ربيعة إن مسلم بن سعيد يريد أن يخلع فهو يكرهنا على الخروج فأرسلت تغلب إلى عمرو بن مسلم إنك منا وأنشدوه شعراً قاله رجل عزا باهلة إلى تغلب وكان بنو قتيبة من باهلة فقالوا إنا من تغلب فكرهت بكر أن يكونوا في تغلب فتكثرت تغلب فقال رجل منهم

زَعَمَتْ قَتَيْبَةُ أَنهَا مِنْ وَاثِلٍ نَسَبٌ بَعِيدٌ يَأْقَتِيْبَةُ فَأَصْعَدِي

وذكر أن بنى معن من الأزد يُدْعَوْنَ باهلة وذكر عن شريك بن أبي قيلة المعنى أن عمرو بن مسلم كان يقف على مجالس بنى معن فيقول إن لم تكن منكم ما نحن بعرب وقال عمرو بن مسلم حين عزاه التغلبي إلى بنى تغلب أما القرابة فلا أعرفها وأما المنع فإني سأمنعكم فسفر الضحاک بن مزاحم ويزيد بن المفضل الحداني وكلما نصرأ وناشداه فانصرف فحمل أصحاب عمرو بن مسلم والبختری على نصر ونادوا يال بكر وجالوا وكر نصر عليهم فكان أول قبيل رجل من باهلة ومع عمرو ابن مسلم البختری وزياد بن ظريف الباهلي فقتل من أصحاب عمرو بن مسلم في المعركة ثمانية عشر رجلاً وقتل كردان أخو الفُرائصة ومُسعدة ورجل من بكر ابن وائل يقال له إسحاق سوى من قتل في السكك وانهمزم عمرو بن مسلم إلى القصر وأرسل إلى نصر ابعت إلى بلعاء بن مجاهد فأتاه بلعاء فقال خذلى أمانا منه فأمنه

نصر وقال لولا أني أشمت بك بكر بن وائل لقتلتك ۞ وقيل أصابوا عمرو بن مسلم في طاحونة فأتوا به نصرأ في عنقه جبل فآمنه نصر وقال له ولزياد بن طريف والبختری ابن درّهم الحقوا بأمركم ۞ وقيل بل التقى نصر و عمرو بالبروقان فقتل من بكر بن وائل واليمن ثلاثون فقالت بكر علام تقاتل إخواننا وأميرنا وقد قربنا إلى هذا الرجل فأنكر قرابتنا فاعتزلوا وقاتلت الأزد ثم انهزموا ودخلوا حصنا فحصرهم نصر ثم أخذ عمرو بن مسلم والبختری أحد بنى عباد وزياد بن طريف الباهلي فضربهم نصر مائة مائة وحلق رؤسهم ولحاهم وألبسهم المسوح وقيل أخذ البختری في غيضة كان دخلها فقال نصر في يوم البروقان

أرى العين تجت في ابتدار وما الذي	يرد عليها بالدموع ابتدارها
فأنا بالوأي إذ الحرب شمرت	تحرق في شطر الخيسين نارها
ولكنني أدعو لها خندف التي	تطلع بالعبء الثقيل فقارها
وما حفظت بكر هنالك حلفها	فصار عليها عارقيس وعارها
فإن تك بكر بالعراق تنزرت	ففي أرض مرو عليها وازورارها
وقد جربت يوم البروقان وقعة	لخندف إذ حانت وأن بوارها
أتني لقيس في بجيلة وقعة	وقد كان قبل اليوم طال انتظارها

يعنى حين أخذ يوسف بن عمر خالدأ وعياله ۞ وذكر على بن محمد أن الوليد ابن مسلم قال قاتل عمرو بن مسلم نصر بن سيار فهزمه عمرو فقال لرجل من بني تميم كان معه كيف ترى أستاذ قومك يا أخا بني تميم يعيره بهزيمتهم ثم كرت تميم فهزموا أصحاب عمرو فأنجلى الرهج وبلعاء بن مجاهد في جمع من بني تميم يسلهم فقال التميمي لعمرو هذه أستاذ قومي قال وانهزم عمرو فقال بلعاء لأصحابه لا تقتلوا الأسرى ولكن جردوهم وجوبوا سراويلاتهم عن أديبارهم ففعلوا فقال بيان العنبري يذكر حربهم بالبروقان

أتاني ورّحلي بالمدينة وقعة	لآل تميم أرّجفت لمرجف
تظل عيون البريش بكر بن وائل	إذا ذكرت قتلى البروقان تذرّف

فَمُ أَسْلَبُوا لِلْمَوْتِ عَمْرُو بْنُ مَسْلَمٍ وَوَلَوْأَ شِلَالًا وَالْأَسْنَةُ تَرْعُفُ
وَكَانَتْ مِنَ الْفَتْيَانِ فِي الْحَرْبِ عَادَةً وَلَمْ يَصْبِرُوا عِنْدَ الْقِنَا الْمُتَقَصِّفِ

(وفي هذه السنة) غزا مسلم بن سعيد الترك فورد عليه عزله من خراسان
من خالد بن عبدالله وقد قطع النهر لحربهم وولاية أسد بن عبدالله عليها

ذكر الخبر عن غزوة مسلم بن سعيد هذه الغزوة

• ذكر علي بن محمد عن أشياخه أن مسلما غزا في هذه السنة فخطب الناس
في ميدان يزيد وقال ما أخلف بعدى شيئا أمّ عندي من قوم يتخلفون بعدى مخلقى
الرقاب يتواثبون الجدران على نساء المجاهدين اللهم افعل بهم وافعل وقد أمرت
نصرا ألا يجدمت خلفا لا قتله وما أرتى لهم من عذاب ينزله الله بهم يعنى عمرو بن مسلم
وأصحابه فلما صار ببخارى أتاه كتاب من خالد بن عبدالله القسرى بولايته على
العراق وكتب اليه أتمم غزاتك فسار إلى فرغانة فقال أبو الضحاك الرواحى
أحد بنى رواحة من بنى عبس وعداده في الأزد وكان ينظر في الحساب ليس على
متخلف العام معصية فتخلف أربعة آلاف وسار مسلم بن سعيد فلما صار بفرغانة
بلغه أن خاقان قد أقبل اليه وأتاه شميل أو شيبيل بن عبد الرحمن المازنى فقال
عايلت عسكر خاقان في موضع كذا وكذا فأرسل إلى عبدالله بن أبي عبدالله الكرماني
مولى بنى سليم فأمره بالاستعداد للمسير فلما أصبح ارتحل بالعسكر فسار ثلاث
مراحل في يوم ثم سار من غدحتى قطع وادى السبوح فأقبل إليهم خاقان وتوافت
اليه الخيل فأنزل عبد الله بن أبي عبد الله قوما من العرفاء والموالي فأغار الترك
على الذين أنزلهم عبد الله ذلك الموضع فقتلوه وأصابوا دواب بمسلم وقتل
المسيب بن بشر الرياحى وقتل البراء وكان من فرسان المهاب وقتل أخو غوزك
وثار الناس في وجوههم فأخرجوهم من العسكر ودفع مسلم لواءه إلى عامر بن
مالك الحماني ورحل بالناس فساروا ثمانية أيام وهم مطيفون بهم فلما كانت
الليلة التاسعة أراد النزول فشاور الناس فأشاروا عليه بالنزول وقالوا إذا
أصبحنا وردنا الماء والماء منا غير بعيد وإنك إن نزات المريج تفرق الناس في
الثمار وانتهب عسكرك فقال لسورة بن الحر يا أبا العلاء ماترى قال أرى ما رأى

الناس ونزلوا قال ولم يرفع بناء في العسكر وأحرق الناس ما ثقل من الآنية والأمتعة فحرقوا قيمة ألف ألف وأصبح الناس فساروا فوردوا الماء فإذا دون النهر أهل فرغانة والشاش فقال مسلم بن سعيد اعزم على كل رجل إلا اخترط سيفه ففعلوا فصارت الدنيا كلها سيوفاً فتركوا الماء وعبروا فأقام يوماً ثم قطع من غد وأتبعهم ابن الخاقان قال فأرسل حميد بن عبد الله وهو على الساقة إلى مسلم قف ساعة فإن خلني مائتي رجل من الترك حتى أقاتلهم وهو مثقل بجراحة فوقف الناس فعطف على الترك فأسر أهل السغد وقائدهم وقائد الترك في سبعة وانصرف البقية ومضى حميد ورُمى بنشابة في ركبته فمات وعطش الناس وقد كان عبد الرحمن بن نعيم العامري حمل عشرين قرية على إبله فلما رأى جهد الناس أخرجها فشربوا جرعاً واستسقى يوم العطش مسلم بن سعيد فأتوه بإناء فأخذه جابر أو حارثة بن كثير أخو سليمان بن كثير من فيه فقال مسلم دعوه فلما نازعني شربتي إلا من حر دَخَلَه فَأَتُوا خَجَنْدَةَ وَقَدْ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ وَجَهْدٌ فَانْتَشَرَ النَّاسُ فَإِذَا فَارِسَانُ يَسْأَلَانِ عَن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَعِيمٍ فَأَتِيَاهُ بِعَهْدِهِ عَلَى خِرَاسَانَ مِنْ أَسَدِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَأَقْرَأَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَسْلَباً فَقَالَ سَمِعاً وَطَاعَةً قَالَ وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ الْخِيَامَ فِي مَفَازَةِ آمَلٍ قَالَ وَكَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ غَنَى يَوْمَ الْعَطَشِ إِسْحَاقُ ابْنُ مُحَمَّدٍ الْغَدَّانِيُّ فَقَالَ حَاجِبُ الْفَيْلِ لثَابِتُ قَطْنَةُ وَهُوَ ثَابِتُ بْنُ كَعْبٍ

نَقَضَى الْأُمُورَ وَبَكَرٌ غَيْرُ شَاهِدِهَا بَيْنَ الْمَجَازِيفِ وَالسُّكَّانِ مَشْغُولٌ
مَا يَعْرِفُ النَّاسُ مِنْهُ غَيْرَ قَطْنَةَ وَمَا سِوَاهَا مِنَ الْآبَاءِ بِمَجْهُولٍ

وكان لعبد الرحمن بن نعيم من الولد نعيم وشديد وعبد السلام وإبراهيم والمقداد وكان أشدهم نعيم وشديد فلما عزل مسلم بن سعيد قال الخزرج التغلبي قاتلنا الترك فأحاطوا بالمسلمين حتى أيقنوا بالهلاك فنظرت اليهم وقد اصفرت وجوههم فحمل حوثر بن يزيد بن الحر بن الحنيف بن نصر بن يزيد ابن جمونة على الترك في أربعة آلاف فقاتلهم ساعة ثم رجع وأقبل نصر بن سيار في ثلاثين فارساً فقاتلهم حتى أزالهم عن مواضعهم وحمل الناس عليهم فانهمز

الترك قال وحوثرة هذا هو ابن أخي رقة بن الحر قال وكان عمر بن هبيرة قال
لمسلم بن سعيد حين ولاء خراسان ليكن حاجبك من صالح مواليك فإنه لسانك
والمعبر عنك وحث صاحب شرطتك على الأمانة و عليك بعالم العذر قال وما
عمال العذر قال أمر أهل كل بلد أن يختاروا لأنفسهم فإذا اختاروا رجلا فوله
فان كان خيرا كان لك وإن كان شرا كان لهم دونك وكنت معذورا قال وكان
مسلم بن سعيد كتب إلى ابن هبيرة أن يوجه إليه توبة بن أبي أسيد مولى بني العنبر
فكتب ابن هبيرة إلى عامله بالبصرة أحمل إلى توبة بن أبي أسيد فحمله فقدم وكان
رجلا جميلا جهيرا له سميت فلما دخل على ابن هبيرة قال ابن هبيرة مثل هذا
فليول ووجه به إلى مسلم فقال له مسلم هذا خاتمي فاعمل برأيك فلم يزل معه حتى
قدم أسد بن عبد الله فأراد توبة أن يشخص مع مسلم فقال له أسد أقم معي فأنا
أحوج إليك من مسلم فأقام معه فأحسن إلى الناس وألان جانبه وأحسن إلى الجند
وأعطاهم أرزاقهم فقال له أسد حلفهم بالطلاق ولا يتخلف أحد عن مغزاه
ولا يدخل بديلا فأبى ذلك توبة فلم يحلفهم بالطلاق قال وكان الناس بعد توبة
يحلفون الجند بتلك الأيمان فلما قدم عاصم بن عبد الله أراد أن يحلف الناس
بالطلاق فأبوا وقالوا نحلف بأيمان توبة قال فهم يعرفون ذلك يقولون أيمان
توبة (وحج) بالناس في هذه السنة هشام بن عبد الملك حدثني بذلك أحمد بن
ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وغيره
لاخلاف بينهم في ذلك قال الواقدي حدثني ابن أبي الزناد عن أبيه قال كتب إلى
هشام بن عبد الملك قبل أن يدخل المدينة أن اكتب لي سنن الحج فكتبها له
وتلقاه أبو الزناد قال أبو الزناد فإني يومئذ في الموكب خلفه وقد لقيه سعيد بن
عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان وهشام يسير فنزل له فسلم عليه ثم سار
إلى جنبه فصاح هشام أبو الزناد فتقدمت فسرت إلى جنبه الآخر فأسمع سعيدا
يقول يا أمير المؤمنين إن الله لم يزل ينعم على أهل بيت أمير المؤمنين وينصر
خليفته المظلوم ولم يزالوا يلعنون في هذه المواطن الصالحة أبا تراب فأمر المؤمنين

يلبغى له أن يلغنه في هذه المواطن الصالحة قال فشقّ على هشام وثقل عليه كلامه ثم قال ما قدمنا لشمّ أحد ولا للغنه قدمنا حججا ثم قطع كلامه وأقبل على فقال يا عبد الله بن ذكوان فرغت مما كتبت إليك فقلت نعم فقال أبو الزناد وثقل على سعيد ما حضرته يتكلم به عند هشام فرأيته منكسرا كلما رآني (وفي هذه السنة) كلم إبراهيم بن محمد بن طلحة هشام بن عبد الملك وهشام واقف قد صلى في الحجر فقال له أسألك بالله وبحرمة هذا البيت والبلد الذي خرجت معظما لحقه إلا رددت على ظلامتي قال أي ظلامه قال داري قال فأين كنت عن أمير المؤمنين عبد الملك قال ظلمني والله قال فعن الوليد بن عبد الملك قال ظلمني والله قال فعن سليمان قال ظلمني قال فعن عمر بن عبد العزيز قال يرحم الله ردها والله على قال فعن يزيد بن عبد الملك قال ظلمني والله هو قبضها مني بعد قبض لها وهي في يدك قال هشام أما والله لو كان فيك ضرب لضربتك فقال إبراهيم في والله ضرب بالسيف والسوط فانصرف هشام والأبرش خلفه فقال أبا جاشع كيف سمعت هذا اللسان قال ما أجود هذا اللسان قال هنه قريش وألستها ولا يزال في الناس بقايا ما رأيت مثل هذا (وفي هذه السنة) قدم خالد ابن عبد الله القسري أميراً على العراق (وفيها) استعمل خالد أخاه أسد بن عبد الله أميراً على خراسان فقدمها ومسلم بن سعيد غاز بفرغانة فذكر عن أسد أنه لما أتى النهر ليقطع منه الأشهب بن عبيد التيمي أحد بني غالب وكان على السفن بأمل فقال له أسد انطعني فقال لا سبيل إلى إنطاعك لأنني نبيت عن ذلك قال لا طفوه وأطمعوه فأبى قال فأبى الأمير ففعل فقال أسد اعرفوا هذا حتى نشاركه في أمانتنا فقطع النهر فأبى السغد فنزل مرجها وعلى خراج سمرقند هاني بن هاني فخرج في الناس يتلقى أسدا فأتوه بالمرج وهو جالس على حجر فتفاهل الناس فقالوا أسد على حجر ما عند هذا خير فقال له هاني أقدمت أميراً فنفعل بك ما نفعل بالأمراء قال نعم قدمت أميراً ثم دعا بالغداء فتغدى بالمرج وقال من ينشط بالمسير وله أربعة عشر درهما ويقال قال ثلاثة عشر درهما وهامي في كمي وإنه ليكي ويقول إنما

أنا رجل مثلكم وركب فدخل سمرقند وبعث رجلين معهما عهد عبد الرحمن بن
 نعيم على الجند فقدم الرجلان على عبد الرحمن بن نعيم وهو في وادي افشين على
 الساقة وكانت الساقة على أهل سمرقند الموالي وأهل الكوفة فسألا عن عبد الرحمن
 فقالوا هو في الساقة فأتياه بعهد وكتاب بالقفل والاذن لهم فيه فقرأ الكتاب ثم
 أتى به مسلماً وبعده فقال مسلم سمعاً وطلحة فقام عمرو بن هلال السدوسي ويقال
 التيمي فقنعه سوطين لما كان منه بالبروقان إلى بكر بن وائل وشمته حسين بن
 عثمان بن بشر بن المحتفز فغضب عبد الرحمن بن نعيم فزجرهما ثم أغاظ لهما وأمر
 بهما فدفا وقفل بالناس وشخص معه مسلم فذكر علي بن محمد عن أصحابه أنهم
 قدموا على أسد وهو بسمرقند فشخص أسد إلى مرو وعزل هاتنا واستعمل على
 سمرقند الحسن بن أبي العمرطة الكندي من ولد آكل المرار قال قدمت على
 الحسن امرأته الجنوب ابنة القعقاع بن الأعم رأس الأزدي ويعقوب بن القعقاع
 قاضي خراسان فخرج يتلقاها وغزاهم الترك فقيل له هؤلاء الترك قد أتوك وكانوا
 سبعة آلاف فقال ما أتونا بل أتيناهم وغلبناهم على بلادهم واستعبدناهم وإيم الله
 مع هذا لأدينكم منهم ولأقرن نواصي خيلكم بنواصي خيلهم قال ثم خرج
 فتباطأ حتى أغاروا وانصرفوا فقال الناس خرج إلى امرأته يتلقاها مسرعاً
 وخرج إلى العدو متباطئاً فباغته فخطبهم فقال تقولون وتعيون اللهم اقطع آثارهم
 وعجل أقدارهم وأنزل بهم الضراء وارفع عنهم السراء فشمته الناس في أنفسهم وكان
 خليفته حين خرج إلى الترك ثابت قطنه فخطب الناس فحصر فقال من يطع الله

ورسوله فقد ضل وأرتج عليه فلم ينطق بكلمة فلما نزل عن المنبر قال :

إِنْ لَمْ أَكُنْ فَكُمْ خَطِيئًا فَإِنِّي بَسِيفِي إِذَا جَدُّ الْوَعْيِ لِحَطِيبُ

فقيل له لو قلت هذا على المنبر لكنت خطيباً فقال حاجب الفيل اليشكري يعيره حصراً

أَبَا الْعَلَاءِ لَقَدْ لَاقَيْتَ مُعْضِلَةً يَوْمَ الْعَرُوبَةِ مِنْ كَرِبٍ وَتَخْنِيقِ

تَلَوَى اللِّسَانَ إِذَا رُمْتَ الْكَلَامَ بِهِ كَمَا هَوَى زَلْقَى مِنْ شَاهِقِ النَّبِيِّ

لَمَّا رَمَتْكَ عُيُونُ النَّاسِ ضَاحِيَةً أَنْشَأَتْ تَجْرُضُ لَمَّا قَتَ بِالرَّبِيقِ

أما القرآنُ فلا تُهدى لِمُحكَمَةٍ مِنَ القرآنِ وَلَا تُهدى لِتَوْفِيقِ
 (وفي هذه السنة) ولد عبد الصمد بن عليّ في رجب وكان العامل على المدينة
 ومكة والطائف في هذه السنة ابراهيم بن هشام المخزوميّ وعلى العراق وخراسان
 خالد بن عبد الله القسريّ وعامل خالد على صلاة البصرة عقبه بن عبد الأعلى وعلى
 شرطتها مالك بن المنذر بن الجارود وعلى قضائها ثمامة بن عبد الله بن أنس وعلى
 خراسان أسد بن عبد الله

ثم دخلت سنة سبع ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من خروج عباد الرُّعينيّ باليمن محمداً فقتله يوسف بن عمرو وقتل
 معه أصحابه كلهم وكانوا ثلاثمائة (وفيها) غزا الصائفة معاوية بن هشام وعلى جيش
 الشام ميمون بن مهران فقطع النهر حتى عبر إلى قُبْرُس وخرج معهم البعث الذي كان
 أمر به في حجته سنة ٦ فقدموا في سنة ٧ على الجعائل غزا منهم نصفهم وأقام النصف
 وغزا البرّ مسلمة بن عبد الملك (وفيها) وقع بالشام طاعون شديد (وفيها) وجه
 بكير بن ماهان أبا عكرمة وأبا محمد الصادق ومحمد بن خنيس وعمار العبادي في عدة
 من شيعتهم معهم زياد خال الوليد الأزرق دُعاة إلى خراسان فجاء رجل من كنده
 إلى أسد بن عبد الله فوشى بهم إليه فأتى بأبي عكرمة ومحمد بن خنيس وعامة أصحابه
 ونجا عمار فقطع أسد أيدي من ظفر به منهم وأرجلهم وصلبهم فأقبل عمار إلى بكير
 ابن ماهان فأخبره الخبر فكتب به إلى محمد بن عليّ فأجابه الحمد لله الذي صدق
 مقالكم ودعوتكم وقد بقيت منكم قتلى ستقتل (وفي هذه السنة) حمل مسلم بن
 سعيد إلى خالد بن عبد الله وكان أسد بن عبد الله له مكرماً بخراسان لم يعرض له
 ولم يحبسه فقدم مسلم وابن هبيرة يُجمع على الهرب فنهاه عن ذلك مسلم وقال له
 إن القوم فينا أحسن رأياً منكم فيهم (وفي هذه السنة) غزا أسد جبال نمرون
 ملك القَرَشْتَان مما يلي جبال الطالقان فصالحه أن نمرون وسلم على يديه فهم اليوم

يتولون البن (وفيها) غزا أسد الغرور وهي جبال هراة

ذكر الخبر عن غزوة أسد هذه الغزوة

ذكر علي بن محمد عن أشياخه أن أسدا غزا الغرور فعمد أهلها إلى أثقالهم
فصيروها في كهف ليس إليه طريق فأمر أسد باتخاذ توأيت ووضع فيها الرجال
ودلاها بالسلاسل فاستخرجوا ما قدروا عليه فقال ثابت قطة

أَرَى أَسَدًا تَضَمَّنَ مَفْطَعَاتٍ	تَهَيَّبَهَا الْمُلُوكُ ذَوُوهَ الْحِجَابِ
سَمَّا بِالْخَيْلِ فِي أَكْنَافِ مَرُوهِ	وَتَوَفَّزُهُنَّ بَيْنَ هَلَا وَهَابِ
إِلَى غُورِينَ حَيْثُ حَوَى أَرْبُوهِ	وَصَكَّ بِالسُّيُوفِ وَبِالْحِرَابِ
هَذَا نَا اللَّهُ بِالْقَتْلِ تَرَاهَا	مُصَلَّبَةً بِأَفْوَاهِ الشُّعَابِ
مَلَا حِمُّ لَمْ تَدْعُ لِسِرَاةِ كَلْبِ	مُهَاتِرَةٌ وَلَا لِبَنِي كِلَابِ
فَأوردَهَا النَّهَابَ وَأَبَّ مِنْهَا	بِأَفْضَلِ مَا يَصَابُ مِنَ النَّهَابِ
وَكَانَ إِذَا أَنَاخَ بِدَارِ قَوْمِ	أَرَاهَا الْمُخْزِيَاتِ مِنَ الْعَذَابِ
أَلَمْ يُزِرِّ الْجِبَالَ جِبَالَ مُلَعِ	تَرَى مِنْ دُونِهَا قِطْعَ السَّحَابِ
بِأَرْعَنَ لَمْ يَدْعُ لَهُمْ شَرِيدًا	وَعَاقِبَهَا الْمُمِضُّ مِنَ الْعِقَابِ

وملع من جبال خوط فيها تعمل الحزم الملعية (وفي هذه السنة) نقل أسد
من كان بالبروقان من الجند إلى بلخ فأقطع كل من كان له بالبروقان مسكن مسكنا
بقدر مسكنه ومن لم يكن له مسكن أقطعه مسكنا وأراد أن ينزلم على الأخماس
فقبل له إنهم يتعصبون فخلط بينهم وكان قسم لعمارة مدينة بلخ الفعلة على كل
كورة على قدر خراجها وولى بناء مدينة بلخ برمك أبا خالد بن برمك وكان البروقان
منزل الأمراء وبين البروقان وبين بلخ فرسخان وبين المدينة والنوبهار قدر غلوتين

فَقَالَ أَبُو الْبَرِيدِ فِي بَلِيَانِ مَدِينَةِ بَلْخِ	رَمَّ عَلَى طِفْلِ بِحَوْمَلٍ عَاطِفُ
شَمَفَتْ فَوَادِكُ فَالْهَمَى لَكَ شَاعِبُ	رَبَّانَ لَا يَعْشُو إِلَيْهِ أَلْفُ
تَرَعَى الْبَرِيرَ بِجَانِبِي مُتَهَدِّلِ	بَقَرُ تَرَجُّحُ زَانِهِن رَوَادِفُ
بِمَحَاضِرٍ مِنْ مُنْحَنَى عَاطِفَتْ لَهُ	

إِنَّ الْمَبَارَكَةَ الَّتِي أَحْصَلْتَهَا عَصِمَ الذَّلِيلُ بِهَا وَقَرَّ الْخَائِفُ
فَأَرَاكَ فِيهَا مَا رَأَى مِنْ صَالِحٍ فَتَحَا وَأَبْوَابُ السَّمَاءِ رَوَاعِفُ
فَمَضَى لَكَ الْإِسْمُ الَّذِي يَرْضَى بِهِ عَنْكَ الْبَصِيرُ بِمَا نَوَيْتَ اللَّاطِفُ
يَا خَيْرَ مَلِكٍ سَاسَ أَمْرَ رَعِيَّةٍ إِنِّي عَلَى صِدْقِ الْيَمِينِ لِحَالِفُ
اللَّهُ آمَنَهَا بِصُنْعِكَ بَعْدَمَا كَانَتْ قُلُوبٌ خَوْفَهُنَّ رَوَاجِفُ

(وحج) بالناس في هذه السنة ابراهيم بن هشام حدثني بذلك أحمد بن ثابت
عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وهشام
وغيرهما وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها الذين ذكرناهم قبل في سنة ١٠٦

ثم دخلت سنة ثمان ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

(ففيها) كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك حتى بلغ قيسارية مدينة الروم مما
بلى الجزيرة ففتحها الله على يديه (وفيها) أيضا غزا ابراهيم بن هشام ففتح أيضا
حصنا من حصون الروم (وفيها) وجه بكير بن ماهان إلى خراسان عدة فهم
عمار العبادي فوشى بهم رجل إلى أسد بن عبدالله فأخذ عمارا فقطع يديه ورجليه
ونجا أصحابه فقدموا على بكير بن ماهان فأخبروه الخبر فكتب بذلك إلى محمد بن
علي فكتب إليه في جواب الكتاب الحمد لله الذي صدق دعوتكم ونجى شيعتكم
(وفيها) كان الحريق بدابق قد ذكر محمد بن عمر أن عبدالله بن نافع حدثه عن
أبيه قال احترق المرعى حتى احترق الدواب والرجال (وفيها) غزا أسد بن عبدالله
الختل فذكر عن علي بن محمد أن خاقان أنى أسدا وقد انصرف إلى القواديان
وقطع النهر ولم يكن بينهم قتال في تلك الغزاة وذكر عن أبي عبيدة أنه قال بل
هزموا أسدا وفضحوه فتغنى عليه الصبيان

أزُخْتَلَانُ أَمْدِي رُوتَبَاءُ أَمْدِي

قال وكان السبل محاربا له فاستجلب خاقان وكان أسد قد أظهر أنه يشتو بسرخ درة

فأمر أسد الناس فارتحلوا ووجهه راياته وسار في ليلة مظلمة إلى سرخ دره فكبر فقطع الناس فقال أسد ما للناس قالوا هذه علامتهم إذا قفلوا فقال لعروة المنادي ناد إن الأمير يريد غورين ومضى وأقبل خاقان حين انصرفوا إلى غورين النهر فلم يلتق هو ولا هم ورجع إلى بلخ فقال الشاعر في ذلك يمدح أسد بن عبد الله

نَدَيْتُ لِي مِنْ كُلِّ خُمَيْسٍ أَلْفَيْنِ مِنْ كُلِّ لِحَافٍ عَرِيضٍ الدَّفِينِ

قال ومضى المسلمون إلى الغوريان فقاتلوهم يوما وصبروا لهم وبرز رجل من المشركين فوقف أمام أصحابه وركز رمحہ وقد أعلم بعصاة خضراء وسلم بن أحوز واقف مع نصر بن سيار فقال سلم لنصر قد عرفت رأي أسد وأنا حامل على هذا العليج فلعلني أن أقتله فيرضى فقال شأنك فحمل عليه فما اختلج رمحہ حتى غشيه سلم فطعنه فاذا هو بين يدي فرسه ففحص برجله فرجع سلم فوقف فقال لنصر أنا حامل حملة أخرى فحمل حتى إذا دنا منهم اعترضه رجل من العدو فاختلفا ضربتين فقتله سلم فرجع سلم جريحا فقال نصر لسلم قف لي حتى أحمل عليهم فحمل حتى خالط العدو فصرع رجلين ورجع جريحا فوقف فقال أترى ما صنعنا يرضيه لا أرضاه الله فقال لا والله فيما أظن وأتاها رسول أسد فقال يقول لكما الأمير قد رأيت موقفكما منذ اليوم وقلة غنائكما عن المسلمين لعنكما الله فقالا آمين إن عدنا لمثل هذا وتحاجزوا يومئذ ثم عادوا من الغد فلم يلبث المشركون أن انهزموا وحوى المسلمون عسكرهم وظهروا على البلاد فأسروا وسبوا وغنموا وقال بعضهم رجع أسد في سنة ١٠٨ مقلولا من الختل فقال أهل خراسان

أَزْخْتَلَانَ أَمْذَى بِرَوْتَبَاهِ أَمْذَى بِيَدَلِ فَرَا زِ أَمْذَى

قال وكان أصاب الجند في غزاة الختل جوع شديد فبعث أسد بكبشين مع غلام له وقال لا تبعهما بأقل من خمسمائة فلما مضى الغلام قال أسد لا يشتريها إلا ابن الشيخير وكان في المسلحة فدخل ابن الشيخير حين أمسى فوجد الشاتين في السوق فاشتراهما بخمسمائة فذبح إحداهما وبعث بالآخرى إلى بعض إخوانه

فلما رجع الغلام إلى أسد أخبره بالقصة فبعث إليه أسد بألف درهم قال وابن الشخير هو عثمان بن عبد الله بن الشخير أخو مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي (وحيج) بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام وهو على المدينة ومكة والطائف حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال محمد بن عمر الواقدي (وكان) العمال في هذه السنة على الأمصار في الصلاة والحروب والقضاء هم العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها وقد ذكرناهم قبل

ثم دخلت سنة تسع ومائة

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فما كان فيها من ذلك غزوة عبد الله بن عقبة بن نافع الفهري على جيش في البحر وغزوة معاوية بن هشام أرض الروم ففتح حصنا بها يقال له طيبة وأصيب معه قوم من أهل انطاكية (وفيها) قتل عمر بن يزيد الأسدي قتله مالك بن المنذر بن الجارود

ذكر الخبر عن ذلك

وكان سبب ذلك فيما ذكر أن خالد بن عبد الله شهد عمر بن يزيد أيام حرب يزيد بن المهلب فأعجب به يزيد بن عبد الملك وقال هذا رجل العراق فغاض ذلك خالدا فأمر مالك بن المنذر وهو على شرطة البصرة أن يعظم عمر بن يزيد ولا يعصى له أمراً حتى يعرفه الناس ثم أقبل يمثل عليه حتى يقتله ففعل ذلك فذكر يوماً عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فافترى عليه مالك فقال له عمر بن يزيد فافترى على مثل عبد الأعلى فأغلظ له مالك فضربه بالسياط حتى قتله وفيها غزا أسد بن عبد الله غورين وقال ثابت قطنة

أَرَى أَسَدًا فِي الْحَرْبِ إِذَا تَزَلَّتْ بِهِ
تَنَاولَ أَرْضَ السَّبْلِ خَاقَانُ رَدْوَهُ
وَقَارَعَ أَهْلَ الْحَرْبِ فَازَ وَأَوْجَبَا
فَحَرَّقَ مَا اسْتَعَصَى عَلَيْهِ وَخَرَّبَا
وَعُورِينَ إِذْ لَمْ يَهْرَبُوا مِنْكَ مَهْرَبَا
أَبِي ضَارِيَاتِ حَرَّشُوهُ فَغَقَبَا
فَمَا يَغْمُرُ الْأَعْدَاءَ مِنْ لَيْثٍ غَابَةٍ

أزب كأن الورس فوق ذراعِهِ كَرِيهَ الْمُتَحِيًّا قَدْ أَسَنَّ وَجَرَّبَا
 ألم يكُ في الحصن المباركِ عصمةُ لُجْنِدِكَ إِذْ هَابَ الْجَبَانُ وَأَرْهَبَا
 بنى لك عبدُ اللهِ حصناً وريثتهُ قَدِيمًا إِذَا عُدَّ الْقَدِيمُ وَأَنْجَبَا
 (وفي هذه السنة) عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن خراسان
 وصرف أخاه أسدا عنها

ذكر الخبر عن عزل هشام خالدا وأخاه عن خراسان
 وكان سبب ذلك أن أسداً أخا خالد تعصب حتى أفسد الناس فقال أبو البريد
 فيما ذكر علي بن محمد لبعض الأزد أدخلني علي ابن عمك عبد الرحمن بن صبح
 وأوصه بي وأخبره عنى فأدخله عليه وهو عامل لآسد على بلخ فقال أصلح الله
 الأمير هذا أبو البريد البكري أخونا وناصرنا وهو شاعر أهل المشرق وهو
 الذي يقول

إِنْ تَنْقُضِ الْأَزْدُ حِلْفًا كَانَ أَكْدَهُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ عِبَادٌ وَهَسُودُ
 وَمَالِكٌ وَسُوَيْدٌ أَكْدَاهُ مَعًا لَمَّا تُجَرَّدُ فِيهَا أَيُّ تَجْرِيدِ
 حَتَّى تَنَادَوْا أَتَاكَ اللَّهُ ضَاحِيَةً وَفِي الْجُلُودِ مِنَ الْإِيْقَاعِ تَقْصِيدُ
 قال فغذب أبو البريد يده وقال لعنك الله من شفيح كذب أصلحك الله

ولكني الذي أقول

الْأَزْدُ إِخْوَتُنَا وَهُمْ حُلَفَاؤُنَا مَا بَيْنَنَا نَكْتٌ وَلَا تَبْدِيلُ
 قال صدقت وضحك وأبو البريد من بني علباء بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة قال
 وتعصب على نصر بن سيار ونفر معه من مضر فضربهم بالسياط وخطب في يوم جمعة
 فقال في خطبته قبح الله هذه الوجوه وجوه أهل الشقاق والنفاق والشغب والفساد
 اللهم فرق بيني وبينهم وأخرجني إلى مهاجري ووطني وقل من يروم ما قبلي أو
 يترمرم وأمير المؤمنين خالي وخالد بن عبد الله أخي ومعى اثنا عشر ألف سيف يمان
 ثم نزل عن منبره فلما صلي ودخل عليه الناس فأخذوا بجالسهم أخرج كتاباً من تحت
 فراشه فقرأه على الناس فيه ذكر نصر بن سيار وعبد الرحمن بن نعيم العامري وسورة

ابن الحر الاباني ابان بن دارم والبختري بن ابي درهم من بني الحارث بن عباد فدعاهم فانهم فازم القوم فلم يتكلم منهم أحد فتكلم سورة فذكر حاله وطاعته ومناصحته وأنه ليس يدبغى له أن يقبل قول عدو مبطل وأن يجمع بينهم وبين من عرفهم بالباطل فلم يقبل قوله وأمريهم فجردوا فضرب عبد الرحمن بن نعيم فإذا رجل عظيم البطن أرسح فلما ضرب التوى وجعل سراويله يزل عن موضعه فقام رجل من أهل بيته فأخذ رداءه هرويا وقام ماداً ثوبه بيده وهو ينظر إلى أسديريد أن يأذن له فيؤزره فأومى إليه أن يفعل فدنا منه فأزره ويقال بل أزره أبو نميلة وقال له اتزرا بأزهر فإن الأمير وال مؤدب ويقال بل ضربهم في نواحي مجلسه فلما فرغ قال أين تيس بن حمان وهو يريد ضربه وقد كان ضربه قبل فقال هذا تيس بن حمان وهو قريب العهد بعقوبة الأمير وهو عامر بن مالك بن مسلمة ابن يزيد بن حُجر بن خنيسق بن حمان بن كعب بن سعد وقيل إنه حلقهم بعد الضرب ودفعهم إلى عبدربه بن أبي صالح مولى بني سليم وكان من الحرس وعيسى ابن أبي بريق ووجههم إلى خالد وكتب إليهم أرادوا الوثوب عليه فكان ابن أبي بريق كلما نبت شعر أخدم حلقه وكان البختري بن أبي درهم يقول لو ددت أنه ضربني وهذا شهر ايعنى نصر بن سيار لما كان بينهما بالبروقان فأرسل بنو تميم إلى نصر إن شتمنا انتزعناكم من أيديهم فكفهم نصر فلما قدم بهم على خالد لام أسدا وعنفه وقال الأبعث برؤوسهم فقال عرجة التيمي

فَكَيْفَ وَأَنْصَارُ الْخَلِيفَةِ كُلُّهُمْ عُنَاةٌ وَأَعْدَاءُ الْخَلِيفَةِ تَطْلُقُ
بَكَيْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ دُمُوعِي وَحَقِّي لِي وَأَنْصَرُ شَهَابُ الْحَرْبِ فِي الْغَلْمِ مَوْثِقُ
وقال نصر

بَغَيْتُ بِالْعِتَابِ فِي غَيْرِ ذَنْبٍ فِي كِتَابِ تَلُومٍ أَمْ تَمِيمٍ
إِنْ أَكُنْ مَوْثِقًا أَسِيرًا لَدَيْهِمْ فِي هُمُومٍ وَكَرْبَةٍ وَسُومٍ
رَهْنٌ قَسْرٌ فَمَا وَجَدْتَ بَلَاءَ كَأَسَارِ الْكِرَامِ حِنْدَ اللَّيْمِ
أَبْلَغِ الْمُدْعَى بَيْنَ قَسْرًا وَقَسْرٍ أَهْلُ عَوْدِ الْقَنَاةِ ذَاتِ الْوُصُومِ

هَلْ فِطْمَتُمْ عَنِ الْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ رِأْمَ أُنْتُمْ كَالْحَاكِرِ الْمُسْتَدِيرِ
(وقال الفرزدق)

أَخَالِدُ لَوْلَا اللَّهُ لَمْ تَعْطَ طَاعَةً وَلَوْلَا بَنُو مَرْوَانَ لَمْ تَوْثِقُوا نَصْرًا
إِذَا لِلْقَيْمِ دُونَ شَدِّ وَثَاقِهِ بَنِي الْحَرْبِ لَا كَشْفِ اللَّقَاءِ وَلَا ضَجْرًا
وخطب أسد بن عبد الله على منبر بلخ فقال في خطبته يا أهل بلخ لقبتموني
الزاعج والله لأزيغن قلوبكم فلما تعصب أسد وأفسد الناس بالعصية كتب هشام
إلى خالد بن عبد الله اعزل أخاك فعزله فاستأذن له في الحج فقفل أسد إلى العراق
ومعه دهاقين خراسان في شهر رمضان سنة ١٠٩ واستخلف أسد على خراسان
الحكم بن عوانة الكلبي فأقام الحكم صيفية فلم يغز و ذكر علي بن محمد أن أول من
قدم خراسان من دعاة بني العباس زياد أبو محمد مولى همدان في ولاية أسد بن
عبد الله الأولى بعثه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وقال له ادع الناس إلينا
وانزل في اليمن والطف بمضر ونهاه عن رجل من أبرشهر يقال له غالب لأنه كان
مفرطاً في حب بني فاطمة ويقال أول من جاء أهل خراسان بكتاب محمد بن علي
حرب بن عثمان مولى بني قيس بن ثعلبة من أهل بلخ قال فلما قدم زياد أبو محمد
ودعا إلى بني العباس وذكر سيرة بني مروان وظلمهم وجعل يطعم الناس الطعام
فقدم عليه غالب من أبرشهر فكانت بينهم منازعة غالب يفضل آل أبي طالب
وزياد يفضل بني العباس فقارقه غالب وأقام زياد بمرور شتوة وكان يختلف إليه
من أهل مرو يحيى بن عقيل الخزاعي وإبراهيم بن الخطاب العدوي قال وكان ينزل
برزن سويد الكاتب في دور آل الرقاد وكان على خراج مرو والحسن بن شيخ فبلغه
أمره فأخبر به أسد بن عبد الله فدعاه وكان معه رجل يكنى أبا موسى فلما نظر إليه
أسد قال له أعرفك قال نعم قال له أسد رأيتك في حانوت بدمشق قال نعم قال
لزياد فما هذا الذي بلغني عنك قال رفع إليك الباطل إنما قدمت خراسان في تجارة
وقد فرقت مالي على الناس فإذا صار إلى خرجت قال له أسد اخرج عن بلادى
فانصرف فعاد إلى أمره فعاد الحسن أسداً وعظم عليه أمره فأرسل إليه فلما

نظر إليه قال ألم أنك عن المقام بخراسان قال ليس عليك أيها الأمير مني بأس فاحفظه وأمر بقتلهم فقال له أبو موسى فاقض ما أنت قاض فازداد غضبا وقال له أنزلني منزلة فرعون فقال له ما أنزلتك ولكن الله أنزلك فقتلوا وكانوا عشرة من أهل بيت الكوفة فلم ينج منهم يومئذ إلا غلامان استصغرها وأمر بالباقيين فقتلوا بكشانشاه وقال قوم أمر أسد بزياد أن يخط وسطه فمد بين اثنين فضرب فبنا السيف عنه فكبر أهل السوق فقال أسد ما هذا فقيل له لم يحك السيف فيه فأعطى أبا يعقوب سيفاً فخرج في سراويل والناس قد اجتمعوا عليه فضربه فبنا السيف فضربه ضربة أخرى فقطعه باثنتين وقال آخرون عرض عليهم البراءة فمن تبرأ منهم مما رفع عليه خلى سبيله فأبى البراءة ثمانية منهم وتبرأ اثنان فلما كان الغد أقبل أحدهما وأسد في مجلسه المشرف على السوق بالمدينة العتيقة فقال أليس هذا أسيرنا بالأمس فاتاه فقال له أسالك أن تلحقني بأصحابي فأشرفوا به على السوق وهو يقول رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً فدعا أسد بسيف بخاراً أخذه فضرب عنقه بيده قبل الأضحية بأربعة أيام ثم قدم بعدهم رجل من أهل الكوفة يسمى كثيراً فنزل على أبي النجم فكان يأتيه الذين لقوا زياداً فيحدثهم ويدعوهم فكان على ذلك سنة أو سنتين وكان كثير أمياً فقدم عليه خدش وهو في قرية تدعى مرعم فغاب كثيراً على أمره ويقال كان اسمه عمارة فسمى خداشاً لأنه خدش الدين وكان أسد استعمل عيسى بن شداد البرجعي أمرته الأولى في وجهه ووجهه على ثابت قطنة فغضب فهجا أسداً فقال :

أرى كل قوم يعرفون أبام	وأبو بجيلة بينهم يتذبذب
إني وجدتُ أبي أباك فلا تكن	إلباً على مع العدو تجلب
أرى يتهمي من رماك بسهمه	وعدو من عادت غير مكذب
أسد بن عبد الله جَلَّ عَفْوُهُ	أهل الذنوب فكيف من لم يُذنب
أجعلني للبرجعي حقيبة	والبرجعي هو اللسيم المحقَّب
عبدٌ إذا استبق الكرام رأيتُه	يأتي سُكِيناً حاملاً في الموكب

إني أعودُ بِقَبْرِ كَرِيٍّ أَنْ أَرَى تَبَعًا لِعَبْدٍ مِنْ تَمِيمٍ مُحَقَّبٍ
 (وفي هذه السنة) استعمل هشام بن عبد الملك على خراسان أشرس
 ابن عبد الله السلي فذكر علي بن محمد عن أبي الذيال العدوي ومحمد بن حمزة عن
 طرخان ومحمد بن الصلت الثقفى أن هشام بن عبد الملك عزل أسد بن عبد الله
 عن خراسان واستعمل أشرس بن عبد الله السلي عليها وأمره أن يكتب خالد
 ابن عبد الله القسرى وكان أشرس فاضلا خيرا وكانوا يسمونه الكامل لفضله
 عندهم فسار إلى خراسان فلما قدمها فرحوا بقدمه فاستعمل على شرطه عميرة
 أبا أمية اليشكري ثم عزله وولى السمط واستقضى على مرو أبا المبارك الكندي
 فلم يكن له علم بالقضاء فاستشار مقاتل بن حيان فأشار عليه مقاتل بمحمد بن زيد
 فاستقضاه فلم يزل قاضيا حتى عزل أشرس وكان أول من اتخذ الرابطة بخراسان
 واستعمل على الرابطة عبد الملك بن دثار الباهلي وتولى أشرس صغير الأمور
 وكبيرها بنفسه قال وكان أشرس لما قدم خراسان كبر الناس فرحا به فقال رجل

لَقَدْ سَمِعَ الرَّحْمَنُ تَكْبِيرَ أُمَّةٍ غَدَاةَ أَتَاهَا مِنْ سَلِيمٍ إِمَامُهَا
 إِمَامٌ هُدَى قَوَى لَهُمْ أَمْرَهُمْ بِهِ وَكَانَتْ عَجَافًا مَا تُمِخُّ عِظَامُهَا

وركب حين قدم حمارا فقال له حيان النبطى أيها الأمير إن كنت تريد أن
 تكون والى خراسان فاركب الخيل وشد حزام فرسك والزم السوط خاصرته
 حتى تقدم النار وإلا فارجع قال ارجع إذن ولا أقتحم النار يا حيان ثم أقام
 وركب الخيل قال علي وقال يحيى بن حنين رأيت في المنام قبل قدوم أشرس
 قائلا يقول أتاكم الوعر الصدر الضعيف الناهضة المشوم الطائر فانتبهت فزعا ورأيت
 فى الليلة الثانية أتاكم الوعر الصدر الضعيف الناهضة المشوم الطائر الخائن قومه
 جعفر ثم قال

لَقَدْ ضَاعَ جَيْشٌ كَانَ جَعْفَرُ أَمِيرَهُمْ فَهَلْ مِنْ تَلَايفٍ قَبْلَ دَوْسِ الْقَبَائِلِ

فَإِنْ صَرَفَتْ عَنْهُمْ بِهِ فَلَعَلَّهُ وَإِلَّا يَكُونُوا مِنْ أَحَادِيثِ قَائِلِ

وكان أشرس يلقب جفرا بخراسان (وحج بالناس فى هذه السنة) إبراهيم

ابن هشام كذلك حدثني احمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وغيره وقال الواقدي خطب الناس ابراهيم بن هشام بمنى في هذه السنة الغد من يوم النحر بعد الظهر فقال سلوني فانا ابن الوحيد لا تسألون أحدا أعلم مني فقام إليه رجل من أهل العراق فسأله عن الأضحية أو اجبة هي أم لا؟ فما درى أي شيء يقول له فنزل وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف ابراهيم بن هشام وعلى البصرة والكوفة خالد بن عبد الله وعلى الصلاة بالبصرة أبان بن ضبارة اليزني وعلى شرطها بلال بن أبي بردة وعلى قضائها ثمامة ابن عبد الله الأنصاري من قبل خالد بن عبد الله وعلى خراسان أشرس بن عبد الله

ثم دخلت سنة عشر ومائة

ذكر ما كان فيها من الاحداث

فما كان فيها من ذلك غزوة مسلمة بن عبد الملك الترك سار إليهم نحو باب اللان حتى لقي خاقان في جموعه فاقتلوا قريبا من شهر وأصابهم مطر شديد فهزم الله خاقان فانصرف فرجع مسلمة فملك على مسجد ذي القرنين (وفيها) غزا فيها ذكر معاوية بن هشام أرض الروم ففتح صمالة (وفيها) غزا الصائفة عبد الله بن عقبة الفهري وكان على جيش البحر فيما ذكر الواقدي عبد الرحمن بن معاوية بن حديج (وفي هذه السنة) دعا الأشرس أهل الذمة من أهل سمرقند ومن وراء النهر إلى الإسلام على أن توضع عنهم الجزية فأجابوا إلى ذلك فلما أسلموا وضع عليهم الجزية وطلبهم بها فنصبوا له الحرب

(ذكر الخبر عما كان من أمر أشرس وأمر أهل سمرقند ومن وليهم في ذلك) ذكر أن أشرس قال في عمله بخراسان أبغوني رجلا له ورع ونضل أوجهه إلى من وراء النهر فيدعوم إلى الإسلام فأشاروا عليه بأبي الصيداء صالح بن طريف مولى بني ضبة فقال است بالماهر بالفارسية فضموا معه الربيع بن عمران التيمي فقال أبو الصيداء اخرج على شريطة أن من أسلم لم يؤخذ منه الجزية فانما اخرج

خراسان على رؤوس الرجال قال أشرس نعم قال أبو الصيда لأصحابه فإني أخرج
فان لم يف العمال أعتمونى عليهم قالوا نعم فشخص إلى سمرقند وعليها الحسن
ابن أبي العمرطة الكندى على حربها وخراجها فدعا أبو الصيда أهل سمرقند
ومن حولها إلى الإسلام على أن توضع عنهم الجزية فسارع الناس فكتب غوزك
إلى أشرس ان الخراج قد انكسر فكتب أشرس الى ابن أبي العمرطة ان فى
الخراج قوة للمسلمين وقد بلغنى أن أهل السغد وأشباههم لم يسلموا رغبة وانما
دخلوا فى الإسلام تعوذا من الجزية فانظر من اختن وأقام الفرائض وحسن
إسلامه وقرأ سورة من القرآن فارفع عنه خراجه ثم عزل أشرس ابن أبي العمرطة
عن الخراج وصيره إلى هانئ بن هانئ وضم إليه الأشجيد فقال ابن أبي العمرطة
لأبي الصيда لست من الخراج الآن فى شىء فدرك هانئ والأشجيد فقام أبو الصيда
يمنعهم من أخذ الجزية ممن أسلم فكتب هانئ إلى الناس قد أسلموا وبنوا المساجد
فجاء دهاقين بخارى إلى أشرس فقالوا ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم
عربا فكتب أشرس إلى هانئ وإلى العمال خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه
فأعادوا الجزية على من أسلم فامتنعوا واعتزل من أهل السغد سبعة آلاف فنزلوا
على سبعة فراسخ من سمرقند وخرج اليهم أبو الصيда وربيع بن عمران التميمي
والقاسم الشيباني وأبو فاطمة الأزدي وبشر بن جرموز الضبي وخالد بن عبد الله
النحوى وبشر بن زنبور الأزدي وعامر بن قشير أو بشيرا الخجندى وبيان
العنبرى وإسماعيل بن عقبة لينصروهم قال فعزل أشرس ابن أبي العمرطة عن
الحرب واستعمل مكانه المجشر بن مزاحم السلى وضم اليه عميرة بن سعد الشيباني
قال فلما قدم المجشر كتب إلى أبي الصيда يسأله أن يقدم عليه هو وأصحابه فقدم
أبو الصيда رثابت قطنة فحبسهما فقال أبو الصيда غدرتم ورجعتم عما قلتم فقال له
هانئ ليس بغدر ما كان فيه حقن الدماء وحمل أبا الصيда إلى الأشرس وحبس
رثابت قطنة عنده فلما حمل أبو الصيда اجتمع أصحابه وولوا أمرهم أبا فاطمة ليقاتلوا
هانئا فقال لهم كفوا حتى أكتب إلى أشرس فيأتينارأيه فنعمل بأمره فكتبوا إلى

أشرس فكتب أشرس ضعوا عليهم الخراج فرجع أصحاب أبي الصيداء فضعف أمرهم فتتبع الرؤساء منهم فأخذوا وحلوا إلى مرو وبقى ثابت محبوساً وأشرك أشرس مع هاني بن هاني سليمان بن أبي السرى مولى بني عوانة في الخراج فألح هاني والعمال في جباية الخراج واستخفوا بَعْظَاءَ الهجم ووسط المجرى عميرة بن سعد على الدهاقين فأقيموا وخرقت ثيابهم وألقت مناطقهم في أعناقهم وأخذوا الجزية ممن أسلم من الضعفاء فكفرت السغد وبخارى واستجاشوا الترك فلم يزل ثابت قطة في حبس المجرى حتى قدم نصر بن سيار واليا على المجرى فحمل ثابتاً إلى أشرس مع إبراهيم بن عبد الله الليثي فحبسه وكان نصر بن سيار الطفه وأحسن إليه فدحه ثابت قطة وهو محبوس عند أشرس فقال

ما هاج شوقك من نوي وأحجار
لم يبق منها ومن أعلام عرصتها
ومائل في ديار الحى بعدهم
ديار ليلي قفار لا أنيس بها
بدلت منها وقد شط المزار به
بين السامرة في حزم مشرقه
نقارغ الترك ما تنفك نائحة
إن كان ظني بنصر صادقاً أبداً
لا يصرف الجند حتى يستفيء بهم
وتعبر الخيل في الأقياد آونة
حتى يروها دوين السرح بارقة
لا يمنع الثغر إلا ذو محافظة
لاني وإن كنت من جدم الذي نصرت
لذا كبر منك أمراً قد سبقت به
فاضلت عن نضال الحر إذ نصرت

وَمِنْ رُسُومِهَا صُوبُ أَمْطَارِ
إِلَّا شَجِيحٌ وَإِلَّا مَوْئِدُ النَّارِ
مِثْلُ الرَّبِيئَةِ فِي أَهْدَامِهِ الْعَارِي
دُونَ الْجُحُونِ وَأَبْنِ الْحَجْنِ مِنْ دَارِي
وَأَدَى الْمَخَافَةِ لَا يَسْرِي بِهَا السَّارِي
وَمُعْنِقُ دُونِنَا أَذِيَةٌ جَارِي
مِنَّا وَمِنْهُمْ عَلَى ذِي نَجْدَةٍ شَارِ
فِيهَا أَدْبَرُ مِنْ نَقْضِي وَإِمْرَارِي
نَهْأَ عَظِيمًا وَيَحْوِي مُلْكَ جَبَّارِ
تَحْوِي النَّهَابَ إِلَى طُلَابِ أَوْتَارِ
فِيهَا لَوَاءُ كَظِيلِ الْأَجْدَلِ الضَّارِي
مِنَ الْخَضَارِمِ سِيَاقُ بَأْوَتَارِ
مِنْهُ الْفُرُوعُ وَزَنْدِي الثَّاقِبُ الْوَارِي
مَنْ كَانَ قَبْلَكَ يَا نَصْرُ بْنُ سِيَارِ
دُونَ الْعَشِيرَةِ قُوَا سَتَبَطَاتُ أَنْصَارِي

وَصَارَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ آمَلُهُ أَلْبَا عَلِيٍّ وَرَثَ الْخَيْلُ مِنْ جَارِي
 وَمَا تَلَبَّسْتُ بِالْأَمْرِ الَّذِي وَقَعُوا بِهِ عَلِيٌّ وَلَا دَنْسْتُ أَطْهَارِي
 وَلَا عَصَيْتُ إِمَامًا كَانَ طَاعَتُهُ حَقًّا عَلِيٍّ وَلَا قَارَفْتُ مِنْ عَارِ
 قَالَ عَلِيٌّ وَخَرَجَ أَشْرَسُ غَازِيَا فَنَزَلَ آمَلَ فَأَقَامَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَقَدِمَ قَطْنَ بْنَ قَتِيْبَةَ
 ابْنَ مُسْلِمٍ فَعَبَرَ النَّهْرَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ فَأَقْبَلَ أَهْلَ السَّغْدِ وَأَهْلَ بَخَارِي مَعَهُمْ خَاقَانَ
 وَالتَّرِكَ فَحَصَرُوا قَطْنَ بْنَ قَتِيْبَةَ فِي خَنْدَقِهِ وَجَعَلَ خَاقَانَ يَنْتَخِبُ كُلَّ يَوْمٍ فَارِسًا
 فَيَعْبُرُ فِي قِطْعَةٍ مِنَ التَّرِكَ النَّهْرَ وَقَالَ قَوْمٌ أَقْحَمُوا دَوَابَهُمْ عَرِيًّا فَعَبَرُوا وَأَغَارُوا
 عَلَيَّ سَرَحَ النَّاسِ فَأَخْرَجَ أَشْرَسُ ثَابِتَ قِطْنَةَ بِكَفَالَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَسْطَامِ بْنِ مَسْعُودِ
 ابْنَ عَمْرٍو فَوَجَّهَهُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَسْطَامِ فِي الْخَيْلِ فَاتَّبَعُوا التَّرِكَ فَقَاتَلُوهُمْ بِآمَلَ
 حَتَّى اسْتَنْقَذُوا مَا بِيَدِهِمْ ثُمَّ قَطَعَ التَّرِكَ النَّهْرَ إِلَيْهِمْ رَاجِعِينَ ثُمَّ عَبَرَ أَشْرَسُ بِالنَّاسِ
 إِلَى قَطْنَ بْنِ قَتِيْبَةَ وَوَجَّهَهُ أَشْرَسُ رِجَالًا يُقَالُ لَهُ مَسْعُودٌ أَحَدُ بَنِي حِيَانَ فِي سَرِيَّةٍ
 فَالْقِيَهُمُ الْعَدُوَّ فَقَاتَلُوهُمْ فَأَصِيبَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَهَزَمَ مَسْعُودٌ حَتَّى رَجَعَ إِلَى
 أَشْرَسٍ فَقَالَ بَعْضُ شِعْرَانِهِمْ

خَابَتْ سَرِيَّةٌ مَسْعُودٍ وَمَا غَنِمَتْ إِلَّا أَفَانِينَ مِنْ شَدِّ وَتَقْرِيْبِ
 حَلَوْا بِأَرْضِ قَفَّارٍ لَا أُنَيْسَ بِهَا وَهُنَّ بِالسَّفْحِ أَمْثَالُ الْيَعَاسِيْبِ
 وَأَقْبَلَ الْعَدُوَّ فَلَمَّا كَانُوا بِالْقُرْبِ لَقِيَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فَقَاتَلُوهُمْ فَجَالُوا جَوْلَةَ فُقُتِلَ فِي
 تِلْكَ الْجَوْلَةِ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ كَثُرَ الْمُسْلِمُونَ وَصَبَرُوا لِهَمِّ فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ
 وَمَضَى أَشْرَسُ بِالنَّاسِ حَتَّى نَزَلَ يَكْنُدُ قِطْعَ الْعَدُوِّ عَنْهُمْ الْمَاءَ فَأَقَامَ أَشْرَسُ
 وَالْمُسْلِمُونَ فِي عَسْكَرِهِمْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ وَلَيْلَتِهِمْ فَأَصْبَحُوا وَقَدْ نَفَدَ مَاؤُهُمْ فَاحْتَضَرُوا
 فَلَمْ يَنْبَطُوا وَعَطَشُوا فَارْتَحَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي قَطَعُوا عَنْهُمْ الْمِيَاهَ مِنْهَا وَعَلَى مَقْدَمَةِ
 الْمُسْلِمِينَ قَطْنَ بْنَ قَتِيْبَةَ فَلْقِيَهُمُ الْعَدُوَّ فَقَاتَلُوهُمْ فَجَهَدُوا مِنَ الْعَطَشِ فَمَاتَ مِنْهُمْ سَبْعُمِائَةَ
 وَعَجَزَ النَّاسُ عَنِ الْقِتَالِ وَلَمْ يَبْقَ فِي صَفِّ الرِّبَابِ إِلَّا سَبْعَةٌ فَكَادَ ضَرَارُ بْنُ حَصِينِ
 يُوسِرُ مِنَ الْجَهْدِ الَّذِي كَانَ بِهِ فَخَضَ الْحَارِثُ بْنُ سَرِيْحِ النَّاسَ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ
 الْقِتْلُ بِالسِّيفِ أَكْرَمُ فِي الدُّنْيَا وَأَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْمَرْتِ تَطَشًا فَتَقَدَّمَ الْحَارِثُ

ابن سريج وقطن بن قتيبة وإسحاق بن محمد ابن أخي وكيع في فوارس من بني تميم
وقيس فقاتلوا حتى أزالوا الترك عن الماء فابتدره الناس فشربوا وارتووا قال
فرثابت قطنة بعبد الملك بن دثار الباهلي فقال له يا عبد الملك هل لك في آتار الجهاد
فقال أنظرني ريثما أغتسل وأتمنظ فوقف له حتى خرج ومضيا فقال ثابت لأصحابه
أنا أعلم بقتال هؤلاء منكم وحضهم فخلوا على العدو واشتد القتال فقتل ثابت في
عدة من المسلمين منهم صخر بن مسلم بن النعمان العبدى وعبد الملك بن دثار الباهلي
والوجيه الخراساني والعقار بن عقبة العودي فضم قطن بن قتيبة وإسحاق بن محمد
ابن حسان خيلا من بني تميم وقيس تبايعوا على الموت فأقدموا على العدو فقاتلهم
فكشفهم وركبهم المسلمون يقتلونهم حتى حجزهم الليل وتفرق العدو فأتى أشرس
بخاري فحصر أهلها (قال علي بن محمد) عن عبد الله بن المبارك حدثني هشام بن
عمارة بن القعقاع الضبي عن فضيل بن غزوان قال حدثني وجيه البنانى ونحن
نطوف بالبيت قال لقينا الترك فقتلوا منا قوما وصرعت وأنا أنظر إليهم يجلسون
فيستقون حتى انتهوا إلى فقال رجل منهم دعوه فإن له أرا هو واطه وأجلاهو
بالغة فهذا أثر قد وطئته وأنا أرجو الشهادة فرجع إلى خراسان فاستشهد مع ثابت
قال فقال الوازع بن مائق مررت بالوجيه في بغلين يوم أشرس فقلت كيف أصبحت
يا أبا أسماء قال أصبحت بين حائر وحائر اللهم انى بين الصفيين فخط القوم وهو
متكعب قوسه وسيفه مشتمل في طيلسان واستشهد واستشهد الهيثم بن المنخل
العبدى قال علي عن عبد الله بن المبارك قال لما اتقى أشرس والترك قال ثابت قطنة
اللهم إني كنت ضيف بن بسطام البارحة فاجعاني ضيفك الليلة والله لا ينظر إلى
بنو أمية مشدوداً في الحديد فحمل وحمل أصحابه فكذب أصحابه وثبت فرمى برذونه
أشب وضربه فأقدم وضرب فارتث فقال وهو صريع اللهم إني أصبحت ضيفاً
لابن بسطام وأميت ضيفك فاجعل قرأى من ثوابك الجنة قال علي ويقال إن
أشرس قطع النهر ونزل يكتد فلم يجد بها ماء فلما أصبحوا ارتحلوا فلما دنوا من قصر
بخاري أخذاه وكان منزله منهم على ميل تلقاهم ألف فارس فأحاطوا بالعسكر وسطع

رهج الغبار فلم يكن الرجل يقدر أن ينظر إلى صاحبه قال فانقطع منهم ستة آلاف
فيهم قطن بن قتيبة وغوزك من الدهاقين فانتهوا إلى قصر من قصور بخارى وهم
يرون أن أشرس قد هلك وأشرس في قصور بخارى فلم يلتقوا إلا بعد يومين
ولحق غوزك في تلك الواقعة بالترك وكان قد دخل القصر مع قطن فأرسل إليه قطن
رجلاً فصاحوا برسول قطن ولحق بالترك قال ويقال إن غوزك وقع يومئذ وسط
الخيل فلم يجد بداً من اللحاق بهم ويقال إن أشرس أرسل إلى غوزك يطلب منه
طاساً فقال لرسول أشرس إنه لم يبق معي شيء أتدهن به غير هذا الطاس فاصفح
عنه فأرسل إليه اشرب في قرعة وابعث إلى بالطاس فقارقه قال وكان على سمرقند
نصر بن سيار وعلى خراجها عميرة بن سعد الشيباني وهم محصورون وكان عميرة
من قدم مع أشرس وأقبل قريش بن أبي كهمس على فرس فقال لقطن قد نزل
الأمير والناس فلم يفقد أحد من الجند غيرك فمضى قطن والناس إلى العسكر وكان
بينهم ميلٌ قال ويقال إن أشرس نزل قريباً من مدينة بخارى على قدر فرسخ وذلك
المنزل يقال له المسجد ثم تحول منه إلى مرج يقال له بوادرة فاتاهم سبابة أو شبابة
مولي قيس بن عبد الله الباهلي وهم نزول بكرجة وكانت كمرجة من أشرف أيام
خراسان وأعظمها أيام أشرس في ولايته فقال لهم إن خاقان ماربكم غداً فأرى
لكم أن تظهروا عدتكم فيرى جداً واحتشاداً فينقطع طمعه منكم فقال له رجل
منهم استوثقوا من هذا فإنه جاء ليُفت في أعضادكم قالوا لا نفعل هذا مولانا وقد
عرفناه بالنصيحة فلم يقبلوا منه وفعلوا ما أمرهم به المولى وصبحهم خاقان فلما
حاذى بهم ارتفع إلى طريق بخارى كأنه يريد ما فتحد بجنوده من وراء تل بينهم
وبينه فنزلوا وتأهبوا وهم لا يشعرون بهم فلما كان ذلك ما فاجأهم أن طلوعوا على
التل فاذا جبل حديد أهل فرغانة والطاربند وأفشينة ونسف وطوائف من أهل
بخارى قال فأسقط في أيدي القوم فقال لهم كليب بن قنان الذهلي هم يريدون مزاحفتكم
فسربوا دوابكم المجففة في طريق النهر كأنكم تريدون أن تسقوها فاذا جردتموها
غخذوا طريق الباب وتسربوا الأول فالأول فلما رآهم الترك يتسربون شدوا عليهم

في مضايق وكانوا هم أعلم بالطريق من الترك وسبقوهم إلى الباب فلحقوهم عنده
فقتلوا رجلاً كان يقال له المهلب كان حاميتهم وهو رجل من العرب فقاتلوهم فغلبوهم
على الباب الخارج من الخندق فدخلوه فاقتلوا وجاء رجل من العرب بحزمة قصب
قد أشعلها فرمى بها في وجوههم فتتحوا وأخلوا عن قتلى وجرحى فلما أمسوا
انصرف الترك وأحرق العرب القنطرة فأتاهم خسرو بن يزيد جرد في ثلاثين رجلاً
فقال يا معشر العرب لم تقتلون أنفسكم وأنا الذي جئت بخاقان ليرد عليّ ملكتي
وأنا آخذ لكم الأمان فشتموه فانصرف قال وجاءهم بازغرى في مائتين وكان داهية
من وراء النهر وكان خاقان لا يخالفه ومعه رجلان من قرابة خاقان ومعه أفراس
من رابطة أشرس فقال آمنوننا حتى ندنوا منكم فأعرض عليكم ما أرسلني إليكم به
خاقان فآمنوه فدنا من المدينة وأشرفوا عليه ومعه أسراء من العرب فقال بازغرى
يا معشر العرب أحذروا إلى رجلا منكم أكله برسالة خاقان فأحذروا حبياً مولى
مهرة من أهل درقين فكلموه فلم يفهم فقال أحذروا إلى رجلا يعقل عني فأحذروا
يزيد بن سعيد الباهلي وكان يشدواشدوا من التركية فقال هذه خيل الرابطة ووجوه
العرب معه أسراء وقال إن خاقان أرسلني إليكم وهو يقول لكم إنى أجعل من
كان عطاؤه منكم ستمائة ألفاً ومن كان عطاؤه ثلاثمائة ستمائة وهو يجمع بعد هذا
على الإحسان إليكم فقال له يزيد هذا أمر لا يلتئم كيف تكون العرب وهم ذئاب
مع الترك وهم شاء لا يكون بيننا وبينكم صلح فغضب بازغرى فقال التركيان اللذان
معه ألا تضرب عنقه قال لا نزل الينا بأمان وفهم ما قال له يزيد فخاف فقال بلى يا بازغرى
إلا أن تجعلونا نصفين فيكون نصف في أثقالنا ويسير النصف معه فإن ظفر خاقان
فنحن معه وإن كان غير ذلك كنا كسائر مدائن أهل السغد فرضى بازغرى والتركيان
بما قال فقال له أعرض على القوم ما تراضينا به وأقبل فأخذ بطرف الحبل فجذبوه
حتى صار على سور المدينة فنادى يا أهل كمرجه اجتمعوا فقد جاءكم قوم يدعونكم
إلى الكفر بعد الإيمان فأتون قالوا لا نجيب ولا نرضى قال يدعونكم إلى
قتال المسلمين مع المشركين قالوا نموت جميعاً قبل ذلك قال فأعلموهم قال فأشرفوا

عليهم وقالوا يا بازغرى أتبيع الأسرى في أيديكم فنفادى بهم فاما مادعوتنا اليه فلا نجيبكم اليه قال لهم أفلا تشترون أنفسكم منا فأنتم عندنا إلا بمنزلة من في أيدينا منكم وكان في أيديهم الحجاج بن حميد النضرى فقالوا له يا حجاج ألا تكلم قال على رقباء وأمر خاقان بقطع الشجرة فجعلوا يلقون الحطب الرطب ويلقى أهل كمرجه الحطب الياس حتى سوى الخندق ليقطعوا اليهم فأشعلوا فيه النيران فهاجت ريح شديدة صنعا من الله عز وجل قال فاشتعلت النار في الحطب فاحترق ما عملوا في ستة أيام في ساعة من نهار ورميناهم فأوجعناهم وشغلناهم بالجراحات قال وأصابت بازغرى نشابة في سرتة فاحتقن بوله فمات من ليلته فقطع آراكه آذانهم وأصبحوا بشر منكسرين رؤسهم يبكونه ودخل عليهم أمر عظيم فلما امتد النهار جاءوا بالأسرى وهم مائة فيهم أبو العوجاء العتكى وأصحابه فقتلهم ورموا اليهم برأس الحجاج بن حميد النضرى وكان مع المسلمين مائتان من أولاد المشركين كانوا رهائن في أيديهم فقتلهم واستماتوا واشتد القتال وقاموا على باب الخندق فسار على السور خمسة أعلام فقال كليب من لى بهؤلاء فقال ظهير بن مقاتل الطفاوى أنا لك بهم فذهب يسعى وقال لفتيان امشوا خلفى وهو جريح قال فقتل يومئذ من الأعلام اثنان ونجا ثلاثة قال فقال ملك من الملوك لمحمد بن وشاح العجب انه لم يبق ملك فيما وراء النهر إلا قاتل بكمرجه غبرى وعز على ألا أقاتل مع أكفانى ولم يرمكانى فلم يزل أهل كمرجه بذلك حتى أقبلت جنود العرب فنزلت فرغانة فعير خاقان أهل السغد وفرغانة والشاش والدهاقين وقال لهم زعمتم أن فى هذه خمسين حمارا وأنا نفتحها فى خمسة أيام فصارت الخمسة الأيام شهرين وشتهم وأمرهم بالرحلة فقالوا ما ندع جهدا ولكن أحضرنا غدا فانظر فلما كان من الغد جاء خاقان فوقف فقام اليه ملك الطار بند فاستأذنه فى القتال والدخول عليهم قال لا أرى أن تقاتل فى هذا الموضع وكان خاقان يعظمه فقال اجعل لى جارتين من جوارى العرب وأنا أخرج عليهن نأذن له فقاتل فقتل منهم ثمانية وجاء حتى وقف على ثلثة وإلى جنب الثلثة بيت فيه خرق يفضى إلى الثلثة وفى البيت رجل من بنى تميم مريض

فرماه بكلوب فتعلق بدرعه ثم نادى النساء والصبان فجدبوه فسقط لوجهه وركبته
ورماه رجل بحجر فأصاب أصل أذنه فصرع وطعنه رجل فقتله وجاء شاب
أمر من الترك فقتله وأخذ سلبه وسيفه فغلبناهم على جسده قال ويقال إن الذي
انتدب لهذا فارس أهل الشاش فكانوا قد اتخذوا صناعات وأصقوها بحائط الخندق
فنصبوا قبالة ما اتخذوا أبواباً له فأقعدوا الرماة وراءها وفيهم غالب بن المهاجر الطائي
عم أبي العباس الطوسي ورجلان أحدهما شيباني والآخر ناجي فجاء فاطم في
الخندق فرماه النا جي فلم يخطئ قصبه أنفه وعليه كاشخودة تبتية فلم تضره الرمية
ورماه الشيباني وليس يرى منه غير عييه فرماه غالب بن المهاجر فدخلت النشابة
في صدره فنكس فلم يدخل خاقان شيء أشد منه قال فيقال إنه إنما قتل الحجاج
وأصحابه يومئذ لما دخله من الجزع وأرسل إلى المسلمين انه ليس من رأينا أن
نرتحل عن مدينة نزلها دون افتتاحها أو نرحلهم عنها فقال له كليب بن قنان وليس
من ديننا أن نعطي بأيدينا حتى نقتل فاصنعوا ما بدا لكم فرأى الترك أن مقامهم
عليهم ضرر فأعطوهم الأمان على أن يرحل هو وهم عنها بأهاليهم وأموالهم إلى
سمرقند أو الدبوسية فقال لهم اختاروا لأنفسكم في خروجكم من هذه المدينة قال
ورأى أهل كمرجه ما هم فيه من الحصار والشدة فقالوا نشاور أهل سمرقند فبعثوا
غالب بن المهاجر الطائي فأنحدر في موضع من الوادي فمضى إلى قصر يسمى فرزاوثة
والدهقان الذي بها صديق له فقال له إنى بعثت إلى سمرقند فأحلتني فقال ما أجد دابة
إلا بعض دواب خاقان فإن له في روضة خمسين دابة فخرجا جميعا إلى تلك الروضة
فأخذ بردونا فركبه وكان إلفه بردون آخر فتبعه فأتى سمرقند من ليك فأخبرهم
بأمرهم فأشاروا عليه بالدبوسية وقالوا هي أقرب فرجع إلى أصحابه فأخذوا من
الترك رهائن ألا يعرضوا لهم وسألوهم رجلا من الترك يتقون به مع رجال منهم
فقال لهم الترك اختاروا من شئتم فاختاروا كورصول يكون معهم فكان معهم
حتى وصلوا إلى حيث أرادوا ويقال إن خاقان لما رأى أنه لا يصل إليهم شتم
أصحابه وأمرهم بالارتحال عنهم وكله المختار بن غوزك وملوك السغد وقالوا لا تفعل

أيها الملك ولكن أعطهم أماناً يخرجون عنها ويرون أنك إنما فعلت ذلك بهم من أجل غوزك أنه مع العرب في طاعتها وان ابنه المختار طلب اليك في ذلك مخافة على أبيه فاجابهم إلى ذلك فسرحت إليهم كورصول يكون معهم يمنعهم ممن أرادهم قال فصار الرهن من الترك في أيديهم وارتحل خاقان وأظهر أنه يريد سمرقند وكان الرهن الذي في أيديهم من ملوكهم فلما ارتحل خاقان قال كورصول للعرب ارتحلوا قالوا نكره أن ترتحل والترك لم يمضوا ولا نأمنهم أن يعرضوا لبعض النساء فتحمى العرب فتصير إلى مثل ما كنا فيه من الحرب قال فكف عنهم حتى مضى خاقان والترك فلما صلوا الظهر أمرهم كورصول بالرحلة وقال إنما الشدة والموت والخوف حتى تسيروا فرسخين ثم تصيروا إلى قرى متصلة فارتحلوا وفي يد الترك من الرهن من العرب نفر منهم شعيب البكري أو النصرى وسباع بن النعمان وسعيد ابن عطية وفي أيدي العرب من الترك خمسة قد أردفوا خلف كل رجل من الترك رجلاً من العرب معه خنجر وليس على التركي غير قباه فساروا بهم ثم قال العجم لكورصول إن الدبوسية فيها عشرة آلاف مقاتل فلاناً من أن يخرجوا علينا فقال لهم العرب إن قاتلوكم قاتلناهم معكم فساروا فلما صار بينهم وبين الدبوسية قدر فرسخ أو أقل نظر أهلها إلى فرسان وبيارقة وجمع فظنوا أن كمرجه قد فتحت وأن خاقان قصد لهم قالوا وقربنا منهم وقد تأهبوا للحرب فوجه كليب بن قنان رجلاً من بني ناجية يقال له الضحاك على بردون يركض وعلى الدبوسية عقيل بن وراذ السغدني فاتاهم الضحاك وهم صفوف فرسان ورجالة فأخبرهم الخبر فأقبل أهل الدبوسية يركضون فحمل من كان يضعف عن المشي ومن كان مجروحاً ثم إن كليلاً أرسل إلى محمد بن كراز ومحمد بن درهم ليعلما سباع بن النعمان وسعيد بن عطية أنهم قد بلغوا ما منهم ثم خلوا عن الرهن فجعلت العرب ترسل رجلاً من الرهن الذين في أيديهم من الترك وترسل الترك رجلاً من الرهن الذين في أيديهم من العرب حتى بقي سباع ابن النعمان في أيدي الترك ورجل من الترك في أيدي العرب وجعل كل فريق منهم يخاف على صاحبه الغدر فقال سباع خلوا رهينة الترك فخلوه وبقي سباع في أيديهم

فقال له كورصول لم فعلت هذا قال وثقتُ برأيك في وقتك ترفعُ نفسك عن الغدر في مثل هذا فوصله وسلحه وحمله على بردون وورده إلى أصحابه قال وكان حصار كرجه ثمانية وخمسين يوماً فيقال إنهم لم يسقوا إبلهم خمسة وثلاثين يوماً قال وكان خاقان قسم في أصحابه الغنم فقال كُلُوا لحومها واملوا جلودها تراها واكبسوا خندقكم ففعلوا فكبسوه فبعث الله عليهم سحابة فمطرت فاحتمل المطر ما ألقيوا فالتقاه في النهر الأعظم وكان مع أهل كرجه قوم من الخوارج فيهم ابن سُنج مولى بني ناجية (وفي هذه السنة) ارتد أهل كردر فقاتلهم المسلمون وظفروا بهم وقد كان الترك أعانوا أهل كردر فوجه أشرس إلى من قرب من كردر من المسلمين ألف رجل ردها لهم فصاروا إليهم وقد هزم المسلمون والترك فظفروا بأهل كردر وقال عَرَجَةُ الدارِ

نَحْنُ كَفَيْنَا أَهْلَ مَرُو وَغَيْرَهُمْ وَنَحْنُ نَفَيْنَا التُّرْكَ عَنْ أَهْلِ كِرْدَرِ
فَإِنْ تَجَعَلُوا مَا قَدْ غَنِمْنَا لِغَيْرِنَا فَقَدْ يُظْلَمُ الْمَرْءُ الْكَرِيمُ فَيَصْبِرُ
(وفي هذه السنة) جعل خالد بن عبد الله الصلاة بالبصرة مع الشرطة والأحداث والقضاء إلى بلال بن أبي بردة فجمع ذلك كله له وعزل به ثمامة بن عبد الله بن أنس عن القضاء (وحج) بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام بن اسماعيل كذلك قال أبو معشر والواقدي وغيرهما حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف إبراهيم بن هشام وعلى الكوفة والبصرة والعراق كلها خالد بن عبد الله وعلى خراسان أشرس بن عبد الله

ثم دخلت سنة احدى عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزوة سعيد ابن هشام الصائفة اليمنى حتى أتى قيسارية قال الواقدي عزى سنة ۱۱۱ على جيش

البحر عبد الله بن أبي مریم وأمر هشام على عامة الناس من أهل الشام ومصر
الحکم بن قیس بن مخزومه بن المطلب بن عبدمناف وفيها سارت الترك إلى آذربيجان
فلقبهم الحارث بن عمرو فهزمهم وفيها ولي هشام الجراح بن عبد الله الحكيم على
أرمينية وفيها عزل هشام أشرس بن عبد الله السلي عن خراسان وولاهما الجنيد
ابن عبد الرحمن المزني

ذكر السبب الذي من أجله عزل هشام أشرس عن خراسان

واستعماله الجنيد

ذكر علي بن محمد عن أبي الذيال قال كان سبب عزل أشرس أن شداد بن
خالد الباهلي شخص إلى هشام فشكاه فعزله فاستعمل الجنيد بن عبد الرحمن على
خراسان سنة ١١١ قال وكان سبب استعماله إياه أنه أهدى لأم حكيم بنت يحيى
ابن الحكم امرأة هشام قلادة فيها جوهر فأعجبت هشاماً فأهدى لهشام قلادة أخرى
فاستعمله على خراسان وحمله على ثمانية من البريد فسأله أكثر من تلك الدواب
فلم يفعل فقدم خراسان في خمسمائة وأشرس بن عبد الله يقاتل أهل بخارى والسغد
فسأل عن رجل يسير معه إلى ما وراء النهر فدل على الخطاب ابن محرز السلي
خليفة أشرس فلما قدم أمل أشار عليه الخطاب أن يقيم ويكتب إلى من بزم ومن
حوله فيقدموا عليه فأبى وقطع النهر وأرسل إلى أشرس أن أمدني بخيل وخاف
أن يقطع قبل أن يصل إليه فوجه إليه أشرس عامر بن مالك الحناني فلما كان في
بعض الطريق عرض له الترك والسغد ليقطعوه قبل أن يصل إلى الجنيد فدخل
عامر حائطاً حصيناً فقاتلهم على ثلثة الحائط ومعه ورد بن زياد بن أدهم بن كلثوم
ابن أخى الأسود بن كلثوم فرماه رجل من العدو بنشاباً فأصاب عرض منخره
فأنفذ المنخرين فقال له عامر بن مالك يا أبا الزاهرية كأنك دجاجة مقرق وقاتل
عظيم من عظماء الترك عند الثلثة وخاقان على تل خلفه أجمه فخرج عاصم بن عمير
السمرقندي وواصل بن عمرو القيسي في شاكزية فاستدار حتى صاروا من وراء
ذلك الماء فضموا خشباً وقصبا وما قدررا عليه حتى اتخذوا رصفاً فعبروا عليه

فلم يشعر خاقان إلا بالتكبير وحمل واصل والشاكرية على العدو فقاتلهم فقتل تحت واصل برزون وهزم خاقان وأصحابه وخرج عامر بن مالك من الحائط ومضى إلى الجنيد وهو في سبعة آلاف فلقى الجنيد وأقبل معه وعلى مقدمة الجنيد عمارد بن خريم فلما انتهى إلى فرسخين من بيكند تلقته خيل الترك فقاتلهم فكاد الجنيد أن يهلك ومن معه ثم أظهره الله فسار حتى قدم العسكر وظهر الجنيد وقتل الترك وزحف إليه خاقان فالتقوا دون زرمان من بلاد سمرقند وقطن ابن قتيبة على ساقه الجنيد وواصل في أهل بخارى وكان ينزلها فأسم ملك الشاش وأسر الجنيد من الترك ابن أخى خاقان في هذه الغزاة فبعث به إلى الخليفة وكان الجنيد استخلف في غزاته هذه بجشر بن مزاحم على مرو وولى سورة بن الحر من بنى أبان بن دارم باخ وأوفد لما أصاب في وجهه ذلك عمارة بن معاوية العدوي ومحمد بن الجراح العبدى وعبد ربه بن أبى صالح السلى إلى هشام بن عبد الملك ثم انصرفوا فتوافقوا بالترمذ فأقاموا بها شهرين ثم أتى الجنيد مرو وقد ظهر فقال خاقان هذا غلام مترف هزمنى العام وأنا هلكه في قابل فاستعمل الجنيد عماله ولم يستعمل إلا مضرى استعمل قطن بن قتيبة على بخارى والوليد بن القعقاع العبدى على هراة وحبيب بن مرة العبدى على شرطه وعلى بلخ مسلم بن عبد الرحمن الباهلى وكان نصر بن سيار على بلخ والذى بينه وبين الباهليين متباعد لما كان بينهم بالبروقان فأرسل مسلم إلى نصر فصادفوه نائما فجاءوا به في قميص ليس عليه سراويل مليا فجعل يضم عليه قميصه فاستحي مسلم وقال شيخ من مضر جثم به على هذه الحال ثم عزل الجنيد مسلما عن بلخ وولاه يحيى بن ضبيعة واستعمل على خراج سمرقند شداد بن خالد الباهلى وكان مع الجنيد السمهرى بن قنبر (وحج) بالناس في هذه السنة لإبراهيم بن هشام المخزومى وكان إليه من العمل في هذه السنة ما كان إليه في السنة التى قبها وقد ذكرت ذلك قبل وكان العامل على العراق خالد بن عبد الله وعلى خراسان الجنيد بن عبد الرحمن

ثم دخلت سنة اثنتى عشرة مائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة فافتح خرشنة وحرقت فرندية من ناحية ملطية (وفيها) سار الترك من اللان فلقبهم الجراح بن عبد الله الحكى فيمن معه من أهل الشام وأذربيجان فلم يتنام اليه جيشه فاستشهد الجراح ومن كان معه بمرج أردبيل وافتتحت الترك أردبيل وقد كان استخلف أخاه الحجاج بن عبد الله على أرمينية (ذكر محمد بن عمر) أن الترك قتلت الجراح ابن عبد الله بيلنجر وأن هشام لما بلغه خبره دعا سعيد بن عمرو الحرشى فقال له إنه بلغنى أن الجراح قد انحاز عن المشركين قال كلا يا أمير المؤمنين الجراح أعرف بالله من أن ينحاز عن العدو ولكنه قتل قال فما رأى قال تبعنى على أربعين دابة من دواب البريد ثم تبعث إلى كل يوم أربعين دابة عليها أربعون رجلا ثم اكتب إلى أمراء الأجناد يوافقونى ففعل ذلك هشام فذكر أن سعيد بن عمرو أصاب للترك ثلاثة جموع وفوداً إلى خاقان بمن أسروا من المسلمين وأهل الذمة فاستنقذ الحرشى ما أصابوا وأكثروا القتل فيهم وذكر على بن محمد أن الجنيد ابن عبد الرحمن قال فى بعض ليالى حربته الترك بالشعب ليلة كليلة الجراح ويوماً كيومه فقيل له أصلحك الله إن الجراح سير اليه فقتل أهل الحجى والحفاظ فجن عليه الليل فانسف الناس من تحت الليل إلى مدائن لهم بأذربيجان وأصبح الجراح فى قلة فقتل (وفى هذه السنة) وجه هشام أخاه مسلمة بن عبد الملك فى أثر الترك فسار فى شتاء شديد البرد والمطر والثلوج فطلبهم فيما ذكر حتى جاز الباب فى آثارهم وخلف الحارث بن عمر والطائى بالباب (وفى هذه السنة) كانت وقعة الجنيد مع الترك ورئيسهم خاقان بالشعب (وفيها) قتل سورة بن الحر وقد قيل إن هذه الواقعة كانت فى سنة ١١٣

ذكر الخبر عن هذه الواقعة وما كان سببها وكيف كانت

ذكر على بن محمد عن أشياخه أن الجنيد بن عبد الرحمن خرج غازياً فى سنة ١١٢

يريد طخارستان فنزل على نهر بلخ ووجه عمارة بن حريم إلى طخارستان في ثمانية عشر ألفاً وإبراهيم بن بسام الليثي في عشرة آلاف في وجه آخر وجاشت الترك فأتوا سمرقند وعليها سورة بن الحر أحد بني أبان بن دارم فكتب سورة إلى الجنيد إن خاقان جاش بالترك فخرجت اليهم فما قدرت أن أمنع حائط سمرقند فالغوث فأمر الجنيد الناس بالعبور فقام إليه المجشر بن مزاحم السلمي وابن بسطام الأزدي وابن صبح الخرقى فقالوا إن الترك ليسوا كغيرهم لا يلقونك صفا ولا زحفا وقد فرقت جندك فسلم بن عبد الرحمن بالنيروذ والبختري بهراة ولم يحضرك أهل الطالقان وعمارة بن حريم عائب وقال له المجشر إن صاحب خراسان لا يعبر النهر في أقل من خمسين ألفاً فكتب إلى عمارة فليأتك وأمهل ولا تعجل قال فكيف بسورة ومن معه من المسلمين لولم أكن إلا في بني مرة أو من طلع معي من أهل الشام لعبرت وقال

أليس أحق الناس أن يشهد الوفا وأن يقتل الأبطال ضحماً على ضخم
(وقال)

ما عِلِّي ما عِلِّي ما عِلِّي إن لم أقاتلهم جُزوا لِعِتي
قال وعبر فنزل كس وقد بعث الأشهب بن عبيد الحنظلي ليعلم علم القوم فرجع إليه وقال قد أتوك فتأهب للمسير وبلغ الترك فغوروا الآبار التي في طريق كس وما فيه من الركايا فقال الجنيد أي الطريقين إلى سمرقند أمثل قالوا طريق المحترقة قال المجشر بن مزاحم السلمي القتل بالسيف أمثل من القتل بالنار إن طريق المحترقة فيه الشجر والحشيش ولم يُزرع منذ سنين فقد تراكم بعضه على بعض فان لقيت خاقان أحرق ذلك كله فقتلنا بالنار والدخان ولكن خذ طريق العقبة وهو وبيننا وبينهم سواء فأخذ الجنيد طريق العقبة فارتقى في الجبل فأخذ المجشر بعنان دابته وقال إنه كان يقال إن رجلاً من قيس مترفاً يهلك على يديه جند من جنود خراسان وقد خفنا أن تكونه قال أفرخ روعك فقال المجشر أما إذا كان بيننا مثلك فلا يفرخ فبات في أصل العقبة ثم ارتحل حين أصبح فصار الجنيد بين

مرتحل ومقيم فلتقى فارساً فقال ما اسمك فقال حرب قال ابن من قال ابن محربة
قال من بنى من قال من بنى حنظلة قال سلط الله عليك الحرب والحرب والكلب
ومضى بالناس حتى دخل الشعب وبينه وبين مدينة سمرقند أربع فراسخ فصبحه
خاقان في جمع عظيم وزحف اليه أهل السغد والشاش وفرغانة وطائفة من الترك
قال فحمل خاقان على المقدمة وعليها عثمان بن عبد بن الشيخير فرجعوا إلى العسكر
والترك تتبعهم وجاءوهم من كل وجه وقد كان الإخريد قال للجنيدي رد الناس
إلى العسكر فقد جاءك جمع كثير فطلع أوائل العدو والناس يتغدون فرآهم
عبيد الله بن زهير بن حيان فكره أن يعلم الناس حتى يفرغوا من غداهم والتفت
أبو الذيال فرآهم فقال العدو فركب الناس إلى الجنيدي فسير تيمار الأزد في الميمنة
وربيعة في الميسرة مما يلي الجبل وعلى مجففة خيل بنى تميم عبيد الله بن زهير بن
حيان وعلى المجردة عمر أو عمرو بن جرفاس بن عبد الرحمن بن شقران المنقري
وعلى جماعة بنى تميم عامر بن مالك الحماني وعلى الأزد عبد الله بن بسطام بن
مسعود بن عمرو المعنى وعلى خيلهم المجففة والمجردة فضيل بن هناد وعبد الله
ابن حوذان أحدهما على المجففة والآخر على المجردة ويقال بل كان بشر بن
حوذان أخو عبد الله بن حوذان الجهضمي فالتقوا وربيعه مما يلي الجبل في
مكان ضيق فلم يقدم عليهم أحد وقصد العدو للميمنة وفيها تميم والأزد في موضع
واسع فيه مجال للنخيل فترجل حيان بن عبيد الله بن زهير بين يدي أبيه ودفع
برذونه إلى أخيه عبد الملك فقال له أبوه يا حيان انطلق إلى أخيك فإنه حدث
وأخاف عليه فأبى فقال يا بني إنك إن قتلت على حالك هذه قتلت عاصيا فرجع
إلى الموضع الذي خلف فيه أخاه والبرذون فاذا أخوه قد لحق بالعسكر وقد
شد البرذون فقطع حيان مقوده وركبه فأتى العدو فاذا العدو قد أحاط بالمرضع
الذي خلف فيه أباه وأصحابه فامدتم الجنيدي بنصر بن سيار في سبعة معه فيهم جميل
ابن غزوان العدو فدخل عبيد الله بن زهير معهم وشدوا على العدو فكشفوهم
ثم كروا عليهم فقتلوا جميعاً فلم يفلت منهم أحد من كان في ذلك الموضع وقتل

عبد الله بن زهير وابن حوذان وابن جرفاس والفضيل بن هناد وجالت الميمنة والجنيد واقف في القلب فأقبل إلى الميمنة فوقف تحت راية الأزد وقد كان جفام فقال له صاحب راية الأزد ماجئتنا لتحبونا ولا لتكرمنا ولكذك قد علمت أنه لا يوصل اليك ومنا رجل حتى فإن ظفرا كان لك وإن هلكنا لم تبك علينا ولعمري لن ظفرا وبقيت لا أكلك كلمة أبداً وتقدم فقتل وأخذ الراية ابن جماعة فقتل فتداول الراية ثمانية عشر رجلاً منهم فقتلوا فقتل يومئذ ثمانون رجلاً من الأزد قال وصبر الناس يقاتلون حتى أعيوا فكانت السيوف لا تحيك ولا تقطع شيئاً فقطع عيدهم الخشب يقاتلون به حتى مل الفريقان فكانت المعانقة فتحاجزوا فقتل من الأزد حمزة بن جماعة العتكي ومحمد بن عبد الله بن حوذان الجهضمي وعبد الله بن بسطام المعنى وأخوه زنيم والحسن بن شيخ والفضيل الحارثي وهو صاحب الخيل ويزيد بن المفضل الحداني وكان حجاً فأنفق في حجه ثمانين ومائة ألف فقال لأمه وحشيئة ادعى الله أن يرزقني الشهادة فدعت له وغشى عليه فاستشهد بعد مقدمه من الحج بثلاثة عشر يوماً وقاتل معه عبدان له وقد كان أمرهما بالانصراف فقتلا فاستشهدا قال وكان يزيد بن المفضل حمل يوم الشعب على مائة بعير سويقاً للمسلمين فجعل يسأل عن الناس ولا يسأل عن أحد إلا قيل له قد قتل فاستقدم وهو يقول لا إله إلا الله فقاتل حتى قتل وقاتل يومئذ محمد بن عبد الله بن حوذان وهو على فرس أشقر عليه تجفاف مذهب فحمل سبع مرات يقتل في كل حملة رجلاً ثم رجع إلى موقفه فهابه من كان في ناحيته فناداه ترجمان للعدو يقول لك الملك لا تقبل وتحول إلينا فرفض صنمنا الذي نعبده ونعبدك فقال محمد أنا أقاتلكم لتتركوا عبادة الأصنام وتعبدوا الله وحده فقاتل واستشهد وقتل جشم بن قرط الهلالي من بني الحارث وقتل النضر بن راشد العبدي وكان دخل على امرأته والناس يقتلون فقال لها كيف أنت إذا أتيت بأبي ضمرة في لبد مضر جا بالدماء فشقت جيها ودعت بالويل فقال حسبك لو أعولت على كل أنثى لعصبتها شوقاً إلى الحور

العين ورجع فقاتل حتى استشهد رحمه الله قال فيينا الناس كذلك إذ أقبل
 رهج فطلعت فرسان فنادى منادى الجنيد الأرض الأرض فترجل وترجل
 الناس ثم نادى منادى الجنيد ليخندق كل قائد على حياله فنخندق الناس قال
 ونظر الجنيد إلى عبد الرحمن بن مكية يحمل على العدو فقال ما هذا الخرطوم
 السائل قيل له هذا ابن مكية قال ألسان البقرة لله دره أي رجل هو وتحاجزوا
 وأصيب من الأزد مائة وتسعون وكانوا القوا خاقان يوم الجمعة فأرسل الجنيد إلى
 عبد الله بن معمر بن سُمير اليشكري أن يقف في الناحية التي تلى كس ويحبس من مر به
 ويحوز الأثقال والرجالة وجاءت الموالي رجالة ليس فيهم غير فارس واحد والعدو
 يقبعونهم فثبت عبد الله بن معمر للعدو فاستشهد في رجال من بكر وأصبحوا يوم
 السبت فأقبل خاقان نصف النهار فلم ير موضعا للقتال فيه أيسر من موضع بكر بن وائل
 وعليهم زياد بن الحارث فقصد لهم فقالت بكر لزياد القوم قد كثرونا نخل عنا نحمل
 عليهم قبل أن يحملوا علينا فقال لهم قد مارست سبعين سنة إنكم إن حملتم عليهم
 فصعدتم انهزمتم ولكن دعوهم حتى يقربوا ففعلوا فلما قربوا منهم حملوا عليهم
 فأفرجوا لهم فسجد الجنيد وقال خاقان يومئذ إن العرب إذا أخرجوا استقتلوا
 نخلهم حتى يخرجوا ولا تعرضوا لهم فإنكم لا تقومون لهم وخرج جوار للجنيد
 يولون فانتدب رجال من أهل الشام فقالوا الله الله يا أهل خراسان إلى أين
 وقال الجنيد ليلة كيلة الجراح ويوم كيومه (وفي هذه السنة) قتل سورة
 ابن الحر التيمي

ذكر الخبر عن مقتله

ذكر علي عن شيوخه أن عبيد الله بن حبيب قال للجنيد اختر بين أن تهلك
 أنت أو سورة فقال هلاك سورة أهون علي قال فاكتب إليه فليأتك في أهل
 سمرقند فإن الترك إن بلغهم أن سورة قد توجه إليك انصرفوا إليه فقاتلوه
 فكتب إلى سورة يأمره بالقدوم ه وقيل كتب أغثنى فقال عبادة بن السليل
 المحاربي أبو الحكم بن عبادة لسورة أنظر أبردبيت بسمرقند فتم فيه فإنك إن خرجت

لا تبالى أسخط عليك الاميرام رضى وقال له حليس بن غالب الشيباني إن الترك
بينك وبين الجنيد فان خرجت كروا عليك فاخطفوك فكتب إلى الجنيد إنى
لا أقدر على الخروج فكتب إليه الجنيد يا ابن اللخناء تخرج وإلا وجهت إليك
شداد بن خالد الباهلى وكان له عدوا فاقدم وضع فلانا بفرخشاذا في خمسمائة
ناشب والزم الماء فلا تفارقه فأجمع على المسير فقال الوَجَف بن خالد العبدى
إنك لمهلك نفسك والعرب بمسيرك ومهلك من معك قال لا يخرج حملى من التنور
حتى أسير فقال له عبادة وحليس أما إذا أبيت إلا المسير فخذ على النهر فقال أنا
لا أصل إليه على النهر في يومين وبنى وبينه من هذا الوجه ليلة فأصبحه فإذا
سكنت الرجل سرت فأعبره فجاءت عيون الاتراك فأخبروهم وأمر سورة
بالرحيل واستخلف على سمرقند موسى بن أسود أحد بنى ربيعة بن حنظلة وخرج
في اثني عشر ألفاً فأصبح على رأس جبل وإنما دله على ذلك الطريق علاج يسمى
كار تقب فلتقاه خاقان حين أصبح وقد سار ثلاثة فراسخ وبينه وبين الجنيد فرسخ
فقال أبو الذيال قاتلهم في أرض حوارة فصر وصبروا حتى اشتد الحر وقال
بعضهم قال له غوزك يومك حار فلا تقاتلهم حتى تحمى عليهم الشمس وعليهم
السلاح ثقلمهم فلم يقاتلهم خاقان وأخذ برأى غوزك وأشعل النار في الحشيش
وواقفهم وحال بينهم وبين الماء فقال سورة لعبادة ماترى يا أبا السليل قال
أرى والله أنه ليس من الترك أحد إلا وهو يريد الغنيمة فاعقر هذه الدواب
وأحرق هذا المتاع وجرد السيف فإنهم يخلون لنا الطريق قال أبو الذيال فقال
سورة لعبادة ما رأى قال تركت رأى قال فاترى الآن قال ان تنزل فنشرع
الرماح ونزحف زحفاً فإنما هو فرسخ حتى نصل إلى العسكر قال لا أقوى على
هذا ولا يقوى فلان وفلان وعدد رجالا ولكن أرى أن أجمع الخيل ومن أرى
أنه يقاتل فأصكهم سلت أم عطيت فجمع الناس وحلوا فانكشفت الترك وثار
الغبار فلم يبصروا ومن وراء الترك اللهب فسقطوا فيه وسقط فيه العدو
والمسلمون وسقط سورة فاندقت نخذه وتفرق الناس وانكشفت الغنمة والناس

متفرقون فقطعتهم الترك فقتلوه فلم ينج منهم غير ألفين ويقال ألف وكان بمن نجا
عاصم بن عمير السمرقندي عرفه رجل من الترك فأجاره واستشهد حليس بن
غالب الشيباني فقال رجل من العرب الحمد لله استشهد حليس ولقد رأيت يرمي
البيت أيام الحجاج ويقول درى عقاب بلبن وأخشاب وامرأة قائمة فكما رمى
بحجر قالت المرأة يارب بي ولا بيتك ثم رزق الشهادة وانحاز المهلب بن زياد
العجلي في سبعمائة ومعه قريش بن عبد الله العبدى إلى رستاق يسمى المرغاب
فقاتلوا أهل قصر من قصورهم فأصيب المهلب بن زياد وولوا أمرهم الوجد بن
خالد ثم أتاهم الأشكند صاحب نَسَف في خيل ومعه غوزك فقال غوزك يا وجف
لكم الأمان فقال قريش لا تثقوا بهم ولكن إذا جئنا الليل خرجنا عليهم حتى
نأتى سمرقند فإننا إن أصبحنا معهم قتلونا قال فعصوه وأقاموا فساقوهم إلى خاقان
فقال لا أجزأ أمان غوزك فقال غوزك للوجد أنا عبد لخاقان من شاكرته قالوا
فلم غورتنا فقاتلهم الوجد وأصحابه فقتلوا غير سبعة عشر رجلاً دخلوا الحائط
وأمسوا فقطع المشركون شجرة فألقوها على ثلثة الحائط فجاء قريش بن عبد الله
العبدى إلى الشجرة فرمى بها وخرج في ثلاثة فباتوا في ناووس فكمنوا فيه وجبن
الآخرون فلم يخرجوا فقتلوا حين أصبحوا وقتل سورة فلما قتل خرج الجنيد
من الشعب يريد سمرقند مبادراً فقال له خالد بن عبيد الله بن حبيب سر سر ومجسر
ابن مزاحم السلى يقول أذكرك الله أقم والجنيد يتقدم فلما رأى المجسر ذلك نزل
فأخذ بلجام الجنيد فقال والله لا أسير ولنزلن طائماً أو كارهاً ولاندعك تهلكتنا
بقول هذا الهجرى انزل فنزل ونزل الناس فلم يتنام نزولهم حتى طلع الترك فقال
المجسر لو لقونا ونحن نسير ألم يستأصلونا فلما أصبحوا تناهضوا فأنكشفت طائفة
وجال الناس فقال الجنيد أيها الناس إنها النار فتراجعوا وأمر الجنيد رجلاً فنادى
أى عبد قاتل فهو حر فقاتل الجنيد قتالاً شديداً عجب الناس منه جعل أحدهم
يأخذ اللبد فيجوبه ويجعله في عنقه يتوقى به فسر الناس بما رأوا من صبرهم
فكر العدو وصبر الناس حتى انهزم العدو فمضوا فقال موسى بن النعمان للناس

أفروحون بما رأيت من العبيد والله إن لكم منهم ليوما أرونان ومضى الجنيد فأخذ العدو رجلا من عبد القيس فكتفوه وعلقوا في عنقه رأس بلعاء العنبري ابن مجاهد بن بلعاء فلقية الناس فأخذ بنو تميم الرأس فدفنوه ومضى الجنيد إلى سمرقند فحمل عيال من كان مع سورة إلى مرو وأقام بالسغد أربعة أشهر وكان صاحب رأي خراسان في الحرب المجشر بن مزاحم السلمي وعبد الرحمن بن صبح الخرقى وعبيد الله بن حبيب الهجري وكان المجشر ينزل الناس على راياتهم ويضع المسالح ليس لأحد مثل رأيه في ذلك وكان عبد الرحمن ابن صبح إذا نزل الأمر العظيم في الحرب لم يكن لأحد مثل رأيه وكان عبيد الله ابن حبيب على تعبئة القتال وكان رجال من الموالي مثل هؤلاء في الرأي والمشورة والعلم بالحرب ففهم الفضل بن بسام مولى بنى ليث وعبد الله بن أبي عبد الله مولى بنى سليم والبختري بن مجاهد مولى بنى شيبان قال فلما انصرف الترك إلى بلادهم بعث الجنيد سيف بن وصاف العجلي من سمرقند إلى هشام فجبن عن السير وخاف الطريق فاستعفاه فأعفاه وبعث نهار بن توسعة أحد بنى تميم اللات وزميل بن سويد المرى مرة غطفان وكتب إلى هشام ان سورة عصاني أمرته بلزوم الماء فلم يفعل ففرق عنه أصحابه فأنتى طائفة إلى كس وطائفة إلى نسف وطائفة إلى سمرقند وأصيب سورة في بقية أصحابه قال فدعا هشام نهار بن توسعة فسأله عن الخبر فأخبره بما شهد فقال نهار بن توسعة

لعمرك ما حابيتنى إذ بعثتنى
دعوت لها قوما فهابوا ركوبها
فأيقنت إن لم يدفع الله أنى
قرين عراك وهو أيسر هالك
فانى وإن آثرت منه قرابة
على عهد عثمان وقدنا وقبله
ولكنما عرضتني للمعالي
وكنت امرأة ركابه للمخاوف
طعام سباع أو لطير عوائف
عليك وقد زملته بصحائف
لا عظم حظا في جباة الخلائف
وكنأ أولي مجد تليد وطاريف

قال وكان عراك معهم في الوفد وهو ابن عم الجنيد فكتب إلى الجنيد قد

وجهت إليك عشرين ألفاً مدداً عشرة آلاف من أهل البصرة عليهم عمرو بن مسلم ومن أهل الكوفة عشرة آلاف عليهم عبد الرحمن بن نعيم ومن السلاح ثلاثين ألفاً رمح ومثلها ترسة فأفرض فلا غاية لك في الفريضة لخسة عشر ألفاً قال ويقال إن الجنيد أوفد الوفد إلى خالد بن عبد الله فأوفد خالد إلى هشام أن سورة بن الحرّ خرج يتصيد مع أصحاب له فهجم عليهم الترك فأصيدوا فقال هشام حين أتاه مصاب سورة إنا لله وإنا إليه راجعون مصاب سورة بن الحرّ بخراسان والجراح بالباب وأبلى نصر بن سيار يومئذ بلاء حسناً فانقطع سيفه وانقطع سيور ركابه فأخذ سيور ركابه فضرب به رجل حتى أثنخه وسقط في اللهب مع سورة يومئذ عبد الكريم بن عبد الرحمن الحنفيّ وأحد عشر رجلاً معه وكان ممن سلم من أصحاب سورة ألف رجل فقال عبد الله بن حاتم بن النعمان رأيت فساطيط مبنية بين السماء والأرض فقلت لمن هذه فقالوا لعبد الله بن بسطام وأصحابه فقتلوا من غد فقال رجل مررت في ذلك الموضع بعد ذلك بحين فوجدت رائحة المسك ساطعة قال ولم يشكر الجنيد لنصر ما كان من بلائه فقال نصر

إِنْ تَحْسُدُونِي عَلَى حُسْنِ الْبَلَاءِ لَكُمْ يَوْمًا فَمِثْلُ بَلَاءِي جَرِّي الْحَسَدَا
يَا بِي إِلَهُ الَّذِي أَعْلَى بِقُدْرَتِهِ كَعَبِي عَلَيْكُمْ وَأَعْطَى فَوْقَكُمْ عَضُدَا
وَضَرَبِي التَّرِكَ عَنْكُمْ يَوْمَ فَرَقِكُمْ بِالسَّيْفِ فِي الشَّعْبِ حَتَّى جَاوَزَ السَّنَدَا

قال وكان الجنيد يوم الشعب أخذ في الشعب وهو لا يرى أن أحداً يأتيه من الجبال وبعث ابن الشخير في مقدمته واتخذ ساقه ولم يتخذ مجنبتين وأقبل خاقان فهزم المقدمة وقتل من قتل منهم وجاءه خاقان من قبل ميسرته وجبغويه من قبل الميمنة فأصيب رجال من الأزد وتميم وأصابوا له سرادقات وأبنية فأمر الجنيد حين أمسى رجلاً من أهل بيته فقال له امش في الصفوف والدراجة وتسمع ما يقول الناس وكيف حالهم ففعل ثم رجع إليه فقال رأيتهم طيبة أنفسهم يتناشدون الأشعار ويقرءون القرآن فسرّه ذلك وحمد الله قال ويقال نهضت العبيد يوم الشعب من جانب العسكر وقد أقبلت الترك والسغد ينحدرون فاستقبلهم العبيد وشدوا عليهم بالعمد فقتلوا

منهم تسعة فأعطاهم الجنيد أسلابهم وقال ابن السجف في يوم الشعب ويعني هشاماً
 أذكر يتامى بأرض الترك ضائعةً هزلى كأنهم في الحائط الحجلُ
 وارحم وإلا فهبها أمة دمرت لا أنفس بقيت فيها ولا ثقلُ
 لا تأملن بقاء الدهر بعدهم والمرء ما عاش مندود له الأملُ
 لا قوا كتاب من خاقان معلمةً عنهم يضيق فضاء السهل والجلُ
 لما رأوهم قليلاً لأصريح لهم مئدوا بأيديهم لله وابتهلوا
 وبأيعوا رب موسى بيعة صدقت مافي قلوبهم شك ولا دغلُ

قال فأقام الجنيد بسر قند ذلك العام وانصرف خاقان إلى بخارى وعليها
 قطن بن قتيبة يخاف الناس الترك على قطن فشاورهم الجنيد فقال قوم الزم سمرقند
 واكتب إلى أمير المؤمنين يمدك بالجنود وقال قوم تسير فتأتي ربنجن ثم تسير
 منها إلى كس ثم تسير منها إلى نسف فتصل منها إلى أرض زم وتقطع النهر وتزل
 أمل فتأخذ عليه بالطريق فبعث إلى عبدالله بن أبي عبدالله فقال قد اختلف الناس
 على وأخبره بما قالوا فما رأى فاشترط عليه ألا يخالفه فيما يشير به عليه من ارتحال
 أو نزول أو قتال قال نعم قال فإني أطلب إليك خصالاً قال وما هي قال تخندق
 حيثما نزلت ولا يفوتك حمل الماء ولو كنت على شاطئ نهر وأن تطيعني في
 نزولك وارتحالك فأعطاه ما أراد قال أما ما أشاروا به عليك في مقامك بسمرقند حتى
 يأتك الغياث فالغياث يبطن عنك وإن سرت فأخذت بالناس غير الطريق فتت في
 أعضادهم فانكسروا عن عدوهم فاجترأ عليك خاقان وهو اليوم قد استفتح بخارى فلم
 يفتحوا له فإن أخذت بهم غير الطريق تفرق الناس عنك مبادرين إلى منازلهم ويبلغ أهل
 بخارى فيستسلموا العدو وهم وإن أخذت الطريق الأعظم هابك العدو والرأى لك أن
 تعد إلى عيالات من شهد الشعب من أصحاب سورة فتقسمهم على عشائرهم
 وتحملهم معك فإني أرجو بذلك أن ينصركم الله على عدوك وتعطي كل رجل
 تخلف بسمرقند ألف درهم وفرساً قال فأخذ برأيه فخلف في سمرقند عثمان بن عبدالله
 ابن الشيخير في ثمانمائة أربعمائة فارس وأربعمائة راجل وأعطاهم سلاحاً فشم

الناس عبد الله بن أبي عبد الله مولى بنى سليم وقالوا عرضنا لخاقان والترك ما أراد
إلا هلاكنا فقال عبد الله بن حبيب لحرب بن صبح كم كانت لكم الساقة اليوم قال
ألف وستمائة قال لقد عرضنا للهلاك قال فأمر الجنيد بحمل العيال قال وخرج
والناس معه وعلى طلائعه الوليد بن القعقاع العبسي وزياد بن خيران الطائي
فسرح الجنيد الأشهب بن عبيد الله الحنظلي ومعه عشرة من طلائع الحند وقال
له كلما مضيت مرحلة فسرح إلى رجلا يعلمني الخبر قال وسار الجنيد فلما صار
بقصر الريح أخذ عطاء الدبوسي بلبجام الجنيد وكبجه فقرع رأسه هارون الشاشي
مولى بنى حازم بالريح حتى كسره على رأسه فقال الجنيد لهارون نخل عن الدبوسي
وقال له مالك يا دبوسي فقال انظر أضعف شيخ في عسكري فسلحه سلاحا تاما
وقلده سيفا وجعبة وترسا وأعطه رمحا ثم سربنا على قدر مشيه فانا لا نقدر على
السوق والقتال وسرعة السير ونحن رجالة ففعل ذلك الجنيد فلم يعرض للناس
عارض حتى خرجوا من الأماكن المخوفة ودنا من الطواويس فجاءتنا الطلائع
ياقبال خاقان فعرضوا له بكرمينة أول يوم من رمضان فلما ارتحل الجنيد من
كرمينة قدم محمد بن الرندي في الأساورة آخر الليل فلما كان في طرف مفازة
كرمينة رأى ضعف العدو فرجع إلى الجنيد فأخبره فنادى منادى الجنيد ألا يخرج
المكتبون إلى عدوهم فخرج الناس ونشبت الحرب فنادى رجل أيها الناس صرتم
حرورية فاستقتلتم وجاء عبد الله بن أبي عبد الله إلى الجنيد يضحك فقال له الجنيد
ما هذا بيوم ضحك فقيل له إنه ضحك تعجبا فالحمد لله الذي لم يلقك هؤلاء إلا
في جبال معطشة فهم على ظهر وأنت مخندق آخر النهار كالين وأنت معك الزاد
فقاتلوا قليلا ثم رجعوا وكان عبد الله بن أبي عبد الله قال للجنيد وهم يقاتلون
ارتحل فقال الجنيد وهل من حيلة قال نعم تمضي برايتك قدر ثلاث غلاء فان
خاقان ود أنك أقمت فينطوي عليك إذا شاء فأمر بالرحيل وعبد الله بن أبي
عبد الله على الساقة فأرسل إليه أنزل قال أنزل على غير ماء فأرسل إليه إن لم تنزل
ذهبت خراسان من يدك فنزل وأمر الناس أن يسقوا فذهبت الناس الرجالة

والناشبة وهم صفان فاستقوا وباتوا فلما أصبحوا ارتحلوا فقال عبد الله بن أبي
عبد الله إنكم معشر العرب أربعة جوانب فليس يعيب بعضهم بعضاً كل ربع لا يقدر
أن يزول من مكانه مقدمة وهم القلب ومجنبتان وساقة فان جمع خاقان خيله ورجاله
ثم صدم جانباً منكم وهم الساقة كان بواركم وبالحرى أن يفعل وأنا أتوقع ذلك في
يومي فشدوا الساقة بنخيل فوجه الجنيد خيل بني تميم والمجفقة وجاءت الترك
فالت على الساقة وقد دنا المسلمون من الطواويس فاقتلوا فاشتد الأمر بينهم
فحمل سلم بن أحوز على رجل من عظماء الترك فقتله قال فتطير الترك وانصرفوا
من الطواويس ومضى المسلمون فأتوا بخارى يوم المهرجان قال فتلقونا بدرهم
بخارية فأعطاهم عشرة عشرة فقال عبد المؤمن ابن خالد رأيت عبد الله بن أبي
عبد الله بعد وفاته في المنام فقال حدث الناس عني برأيي يوم الشعب قال وكان
الجنيد يذكر خالد بن عبد الله ويقول رُبْدَةٌ من الربْدُ صنبور بن صنبور قل بن
قل هيفة من الهيف وزعم أن الهيفة الضبع والعُجْرَةُ الخنزيرة والقل الفرد قال
وقدمت الجنود مع عمرو بن مسلم الباهلي في أهل البصرة وعبد الرحمن بن نعيم
العامري في أهل الكوفة وهو بالصغانيان فرح معهم الحوثة بن يزيد العنبري
فيمر اتدب معه من التجار وغيرهم وأمرهم أن يحملوا ذراري أهل سمرقند
ويدعوا فيها المقاتلة ففعلوا (قال أبو جعفر) وقد قيل إن وقعة الشعب بين
الجنيد وخاقان كانت في سنة ۱۱۳ وقال نصر بن سيار يذكر يوم الشعب وقتال العبيد

إِنِّي نَشَأْتُ وَحُسَادِي ذُوو عَدَدَا
بِإِذْنِ الْمَعَارِجِ لَا تَنْقُصُ لَهُمْ عَدَدَا
إِنْ تَحْسَدُونِي عَلَى مِثْلِ الْبَلَاءِ لَكُمْ
يَوْمًا فَمِثْلُ بِلَائِي جَرُّ لِي الْحَسَدَا
يَأْتِي الْإِلَهَ الَّذِي أَعْلَى بِقَدْرَتِهِ
كَعْبِي عَلَيْكُمْ وَأَعْطَى فَوْقَكُمْ عُدَدَا
أَرْبِي الْعَدُوَّ بِأَفْرَاسٍ مُكَلَّمَةٍ
حَتَّى اتَّخَذَنْ عَلَى حُسَادِيهِنَّ يَدَا
مَنْ ذَا الَّذِي مِنْكُمْ فِي الشَّعْبِ إِذْ وَرَدُوا
لَمْ يَتَّخِذْ حَوْمَةَ الْإِثْقَالِ مُعْتَمِدَا
فَمَا حَفِظْتُمْ مِنْ اللَّهِ الْوَصَاةَ وَلَا
أَنْتُمْ بِصَبْرٍ طَلَبْتُمْ حُسْنَ مَا وَعَدَا
وَلَا نَهَاكُمْ عَنِ التَّوَاتِبِ فِي عَتَبِ
إِلَّا الْعَيْدُ بِضَرْبِ بَكِيرِ الْعَمَدَا

هَلَّا شَكِرْتُمْ دِفَاعِي عَن جُنَيْدِكُمْ وَقَعَ الْقَنَا وَشَهَابُ الْحَرْبِ قَد وَقَدَا
 (وقال ابن عرس العبدى) يمدح نصرا يوم الشعب ويذم الجنيد لان

نصراً أبلى يومئذ

يَانصِرُ أَنْتِ فِتَى نَزَارِ كُلِّهَا
 فَرَجَّتْ عَن كُلِّ الْقَبَائِلِ كُرْبَةً
 يَوْمَ الْجُنَيْدِ إِذَا الْقَنَا مُتَشَاجِرٌ
 مَازَلَتْ تَرْمِيهِمْ بِنَفْسِ حُرَّةٍ
 قَالَنَاسُ كُلُّ بَعْدَهَا عَتَقَاوَكُم
 وَقَالَ الشَّرْعِيُّ الطَّائِي

تَذَكَّرْتُ هِنْدَا فِي بِلَادِ غَرِيبَةٍ
 تَذَكَّرْتُهَا وَالشَّاشُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
 بِلَادُهَا خَاقَانُ جَمَّ زُحُوفُهُ
 إِذَا دَبَّ خَاقَانٌ وَسَارَتْ جُنُودُهُ
 هِنَاكَ هِنْدُ مَا لَنَا النِّصْفُ مِنْهُمْ
 أَلَا رَبُّ خَوْدِ خَدَلَةٍ قَدْ رَأَيْتَهَا
 أَحَامِي عَلَيْهَا حِينَ وَلَّى خَلِيلُهَا
 تَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهَا صَفَّ قَوِيهَا
 أَلَا رَجُلٌ مِنْكُمْ كَرِيمٌ يَرُدُّنِي
 فَمَا جَاوَبُوهَا غَيْرَ إِنْ نَصِيفَهَا
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو نَبْوَةً فِي قَلُوبِهَا
 فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي أَلُو كَا صَحِيفَةً
 بَانَ بِقَايَانَا وَأَنْتَ أَمِيرِنَا
 فَمُ أَظْمَعُوا خَاقَانَ فِينَا وَجُنْدَهُ

وقال ابن عرس واسمه خالد بن المعارك من بني نغم بن وديعة بن لكيزين

أفصى وذكر علي بن محمد عن شيخ من عبد القيس أن أمه كانت أمة فباعه أخوه
تميم بن معارك من عمرو بن لقيط أحد بني عامر بن الحارث فأعتقه عمر ولما حضرته
الوفاة فقال يا أبا يعقوب كم لي عندك من المال قال ثمانون ألفاً قال أنت حر
وما في يدك لك قال فكان عمر ينزل مرو الروذ وقد اقتلت عبد القيس في ابن
عرس فردوه إلى قومه فقال ابن عرس للجنيذ

أين حُماة الحرب من معشر
بأدوا بأجال توافوا لها
فالعين تجرى دمعها مسيلاً
انظر ترى للميت من رجعة
كنا قديماً يتقى بأسنا
حتى منينا بالذي شامنا
كعافر الناقة لا ينثني
فتقت مالم يلتم صدعه
تبكي لها إن كشفت ساقها
تركتنا أجزاءً مغبوطه
ترفت الأسياف مسلولة
تساقط الهامات من وقعها
إذا أنت كالطفلة في خدرها
إننا أناس حربنا صعبة
أضحت سمرقند وأشياؤها
وكم توى في الشعب من حازم
يستنجد الخطب ويغشى الوغى
ليتك يوم الشعب في حفرة
تلعب بك الحرب وأبناؤها

كانوا جمال العسير الحارد
والعار الممهل كالبائد
ما لدموع العين من زائد
أم هل ترى في الدهر من خالد
وتندراً الصادر بالوارد
من بعد عز ناصر آيد
مبتدئاً ذي حنق جاهد
بالجحفل المحتشد الزائد
جدعاً وعقراً لك من قائد
يقسمها الجازر للناهد
تزيل بين العضد والساعد
بين جناحي مبرق راعد
لم تدر ما كيدة الكائد
تعصف بالقائم والقاعد
أحدوة الغايب والشاهد
جلد القوي ذي مرة ماجد
لا هيب غس ولا ناكيد
مرموسة بالمدري الجامد
لعب صقور بقطا وارد

طارَ لها قلبك من خيفةٍ ما قلبك الطائرُ بالعائدِ
لا تحسبن الحربَ يومَ الضحى كشربك المضاءَ بالباردِ
أبغضتُ من عينك تبريجها وصورة في جسدٍ فاسدِ
جنيدُ ما عيصك منسوبه نبعا ولا جدك بالصاعدِ
خمسون ألفاً قتلوا ضيعةً وأنتَ منهم دعوةُ الناشدِ
لا تمرينَ الحربَ من قابلٍ ما أنتَ في العدوِّ بالحامدِ
قلدته طوقاً على نحريه طوق الحمام للغريد الفارِدِ
قصيدةً حبرها شاعرٌ تسعى بها البردُ إلى خالدِ

(وحج) بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومي كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وقد قيل إن الذي حج بالناس في هذه السنة سليمان بن هشام وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها الذين كانوا في سنة ١١١ وقد ذكرناهم قبل

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك هلاك عبد الوهاب بن بخت وهو مع البطال عبد الله بأرض الروم فذكر محمد بن عمر عن عبد العزيز بن عمر أن عبد الوهاب بن بخت غزا مع البطال سنة ١١٣ فانهزم الناس عن البطال وانكشفوا فجعل عبد الوهاب يكر فرسه وهو يقول ما رأيت فرساً أجبن منه وسفك الله دمي إن لم أسفك دمك ثم ألقى بيضته عن رأسه وصاح أنا عبد الوهاب بن بخت أومن الجنة تفرون ثم تقدم في نحور العدو فر برجل وهو يقول واعطشاه فقال تقدم الرى أمامك فحالت القوم فقتل وقتل فرسه (ومن ذلك) ما كان من تفريق مسلمة بن عبد الملك الجيوش في بلاد خاقان ففتحت مدائن وحصون على يديه وقتل منهم وأسروسي وحرق خلق كثير من الترك أنفسهم بالنار ودان لمسلمة من كان وراء جبال

بلنجر وقتل ابن خاقان (ومن ذلك) غزوة معاوية بن هشام أرض الروم فربط من ناحية مرعش ثم رجع (وفي هذه السنة) صار من دُعاة بني العباس جماعة إلى خراسان فأخذ الجنيد بن عبد الرحمن رجلا منهم فقتله وقال من أصيب منهم فدمه هدر (وحج) بالناس في هذه السنة في قول أبي معشر سليمان بن هشام بن عبد الملك حدثني بذلك احمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وقال بعضهم الذي حج بالناس في هذه السنة ابراهيم بن هشام المخزومي وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم الذين كانوا عمالها في سنة إحدى عشرة واثنتي عشرة وقد مضى ذكرنا لهم

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة

ذكر الأخبار عن الاحداث التي كانت فيها

فمن ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وسليمان بن هشام على الصائفة اليمنى فذكر أن معاوية بن هشام أصاب ربهض أقرن وأن عبد الله البطال التقى وقسطنطين في جمع فهزمهم وأسر قسطنطين وبلغ سليمان بن هشام قيسارية (وفي هذه السنة) عزل هشام بن عبد الملك ابراهيم بن هشام عن المدينة وأمر عليها خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم قال الواقدي قدم خالد بن عبد الملك المدينة للنصف من شهر ربيع الأول وكانت امرأة ابراهيم بن هشام على المدينة ثمانين سنين وقال الواقدي في هذه السنة ولي محمد بن هشام المخزومي مكة وقال بعضهم بل ولي محمد بن هشام مكة سنة ١١٣ فلما عزل ابراهيم أقر محمد بن هشام على مكة (وفي هذه السنة) وقع الطاعون فيما قيل بواسطة (وفيها) قفل مسلمة بن عبد الملك عن الباب بعد ما هزم خاقان وبني الباب فأحكم ما هنالك (وفي هذه السنة) ولي هشام مروان بن محمد أرمينية وآذربيجان واختلف فيمن حج بالناس في هذه السنة فقال أبو معشر فيما حدثني احمد بن ثابت عن حدثه عن اسحاق بن عيسى عنه حج بالناس سنة ١١٤ خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم وهو على المدينة

وقال بعضهم حج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام وهو أمير مكة فأقام خالد بن عبد الملك تلك السنة لم يشهد الحج قال الواقدي حدثني بهذا الحديث عبد الله ابن جعفر عن صالح بن كيسان قال الواقدي وقال لي أبو معشر حج بالناس سنة ١١٤ خالد بن عبد الملك ومحمد بن هشام على مكة قال الواقدي وهو الثبت عندنا وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها غير أن عامل المدينة في هذه السنة كان خالد بن عبد الملك وعامل مكة والطائف محمد ابن هشام وعامل أرميلية وآذريجان مروان بن محمد

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة

ذكر الأخبار عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام أرض الروم (وفيها) وقع الطاعون بالشام (وحج) بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن اسماعيل وهو أمير مكة والطائف كذلك قال أبو معشر فيما حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه وكان عمال الأمصار في هذه السنة عاملها في سنة ١١٤ غير أنه اختلف في عامل خراسان في هذه السنة فقال المدائني كان عاملها الجنيد ابن عبد الرحمن وقال بعضهم كان عاملها عمارة بن حريم المرسي وزعم الذي قال ذلك أن الجنيد مات في هذه السنة واستخلف عمارة بن حريم وأما المدائني فانه ذكر أن وفاة الجنيد كانت في سنة ١١٦ (وفي هذه السنة) أصاب الناس بخراسان قحط شديد ومجاعة فكتب الجنيد إلى الكور إن مرو كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأحملوا إليها الطعام قال علي ابن محمد أعطى الجنيد في هذه السنة رجلاً درهما فاشترى به رغيفاً فقال لهم تشكون الجوع ورغيف بدرهم لقد رأيتني بالهند وإن الحبة من الجوب لتباع عدداً بالدرهم وقال إن مرو كما قال الله عز وجل (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً)

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة

ذكر ما كان فيها من الاحداث

فمن ذلك ما كان من غزوة معاوية بن هشام أرض الروم الصائفة (وفيها)
كان طاعون شديد بالعراق والشام وكان أشد ذلك فيما ذكر بواسط (وفيها)
كانت وفاة الجنيد بن عبد الرحمن وولاية عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي خراسان
ذكر الخبر عن أمرهما

وذكر علي بن محمد عن أشياخه أن الجنيد بن عبد الرحمن تزوج الفاضلة بنت
يزيد بن المهلب فغضب هشام على الجنيد وولى عاصم بن عبد الله خراسان وكان
الجنيد سقى بطنه فقال هشام لعاصم إن أدركته وبه رمق فازهق نفسه فقدم عاصم
وقدمت الجنيد قال وذكروا أن جبلة بن أبي رواد دخل على الجنيد عائداً فقال
يا جبلة ما يقول الناس قال قلت يتوجمعون للأمر قال ليس عن هذا سألتك ما يقولون
وأشار نحو الشام بيده قال قلت يقدم على خراسان يزيد بن شجرة الرهاوى قال
ذلك سيد أهل الشام قال ومن قلت عصمة أو عصام وكنيت عن عاصم فقال إن
قدم عاصم فعدر جاهداً لمرحبا به ولا أهلاً قال فمات في مرضه ذلك في المحرم
سنة ١١٦ واستخلف عمارة بن حريم وقدم عاصم بن عبد الله فحبس عمارة بن حريم
وعمال الجنيد وعذبهم وكانت وفاته بمرور فقال أبو الجويرية عيسى بن عصمة يرثيه

هلك الجود والجنيد جميعاً فعلى الجود والجنيد السلام

أصبحتا وبيتين في أرض مرو ما تغنت على الغصون الحمام

كنتما زهرة الكرام فلما مت مات الندى ومات الكرام

ثم إن أبا الجويرية أتى خالد بن عبد الله القسرى وامتدحه فقال له خالد ألسنت

القائل هلك الجود والجنيد جميعاً ه مالك عندنا شيء ه نخرج فقال

تظل لامة الآفاق تحمينا إلى عمارة والقود السراهد

قصيدة امتدح بها عمارة بن حريم ابن عم الجنيد وعمارة هو جد أبي الهيثم

صاحب العصية بالشأم قال وقدم عاصم بن عبد الله فحبس عمارة بن حريم وعمال
الجنيد وعذبهم (وفي هذه السنة) خلع الحارث بن سريج وكانت الحرب بينه وبين
عاصم بن عبد الله

ذكر الخبر عن ذلك

ذكر عليّ عن أشياخه قال لما قدم عاصم خراسان والياً أقبل الحارث بن
سريج من النخذه حتى وصل إلى الفارياب وقدم أمامه بشر بن جرموز قال فوجه
عاصم الخطاب بن محرز السلمي ومنصور بن عمر بن أبي الخرفاء السلمي وهلال بن
عليّ التيمي والأشهب الحنظلي وجري بن هيمان السدوسي ومقاتل بن حيان
النبطي مولى مصقلة إلى الحارث وكان خطاب ومقاتل بن حيان قالوا لا تلقوه إلا
بأمان فأبى عليهما القوم فلما انتهوا إليه بالفارياب قيدهم وحبسهم ووكّل بهم رجلاً
يحفظهم قال فأوثقوه وخرجوا من السجن فركبوا دوابهم وساقوا دواب البريد
فمروا بالطالقان فهم سهرب صاحب الطالقان بهم ثم أمسك وتركهم فلما قدموا
مرو أمرهم عاصم فخطبوا وتناولوا الحارث وذكروا خبث سيرته وغدره ثم مضى
الحارث إلى بلخ وعليها نصر فقاتلوه فهزم أهل بلخ ومضى نصر إلى مرو وذكر
بعضهم لما أقبل الحارث إلى بلخ وكان عليها التّجيب بن ضبيعة المريّ ونصر بن
سيار وولاهما الجنيد قال فأنتهى إلى قنطرة عطاء وهي على نهر بلخ على فرسخين من
المدينة فلقى نصر بن سيار في عشرة آلاف والحارث بن سريج في أربعة آلاف
فدعاهم الحارث إلى الكتاب والسنة والبيعة للرضى فقال قطن بن عبد الرحمن بن
جزى الباهلي يا حارث أنت تدعو إلى كتاب الله والسنة والله لو أن جبريل عن
يمينك وميكائيل عن يسارك ما أجبتك فقاتلهم فأصابته رمية في عينه فكان أول قتيل
فانهزم أهل بلخ إلى المدينة وأتبعهم الحارث حتى دخلها وخرج نصر من باب آخر فأمر
الحارث بالكف عنهم فقال رجل من أصحاب الحارث إني لأمشي في بعض طرق
بلخ إذ مررت بلساء يبكين وامرأة تقول يا ابتاه ليت شعري من دهاك وأعرابي
إلى جنبي يسير فقال من هذه الباكية فقيل له ابنة قطن بن عبد الرحمن بن جزى فقال

الاعرابي أنا وأبيك دهيتك فقلت أنت قتلته قال نعم قال ويقال قدم نصر والتجبي على بلخ فخبسه نصر فلم يزل محبوساً حتى هزم الحارث نصرأ وكان التجبي ضرب الحارث أربعين سوطاً في إمرة الجنيد فحوله الحارث إلى قلعة باذ كرز ثم فجاء رجل من بني حنيفة فادعى عليه أنه قتل أخاه أيام كان على هراة فدفعه الحارث إلى الحنفي فقال له التجبي افتدي منك بمائة ألف فلم يقبل منه وقتله وقوم يقولون قتل التجبي في ولاية نصر قبل أن يأتيه الحارث قال ولما غلب الحارث على بلخ استعمل عليها رجلاً من ولد عبد الله ابن حازم وسار فلما كان بالجوزجان دعا وابصة بن زرارة العبدى ودعا دجاجة ووحشاً العجليين وبشر بن جرموز وأباً فاطمة فقال ماترون فقال أبو فاطمة مرو بيضة خراسان وفرسانهم كثير لو لم يلقوك إلا بعبيدهم لانتصفوا منك فأقم فإن أتوك قاتلتهم وإن أقاموا قطعت المادة عنهم قال لا أرى ذلك ولكن أسير اليهم فأقبل الحارث إلى مرو وقد غلب على بلخ والجوزجان والفارياب والطلقان ومرو الروذ فقال أهل الدين من أهل مرو إن مضى إلى أبرشهر ولم يأتنا فرق جماعتنا وإن أتانا نكب قال وبلغ عاصماً أن أهل مرو يكتبون الحارث قال فأجمع على الخروج وقال يا أهل خراسان قد بايعتم الحارث بن شريح لا يقصد مدينة إلا خليتموها له إنى لاحق بأرض قومي أبرشهر وكاتب منها إلى أمير المؤمنين حتى يمدني بعشرة آلاف من أهل الشام فقال له المجشر بن مزاحم إن أعطوك بيعتهم بالطلاق والعتاق فأقم وإن أبوا فسر حتى تنزل أبرشهر وتكتب إلى أمير المؤمنين فيمدك بأهل الشام فقال خالد بن هريم أحد بني ثعلبة بن يربوع وأبو محارب هلال بن عليم والله لا نخليك والذهب فيلزمنا دينك عند أمير المؤمنين ونحن معك حتى نموت إن بذلت الأموال قال افعل قال يزيد بن قران الرياحي إن لم أقاتل معك ما قاتلت فابنة الأبرد ابن قرة الرياحي طالق ثلاثاً وكانت عنده فقال عاصم أكلكم على هذا قالوا نعم وكان سلة بن أبي عبد الله صاحب حرسه يحلفهم بالطلاق قال وأقبل الحارث ابن سريج إلى مرو في جمع كثير يقال في ستين ألفاً ومعه فرسان الأزدي وتميم منهم محمد بن المثنى وحماد بن عامر بن مالك الحناني وداود الأعرس وبشر بن أنيف

الرياحي وعطاء الدبوسي ومن الدهاقين الجوزجان وترسل دهقان لفارياب وسهر ب ملك الطالقان وقرياقس دهقان مرو في أشباههم قال وخرج عاصم في أهل مرو وفي غيرهم فمسك بجياسر عند البيعة وأعطى الجند ديناراً ديناراً أخف عنه الناس فأعطاهم ثلاثة دنانير ثلاثة دنانير وأعطى الجند وغيرهم فلما قرب بعضهم من بعض أمر بالقناطر فكسرت وجاء أصحاب الحارث فقالوا انحصرونا في البرية دعونا نقطع إليكم فنناظركم فيما خرجنا له فأبوا وذهب رجالهم يصلحون القناطر فأتاهم رجالة أهل مرو فقاتلوهم فقال محمد بن المنثي الفراهيدي برأيته إلى عاصم فأما لها في ألفين فأتى الأزدي ومال حماد بن عامر بن مالك الحناني إلى عاصم وأتى بني تميم قال سلمة الأزدي كان الحارث بعث إلى عاصم رسلاً منهم محمد بن مسلم العنبري يسألونه العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قال وعلى الحارث بن سريج يومئذ السواد قال فلما مال محمد بن المنثي بدأ أصحاب الحارث بالحملة والتقى الناس فكان أول قتيل غياث بن كثوم من أهل الجارود فانهزم أصحاب الحارث فغرق بشر كثير من أصحاب الحارث في أنهار مرو والنهر الأعظم ومضت الدهاقين إلى بلادهم فضرب يومئذ خالد بن علباء بن حبيب بن الجارود على وجهه وأرسل عاصم بن عبد الله المؤمن بن خالد الحنفي وعلباء بن أحمري الشكري ومحيي بن عقيل الخزاعي ومقاتل بن حيان النبطي إلى الحارث يسأله ما يريد فبعث الحارث محمد بن مسلم العنبري وحده فقال لهم إن الحارث وإخوانكم يقرئونكم السلام ويقولون لكم قد عطشنا وعطشت دوابنا فدعونا نزل الليلة وتختلف الرسل فيما بيننا وتتناظر فان وافقناكم على الذي تريدون وإلا كنتم من وراء أمركم فأبوا عليه وقالوا مقالا غليظا فقال مقاتل بن حيان النبطي بأهل خراسان إنا كنا بمنزلة بيت واحد وثغرنا واحد ويدنا على عدونا واحدة وقد أنكرنا ما صنع صاحبكم وجه إليه أميرنا بالفقهاء والقراء من أصحابه فوجه رجلا واحدا قال محمد إنما أتيتكم مبلغا نطلب كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسيأتيكم الذي تطلبون من غد إن شاء الله تعالى وانصرف محمد بن مسلم إلى الحارث

فلما اتصف الليل سار الحارث فبلغ عاصما فلما أصبح سار اليه فالتقوا وعلى ميمنة الحارث رابض بن عبدالله بن زرارة التغلبي فاقتلوا قتالا شديدا فحمل يحيى بن حنين وهو رأس بكر بن وائل وعلى بكر بن وائل زياد بن الحارث بن سريج فقتلوا قتلا ذريعا فقطع الحارث وادي مرو ف ضرب رواقا عند منازل الرهبان وكف عنه عاصم قال وكانت القتلى مائة وقتل سعيد بن سعد بن جزء الأزدي وغرق خازم ابن موسى بن عبدالله بن خازم وكان مع الحارث بن سريج واجتمع إلى الحارث زهاء ثلاثة آلاف فقال القاسم بن مسلم لما هزم الحارث كف عنه عاصم ولو ألح عليه لأهلكه وأرسل إلى الحارث إني رأيت عليك ما ضمنت لك ولا صحابك علي أن ترتحل ففعل قال وكان خالد بن عبيد الله بن حبيب أتى الحارث ليلة هزم وكان أصحابه أجمعوا على مفارقة الحارث وقالوا ألم تزعم أنه لا يردك راية فأتاهم فسكنهم وكان عطاء الدبوسي من الفرسان فقال لغلामه يوم زرق أسرج لي بردوني لعل الأعب هذه الحمارة فركب ودعا إلى البراز فبرز له رجل من أهل الطالقان فقال بلغته أي كيرخر (قال أبو جعفر) الطبري رحمه الله (و حج بالناس في هذه السنة) الوليد ابن يزيد بن عبد الملك وهو ولي العهد كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وغيره وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في التي قبلها إلا ما كان من خراسان فان عاملها في هذه السنة عاصم بن عبدالله الهلالي

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزوة سليمان بن هشام ابن عبد الملك الصائفة اليمنى من نحو الجزيرة و فرق سراياه في أرض الروم (وفيها) بعث مروان بن محمد وهو على أرمينية بعثين فافتح أحدهما حصونا ثلاثة من اللان ونزل الآخر على تو مان شاه فنزل أهلها على الصلح (وفيها) حوله هشام بن عبد الملك

عاصم بن عبدالله عن خراسان وضمها إلى خالد بن عبدالله فولاهما خالد أخاه أسد
ابن عبدالله وقال المدائني كان عزل هشام عاصما عن خراسان وضم خراسان إلى
خالد بن عبدالله في سنة ١١٦

ذكر الخبر عن سبب عزل هشام عاصما وتوليته خالداً خراسان
وكان سبب ذلك فيما ذكر عليّ عن أشياخه أن عاصم بن عبدالله كتب إلى
هشام بن عبد الملك أما بعد يا أمير المؤمنين فإن الرائد لا يكذب أهله وقد كان من
أمر أمير المؤمنين إلى ما يحق به على نصيحته وإن خراسان لا تصلح إلا أن تضم إلى
صاحب العراق فتكون موادها ومنافعها ومعونتها في الأحداث والنوائب من
قريب لتباعد أمير المؤمنين عنها وتباطئ غيائه عنها فلما مضى كتابه خرج إلى أصحابه
يحيى بن حنين والمجشر بن مزاحم وأصحابهم فأخبرهم فقال له المجشر بعد ما مضى
الكتاب كأنك بأسد قد طلع عليك فقدم أسد بن عبدالله بعث به هشام بعد كتاب

عاصم بشهر فبعث الكميث بن زيد الأسدي إلى أهل مرو بهذا الشعر

ألا أبلغ جماعة أهل مرو
رسالة ناصح يهدي سلاماً
وأبلغ حارثاً عنا اعتذاراً
ولولا ذلك قد زارتك خيل
فلا تهنوا ولا ترضوا بخسف
وكونوا كالبغايا إن خدعتم
وإلا فارفعوا الرايات سوداً
فكيف وأنتم سبعون ألفاً
ومن ولي بدمية رزينا
ومن غنى قضاة ثوب خزي
فمهلا يا قضاة فلا تكوني
وكنت إذا دعوت بني نزار
على ما كان من ناء وبعد
ويأمر في الذي ركبوا بحد
إليه بأن من قبلي بجهد
من المصيرين بالفرسان تزدى
ولا يغرركم أسد بعهد
وإن أفرتم ضيماً لوغد
على أهل الضلالة والتعدى
رماكم خالد بشبيه فرد
وشيعته ولم يوفى بعهد
بقتل أبي سلامان بن سعد
توابع لا أصول لها بنجد
أناك الدثم من سبط وجعد

بُجْدَعٍ مِنْ قُضَاعَةَ كُلِّ أَنْفٍ وَلَا فَازَتْ عَلَى يَوْمٍ بِمَجْدٍ
قال ورزين الذي ذكر كان خرج على خالد بن عبد الله بالكوفة فاعطاه الامان
ثم لم يف به وقال فيه نصر بن سيار حين اقبل الحارث إلى مرو وسودراتاته وكان
الحارث يرى رأى المرجة

دَعَّ عَنْكَ دُنْيَا وَأَهْلًا أَنْتَ تَارِكُهُمْ
إِلَّا بَقِيَّةَ أَيَّامٍ إِلَى أَجَلٍ
وَأَكْثَرْتَنِي فِي الْإِسْرَارِ مُجْتَهِدًا
وَأَعْلَمَ بِأَنَّكَ بِالْأَعْمَالِ مُرْتَهِنٌ
إِنِّي أَرَى الْغَيْبَ الْمُرْدِي بِصَاحِبِهِ
تَكُونُ لِلْمَرْءِ أَطْوَارًا فَتَمْنَحُهُ
بَيْنَا الْفَتَى فِي نَعِيمِ الْعَيْشِ حَوْلَهُ
تَحْلُو لَهُ مَرَّةً حَتَّى يُسْرَّ بِهَا
هَلْ غَابَ مِنْ بَقَايَا الدَّهْرِ تَنْظُرُهُ
فَأَمْنَحُ جِهَادَكَ مَنْ لَمْ يَرْجُ آخِرَةَ
وَأَقْتُلُ مَوَالِيَهُمْ مِنَّا وَنَاصِرَهُمْ
وَالْعَائِينَ عَلَيْنَا دِينَنَا وَهُمْ
وَالْقَاتِلِينَ سَبِيلُ اللَّهِ بِغَيْتِنَا
فَأَقْلَبُهُمْ غَضَبًا لِلَّهِ مُنْتَصِرًا
إِرْجَاؤَكُمْ لَزِكُمْ وَالشَّرْكَ فِي قَرْنٍ
لَا يُبْعِدُ اللَّهَ فِي الْأَجْدَاثِ غَيْرَكُمْ
الَّتِي بِهِ اللَّهُ رُعْبًا فِي نُحُورِكُمْ
كَيْمَا نَكُونَ الْمَوَالِي عِنْدَ خَائِفَةٍ
وَهَلْ تَعْبُونَ مِنَّا كَاذِبِينَ بِهِ
يَأْبَى الَّذِي كَانَ يُبْلِي اللَّهُ أَوْلَكُمْ

قال ثم عاد الحارث لمحاربة عاصم فلما بلغ عاصم ان أسد بن عبد الله قد أقبل
 وانه قد سير على مقدمته محمد بن مالك الهمداني وانه قد نزل الدندانقان صالح
 الحارث وكتب بينه وبينه كتابا على أن ينزل الحارث أي كورخراسان شاء وعلى
 أن يكتب جميعاً إلى هشام يسألانه كتاب الله وسنة نبيه فان أبي اجتمعاً جميعاً
 عليه فغتم على الكتاب بعض الرؤساء وأبي يحيى بن حنظل أن يغتم وقال هذا
 خلع لأمير المؤمنين فقال خلف بن خليفة ليحيى

أَبِي هَمْ قَلْبِكَ إِلَّا اجْتِمَاعَا وَيَأْبَى رُقَادُكَ إِلَّا امْتِنَاعَا
 بَغِيرِ سَمَاعٍ وَلَمْ تَلْقَنِي أَحَاوِلُ مِنْ ذَاتِ لَهْوٍ سَمَاعَا
 حَفِظْنَا أَمِيَّةً فِي مُلْكِهَا وَنَخْطِرُ مِنْ دُونِهَا أَنْ تَرَاعَا
 نَدَافِعُ عَنْهَا وَعَنْ مُلْكِهَا إِذَا لَمْ نَجِدْ بِيَدَيْهَا امْتِنَاعَا
 أَبِي شَعْبٍ مَا بَيْنَنَا فِي الْقَدِيمِ وَبَيْنَ أَمِيَّةٍ إِلَّا انْصِدَاعَا
 أَلَمْ نَخْتَطِفْ هَامَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَتَتَزَعِ الْمُلُوكَ مِنْهُ انْتِزَاعَا
 جَعَلْنَا الْخِلَافَةَ فِي أَهْلِهَا إِذَا اصْطَرَعَ النَّاسُ فِيهَا اصْطِرَاعَا
 نَصَرْنَا أَمِيَّةً بِالْمَشْرِفِيِّ إِذَا انْخَلَعَ الْمُلُوكُ عَنْهَا انْخِلَاعَا
 وَمِنَا الَّذِي شَدَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَلَوْ غَابَ بِحَيِّ عَنِ الشَّغْرِ ضَاعَا
 عَلِيَّ ابْنَ سُرَيْجٍ نَقَضْنَا الْأُمُورَ وَقَدْ كَانَ أَحْكَمَهَا مَا اسْتَطَاعَا
 حَكِيمٌ مَقَالَتُهُ حِكْمَةٌ إِذَا شَتَّتِ الْقَوْمُ كَانَتْ جَمَاعَا
 عَاشِيَةٌ زَرَقِي وَقَدْ أَرْمَعُوا قَمَعْنَا مِنَ النَّا كِثِينِ الزَّمَاعَا
 وَلَوْلَا قَتِي وَائِيلُ لَمْ يَكُنْ لِيُنْضَحَ فِيهَا رَيْسُ كُرَاعَا
 فَقُلْ لَأَمِيَّةً تَرَعَى لَنَا أَيَادِي لَمْ نُجْزَهَا وَأَصْطِنَاعَا
 أَتْلِهَيْنَ عَنْ قَتْلِ سَادَاتِنَا وَنَأْبَى لِحَقِّكَ إِلَّا اتِّبَاعَا
 أَمَنْ لَمْ يُبِعْكَ مِنَ الْمُشْتَرِينَ كَأَخَرَ صَادَفَ سُوقًا قَبَاعَا
 أَبِي ابْنِ حُضَيْنٍ لِمَا تَصْنَعُ بَيْنَ إِلَّا اضْطِلَاعَا وَإِلَّا اتِّبَاعَا
 وَلَوْ يَأْمُنُ الْحَارِثُ الْوَائِلِينَ لِرَاعِكَ فِي بَعْضٍ مَنْ كَانَ رَاعَا

وقد كان أضعرَ ذا تيربٍ أشاع الضلالة فيما أشاعا
 كَفِينَا أُمِيَّةً مَخْتُومَةً أَطَاعَ بِهَا عَاصِمٌ مَنَ أَطَاعَا
 فَلَوْلَا مَرَآكُزُ رَايَاتِنَا مِنَ الْجُنْدِ خَاسِ الْجُنُودِ الضِّيَاعَا
 وَصَلْنَا الْقَدِيمَ لَهَا بِالْحَدِيثِ وَتَأَبَى أُمِيَّةٌ إِلَّا انْقِطَاعَا
 ذَخَائِرُ فِي غَيْرِنَا نَفْعُهَا وَمَا إِنْ عَرَفْنَا لَهُنَّ انْتِفَاعَا
 وَلَوْ قَدَمَتْهَا وَبَانَ الْحِجَا بُلَا رَتَعَتْ بَيْنَ حَشَاكِ ارْتِيَاعَا
 فَإِنَّ الْوَفَاءَ لِأَهْلِ الْوَفَا وَالشُّكْرُ أَحْسَنُ مِنْ أَنْ يُضَاعَا
 وَأَيْنَ ادَّخَارُ بَنِي وَائِلِ إِذَا الذُّخْرُ فِي النَّاسِ كَانَ ارْتِجَاعَا
 أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ أَسْيَافَنَا تُدَاوِي الْعَلِيلَ وَتَشْفِي الضُّدَاعَا
 إِذَا ابْنُ حُضَيْنٍ غَدَا بِاللُّوَا ءِ وَأَسْلَمَ أَهْلُ الْقِلَاعِ الْقِلَاعَا
 إِذَا ابْنُ حُضَيْنٍ غَدَا بِاللُّوَا ءِ أَشَارَ النُّسُورَ بِهِ وَالضُّبَاعَا
 إِذَا ابْنُ حُضَيْنٍ غَدَا بِاللُّوَا ءِ ذَكَى وَكَانَتْ مَعْدُ جُدَاعَا

قال وكان عاصم بن سليمان بن عبد الله بن شراحيل اليشكري من أهل الرأى فأشار على يحيى بنقض الصحيفة وقال له غمرات ثم ينجلين وهى المغمضات فغمض قال وكان عاصم بن عبد الله فى قرية بأعلى مرو لكندة ونزل الحارث قرية لبني العنبر فالتقوا بالخيل والرجال ومع عاصم رجل من بني عبس فى خمسمائة من أهل الشام وإبراهيم بن عاصم العقيلي فى مثل ذلك فنادى منادى عاصم من جاء برأس فله ثلثمائة درهم فجاء رجل من عماله برأس وهو عاض على أنفه ثم جاءه رجل من بني ليث يقال له ليث بن عبد الله برأس ثم جاء آخر برأس فقبل لعاصم إن طمع الناس فى هذا لم يدعوا ملاحا ولا علجا إلا أتوك برأسه فنادى مناديه لا يأتنا أحد برأس فمن أتانا به فليس له عندنا شيء وانهم أصحاب الحارث فأسروا منهم أسارى وأسروا عبد الله بن عمرو المازنى رأس أهل مرو الروذ وكان الاسراء ثمانين أكثرهم من بني تميم فقتلهم عاصم بن عبد الله على نهر الدندانقان وكانت البيانية بعثت من الشام رجلا يعدل بألف يكنى أبا داود أيام العيصية فى

خمسة فکان لا یمر بقرية من قرى خراسان إلا قال كأنکم بی قد مررت
 راجعا حاملا رأس الحارث بن سريج فلما التقوا دعا إلى البراز فبرز له الحارث
 ابن سريج فضربه فوق منكبه الأيسر فصرعه وحامى عليه أصحابه فحملوه فحواط
 فکان يقول يا أبرشهر الحارث بن سريجاه يا أصحاب المعموراه ورمى فرس الحارث
 ابن سريج في لبانه فتزع النشاب واستحضره وألح عليه بالضرب حتى نزقه وعرقه
 وشغله عن ألم الجراحة قال وحمل عليه رجل من أهل الشام فلما ظن أن الرمح
 مخالطه مال عن فرسه واتبع الشامي فقال له أسالك بحرمة الإسلام في دمي قال
 انزل عن فرسك فنزل وركبه الحارث فقال الشامي خذ السرج فوالله إنه خير

من الفرس فقال رجل من عبد القيس

تَوَلَّتْ قَرَيْشٌ لَذَّةَ الْعَيْشِ وَانْتَقَتْ
 بِنَا كُلِّ فَجٍّ مِنْ خُرَاسَانَ أُغْبَرَا

فَلَيْتَ قَرَيْشًا أَصْبَحُوا ذَاتَ لَيْلَةٍ
 يَعْوُمُونَ فِي لُجٍّ مِنَ الْبَحْرِ أَخْضَرَا

قال وعظم أهل الشام يحيى بن حنين لما صنع في أمر الكتاب الذي كتبه
 عاصم وكتبوا كتابا وبعثوا مع محمد بن مسلم العنبري ورجل من أهل الشام فلقوا
 أسد بن عبد الله بالري ويقال لقوه بيهق فقال ارجعوا فاني أصلح هذا الأمر
 فقال له محمد بن مسلم هدمت داري فقال أبنها لك وأرد عليكم كل مظلة قال وكتب
 أسد إلى خالد ينتحل أنه هزم الحارث ويخبره بأمر يحيى قال فأجاز خالد يحيى بن
 حنين بعشرة آلاف دينار وكساه مائة حلة قال وكانت ولاية عاصم أقل من سنة
 قيل كانت سبعة أشهر وقدم أسد بن عبد الله وقد انصرف الحارث فحبس عاصم
 وسأله عما أنفق وحاسبه فأخذه بمائة ألف درهم وقال إنك لم تغز ولم تخرج من
 مرو ووافق عمارة بن حريم وعمال الجنيد محبوسين عنده فقال لهم أسير فيكم
 بسيرتنا أم بسيرة قومكم قالوا بل بسيرتك نغلي سبيلهم قال علي عن شيوخه قالوا لما
 بلغ هشام بن عبد الملك أمر الحارث بن سريج كتب إلى خالد بن عبد الله ابعث أخاك
 يصلح ما أفسد فان كانت رجية فلتكن به قال فوجه أخاه أسدا إلى خراسان فقدم
 أسد وما يملك عاصم من خراسان إلا مرو وناحية أبرشهر والحارث بن سريج بمرو

الروذوخالد بن عبيد الله الهجري بآمل ويخاف إن قصد للحارث بمرور الروذوخالد خالد بن عبيد الله مرو من قبل آمل وإن قصد لخالد دخلها الحارث من قبل مرو الروذوخالد فجمع علي أن يوجه عبد الرحمن بن نعيم الغامدي في أهل الشام الكوفة وأهل في طلب الحارث إلى ناحية مرو الروذوخالد وسار أسد بالناس إلى آمل واستعمل علي بن تميم الحوثر بن يزيد العنبري فلقبهم خيل لأهل آمل عليهم زياد القرشي مولى حيان النبطي عند ركايا عثمان فهزمهم حتى انتهوا إلى باب المدينة ثم كروا على الناس فقتل غلام لآسد بن عبد الله يقال له جبلة وهو صاحب عليه وتحصنوا في ثلاث مدائن لهم قال فنزل عليهم أسد وحصرهم ونصب عليهم المجانيق وعليهم خالد بن عبيد الله الهجري من أصحاب الحارث فطلبوا الأمان فخرج اليهم رويد بن طارق القطعي مولى لهم فقال ما تطلبون قالوا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال فلکم ذلك قالوا على أن لا تأخذ أهل هذه المدن بجنائنا فأعطاهم ذلك واستعمل عليهم يحيى بن نعيم الشيباني أحد بني ثعلبة بن شيبان بن أخي مصقلة ابن هبيرة ثم أقبل أسد في طريق قزم يريد مدينة بلخ فلقاه مولى لمسلم بن عبد الرحمن فأخبره أن أهل بلخ قد بايعوا سليمان بن عبد الله بن خازم فقدم بلخ فاتخذ سفناً وسار منها إلى الترمذ فوجد الحارث محاصراً سنانا الأعرابي السلمي ومعه بنو الحجاج بن هارون النميري وبنو زرعة وآل عطية الأعور النضري في أهل الترمذ والسبل مع الحارث فنزل أسد دون النهر ولم يطق القطوع اليهم ولا أن يمدم وخرج أهل الترمذ من المدينة فقاتلوا الحارث قتالاً شديداً وكان الحارث استطرد لهم ثم كر عليهم فانهزموا فقتل يزيد بن الهيثم بن المنخل وعاصم بن معول النجلى في خمسين ومائة من أهل الشام وغيرهم وكان بشر بن جرموز وأبو فاطمة الأيادي ومن كان مع الحارث من القرى يأتون أبواب الترمذ فيبكون ويشكون نبي مروان وجورهم ويسألونهم النزول اليهم على أن يمالئوهم على حرب نبي مروان فيأبون عليهم فقال السبل وهو مع الحارث يا حارث إن الترمذ قد بنيت بالطبول والمزامير ولا تفتح بالبكاء وإنما تفتح بالسيف فقال إن كان

بك قتال وتركه السبل وأتى بلاده قال وكان أسد حين مر بأرض زم تعرض للقاسم الشيباني وهو في حصن بزم يقال له باذكر ومضى حتى أتى الترمذ فنزل دون النهر ووضع سريره على شاطئ النهر وجعل الناس يعبرون فمن سفلت سفينه عن سفن المدينة قاتلهم الحارث في سفينة فالتقوا في سفينة فيها أصحاب أسد فيهم أصغر بن عيناة الحميري وسفينة أصحاب الحارث فيها داود الاعسر فرمى أصغر فصك السفينة وقال أنا الغلام الأحمرى فقال داود الاعسر لأمر ما انتميت اليه لا أرض لك وألذق سفينه بسفينة أصغر فاقتلوا وأقبل الأشكند وقد أراد الحارث الانصراف فقال له إنما جئتك ناصرًا لك وكمن الأشكند وراء دير وأقبل الحارث بأصحابه وخرج اليه أهل الترمذ فاستطرد لهم فاتبعوه ونصر مع أسد جالس ينظر فأظهر الكراهية وعرف أن الحارث قد كادهم فظن أسد أنه إنما فعل ذلك شفقة على الحارث حين ولي فأراد أسد معاتبه نصر فإذا الأشكند قد خرج عليهم فحمل على أهل الترمذ فهربوا وقتل في المعركة يزيد بن الهيثم بن المنخل الجرهموزي من الأزد وعاصم بن معول وكان من فرسان أهل الشام ثم ارتحل أسد إلى بلخ وخرج أهل الترمذ إلى الحارث فهزموه وقتلوا أبا فاطمة وعكرمة وقوما من أهل البصائر ثم سار أسد إلى سمرقند في طريق زم فلما قدم زم بعث إلى الهيثم الشيباني وهو في باذكر وهو من أصحاب الحارث فقال إنكم إنما أنكرتم على قومكم ما كان من سوء سيرتهم ولم يبلغ ذلك النساء ولا استحلال الفروج ولا غلبة المشركين على مثل سمرقند وأنا أريد سمرقند وعلى عهد الله وذمته أن لا يبدأك مني شر ولك المؤاساة واللطف والكرامة والأمان ولئن معك وأنت إن غمضت مادعوتك اليه فعلى عهد الله وذمة أمير المؤمنين وذمة الأمير خالد إن أنت رميت بسهم أن لا أومنك بعده وإن جعلت لك ألف أمان لأفنى لك به نخرج اليه على ما أعطاه من الأمان فأمنه وسار معه إلى سمرقند فأعطاهم عطاءين وحملهم على ما كان من دواب ساقها معه وحمل معه طعاما من بخارى وساق معه أشياء كثيرة من شاء الأكراد قسمها فيهم ثم ارتفع إلى ورغسر

وماء سمرقند منها فسکر الوادی و صرفه عن سمرقند وكان يحمل الحجارة بيديه حتى يطرحها في السكر ثم قفل من سمرقند حتى نزل بلخ وقد زعم بعضهم أن الذي ذكرت من أمر أسد وأمر أصحاب الحارث كان في سنة ١٨ (وحج) بالناس في هذه السنة خالد بن عبد الملك ه وكان العامل فيها على المدينة وعلى مكة والطائف محمد بن هشام بن إسماعيل وعلى العراق والمشرق خالد بن عبد الله وعلى أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد (وفيها) توفيت فاطمة بنت علي وسكينة ابنة الحسين ابن علي (وفي هذه السنة) أخذ أسد بن عبد الله جماعة من دعاة بني العباس بخراسان فقتل بعضهم ومثل ببعضهم وحبس بعضهم وكان فيمن أخذ سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب ولاهز بن قريظ وخالد بن إبراهيم وطلحة ابن رزيق فأتى بهم فقال لهم يافسقة ألم يقل الله تعالى (عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام) فذكر أن سليمان بن كثير قال أتكلم أم أسكت قال بل تكلم قال نحن والله كما قال الشاعر

لو بغير الماء خلق شرق كنت كالغصان بالماء اعنصاري
تدرى ما قصتنا صيدت والله العقارب بيدك أيها الأمير إنا أناس من قومك
وإن هذه المضربة إنما رفعوا إليك هذا لأننا كنا أشد الناس على قتيبة بن مسلم
وإنما طلبوا بثأرهم فتكلم ابن شريك بن الصامت الباهلي وقال إن هؤلاء القوم
قد أخذوا مرة بعد مرة فقال مالك بن الهيثم أصلح الله الأمير ينبغي لك أن تعتبر
كلام هذا بغيره فقالوا كأنك يا أخا باهلة تطلبنا بثأر قتيبة نحن والله كنا أشد الناس
عليه فبعث بهم أسد إلى الحبس ثم دعا عبد الرحمن بن نعيم فقال له ماترى قال
أرى أن تمن بهم على عشائركم قال فالتيميان اللذان معهم قال تخلى سبيلهما قال
إنا إذا من عبد الله بن يزيد نفي قال فكيف تصنع بالربيعي قال أخلى والله سبيله
ثم دعا بموسى بن كعب وأمر به فألجم بلجام حمار وأمر بالاجام أن يجذب فجذب
حتى تحطمت أسنانه ثم قال اكسروا وجهه فدق أنفه ووجأ لحية فندر ضرر له
ثم دعا بلاهز بن قريظ فقال لاهز والله ما في هذا الحق أن تصنع بنا هذا وترك

اليمانيين والربيعيين فضربه ثلاثمائة سوط ثم قال اصلبوه فقال الحسن بن زيد
الازدي هو لي جار وهو برى مما قذف به قال فالآخرون قال أعرفهم
بالبراءة نغلي سبيلهم

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك غزوة معاوية وسليمان ابني هشام بن عبد الملك أرض الروم
(وفيها) وجه بكير بن ماهان عمار بن يزيد إلى خراسان واليا على شيعة
بني العباس فنزل فيما ذكر مرو وغير اسمه وتسمى بخدش ودعا إلى محمد بن
علي فسارع إليه الناس وقبلوا ما جاءهم به وسمعوا إليه وطاعوا ثم غير
مادعاهم إليه وتكذب وأظهر دين الخرمية ودعا إليه ورخص لبعضهم في نساء
بعض وأخبرهم أن ذلك عن أمر محمد بن علي فبلغ أسد بن عبد الله خبره فوضع
عليه العيون حتى ظفر به فأتى به وقد تجهز لغزو بلخ فسأله عن حاله فأغظ خدش
له القول فأمر به فقطعت يده وقلع لسانه وسملت عينه هـ فذكر محمد بن علي عن
أشياخه قال لما قدم أسد آمل في مبدئه أتوه بخدش صاحب الهاشمية فأمر به
قرعة الطبيب فقطع لسانه وسملت عينه فقال الحمد لله الذي انتقم لأبي بكر وعمر
منك ثم دفعه إلى يحيى بن نعيم الشيباني عامل آمل فلما قفل من سمرقند كتب إلى
يحيى فقتله وصلبه بآمل وأتى أسد بحزور مولى المهاجر بن دارة الضبي فضرب
عنقه بشاطئ النهر ثم نزل أسد منصوره من سمرقند بانخ فسرح جديعا الكرماني
إلى القلعة التي فيها ثقل الحارث و ثقل أصحابه واسم القلعة التبو وشكان من طخارستان
العليا وفيها بنو برزى التغلبيون وهم أصهار الحارث فحصرهم الكرماني حتى فتحها
فقتل مقاتلتهم وقتل بني برزى وسبي عامة أهلها من العرب والموالي والذراري
وباعهم فيمن يزيد في سوق بلخ فقال علي بن يعلى وكان شهد ذلك نقم على الحارث
أربعمائة وخمسون رجلا من أصحابه وكان رئيسهم جرير بن ميعون القاضي وفيهم

بشر بن أنيف الخنظلي وداود الأعسر الخوارزمي فقال الحارث إن كنتم لا بد مفارقي وطلبتم الأمان فاطلبوه وأنا شاهد فإنه أجدر أن يجيبوكم وإن ارتحلتم قبل ذلك لم يعطوا الأمان فقالوا ارتحل أنت واخلنا ثم بعثوا بشر بن أنيف ورجلا آخر فطلبوا الأمان فأمنهما أسد ووصلهما فغذرا بأهل القلعة وأخبراه أن القوم ليس لهم طعام ولا ماء فسرّح أسد الكرماني في ستة آلاف منهم سالم بن منصور البجلي على ألفين والأزهر بن جرموز النيرى في أصحابه وجند بلخ وهم ألفان وخمسمائة من أهل الشام وعليهم صالح بن القعقاع الأزدي فوجه الكرماني منصور بن سالم في أصحابه فقطع نهر ضرغام وبات ليلة وأصبح فأقام حتى متع النهار ثم سار يومه قريباً من سبعة عشر فرسخاً فأتعب خيله ثم انتهى إلى كشم من أرض جيغويه فأنهى إلى حائط فيه زرع قد تصب فأرسل أهل العسكر دوابهم فيه وبينهم وبين القلعة أربع فراسخ ثم ارتحل فلما صار إلى الوادي جاءت الطلائع فأخبرته بمجيء القوم ورأسهم المهاجر بن ميمون فلما صاروا إلى الكرماني كادهم فأنصرفوا وسار حتى نزل جانباً من القلعة وكان أول ما نزل في زهاء خمسمائة في مسجد كان الحارث بناه فلما أصبح تنامت إليه الخيل وتلاحقت من أصحاب الأزهر وأهل بلخ فلما اجتمعوا خطبهم الكرماني فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل بلخ لا أجد لكم مثلاً غير الزانية من أتاها أمكنته من رجلها أتاكم الحارث في ألف رجل من العجم فأمكنتموه من مد يديكم فقتل أشرافكم وطرده أميركم ثم سرت مع من مكانه إلى مرو فخذتموه ثم انصرف إليكم منهزماً فأمكنتموه من المدينة والذي نفسي بيده لا يبلغني عن رجل منكم كتب كتاباً إليهم في سهم إلا قطعت يده ورجله وصلبته فأما من كان معي من أهل مرو فهم خاصتي ولست أخاف غدرهم ثم نهد إلى القلعة فأقام بها يوماً وليلة من غير قتال فلما كان من الغد نادى مناد إنا قد نبذنا إليكم بالعهد فقاتلوهم وقد عطف القوم وجاعوا فسألوا أن يزلوا على الحكم ويترك لهم نساؤهم وأولادهم فنزلوا على حكم أسد فأقام أياماً و قدم المهلب ابن عبد العزيز العتكي بكتاب أسد أن يحملوا إلى خمسين رجلاً منهم فيهم المهاجر

ابن ميمون ونظراءه من وجوههم فحملوا إليهم فقتلهم وكتب إلى الكرماني أن يصير الذين بقوا عنده أثلاثاً فثلث يصابهم وثلث يقطع أيديهم وأرجلهم وثلث يقطع أيديهم ففعل ذلك الكرماني وأخرج أثقالهم فباعها فيمن يزيد وكان الذين قتلهم وصلبهم أربعمائة واتخذ أسد مدينة بلخ داراً في سنة ١١٨ ونقل إليها الدواوين واتخذ المصانع ثم غزا طخارستان ثم أرض جيغويه ففتح وأصاب سنيا (وفي هذه السنة) عزل هشام خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم عن المدينة واستعمل عليها محمد بن هشام بن اسماعيل (ذكر الواقدي) أن أبا بكر بن عمرو بن حزم يوم عزل خالد عن المدينة جاءه كتاب بإمرته على المدينة فصعد المنبر وصلى بالناس ستة أيام ثم قدم محمد بن هشام من مكة عاملاً على المدينة (وفي هذه السنة) مات علي بن عبد الله بن العباس وكان يكنى أبا محمد وكانت وفاته بالحميمة من أرض الشام وهو ابن ثمان أو سبع وسبعين سنة وقيل إنه ولد في الليلة التي ضرب فيها علي ابن أبي طالب وذلك ليلة سبع عشرة من رمضان من سنة ٤٠٤ فسماه أبوه علياً وقال سميته باسم أحب الخلق إلى وكناه أبا الحسن فلما قدم على عبد الملك بن مروان أكرمه وأجلسه على سريرته وسأله عن كنيته فأخبره فقال لا يجتمع في عسكري هذا الاسم والكنية لأحد وسأله هل ولد له من ولد وكان قد ولد له يومئذ محمد ابن علي فأخبره بذلك فكناه أبا محمد (وحج) بالناس في هذه السنة محمد بن هشام وهو أمير مكة والمدينة والطائف وقد قيل إنما كان عامل المدينة في هذه السنة خالد ابن عبد الملك وكان إلى محمد بن هشام فيها مكة والطائف والقول الأول قول الواقدي وكان على العراق خالد بن عبد الله وإليه المشرق كله وعامله على خراسان أخوه أسد بن عبد الله وعامله على البصرة وأحداثها وقضاها والصلاة بأهلها بلال ابن أبي بردة وعلي أرمينية وآذربيجان مروان بن محمد بن مروان

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة الوليد بن القعقاع العبسي أرض الروم (وفيها) غزا أسد ابن عبد الله الحنّتل فافتتح قلعة زغر زك وسار منها إلى خدش وملا يديه من السبي والشاء وكان الجيش قد هرب إلى الصين (وفيها) لقي أسد خاقان صاحب الترك فقتله وقتل بشرا كثيرا من أصحابه وسلم أسد والمسلمون وانصرفوا بغنائم كثيرة وسبي

ذكر الخبر عن هذه الغزوة

ذكر علي بن محمد عن شيوخه أنهم قالوا كتب ابن السائجي إلى خاقان أبي مزاحم وإنما كنى أبا مزاحم لأنه كان يزاحم العرب وهو بنوا كث يعله دخول أسد الحنّتل وتفرق جنوه فيها وأنه بحال مضية فلما أتاه كتابه أمر أصحابه بالجهاز وكان لخاقان مرج وجبل حمى لا يقربها أحد ولا يتصيد فيها يتركان للجهاد فضاء ما كان في المرج ثلاثة أيام وما في الجبل ثلاثة أيام فتجهزوا وارتعوا ودبغوا مسوك الصيد واتخذوا منها أوعية واتخذوا القسي والشباب ودعا خاقان بيرذون مسرج ملجم وأمر بشاة فقطعت ثم علق في المعاليق ثم أخذ شيئا من ملح فصيره في كيس وجعله في منطقتة وأمر كل تركي أن يفعل مثل ذلك وقال هذا زادكم حتى تقوا العرب بالحنّتل وأخذ طريق خشوراع فلما أحس ابن السائجي أن خاقان قد أقبل بعث إلى أسد اخرج عن الحنّتل فان خاقان قد أظلك فشم رسوله ولم يصدقه فبعث صاحب الحنّتل إني لم أكذبك وأنا الذي أعلمته دخولك وتفرق جنودك وأعلمته أنها فرصة له وسألته المدد غير أنك أمعرت البلاد وأصبت الغنائم فان لقيك على هذه الحال ظفربك وعادتي العرب أبدا ما بقيت واستطال على خاقان واشتدت مؤوته وامتن علي بقوله أخرجت العرب من بلادك ورددت عليك ملكك فعرف أسد أنه قد صدقه فأمر بالانقال أن تقدم وولي عليها إبراهيم بن عاصم العقيلي الجزري الذي كان ولي سجستان بعد وأخرج معه المشيخة

فيهم كثير بن أمية أبو سليمان بن كثير الخزاعي وفضيل بن حيان المهري وسان
ابن داود القطعي وكان على أهل العالية سنان الأعرابي السلي وعلى الأقباض
عثمان بن شباب الهمداني جد قاضي مرو فسارت الأثقال فكتب أسد إلى داود بن
شعيب والأصبع بن ذواله الكلبى وقد كان وجههما في وجه أن خاقان قد أقبل
فانضما إلى الأثقال إلى إبراهيم بن عاصم قال ووقع إلى داود والأصبع رجل
دبوسى فأشاع أن خاقان قد كسر المسلمين وقتل أسداً وقال الأصبع إن كان أسد
ومن معه أصيبوا فإن فينا هشام نبحاز إليه فقال داود بن شعيب قبح الله الحياة
بعد أهل خراسان فقال الأصبع حبذا الحياة بعد أهل خراسان قتل الجراح ومن
معه فما ضر المسلمين كثير ضر فان هلك أسد وأهل خراسان فلن يخذل الله دينه
وان الله حى قيوم وأمير المؤمنين حى وجنود المسلمين كثير فقال داود أفلا تنظر
ما فعل أسد فنخرج على علم فسار حتى شارفاً عسكر إبراهيم فإذا هما بالنيران فقال داود
هذه نيران المسلمين أراها متقاربة و نيران الأتراك متفرقة فقال الأصبع هم في مضيق
ودنوا فسمعوا نهيق الحمير فقال داود أما علمت أن الترك ليس لهم حمير فقال الأصبع
أصابوها بالأمس ولم يستطيعوا أكلها في يوم ولا اثنين فقال داود نسرح فارسين
فيكبران فبعثا فارسين فلما دنوا من العسكر كبرا فأجابهما العسكر بالتكبير وأقبلوا
إلى العسكر الذى فيه الأثقال ومع إبراهيم أهل الصغانيان وصغان خذاه فقام
إبراهيم بن عاصم مبادراً قال وأقبل أسد من الختل نحو جبل الملح يريد أن يخوض
نهر بلخ وقد قطع إبراهيم بن عاصم بالسبي وما أصاب فأشرف أسد على النهر وقد
أتاه أن خاقان قد سار من سويات سبع عشرة ليلة فقام إليه أبو تمام بن زحر
وعبد الرحمن بن خنفر الأزديان فقالا أصلح الله الأمير إن الله قد أحسن بلاءك
في هذه الغزوة فغنمت وسلت فاقطع هذه النطفة واجعلها وراء ظهرك فأمر بهما
فوجئت رقابهما وأخرجا من العسكر وأقام يومه فلما كان من الغد ارتحل وفي
النهر ثلاثة وعشرون موضعاً يخوضه الناس وفي موضع مجتمع ماء يبلغ دقي السرج
نخاضه الناس وأمر أن يحمل كل رجل شاة وحمل هو بنفسه شاة فقال له عثمان

ابن عبد الله بن مطرف بن مشخيران الذي أنت فيه من حمل الشاة ليس بأخطر مما تخاف وقد فرقت الناس وشغلتهم وقد أظلك عدوك فدع هذا الشاء لعنة الله عليه وأمر الناس بالاستعداد فقال أسد والله لا يعبر رجل ليست معه شاة حتى تفتى هذه الغنم إلا قطعت يده فجعل الناس يحملون الشاء الفارس يحملها بين يديه والراجل على عنقه وخاض الناس ويقال لما حضرت سنا بك الخيل النهر صار بعض المواضع سباحة فكان بعضهم يميل فيقع عن دابته فأمر أسد بالشاء أن تقذف وخاض الناس فما استكملوا العبور حتى طلعت عليهم الترك بالدم فقتلوا من لم يقطع وجعل الناس يقتحمون النهر ويقال كانت المسلحة على الأزد وتميم وقد خلف ضعفة الناس وركب أسد النهر وأمر بالإبل أن يقطع بها إلى ما وراء النهر حتى تحمل عليها الأثقال وأقبل رهج من ناحية الختل فاذا خاقان فلما توافى معه صدر من جنده حمل على الأزد وبنى تميم فأنكشفوا وركض أسد حتى انصرف إلى معسكره وبعث إلى أصحاب الأثقال الذين كان سرح أمامه أن انزلوا وخذقوا مكانكم في بطن الوادي قال وأقبل خاقان فظن المسلمون أنه لا يقطع اليهم وبينهم وبينه النهر فلما نظر خاقان إلى النهر أمر الأشكند وهو يومئذ اصهبذ نسا أن يسير في الصف حتى يبلغ أقصاه ويسأل الفرسان وأهل البصرة بالحرب والماء هل يطاق قطوع النهر والحمل على أسد فكلهم يقول لا يطاق حتى انتهى إلى الاشتيخن فقال بلى يطاق لأنا خمسون ألف فارس فاذا نحن اقتحمنا دفعة واحدة رد بعضنا عن بعض الماء فذهب جريته قال فضربوا بكوسانهم فظن أسد ومن معه أنه منهم وعيداً فحموا دوابهم فجعلت تنخر أشد النخير فلما رأى المسلمون اقتحام الترك ولوا إلى العسكر وعبرت الترك فسطع رهج عظيم لا يبصر الرجل دابته ولا يعرف بعضهم بعضاً فدخل المسلمون عسكرهم وحووا ما كان خارجاً وخرج الغلمان بالبراذع والعمد فضربوا وجوه الترك فأدبروا وبات أسد فلما أصبح وقد كان عباً أصحابه من الليل تخوفاً من صدر خاقان وغدوه عليه ولم ير شيئاً دعا وجوه الناس فاستشارهم فقالوا له اقبل العافية قال ما هذه عافية بلى هي بلية لقينا خاقان

أمس فظفر بنا وأصاب من الجند والسلاح فما منعه منا اليوم إلا أنه قد وقع في يديه أسراء فأخبروه بموضع الأثقال أمامنا فترك لقاءنا طمعاً فيها فارتحل فبعث أمامه الطلائع فرجع بعضهم فأخبره أنه عاين طوقات الترك وأعلاماً من أعلام الأشكند في بشر قليل فسار والدواب مثقلة فليل له انزل أيها الأمير واقبل العافية قال وأين العافية فأقبلها إنما هي بلية وذهاب الأنفس والأموال فلما أمسى أسد صار إلى منزل فاستشار الناس أينزلون أم يسرون فقال الناس اقبل العافية وما عسى أن يكون ذهاب المال بعافيتنا وعافية أهل خراسان ونصر بن سيارة مطرق فقال أسد مالك يا بن سيار مطرق لا تكلم قال أصلح الله الأمير خلتان كلتاهما لك إن تسرُتِغث من مع الأثقال وتخلصهم وإن أنت انتهيت إليهم وقد هلكوا فقد قطعت فُجحة لا بد من قطوعها فقبل رأيه وسار يومه كله قال ودعا أسد سعيداً الصغير وكان فارساً مولى باهلة وكان عالماً بأرض الختل فكتب كتاباً إلى إبراهيم يأمره بالاستعداد فان خاقان قد توجه إلى ما قبلك وقال سرباً بالكتاب إلى إبراهيم حيث كان قبل الليل فان لم تفعل فأسد برى من الإسلام إن لم يقتلك وإن أنت لحقت بالحادث فعلى أسد مثل الذي حلف إن لم يبع امرأتك الدلال في سوق بلخ وجميع أهل بيتك قال سعيد فادفع إلى فرسك الكمية الذنوب قال لعمرى لئن جُدت بدمك وبخلت عليك بالفرس إني للثيم فدفعه إليه فسار على دابة من جنائبه وغلّامه على فرس له ومعه فرس أسد يجنبه فلما حاذى الترك وقد قصدوا الأثقال طلبته طلائعهم فتحوّل على فرس أسد فلم يلاحقه فأتى إبراهيم بالكتاب وتبعه بعض الطلائع يقال عشرون رجلاً حتى رأوا عسكر إبراهيم فرجعوا إلى خاقان فأخبروه فغدا خاقان على الأثقال وقد خندق إبراهيم خندقاً فأتاهم وهم قيام عليه فأمر أهل السغد بقتالهم فلبادنوا من مسلحة المسلمين ثاروا في وجوههم فهزموهم وقتلوا منهم رجلاً فقال خاقان اركبوا وصعد خاقان تلاً فجعل ينظر العورة ووجه القتال قال وهكذا كان يفعل ينفرد في رجلين أو ثلاثة فإذا رأى عورة أمر جنوده فحملت من ناحية العورة فلما صعد التل رأى خلف العسكر

جزيرة دونها مخاضة فدعا بعض قواد الترك فأمرهم أن يقطعوا فوق العسكر في مقطع وصفه حتى يصيروا إلى الجزيرة ثم ينحدروا في الجزيرة حتى يأتوا عسكر المسلمين من دبر وأمرهم أن يبدؤا بالأعاجم وأهل الصغانيين وأن يدعوا غيرهم فإنهم من العرب وقد عرفهم بأبليتهم وأعلامهم وقال لهم إن أقام القوم في خندقهم فأقبلوا إليكم دخلنا نحن خندقهم وإن ثبتوا على خندقهم فادخلوا من دبره عليهم ففعلوا ودخلوا عليهم من ناحية الأعاجم فقتلوا صغان خذاه وعامة أصحابه واحتوا على أموالهم ودخلوا عسكر إبراهيم فأخذوا عامة ما فيه وترك المسلمين التعبية واجتمعوا في موضع وأحسوا بالهلاك فإذا رهبج قد ارتفع وتربة سوداء فاذا أسد في جنده قد أتاهم فجعلت الترك ترتفع عنهم إلى الموضع الذي كان فيه خاقان وإبراهيم يتعجب من كفهم وقد ظفروا وقتلوا من قتلوا وأصابوا ما أصابوا وهو لا يطمع في أسد قال وكان أسد قد أخذ السير فأقبل حتى وقف على التل الذي كان عليه خاقان وتبعى خاقان إلى ناحية الجبل فخرج إليه من بقي ممن كان مع الأثقال وقد قتل منهم بشر كثير قتل يومئذ بركة بن خولى الراسبي وكثير أبو أمية ومشيخة من خزاعة وخرجت امرأة صغان خذاه إلى أسد فبكت زوجها فبكى أسد معها حتى علا صوته ومضى خاقان يقود الأسراء من الجند في الأوهاق ويسوق الإبل موقرة والجواري قال وكان مصعب بن عمرو والخزاعي ونفر من أهل خراسان قد أجمعوا على موافقتهم فكفهم أسد وقال هؤلاء قوم قد طابت لهم الرياح واستكلبوا فلا تعرضوا لهم وكان مع خاقان رجل من أصحاب الحمارث ابن سريج فأمره فنادى يا أسد أما كان لك فيما وراء النهر مغزى إنك لشديد الحرص قد كان لك عن الختل مندوحة وهي أرض آباءى وأجدادى فقال أسد كان ما رأيت ولعل الله أن ينتقم منك قال كور مغانون وكان من عظام الترك لم أر يوما كان أحسن من يوم الأثقال قيل له وكيف ذلك قال أصبت أموالا عظيمة ولم أر عدوا أسهب من أسراء العرب يعدو أحدهم فلا يكاد يبرح مكانه وقال بعضهم سار خاقان إلى الأثقال فارتحل أسد فلما أشرف على الظاهر ورأى المسلمين

الترك فامتنعوا وقد كانوا اقاتلوا المسلمين فامتنعوا فاتوا الاعاجم الذين كانوا مع المسلمين
فقاتلهم فأسروا أولادهم قال فأردف كل رجل منهم وصيفاً أو وصيفة ثم أقبلوا
إلى عسكر أسد عند مغيب الشمس قال وسار أسد بالناس حتى نزل مع الثقل
وصبّحوا أسداً من الغد وذلك يوم الفطر فكادوا يمنعونهم من الصلاة ثم انصرفوا
ومضى أسد إلى بلخ فعسكر في مرجها حتى أتى الشتاء ثم تفرق الناس في الدور
ودخل المدينة فني هذه الغزاة قيل له بالفارسية

أزُخْتَلانِ آمديه يَرُوتبَاهُ آمديه
آبارِ بازِ آمديه خُشَنكِ نِزارِ آمديه

قال وكان الحارث بن سريح بناحية طخارستان فانضم إلى خاقان فلما كان ليلة
الاضحى قيل لآسد إن خاقان نزل جزه فأمر بالنيران فرفعت على المدينة فجاء الناس
من الرساتيق إلى مدينة بلخ فأصبح أسد فصلّى وخطب الناس وقال إن عدو الله
الحارث بن سريح استجلب طاغيته ليطفيء نور الله ويبدل دينه والله مذكوره إن شاء الله
وإن عدوكم الكلاب أصاب من إخوانكم من أصاب وإن يُرِدِ اللهُ نصركم لم يضركم
قتلكم وكثرتهم فاستنصروا الله وقال إنه بلغني أن العبد أقرب ما يكون إلى الله
إذا وضع جبهته لله وإني نازل وواضع جبهتي فادعوا الله واسجدوا الربكم وأخلصوا
له الدعاء ففعلوا ثم رفعوا رؤوسهم وهم لا يشكّون في الفتح ثم نزل عن المنبر وضحى
وشاور الناس في المسير إلى خاقان فقال قوم أنت شابٌ ولست بمن تخوف من غارة
على شاة ودابة تخاطر بخروجك قال والله لا أخرجنّ فأما ظفرو وإما شهادة ويقال
أقبل خاقان وقد استمد من وراء النهر وأهل طخارستان وجيغويه الطخاري
بملوكهم وشاكريتهم ثلاثين ألفاً فنزلوا خلم وفيها مسلحة عليها أبو العوجاء بن سعيد
العبدى فناوشهم فلم يظفروا منه بشيء فساروا على حاميتهم في طريق فيروز بخشين
من طخارستان فكتب أبو العوجاء إلى أسد بمسيرهم قال فجمع الناس فأقرأهم كتاب
أبي العوجاء وكتاب الفرافصة صاحب مسلحة جزة بعد مرور خاقان به فشاور
أسد الناس فقال قوم تأخذوا أبواب مدينة بلخ وتكتب إلى خالد والخليفة تستمدّه

وقال آخرون تأخذ في طريق زمّ وتسبق خاقان إلى مرو وقال قوم بل تخرج اليهم
وتستنصر الله عليهم فوافق قولهم رأى أسد وما كان عزم عليه من لقائهم ويقال
إن خاقان حين فارق أسداً ارتفع حتى صار بأرض طخارستان عند جيغويه فلما
كان وسط الشتاء أقبل فمرّ بجزة وصار إلى الجوزجان وبث الغارات وذلك أن
الحارث بن سريج أخبره أنه لانهوض بأسد وأنه لم يبق معه كبير جند فقال البخترى
ابن مجاهد مولى بني شيان بل بث الخيول حتى تنزل الجوزجان فلما بث الخيل قال
له البخترى كيف رأيت رأيت رأيت رأيت صنع الله عز وجل حين أخذ
برأيك فأخذ أسد من جيلة بن أبي رواد عشرين ومائة ألف درهم وأمر للناس
بعشرين عشرين ومعه من الجنود من أهل خراسان وأهل الشام سبعة آلاف رجل
واستخلف على بلخ الكرماني بن علي وأمره أن لا يدع أحداً يخرج من مدينتها
وإن ضرب الترك باب المدينة فقال له نصر بن سيار الليثي والقاسم بن بخيت المراغي
من الأزد وسليم بن سليمان السلي وعمر بن مسلم بن عمرو ومحمد بن عبد العزيز
العتكي وعيسى الأعرج الحنظلي والبخترى بن أبي درهم البكري وسعيد الأحمر وسعيد
الصغير مولى باهلة أصلح الله الأمير اتدنا في الخروج ولا تهجن طاعتنا فأذن لهم
ثم خرج فتزل باباً من أبواب بلخ وضربت له قبة فارتادوا الصق إحداها بالآخرى
وصلى بالناس ركعتين طولهما ثم استقبل القبلة ونادى في الناس ادعوا لله وأطال
في الدعاء ودعا بالنصر وأمن الناس على دعائه فقال نصرتم ورب الكعبة ثم انقل
من دعائه فقال نصرتم ورب الكعبة إن شاء الله ثلاث مرات ثم نادى مناديه برئت
ذمة الله من رجل حمل امرأة عن كان من الجند قالوا إن أسداً إنما خرج هارباً
تخلف أم بكر أم ولده وولده فنظر فإذا جارية على بعير فقال سلوا من هذه الجارية
فذهب بعض الأساورة فسأل ثم رجع فقال لزياد بن الحارث البكري وزياد
جالس قطب أسد وقال لا يتهون حتى أسطو بالرجل منكم بكرم علي فأضرب
ظهره وبطنه فقال زياد إن كانت لي فهي حرة لا والله أيها الأمير مامعي امرأة فان
هذا عدو حاسد وسار أسد فلما كان عند قنطرة عطاء قال لمسعود بن عمرو والكرماني

وهو يومئذ خليفة الكرماني على الأزد ابغني خمسين رجلا ودابة أخلفهم على هذه القنطرة فلا تدع أحداً ممن جازها أن يرجع إليها فقال مسعود ومن أين أقدر على خمسين رجلا فأمر به فصرع عن دابته وأمر بضرب عنقه فقام إليه قوم فكلموه فكف عنه فلما جاز القنطرة نزل منزلاً فأقام فيه حتى أصبح وأراد المقام يومه فقال له العذافر بن زيد ليأتمر الأمير على المقام يومه حتى يتلاحق الناس قال فأمر بالرحيل وقال لا حاجة لنا إلى المتخلفين ثم ارتحل وعلى مقدمته سالم بن منصور البجلي في ثلاثمائة فلقى ثلاثمائة من الترك طليعة لخاقان فأمر قائدهم وسبعة منهم معه وهرب بقيتهم فأتى به أسد قال فبكى التركي قال ما يبكيك قال است أبكي لنفسى ولكنى أبكى لهلاك خاقان قال كيف قال لأنه قد فرق جنوده فيما بينه وبين مرو قال وسار أسد حتى نزل السدرة قرية ببلخ وعلى خيل أهل العالية ربحان بن زياد العامري العبدلي من بني عبد الله بن كعب قال فعزله وصير على أهل العالية منصور ابن سالم ثم ارتحل من السدرة فنزل خريستان فسمع أسد صهيل فرس فقال لمن هذا فقيل للعقار بن ذعير فتطير من اسمه واسم أبيه فقال ردوه قال إني مقتول غادي على الترك قال أسد قتلك الله ثم سار حتى إذا شرف العين الحارة استقبله بشر ابن رزين أورزين بن بشر فقال بشارة ورزاة ما وراءك يارزين قال إن لم تغشنا غلبنا على مدينتنا قال قل للمقدام بن عبد الرحمن يطاول برحى فسار فنزل من مدينة الجوزجان بفرسخين ثم أصبحنا وقد تراءت الخيلان فقال خاقان للحارث من هذا فقال هذا محمد بن المشي ورايته ويقال إن طلائع لخاقان انصرفت إليه فأخبرته أن رجلاً ساطعاً طلع من قبل بلخ فدعا خاقان الحارث فقال ألم تزعم أن أسداً ليس به نهوض وهذا رجح قد أقبل من ناحية بلخ قال الحارث هذا اللص الذي كنت قد أخبرتك أنه من أصحابي فبعث خاقان طلائع فقال انظروا هل ترون على الإبل سريراً وكراسي فجاءته الطلائع فأخبروه أنهم عابنوها فقال خاقان اللصوص لا يحملون الاسرة والكراسي وهذا أسد قد أتاك فسار أسد غلوة فلقى سالم بن جناح فقال أباها الأمير قد حزرتهم ولا يباون أربعة آلاف وأرجو أن يكون عقيرة الله فقال المجشر بن مزاحم وهو يسايره

انزل أيها الأمير جالك ف ضرب وجه دابته وقال لو أطعت يا مجشر ما كنا قدمناها
وسار غير بعيد وقال يا أهل الصباح انزلوا فزلوا وقربوا دوابهم وأخذوا النبل
والقسي قال و خاقان في مرج قد بات فيه تلك الليلة قال وقال عمرو بن أبي موسى
ارتحل أسد حين صلى الغداة فر بالجوزجان وقد استباحها خاقان حتى بلغت خيله
الشبورقان قال وقصور الجوزجان إذ ذاك ذليلة قال وأتاه المقدام بن عبد الرحمن
ابن نعيم الغامدي في مقاتلته وأهل الجوزجان وكان عاملها فعرضوا عليه أنفسهم
فقال أقيموا في مدينتكم وقال للجوزجان بن الجوزجان سمر معي وكان على التعبية
القاسم بن بخت المراغني فجعل الأزدي وبنو تميم والجوزجان بن الجوزجان وشاكريته
ميمته وأضاف إليهم أهل فلسطين عليهم مصعب بن عمرو الخزاعي وأهل قنسرين
عليهم صفراء بن أحمر وجعل ربيعة ميسرة عليهم يحيى بن حضين وضم إليهم أهل
حمص عليهم جعفر بن حنظلة البهراني وأهل الأزدي وعليهم سليمان بن عمرو المقري
من حمير وعلى المقدمة منصور بن مسلم البجلي وأضاف إليهم أهل دمشق عليهم
حملة بن نعيم الكلبي وأضاف إليهم الحرس والشرطة وغلجان أسد قال وغني
خاقان الحارث بن سريج وأصحابه وملك السغد وصاحب الشاش وخرابغره
أباخاناخره جدكاوس وصاحب الختل وجينغويه والترك كلهم ميمنة فلما التقوا
حمل الحارث ومن معه من أهل السغد والبابية وغيرهم على الميسرة وفيها ربيعة
وجندان من أهل الشام فهزمهم فلم يردم شيء دون رواق أسد فشددت عليهم الميمنة
وهم الأزدي وبنو تميم والجوزجان فما وصلوا إليهم حتى انهزم الحارث والآتراك
وحمل الناس جميعا فقال أسد اللهم انهم عصوني فانصرهم وذهب الترك في الأرض
عباديد لا يلوون على أحد فتبعهم الناس مقدار ثلاثة فراسخ يقتلون من يقدر
عليه حتى انتهوا إلى أغنامهم فاستاقوا أكثر من خمس وخمسين ومائة ألف إصاة
ودواب كثيرة وأخذ خاقان طريقا غير الجادة في الجبل والحارث بن سريج يحميه
ولحقهم أسد عند الظهر ويقال لما واقف أسد خاقان يوم خريستان كان بينهم
نهر عميق فأمر أسد برواقه فرفع فقال رجل من بني قيس بن ثعلبة يا أهل الشام

أهكذا رأيكم إذ حضر الناس رفعتم الأبدية فأمر به فُخط وهاجت ریح الحرب التي تسمى الهفاقة فهزمهم الله واستقبلوا القبلة يدعون الله ويكبرون وأقبل خاقان في قريب من أربعمئة فارس عليهم الحمرة وقال لرجل يقال له سوري إنما أنت ملك الجوزجان إن أسلت العرب فمن رأيت من أهل الجوزجان وقد أتاه فاقتله وقال الجوزجان لعثمان بن عبد الله بن الشيخيراني لا علم ببلادى وطرقها فهل لك في أمر فيه هلاك خاقان ولك فيه ذكر ما بقيت قال ما هو قال تتبعني قال نعم فأخذ طريقا يسمى وراذك فأشرفوا على طوقات خاقان وهم آمنون فأمر خاقان بالكوسات فضربت ضربة الانصراف وقد شبت الحرب فلم يقدر الترك على الانصراف ثم ضربت الثانية فلم يقدرُوا ثم ضربت الثالثة فلم يقدرُوا الاشتغالهم فحمل ابن الشيخير والجوزجان على الطوقات وولى خاقان مديرا منهزما فحوى المسلمون عسكرهم وتركوا قدورهم تغلى ونساء من نساء العرب والمواليات ومن نساء الترك ووحل بخاقان برذونه فجاه الحارث بن سريج قال ولم يعلم الناس أنه خاقان ووجد عسكر الترك مشحونا من كل شيء من آنية الفضة وصناعات الترك وأراد الحصى أن يحمل امرأة خاقان فأجلوه عن ذلك فطعنها بخنجر فوجدوها تتحرك فأخذوا خفيها وهو من لبود مضرب قال فبعث أسد بجوارى الترك إلى دهاقين خراسان واستنقذ من كان في أيديهم من المسلمين قال وأقام أسد خمسة أيام قال فكانت الخيول التي فرق تقبل فيصيدهم أسد فاغتم الظفر وانصرف إلى بلخ يوم التاسع من خروجه فقال ابن السجف المجاشعي

لو ييرت في الأرض تقيس الأرض
تقيس منها طولها والعرضا
لم تلق خيرا مرة ونقضا
من الأمير أسد وأمضا
أفضى إلينا الخير حين أفضى
وجمع الشمل وكان رفضا
ما فاته خاقان إلا ركضا
قد فض من جموعه ما فضا
يا ابن سريج قد لقيت حمضا
حمضا به يشقى صداع المرضا
قال وارتحل أسد فنزل جزءة الجوزجان من غدي وخاقان بها فارتحل هاربا منه

وندب أسد الناس فانتدب ناس كثير من أهل الشام وأهل العراق فاستعمل عليهم
جعفر بن حنظلة البهراني فساروا ونزلوا مدينة تسمى ورد من أرض جزة فباتوا
بها فأصابهم ريح ومطر ويقال أصابهم التاج فرجعوا ومضى خاقان فنزل على جيغويه
الطخاري وانصرف البهراني إلى أسد ورجع أسد إلى بلخ فلقوا خيل الترك التي كانت
بمرو الروذ منصرفه لتغير على بلخ فقتلوا من قدروا عليه منهم وكان الترك قد بلغوا
سبعة مرو الروذ وأصاب أسد يومئذ أربعة آلاف درع فلما صار يبلغ أمر الناس
بالصوم لافتح الله عليهم قال وكان أسد يوجه الكرمانى فى السرايا فكانوا لا
يزالون يصيبون الرجل والرجلين والثلاثة وأكثر من الترك ومضى خاقان الى
طخارستان العليا فأقام عند جيغويه الخرنجى تعزاً به وأمر بصنعة الكوسات
فلما جفت وصلح أصواتها ارتحل إلى بلاده فلما ورد شروسة تلقاه خرابغره
أبو خاناخره جد كاوس أبى أفشين باللعاين وأعد له هدايا ودواب له ولجنده وكان
الذى بينهما متباعدا فلما رجع منهزما أحب أن يتخذ عنده يداً فأتاه بكل ما قدر عليه
ثم أتى خاقان بلاده وأخذ فى الاستعداد للحرب ومحاصرة سمرقند وحمل الحارث
ابن سريج وأصحابه على خمسة آلاف برذون وفرق براذين فى قواد الترك فلاعب
خاقان يوماً كورصول بالرد على خطر تدرجة فقمر كورصول الترقشى فطلب منه
التدرجة فقال أنتى فقال الآخر ذكر فتنازعا فكسر كورصول يد خاقان فخلف خاقان
ليكسرن يد كورصول وبلغ كورصول فتحنى وجمع جمعا من أصحابه فبيت خاقان
فقتله فأصبحت الترك تفرقوا عنه وتركوه مجرداً فأتاه زريق بن طفيل
الكشاني وأهل بيت الخوكين وهم من عظاماء الترك فحمله ودفنه وصنع
به ما يصنع بمثله إذا قتل فتفرقت الترك فى الغارات بعضها على بعض وانحاز بعضهم
إلى الشاش فعند ذلك طمع أهل السغد فى الرجعة إليها قال فلم يسلم من خيل الترك
التي تفرقت فى الغارات إلا زربن الكسى فانه سلم حتى صار إلى طخارستان وكان
أسد بعث من مدينة بلخ سيف بن وصاف العجلي على فرس فسار حتى نزل الشبورقان
قال ونها إبراهيم بن هشام مسلحة فحمله منها على البريد حتى قدم على خالد بن عبد الله

فأخبره ففضع به هشام فلم يصدقه وقال للربيع حاجبه ويحك إن هذا الشيخ قد أتانا بالطامة الكبرى إذا كان صادقا ولا أراد صادقا اذهب فعده ثم سله عما يقوله وأتى بما يقول فانطلق اليه ففعل الذي أمره به فأخبره بالذي أخبر به هشاما قال فدخل عليه أمر عظيم فدعا به بعد فقال من القاسم بن بخيت منكم قال ذلك صاحب العسكر قال فانه قد أقبل قال فان كان قد أقبل فقد فتح الله على أمير المؤمنين وكان أسد وجهه حين فتح الله عليه فأقبل القاسم بن بخيت فكبر على الباب ثم دخل يكبر وهشام يكبر لتكبيره حتى انتهى إليه فقال الفتح يا أمير المؤمنين وأخبره الخبر فنزل هشام عن سريره فسجد سجدة الشكر وهي واحدة عندهم قال فحدث القيسية أسدا وخالدا وأشاروا على هشام أن يكتب إلى خالد بن عبدالله فبأمر أخاه أن يوجه مقاتل بن حيان فكتب إليه فدعا أسد مقاتل بن حيان على رؤوس الناس فقال سر إلى أمير المؤمنين فأخبره بالذي عاينت وقل الحق فإنك لا تقول غير الحق إن شاء الله وخذ من بيت المال حاجتك قالوا إذا لا يأخذ شيئا قال أعطه من المال كذا وكذا ومن الكسوة كذا وكذا وجهزه فسار فقدم على هشام بن عبد الملك وهو والابرش جالسان فسأله فقال غزونا الحتل فأصبنا أمرا عظيما وانذرا أسد بالترك فلم نحفل بهم حتى لحقوا واستنفذوا من غنائمنا واستباحوا بعض عسكرنا ثم دفعونا دفعة قريبا من خلم فأنتهى الناس إلى مشاتهم ثم جاءنا مسير خاقان إلى الجوزجان ونحن قريبو العهد بالعدو فسار بنا حتى التقينا برستاق بيننا وبين أرض الجوزجان فقاتلناهم وقد حاذوا ذراري من ذراري المسلمين فحملوا على ميسر توافكش فوهم ثم حملت ميمنتنا عليهم فأعطانا الله عليهم الظفر وتبعناهم فراسخ حتى استبحنا عسكر خاقان فأجلى عنه وهشام متكئ فاستوى جالسا عند ذكره عسكر خاقان فقال ثلاثا أنتم استبحتم عسكر خاقان قال نعم قال ثم ماذا قال دخلوا الحتل فانصرفوا قال هشام إن أسدا لضعيف قال مهلا يا أمير المؤمنين ما أسد بضعيف وما أطاق فوق ما صنع فقال له هشام حاجتك قال إن يزيد بن المهلب أخذ من أبي حيان مائة ألف درهم بغير حق فقال له هشام لا أكفك شاهدا احلف بالله انه كما قلت فحلف

فردها عليه من بيت مال خراسان وكتب إلى خالد أن يكتب إلى أسد فيها فكتب إليه فأعطاه أسد مائة ألف درهم قسمها بين ورثة حيان على كتاب الله وفرائضه ويقال بل كتب إلى أسد أن يستخبر عن ذلك فان كان ما ذكر حقا أعطى مائة ألف درهم وكان الذي جاء بفتح خراسان إلى مرو عبد السلام بن الأشهب بن عتبة الخنظلي قال فأرسل أسد إلى خالد بن عبد الله وفدا في هزيمته يوم سان ومعهم طوقات خاقان ورؤوس من قتلوا منهم فأوفدهم خالد إلى هشام فأحلفهم أنهم صدقوا فحلفوا فوصلهم فقال أبو الهندي الأسدي لاسد يذكر وقعة سان

أبا مُنْدِرٍ رُمْتَ الْأُمُورَ فَفَقِستَهَا
فَمَا كَانَ ذُو رَأْيٍ مِنَ النَّاسِ قِستَهُ
أبا مُنْدِرٍ لَوْلَا مَسِيرُكَ لَمْ يَكُنْ
وَلَا حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ بِذُحُجِّ رَاكِبٍ
فَكَمْ مِنْ قَبِيلٍ بَيْنَ سَانَ وَجَزَّةٍ
تَرَكَتْ بَارِضِ الْجُوزِ جَانِ تَزُورُهُ
وَذِي سُوقَةٍ فِيهِ مِنَ السَّيْفِ خُطَّةٌ
فَمَنْ هَارِبٍ مِنَّا وَمِنْ دَائِنِ لَنَا
فَدَتِكَ نُفُوسٌ مِنْ تَمِيمٍ وَعَامِرٍ
هُمْ أَطْمَعُوا خَاقَانَ فِينَا فَأَصْبَحَتْ

وساءلت عنها كالحريص المساوم
برأيك إلا مثل رأي البهائم
عراق ولا انقادت ملوك الأعاجم
ولا عمر البطحاء بعد المراسيم
كثير الأيادي من ملوك قماقم
سباع وعقبان لحز الغلاصم
به رفق حانت عينه الحوائم
أسير بقايس مبهمات الأدهم
ومن مضر الحمراء عند المآزم
جلابته ترجو احتواء المغاريم

قال وكان السبل أوصى عند موته ابن السامعي حين استخلفه بثلاث خصال فقال لا تستطل على أهل الختل استطالتي التي كانت عليهم فإني ملك ولست بملك إنما أنت رجل منهم فلا يمتلون لك ما يمتلون للبلوك ولا تدع أن تطلب الجيش حتى ترده إلى بلادكم فإنه الملك بعدى والملوك هم الظام والناس مالم يكن لهم نظام كظام ولا تحاربوا العرب واحتالوا لهم كل حيلة تدفعونهم بها على أنفسكم ما قدرتم فقال له ابن السامعي أما ما ذكرت من تركي الاستطالة على أهل الختل فإني قد عرفت ذلك وأما ما أوصيت من رد الجيش فقد صدق الملك وأما قولك لا تحاربوا العرب

فكيف تنهى عن حربهم وقد كنت أكثر الملوك لهم محاربة قال قد أحسنت إذ سألت عما لا تعلم إني قد جربت قوتكم بقوتي فلم أجدكم تقعون منى موقعا فكنت إذا حاربتهم لم أفلت منهم إلا جريضا وإنكم إن حاربتموهم هلكتم في أول محاربتكم إياهم قال وكان الجيش قد هرب إلى الصين وابن السامحى الذى أخبر أسد بن عبد الله بمسير خاقان إليه فكره محاربة أسد (وفي هذه السنة) خرج المغيرة بن سعيد وبيان في نفر فأخذهم خالد فقتلهم

ذكر الخبر عن مقتلهم

أما المغيرة بن سعيد فإنه كان فيما ذكر ساحرا ^ص مشنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن الأعمش قال سمعت المغيرة بن سعيد يقول لو أردت أن أحيى عادا أو ثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا لا حيثهم قال الأعمش وكان المغيرة يخرج إلى المقبرة فينكلم فيرى مثل الجراد على القبور أو نحو هذا من الكلام وذكر أبو نعيم عن النضر بن محمد عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال قدم علينا رجل من أهل البصرة يطلب العلم فكان عندنا فأمرت جاريتى يوما أن تشتري لي سمكا بدرهمين ثم انطلقت أنا والبصرى إلى المغيرة بن سعيد فقال لي يا محمد أحب أن أخبرك لم افترق حاجباك قلت لا قال أفتحب أن أخبرك لم سماك أهلك محمد أقلت لا قال أما إنك قد بعثت خادمك يشتري لك سمكا بدرهمين قال فهضنا عنه قال أبو نعيم وكان المغيرة قد نظر في السحر فأخذه خالد القسرى فقتله وصلبه وذكر أبو زيد أن أبا بكر بن حفص الزهرى قال أخبرني محمد بن عقيل عن سعيد بن مردابند مولى عمرو بن حريث قال رأيت خالدا حين أتى بالمغيرة وبيان في ستة رهط أو سبعة أمر بسريره فأخرج إلى المسجد الجامع وأمر بأطنان تصب ونفط فأحضر ثم أمر المغيرة أن يتناول طناً فكع عنه وتأنى وصببت الشياطين على رأسه فتناول طناً فاحتضنه فشد عليه ثم صب عليه وعلى الطن نفط ثم ألهمت فيهما النار فاحترقا ثم أمر الرهط ففعلوا ثم أمر بيانا آخرهم فقدم إلى الطن مبادراً فاحتضنه فقال خالد ويلكم في كل أمر تحمقون هلا رأيتم هذا المغيرة ثم أحرقه قال أبو زيد لما قتل

خالد المغيرة وبيانا أرسل إلى مالك بن أعين الجهني فسأله فصدقه عن نفسه فأطلقه
فلما خلا مالك بمن يثق به وكان فيهم أبو مسلم صاحب خراسان قال
ضَرَبْتُ لَهُ بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ لَاحِيًا وَطُنْتُ عَلَيْهِ الشَّمْسَ فِيمَنْ يَطِينُهَا
وَالْقَيْتُ فِي شُبُهَةِ حِينَ سَالَى كَمَا اشْتَبَهَا فِي الْخَطِّ سَيْنٌ وَشِينُهَا
فقال أبو مسلم حين ظهر أمره لو وجدته لقتلته بإقراره على نفسه قال أحمد بن
زهير عن علي بن محمد قال خرج المغيرة بن سعيد في سبعة نفر وكانوا يدعون
الوصفاء وكان خروجهم بظهر الكوفة فأخبر خالد القسري بخروجهم وهو على
المنبر فقال أطعموني ماء ففعل ذلك عليه ابن نوفل فقال

أَخَالِدُ لَا جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا وَأَيْرُ فِي حَرِّ أَمِّكَ مِنْ أَمِيرِ
تَمَنَّى الْفَخْرَ فِي قَيْسٍ وَقَسِيرِ كَأَنَّكَ مِنْ سَرَاةِ بَنِي جَرِيرِ
وَأَمِّكَ عَاجِئَةٌ وَأَبُوكَ وَغَدُورِ وَمَا الْأَذْنَابُ عِدْلًا لِلصُّدُورِ
جَرِيرٌ مِنْ ذَوَى يَمَنِ أَصِيلِ كَرِيمِ الْأَصْلِ ذِي خَطَرٍ كَبِيرِ
وَأَنْتَ زَعَمْتَ أَنَّكَ مِنْ يَزِيدِ وَقَدْ دُوِحِقْتُمْ دَحِقَ الْعَبُورِ
وَكَنتَ لَدَى الْمَغِيرَةِ عَبْدًا سَوِيًّا تَبُولُ مِنَ الْمَخَافَةِ لِلزُّبَيْرِ
وَقَلْتَ لِمَا أَصَابَكَ أَطْعَمُونِي شَرَابًا مُنْمٌ بَلَّتَ عَلَى السَّرِيرِ
لِعِلَاجِ ثَمَانِيَةٍ وَشَيْخِ كَبِيرِ السِّنِّ كَيْسَ بِنْدِي نَصِيرِ

(وفي هذه السنة) حكم بهلول بن بشر الملقب كثارة فقتل

ذكر الخبر عن مخرجه ومقتله

ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن بهلولاً كان يتأله وكان له قوت دائق وكان
مشهوراً بالبأس عند هشام بن عبد الملك فخرج يريد الحج فأمر غلامه أن يتابع له
خلا بدرهم فجاءه غلامه بخمر فأمر بردها وأخذ الدرهم فلم يُجِبْ إلى ذلك فجاء
بهلول إلى عامل القرية وهي من السواد فكلمه فقال العامل الخرخير منك ومن
قومك فمضى بهلول في حجه حتى فرغ منه وعزم على الخروج على السلطان فلقى
بمكة من كان على مثل رأيه فأتعدوا قرية من قرى الموصل فاجتمع بها أربعون

رجلا وأمروا عليهم البهلول وأجمعوا على أن لا يمروا بأحد إلا أخبروه أنهم
أقبلوا من عند هشام على بعض الأعمال ووجههم إلى خالد لينفذهم في أعمالهم فعملوا
لا يمرون بعامل إلا أخبروه بذلك وأخذوا دواب من دواب البريد فلما انتهوا
إلى القرية التي كان اتباع فيها الغلام الخل فأعطى خمرآ قال بهلول نبأ بهذا العامل
الذي قال ما قال فقال له أصحابه نحن نريد قتل خالد فإن بدأنا بهذا شهرنا وحذرنا
خالد وغيره فنشرك الله أن لا تقتل هذا فيفلت منا خالد الذي يهدم المساجد
ويبنى البيع والكنائس ويولي المجوس على المسلمين وينكح أهل الذمة المسلمات
لعلنا نقتله فيريح الله منه قال والله لا أدع ما يلزمني لما بعده وأرجو أن أقتل
هذا الذي قال لي ما قال وأدرك خالدًا فأقتله وإن تركت هذا وأتيت خالدًا شهر
أمرنا فأفليت هذا وقد قال الله عز وجل (قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار
وليجدوا فيكم غلظة) قالوا أنت ورأيك فاتاه فقتله فنذر بهم الناس وعلما
أنهم خوارج وابتدروا إلى الطريق هربا وخرجت البرد إلى خالد فأخبروه أن
خارجة قد خرجت وهم لا يدرون حينئذ من رئيسهم نخرج خالد من واسط حتى
أتى الحيرة وهو حينئذ في الخلق وقد قدم في تلك الأيام قائد من أهل الشام من
بنى القين في جيش قد وجهوا مددا لعامل خالد على الهند فنزلوا الحيرة فلذلك
قصدها خالد فدعا رئيسهم فقال قاتل هؤلاء المارقة فإن من قتل منهم رجلا
أعطيته عطاء سوى ما قبض بالشام وأعفيته من الخروج إلى أرض الهند وكان
الخروج إلى أرض الهند شاقا عليهم فسارعوا إلى ذلك فقالوا نقتل هؤلاء النفر
ونرجع إلى بلادنا فتوجه القيني إليهم في ستمائة وضم إليهم خالد مائتين من شرط
الكوفة فالتقوا على الفرات فعبا القيني أصحابه وعزل شرط الكوفة فقال لا تكونوا
معنا وإنما يريد في نفسه أن يخلو هو وأصحابه بالقوم فيكون الظفر لهم دون
غيرهم لما وعدم خالد وخرج إليهم بهلول فسأل عن رئيسهم حتى عرف مكانه
ثم تلبث له ومعه لواء أسود فحمل عليه فطعنه في فرج درعه فأنفذه فقال قتلتني قتلك
الله فقال بهلول إلى النار أبعثك الله وولى أهل الشام مع شرط أهل الكوفة منهزمين

حتى بلغوا باب الكوفة وبهلول وأصحابه يقتلونهم فأما الشاميون فإنهم كانوا على خيل جيد فقَاتوه وأما شرط الكوفة فإنه لحقهم فقالوا اتق الله فينا فإننا مكرهون مقهورون فجعل يقرع رؤوسهم بالرحم ويقول الحقوا النجاء النجاء ووجد البهلول مع القيني بكرة فأخذها وكان بالكوفة ستة نفر يرون رأى البهلول فخرجوا إليه يدون الاحاق به فقتلوا وخرج اليهم البهلول وحمل البكرة بين يديه فقال من قتل هؤلاء النفر حتى أعطيه هذه الدراهم فجعل هذا يقول أنا وهذا يقول أنا حتى عرفهم وهم يرون أنه من قبل خالد جاء ليعطيهم ما لاقتلهم من قتلوا فقال بهلول لأهل القرية أصدق هؤلاء هم قتلوا النفر قالوا نعم وخشى بهلول أنهم ادعوا ذلك طمأناً في المال فقال لأهل القرية انصرفوا أنتم وأمر بأولئك فقتلوا وعاب عليه أصحابه فحاجهم فأقروا له بالحجة وبلغت هزيمة القوم خالداً وخبر من قتل من أهل صريفين فوجه قائداً من بني شيبان أحد بني حوشب بن يزيد بن رويم فلقبهم فيما بين الموصل والكوفة فشد عليهم البهلول فقال نشدتك بالرحم فاني جانح مستجير فكف عنه وانهم أصحابه فأتوا خالداً وهو مقيم بالحيرة ينتظر فلم يرعه إلا الفل قد هجم عليه فارتحل البهلول من يومه يريد الموصل فخافه عامل الموصل فكتب إلى هشام إن خارجه خرجت فعانت وأفدت وإنه لا يأمن على ناحيته ويسأله جنداً يقاتلهم به فكتب إليه هشام ووجه اليهم كثارة بن بشر وكان هشام لا يعرف البهلول إلا بلقبه فكتب إليه العامل إن الخارج هو كثارة قال ثم قال البهلول لأصحابه إنا والله ما نضع بابن النصرانية شيئاً يعني خالداً وما خرجت إلا لله فلم لا نطلب الرأس الذي يسلط خالداً وذوي خالداً فتوجه يريد هشاماً بالشام فخاف عمال هشام مؤجده إن تركوه يجوز بلادهم حتى ينتهي إلى الشام فجنده خالداً جنداً من أهل العراق ووجد له عامل الجزيرة جنداً من أهل الجزيرة ووجه إليه هشام جنداً من أهل الشام فاجتمعوا بدير بين الجزيرة والموصل وأقبل بهلول حتى انتهى اليهم ويقال التقوا بالكحيل دون الموصل فأقبل بهلول قزل على باب الدير فقالوا له تزحزح عن باب الدير حتى نخرج إليك فتسعى وخرجوا فلما رأى

كثرتهم وهو في سبعين جعل من أصحابه ميمنة وميسرة ثم أقبل عليهم فقال أكلكم
يرجو أن يقتلنا ثم يأتي بلده وأهله سالماً قالوا إنا نرجو ذلك إن شاء الله فشد على
رجل منهم فقتله فقال أما هذا فلا يأتي أهله أبداً فلم يزل ذلك ديدنه حتى قتل
منهم ستة نفر فانهزموا فدخلوا الدير فحاصروهم وجاءتهم الأمداد فكانوا عشرين
ألفاً فقال له أصحابه إلا نعقر دوابنا ثم نشد عليهم شدة واحدة فقال لا تفعلوا
حتى نبلي الله عذراً ما استمسكنا على دوابنا فقاتلوهم يومهم ذلك كله إلى جنح
العصر حتى أكثروا فيهم القتل والجراح ثم إن بهلولاً وأصحابه عقروا دوابهم
وترجلوا وأصلتوا لهم السيوف فأوجعوا فيهم فقتل عامة أصحاب بهلول وهو
يقاتل ويدود عن أصحابه وحمل عليه رجل من جديلة قيس يكنى أبا الموت فطعنه
فصرعه فوافاه من بقي من أصحابه فقالوا له ول أمرنا من بعدك من يقوم به فقال
إن هلكت فأمر المؤمنين دعامة الشيباني فإن هلك دعامة فأمر المؤمنين عمرو
اليشكري وكان أبو الموت إنما ختل بهلول ومات بهلول من ليلته فلما أصبحوا
هرب دعامة وخلام فقال رجل من شعرائهم

لبس أمير المؤمنين دعامة في الهيحاء شر الدعائم

وقال الضحاك بن قيس يرثي بهلولاً ويذكر أصحابه

بدلت بعد أبي بشر وصحبه قوماً على مع الأحزاب أعوانا

كانهم لم يكونوا من صحابتنا ولم يكبروا لنا بالأمس خلاناً

يا عين أذرى دموعاً منك تهاناً وابكى لنا صجةً بانوا وإخوانا

تحلوا لنا ظاهر الدنيا وباطنها وأصبحوا في جنان الخلد جيرانا

قال أبو عبيدة لما قتل بهلول خرج عمرو اليشكري فلم يلبث أن قتل ثم خرج

العزى صاحب الأشهب وبهذا كان يعرف على خالد في ستين فوجه إليه خالد

السمط بن مسلم البجلي في أربعة آلاف فالتقوا بناحية الفرات فشد العزى على

السمط فضربه بين أصابعه فألقى سيفه وشلت يده وحمل عليهم فانهزمت الحرورية

فتلقاهم عبيد أهل الكوفة وسفلتهم فرمواهم بالحجارة حتى قتلوهم قال أبو عبيدة

ثم خرج وزير السخثياني علي خالد في نفر وكان مخرجه بالحيرة فجعل لا يمر بقرية إلا أحرقتها ولا أحد إلا قتله وغلب على ما هنالك وعلى بيت المال فوجه اليه خالد قائداً من أصحابه وشرطاً من شرط الكوفة فقاتلوه وهو في نفر فقاتل حتى قتل عامة أصحابه وأئمن بالجراح فأخذ مرتا فأتى به خالد فأقبل على خالد فوعظه وتلا عليه آيات من القرآن فأعجب خالد أما سمع منه فأمسك عن قتله وحبسه عنده وكان لا يزال يبعث اليه في الليالي فيؤتى به فيحادثه ويسأله فبلغ ذلك هشاماً وسعى به اليه وقيل أخذ حروراً ياقد قتل وحرق وأباح الأموال فاستبقاه فاتخذته سميراً فغضب هشام وكتب إلى خالد يشتمه ويقول لا تستبق فاسقاً قتل وحرق وأباح الأموال فكان خالد يقول إني أنفس به عن الموت لما كان يسمع من بيانه وفصاحته فكتب فيه إلى هشام يرفق من أمره ويقال بل لم يكتب ولكنه كان يؤخر أمره ويدفع عنه حتى كتب اليه هشام يؤنبه ويأمره بقتله واحرقه فلما جاءه أمر عزيمة لا يستطيع دفعه بعث اليه وإلى نفر من أصحابه كانوا أخذوا معه فأمر بهم فأدخلوا المسجد وأدخلت أطنان القصب فشدوا فيها ثم صب عليهم النفط ثم أخرجوا فصبوا في الرحبة ورموا بالنيران فما منهم أحد إلا من اضطرب وأظهر جزعاً إلا وزيراً فإنه لم يتحرك ولم يزل يتلو القرآن حتى مات (وفي هذه السنة) غزا أسد بن عبدالله الختل وفيها قتل أسد بدر طرخان ملك الختل

ذكر الخبر عن غزوة أسد الختل هذه الغزوة وسبب قتله بدر طرخان ذكر علي بن محمد عن أشياخه الذين ذكرناهم قبل أنهم قالوا غزا أسد بن عبدالله الختل وهي غزوة بدر طرخان فوجه مصعب بن عمرو الخزاعي اليها فلم يزل مصعب يسير حتى نزل بقرب بدر طرخان فطلب الأمان على أن يخرج إلى أسد فأجابه مصعب فخرج إلى أسد فطلب منه أشياء فامتنع ثم سأله بدر طرخان أن يقبل منه ألف ألف درهم فقال له أسد إنك رجل غريب من أهل الباميان أخرج من الختل كما دخلتها فقال له بدر طرخان دخلت أنت خراسان على عشرة من المخذقة ولو خرجت منها اليوم لم تستقل على خمسمائة بعير وغير ذلك إني دخلت

الحتل بشيء فاردده على حتى أخرج منها كما دخلتها قال وما ذاك قال دخلتها شابا فكسبت المال بالسيف ورزق الله أهلا وولدا فاردد على شبابي حتى أخرج منها هل ترى أن أخرج من أهلي وولدي فما بقائي بعد أهلي وولدي فغضب أسد قال وكان بدر طرخان يثق بالأمان فقال له أسد اختم في عنقك فإني أخاف عليك معرفة الجند قال لست أريد ذلك وأنا أكتفي من قبلك برجل يبلغ بي مصعبا فأبى أسد إلا أن يختم في عنقه فختم في رقبتة ودفاه إلى أبي الأسد مولاه فسار به أبو الأسد فأتته إلى عسكر المصعب عند المساء وكان سلة بن أبي عبد الله في الموالي مع مصعب فوافى أبو الأسد سلة بن أبي عبد الله في الموالي مع مصعب فوافى أبو الأسد سلة وهو يضع الدراجة في موضعها فقال سلة لأبي الأسد ما صنع الأمير في أمر بدر طرخان فقص الذي عرض عليه بدر طرخان وأباه أسد ذلك وسرحه معه إلى المصعب ليدخله الحصن فقال سلة إن الأمير لم يُصَبِّ فيما صنع وسينظر في ذلك ويندم إنما كان ينبغي له أن يقبض ما عرض عليه أو يحبسَه فلا يدخله حصنه فإنا إنما دخلنا بقتناطر اتخذناها ومضايق أصلحناها وكان يمنع أن يغير علينا رجاء الصالح فأما إن يش من الصلح فإنه لا يدع الجهد فدعه الليلة في قبتي ولا تنطلق به إلى مصعب فإنه ساعة ينظر إليه يدخله حصنه قال فأقام أبو الأسد وبدر طرخان معه في قبة سلة وأقبل أسد بالناس في طريق ضيق فتقطع الجند ومضى أسد حتى انتهى إلى نهر وقد عطش ولم يكن أحد من خدَمه فاستسقى وكان السغدِي بن عبد الرحمن أبو طعمة الجرمي معه شاكري له ومع الشاكري قرن تبتى فأخذ السغدِي القرن فجعل فيه سويقا وصب عليه ماء من النهر وحركه وسقى أسدا وقوما من رؤساء الجند فتزل أسد في ظل شجرة ودعا برجل من الحرس فوضع رأسه في فخذه وجاء المجشر بن مزاحم السلمي يقود فرسه حتى قعد تجاهه حيث ينظر أسدا فقال أسد كيف أنت يا أبا العَدْبَس قال كنت أمس أحسن حالا مني اليوم قال وكيف ذاك قال كان بدر طرخان في أيدينا وعرض ما عرض فلا الأمير قبل منه ما عرض عليه ولا هو شد يده عليه لكنه خلى سبيله وأمر بادخاله حصنه لما عنده زعم من الوفاء فقدم

أسد عند ذلك ودعا بدليل من أهل الختل ورجل من أهل الشام نافذفاره الفرس فأتى بهما فقال للشامى ان أنت أدركت بدر طرخان قبل أن يدخل حصنه فلك ألف درهم فتوجهها حتى انتهى إلى عسكر مصعب فنادى الشامى ما فعل العليج قيل عند سلة وانصرف الدليل إلى أسد بالخبر وأقام الشامى مع بدر طرخان في قبة سلة وبعث أسد إلى بدر طرخان فحوله إليه فشمته فعرف بدر طرخان أنه قد نقض عهده فرفع حصاة فرمى بها إلى السماء وقال هذا عهد الله وأخذ أخرى فرمى بها إلى السماء وقال هذا عهد محمد صلى الله عليه وسلم وأخذ يصنع كذلك بعهد أمير المؤمنين وعهد المسلمين فأمر أسد بقطع يده وقال أسد من ههنا من أولياء أبي فديك رجل من الأزد قتله بدر طرخان فقام رجل من الأزد فقال أنا قال اضرب عنقه ففعل وغلب أسد على القلعة العظمى وبقيت قلعة فوقها صغيرة فيها ولده وأمواله فلم يوصل اليهم وفرق أسد الخيل في أودية الخيل قال وقدم أسد مرو وعليها أيوب بن أبي حسان التميمي فعزله واستعمل خالد بن شديد ابن عمه فلما شخص إلى بلخ باغته أن عمارة بن خريم تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب فكتب إلى خالد بن شديد أحمل عمارة على طلاق ابنة يزيد فان أبي فاضر به مائة سوط فبعث إليه فأتاه وعنده العذافر بن زيد التميمي فأمره بطلاقها ففعل بعد إباء منه وقال عذافر عمارة والله فتى قيس وسيدها وماها عليه أبهة أى ليست بأشرف منه فتوفى خالد بن شديد واستخلف الأشعث بن جعفر البجلي (وفيها) شري الصحارى بن شبيب وحكم بجبل

ذكر خبره

ذكر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أن الصحارى بن شبيب أتى خالدًا يسأله الفريضة فقال وما يصنع ابن شبيب بالفريضة فودعه ابن شبيب ومضى وندم خالد وخاف أن يفتق عليه فتقا فأرسل إليه يدعوه فقال أنا كنت عنده آنفا فأبوا أن يدعوه فشد عليهم بسيفه فتركوه فركب وسار حتى جاوز واسطًا ثم عقر فرسه وركب زورقا ليخفى مكانه ثم قصد إلى نفر من بني تميم اللات بن

ثعلبة كانوا بجبل فأتاهم متقلدا سيفاً فأخبرهم خبره وخبر خالد فقالوا له وما كنت
ترجو بالفريضة كنت لأن تخرج إلى ابن النصرانية فتضربه بسيفك أحرى فقال
إني والله ما أردت الفريضة وما أردت إلا التوصل إليه لئلا ينكرني ثم أقتل ابن
النصرانية غيلة بقتله فلانا وكان خالد قبل ذلك قد قتل رجلاً من قعدة الصفرية
صيراً ثم دعاهم الصحاري إلى الوثوب معه فأجابهم بعضهم وقال بعضهم ننتظروا أبي
بعضهم وقالوا نحن في عافية فلما رأى ذلك قال

لم أرِدْ منه الفريضةَ إلَّا طَمَعًا في قتله أن أنا
فأريجَ الأرضَ منه وِمن عاتٍ فيها وعِن الحقِّ مالا
كُلَّ جبارٍ عبيدٍ أراه تَرَكَ الحقَّ وسَنَّ الضلالا
إنِّي سارٍ بنفسي لربي تَارِكٌ قِيلاً لَدَيْهِمْ وقالوا
بِأثعِ أهلي ومَالِي أرجو في جنانِ الخلدِ أهلاً ومالا

قال فبايعه نحو من ثلاثين فشرى بجبل ثم سار حتى أتى المبارك فبلغ ذلك
خالداً فقال قد كنت خفتها منه ثم وجه إليه خالد جنداً فلقوه بناحية المناذر فقاتلهم
قتالاً شديداً ثم انطوا عليه فقتلوه وقتلوا جميع أصحابه (قال أبو جعفر) وحج
بالناس في هذه السنة أبو شاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك وحج معه ابن
شهاب الزهري في هذه السنة وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف
محمد بن هشام وعلى العراق والمشرق خالد بن عبد الله القسري وعامل خالد على
خراسان أخوه أسد بن عبد الله وقد قيل إن أخا خالد أسداً هلك في هذه السنة
واستخلف عليها جعفر بن حنظلة البهراني وقيل إن أسداً أخا خالد بن عبد الله إنما
هلك في سنة ١٢٠ وكان على أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد

ثم دخلت سنة عشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة وافتتاحه فيها ذكر

سندرة وغزوة إسحاق بن مسلم العيقلی وافتتاحه قلاع تومانشاه وتخريبه أرضه
وغزوة مروان بن محمد أرض الترك (وفيها) كانت وفاة أسد بن عبد الله في قول المدائني

ذكر الخبر عن سبب وفاته

وكان سبب ذلك أنه كانت به فيما ذكر دُبيلة في جوفه فحضر المهرجان وهو
يلبخ فقدم عليه الأمراء والدهاقين بالهدايا فكان من قدم عليه إبراهيم بن عبد الرحمن
الخنفي عامله على هراة وخراسان ودهقان هراة فقدمما بهدية قومت بألف ألف
فكان فيما قدمها به قصران قصر من فضة وقصر من ذهب وأباريق من ذهب
وأباريق من فضة وصحاف من ذهب وفضة فأقبلوا وأسد جالس على السرير وأشرف
خراسان على الكراسي فوضعا القصرين ثم وضعا خلفهما الأباريق والصحاف
والديباج المروى والقوهي والمهروى وغير ذلك حتى امتلأ السباط وكان فيما جاء
به الدهقان أسدا كرة من ذهب ثم قام الدهقان خطيباً فقال أصلح الله الأمير إنا
معشر العجم أكلنا الدنيا أربعمئة سنة أكلناها بالحلم والعقل والوقار ليس فينا
كتاب ناطق ولا نبي مرسل وكانت الرجال عندنا ثلاثة ميمون النقية أينما توجه
فتح الله على يده والذي يليه رجل تمت مروته في بيته فإن كان كذلك رحبو حبي
وعظم وقود وقدم ورجل رحب صدره وبسط يده فرجى فإذا كان كذلك قود
وقدم وإن الله جعل صفات هؤلاء الثلاثة الذين أكلنا بهم أربعمئة سنة فيك
أيها الأمير وما نعلم أحداً هو أمم كتنخدانية منك إنك ضبطت أهل بيتك وحشمك
ومواليك فليس منهم أحد يستطيع أن يتعدى على صغير ولا كبير ولا غني ولا
فقير فهذا تمام الكنخدانية ثم بنيت الإيوانات في المفاوز فيجىء الجاني من
المشرق والآخر من المغرب فلا يجدان عيباً إلا أن يقولوا سبحان الله ما أحسن
ما بنى ومن يمين نقيبتك أنك لقيت خاقان وهو في مائة ألف معه الحارث بن سريج
فهزمته وفلكه وقتلت أصحابه وأبحت عسكره وأما رحب صدرك وبسط يدك فإننا
ماندري أى المسالين أقر لعينك أمان قدم عليك أم مال خرج من عندك بل أنت

بما خرج أقر عينا فضحك أسد وقال أنت خير دهاقين خراسان وأحسنهم هدية وناوله تفاحة كانت في يده وسجد له دهقان هراة وأطرق أسد ينظر إلى تلك الهدايا فنظر عن يمينه فقال يا عذافر بن يزيد مُر من يحمل هذا القصر الذهب ثم قال يامعن بن أحمر رأس قيس أو قال قنسرين مر بهذا القصر يحمل ثم قال يافلان خذ إبريقا ويافلان خذ إبريقا وأعطى الصحاف حتى بقيت صحفتان فقال قم يا ابن الصيداء فخذ صحيفة قال فأخذ واحدة فرزنها فوضعها ثم أخذ الأخرى فرزنها فقال له أسد مالك قال أخذ أرزنها قال خذها جميعا وأعطى العرفاء وأصحاب البلاء فقام أبو اليعفور وكان يسير أمام صاحب خراسان في المغازى فنادى هلم إلى الطريق فقال أسد ما أحسن ما ذكرت بنفسك خذ ديباجتين وقام ميمون العذاب فقال إلى إلى يساركم إلى الجادة فقال ما أحسن ما ذكرت نفسك خذ ديباجة قال فأعطى ما كان في السباط كله فقال نهر بن توسعة

تَفْلُونَ إِنْ نَادَى لِرَوْعٍ دُثُوبٌ وَأَنْتُمْ عَدَاةُ الْمَهْرَجَانِ كَثِيرٌ
ثم مرض أسد فأفاق إفاقة فخرج يوما فأتى بكثري أول ماجاء فأطعم الناس منه واحدة واحدة وأخذ كثرأ فرمى بها إلى دهقان هراة فانقطعت الديلة فهلك واستخلف جعفر البهراني وهو جعفر بن حنظلة سنة ١٢٠ فعمل أربعة أشهر وجاء عهد نصر بن سيار في رجب سنة ١٢١ فقال ابن عرس العبدى

نَعَى أَسَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ نَاعٍ فَرِيحَ الْقَلْبِ لِلْمَلِكِ الْمُطَاعِ
يَبْلُغُ وَافَقَ الْمِقْدَارُ يَسْرِي وَمَا لِقَضَاءِ رَبِّكَ مِنْ دِفَاعِ
بِحُودِي عَيْنُ بِالْعَبْرَاتِ سَمًّا أَلَمْ يُحْزِنِكَ تَفْرِيقُ الْجَمَاعِ
أَتَاهُ حَمَامُهُ فِي جَوْفِ صَبْغٍ وَكَمْ بِالصَّبْغِ مِنْ بَطِيلِ شِجَاعِ
كُنَاتُ قَدْ يُجِيبُونَ الْمَنَادَى عَلَى جُرْدٍ مَسْوَمَةٍ سِرَاعِ
سُقِيَتِ الْغَيْثُ أَنْكَ كُنْتَ غَيْثًا مَرِيحًا عِنْدَ مُرْتَادِ النَّجَاعِ

وقال سليمان بن قتيبة مولى بني تيم بن مرة وكان صديقا لاسد
سَقَى اللَّهُ بَلْعًا سَهْلَ بَلْعٍ وَحَزَنَهَا وَمَرَّوَى خُرَاسَانَ السَّحَابِ الْمُجَمَّعَا

وَمَا بِي لِنُسْقَاهُ وَلَكِنْ حُفْرَةً بِهَا غَيَّبُوا سِلْوًا كَرِيمًا وَأَعْظَمًا
مُرَاجِمَ أَقْوَامٍ وَمُرْدَى عَظِيمَةٍ وَطَلَّابَ أوتَارٍ عِزْرًا عَشْمًا
لَقَدْ كَانَ يَعْطَى السِّيفَ فِي الرُّوعِ حَقَّهُ وَيُرْوَى السَّنَانَ الزَّائِغِيَّ الْمُقَوِّمًا
(قال أبو جعفر) وفي هذه السنة وجهت شيعة بني العباس بخراسان إلى محمد

ابن علي بن العباس سليمان بن كثير ليعله أمرهم وماهم عليه

ذكر الخبر عن سبب توجيههم سليمان إلى محمد

وكان السبب في ذلك موجدة كانت من محمد بن علي بن علي من كان بخراسان
من شيعة من أجل طاعتهم كانت لخداش الذي ذكرنا خبره قبل وقبولهم منه
ماروي عليه من الكذب فترك مكاتبتهم فلما أبطأ عليهم كتابه اجتمعوا فذكروا
ذلك بينهم فأجمعوا على الرضا بسليمان بن كثير ليلقاه بأمرهم ويخبره عنهم ويرجع
إليهم بما يرد عليه فقدم فيما ذكر سليمان بن كثير على محمد بن علي وهو متكر
لمن بخراسان من شيعة فأخبره عنهم فغضبهم في اتباعهم خدasha وما كان دعا إليه
وقال لعن الله خدasha ومن كان على دينه ثم صرف سليمان إلى خراسان وكتب
إليهم معه كتاباً فقدم عليهم ومعه الكتاب محتوماً ففَضُوا خاتمه فلم يجدوا فيه
شيئاً إلا بسم الله الرحمن الرحيم فغاض ذلك عليهم وعلدوا أن ما كان خدasha أتاهم
به لأمره مخالف (وفي هذه السنة) وتجه محمد بن علي بكير بن ماهان إلى شيعة
بخراسان بعد منصرف سليمان بن كثير من عنده إليهم وكتب معه إليهم كتاباً
يعلمهم أن خدasha حمل شيعة على غير مناجه فقدم عليهم بكير بكتابه فلم يصدقوه
واستخفوا به فانصرف بكير إلى محمد بن علي فبعث معه بعض مضية بعضها
بالحديد وبعضها بالشبه فقدم بها بكير وجمع النقباء والشيعه ودفع إلى كل رجل
منهم عصاً فعملوا أنهم مخالفون لسيرته فرجعوا وتابوا (وفي هذه السنة) عزل
هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن أعماله التي كان ولاه إياها كلها

ذكر سبب عزل هشام خالد

قد قيل في ذلك أقوال نذكر ما حضرنا من ذلك ذكره فما قيل في ذلك إن

فروخ أبا المثنى كان قد تقبل من ضياع هشام بن عبد الملك بموضع يقال له رستاق
الرمان أو نهر الرمان وكان يُدعى بذلك فروخ الرمان فقتل مكانه على خالد فقال
خالد لحسان النبطي ويحك اخرج إلى أمير المؤمنين فزد علي فروخ فخرج فزاد
عليه ألف ألف درهم فبعث هشام رجلين من صلحاء أهل الشام فحازي الضياع
فصار حسان أثقل على خالد من فروخ فجعل يضرب به فيقول له حسان لا تفسدني
وأنا صنيعتك فأبي إلا الإضرار به فلما قدم عليه بثق البشوق على الضياع ثم خرج
إلى هشام فقال إن خالد بثق البشوق على ضياعك فوجه هشام رجلا فنظر إليها
ثم رجع إلى هشام فأخبره فقال حسان لحادم من خدم هشام إن تكلمت بكلمة
أقولها لك حيث يسمع هشام فلك عندي ألف دينار قال فعجل لي الآف وأقول
ما شئت قال فعجلها له وقال له بك صبياً من صبيان هشام فإذا بكى فقل له اسكت
والله لكأنك ابن خالد القسري الذي غلته ثلاثة عشر ألف ألف فسمعها هشام
فأغضى عليها ثم دخل عليه حسان بعد ذلك فقال له هشام ادن مني فدنا منه فقال
كم غلة خالد قال ثلاثة عشر ألف ألف قال فكيف لم تخبرني بهذا قال وهل سألتني
فوقرت في نفس هشام فأزمع على عزله وقيل كان خالد يقول لابنه يزيد ما أنت
يدون مسلمة بن هشام فإنك لتفخر على الناس بثلاث لا يفخر بمثلها أحدٌ سكرت
دجلة ولم يتكلف ذلك أحدٌ ولي سقاية بمكة ولي ولاية العراق وقيل إنما أغضب
هشاماً على خالد أن رجلاً من قريش دخل على خالد فاستخف به وعضه بلسانه
فكتب إلى هشام يشكوه فكتب هشام إلى خالد أما بعد فإن أمير المؤمنين وإن
كان أطلق لك يدك ورأيتك فيمن استرعاك أمره واستحفظك عليه للذي رجا
من كفايتك ووثق به من حسن تدبيرك لم يفتر شك عرة أهل بيته لتطأه بقدمك
ولا تتخذ إليه بصرك فكيف بك وقد بسطت على غرتهم بالعراق لسانك بالتوبيخ
تريد بذلك تصغير خطره واحتقار قدره زعمت بالنصفة منه حتى أخرجك ذلك
إلى الإغلاظ في اللفظ عليه في مجلس العامة غير متحلحل له حين رأيت مقلبا من
صدر مهالك الذي مهد له الله وفي قومك من يعلوك بحسبه ويفعرك بأوليته

فُنلت مهَادك بما رفع به آل عمرو من ضعتك خاصة مساوين بك فروع غرر القبائل وقرومها قبل أمير المؤمنين حتى حَلَّت هضبة أصبحت تنحوبها عليهم مفتخراً هذا ان لم يدهده بك قلة شكرك متحطماً وقيذا فهلاً يا ابن بجرشة قومك أعظمت رجلهم عليك داخلاً ووسعت مجلسه اذ رأته اليك مقبلاً وتجافيت له عن صدر فراشك مكرماً ثم فاوضته مقبلاً عليه ببشركا كراماً لا أمير المؤمنين فإذا اطمان به مجلسه نازعته بحبي السرار معظماً لقرابته عارفاً لحقه فهو سن البيتين وناهم وابن شيخ آل أبي العاص وحرب وغرتهم وبالله يقسم أمير المؤمنين لك لولا ما تقدم من حرمتك وما يكره من شماتة عدوك بك لو وضع منك ما رفع حتى يردك الى حال تفقد بها أهل الحوائج بعراقك وتزاحم المواكب ببابك وما أقربني من أن أجعلك تابعاً لمن كان لك تبعاً فانفض على أي حال ألقاك رسول أمير المؤمنين وكتابه من ليل أو نهار ماشياً على قدمك بمن معك من خولك حتى تقف على باب ابن عمرو صاغراً مستأذناً عليه متنصلاً اليه أذن لك أو منعك فإن حركته عواطف رحمة احتملك وان احتملته أنفة وحمية من دخولك عليه فقف ببابه حو لا غير متحلحل ولا زائل ثم أمرك بعد اليه عزل أو ولى انتصراً أو عفا فلعنك الله من متكل عليه بالثقة ما أكثر هفواتك وأقذع لأهل السرف أفاضلك التي لا تزال تبلغ أمير المؤمنين من إقدامك بها على من هو أولى بما أنت فيه من ولاية مصرى العراق وأقدم وأقوم وقد كتب أمير المؤمنين إلى ابن عمه بما كتب به اليك من إنكاره عليك ليرى في العفو عنك والسخط عليك رأيه مفوضاً ذلك اليه مبسوطة فيه يده محموداً عند أمير المؤمنين على أيهما آتى اليك موقفاً إن شاء الله تعالى وكتابه إلى ابن عمرو أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك وفهم ما ذكرت من بسط خاله عليك لسانه في مجلس العامة محتقراً لقدرك مستصغراً لقرابتك من أمير المؤمنين وعواطف رحمة عليك وإمسالكك عنه تعظيماً لا أمير المؤمنين وسلطانه وتمسكا بوثائق عصم طاعته مع مؤلم ما تداخلك من قبائح أفاضه وشرارة منطقته وإكتابه عليك عند إطراقك عنه مروياً فيما أطلق أمير المؤمنين من لسانه وأطال من عنانه

ورفع من ضعته ونوّه من خموله وكذلك أتم آل سعيد في مثلها عند هذر الذنابي
وطائشة أحلامها صُمتٌ من غير إخمام بل بأحلام تحف بالجبال وزناوقد حمد أمير
المؤمنين تعظيمك إياه وتوقيرك سلطانه وشكره وقد جعل أمر خالد اليك في عزلك
إياه أو إقراره فان عزله أمضى عزلك إياه وإن أقررتَه فتلك منّة لك عليه لا يشكرك
أمير المؤمنين فيها وقد كتب اليه أمير المؤمنين بما يطرده عنه سنة الهاجج عند وصوله
اليه يأمره بإتيانك راجلاً على أية حال صادفه كتاب أمير المؤمنين وألفاه رسوله
الموجه اليه من ليله أو نهاره حتى يقف بيابك أذنت له أو حجبه أقررتَه أو عزله
وتقدّم أمير المؤمنين إلى رسوله في ضربه بين يديك على رأسه عشرين سوطاً إلا
أن تكره أن يناله ذلك بسيدك لحرمة خدمته فأيهما رأيت امضاه كان لا أمير المؤمنين
في برك وعظم حرمتك وقرابتك وصلة رحمك موافقاً وإليه حبياً فيما ينوي من
قضاء حق آل أبي العاص وسعيد فكاتب أمير المؤمنين فيما بدالك مبتدئاً ومجيباً ومخادئاً
وطالبا ماعسى أن ينزل بك أهلك من أهل بيت أمير المؤمنين من حوائجهم التي
تقعدهم الحشمة عن تناولها من قبله لبعده دارهم عنه وقلة امكان الخروج لإزالتها
به غير محتشم من أمير المؤمنين ولا مستوحش من تكرارها عليه على قدر قرابتهم
وأديانهم وأنسابهم مستمنحاً ومسترفداً وطالبا مستزيداً تجد أمير المؤمنين اليك
سريعاً بالبر لما يحاول من صلة قرابتهم وقضاء حقوقهم وبالله يستعين أمير المؤمنين
على ما ينوي واليه يرغب في العون على قضاء حق قرابته وعليه يتوكل وبه يثق والله
وليه ومولاه والسلام وقيل إن خالداً كان كثيراً ما يذكر هشاماً فيقول ابن الحمقاء
وكانت أم هشام تستحرق وقد ذكرنا خبرها قبل وذكر أنه كتب إلى هشام كتاباً
غاضه فكتب اليه هشام يا ابن أم خالد قد بلغني أنك تقول ما ولاية العراق لي بشرف
فيا ابن اللغناء كيف لا يكون إمرة العراق لك شرفاً وأنت من بجيلة القليلة الذليلة
أم والله إني لأظن أن أول من يأتيك صغير من قريش يشد يدك إلى عنقك
وذكر أن هشاماً كتب اليه قد بلغني قولك أنا خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن
كرز ما أنا بأشرف الخمسة أم والله لأردنك إلى بغلتك وطيلسانك الفيروزي

وذكر أن هشاما بلغه أنه يقول لابنه كيف أنت إذا احتاج اليك بنو أمير المؤمنين فظهر الغضب في وجهه وقيل إن هشاما قدم عليه رجل من أهل الشام فقال إني سمعت خالدا ذكر أمير المؤمنين بما لا ينطق به الشفتان قال قال الأحمول قال لا بل قال أشد من ذلك قال فهاهو قال لا أقوله أبداً فلم يزل يبلغه عنه ما يكره حتى تغير له وذكر أن دهقاناً دخل على خالد فقال أيها الأمير إن غلة ابنك قد زادت على عشرة آلاف ألف ولا آمن أن يبلغ هذا أمير المؤمنين فيستكثره وإن الناس يحبون جسدك وأنا أحب جسدك وروحك قال إن أسد بن عبد الله قد كلني بمثل هذا فأنت أمرته قال نعم قال ويحك دع ابني فلربما طلب الدرهم فلم يقدر عليه ثم عزم هشام لما كثر عليه ما يتصل به عن خالد من الأمور التي كان يكرهاها على عزله فلما عزم على ذلك أخفى ما قد عزم له عليه من أمره

ذكر الخبر عن عمل هشام في عزل خالد حين صح عزمه على عزله

ذكر عمر أن عبيد بن جناد حدثه أنه سمع أباہ وبعض الكتبة يذكر أن هشاما أخفى عزل خالد وكتب إلى يوسف بخطه وهو على اليمن أن يقبل في ثلاثين من أصحابه فخرج يوسف حتى صار إلى الكوفة فمس قريبا منها وقد ختن طارق خليفة خالد على الخراج واده فأهدى له ألف عتيق وألف و صيف وألف وصيفة سوى الأموال والثياب وغير ذلك فر العاس بيوسف وأصحابه ويوسف يصلى ورائحة الطيب تنفح من ثيابه فقال ما أنتم قالوا أسفار قال فإين تريدون قالوا بعض المواضع فأتوا طارقا وأصحابه فقالوا إناراً ينافو ما أنكرناهم والرأى أن نقتلهم فإن كانوا خوارج استرحنا منهم وإن كانوا يريدونكم عرفتم ذلك فاستعددتهم على أمرهم قهوم عن قتلهم فطافوا فلما كان في السحر وقد انتفل يوسف و صار إلى دور ثقيف فر بهم العاس فقال ما أنتم فقالوا أسفار قال فإين تريدون قالوا بعض المواضع فأتوا طارقا وأصحابه فقالوا قد صاروا إلى دور ثقيف والرأى أن نقتلهم فنعمهم وأمر يوسف بعض الثقيفين فقال اجعل لي من بها من مضر ففعل فدخول المسجد مع الفجر فأمر المؤذن بالإقامة فقال حتى يأتي الإمام فانتهره فأقام وتقدم يوسف

فقرأ إذا وقعت الواقعة وسأل سائل ثم أرسل إلى خالد وطارقه وأصحابهما فأخذوا
وإن القدور لتغلي قال عمر قال علي بن محمد قال قال الربيع بن سابور مولى
بنى الحريش وكان هشام جعل إليه الخاتم مع الحرس أتى هشاماً كتاب خالد
غازه وقدم عليه في ذلك اليوم جندب مولى يوسف بن عمر بكتاب يوسف فقراه
ثم قال لسالم مولى عنبة بن عبد الملك أجه عن لسانك وكتب هو بخطه كتاباً
صغيراً ثم قال لي اتنى بكتاب سالم وكان سالم على الديوان فأتيته به فأدرج فيه الكتاب
الصغير ثم قال لي اختمه ففعلت ثم دعا برسول يوسف فقال إن صاحبك لمتعد
طوره ويسأل فوق قدره ثم قال لي مزق ثيابه ثم أمر به فضرب أسواطاً فقال
أخرجه عني وادفع إليه كتابه فدفعته إليه الكتاب وقلت له ويلك النجاء
فارتاب بشير بن أبي ثلجة من أهل الأردن وكان خليفة سالم وقال هذه حيلة وقد
ولى يوسف العراق فكتب إلى عامل لسالم على أجمه سالم يقال له عياض إن أهلك
قد بعثوا إليك بالثوب اليماني فاذا أتاك فالبسه واحمد الله وأعلم ذلك طارقاً
فبعث عياض إلى طارق بن أبي زياد بالكتاب وندم بشير على كتابه وكتب إلى
عياض إن أهلك قد بدا لهم في إمساك الثوب فلا تتكل عليه فجاء عياض بالكتاب
الآخر إلى طارق فقال طارق الخبر في الكتاب الأول ولكن صاحبك ندم
وخاف أن يظهر الخبر فكتب بهذا وركب طارق من الكوفة إلى خالد وهو
بواسط فسار يوماً وليلة فصبحهم فرآه داود البربري وكان على حجاب خالد
وحرسه وعلي ديوان الرسائل فأعلم خالداً فغضب وقال قدم بغير إذن فأذن له
فلما رآه قال ما أقدمك قال أمر كنت أخطأت فيه قال وما هو قال وفاة أسد رحه
الله كتبت إلى الأمير أعزبه عنه وإنما كان ينبغي لي أن آتبه ماشياً فرق خالد
ودمعت عينه وقال ارجع إلى عمك قال أردت أن أذكر للأمير أمراً أسره قال
مادون داود سر قال أمر من أمرى فغضب داود وخرج وأخبر طارق خالداً
قال فما الرأي قال تركب إلى أمير المؤمنين فتعذر إليه من شيء إن كان بلغه عنك
قال فبتس الرجل أنا إذا إن ركبت إليه بغير إذنه قال فشيء آخر قال وما هو قال

تسير في عمالك وأتقدمك إلى الشام فأستأذنه لك فانك لا تبلغ أقصى عمالك حتى
يأتيك إذنه قال ولا هذا قال فأذهب فأضمن لأمير المؤمنين جميع ما انكسر في هذه
السنين وأتيتك بعهدك مستقبلا قال وما يبلغ ذاك قال مائة ألف ألف قال ومن
أين أخذ هذا والله ما أجد عشرة آلاف درهم قال أتحمّل أنا وسعيد بن راشد
أربعين ألف ألف درهم والزينبي وأبان بن الوليد عشرين ألف ألف وتفرق
الباقى على العمال قال إني إذا للثيم إن كنت سوّغتُ قوما شيئا ثم أرجع فيه فقال
طارق إنماتيك ونقى أنفسنا بأموالنا ونستأنف الدنيا وتبقى النعمة عليك وعلينا
خير من أن يجيء من يطالبنا بالأموال وهي عند تجار أهل الكوفة فيتقاعسون
ويتربصون بنا فنقتل ويأكلون تلك الأموال فأبى خالد فودعه طارق وبكى
وقال هذا آخر ما نلتني في الدنيا ومضى ودخل داود فأخبره خالد بقول طارق
فقال قد علم أنك لا تخرج بغير إذن فأراد أن يخلك ويأتي الشام فيقبل بالعراق
هو وابن أخيه سعيد بن راشد فرجع طارق إلى الكوفة وخرج خالد إلى الحمة
قال وقدم رسول يوسف عليه السلام فقال له ما وراءك قال الشر أمير المؤمنين
ساخط وقد ضربني ولم يكتب جواب كتابك وهذا كتاب سالم صاحب الديوان
ففض الكتاب فقرأه فلما انتهى إلى آخره قرأ كتاب هشام بخطه أن سر إلى العراق
فقد وليت إياه وإياك أن يعلم بذلك أحد وخذ ابن النصرانية وعماله فأشفتني
منهم فقال يوسف انظروا دليلا علما بالطريق فأتى بعدة فاختر منهم رجلا
وسار من يومه واستخلف على اليمن ابنه الصلت فشيّعه فلما أراد أن ينصرف
سأله أين تريد فضربه مائة سوط وقال يا ابن اللخناء أيجنى عليك إذا استقر بي
منزل فسار فكان إذا أتى إلى طريقين سأل فإذا قيل هذا إلى العراق قال أعرق
حتى أتى الكوفة قال عمر قال علي عن بشر بن عيسى عن أبيه قال قال حسان
النبطي هياتُ لهشام طيبا فإني لبين يديه وهو ينظر إلى ذلك الطيب إذ قال لي
يا حسان في كم يقدم القادم من العراق إلى اليمن قال قلت لأدرى فقال
أمرتك أمرا حازما فصصيتني فأصبحت مسلوب الإمارة نادما

قال فلم يلبث إلا قليلا حتى جاء كتاب يوسف من العراق قد قدمها وذلك في جمادى الآخرة سنة ١٢٠ قال عمر قال علي قال سالم زنبيل لما صرنا إلى النجف قال لي يوسف انطلق فأنتي بطارق فلم أستطع أن آبي عليه وقلت في نفسي من لي بطارق في سلطانه ثم أتيت الكوفة فقلت لغلبنان طارق استأذنوا لي على طارق فضربوني فصاحت له ويلاك يا طارق أنا سالم رسول يوسف وقد قدم على العراق فخرج فصاح بالغلبنان وقال أنا آتية قال وروى أن يوسف قال لكيسان انطلق فأنتي بطارق فإن كان قد أقبل فاحمله على اكاف وإن لم يكن أقبل فأنت به سحبا قال فأتيت بالحيرة دار عبد المسيح وهو سيد أهل الحيرة فقلت له إن يوسف قد قدم على العراق وهو يأمرك أن تشد طارقا وتأتيه به فخرج هو وولده وغلبنانه حتى أتوا منزل طارق وكان لطارق غلام شجاع معه غلبنان شجعاء لهم سلاح وعدة فقال لطارق إن أذنت لي خرجت إلى هؤلاء فيمن معي فقتلهم ثم طرت على وجهك فذهبت حيث شئت قال فأذن لكيسان فقال أخبرني عن الأمير يريد المال قال نعم قال فأنا أعطيه ماسأل وأقبلوا إلى يوسف فتوافوا بالحيرة فلما عاينه ضربه ضرباً مبرحا يقال خمسمائة سوط ودخل الكوفة وأرسل عطاء ابن مقدم خالد بالحمة قال عطاء فأتيت الحاجب فقلت استأذن لي على أبي الهيثم فدخل وهو متغير الوجه فقال له خالد مالك قال خير قال ما عندك خير قال عطاء ابن مقدم قال استأذن لي على أبي الهيثم فقال ائذن له فدخلت فقال ويل أمها سُخْطَةٌ قال فلم أستقر حتى دخل الحكم بن الصلت فقدم معه فقال له خالد ما كان ليلى على أحد هو أحب إلي منكم وخطب يوسف بالكوفة فقال إن أمير المؤمنين أمرني بأخذ عمال ابن النصرانية وأن أشفيه منهم وسأفعل وأزيد والله يا أهل العراق ولاقتن منافقيكم بالسيف وجناتكم بالعذاب وفساقتكم ثم نزل ومضى إلى واسط وأتى بخالد وهو بواسط قال عمر قال حدثني الحكم ابن النضر قال سمعت أبا عبيدة يقول لما حبس يوسف خالدا صالحه عنه أبان ابن الوليد وأصحابه على تسعة آلاف ألف درهم ثم ندم يوسف وقيل له لو لم تفعل

لاخذت منه مائة ألف ألف درهم قال ما كنت لأرجع وقد رهننت لساني بشيء وأخبر أصحاب خالد خالدا فقال قد أسأتم حين أعطيتموه عند أول وهلة تسعة آلاف ألف ما آمن أن يأخذها ثم يعود عليكم فارجعوا فجاءوا فقالوا إنا قد أخبرنا خالدنا فلم يرض بما ضمنا وأخبرنا أن المال لا يمكنه فقال أنتم أعلم وصاحبكم فأما أنا فلا أرجع عليكم فإن رجعتكم لم أمنعكم قالوا فإننا قد رجعنا قال وقد فعلتم قالوا نعم قال فمنكم أنى النقض فوالله لا أرضى بتسعة آلاف ألف ولا مثلها ولا مثلها فأخذ أكثر من ذلك وقد قيل إنه أخذ مائة ألف ألف هـ وذكر الهيثم بن عدى عن ابن عياش أن هشاماً أزمع على عزل خالد وكان سبب ذلك أنه اعتقد بالعراق أموالاً وحضر أنهاراً حتى بلغت غلته عشرين ألف ألف منها نهر خالد وكان يغل خمسة آلاف ألف وبارجوى وبارمانا والمبارك والجامع وكورة سابور والصلح وكان كثيراً ما يقول انى والله مظلوم ماتحت قدمى من شيء إلا وهولى يعنى أن عمر جعل لبجيلة ربع السواد قال الهيثم بن عدى أخبرنى الحسن بن عمارة عن العريان ابن الهيثم قال كنت كثيراً ما أقول لأصحابى إنى أحسب هذا الرجل قد تخلى منه إن قريشاً لا تحتمل هذا ونحوه وهم أهل حسد وهذا يظهر ما يظهر فقلت له يوماً أيها الأمير إن الناس قد رموك بأبصارهم وهى قريش وليس بينك وبينها إل وهم يجدون منكُ بدأ وأنت لا تجد منهم بدأ فأنشدك الله الا ما كتبت إلى هشام تخبره عن أموالك وتعرض عليه منها ما أحب فما أقدرك على أن تتخذ مثالها وهو لا يفسدك وإن كان حريصاً على ذلك فلعمري لأن يذهب بعض ويبقى بعض خير من أن تذهب كلها وما كان يستحسن فيما بينك وبينه أن يأخذها كلها ولا آمن أن يأتيه باغ أو حاسد فيقبل منه فلأن تعطيه طائماً خير من أن تعطيه كارها فقال ما أنت بمتهم ولا يكون ذلك أبداً قال فقلت أطنى واجعلنى رسولك فوالله لا يحل عُقْدَةٌ إلا شدتها ولا يشد عقدة إلا حللتها قال انا والله لا نعطي على الذل قال قلت هل كانت لك هذه الضياع إلا فى سلطانه وهل تستطيع الامتاع منه إن أخذها قال لا قلت فبادره فانه يحفظها لك ويشكرك عليها ولو لم تكن

له عندك يد إلا ما ابتدأك به كنت جديرا أن تحفظه قال لا والله لا يكون ذلك أبدا
قال قلت فما كنت صانعا إذا عزلك وأخذ ضياعك فاصنعه فإن اخوته وولده
وأهل بيته قد سبقوا لك وأكثروا عليه فيك ولك صنائع تعود عليهم بما بدالك
ثم استدرك استتمام ما كان منك إلى صنائعك من هشام قال قد أبصرت ما تقول
وليس إلى ذلك سبل وكان العريان يقول كأنكم به قد عزل وأخذ ماله وتجنى عليه
ثم لا ينتفع بشيء قال فكان كذلك قال الهيثم وحدثني ابن عياش أن بلال بن أبي
بردة كتب إلى خالد وهو عامله على البصرة حين بلغه تعتب هشام عليه أنه حدث
أمر لا أجدُ بدأ من مشافهتك فيه فإن رأيت أن تأذن لي فأنما هي ليلة ويومها
إليك ويوم عندك وليلة ويومها منصرفا فكتب إليه أن أقبل إذا شئت فركب هو
وموليان له الجوازات فسار يوما وليلة ثم صلى المغرب بالكوفة وهي ثمانون
فرسخا فأخبر خالد بمكانه فأثامه وقد تعصب فقال أبا عمرو أتعبت نفسك قال أجل
قال متى عهدك بالبصرة قال أمس قال أحق ما تقول قال هو والله ما قلت قال فما
أنصبتك قال ما بلغني من تعتب أمير المؤمنين وقوله وما بغاك به ولده وأهل بيته
فإن رأيت أتعرض له وأعرض عليه بعض أموالنا ثم ندعوه منها إلى ما أحب
وأنفسنا به طيبة ثم أعرض عليه مالك فما أخذ منه فعلينا العوض منه بعد قال
ما أنهمك وحتى أنظر قال إني أخاف أن تعاجل قال كلا قال إن قريشا من قد
عرفت ولا سيما سرعتهم إليك قال يا بلال إني والله ما أعطى شيئا قسرا أبدا قال
أيها الأمير أتكلم قال نعم قال إن هشام أعذر منك يقول استعملتك وليس لك
شيء فلم تر من الحق عليك أن تعرض عليّ بعض ما صار إليك وأخاف أن يزين له
حسان النبطي ما لا تستطيع إدراكه فاغتم هذه الفترة قال أنا ناظر في ذلك فأنصرف
راشدا فأنصرف بلال وهو يقول كأنكم بهذا الرجل قد بعث إليه رجل بعيدا في
به حمز بغيض النفس سخييف الدين قليل الحياء يأخذه بالاحز والتراب فكان كما
قال قال ابن عياش وكان بلال قد اتخذ دارا بالكوفة وإنما استأذن خالد لينظر
إلى داره فما نزلها إلا مقيدا ثم جعلت سجنا إلى اليوم قال ابن عياش كان خالد

يخطب فيقول إنكم زعمتم أني أغلى أسعاركم فعلى من يغلبها لعنة الله وكان هشام كتب إلى خالد لا تبعن من الغلات شيئاً حتى تباع غلات أمير المؤمنين حتى بلغت كيلجة درهما (قال المهيم) عن ابن عياش كانت ولاية خالد في شوال سنة ١٠٥ ثم عزل في جمادى الأولى سنة ١٢٠ (وفي هذه السنة) قدم يوسف بن عمر العراق واليا عليها وقد ذكرت قبل سبب ولايته عليها (وفي هذه السنة) ولى خراسان يوسف بن عمر جديع بن علي الكرماني وعزل جعفر بن حنظلة هـ وقيل إن يوسف لما قدم العراق أراد أن يولي خراسان سلم بن قتيبة فكتب بذلك إلى هشام ويستأذنه فيه فكتب إليه هشام إن سلم بن قتيبة رجل ليس له بخراسان عشيرة ولو كان له بها عشيرة لم يقتل بها أبوه وقيل إن يوسف كتب إلى الكرماني بولاية خراسان مع رجل من بني سليم وهو بمر وخرج إلى الناس يخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وذكر أسداً وقدمه خراسان وما كانوا فيه من الجهد والفتنة وما صنع لهم على يديه ثم ذكر أخاه خالداً بالجميل وأثنى عليه وذكر قدوم يوسف العراق وحث الناس على الطاعة ولزوم الجماعة ثم قال غفر الله لليت يعني أسداً وعافى الله المعزول وبارك للقادم ثم نزل (وفي هذه السنة) عزل الكرماني عن خراسان ووليا نصر بن سيار بن ليث بن رافع بن ربيعة بن جري بن عوف بن عامر بن جندع بن ليث بن بكر ابن عبدمناة بن كنانة وأمه زينب بنت حسان من بني تغلب

ذكر الخبر عن سبب ولاية نصر بن سيار خراسان

ذكر علي بن محمد عن شيوخه أن وفاة أسد بن عبد الله لما انتهت إلى هشام ابن عبد الملك استشار أصحابه في رجل يصلح لخراسان فأشاروا عليه بأقوام وكتبوا له أسماء فكان ممن كتب له عثمان بن عبد الله بن الشخير ويحيى بن حنين ابن المنذر الرقاشي ونصر بن سيار الميثي وقطن بن قتيبة بن مسلم والمجش بن مزاحم السلي أحد بني حرام فأما عثمان بن عبد الله بن الشخير فليل له إنه صاحب شراب وقيل له المجش شيخ هرم وقيل له ابن حنين رجل فيه تبه وعظمة وقيل له قطن بن قتيبة موتور فاختر نصر بن سيار فليل له ليست له بها عشيرة فقال

هشام أنا عشيرته فولاه وبعث بعهدده مع عبد الكريم بن سليط بن عقبة الهفاني
هفان بن عدى بن حفية فأقبل عبد الكريم بعهدده ومعه أبو المهند كاتبه مولى
بنى حنيفة فلما قدم سرخس ولا يعلم به أحد وعلى سرخس حفص بن عمر بن عباد
التيمي أخو تميم بن عمر فأخبره أبو المهند فوجه حفص رسولاً فحمله إلى نصر
ونفذ ابن سليط إلى مرو فأخبر أبو المهند الكرمانى فوجه الكرمانى نصر بن
حبیب بن بحر بن ماسك بن عمر الكرمانى إلى نصر بن سيار فسبق رسول حفص
إلى نصر بن سيار فكان أول من سلم عليه بالإمرة فقال له نصر لعلك شاعر مكار
فدفع إليه الكتاب وكان جعفر بن حنظلة ولى عمرو بن مسلم مرو وعزل الكرمانى
وولى منصور بن عمرو وأبرشهر وولى نصر بن سيار بخارى فقال جعفر بن حنظلة دعوت
نصر أقبل أن يأتیه عهدده بأيام فعرضت عليه أن أولیه بخارى فشاور البخترى بن مجاهد
فقال له البخترى وهو مولى بنى شيبان لا تقبلها قال ولم قال لأنك شيخ مضر بخراسان
فكانك بعهدك قد جاء على خراسان كلها فلما أتاه عهدده بعث إلى البخترى لأصحابه
قد ولى نصر بن سيار خراسان فلما أتاه سلم عليه بالإمرة فقال له إني علمت قال
لما بعثت إلى وكنت قبل ذلك تأتيني علمت أنك قد وليت قال وقد قيل إن
هشاماً قال لعبد الكريم حين أتاه خبر أسد بن عبد الله بموته من ترى أن نولى
خراسان فقد بلغنى أن لك بها وبأهاها علما قال عبد الكريم قلت يا أمير المؤمنين
أما رجل خراسان حزما ونجدة فالكرمانى فأعرض بوجهه وقال ما اسمه قلت
جديع بن علي قال لا حاجة لي فيه وتطير وقال سم لي غيره قلت اللسن المجرب
يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني أبو الميسلاء قال ربيعة لا تسد بها الثغور قال
عبد الكريم فقلت في نفسي كره ربيعة واليمن فأرميه بمضر فقلت عقيل بن معقل
الليثي إن اغتفرت هنة قال ما هي قلت ليس بالعفيف قال لا حاجة لي به قلت
منصور بن أبي الخرقاء السليبي إن اغتفرت نكرة فانه مشؤم قال غيره قلت
المجشر بن مزاحم السليبي عاقل شجاع له رأى مع كذب فيه قال لا خير في الكذب
قلت يحيى بن حنظلة قال ألم أخبرك أن ربيعة لا تسد بها الثغور قال فكان إذا

ذكرت له ربيعة واليمن أعرض قال عبد الكريم وأخرت نصر او هو أرجل القوم وأحزمهم وأعلمهم بالسياسة فقلت نصر بن سيار الليثي قال هو لها قلت إن اغتفرت واحدة فإنه عفيف مجرب عاقل قال ما هي قلت عشيرته بها قليلة قال لا أبالك أتريد عشيرة أكثر مني أنا عشيرته وقال آخرون لما قدم يوسف بن عمر العراق قال أشيروا عليّ برجل أوليه خراسان فأشاروا عليه بمسلة بن سليمان بن عبد الله بن خازم وقديد بن منيع المنقريّ ونصر بن سيار وعمرو بن مسلم ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم ومنصور بن أبي الخرقاء وسلم بن قتيبة ويونس بن عبد ربه وزيايد بن عبد الرحمن القشيري فكتب يوسف بأسمائهم إلى هشام وأطرى القيسية وجعل آخر من كتب اسمه نصر بن سيار الكنانى فقال هشام ما بال الكنانى آخرهم وكان في كتاب يوسف إليه يا أمير المؤمنين نصر بخراسان قليل العشيرة فكتب إليه هشام قد فهمت كتابك وإطراءك القيسية وذكرت نصر او وقلّة عشيرته فكيف يقل من أنا عشيرته ولكنك تقيست على وأنا متخندف عليك ابعت بعهد نصر فلم يقل من عشيرته أمير المؤمنين بله ما إن تمها أكثر أهل خراسان فكتب إلى نصر أن يكاتب يوسف بن عمر وبعث يوسف سلا وافدا إلى هشام وأثنى عليه فلم يوله ثم أوفد شريك بن عبد ربه النخيري وأثنى عليه ليوليه خراسان فأبى عليه هشام قال وأوفد نصر من خراسان الحكم بن يزيد بن عمير الأسدي إلى هشام وأثنى عليه نصر فضربه يوسف ومنعه من الخروج إلى خراسان فلما قدم يزيد بن عمر بن هبيرة استعمل الحكم بن يزيد على كرمان وبعث بعهد نصر مع عبد الكريم الحنفي ومعه كاتبه أبو المهند مولى بني حنيفة فلما أتى سرخس وقع الثلج فأقام ونزل على حفص بن عمر بن عباد التيمي فقال له قدمت بعهد نصر على خراسان قال وهو عامل يومئذ على سرخس فدعا حفص غلامه فحمله على فرس وأعطاه مالا وقال له طر واقتل الفرس فإن قام عليك فاشتر غيره حتى تأتي نصر او قال فخرج الغلام حتى قدم على نصر بيلخ فيجده في السوق فدفع إليه الكتاب فقال أتدرى ما في هذا الكتاب قال لا فأمسكه بيده وأتى منزله فقال الناس

أتى نصرًا عهده على خراسان فأتاه قوم من خاصته فسألوه فقال ما جاءني شيء فكث يومه فدخل عليه من الغد أبو حفص بن علي أحد بني حنظلة وهو صهره وكانت ابنته تحت نصر وكان أهوج كثير المال فقال له إن الناس قد خاضوا وأكثروا في ولايتك فهل جاءك شيء فقال ما جاءني شيء فقام ليخرج فقال مكانك وأقرأه الكتاب فقال ما كان حفص ليكتب إليك إلا بحق قال فينا هو يكلمه إذ استأذن عليه عبد الكريم فدفع إليه عهده فوصله بعشرة آلاف درهم ثم استعمل نصر على بلخ مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم واستعمل وشاح ابن بكير بن وشاح على مرو والروذ والحارث بن عبدالله بن الحشرج على هراة وزباد ابن عبد الرحمن القشيري على أبر شهر وأبا حفص بن علي ختته على خوارزم وقطن ابن قتيبة على السغد فقال رجل من أهل الشام من البمانية ما رأيت عصبية مثل هذه قال بلى التي كانت قبل هذه فلم يستعمل أربع سنين إلا مريضًا وعمرت خراسان عمارة لم تعمر قبل ذلك مثلها ووضع الخراج وأحسن الولاية والجبابة فقال سوار بن الأشعر

أضحت خراسان بعد الخوف آمنة
لما أتى يوسفًا أخبارًا ما لقيت
من ظلم كل غشوم الحكم جبار
إختار نصرًا لها نصر بن سيار

وقال نصر بن سيار فيمن كره ولايته

تعر عن الصباية لا تلام
أإن سخطت كبيرة بعد قرب
ترحى اليوم ما وعدت حديثاً
ألم تر أن ما صنع الغواني
أبت لي طاعتي وأبي بلاني
وإننا لا نضيع لمننا ملماً
ولا نغضي على غدر وإننا
كذلك لا يلُم بك احتام
كلفت بها وباشرك السقام
وقد كذبت مواعدها الكرام
عسير لا يرغب به الكلام
وفوزي حين يعترك الخصام
ولا حسباً إذا ضاع الدمام
نقيم على الوفاء فلا نلام

خليفةتنا الذي فازت يده
 نسوسهم به ولنا عليهم
 أبو العاصي أبو وعبد شمس
 ومروان أبو الخلفاء عال
 وبيت خليفة الرحمن فينا
 ونحن الاكرمون اذا نسبنا
 فامسينا لنا من كل حي
 لنا ايد زريش بها ونبرى
 وبأس في الكريهة حين تلقى
 يقذح الحمد والمالك الهام
 اذا قلنا مكارمه جسام
 وحرب والقائمة الكرام
 عليه المجد فهو لهم نظام
 وبيتاه المقدس والحرام
 وعرين البرية والسنام
 خراطيم البرية والزام
 وايد في بواذرها السام
 اذا كان النذير بها الحسام

قال واتى نصرأ عهده في رجب من سنة ١٢٠ وقال له البخري اقرأ عهدك
 واخطب الناس فخطب الناس فقال في خطبته استمسكوا اصحابنا بجدتكم فقد عرفنا
 خيركم وشركم (وحج) بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن اسماعيل كذلك
 حدثني احمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وقد قيل
 إن الذي حج بهم فيها سليمان بن هشام وقيل حج بهم يزيد بن هشام وكان العامل
 في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف محمد بن هشام وعلى العراق والمشرق
 كله يوسف بن عمر وعلى خراسان نصر بن سيار وقيل جعفر بن حنظلة وعلى
 البصرة كثير بن عبد الله السلي من قبل يوسف بن عمر وعلى قضائها عامر بن عبيدة
 الباهلي وعلى أرميلية وأذربيجان مروان بن محمد وعلى قضاء الكوفة ابن شبرمة

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة مسلمة بن هشام بن عبد الملك الروم فافتح بها مطامير وغزوة
 مروان بن محمد بلاد صاحب سيرير الذهب فافتح قلاعه وخرّب أرضه وأذعن
 له بالجزية في كل سنة ألف رأس يؤديه إليه وأخذ منه بذلك الرهن وملكه مروان

على أرضه (وفيها) ولد العباس بن محمد (وفيها) قُتل زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب في قول الواقدي في صفر وأما هشام بن محمد فإنه زعم أنه قتل في سنة ١٢٢ في صفر منها

ذكر الخبر عن سبب مقتله وأموره وسبب مخرجه

اختلف في سبب خروجه فأما الهيثم بن عدى فإنه قال فيما ذكر عنه عن عبد الله بن عياش قال قدم زيد بن علي ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وداود ابن علي بن عبد الله بن عباس على خالد بن عبد الله وهو على العراق فأجازهم ورجعوا إلى المدينة فلما ولي يوسف بن عمر كتب إلى هشام بأسمائهم وبما أجازهم به وكتب يذكر أن خالداً ابتاع من زيد بن علي أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار ثم رد الأرض عليه فكتب هشام إلى عامل المدينة أن يسرّ حهم إليه ففعل فسألهم هشام فأقروا بالجائزة وأنكروا ما سوى ذلك فسأل زيداً عن الأرض فأنكرها وحلفوا لهشام فصدّتهم وأما هشام بن محمد الكلبي فإنه ذكر أن أبا مخنف حدثه أن أول أمر زيد بن علي كان أن يزيد بن خالد القسري ادعى مالا قبل زيد ابن علي ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ودارد بن علي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب وإبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري وأيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي فكتب فيهم يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك وزيد بن علي يومئذ بالرصافة يخاصم بني الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب في صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحمد بن عمر بن علي يومئذ مع زيد بن علي فلما قدمت كتب يوسف بن عمر على هشام بن عبد الملك بعث إليهم فدكر لهم ما كتب به يوسف بن عمر إليه مما ادعى قبلهم يزيد بن خالد فأنكروا فقال لهم هشام فإننا باعثون بكم إليه يجمع بينكم وبينهم فقال له زيد بن علي أنشدك الله والرحم أن تبعث بي إلى يوسف بن عمر قال وما الذي تخاف من يوسف بن عمر قال أخاف أن يعتدي علي قال له هشام ليس ذلك له ودعا هشام كاتبه فكتب إلى يوسف بن عمر أما بعد فاذا قدم عليك فلان وفلان فاجع بينهم وبين

يزيد بن خالد القسري فان هم أقرؤا بما ادعى عليهم فسرّح بهم إلى وإن هم أنكروا
فسله بينة فإن هو لم يقرم البينة فاستحلفهم بعد العصر بالله الذي لا إله إلا هو ما استودعهم
يزيد بن خالد القسري وديعة ولاله قبلهم شيء ثم خلّ سبيلهم فقالوا لهشام إنا
نخاف أن يتعدى كتابك ويطول علينا قال كلا أنا باعث معكم رجلا من الحرس
يأخذه بذلك حتى يعجل الفراغ فقالوا جزاك الله والرحم خيرا لقد حكمت بالعدل
فسرّح بهم إلى يوسف واحتبس أيوب بن سلية لأن أم هشام بن عبد الملك ابنة
هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي وهو في أخواله فلم
يؤخذ بشيء من ذلك القرف فلما قدموا على يوسف فأدخلوا عليه فأجلس زيد
ابن علي قريبا منه والطفه في المسألة ثم سأله عن المال فانكروا جميعا وقالوا لم
يستودعنا مالا ولا له قبلنا حق فاخرج يوسف يزيد بن خالد إليهم فجمع بينه وبينهم
وقال له هذا زيد بن علي وهذا محمد بن عمر بن علي وهذا فلان وفلان الذين كنت
ادعيت عليهم ما ادعيت فقال مالي قبلهم قليل ولا كثير فقال يوسف أفي تهزأ أم
بأمير المؤمنين فعذب به يومئذ عذاباً ظن أنه قد قتله ثم أخرجهم إلى المسجد بعد
صلاة العصر فاستحلفهم فحلفوا له وأمر بالقوم فبسط عليهم ما عدا زيد بن علي
فانه كف عنه فلم يقتدر عند القوم على شيء فكتب إلى هشام يعلمه الحال فكتب
إليه هشام أن استحلفهم واخلّ سبيلهم نفلي عنهم فخرجوا فلحقوا بالمدينة وأقام
زيد بن علي بالكوفة وذكر عبيد بن جنادة عن عطاء بن مسلم الخفاف أن زيد بن
علي رأى في منامه أنه أضرم في العراق نارا ثم أطفأها ثم مات فهالته فقال لابنه
يحيى يا بني إني رأيت رؤيا قد راعني فقصها عليه وجاءه كتاب هشام بن عبد الملك
بأمره بالقدوم عليه فقدم فقال له الحق بأمرك يوسف فقال له نشدتك بالله يا أمير
المؤمنين فوالله ما آمن إن بعثتني إليه أن لا أجمع أنا وأنت حين علي ظهر
الأرض بعدها فقال الحق بيوسف كما تؤمر فقدم عليه (وقد قيل) إن هشام بن
عبد الملك إنما استقدم زيدا من المدينة عن كتاب يوسف بن عمر وكان السبب في
ذلك فيما زعم أبو عبيدة أن يوسف بن عمر عذب خالد بن عبد الله فادعى خالد

أنه استودع زيد بن علي وداود بن علي بن عبد الله بن عباس ورجلين من قريش أحدهما مخزومي والآخر جُمحيُّ مالا عظيماً فكتب بذلك يوسف إلى هشام فكتب هشام إلى خاله إبراهيم بن هشام وهو عامله على المدينة يأمره بحملهم إليه فدعا إبراهيم بن هشام زيدا وداود فسألها عما ذكر خالد خلفا ما أودعهما خالد شيئاً فقال انكما عندي لصادقان ولكن كتاب أمير المؤمنين قد جاء بما تريان فلا بد من انفاذه فحملهما إلى الشام خلفا بالآيمان الغلاظ ما أودعهما خالد شيئاً قط وقال داود كنت قدمت عليه العراق فأمر لي بمائة ألف درهم فقال هشام أنما عندي أصدق من ابن النصرانية فاقدم ما على يوسف حتى يجمع بينكما وبينه فتكذبا به في وجهه وقيل إن زيدا أنما قدم على هشام مخلصاً ابن عمه عبد الله بن حسن بن حسن بن علي ذكر ذلك عن جويرية بن أسماء قال شهدت زيد بن علي وجعفر بن حسن بن حسن يختصمان في ولاية وقوف علي وكان زيد يخاصم عن بني حسين وجعفر يخاصم عن بني حسن فكان جعفر وزيد يتبالغان بين يدي الوالي إلى كل غاية ثم يقومان فلا يعيدان مما كان بينهما حرفاً فلما مات جعفر قال عبد الله من يكفينا زيدا قال حسن ابن حسن بن حسن أنا أكفيك قال كلا إنا نخاف لسانك ويدك ولكني أنا قال إذن لا تباع حاجتك وحجتك قال أما حجتى فسا بلغها فتنازع إلى الوالي والوالي يومئذ عندهم فيما قيل إبراهيم بن هشام قال فقال عبد الله لزيد أنت طمع أن تنالها وأنت لامة سندية قال قد كان اسماعيل لامة فقال أكثر منها فسكت عبد الله وتبالغا يومئذ كل غاية فلما كان الغد أحضرهم الوالي وأحضر قريشاً والأنصار فتنازعا فاعترض رجل من الأنصار فدخل بينهما فقال له زيد وما أنت والدخول بيننا وأنت رجل من قحطان قال أنا والله خير منك نفساً وأباً وأما قال فسكت زيد وانبرى له رجل من قريش فقال كذبت لعمر الله لو خير منك نفساً وأباً وأما وأولا وآخرأ وفوق الأرض وتحتها فقال الوالي وما أنت وهذا فأخذ القرشي كفاً من الحصى فضرب به الأرض وقال والله ما على هذا من صبر وفتن عبد الله وزيد لشهامة الوالي بهما فذهب عبد الله ليتكلم فطلب إليه زيد فسكت وقال زيد

لوالى أمّ والله لقد جمعنا لأمر ما كان أبو بكر ولا عمر ليجمعانا على مثله وإنى أشهد الله أن لا أنزعه إليك محقاً ولا مبطلا ما كنت حياً ثم قال لعبد الله انفض يا ابن عم قهضاً و تفرق الناس وقال بعضهم لم يزل زيد ينازع جعفر بن حسن ثم عبد الله بعده حتى ولى هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم المدينة فتنازعا فأغاظ عبد الله لزيد وقال يا ابن الهند كية فتضاحك زيد وقال قد فعلتها يا أبا محمد ثم ذكر أمه بشيء وذكر المدائني أن عبد الله لما قال ذلك لزيد قال زيد أجل والله لقد صبرت بعد وفاة سيدها فما تعبت بابها اذ لم يصبر غيرها قال ثم ندم زيد واستحي من عمته فلم يدخل عليها زمانا فأرسلت إليه يا ابن أخي إني لأعلم أن أمك عندك كأم عبد الله عنده وقيل إن فاطمة أرسلت الى زيد إن سب عبد الله أمك فاسب أمه وانها قالت لعبد الله أقلت لأم زيد كذا وكذا قال نعم قالت فبئس والله ما صنعت أمّ والله لنعم دخيلة القوم كانت قد كر أن خالد بن عبد الملك قال لها أغدوا علينا غداً فلست لعبد الملك ان لم أفضل بينكما فباتت المدينة تغلي كالمرجل يقول قائل كذا وقائل كذا: قائل يقول قال زيد كذا وقائل يقول قال عبد الله كذا فلما كان الغد جلس خالد في المجلس في المسجد واجتمع الناس فمن شامت ومن مهموم فدعا بهما خالد وهو يحب أن يتشاما فذهب عبد الله يتكلم فقال زيد لا تعجل يا أبا محمد أعتق زيد ما يملك ان خاصمك إلى خالد أبداً ثم أقبل على خالد فقال له يا خالد لقد جمعت ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر قال خالد أما لهذا السفية أحد فتكلم رجل من الأنصار من آل عمرو بن حزم فقال يا ابن أبي تراب وابن حسين السفية ما ترى لوالٍ عليك حقاً ولا طاعة فقال زيد اسكت أيها القحطاني فانا لا نحبب مثلك قال ولم ترغب عنى فوالله إني لخير منك وأبي خير من أبيك وأمي خير من أمك فتضاحك زيد وقال يا معشر قريش هذا الدين قد ذهب أفذهب الأحساب فوالله إنه ليذهب دين القوم وما تذهب أحسابهم فتكلم عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال كذبت

والله أيها القحطاني فوالله هو خير منك نفساً وأباً وأماً ومحتداً وتناوله بكلام كثير قال القحطاني دعنا منك يا ابن واقد فأخذ ابن واقد كفاً من حصي فضرب بها الأرض ثم قال له والله ما لنساعلي هذا صبر وقام وشخص زيد إلى هشام بن عبد الملك فجعل هشام لا يأذن له فيرفع إليه القصص فكلما رفع إليه قصة كتب هشام في أسفلها ارجع إلى أميرك فيقول زيد والله لا أرجع إلى خالد أبداً وما أسأل مالا إنما أنا رجل مخاصم ثم أذن له يوماً بعد طول حبس فذكر عمر بن شبة عن أيوب بن عمر بن أبي عمر قال حدثني محمد بن عبد العزيز الزهري قال لما قدم زيد بن علي بن هشام بن عبد الملك أعلمه حاجبه بمكانه فرقى هشام إلى عليه له طويلاً ثم أذن له وأمر خادماً أن يتبعه وقال لا يرينك واسمع ما يقول قال فاتبعته الدرجة وكان بادناً فوقف في بعضها فقال والله لا يحب الدنيا أحد إلا ذل فلما صار إلى هشام قضى حوائجه ثم مضى نحو الكوفة ونسى هشام أن يسأل الخادم حتى مضى لذلك أيام ثم سأله فأخبره فالتفت إلى الأبرش فقال والله ليأتينك خلعه أول شيء فلم يأتته أول من ذلك شيء وكان كما قال وذكر عن زيد أنه حلف لهشام على أمر فقال له لا أصدقك فقال يا أمير المؤمنين إن الله لم يرفع قدر أحد عن أن يرضى بالله ولم يضع قدر أحد عن أن لا يرضى بذلك منه فقال له هشام لقد بلغني يا زيد أنك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هناك وانت ابن أمة فقال زيد إن لك يا أمير المؤمنين جواباً قال تكلم قال إنه ليس أحد أولى بالله ولا أرفع عنده منزلة من نبي ابتعثه وقد كان إسماعيل من خير الأنبياء وولد خيرهم محمداً صلى الله عليه وسلم وكان إسماعيل ابن أمة وأخوه ابن صريجة مثلك فاختره الله عليه وأخرج منه خير البشر وما على أحد من ذلك جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانت أمه فقال له هشام اخرج قال أخرج ثم لا تراني إلا حيث تكره فقال له سالم يا أبا الحسين لا يظهرن هذا منك (رجع الحديث) إلى حديث هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف قال جعلت الشيعة تختلف إلى زيد ابن علي وتأمره بالخروج ويقولون إنا نرجو أن تكون المنصور وأن يكون

هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية فأقام بالكوفة فجعل يوسف بن عمر يسأل عنه فيقال هو هاهنا فيبعث إليه أن اشخص فيقول نعم ويعتل له بالوجع فكث ما شاء الله ثم سأل أيضاً عنه فقيل له هو مقيم بالكوفة بعد لم يبرح فبعث إليه فاستخه بالشخص فاعتل عليه بأشياء يتاعها وأخبره أنه في جهازه ورأى جد يوسف في أمر قهياً ثم شخص حتى أتى القادسية وقال بعض الناس أرسل معه رسولا حتى بلغه العذيب فلحقته الشيعة فقالوا له أين تذهب عنا ومعك مائة ألف رجل من أهل الكوفة يضربون دونك بأسيا فهم غداً وليس قبلك من أهل الشام إلا عدة قليلة لو أن قبيلة من قبائلنا نحو مذحج أو همدان أو تميم أو بكر نصبت لهم لكفتكم ياذن الله تعالى فنشك الله لما رجعت فلم يزالوا به حتى ردوه إلى الكوفة وأما غير أبي مخنف فإنه قال ما ذكر عبيد بن جناد عن عطاء بن مسلم أن زيد بن علي لما قدم على يوسف قال له يوسف زعم خالد أنه قد أودعك مالا قال إني يودعني مالا وهو يشتم آبائي على منبره فأرسل إلى خالد فأحضره في عباة فقال له هذا زيد زعمت أنك قد أودعته مالا وقد أنكروا فنظر خالد في وجهها ثم قال أتريد أن تجمع مع إثمك في إثمنا في هذا وكيف أودعه مالا وأنا أشتمه وأشتم آباءه على المنبر قال فشتمه يوسف ثم رده وأما أبو عبيدة فذكر عنه أنه قال صدق هشام زيدا ومن كان يوسف قرفه بما قرفه به ووجههم إلى يوسف وقال إنهم قد حلفوا إلى وقلت أيمانهم وأبرأتهم من المال وإنما وجهت بهم إليك لتجمع بينهم وبين خالد فيكذبوه قال ووصلهم هشام فلما قدموا على يوسف أنزلهم وأكرمهم وبعث إلى خالد فأتى به فقال قد حلف القوم وهذا كتاب أمير المؤمنين ببراءتهم فهل عندك بينة بما ادعيت فلم تكن له بينة فقال القوم لخالد مادعاك إلى ما صنعت قال غلظ على العذاب فادعيت ما ادعيت وأملت أن يأتي الله بفرج قبل قدمكم فأطلقهم يوسف فمضى القرشيان الجمحي والمخزومي إلى المدينة وتخلف الهاشميان داود بن علي وزيد بن علي بالكوفة وذكر أن زيدا أقام بالكوفة أربعة أشهر أو خمسة ويوسف يأمره بالخروج ويكتب إلى عامله على الكوفة وهو

يومئذ بالخيرة يأمره بإزعاج زيد وزيد يذكر أنه ينازع بعض آل طلحة بن عبيد الله في مال بينه وبينهم بالمدينة فيكتب العامل بذلك إلى يوسف فيقره أياما ثم يباغى أن الشيعة تختلف إليه فيكتب إليه أن أخرجه ولا تؤخره وإن ادعى أنه ينازع فليجر جريا وليوكل من يقوم مقامه فيما يطالب به وقد بايعه جماعة منهم سلمة بن كهيل ونصر بن خزيمه العبدى ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصارى وحجبة ابن الأخلاج الكندى وناس من وجوه أهل الكوفة فلما رأى ذلك داود بن علي قال له يا ابن عم لا يغررك هؤلاء من نفسك ففى أهل بيتك لك عبرة وفى خذلان هؤلاء إياهم فقال يا داود ان بنى أمية قد عتوا وقتلوا قلوبهم فلم يزل به داود حتى عزم على الشخص فشىخصا حتى بلغا القادسية وذكر عن أبي عبيدة أنه قال اتبعوه الى الثعلبية وقالوا له نحن أربعون ألفا إن رجعت إلى الكوفة لم يتخلف عنك أحد وأعطوه الموائيق والأيمان المغلظة فجعل يقول إني أخاف أن تخذلوني وتسلبوني كفعلمكم بأبى وجدى فيحلفون له فيقول داود بن علي يا ابن عم إن هؤلاء يغررونك من نفسك أليس قد خذلوا من كان أعز عليهم منك جدك علي بن أبى طالب حتى قتل والحسن من بعده بايعوه ثم رثبوا عليه فانتزعوا رداءه من عنقه وانتهبوا فسطاطه وجرحوه أوليس قد أخرجوا جدك الحسين وحلفوا له بأوكد الأيمان ثم خذلوه وأسلموه ثم لم يرضوا بذلك حتى قتلوه فلا تفعل ولا ترجع معهم فقالوا ان هذا لا يريد أن تظهر أنت وبزعم أنه وأهل بيته أحق بهذا الأمر منكم فقال زيد لداود إن عليا كان يقاتله معاوية بدهائه ونكرائه بأهل الشام وإن الحسين قاتله يزيد بن معاوية والأمر عليهم مقبل فقال له دارد إني لخائف إن رجعت معهم أن لا يكون أحد أشد عليك منهم وأنت أعلم ومضى داود إلى المدينة ورجع زيد إلى الكوفة وقال عبيد بن جناد عن عطاء بن مسلم الخفاف قال كتب هشام إلى يوسف أن أشخص زيدا إلى بلده فانه لا يقيم ببلد غيره فيدعو أهله إلا أجابوه فأشخصه فلما كان بالثعلبية أو القادسية لحقه المشائيم يعنى أهل الكوفة فردوه وبايعوه فأتاه سلمة بن كهيل فاستأذن عليه فأذن له فذكر قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقه

فأحسن ثم تكلم زيد فأحسن فقال له سلة اجعل لي الأمان فقال سبحان الله
 مثلك يسأل مثلي الأمان وإنما أراد سلة أن يسمع ذلك أصحابه ثم قال لك الأمان فقال
 نشدتك بالله كم بايعك قال أربعون ألفا قال فكم بايع جدك قال ثمانون ألفا قال فكم
 حصل معه قال ثلثمائة قال نشدتك الله أنت خير أم جدك قال بل جدى قال
 أفقرتك الذى خرجت فيهم خير أم القرن الذى خرج فيهم جدك قال بل القرن
 الذى خرج فيهم جدى قال أفطمع أن يني لك هؤلاء وقد غدر أولئك بجدك قال
 قد بايعونى ووجبت البيعة فى عنقى وأعناقهم قال أفأذن لى ان أخرج من البلد قال
 لم قال لا آمن أن يحدث فى أمرى حدث فلا أملك نفسى قال قد أذنت لك فخرج
 إلى اليمامة وخرج زيد فقتل وصلب فكتب هشام إلى يوسف يلومه على تركه
 سلة بن كهيل يخرج من الكوفة ويقول مقامه كان خيرا لك من كذا وكذا من
 الخيل تكون معك وذكر عمر عن أبى إسحاق شيخ من أهل أصبهان حدثه أن
 عبد الله بن حسن كتب إلى زيد بن على بن أبى بن عم إن أهل الكوفة نفخ العلامية
 خور السريرة هرج فى الرخاء جزع فى اللقاء تقدمهم ألسنتهم ولا تشايعهم قلوبهم
 لا يبيتون بعد فى الاحداث ولا ينوون بدولة مرجوة ولقد تواترت إلى كتبهم
 بدعوتهم فصممت عن نداءهم وألبست قنبي غشاء عن ذكرهم بأسا منهم واطراحا
 لهم ومالم مثل إلا ما قال على بن أبى طالب ان أهملتم خضتم وإن حوربتهم خرتم
 وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم وإن أجبتم إلى مشاققة نكصتم وذكر عن هشام
 ابن عبد الملك أنه كتب إلى يوسف بن عمر فى أمر زيد بن على أما بعد فقد علمت
 بحال أهل الكوفة فى حبهم أهل هذا البيت وروضهم إياهم فى غير مواضعهم
 لأنهم انبسطوا على أنفسهم طاعتهم ووظفوا عليهم شرائع دينهم ونحلوا علم
 ما هو كأن حتى حملوا من تفريق الجماعة على حال استخفوا فيها إلى الخروج وقد
 قدم زيد بن على على أمير المؤمنين فى خصومة عمر بن الوليد ففصل أمير المؤمنين
 بينهما ورأى رجلا جديلا لسانا خليقا لتمويه الكلام وصوغه واجترار الرجال
 بحلاوة لسانه وبكثرة مخارجه فى حجبه وما يدلى به عند لدد الخصام من السطوة

على الخصم بالقوة الحادة لنيل الفلج فعجل إشخاصه إلى الحجاز ولا تخله والمقام قبلك فانه إن أعاره القوم اسماعهم فحشاها من لين لفظه وحلاوة منطقته مع ما يدلى به من القرابة برسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وجدهم مُتَبَلِّغاً اليه غير متدة قلوبهم ولا ساكنة أحلامهم ولا مصونة عندهم أديانهم وبعض التحامل عليه فيه أذى له وإخراجه وتركه مع السلامة للجميع والحقن للدماء والأمن للفرقة أحب إلى من أمر فيه سفك دماهم وانتشار كلمتهم وقطع نسلهم والجماعة حبل الله المتين ودين الله القويم وعروته الوثقى فادع اليك أشرف أهل المصر وأرعدهم العقوبة في الأبخار واستصفاء الأموال فان من له عقد أو عهد منهم سيبطئ عنه ولا يخف معه إلا الرعاع وأهل السواد ومن تهضه الحاجة استلذاذا للفتنة وأولئك ممن يستعبد إبليس وهو يستعبدهم فبادهم بالوعيد وعضضهم بسوطك وجرّد فيهم سيفك وأخف الأشراف قبل الأوساط والأوساط قبل السفلة واعلم أنك قائم على باب ألفة وداع إلى طاعة وحاض على جماعة ومشمّر لدين الله فلا تستوحش لكثرتهم واجعل معقلك الذي تأوى اليه وصغوك الذي تخرج منه الثقة بربك والغضب لدينك والمحاماة عن الجماعة ومناصبه من أراد كسر هذا الباب الذي أمرهم الله بالدخول فيه والتشاح عليه فان أمير المؤمنين قد أعذر اليه وقضى من ذمامه فليس له منزى إلى ادعاء حق هو له ظلّمه من نصيبه نفسه أوفىء أو صلة لذي قربي إلا الذي خاف أمير المؤمنين من حمل بادرة السفلة على الذي عسى أن يكونوا به أشقى وأضل ولهم أمر ولأمر المؤمنين أعزّ وأسهل إلى حياة الدين والذب عنه فانه لا يجب أن يرى في أمته حالا متفاوتا نكالا لهم مغبيا فهو يستديم النظرة ويتأني للرشاد ويحتنبهم على المخاوف ويستجرهم إلى المرشد ويعدل بهم عن المهالك فعل الوالد الشفيق على ولده والراعى الحذب على رعيته واعلم أن من حجتك عليهم في استحقاق نصر الله لك عند معاندتهم توفيتك أطعاهم وأعطية ذريتهم ونهيك جندك أن ينزلوا حریمهم ودورهم فانتهم رضا الله فيما أنت بسبيله فانه ليس ذنب أسرع تعجيل عقوبة من بغى وقد أوقعهم الشيطان ودلاهم فيه ودلهم عليه والعصاة

بتارك البغي أولى فأمر المؤمنين يستعين الله عليهم وعلى غيرهم من رعيته ويسأل إلهه ومولاه ووليه أن يصلح منهم ما كان فاسداً وأن يسرع بهم إلى النجاة والفوز إنه سميع قريب (رجع الحديث إلى حديث هشام) قال فرجع زيد إلى الكوفة فاستخفى قال فقال له محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب حيث أراد الرجوع إلى الكوفة أذكر ك الله يا زيد لما لحقت بأهلك ولم تقبل قول أحد من هؤلاء الذين يدعونك إلى ما يدعونك إليه فانهم لا يفون لك فلم يقبل منه ذلك ورجع قال هشام قال أبو مخنف فأقبلت الشيعة لما رجع إلى الكوفة يختلفون إليه ويباعون له حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل فأقام بالكوفة بضعة عشر شهراً إلا أنه قد كان منها بالبصرة نحو شهرين ثم أقبل إلى الكوفة فأقام بها وأرسل إلى أهل السواد وأهل الموصل رجالاً يدعون إليه قال وتزوج حيث قدم الكوفة ابنة يعقوب بن عبد الله السلي أحد بني فرقد وتزوج ابنة عبد الله بن أبي العنابس الأزدي قال وكان سبب تزوجه إياها أن أمها أم عمرو بنت الصلت كانت ترى رأى الشيعة فبلغها مكان زيد فأتته لتسلم عليه وكانت امرأة جسيمة جميلة لحيمة قد دخلت في السن إلا أن الكبر لا يستبين عليها فلما دخلت علي زيد بن علي فسلمت عليه ظن أنها شابة فكلته فاذا أفصح الناس لساناً وأجمله منظر أفسأها عن نسبها فانتسبت له وأخبرته بمن هي فقال لها هل لك رحمك الله أن تزوجيني قالت أنت والله رحمك الله رغبة لو كان من أمرى التزويج قال لها وما الذي يمنعك من ذلك قالت يمنعني من ذلك أني قد أسنت فقال لها كلا قد رضيت ما أبعدك من أن تكوني قد أسنت قالت رحمك الله أنا أعلم بنفسى منك وبما أتى علي من الدهر ولو كنت متزوجة يوماً من الدهر لما عدلت بك ولكن لي ابنة أبوها ابن عمي وهي أجمل مني وأنا أزوجكها إن أحببت قال رضيت أن تكون مثلك قالت له لكن خالقها ومصورها لم يرض أن يجعلها مثلي حتى جعلها أبيض وأوسم وأجسم وأحسن مني دلا وشكلاً فضحك زيد وقال لها قد رزقت فصاحة ومنطقاً حسناً فأين فصاحتها من فصاحتك قالت أما هذا فلا علم لي به لاني نشأت بالحجاز ونشأت ابنتي بالكوفة فلا أدري لعل

ابتقى قد أخذت لغة أهلها فقال زيد ليس ذلك بأكره إلى ثم أوعدها موعداً فأتاها فتزوجها ثم بنى بها فولدت له جارية ثم إنها ماتت بعد وكان بها معجباً قال وكان زيد بن علي ينزل بالكوفة منازل شتى في دار امرأته في الأزد مرة ومرة في أصهاره السليين ومرة عند نصر بن خزيمة في بني عبس ومرة في بني غبر ثم إنه تحول من بني غبر إلى دار معاوية بن إسحق بن زيد بن حارثة الأنصاري في أقصى جبانة سالم السلولى وفي بني نهد وبني تغلب عند مسجد بني هلال بن عامر فأقام يبائع أصحابه وكانت بيعته التي يبائع عليها الناس إننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين وقسم هذا الفء بين أهله بالسواء ورد الظالمين وإقبال المجمر ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا أتبايعون على ذلك فإذا قالوا نعم وضع يده على يده ثم يقول عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله لتفنين بيعتي ولتقاتلن عدوى ولتنصحن لي في السر والعلانية فإذا قال نعم مسح يده على يده ثم قال اللهم اشهد فكث بذلك بضعة عشر شهراً فلما دنا خروجه أمر أصحابه بالاستعداد والتهيؤ فجعل من يريد أن يني ويخرج معه يستعد لويتهياً فشح أمره في الناس (وفي هذه السنة) غزا نصر بن سيار ما وراء النهر مرتين ثم غزا الثالثة فقتل كور صول

ذكر الخبر عن غزواته هذه

ذكر علي عن شيوخه أن نصر فزا من بلخ ما وراء النهر من ناحية باب الحديد ثم قفل إلى مرو فخطب الناس فقال ألا إن بهرامسيس كان مانح المجوس يمنحهم ويدفع عنهم ويحمل أثقلم على المسلمين ألا إن اشبداد بن نجريجور كان مانح النصارى ألا إن عقبة اليهودى كان مانح اليهود يفعل ذلك إلا أنى مانح المسلمين أمنحهم وأدفع عنهم وأحمل أثقلم على المشركين ألا إنه لا يقبل منى الا توفى الخراج على ما كتب ورفع وقد استعملت عليكم منصور بن عمر بن أبي الخرقاء وأمرته بالعدل عليكم فأيمار رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه أو ثقل عليه في خراجه وخفف مثل ذلك عن المشركين فليرفع ذلك إلى منصور

ابن عمر يحوله عن المسلم الى المشرك قال فما كانت الجمعة الثانية حتى أتاه ثلاثون ألف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤسهم وثمانون ألف رجل من المشركين قد أقيت عنهم جزيتهم فحول ذلك عليهم وألقاه عن المسلمين ثم صنف الخراج حتى وضعه مواضعه ثم وظف الوظيفة التي جرى عليها الصلح قال فكانت مرو يؤخذ منها مائة ألف سوى الخراج أيام بني أمية ثم غزا الثانية الى ورجسرو سمرقند ثم قفل ثم غزا الثانية الى الشاش من مرو فحال بينه وبين قطوع النهر مهر الشاش كورصول في خمسة عشر ألفاً استأجر كل رجل منهم في كل شهر بشقة حرير والشقة يومئذ بخمسة وعشرين درهماً فكانت بينهم مراعاة فمنع نصر من القطوع الى الشاش وكان الحارث بن سريج يومئذ بأرض الترك فأقبل معهم فكان بازاء نصر فرمى نصر او هو على سريره على شاطئ النهر بحسبان فوق السهم في شندق وصيف لنصر يوضه فتحول نصر عن سريره ورمى فرسا لرجل من أهل الشام فنفق وعبر كورصول في أربعين رجلاً فبيت أهل العسكر وساق شاء لأهل بخارى وكانوا في الساقة وأطاف بالعسكر في ليلة مظلمة ومع نصر أهل بخارى وسمرقند وكس وأشروسة وهم عشرون ألفاً فنادى نصر في الأخماس ألا لا يخرجن أحد من بناءه وابتوا على مواضعكم فخرج عاصم بن عمير وهو على جند أهل سمرقند حتى مرت خيل كورصول وقد كانت الترك صاحت صيحة فظن أهل العسكر أن الترك قد قطعوا كلهم فلما مرت خيل كورصول على ذلك حمل على آخرهم فأسر رجلاً فاذا هو ملك من ملوكهم صاحب أربعة آلاف قبة فجأوا به الى نصر فاذا هو شيخ يسحب درعه شبراً وعليه رانا ديباج فيما حلق وقباء فرند مكفف بالديباج فقال له نصر من أنت قال كورصول فقال نصر الحمد لله الذي أمكن منك يا عدو الله قال فاترجو من قتل شيخ وأنا أعطيك ألف بعير من ابل الترك وألف بردون تقوى بها جندك واخل سبيلي فقال نصر لمن حوله من أهل الشام وأهل خراسان ما تقولون فقالوا اخل سبيله فسأله عن سنة قال لا أدري قال كم غزوت قال اثنتين وسبعين غزوة قال أشهدت يوم العطش قال نعم قال لو أعطيتني ما طلعت عليه

الشمس ما أفلت من يدي بعد ما ذكرت من مشاهدتك و قال لعاصم بن عمير السعدي
قم إلى سلبه نخذه فلما أيقن بالقتل قال من أسرنى قال نصر وهو يضحك يزيد بن
قران الحنظلي وأشار إليه قال هذا لا يستطيع أن يغسل استه أو قال لا يستطيع أن
يتم بوله فكيف يأسرنى فأخبرنى من أسرنى فإني أهل ان أقتل سبع قتلات قيل
له عاصم بن عمير قال لست أجد مس القتل إذ كان الذى أسرنى فارسا من فرسان
العرب فقتله وصلبه على شاطئ النهر قال وعاصم بن عمير هو الهزار مرد قتل بها وند
أيام قحطبة قال فلما قتل كورصول تخذرت الترك و جاؤا بأبنيته فخرقوها و قطعوا
آذانهم و جردوا و جوههم و طفقوا يبكون عليه فلما أمسى نصر و أراد الرحلة بعث
إلى كورصول بقارورة نفظ فصبها عليه و أشعل فيه النار لئلا يحملوا عظامه قال
وكان ذلك أشد عليهم من قتله و ارتفع نصر إلى فرغانة فسبى منها ثلاثين ألف رأس
قال فقال عنبر بن بُرْعمَة الأزدي كتب يوسف بن عمر إلى نصر سر إلى هذا الغاز
ذنبه بالشاش يعنى الحارث بن سريج فان أظفرك الله به و بأهل الشاش فخر
بلادهم و اسب ذراريمهم و إياك و رطة المسلمين قال فدعا نصر الناس فقرا عليهم
الكتاب و قال ماترون فقال يحيى بن حضين امض لأمر أمير المؤمنين و أمر الأمير فقال
نصر يا يحيى تكلمت ليال عاصم بكلمة فبلغت الخليفة فخطبت بها و زيد فى عطائك
و فرض لأهل بيتك و بلغت الدرجة الرفيعة فقلت أقول مثاهسر يا يحيى فقد وليتك
مقدمتى فأقبل الناس على يحيى يلومونه فقال نصر يومئذ و أى و رطة أشد من أن
نكون فى السفر و هم فى القرار قال فسار إلى الشاش فأتاه الحارث بن سريج فنصب
عرادين تلقاء بنى تميم فقيل له هؤلاء بنو تميم فقتلها فقتلها فقتلها فقتلها على
بكر بن وائل و أغار عليهم الأخرم وهو فارس الترك فقتله المسلمون و أسروا سبعة
من أصحابه فأمر نصر بن سيار برأس الأخرم فرمى به فى عسكرهم بمنجنيق فلما رأوه
ضجوا ضجة عظيمة ثم ارتحلوا منهزمين و رجع نصر و أراد أن يعبر خيل بينه و بين
ذلك فقال أبو نميلة صالح بن الأبار
كنا و أوبة نصر عند غيبته كرايب النوء حتى جاده المطر

أوردى بأخزمته عارض برّد مُسْتَرْجِفٌ بمنابيا القوم منهمرٌ
وأقبل نصر قنزل سمرقند في السنة التي لقي فيها الحارث بن سريج فأتاه بخاري
خذاه منصرفا وكانت المسلحة عليهم ومعهم دهقانان من دهاقين بخاري وكانا أسلما
على يدي نصر وقد أجمعا على الفتك بواصل بن عمرو القيسي عامل بخاري
وببخار اخذاه يتظلمان من بخار اخذاه واسمه طوق سياده فقال بخار اخذاه لنصر أصلح
الله الأمير قد علمت أنهما قد أسلما على يدك فابالهما معاقى الخناجر عليهما فقال لهما
نصر ما بالكما معاقى الخناجر وقد أسلتما قالوا بيننا وبين بخار اخذاه عداوة فلأنا منه
على أنفسنا فأمر نصر هارون بن السياوش مولى بنى سليم وكان يكون على الرابطة
فاجتذبهما فقطعهما ونهض بخار اخذاه إلى نصر يساره في أمرهما فقالا نموت
كريمين فشدّ أحدهما على واصل بن عمرو فطعنه في بطنه بسكين وضر به واصل
بسيفه على رأسه فأطار قحف رأسه فقتله ومضى الآخر إلى بخار اخذاه وأقيمت
الصلاة وبخار اخذاه جالس على كرسي فوثب نصر فدخل السرادق وأحضر
بخار اخذاه فعثر عند باب السرادق فطعنه وشد عليه الجوزجان بن الجوزجان
فضر به بجز كان معه فقتله وحمل بخار اخذاه فأدخل سرادق نصر ودعاه نصر
بوسادة فاتكأ عليها وأتاه قرعة الطبيب فجعل يعالجه وأوصى إلى نصر ومات من
ساعته ودفن واصل في السرادق وصلى عليه نصر وأما طوق سياده فكشطوا عنه
لحمه وحملوا عظامه إلى بخاري قال وسار نصر إلى الشاش فلما قدم أشرو سنة عرض
دهقانها أباراخره مالا ثم نفذ إلى الشاش واستعمل على فرغانة محمد بن خالد الأزدي
وجبه اليها في عشرة نفر ورد من فرغانة أخا جيش فيمن كان معه من دهاقين الختل
وغيرهم وانصرف منها بتماثيل كثيرة فنصبها في أشرو سنة وقال بعضهم لما أتى نصر
الشاش تلقاه قدر ملكها بالصلح والهدية والرهن واشترط عليه إخراج الحارث
ابن سريج من بلده فأخرجه إلى فاراب واستعمل على الشاش نيزك بن صالح مولى
عمرو بن العاص ثم سار حتى نزل قباء من أرض فرغانة وقد كانوا احتسوا بمجيئه
فأحرقوا الحشيش وحبسوا الميرة أو وجه نصر إلى ولي عهد صلح فرغانة في

بقية سنة ١٢١ فحاصروه في قلعة من قلاعها فغفل عنهم المسلمون فخرجوا على دوابهم فاستاقوها وأسروا ناسا من المسلمين فوجه اليهم نصر رجالا من بني تميم ومعهم محمد بن المثنى وكان فارسا فكأيدهم المسلمون فأهملوا دوابهم وكنوا لهم فخرجوا فاستاقوا بعضها وخرج عليهم المسلمون فهزموهم وقتلوا الدهقان وأسروا منهم أسرا وحمل ابن الدهقان المقتول على ابن المثنى فقتله محمد بن المثنى فأسره وهو غلام أمرد فأتى به نصرا فضرب عنقه وكان نصر بعث سليمان بن صول إلى صاحب فرغانة بكتاب الصلح بينهما قال سليمان فقدمت عليه فقال لي من أنت قلت شاكري خليفة كاتب الأمير قال فقال ادخلوه الخزان ليري ما أعددنا فقيل له قم قال قلت ليس بي مشى قال قد مواله دابة يركبها قال فدخلت خزائنه فقلت في نفسي يا سليمان شمت بك إسرائيل وبشر بن عبيد ليس هذا إلا لكراهة الصلح وسأصرف بخي حنين قال فرجعت إليه فقال كيف رأيت الطريق فيما بيننا وبينكم قلت سهلا كثير الماء والمرعى فكره ما قلت له فقال ما عليك فقلت قد غزت غرستان وغور والختل وطبرستان فكيف لأعلم قال فكيف رأيت ما أعددنا قلت رأيت عدة حسنة ولكن أما علمت أن صاحب الحصار لا يسلم من خصال قال وما هن قلت لا يأمن أقرب الناس إليه وأحبهم إليه وأوثقهم في نفسه أن يثب به يطلب مرتبته ويتقرب بذلك أو يفنى ما قد جمع فيسلم برمته أو يصيبه داء فيموت فقضب وكره ما قلت له وقال نصرف إلى منزلك فانصرفت فأقت يومين وأنا لأشك في ترك الصلح فدعاني فحملت كتاب الصلح مع غلامي وقلت له إن أتاك رسولي يطلب الكتاب فانصرف إلى المنزل ولا تظهر الكتاب وقل لي إن خلفت الكتاب في المنزل فدخلت عليه فسألني عن الكتاب فقلت خلفته في المنزل فقال ابعت من يجيئك به فقبل الصلح وأحسن جائزتي وسرح معي أمه وكانت صاحبة أمره قال فقدمت على نصر فلما نظر إلى قال مامثلك إلا كما قال الأول « فأرسل حكيمًا ولا توصه » فأخبرته فقال وقت وأذن لأمه عليه وجعل يكلمها والترجمان يعبر عنها فدخل تميم بن نصر فقال للترجمان قل لها تعرفين

هذا فقالت لا فقال هذا تميم بن نصر فقالت والله ما أرى له حلاوة الصغير ولا نبل الكبير قال أبو إسحاق بن ربيعة قالت لنصر كل ملك لا يكون عنده ستة أشياء فليس بملك وزير يباهه بنيات نفسه وما شجر في صدره من الكلام ويشاوره ويشق بنصيحته وطباخ إذا لم يشته الطعام اتخذ له ما يشتهي وزوجة إذا دخل عليها مغتما فنظر إلى وجهها زال غمه وحصن إذا فزع أو جهر فزع إليه فأنجاه تعنى البرذون وسيف إذا قارع الأقران لم يخش حياته وذخيرة إذا حملها فأين وقع بها من الأرض عاش بها ثم دخل تميم بن نصر في مرفلة وجماعة فقالت من هذا قالوا هذا قتي خراسان هذا تميم بن نصر قالت ماله نبل الكبار ولا حلاوة الصغار ثم دخل الحجاج بن قتيبة فقالت من هذا فقالوا الحجاج بن قتيبة قال قتيبة وسألت عنه وقالت يا معشر العرب مالكم وفاء لا يصلح بعضكم لبعض قتيبة الذي وطن لكم ما أرى وهذا ابنه تقدمه دونك فحكك أن تجلسه هذا المجلس وتجلس أنت مجلسه (وحج) بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي كذلك قال أبو معشر حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عنه وكذلك قال الواقدي وغيره وكان عامل هشام بن عبد الملك على المدينة ومكة والطائف في هذه السنة محمد بن هشام وعامله على العراق كله يوسف بن عمر وعامله على آذربيجان وأرمينية مروان بن محمد وعلى خراسان نصر بن سيار وعلى قضاء البصرة عامر بن عبيدة وعلى قضاء الكوفة ابن شبرمة

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك مقتل زيد بن علي

ذكر الخبر عن ذلك

ذكر هشام عن أبي مخنف أن زيد بن علي لما أمر أصحابه بالتأهب للخروج والاستعداد أخذ من كان يريد الوفاء له بالبيعة فيما أمرهم به من ذلك فانطلق

(٣٢ - ٥)

سليمان بن سراقه البارقى إلى يوسف بن عمر فأخبره خبره وأعلمه أنه يختلف إلى رجل منهم يقال له عامر وإلى رجل من بني تميم يقال له طعمة ابن أخت لبارق وهو نازل فيهم فبعث يوسف يطلب زيد بن علي في منزلها فلم يوجد عندهما وأخذ الرجلان فأتى بهما فلما كلفهما استيان له أمر زيد وأصحابه وتخوف زيد بن علي أن يؤخذ فتعجل قبل الأجل الذى جعله بينه وبين أهل الكوفة قال وعلي أهل الكوفة يؤمئذ الحكم بن الصلت وعلي شرطه عمرو بن عبد الرحمن رجل من القارة وكانت ثقيف أخواله وكان فيهم ومعه عبيد الله بن العباس الكندى فى أناس من أهل الشام ويوسف بن عمر بالحيرة قال فلما رأى أصحاب زيد بن علي الذين بايعوه أن يوسف بن عمر قد بلغه أمر زيد وأنه يدس إليه ويستبحث عن أمره اجتمعت إليه جماعة من رؤوسهم فقالوا رحمك الله ما قولك فى أبى بكر وعمر قال زيد رحمهما الله وغفر لهما ما سمعت أحدا من أهل بيتى يتبرأ منهما ولا يقول فيما إلا خيرا قالوا فلم تطالب إذا بدم أهل هذا البيت إلا أن وثبا على سلطانكم فنزعا من أيديكم فقال لهم زيد إن أشد ما أقول فيما ذكرتم إنا كنا أحق بسلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس أجمعين وإن القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه ولم يباغ ذلك عندنا بهم كفرا قد ولوا فعدلوا فى الناس وعملوا بالكتاب والسنة قالوا فلم يظلمك هؤلاء إذا كان أولئك لم يظلموك فلم تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين فقال إن هؤلاء ليسوا كأوائك إن هؤلاء ظالمون لى ولكم ولا أنفسهم وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإلى السنن أن تحيا وإلى البدع أن تطفأ فإن أنتم اجتمعونا سعدتم وإن أنتم أبيتتم فليست عليكم بوكيل ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا سبق الإمام وكانوا يزعمون أن أبا جعفر محمد بن علي أخا زيد بن علي هو الإمام وكان قد هلك يومئذ وكان ابنه جعفر بن محمد حيا فقالوا جعفر إمامنا اليوم بعد أبيه وهو أحق بالأمر بعد أبيه ولا تتبع زيد بن علي فليس بإمام فسماهم زيد الرافضة فهم اليوم يزعمون أن الذى سماهم الرافضة المغيرة حيث فارقوه وكانت طائفة منهم قبل خروج زيد مروا

إلى جعفر بن محمد بن علي فقالوا له إن زيد بن علي فينا يبايع أقرى لنا أن نبايعه فقال لهم نعم بايعوه فهو والله أفضلنا وسيدنا وخيرنا فجاؤا فكتموا ما أمرهم به قال واستتب لزيد بن علي خروجه فواعد أصحابه ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة ١٢٢ وبلغ يوسف بن عمر أن زيدا قد أزمع على الخروج فبعث إلى الحكم ابن الصلت فأمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم يحصرهم فيه فبعث الحكم إلى العرفاء والشروط والمناكب والمقاتلة فأدخلهم المسجد ثم نادى مناديه ألا إن الأمير يقول من أدركناه في رحله فقد برئت منه الذمة ادخلوا المسجد الأعظم فأتى الناس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد بيوم وطلبوا زيدا في دار معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري فخرج ليلا وذلك ليلة الأربعاء في ليلة شديدة البرد من دار معاوية بن إسحاق فرفعوا الهراذي فيها النيران ونادوا يا منصور أمت يا منصور فكلما أكلت النار هُرديا رفعوا آخر فما زالوا كذلك حتى طلع الفجر فلما أصبحوا بعث زيد بن علي القاسم التنعي ثم الحضرمي ورجلا آخر من أصحابه يناديان بشعارهما فلما كانوا في صحراء عبد القيس لقيهم جعفر بن العباس الكندي فشدوا عليه وعلى أصحابه فقتل الرجل الذي كان مع القاسم التنعي وارتث القاسم فأتى به الحكم فكلمه فلم يرد عليه شيئا فأمر به فضربت عنقه على باب القصر فكان أول من قتل من أصحاب زيد بن علي هو وصاحبه وأمر الحكم بن الصلت بدروب السوق فغلقت وغلقت أبواب المسجد على أهل الكوفة وعلى أرباع الكوفة يومئذ على ربيع أهل المدينة إبراهيم بن عبد الله بن جرير البجلي وعلى مذحج وأسد عمرو بن أبي بذر العبدى وعلى كندة وربيعة المنذر بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي وعلى تميم وحمدان محمد بن مالك الهمداني ثم الخيواني قال وبعث الحكم بن الصلت إلى يوسف بن عمر فأخبره الخبر فأمر يوسف مناديه فنادى في أهل الشام من يأتى الكوفة فيقترب من هؤلاء القوم فيأتيني بخبرهم فقال جعفر بن العباس الكندي أنا فركب في خمسين فارسا ثم أقبل حتى انتهى إلى جبانة سالم السلولى فاستخبرهم ثم رجع إلى يوسف

ابن عمر فأخبره فما أصبح خرج إلى تلّ قريب من الحيرة فنزل عليه ومعه قریش وأشراف الناس وعلى شرطته يومئذ العباس بن سعيد المزني فبعث الريان بن سلبة الإراشيّ في ألفين ومعه ثلثمائة من القيقانية رجالا معهم النشاب وأصبح زيد ابن عليّ فكان جميع من وافاه تلك الليلة مائتي رجل وثمانية عشر رجلا فقال زيد سبحان الله أين الناس فقيل لهم في المسجد الأعظم محصورون فقال لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر وسمع نصر بن خزيمة النداء فأقبل إليه فلقى عمرو بن عبد الرحمن صاحب شرطة الحكم بن الصلت في خيله من جهينة عند دار الزبير بن أبي حكيم في الطريق الذي يخرج إلى مسجد بني عدى فقال نصر بن خزيمة يا منصور أمت فلم يرد عليه شيئاً فشد عليه نصر وأصحابه فقتل عمرو بن عبد الرحمن وانهمز من كان معه وأقبل زيد بن عليّ من جبانة سالم حتى انتهى إلى جبانة الصائدين وبها خمسمائة من أهل الشام فحمل عليهم زيد بن عليّ فيمن معه فهزمهم وكان تحت زيد بن عليّ يومئذ برذون أدهم بهيم اشتراه رجل من بني نهد بن كهمس بن مروان النجاري بخمسة وعشرين ديناراً فلما قتل زيد بعد ذلك أخذه الحكم بن الصلت قال وانتهى زيد بن عليّ إلى باب دار رجل من الأزد يقال له أنس بن عمرو وكان فيمن بايعه فزودي وهو في الدار فجعل لا يجيب فناداه زيد يا أنس أخرج إلى رحمتك الله فقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً فلم يخرج إليه فقال زيد ما أظفكم قد فعلتموها الله حسيبكم قال ثم إن زيدا مضى حتى انتهى إلى الكناسة فحمل على جماعة بها من أهل الشام فهزمهم ثم خرج حتى ظهر إلى الجبانة ويوسف بن عمر على التلّ ينظر إليه هو وأصحابه وبين يديه حزام بن مرة المزني وزمزم بن سليم الثعلبي وهما على المجففة ومعه نحو من مائتي رجل والله لو أقبل على يوسف لقتله والريان بن سلبة يتبع أثر زيد بن عليّ بالكوفة في أهل الشام ثم إن زيدا أخذ ذات اليمين على مصلى خالد بن عبد الله حتى دخل الكوفة وكانت فرقة من أصحاب زيد بن عليّ حيث وجه إلى الكناسة قد انشعبت نحو جبانة مخنف بن سليم ثم قال بعضهم لبعض ألا نتطلق نحو جبانة كندة قال فإزاد الرجل على أن تكلم بهذا

الكلام وطلع أهل الشام فلما رأوهم دخلوا زقاقا فمضوا فيه وتخلف رجل منهم فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين ثم خرج اليهم فقاتلهم ساعة ثم إنهم صرعوه فجعلوا يضربونه بأسيا ففهم فنادى رجل منهم فارس مقنع بالحديد أن اكشفوا المغفر ثم اضرَبوا رأسه بعمود حديد ففعلوا وقتل وحمل أصحابه عليهم فكشفوهم عنه وقد قتل وانصرف أهل الشام وقد اقتطعوا رجلا ونجا سائرهم فذهب ذلك الرجل حتى دخل دار عبد الله بن عوف فدخل أهل الشام عليه فأسروه فذهب به إلى يوسف بن عمر فقتله قال وأقبل زيد بن علي وقد رأى خذلان الناس إياه فقال يا نصر بن خزيمه أتخاف أن يكونوا قد جعلوها حسينية فقال له جعلني الله لك الفداء أما أنا فوالله لا ضربت معك بسيفي هذا حتى أموت فكان قتاله يومئذ بالكوفة ثم إن نصر بن خزيمه قال لزيد بن علي جعلني الله لك الفداء إن الناس في المسجد الأعظم محصورون فامض بنا نحوهم نخرج بهم زيد نحو المسجد فر على دار خالد ابن عرفطة وبلغ عبيد الله بن العباس الكندي إقباله فخرج في أهل الشام وأقبل زيد فالتقوا على باب عمر بن سعد بن أبي وقاص فكع صاحب لواء عبيد الله وكان لوائه مع سليمان مولاة فلما أراد عبيد الله الحملة وراه قد كع عنه قال احمل يا ابن الخبيثة فحمل عليهم فلم ينصرف حتى خضب لوائه بالدم ثم إن عبيد الله برز فخرج إليه واصل الخناط فاضطربا بسيفيهما فقال للأحول خذها مني وأنا الغلام الخناط وقال الآخر قطع الله يدي إن كُلتَ بقفيز أبدا ثم ضربه فلم يصنع شيئا وانهمز عبيد الله بن العباس وأصحابه حتى انتهوا إلى دار عمرو من حريث وجاء زيد وأصحابه حتى انتهوا إلى باب الفيل فجعل أصحاب زيد يدخلون راياتهم من فوق الأبواب ويقولون يا أهل المسجد اخرجوا وجعل نصر بن خزيمه يناديهم ويقول يا أهل الكوفة اخرجوا من الذل إلى العز اخرجوا إلى الدين والدنيا فانكم لستم في دين ولا دنيا فأشرف عليهم أهل الشام فجعلوا يرمونهم بالحجارة من فوق المسجد وكان يومئذ جمع كبير بالكوفة في نواحيها وقيل في جبانة سالم وانصرف الريان بن سلة إلى الحيرة عند المساء وانصرف زيد بن علي فيمن معه وخرج

اليه ناس من أهل الكوفة قتل دار الرزق فأتاه الريان بن سلة فقاتله عند دار الرزق قتالا شديداً فخرج من أهل الشام وقتل منهم ناس كثير وتبعهم أصحاب زيد من الرزق حتى انتهوا إلى المسجد فرجع أهل الشام مساء يوم الأربعاء أسوأ شيء ظنا فلما كان من الغد غداة يوم الخميس دعا يوسف بن عمر الريان بن سلة فلم يوجد حاضراً تلك الساعة وقال بعضهم بل أتاه وليس عليه سلاحه فأقف به وقال له أف لك من صاحب خيل اجلس فدعا العباس بن سعيد المزني صاحب شرطته فبعثه في أهل الشام فسار حتى انتهى إلى زيد بن علي في دار الرزق وشم خشب للنجار كثير فالطريق متضيق وخرج زيد في أصحابه وعلي مجنبيه نصر بن خزيمة العبسي ومعاوية بن اسحاق الأنصاري فلما رأهم العباس ولم يكن معه رجال نادى يا أهل الشام الأرض الأرض فنزل ناس كثير ممن معه فاقتلوا قتالا شديداً في المعركة وقد كان رجل من أهل الشام من بني عبس يقال له نائل بن فروة قال ليوسف ابن عمر والله لئن أنا ملأت عيني من نصر بن خزيمة لأقتلنه أو ليقتلني فقال له يوسف خذ هذا السيف فدفع إليه سيفاً لا يمر بشيء إلا قطعه فلما التقى أصحاب العباس بن سعيد وأصحاب زيد واقتتلوا بصر نائل بن فروة بنصر بن خزيمة فأقبل نحوه فضرب نصراً فقطع فخذه وضربه نصر ضربة فقتله فلم يلبث نصر أن مات واقتلوا قتالا شديداً ثم إن زيد بن علي هزمهم وقتل من أهل الشام نحواً من سبعين رجلاً فانصرفوا وهم بشر حال وقد كان العباس بن سعيد نادى في أصحابه أن اركبوا فإن الخيل لا تطيق الرجال في المضيق فركبوا فلما كان العشي عبأهم يوسف بن عمر ثم سرحهم فأقبلوا حتى التقواهم وأصحاب زيد فحمل عليهم زيد في أصحابه فكشفهم ثم تبعهم حتى أخرجهم إلى السبخة ثم شد عليهم بالسبخة حتى أخرجهم إلى بني سليم ثم تبعهم في خيله ورجاله حتى أخذوا على المسناة ثم إن زيدا أظهر لهم فيما بين بارق ورؤاس فقاتلهم هناك قتالا شديداً وصاحب لوائه يومئذ رجل يقال له عبد الصمد بن أبي مالك بن مسروح من بني سعد بن زيد حليف العباس بن عبد المطلب وكان مسروح السعدي تزوج صفية بنت العباس بن عبد المطلب فجعلت خيلهم لا تثبت لحيله ورجله فبعث العباس إلى يوسف بن عمر

يعله ذلك فقال له ابعت إلى الناشبة فبعث اليهم سليمان بن كيسان الكلبي في الفيقانية والبخارية وهم ناشبة فجعلوا يرمون زيدا وأصحابه وكان زيد حريصا على أن يصر ففهم حين انتهوا إلى السبخة فأبوا عليه فقاتل معاوية بن إسحاق الأنصاري بين يدي زيد بن علي قتالا شديدا فقتل بين يديه وثبت زيد بن علي ومن معه حتى إذا جنح الليل رمي بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى فتشبث في الدماغ فرجع ورجع أصحابه ولا يظن أهل الشام أنهم رجعوا إلا للساء والليل قال فحدثني سلة ابن ثابت اللبثي وكان مع زيد بن علي وكان آخر من انصرف من الناس يومئذ هو و غلام لمعاوية بن إسحاق قال أقبلت أنا وصاحبي نقص أتر زيد بن علي فنجدته قد أنزل وأدخل بيت حران بن كريمة مولى لبعض العرب في سكة البريد في دور أرحب وشاكر قال سلة بن ثابت فدخلت عليه فقلت له جعلني الله فداك أبا الحسين وانطلق أصحابه فجاءوا بطبيب يقال له شقير مولى لبني رؤاس فانزع النصل من جبهته وأنا أنظر إليه فوالله ما عدا أن انزعه جعل يصيح ثم لم يلبث أن قضى فقال القوم أين تدفنه وأين نواريه فقال بعض أصحابه نلبسه درعه ونطرحه في الماء وقال بعضهم بل نحتر رأسه ونضعه بين القتلى فقال ابنته يحيى لا والله لأننا كل لحم أبي الكلاب وقال بعضهم لا بل نحمله إلى العباسية فندفنه قال سلة فأشرت عليهم أن ننطلق به إلى الحفرة التي يؤخذ منها الطين فندفنه فيها فقبلوا رأيي وانطلقنا وحفرنا له بين حفرتين وفيه حيلند ماء كثير حتى إذا نحن أمكنا له دفناه وأجرينا عليه الماء وكان معنا عبد له سندی قال ثم انصرفنا حتى نأى جباته السبيع ومعنا ابنته فلم نزل بها وتصعد الناس عنا وبقيت في رهط معه لأنكون عشرة فقلت له أين تريد هذا الصبح قد غشيك ومعك أبو الصبار العبدى قال فقال النهرين فقلت له إن كنت إنما تريد النهرين فظننت أنه يريد أن يتشطط الفرات ويقاتلهم فقلت له لا تبرح مكانك تقاتلهم حتى تقتل أو يقضى الله ما هو قاض فقال لي أنا أريد نهرى كربلاء فقلت له فالنجاء قبل الصبح فخرج من الكوفة وأنا معه وأبو الصبار ورهط معنا فلما خرجنا من الكوفة سمعنا أذان

المؤذنين فصلينا الغداة بالذخيلة ثم توجهنا سراعا قبل نينوى فقال لي إني أريد سابقا مولى بشر بن عبد الملك بن بشر فأسرع السير وكنت إذا لقيت القوم أستطعمهم فأطعم الأرعنة فأطعمها إياه فياكل كل وأنا كل معه فانتبهنا إلى نينوى وقد أظلمنا فأتينا منزل سابق فدعوت على الباب فخرج إلينا فقات له أما أنا فأتى الفيوم فأكون به فإذا بدا لك أن ترسل إلى فأرسل قال ثم إني مضيت وخلفته عند سابق فذلك آخر عهدى به قال ثم إن يوسف بن عمر بعث أهل الشام يطلبون الجرحى في دور أهل الكوفة فكانوا يخرجون النساء إلى صحن الدار ويطوفون البيت يلمسون الجرحى قال ثم دل غلام زيد بن علي السندی يوم الجمعة على زيد فبعث الحكم بن الصلت العباس بن سعيد المزي وأبن الحكم بن الصلت فانطلقا فاستخرجاه ففكره العباس أن يغاب عليه ابن الحكم بن الصلت فتركه وسرح بشيرا إلى يوسف بن عمر غداة يوم الجمعة برأس زيد بن علي مع الحجاج بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل فقال أبو الجويرية مولى جهنة

قُلْ لِلَّذِينَ انْتَهَكُوا الْمُحَارِمَ وَرَفَعُوا الشَّمْعَ بِصَحْرًا سَالِمًا
كَيْفَ وَجَدْتُمْ وَقَةَ الْآكَارِمَ يَا يُوسُفَ بْنَ الْحَكَمِ بْنِ الْقَاسِمِ

قال ولما أتى يوسف بن عمر البشير أمر يزيد فصاب بالكناسة هو ونصر بن خزيمه ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري وزياد النهدي وكان يوسف قد نادى سن جاء برأس فله خمسمائة درهم فجاء محمد بن عباد برأس نصر بن خزيمه فأمر له يوسف بن عمر بألف درهم وجاء الأ حول مولى الأشعر بن برأس معاوية بن إسحاق فقال أنت قتلت فقال أصلح الله الأمير ليس أنا قتلتها ولكن رأيت فرفته فقال اعطوه سبعمائة درهم ولم يمنع أن يتم له ألفا إلا أنه زعم أنه لم يقتله وقد قيل إن يوسف بن عمر لم يعلم بأمر زيد ورجوعه من الطريق إلى الكوفة بعد ما شخص إلا بإعلام هشام بن عبد الملك إياه وذلك أن رجلا من بني أمية كتب فيما ذكر إلى هشام يذكر له أمر زيد فكتب هشام إلى يوسف يشتمه ويجهله ويقول أنك لغافل رزيد غاوز ذنبه بالكوفة يبايع له فالجج في طلبه فأعطه الأمان فان لم يقبل

فقاتله فكتب يوسف إلى الحكم بن الصلت من آل أبي عقيل وهو خليفته على الكوفة بطلبه فطلبه نفخى عليه موضعه فدس يوسف مملوكا له خراسانيا الكن وأعطاه خمسة آلاف درهم وأمره أن يلطف لبعض الشيعة فيخبره أنه قد قدم من خراسان حبا لأهل البيت وأن معه مالا يريد أن يقويهم به فلم يزل المملوك يلقى الشيعة ويخبرهم عن المال الذي معه حتى أدخلوه على زيد فخرج فدل يوسف على موضعه فوجه يوسف إليه الخيل فنادى أصحابه بشعارهم فلم يجتمع إليه منهم إلا ثلثمائة أو أقل فجعل يقول كان داود بن علي أعلم بكم قد حذرتني خذلانكم فلم أحتذروا قيل إن الذي دل علي موضع زيد الذي كان دُفن فيه وكان دُفن في نهر يعقوب فيما قيل كان أصحابه قد سكروا النهر ثم حفروا له في بطنه فدفنوه في ثيابه ثم أجروا عليه الماء عند قصر كان به فاستجعل جعلاً على أن يدلهم على موضعه ثم دلهم فاستخرجوه فقطعوا رأسه وصلبوا جسده ثم أمروا بحراسته لثلاثين يوماً فمكث يُحرَس زماناً وقيل إنه كان فيمن يحرسه زهير بن معاوية أبو خيشمة وبعث برأسه إلى هشام فأمر به فنصب على باب مدينة دمشق ثم أرسل به إلى المدينة ومكث البدن مصلوباً حتى مات هشام ثم أمر به الوليد فأنزل وأحرق وقيل إن حكيم بن شريك كان هو الذي سعى بزيد إلى يوسف فأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فإنه قال في أمر يحيى بن زيد لما قتل زيد عمه رجل من بني أسد إلى يحيى بن زيد فقال له قد قتل أبوك وأهل خراسان لكم شيعة فالرأي أن تخرج إليها قال وكيف لي بذلك قال تتوارى حتى يكف عنك الطلب ثم تخرج فواراه عنده ليلة ثم خاف فأتى عبد الملك بن بشر بن مروان فقال له إن قرابة زيد بك قريبة وحقه عليك واجب قال له أجل ولقد كان العفو عنه أقرب إلى التقوى قال فقد قتل وهذا ابنه غلاماً حدثاً لا ذنب له وإن علم يوسف بن عمر بمكانه قتله فتجيره وتواريه عندك قال نعم وكرامة فاتاه به فواراه عنده فبلغ الخبر يوسف فأرسل إلى عبد الملك قد بلغني مكان هذا الغلام عندك وأعطى الله عهداً لئن لم تأتني به لا كبتن فيك إلى أمير المؤمنين فقال له عبد الملك أذاك الباطل والزور أنا وأواري من ينازعني

سلطاني ويدعى فيه أكثر من حتى ما كنت أخشاك على قبول مثل هذا على ولا
الاستماع من صاحبه فقال صدق والله ابن بشر ما كان ليوارى مثل هذا ولا
يستر عليه فكف عن طلبه فلما سكن الطلب خرج يحيى في نفر من الزيدية إلى
خراسان وخطب يوسف بعد قتل زيد بالكوفة فقال يا أهل الكوفة ان يحيى
ابن زيد ينتقل في حبال نساءكم كما كان يفعل أبوه والله لو بدا لي صفحته لعرفت
خصييه كما عرفت خصي أبيه ٥ وذكر عن رجل من الأنصار قال لما جرى برأس
زيد فُصلب بالمدينة في سنة ١٢٣ أقبل شاعر من شعراء الأنصار فقام بحياله فقال

ألا يا ناقض الميثا قِ أبشر بالذى ساكا

نقضت العهد والميثا قِ قدما كان قدماكا

لقد أخلف إبليس ال ذى قد كان مناكا

قال فقيل له ويلك أتقول هذا لمثل زيد فقال ان الأمير غضبان فأردت أن

أرضيه فرد عليه بعض شعرائهم

ألا يا شاعر السوء لقد أصيحت أفاكا

أتشيم ابن رسول الله وترضى من تولاكا

ألا صبحك الله بخزي ثم مساك

ويوم الحشر لا شك بأن النار مشواكا

وقيل كان خراش بن حوشب بن يزيد الشيباني على شرط يوسف بن عمر

فهو الذى نبش زيدا وصلبه فقال السيد

بت ليلي مسهدا ساهر الطرف مقصدا

ولقد قلت قولة وأطلت التبلا

لعن الله حوشبا وخراشا ومنزدا

٥ ويبدأ فإنه كان أعتى وأعدا

ألف ألف وألف ألف من اللعن سمردا

لأنهم حاربوا إلاة وآذوا محمدا

شركوا في دم المطهر زيد تعندا
ثم عالوه فوق جذع صريعا مجردا
يا خراش بن حوشب أنت أشقى الورى غدا

(قال أبو مخنف) ولما قتل يوسف زيد بن علي أقبل حتى دخل الكوفة
فصعد المنبر فقال يا أهل المدرة الخبيثة انى والله ما تقرن بي الصعبة ولا يقع على
بالشنان ولا أخوف بالذئب هيات حبيت بالساعد الأشدأ بشروا يا أهل الكوفة
بالصغار والهوان لا عطاء لكم عندنا ولا رزق ولقد هممت أن أخرب بلادكم
ودوركم وأحرمكم أموالكم أم والله ما علوت منبري إلا أسمعتم ما نكرهون
عليه فانكم أهل بغى وخلاف ما منكم الا من حارب الله ورسوله الا حكيم
ابن شريك المحاربي ولقد سألت أمير المؤمنين أن يأذن لي فيكم ولو أذن
لقتلت مقاتلتكم وسبيت ذراريكم (وفي هذه السنة) قتل كلثوم بن عياض القشيري
الذى كان هشام بن عبد الملك بعثه في خيول أهل الشام إلى إفريقية حيث وقعت
الفتنة بالبربر (وفيها) قتل عبد الله البطال في جماعة من المسلمين بأرض الروم
(وفيها) ولد الفضل بن صالح ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن علي (وفيها) وجه يوسف
ابن عمر ابن شبرمة على سجستان فاستقضى ابن أبي ليلى (وحج) بالناس في هذه
السنة محمد بن هشام المخزومي كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحق
ابن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وغيره وكانت عمال الأمصار في
هذه السنة العمال في السنة التي قبلها وقد ذكرناهم قبل إلا أن قاضي الكوفة كان
فيها ذكر في هذه السنة محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ماجرى بين أهل السند ونصر بن سيار من الصلح

ذكر الخبر عن ذلك وسببه

ذكر علي بن محمد عن شيوخه أن خاقان لما قتل في ولاية أسد تفرقت الترك في غارة بعضها على بعض فطمع أهل السغد في الرجعة إليها وانحاز قوم منهم إلى الشاش فلما ولي نصر بن سيار أرسل إليهم يدعوهم إلى الفيئة والمراجعة إلى بلادهم وأعطاهم كل ما أرادوا قال وكانوا سألوا شروطا أنكرها أمراء خراسان منها أن لا يعاقب من كان مسلما وارتد عن الاسلام ولا يعدى عليهم في دين لأحد من الناس ولا يؤخذون بقبالة عليهم في بيت المال ولا يؤخذ أسراء المسلمين من أيديهم إلا بقضية قاض وشهادة العدول فعاب الناس ذلك على نصر وكتبوه فقال أم والله لو عاينتم شوكتهم في المسلمين ونكايتهم مثل الذي عاينت ما أنكرتم ذلك فأرسل رسولا إلى هشام في ذلك فلما قدم الرسول أبي أن ينفذ ذلك لنصر فقال الرسول جربت يا أمير المؤمنين حربنا وصاحبنا فاختر لنفسك فغضب هشام فقال الأبرش الكلبي يا أمير المؤمنين تألف القوم واحمل لهم فقد عرفت نكايتهم كانت في المسلمين فأنفذ هشام ماسأل (وفي هذه السنة) أوفد يوسف بن عمر الحكم بن الصلت إلى هشام بن عبد الملك يسأله ضم خراسان إليه وعزل نصر بن سيار

ذكر الخبر عن سبب ذلك وما كان من الأمر فيه

ذكر علي بن شيوخه قال لما طالت ولاية نصر بن سيار ودانت له خراسان كتب يوسف بن عمر إلى هشام حسدا له أن خراسان ديرة ديرة فإن رأى أمير المؤمنين أن يضمها إلى العراق فأسرح إليها الحكم بن الصلت فإنه كان مع الجنيد وولي جسيم أعماله فأعمر بلاد أمير المؤمنين بالحكم وأنا باعك الحكم بن الصلت إلى أمير المؤمنين فإنه أديب أريب ونصيحته لأمر المؤمنين مثل نصيحتنا ومودتنا أهل البيت فلما أتى هشام كتابه بعث إلى دار الضيافة فوجد فيها مقاتل ابن علي السعدي فأتوه به فقال أمن خراسان أنت قال نعم وأنا صاحب الترك قال وكان قدم على هشام بخمسين ومائة من الترك فقال أتعرف الحكم بن الصلت

قال نعم قال فما ولي بخراسان قال ولي قرية يقال لها الفارياب خراجها سبعون ألفاً فأسره الحارث بن سريج قال ويحك وكيف أفلت منه قال عرك أذنه وقفده وخلي سبيله قال فقدم عليه الحكم بعد بخراج العراق فرأى له جمالا وبيانا فكتب إلى يوسف أن الحكم قدم وهو على ما وصفت وفيما قبلك له سعة واخل الكنانى وعمله (وفي هذه السنة) غزا نصر فرغانة غزوته الثانية فأوفد مغراء ابن أحرر إلى العراق فوقع فيه عند هشام

ذكر الخبر عن ذلك وما كان من هشام ويوسف بن عمر فيه

ذكر أن نصرا وجه مغراء بن أحرر إلى العراق وأفدا منصرفه من غزوته الثانية فرغانة فقال له يوسف بن عمر يا ابن أحرر يغلبكم ابن الأقطع يامعشر قيس على سلطانكم فقال قد كان ذلك أصلح الله الأمير قال فإذا قدمت على أمير المؤمنين فأبقر بطنه فقدموا على هشام فسألهم عن أمر خراسان فتكلم مغراء فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر يوسف بن عمر بخير فقال ويحك أخبرني عن خراسان قال ليس لك جند يا أمير المؤمنين أغد ولا أنجد منهم من سرادق في السماء وفراسية مثل الفيل وُعُدَّة وِعَدَد من قوم ليس لهم قائد ويحك فما فعل الكنانى لا يعرف ولده من الكبر فرد عليه مقالة وبعث إلى دار الضيافة فأتى بشيل بن عبد الرحمن المازنى فقال له هشام أخبرني عن نصر قال ليس بالشيخ يخشى خرفه ولا الشاب يخشى سفهه المجرَّب المجرَّب قد ولي عامة ثغور خراسان وحروبها قبل ولايته فكتب إلى يوسف بذلك فوضع يوسف الأرصاء فلما انتهوا إلى الموصل تركوا طريق البريد وتكادوا حتى قدموا يهق وقد كتب إلى نصر بقول شيل وكان إبراهيم بن بسام في الوغد فمكر به يوسف ونعى له نصرا وأخبره أنه قد ولي الحكم بن الصلت بن أبي عقيل خراسان فقسم له إبراهيم خراسان كله حتى قدم عليه إبراهيم بن زياد رسول نصر فعرف أن يوسف قد مكر به وقال أهلكتني يوسف وقيل إن نصرا أوفد مغراء وأوفد معه حملة بن نعيم الكلبي فلما قدموا على يوسف أطمع يوسف مغراء إن هو ينقص نصرا عند هشام أن يوليه السند فلما قدما عليه ذكر مغراء

بأس نصر ونجدته ورأيه وأطنب في ذلك ثم قال لو كان الله متعامنه ببقية فاستوى هشام جالسا ثم قال ببقية ماذا قال لا يعرف الرجل إلا بجرمه ولا يفهم عنه حتى يدنى منه وما يكاد يفهم صوته من الضعف لأجل كبره فقام حملة الكلابي فقال يا أمير المؤمنين كذب والله ما هو كما قال هو وهو فقال هشام ان نصر ليس كما وصف وهذا امر يوسف بن عمر حسد النصر وقد كان يوسف كتب الى هشام يذكر كبر نصر وضعفه ويذكر له سلم بن قتيبة فكتب اليه هشام أنه عن ذكر الكنانى فلما قدم مغراء على يوسف قال له قد علمت بلاء نصر عندي وقد صنعت به ما قد علمت فليس لي في صحبته خير ولا لي بخراسان مقام فأمرني بالمقام فكتب إلى نصر إنى قد حولت اسمه فأشخص إلى من قبلك من أهله وقيل إن يوسف لما أمر مغراء بعيب نصر قال كيف أعيبه مع بلائه وآثاره الجميلة عندي وعند قومي فلم يزل به فقال فيم أعيبه أعيب تجربته أم طاعته أو يُمن نقيته أو سياسته قال عبه بالكبر فلما دخل على هشام تكلم مغراء فذكر نصرأ بأحسن ما يكون ثم قال في آخر كلامه لولا فاستوى هشام جالسا فقال ما لولا قال لولا أن الدهر قد غلب عليه قال ما بلغ به ويحك الدهر قال ما يعرف الرجل إلا من قريب ولا يعرفه إلا بصوته وقد ضعف عن الغزو والركوب فشق ذلك على هشام فتكلم حملة بن نعيم فلما بلغ نصر أقول مغراء بعث هارون بن السياوش إلى الحكم بن نميلة وهو في السر أجين يعرض الجند فأخذ برجله فسحبه عن طنفسة له وكسر لواءه على رأسه وضرب بطنفسته وجهه وقال كذاك يفعل الله بأصحاب الغدره وذكر علي بن محمد عن الحارث بن أفلح بن مالك بن أسماء بن خارجة لما ولي نصر خراسان أدنى مغراء بن أحر بن مالك بن سارية النيرى والحكم ابن نميلة بن مالك والحجاج بن هارون بن مالك وكان مغراء بن أحر النيرى رأس أهل قنسرين فأثر نصر مغراء وسنى منزلته وشفعه في حوائجه واستعمل ابن عمه الحكم بن نميلة على الجوزجان ثم عقد للحكم على أهل العالية وكان أبوه بالبصرة عليهم وكان بعده عكابة بن نميلة ثم أوفد نصر وفداً من أهل الشام وأهل خراسان وصير عليهم مغراء وكان في الوفد حملة بن نعيم الكلابي فقال عثمان بن صدقة بن وثاب

لمسلم بن عبد الرحمن بن مسلم عامل طخارستان

خَيْرِنِي مُسْلِمٌ مَرَاكِبُهُ قُلْتُ حَسْبِي مِنْ مُسْلِمٍ حَكْمًا
هَذَا قَتَى عَامِرٌ وَسَيِّدُهَا كَفَى بَيْنَ سَادَ عَامِرًا كَرَمًا

يعنى الحكم بن نميلة قال فتغير نصر لقيس وأوحشه ماصنع مغراء قال وكان أبو نميلة صالح الأبار مولى بنى عبس خرج مع يحيى بن زيد بن علي بن حسين فلم يزل معه حتى قتل بالجوزجان وكان نصر قد وجد عليه لذلك فأتى عبيد الله بن بسام صاحب نصر فقال :

قَد كُنْتُ فِي هِمَّةٍ حَيْرَانَ مُكْتَتِبًا حَتَّى كَفَانِي عُبَيْدُ اللَّهِ تَهْمَامِي
نَادَيْتُهُ قَدَمَا لِلْمَجْدِ مُبْتَهَجًا كَفَرَةَ الْبَدْرِ جَلِي وَجْهَ أَظْلَامِ
فَأَسْمُ بِرَائِي أَبِي لَيْثٍ وَصَوْلَتِهِ إِنْ كُنْتَ يَوْمَ حِفَاظِ بَامِرِي سَامِي
تَظْفَرُ يَدَاكَ بَيْنَ تَمَّتْ مُرْوَتُهُ وَانْخَصَّهُ رَبُّهُ مِنْهُ يَا كَرَامِ
مَاضِي الْعَزَائِمِ لَيْثِي مَضَارِبُهُ عَلَى الْكَرِيمَةِ يَوْمَ الرَّوْعِ مِقْدَامِ
لَا هَدِيرُ سَاحَةِ النَّادِي وَلَا مَذَلُّ فِيهِ وَلَا مُسْكِتُ إِسْكَاتِ إِخْطَامِ
لَهُ مِنْ الْجِلْمِ ثَوْبَاهُ وَمَجْلِسُهُ إِذَا الْمَجَالِسُ شَانَتْ أَهْلَ أَحْلَامِ

قال فأدخله عبيد الله على نصر فقال أبو نميلة أصلحك الله إني ضعيف فإن رأيت أن تأذن لراويتي فأذن له فأنشده :

فَازَ قِدْحُ الْكَلْبِيِّ فَأَعْتَقَدْتُ مَذَى رَأَى فِي سَعْيِهِ عُرُوقَ لَيْثِ
فَأَيْبِنِي تُنْمِرُ ثُمَّ أَيْبِنِي أَلْبَعْدِ مَغْرَاءُ أُمِّ لَصِيمِ
فَإِنْ كَانَ مِنْكُمْ مَا يَكُونُ أَلْ مَدْرُ وَالْكَفْرُ مِنْ خِصَالِ الْكَرِيمِ
وَأِنْ كَانَ أَصْلَهُ كَانَ عَبْدًا مَا عَلَيْكُمْ مِنْ غَدْرِهِ مِنْ شَتِيمِ
وَلَيْتَهُ لَيْتٌ وَأَيُّ وُلَاةٍ بِأَيَادِ بَيْضٍ وَأَمْرٍ عَظِيمِ
أَسْمَشُهُ حَتَّى إِذَا رَاحَ مَغْبُوبِ طَا بِخَيْرٍ مِنْ سَنِيهَا الْمَقْسُومِ
كَأَدِّ سَادَاتِهِ بِأَهْوَنَ مِنْ نَهْمِ قَهِّ عَيْرٍ بِقَفْرَةٍ مَرْقُومِ
فَضْرَبْنَا لِنَعِيرِنَا مَثَلِ الْكَا بِ ذِمِّهَا وَالذَّمُّ لِلْمَذْمُومِ

وَحَمِدْنَا لَيْثًا وَيَأْخُذُ بِالْقَضِ ل ذَوُرُ الْجُودِ وَالذَّنَى وَالْحُلُومِ
 فَاعْلَمُنْ يَا بَنِي الْقَسَاوِرَةِ الْغَا ب وَأَهْلَ الصَّفَا وَأَهْلَ الْحَطِيمِ
 أَنْ فِي شُكْرِ صَالِحِينَا لِمَا يَدُ حَضُ قَوْلَ الْمُرْهَقِ الْمَوْصُومِ
 قَدْ رَأَى اللَّهُ مَا أَتَيْتَ وَلَنْ يَنْدَ قَصَّ نَبْحِ الْكَلَابِ زُهْرَ النُّجُومِ

فلما فرغ قال نصر صدقت وتكلمت القيسية واعتذروا قال وأهان نصر قيساً
 وباعدهم حين فعل مغراء ما فعل فقال في ذلك بعض الشعراء:

لَقَدْ بَغَضَ اللَّهُ الْكِرَامَ إِلَيْكُمْ كَمَا بَغَضَ الرَّحْمَنُ قَيْسًا إِلَى نَصْرِ
 رَأَيْتُ أَبَا لَيْثٍ يُهَيِّنُ سَرَائِهِمْ وَيُدْنِي إِلَيْهِ كُلَّ ذِي وَالِثِ غُمَرٍ
 (وحيج) بالناس في هذه السنة يزيد بن هشام بن عبد الملك كذلك حدثني أحمد
 ابن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي أيضاً
 وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها وقد ذكرتهم قبل

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة

ذكر الأخبار عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك مقدم جماعة من شيعة بني العباس الكوفة يريدون مكة
 وشري بكير بن ماهان في قول بعض أهل السير أبا مسلم صاحب دعوة بني العباس
 من عيسى بن معقل العجلي

ذكر الخبر عن سب ذلك

وقد اختلف في ذلك فأما علي بن محمد فإنه ذكر أن حمزة بن طلحة السلي حدثه
 عن أبيه قال كان بكير بن ماهان كاتباً لبعض عمال السند فقدمها فاجتمعوا بالكوفة
 في دار فتمز بهم فأخذوا الخبس بكير وخلي من الباقيين وفي الحبس يونس أبو عاصم
 وعيسى بن معقل العجلي ومعه أبو مسلم يخدمه فدعاهم بكير فأجابوه إلى رأيه فقال
 لعيسى بن معقل ما هذا الغلام قال مملوك قال تبيعه قال هو لك قال أحب أن تأخذ
 ثمنه قال هو لك بما شئت فأعطاه أربع مائة درهم ثم أخرجوا من السجن فبعث به إلى

ابراهيم فدفعه ابراهيم إلى موسى السراج فسمع منه وحفظ ثم صار إلى أن اختلف إلى خراسان وقال غيره توجه سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ وقحطبة بن شبيب من خراسان وهم يريدون مكة في سنة ١٢٤ فلما دخلوا الكوفة أتوا عاصم بن يونس العجلي وهو في الحبس قد أتتهم بالدعاء إلى ولد العباس ومعه عيسى وادريس ابنا معقل حبسهما يوسف بن عمر فيمن حبس من عمال خالد ابن عبد الله ومعهما أبو مسلم يخدمهما فأروا فيه العلامات فقالوا من هذا قالوا غلام معنا من السراجين وقد كان أبو مسلم يسمع عيسى وادريس يتكلمان في هذا الرأي فاذا سمعها بكى فلبارأوا ذلك منه دعوه إلى ما هم عليه فأجاب وقبل (وفي هذه السنة) غزا سليمان بن هشام الصائفة فلقى ألبون ملك الروم فسلم وغتم (وفيها) مات في قول الواقدي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس (وحج) بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن اسماعيل كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وحج في هذه السنة عبد العزيز بن الحجاج ابن عبد الملك معه امرأته أم سلبية بنت هشام بن عبد الملك وذكر محمد بن عمران يزيد مولى أبي الزناد حدثه قال رأيت محمد بن هشام على بابها يرسل بالسلام والطفه على بابها كثيرة ويعتذر فتأبى حتى كان يأيس من قبول هديته ثم أمرت بقبضها وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عمالها في سنة ١٢٢ وفي سنة ١٢٣ وقد ذكرناهم قبل

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة ومن ذلك وفاة هشام ابن عبد الملك بن مروان فيها وكانت وفاته فيما ذكر أبو معشر لست ليال خلون من شهر ربيع الآخر كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه وكذلك قال الواقدي والمدائني وغيرهما غير أنهم قالوا كانت وفاته يوم الأربعاء (٣٣ - ٥)

لست ليال خلون من شهر ربيع الآخر فكانت خلافته في قول جميعهم تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأحد وعشرين يوماً في قول المدائني وابن الكلبي وفي قول أبي معشر وثمانية أشهر ونصفاً وفي قول الواقدي وسبعة أشهر وعشرة ليال واختلف في مبلغ سنه فقال هشام بن محمد الكلبي توفي وهو ابن خمس وخمسين سنة وقال بعضهم توفي وله اثنان وخمسون سنة وقال محمد بن عمر كان هشام يوم توفي ابن أربع وخمسين سنة وكانت وفاته بالرصافة وبها قبره وكان يكنى أبا الوليد ذكر الخبر عن العلة التي كانت بها وفاته

❁ حدثني أحمد بن زهير قال حدثني علي بن محمد قال حدثني شيبه بن عثمان قال حدثني عمرو بن كليع قال حدثني سالم أبو العلاء قال خرج علينا هشام بن عبد الملك يوماً وهو كئيب يعرف ذلك فيه مسترخ عليه ثيابه وقد أرخى عنان دابته فسار ساعة ثم انبته فجمع ثيابه وأخذ بعنان دابته وقال للربيع ادع الأبرش فدعى فسار بيني وبين الأبرش فقال له الأبرش يا أمير المؤمنين لقد رأيت منك شيئاً غمى قال وما هو قال رأيتك قد خرجت على حال غمى قال ويحك يا أبرش وكيف لا أغم وقد زعم أهل العلم أني ميت إلى ثلاثة وثلاثين يوماً قال سالم فرجعت إلى منزلي فكتبت في قرطاس زعم أمير المؤمنين يوم كذا وكذا أنه يسافر إلى ثلاثة وثلاثين يوماً فلما كان في الليلة التي استكمل فيها ثلاثة وثلاثين يوماً إذا خادم يدق الباب يقول أجب أمير المؤمنين واحمل معك دواء الذبحة وقد كان أخذه مرة فتعالج فأفاق فخرجتُ ومعى الدواء فتغرغر به فازداد الوجع شدة ثم سكن فقال لي يا سالم قد سكن بعض ما كنت أجد فأنصرف إلى أهلك وخلف الدواء عندي فأنصرفت فما كان إلا ساعة حتى سمعت الصراخ عليه قالوا مات أمير المؤمنين فلما مات أغلق الخزان الأبواب فطلبوا ققما يسخن فيه الماء لغسله فما وجدوه حتى استعاروا ققما من بعض الجيران فقال بعض من حضر ذلك إن في هذا لمعتراً لمن اعتبر وكانت وفاته بالذبحة فلما مات صلى عليه ابنه مسلمة بن هشام

ذكر بعض سير هشام

❦ حدثني أحمد بن زهير قال حدثني علي بن محمد عن وسنان الاعرجي قال حدثني ابن أبي نجيمة عن عقّال بن شبة قال دخلت على هشام وعليه قباء فنك أخضر فوجهني إلى خراسان وجعل يوصيني وأنا أنظر إلى القباء فقطن فقال مالك قلت رأيت عليك قبل أن تلي الخلافة قباء فنك أخضر فجعلت أتأمل هذا هو ذاك أم غيره فقال هو والله الذي لا إله إلا هو ذاك مالي قباء غيره وأماماترون من جمعي هذا المال وصونه فانه لكم قال وكان عقّال مع هشام فأما شبة أبو عقّال فكان مع عبد الملك بن مروان وكان عقّال يقول دخلت على هشام فدخلت على رجل محشو عقلا ❦ حدثني أحمد بن زهير قال حدثني علي قال قال مروان بن شجاع مولى لمروان بن الحكم كنت مع محمد بن هشام بن عبد الملك فأرسل إلى يوم ما فدخلت عليه وقد غضب وهو يتلهف فقلت مالك فقال رجل نصراني شج غلامى وجعل يشتمه فقلت له على رسلك قال فما أصنع قلت ترفعه إلى القاضى قال وما غير هذا قلت لا قال خصى له أنا أكفيك فذهب فضربه وبلغ هشام فطلب الخصى فعاذ بمحمد فقال محمد بن هشام لم أمرك وقال الخصى بلى والله لقد أمرتني فضرب هشام الخصى وشم ابنه ❦ وحدثني أحمد قال علي لم يكن أحد يسير في أيام هشام في موكب إلا مسلة بن عبد الملك قال ورأى هشام يوماً سالماً في موكب فزجره وقال لا أعلن متى سرت في موكب وكان يقدم الرجل الغريب فيسير معه فيقف سالم ويقول حاجتك ويمنعه أن يسير معه وكان سالم كأنه هو أمر هشاماً قال ولم يكن أحد من بني مروان يأخذ العطاء إلا عليه الغزو فمنهم من يغزو ومنهم من يخرج بدلاً قال وكان لهشام بن عبد الملك مولى يقال له يعقوب فكان يأخذ عطاء هشام مائتي دينار وديناراً يفضل بديناراً فيأخذها يعقوب ويغزو وكانوا يصيرون أنفسهم في أعوان الديوان وفي بعض ما يجوز لهم المقام به ويوضع به الغزو عنهم وكان داود وعيسى ابنا علي بن عبد الله ابن عباس وهما لأم في أعوان الشرق بالعراق لخالد بن عبد الله فأقاما عنده فوصلهما ولولا ذلك لم يستطع أن يجسهما فصيروهما في الأعوان فسمرا وكانا يسامرا

ويحدثانه قال فولى هشام بعض مواليه ضيعةً له فعمرها فجاءت بغلة عظيمة كبيرة ثم عمرها أيضا فأضعفت الغلة وبعث بها مع ابنة فقدم بها على هشام فأخبره خبر الضيعة فجزاه خيرا فرأى منه انبساطا فقال يا أمير المؤمنين إن لي حاجة قال وما هي قال زيادة عشرة دنانير في العطاء فقال ما يخيل إلى أحدكم أن عشرة دنانير في العطاء لا يقدر الجوز لا لعمري لا أفعلُ ❀ حدثني أحمد قال حدثنا علي قال قال جعفر ابن سليمان قال لي عبدالله بن علي جمعت دواوين بني مروان فلم أر ديوانا أصح ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام ❀ حدثنا أحمد قال قال علي قال غسان ابن عبد الحميد لم يكن أحد من بني مروان أشد حصرآ في أمر أصحابي ودواوينه ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام ❀ حدثني أحمد قال حدثنا علي قال قال حماد الأبح قال هشام لغيلان ويحك يا غيلان قد أكره الناس فيك فإزعنا بأمرك فإن كان حقا اتبعناك وإن كان باطلا نزعنا عنه قال نعم فدعا هشام ميمون بن مهران ليكلمه فقال له ميمون سل فإن أقوى ما يكون إذا سألتهم قال له أشاء الله أن يعصى فقال له ميمون أفعصى كارها فسكت فقال هشام أجه فلم يجبه فقال له هشام لا أقالني الله إن أقاته وأمر بقطع يديه ورجليه ❀ حدثني أحمد قال حدثنا علي عن رجل من غنى عن بشر مولى هشام قال أوتى هشام برجل عنده قبان وخر وبربط فقال اكسروا الطنبور على رأسه وضربه فيكي الشيخ قال بشر فقلت له وأنا أعزبه عليك بالصبر فقال أتراني أبكي للضرب إنما أبكي لاحتقاره للبربط إذ سماه طنبورا قال وأغلظ رجل له هشام فقال له هشام ليس لك أن تغلظ لإمامك قال وتفقد هشام بعض ولده ولم يحضر الجمعة فقال له ما منعك من الصلاة قال نفقت دابتي قال أفعجزت عن المشي فركت الجمعة فمنعه الدابة سنة قال وكتب سليمان بن هشام إلى أبيه إن بغلتي قد عجزت عني فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمرني بدابة فعل فكتب إليه قد فهم أمير المؤمنين كتابك وما ذكرت من ضعف دابتك وقد ظن أمير المؤمنين أن ذلك من قلة تعهدك لعلفها وأن علفها يضيع فتعهد دابتك في القيام عليها بنفسك ويرى أمير المؤمنين رأيه في حملتك قال وكتب إليه

بعض عماله انى قد بعثت إلى أمير المؤمنين بسلة رواقن فليكتب إلى أمير المؤمنين
 بوصولها فكتب اليه قد وصل إلى أمير المؤمنين الدراقن الذى بعثت به فأعجبه فزد
 أمير المؤمنين منه واسترتق من الوعاء قال وكتب إلى بعض عماله قد وصلت الكمأة
 التى بعثت بها إلى أمير المؤمنين وهى أربعون وقد تغير بعضها ولم توث فى ذلك الا من
 حشوها فإذا بعثت إلى أمير المؤمنين منها شيئاً فأجد حشوها فى الظرف الذى
 يجعلها فيه بالرمل حتى لا تضرب ولا يصيب بعضها بعضاً ❦ مثنى أحمد قال
 حدثنى على قال حدثنا الحارث بن يزيد قال حدثنى مولى لهشام قال بعثت معى مولى
 لهشام كان على بعض ضياعه بطيرين ظريفين فدخلت اليه وهو جالس على سرير
 فى عرصة الدار فقال أرسلهما فى الدار قال فأرسلتهما فنظر إليهما فقلت يا أمير المؤمنين
 جائزنى قال ويحك وما جائزة طيرين قلت ما كان قال خذ أحدهما فعدوت فى
 الدار عليهما فقال مالك قلت أختار خيرهما قال أختار أيضاً خيرهما وتدع شرهما
 لى دعهما ونحن نعطيك أربعين درهما أو خمسين درهما قال وأقطع هشام أرضاً
 يقال لها دورين فأرسل فى قبضها فإذا هى خراب فقال لذو يد كاتب كان بالشام
 ويحك كيف الحيلة قال ما تجعل لى قال أربعمائة دينار فكتب دورين وقرأها ثم
 أمضاها فى الدواوين فأخذ شيئاً كثيراً فلما ولى هشام دخل عليه ذويد فقال له
 هشام دورين وقرأها لا والله لا تلى لى ولا لىة أبداً وأخرجه من الشام ❦ مثنى
 أحمد قال حدثنا على عن عمير بن يزيد عن أبي خالد قال حدثنى الوليد بن خليل قال
 رآنى هشام بن عبد الملك وأنا على بردون طخارى فقال يا وليد بن خليل ما هذا
 البردون قلت حملنى عليه الجنيد فحسدنى وقال والله لقد كثرت الطخارية لقدمات
 عبد الملك فما وجدنا فى دوابه بردوناً طخارياً غير واحد فتنافسه بنو عبد الملك أيمهم
 يأخذه وما منهم أحد إلا يرى أنه إن لم يأخذه لم يرث من عبد الملك شيئاً قال وقال
 بعض آل مروان لهشام أطمع فى الخلافة وأنت بخيل جبان قال ولم لا أطمع
 فيها وأنا حلیم عفيف قال وقال هشام يوماً للأبرش أوضعت أعزك قال إى والله
 قال لكن أعزى تأخر ولادها فاخرج بنا إلى أعزك نصب من ألبانها قال

نعم أفأقدم قوما قال لا قال أفأقدم خباء حتى يضرب لنا قال نعم فبعث برجلين بخباء
فضرب وغدا هشام والأبرش وغدا الناس فقعد هشام والأبرش كل واحد منهما على
كرسي وقدم إلى كل واحد منهما شاة فخلب هشام الشاة بيده النار وقال تعلم يا أبرش
أني لم أبس الحلب ثم أمر بملة ففجنت وأوقد بيده ثم فصها وألقى الملة وجعل
يقالبها بالمحراث ويقول يا أبرش كيف ترى رفقي حتى نضجت ثم أخرجها وجعل
يضربها بالمحراث ويقول جبينك جبينك والأبرش يقول ليك ليك وهذا شيء
تقوله الصبيان إذا خبزت لهم الملة ثم تغدى وتغدى الناس ورجع قال وقدم عليه
ابن منظور اللبني على هشام فأنشده

زوراء بالأذنين ذات تسدر	قالت علية واعتزمت لرحلتي
كل عليك كبيرهم كالأصغر	أين الرحيل وأهل بيتك كلهم
لا في ترى مال ولا في معشر	فأصغر أمثال سل كان القطا
واليه يرخل كل عبد موقر	إني إلى ملك الشام لراجل
بندى الخليفة ذي الفعالي الأزهر	فلا تركنك إن حيت غنية
ومتى يصنه ندى الخليفة ينشر	إنا أناس ميت ديواننا

فقال له هشام هذا الذي كنت تحاول وقد أحسنت المسألة فأمر له بخمسة
درهم وألحق له عيلا في العطاء قال وأتى هشام محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن
الخطاب فقال مالك عندي شيء ثم قال إياك أن يغرك أحد فيقول لم يعرفك
أمير المؤمنين إني قد عرفتك أنت محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فلا
تقيمن وتنفق مامعك فليس لك عندي صلة فالحق بأهلك قال وقف هشام يوما
قريبا من حائط له فيه زيتون ومعه عثمان بن حيان المري وعثمان قائم يكاد رأسه
يوازي رأس أمير المؤمنين وهو يكلمه إذ سمع نفض الزيتون فقال لرجل انطلق إليهم
فقل لهم القطره لقطا ولا تنفضوه نفضا فتفقا عيونه وتكسر غصونه قال
وحج هشام فأخذ الأبرش مخشين ومعهم البرابط فقال هشام احبسوهم ويعوا
متاعهم فما أدري ما هو وصيروا ثمنه في بيت المال فاذا صلحو أفردوا عليهم الثمن

وكان هشام بن عبد الملك ينزل الرصافة وهي فيما ذكر من أرضي قنسرين وكان سبب نزوله إياها فيما حدثني أحمد بن زهير بن حرب عن علي بن محمد قال كان الخلفاء وأبناء الخلفاء ينتبذون ويهربون من الطاعون فينزلون البرية خارجا عن الناس فلما أراد هشام أن ينزل الرصافة قيل له لا تخرج فإن الخلفاء لا يطعنون لم ير خليفة طعن قال أتريدون أن تجربوا بي فنزل الرصافة وهي برية ابتنى بها قصرين والرصافة مدينة رومية بنتها الروم وكان هشام أحول ﴿﴾ فحدثني أحمد عن علي قال بعث خالد بن عبد الله إلى هشام بن عبد الملك بحداد فحدا بين يديه بأرجوزة أبي النجم

والشمس في الأفق كعين الأحولِ صغواءُ قد همتُ ولما تفعل
فغضب هشام وطرده ﴿﴾ وحدثني أحمد بن زهير قال حدثني علي بن محمد قال
حدثنا أبو عاصم الضبي قال مررتُ بمعاوية بن هشام وأنا أنظر إليه في رحبة
أبي شريك وأبو شريك رجل من العجم كانت تنسب إليه وهي مزرعة وقد اختبز
خبزة فوقف علي فقلتُ الغداء فنزل وأخرجتها فوضعتها في لبن فأكل ثم جاء
الناس فقلت من هذا قالوا معاوية بن هشام فأمر لي بصلة وركب وثار بين يديه
ثعلب فركض خلفه فما تبعه غلوة حتى عثر به فرسه فسقط فاحتلموه ميتة فقال
هشام تالله لقد أجمعت أن أرسحه للخلافة ويتبع ثعلبا قال وكانت عند معاوية بن
هشام ابنة إسماعيل بن جرير وامرأة أخرى فأخرج هشام كل واحدة منهما من
نصف الثمن بأربعين ألفا ﴿﴾ وحدثني أحمد بن زهير قال حدثنا علي قال قال فحزم
كاتب يوسف بعثني يوسف بن عمر إلى هشام بياقوتة حمراء نخرج طرفاها من
كفي ولؤلؤ حبه أعظم ما يكون من اللؤلؤ فدخلت عليه فدوت منه فلم أر وجهه
من طول السرير وكثرة الفرش فتناول الحجر والحبة فقال اكتب معك بوزنهما
قلت يا أمير المؤمنين هما أجل عن أن يكتب بوزنهما ومن أين يوجد مثلهما قال
صدقت وكانت بياقوتة للرائفة جارية خالد بن عبد الله اشتريتها بثلاثة وسبعين
ألف دينار ﴿﴾ وحدثني أحمد بن زهير قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال

حدثنا حسين بن يزيد عن شهاب بن عبد ربه عن عمرو بن علي قال مشيت مع محمد ابن علي إلى داره عند الحمام فقلت له إنه قد طال ملك هشام وسلطانه وقد قرب من العشرين وقد زعم الناس أن سليمان سأل ربه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فزعم الناس أنها العشرون فقال ما أدري ما أحاديث الناس ولكن أبي حدثني عن أبيه عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لن يعمر الله ملكا في أمة نبي مضى قبله ما بلغ بذلك النبي من العمر (وفي هذه السنة) ولي الخلافة بعد موت هشام بن عبد الملك الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وليها يوم السبت في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٥ في قول هشام بن محمد الكلبي وأما محمد بن عمر فانه قال استخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر من سنة ١٢٥ وقال في ذلك علي بن محمد مثل قول محمد بن عمر

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

ذكر الخبر عن بعض أسباب ولايته الخلافة

قد مضى ذكرى سبب عقد أبيه يزيد بن عبد الملك بن مروان له الخلافة بعد أخيه هشام بن عبد الملك وكان الوليد بن يزيد يوم عقد له أبوه يزيد ذلك ابن إحدى عشرة سنة فلم يمت يزيد حتى بلغ ابنه الوليد خمس عشرة سنة فقدم يزيد على استخلافه هشاما أخاه بعد وكان إذا نظر إلى ابنه الوليد قال الله بيني وبين من جعل هشاما بيني وبينك فتوفي يزيد بن عبد الملك وابن الوليد ابن خمس عشرة سنة وولي هشام وهو للوليد مكرم معظم مقرب فلم يزل ذلك من أمرهما حتى ظهر من الوليد بن يزيد مجنون وشرب الشراب حمله على ذلك فيما حدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد عن جويرية بن أسماء وإسحاق بن أيوب وعامر بن الأسود وغيرهم: عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني أخو عبد الله ابن عبد الأعلى وكان مؤدب الوليد واتخذ الوليد ندماء فأراد هشام أن يقطعهم عنه فولاه الحج سنة ١١٩ فحمل معه كلابا في صناديق فسقط منها صندوق

فيما ذكر علي بن محمد عن سميت من شيوخه عن البعير وفيه كلب فأجالوا على الكرى
السياط فأوجعوه ضرباً وحمل معه قبة عملها على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة
وحمل معه خمرأ وأراد أن ينصب القبة على الكعبة ويجلس فيها تخوفه أصحابه
وقالوا لا نأمن الناس عليك وعلينا معك فلم يحركها وظهر للناس منه تهاون
بالدين واستخفاف به وبلغ ذلك هشاماً فطمع في خلعه والبيعة لابنه مسلمة بن هشام
وأراده على أن يخلعها ويبيع لمسلمة فأبي فقال له اجعلها له من بعدك فأبي فتنكر له
هشام وأضربه وعمل سرا في البيعة لابنه فأجابه قوم قال فكان ممن أجابه خاله
محمد وإبراهيم ابنا هشام بن إسماعيل المخزومي وبنو القعقاع بن خليل العبسي
 وغيرهم من خاصته قال وتمادى الوليد في الشراب وطلب اللذات فأفرط فقال له
هشام ويحك يا وليدي والله ما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا ما تدع شيئاً من
المنكر إلا أتيت غير متحاش ولا مستتر به فكتب إليه الوليد

يا أيها السائلُ عن دِيننا نحن على دين أبي شاكِرٍ

نَشْرِبُها صِرْواً ومزوجةً بالسُّخْنِ أحياناً وبالْفاتِرِ

فغضب هشام على ابنه مسلمة وكان يكنى أباشاكر وقال له يعيرني بك الوليد
وأنا أرسحك للخلافة فالزم الأدب واحضر الجماعة وولاه الموسم سنة ١١٩ فأظهر
السك والوقار واللين وقسم بمكة والمدينة أموالاً فقال مولى لأهل المدينة
يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكِرٍ
الواهبِ الجردِ بأرسانها ليس بزندقٍ ولا كافِرٍ
يعرض بالوليد وأم مسلمة بن هشام أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي
العاص فقال الكعبيت

إن الخلافةَ كائنٌ أو تادها بعدَ الوليدِ إلى ابنِ أمِّ حكيمٍ

فقال خالد بن عبد الله القسري أنا بريء من خليفة يكنى أباشاكر فغضب مسلمة

ابن هشام على خالد فلما مات أسد بن عبد الله أخو خالد بن عبد الله كتب أبو شاكِرٍ

إلى خالد بن عبد الله بشعرهما به نوفل خالد وأخاه أسدا حين مات

أَرَاخَ مِنْ خَالِدٍ وَأَهْلَكَ رَبُّ أَرَاخَ الْعِبَادَ مِنْ أَسَدٍ
أَمَّا أَبُوهُ فَكَانَ مُوتَشَبِّهًا عَبْدًا لَنَا لَا عُبْدٌ قُفِدَ

وَبَعَثَ بِالطُّومَارِ مَعَ رَسُولٍ عَلَى الْبُرَيْدِ إِلَى خَالِدٍ فَظَنَّ أَنَّهُ عَزَاهُ عَنْ أَخِيهِ
فَقَضَى الْخَاتَمَ فَلَمْ يَرِ فِي الطُّومَارِ غَيْرَ الْهَجَاءِ فَقَالَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ تَعْزِيَةً وَكَانَ
هَشَامُ يَعِيبُ الْوَلِيدَ وَيَتَنَقَّصُهُ وَكَثُرَ عَيْبُهُ بِهِ وَبِأَصْحَابِهِ وَتَقْصِيرُهُ بِهِ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ
الْوَلِيدُ خَرَجَ وَخَرَجَ مَعَهُ نَاسٌ مِنْ خَاصَتِهِ وَمَوَالِيهِ فَنَزَلَ بِالْأَزْرَقِ بَيْنَ أَرْضِ
بَلْقِينِ وَفَزَارَةَ عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ الْأَغْدَفُ وَخَلَفَ كَاتِبَهُ عِيَاضُ بْنُ مُسْلِمٍ مَوْلَى
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِالرِّصَافَةِ فَقَالَ لَهُ أَكْتُبْ إِلَيَّ مَا يَحْدُثُ قَبْلَكُمْ وَأَخْرِجْ مَعَهُ
عَبْدَ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى فَشَرِبُوا يَوْمَافَلَمَّا أَخَذَ فِيهِمُ الشَّرَابُ قَالَ الْوَلِيدُ لِعَبْدِ الصَّمَدِ
يَا أَبَا وَهَبٍ قُلْ أَيَا تَأْتَا فَقَالَ

أَلَمْ تَرَ لِلنَّجْمِ إِذْ شُئِمَا يُبَادِرُ فِي بُرْجِهِ الْمَرْجِعَا
تَحِيرَ عَنْ قَصْدِ نَجْرَاتِهِ أَنَى الْغُورِ وَالْتِمَسَ الْمَطْلِعَا
فَقُلْتُ وَأَعْجَبَنِي شَأْنُهُ وَقَدْ لَاحَ إِذْ لَاحَ لِي مُطْمِعَا
لَعَلَّ الْوَلِيدَ دَنَا مُلْكُهُ فَأَمْسَى إِلَيْهِ قَدْ اسْتَجْمِعَا
وَكُنَّا نَوَمِّلُ فِي مَالِكِهِ كَتَامِيلِ ذِي الْجَذْبِ أَنْ يُمْرِعَا
عَقَدْنَا لَهُ مُحْكَمَاتِ الْأُمُورِ رِطُوعَا فَكَانَ لَهَا مَوْضِعَا

وَرَوَى الشَّعْرُ فَبَلَغَ هَشَامًا فَقَطَعَ عَنِ الْوَلِيدِ مَا كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ وَكُتِبَ إِلَى الْوَلِيدِ
بَلْغَنِي عَنْكَ أَنْكَ اتَّخَذْتَ عَبْدَ الصَّمَدِ خَدَنًا وَمَحَدَّثَا وَنَدِيمَا وَقَدْ حَقَّقْتُ ذَلِكَ عِنْدِي
مَا بَلْغَنِي عَنْكَ وَلَمْ أَبْرُثْكَ مِنْ سُوءٍ فَأَخْرِجْ عَبْدَ الصَّمَدِ مَذْمُومًا مَدْحُورًا فَأَخْرِجْهُ
وَقَالَ فِيهِ

لَقَدْ قَذَفُوا أَبَا وَهَبٍ بِأَمْرِ كَبِيرِ بَلِ يَزِيدُ عَلَى الْكَبِيرِ
فَأَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَذَبُوا عَلَيْهِ شَهَادَةَ عَالِمٍ بِهِمْ خَيْرِ

وَكُتِبَ الْوَلِيدُ إِلَى هَشَامٍ يُعْلِمُهُ إِخْرَاجَ عَبْدِ الصَّمَدِ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ بِمَا بَلَّغَهُ مِنْ
مَنَادِمَتِهِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذِنَ لِابْنِ سَهِيلٍ فِي الْخُرُوجِ إِلَيْهِ وَكَانَ ابْنُ سَهِيلٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ

وقد ولي دمشق غير مرة وكان ابن سهيل من خاصة الوليد فضرب هشام ابن سهيل وسيره وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد وبلغه أنه يكتب بالأخبار إلى الوليد فضربه ضرباً مبرحاً وألبسه المسوح فبلغ الوليد فقال من يثق بالناس ومن يصطنع المعروف هذا الاحول المشؤم قدمه أبي علي أهل بيته فصيره ولي عهده ثم يصنع بي ماترون لا يعلم أن لي في أحد هوى إلا عبث به كتب إلى أن أخرج عبد الصمد فأخرجته وكتبت إليه أن يأذن لابن سهيل في الخروج إلى فضربه وسيره وقد علم رأي فيه وقد علم انقطاع عياض بن مسلم إلى وتحرمه بي ومكانه مني وأنه كاتب فضربه وحبسه يضارني بذلك اللهم أجرني منه وقال

أنا النذيرُ لِمُسَدِي نَعْمَةٌ أَبَدًا إلى المقاريف ما لَمْ يَخْبِرِ الدَّخْلَا
 إن أنتَ أكرمتَهُمُ الْفَيْتَهُمُ بَطْرًا وإن أهنتَهُمُ الْفَيْتَهُمُ ذُلًّا
 أَتَشْمُخُونَ وَمَنَا رَأْسُ نَعْمَتِكُمْ سَتَعْمَلُونَ إِذَا كَانَتْ لَنَا دُولًا
 أَنْظِرْ فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى مَثَلِ له سوى الكلب فاضربه له مثلاً
 بَيْنَا يُسْمِنُهُ لِلصَّيْدِ صَاحِبُهُ حتى إذ ما نوى من بعد ما هزلاً
 عَدَا عَلَيْهِ فَلَمْ تَضُرَّهُ عَدْوَتُهُ ولو أطاق له أكلا لقد أكلاً

وكتب إلى هشام لقد بلغني الذي أحدث أمير المؤمنين من قطع ما قطع عنى ومحو ما محى من أصحابي وحرى وأهلى ولم أكن أخاف أن يتلى الله أمير المؤمنين بذلك ولا أبالي به منه فإن يكن ابن سهيل كان منه ما كان فيحسب العير أن يكون قدر الذئب ولم يبلغ من صنعى في ابن سهيل واستصلاحه وكتابى إلى أمير المؤمنين فيه كنه ما بلغ أمير المؤمنين من قطيعتى فإن يكن ذلك لشيء في نفس أمير المؤمنين على فقد سبب الله لي من العهد وكتب لي من العمر وقسم لي من الرزق ما لا يقدر أحد دون الله على قطع شيء منه دون مدته ولا صرف شيء عن موافقه فقد را الله يجرى بمقاديره فيما أحب الناس أو كرهوا ولا تأخير لما جله ولا تعجيل لآجله فالناس بين ذلك يقترون الآثام على نفوسهم من الله أو يستوجبون الأجور عليه وأمير المؤمنين أحق أمته بالبصر بذلك والحفظ له والله الموفق لأمير المؤمنين

لحسن القضاء له في الأمور فقال هشام لأبي الزبير يا نسطاس أرى الناس يرضون بالوليد إن حدث بي حدث قال بل يطيل الله عمرك يا أمير المؤمنين قال ويحك لا بد من الموت أفترى الناس يرضون بالوليد قال يا أمير المؤمنين إن له في أعناق الناس بيعة فقال هشام لئن رضى الناس بالوليد ما أظن الحديث الذي رواه الناس أن من قام بالخلافة ثلاثة أيام لم يدخل النار إلا باطلا وكتب هشام إلى الوليد قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قطع ما قطع عنك وغير ذلك وأمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يجرى عليك وأمير المؤمنين أخوف على نفسه من اقتراف المآثم عليها في الذي كان يجرى عليك منه في الذي أحدث من قطع ما قطع ومحو ما محو من صحابتك لأميرين أما أحدهما فإيثار أمير المؤمنين إياك بما كان يجرى عليك وهو يعلم وضعك له وإنفاقه في غير سبيله وأما الآخر فإثبات صحابتك وإدراج أركانهم عليهم لا ينال المسلمين في كل عام من مكروهه عند قطع البعوث وهم معك تجول بهم في سفهك ولأمير المؤمنين أخرى في نفسه للتقصير في القتر عليك منه للاعتداء عليك فيها مع أن الله قد نصر أمير المؤمنين في قطع ما قطع عنك من ذلك ما يرجو به تكفير ما يتخرف مما سلف فيه منه وأما ابن سهيل فلعمرى لئن كان نزل منك بما نزل وكان أهلا أن تُسرفيه أو تساء ما جعله الله كذلك وهل زاد ابن سهيل لله أبوك على أن كان مغنياً زفاناً قد بلغ في السفه غاية وليس ابن سهيل مع ذلك بشر ممن تستصحبه في الأمور التي يكرم أمير المؤمنين نفسه عن ذكرها مما كنت لعمر الله أهلاً للتوبيخ به ولئن كان أمير المؤمنين على ظنك به في الحرص على فسادك إنك إذا بغير إل عن هوى أمير المؤمنين من ذلك وأما ما ذكرت مما سبب الله لك فإن الله قد ابتداء أمير المؤمنين بذلك واصطفاه له والله بالغ أمره لقد أصبح أمير المؤمنين وهو على اليقين من ربه أنه لا يملك لنفسه فيما أعطاه من كرامته ضراً ولا نفعاً وإن الله ولي ذلك منه وأنه لا بد له من مزايته والله أرأف بعباده وأرحم من أن يولى أمرهم غير الرضى له منهم وإن أمير المؤمنين من حسن ظنه بربه لعلى أحسن

الرجاء أن يوليه تسبيب ذلك لمن هو أهله في الرضاله به ولهم فان بلاء الله عند
 أمير المؤمنين أعظم من أن يبلغه ذكره أو يؤديه شكره إلا بعون منه وإن كان
 قدر لأمير المؤمنين تعجيل وفاة إن في الذي هو مفضل إليه إن شاء الله من كرامة الله
 تخلفاً من الدنيا ولعمري إن كتابك إلى أمير المؤمنين بما كتبت به لغير مستنكر
 من سفوك وحقك فأربع على نفسك من غلواتها وارقاعاً على ظلمك فإن الله سطوات
 وعينا يصيب بذلك من يشاء ويأذن فيه لمن يشاء ممن شاء الله وأمير المؤمنين يسأل
 الله العصمة والتوفيق لأحب الأمور إليه وأرضاه له فكتب الوليد إلى هشام
 رَأَيْتُكَ تَبْنِي جَاهِدًا فِي قَطِيعِي فَلَوْ كُنْتَ ذَا إِرْبٍ لَهَدَمْتَ مَا تَبْنِي
 تُشِيرُ عَلَى الْبَاقِينَ نَجْنِي ضَعِيفَةً قَوْلِي لَهُمْ إِنَّ مِتُّ مِنْ شَرِّ مَا تَجْرِي
 كَأَنِّي بِهِمْ وَاللَّيْتِ أَفْضَلُ قَوْلِهِمْ أَلَا لَيْتَنَا وَاللَّيْتِ إِذْ ذَاكَ وَ يُغْنِي
 كَفَرْتَ يَدًا مِنْ مُنْعِمٍ لَوْ شَكَرْتَهَا جَزَاكَ بِهَا الرَّحْمَنُ ذُو الْفَضْلِ لَا الْمَنِّ

قال فلم يزل الوليد مقبياً في تلك البرية حتى مات هشام فلما كان صبيحة اليوم
 الذي جاءته فيه الخلافة أرسل إلى أبي الزبير المنذر بن أبي عمرو فأتاه فقال له
 يا أبا الزبير ما أتت علي ليلة منذ عقلت عقلي أطول من هذه الليلة عرضت لي
 همومي وحدثت نفسي فيها بأمور من أمر هذا الرجل قد أولع بي يعني هشاماً
 فأركب بنا تنفس فركبا فصار ميلين ووقف على كتيب وجعل يشكو هشاماً
 إذ نظر إلى رهبج فقال هؤلاء رسل هشام نسأل الله من خيرهم إذ بدا رجلان على
 البريد مقلبان أحدهما مولى لأبي محمد السفياني والآخر جردبة فلما قربا أتيا
 الوليد فزلا بعدوان حتى دنيا منه فسلبا عليه بالخلافة فوجم وجعل جردبة
 يكرر عليه السلام بالخلافة فقال ويحك أمات هشام قال نعم قال فمن كتابك
 قال من مولاك سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل قرأ الكتاب
 فانصرفا فدعا مولى أبي محمد السفياني فسأله عن كاتبه عياض بن مسلم فقال يا أمير
 المؤمنين لم يزل محبوباً حتى نزل بهشام أمر الله فلما صار في حد لا ترجى الحياة
 لمثله أرسل عياض إلى الخزان أن احتفظوا بما في أيديكم فلا يصلن أحد منه
 إلى شيء وأفاق هشام إفاقة فطلب شيئاً فمعه فقال أرانا كنا خزاناً للوليد ومات

من ساعته وخرج عياض من السجن فغتم أبواب الخزائن وأمر بهشام فأنزل عن فرشه
فما وجدوا له قمحا يستخزن له فيه الماء حتى استعاروه ولا وجدوا كفنا من
الخزائن فكفنه غالب مولى هشام فكتب الوليد الى العباس بن الوليد بن
عبد الملك بن مروان أن يأتي الرصافة فيحصى ما فيها من أموال هشام وولده
ويأخذ عماله وحشمه لإمسية بن هشام فانه كتب اليه أن لا يعرض له ولا يدخل
منزله فانه كان يكثر أن يكلم أباه في الرفق به ويكفه عنه فقدم العباس الرصافة
فأحكم ما كتب به اليه الوليد وكتب الى الوليد بأخذ بني هشام وحشمه وإحصاء
أموال هشام فقال الوليد

لَيْتَ هِشَامًا كَانَ حَيًّا بَرَى مَحَلَّهُ الْأَوْفَرَ قَدْ أَنْرَعَا

(ويروى)

لَيْتَ هِشَامًا عَاشَ حَتَّى بَرَى مِثْلَهُ الْأَوْفَرَ قَدْ طُبِعَا

كَلْنَاهُ بِالصَّاعِ الَّذِي كَالَهُ وَمَا ظَلَمْتَاهُ بِهِ إِصْبَعَا

وَمَا أَتَيْنَا ذَاكَ عَنْ بَدْعَةٍ أَحَلَّهُ الْفُرْقَانُ لِي أَجْمَعَا

فاستعمل الوليد العمال وجاءته بيعته من الآفاق وكتب اليه العمال وجاءته
الوفود وكتب اليه مروان بن محمد برك الله لأمر المؤمنين فيما أصاره اليه من
ولاية عبادته ووراثته بلاده وكان من تغشى غمرة سكرة الولاية ما حمل هشاماً على
ما حاول من تصغير ما عظم الله من حق أمير المؤمنين ورام من الأمر المستصعب
عليه الذي أجابه اليه المدخولون في آرائهم وأديانهم فوجدوا ما طمع فيه مستصعباً
وزاحته الأقدار بأشد من كبرها وكان أمير المؤمنين بمكان من الله حاطه فيه حتى
أزره بأكرم مناطق الخلافة فقام بما أراه الله له أهلاً ونهض مستقلاً بما حمل
منها مثبتة ولايته في سابق الزبر بالأجل المسمى خصه الله بها على خلقه وهو
يرى حالاتهم فقلده طوقها ورمى اليه بأزمة الخلافة وعصم الأمور فالحمد لله الذي
اختار أمير المؤمنين لخلافته ووثائق عرى دينه وذب له عما كاده فيه الظالمون
فرفعه ووضعهم فمن أقام على تلك الخبيسة من الأمور أوبق نفسه وأسخط ربه

ومن عدلته التوبة نازعا عن الباطل إلى حق وجد الله تواباً رحيباً أخبر أمير المؤمنين أكرمهم الله أنى عند ما انتهى إلى من قيامه بولاية خلافة الله نهضت إلى منبري على سيفان مستعداً بهما لأهل الغش حتى أعلنت من قبلي ما امتن الله به عليهم من ولاية أمير المؤمنين فاستبشروا ذلك وقالوا لم تأتنا ولاية خليفة كانت آمالنا فيها أعظم ولا هي لنا أمر من ولاية أمير المؤمنين وقد بسطت يدي ليعتقك فجددتها وركدتها بوثائق العهود وترداد المواثيق وتغليظ الأيمان فكلهم حسنت إجابتهم وطاعتهم فأثبهم يا أمير المؤمنين بطاعتهم من مال الله الذي آتاك فإنك أجودهم جوداً وأبسطهم يداً وقد انتظروك راجين فضلك قبلهم بالرحم الذي استرحموك وزدتم زيادة يفضل بها من كان قبلك حتى يظهر بذلك فضلك عليهم على رعيتك ولولا ما أحاول من سد الثغر الذي أنا به لحفت أن يحملني الشوق إلى أمير المؤمنين إن استخلف رجلاً على غير أمره وأقدم لمعاينة أمير المؤمنين فإنها لا يعدو لها عندي عادل نعمة وإن عظمت فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في المسير إليه لأشافهه بأمور كرهت الكتاب بها فلدا ولي الوليد أجرى على زمني أهل الشام وعميانهم وكسائمهم وأمر لكل إنسان منهم بمخادم وأخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة وزادهم على ما كان يخرج لهم هشام وزاد الناس جميعاً في العطاء عشرة عشرة ثم زاد أهل الشام بعد زيادة العشرات عشرة عشرة لأهل الشام خاصة وزاد من وفد إليه من أهل بيته في جوائزهم الضعف وكان وهو ولي عهد يطعم من وفد إليه من أهل الصائفة قافلاً ويطعم من صدر عن الحج بمنزل يقال له زيزاء ثلاثة أيام ويعاف دوابهم ولم يقل في شيء يسأله لا قيل له إن في قولك أنظر عدة ما يقيم عليها الطالب فقال لا أعود لسانى شيئاً لم أعتده وقال

ضمنت لكم إن لم تعني عوائق بأن سماء الضر عنكم ستقلع
سيوشك إلحاق معاً وزيادة وأعطية مني عليكم تبرع
محرّمكم ديوانكم وعطاؤكم به يكتب الكتاب شهراً وتطبع

(وفي هذه السنة) عقد الوليد بن يزيد لابنيه الحكم وعثمان البيعة من بعده وجعلهما ولي عهدا أحدهما بعد الآخر وجعل الحكم مقدماً على عثمان وكتب بذلك إلى الأمصار وكان ممن كتب إليه بذلك يوسف بن عمر وهو عامل الوليد يومئذ على العراق وكتب بذلك يوسف إلى نصر بن سيار وكانت نسخة الكتاب إليه بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار أما بعد فإني بعثت إليك نسخة كتاب أمير المؤمنين الذي كتب به إلى من قبلي الذي ولي الحكم ابن أمير المؤمنين وعثمان ابن أمير المؤمنين من العهد بعده مع عقال ابن شبة التيمي وعبد الملك القيني وأمرتهما بالكلام في ذلك فإذا قدما عليك فاجمع لقراءة كتاب أمير المؤمنين الناس ومُرهم فليحشدوا له وقم فيهم بالذي كتب أمير المؤمنين فإذا فرغت فقم بقراءة الكتاب وأذن لمن أراد أن يقوم بخطبة ثم بايع الناس لهما على اسم الله وبركته وخذ عليهم بالمواثيق على الذي نسخت لك في آخر كتابي هذا الذي نسخ لنا أمير المؤمنين في كتابه فافهمه وبايع عليه نسال الله أن يبارك لأمير المؤمنين ورعيته في الذي قضى لهم على لسان أمير المؤمنين وأن يصلح الحكم وعثمان ويبارك لنا فيهما والسلام عليك وكتب النصر يوم الخميس للنصف من شعبان سنة خمس وعشرين ومائة بسم الله الرحمن الرحيم تبايع لعبد الله الوليد أمير المؤمنين والحكم ابن أمير المؤمنين إن كان من بعده وعثمان ابن أمير المؤمنين إن كان بعد الحكم على السمع والطاعة وإن حدث بواحد منهما حدث فأمير المؤمنين أملك في ولده ورعيته يقدم من أحب ويؤخر من أحب عليك بذلك عهد الله وميثاقه فقال الشاعر في ذلك

تَوَمَّلْ عُثْمَانَ بَعْدَ الْوَلِيدِ دِ الْعَهْدِ فِينَا وَنَرْجُو يَزِيدَا

كَمَا كَانَ إِذْ ذَاكَ فِي مَلِكِهِ يَزِيدُ يُرْجَى لِذَاكَ الْوَلِيدَا

عَلَى أَنَّهَا شَعَسَتْ شَعْمَةً فَنَحْنُ تَوَمَّلُهَا أَنْ تَعُودَا

فَإِنْ هِيَ عَادَتْ فَأَوْصِي الْقَرِيْبَ بِ عِنَا لِيُوَيْسَ مِنْهَا الْبَعِيدَا

قال أحمد قال علي عن شيوخه الذين ذكرت فقدم عقال بن شبة وعبد الملك

ابن نعيم على نصر وقدم بالكتاب وهو أما بعد فإن الله تباركت أسماؤه وجل ثناؤه وتعالى ذكره اختار الإسلام ديناً لنفسه وجعله خير خيرته من خلقه ثم اصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس فبعثهم به وأمرهم به وكان بينهم وبين من مضى من الأمم وخلا من القرون قرناً فترنا يدعون إلى التي هي أحسن ويهدون إلى صراط مستقيم حتى انتهت كرامة الله في نبوته إلى محمد صلوات الله عليه على حين دروس من العلم وعمى من الناس وتشيت من الهوى وتفرق من السبل وطموس من أعلام الحق فأبان الله به الهدى وكشف به العمى واستنقذ به من الضلالة والردى وأبهج به الدين وجعله رحمة للعالمين وختم به وحيه وجمع له ما أكرم به الأنبياء قبله ووفى به على آثارهم مصداقاً لما نزل معهم ومهيماً عليه وداعياً إليه وأمرأ به حتى كان من أجابه من أمته ودخل في الدين الذي أكرمهم الله به مصدقين لما سلف من أنبياء الله فيما يكذبهم فيه قومهم منتصحين لهم فيما ينهونه ذابن لحرهم عما كانوا منتهكين معظمين منها لما كانوا مصغرين فليس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أحدٌ كان يسمع لأحد من أنبياء الله فيما بعث الله به مكذباً ولا عليه في ذلك طاعناً ولا له مؤذياً بتسفيه له أو رد عليه إذ جحد لما أنزل الله عليه معه فلم يبق كافر إلا استحل بذلك دمه وقطع الأسباب التي كانت بينه وبينه وإن كانوا آباءهم أو أبناءهم أو عشيرتهم ثم استخلف خلفاءه على منهاج نبوته حين قبض نبيه صلى الله عليه وسلم وختم به وحيه لإنفاذ حكمه وإقامة سنته وحدوده والأخذ بفرائضه وحقوقه تأييداً بهم للإسلام وتشيداً بهم لعراه وتقوية بهم لقوى حبله ودفعاً بهم عن حريمه وعدلاً بهم بين عباده وإصلاحاً بهم لبلادهم فإنه تبارك وتعالى يقول: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) فتابع خلفاء الله على ما أورثهم الله عليه من أمر أنبيائه واستخلفهم عليه منه لا يتعرض لحقهم أحد إلا صرعه الله ولا يفارق جماعتهم أحد إلا أهلكه الله ولا يستخف بولايتهم ويتهم قضاء الله فيهم أحد إلا أمكنهم الله منه وسلطهم عليه وجعله نكالا وموعظة لغيره وكذلك صنع الله بمن فارق

الطاعة التي أمر ببلزومها والأخذ بها والاثرة لها والتي قامت بها السموات والأرض
قال الله تبارك وتعالى (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ
أَنْتِنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) وقال عز ذكره (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا
وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ) وبالإضافة إلى أن الله من أبقى في الأرض من عباده وإليها صيره وبطاعة
من ولاه إياها سَعَدَ من أهمها ونصرها فان الله عز وجل علم أن لا قوام لشيء
ولا صلاح له إلا بالطاعة التي يحفظ الله بها حقه ويمضي بها أمره وينكل بها عن
معاصيه ويوقف عن محارمه ويذب عن حرمانه فمن أخذ بحظه منها كان لله وليا
ولأمره مطيعا ولرشده مصيبا ولعاجل الخير وآجله مخصوصا ومن تركها ورغب
عنها وحاد الله فيها أضاع نصيبه وعصى ربه وخسر ديناه وآخرته وكان ممن غلبت
عليه الشقوة واستحزذت عليه الأمور الغاوية التي توردها أهلها أفضع المصارع
وتقودهم إلى شر المصارع فيما يحل الله بهم في الدنيا من الذلة والنقمة ويصيرهم فيما
عندهم من العذاب والحسرة والطاعة رأس هذا الأمر وذروته وسنامه وزمامه
وملاكه وعصمته وقوامه بعد كلبة الإخلاص التي ميز الله بها بين العباد وبالطاعة
قال المفلحون من الله منازلهم واستوجبوا عليه ثوابهم وفي المعصية مما يحل بغيرهم
من نقماته وتصيبهم عليه ويحق من سخطه وعذابه ويُنزلُ بالطاعة والإضاعة لها
والخروج منها والإدبار عنها والتبدل بها أهلك الله من ضلّ وعتا وعمى وغلا
وفارق مناهج البر والتقوى فالزموا طاعة الله فيما عراكم ونالكم وألم بكم من الأمور
وناصحوها واستوثقوا عليها وسارعوا إليها وخالصوها وابتغوا القربة إلى الله بها
فإنكم قد رأيتم مواقع قضاء الله لأهلها في إعلانها وإفلاجهم حججهم ودفعه باطل
من حادهم وناوهم وسامهم وأراد إطفاء نور الله الذي معهم وأخبرتم مع ذلك
ما يصير إليه أهل المعصية من التوبيخ لهم والتقصير بهم حتى يؤول أمرهم إلى تبار
وصغار وذلة وبوار وفي ذلك ان كان له رأى وموعظة عبرة ينتفع بواضحها

ويتمسك بحظوتها ويعرف خيرة قضاء الله لاهلها ثم إن الله وله الحمد والمن
والفضل هدى الأمة لأفضل الأمور عافية لها في حقن دماؤها والشام ألفتها واجتماع
كلمتها واعتدال عمودها وإصلاح دهماها وذخر النعمة عليها في دنياها بعد خلافة
التي جعلها لهم نظاما ولأمرهم قواما وهو العهد الذي أهدى الله خلفاءه توكيده
والنظر للمسلمين في جسيم أمرهم فيه ليكون لهم عند ما يحدث بخلفائهم ثقة في المفرع
وملتجا في الأمر ولما للشعث وصلحا لذات البين وتثبيتا لأرجاء الاسلام
وقطعا لنزغات الشيطان فيما يتطلع إليه أولياؤه ويوثبهم عليه من تلف هذا الدين
وانصداع شعب أهله واختلافهم فيما جمعهم الله عليه منه فلا يريهم الله في ذلك
إلا ماساءهم وأكذب أمانيتهم ويجدون الله قد أحكم بما قضى لأوليائه من ذلك عقد
أمرهم ونفى عنهم من أراد فيها إدغالا أو بها إغلالا أو لما شدد الله منها توهينا
أو فيما تولى الله منها اعتمادا فأكمل الله بها لخلفائه وحزبه البر الذين أودعهم طاعته
أحسن الذي عودهم وسبب لهم من اعزازهم واکرامهم واعلانه وتمكينه فأمر هذا
العهد من تمام الاسلام وكال ما استوجب الله على أهله من المن العظام وما جعل
الله فيه لمن أجراه على يديه وقضى به على لسانه ووقفه لمن ولاء هذا الأمر عنده
أفضل الذخر وعند المسلمين أحسن الأثر فيما يؤثر بهم من منفعتهم ويقسح لهم من أمنه
ويستندون إليه من عزه ويدخلون فيه من وزره الذي يجعل الله لهم به منة ويحرمهم
به من كل مهلكة ويجمعهم به من كل فرقة ويقمع به أهل النفاق ويعصمهم به من
كل اختلاف وشقاق فأحمدوا الله ربكم الرؤف بكم الصانع لكم في أموركم على الذي
هلكم عليه من هذا العهد الذي جعله لكم سكنا ومعولا تطمئنون إليه وتستظلون
في أفئاته ويستنجح لكم به مثنى أعناقكم وسمت وجوهكم وملتقى نواصيكم في أمر
دينكم ودنياكم فإن لذلك خطرا عظيما من النعمة وإن فيه من الله بلاء حسنا في سعة
العافية يعرفه ذوو الألباب والنيات المريثون من أعمالهم في العواقب والعارفون
منار مناهج الرشده فأنتم حقيقون بشكر الله فيما حفظ به دينكم وأمر جماعتكم من
ذلك جديرون بمعرفة كنهه وأجب حقه فيه وحمده على الذي عزم لكم منه فلتكن

منزلة ذلك منكم وفضيلته في أنفسكم على قدر حسن بلاء الله عندكم فيه إن شاء الله ولا قوة إلا بالله ثم إن أمير المؤمنين لم يكن منذ استخلفه الله بشيء من الأمور أشد اهتماماً وعناية منه بهذا العهد لعله بمنزلة من أمر المسلمين وما أراهم الله فيه من الأمور التي يغبطون ويكرمهم فيما يقضى لهم ويختار له ولهم فيه جهده ويستقضى له ولهم فيه إلهه ووليه الذي بيده الحكم وعنده الغيب وهو على كل شيء قدير ويسأله أن يعينه من ذلك على الذي هو أرشد له خاصة وللمسلمين عامة فرأى أمير المؤمنين أن يعهد لكم عهداً بعد عهد تذكرون فيه على مثل الذي كان عليه من كان قبلكم في مهلة من انفساح الأمل وطمانينة النفس وصلاح ذات البين وعلم موضع الأمر الذي جعله الله لأهله عصمة ونجاة وصلاحاً وحياة ولكل منافق وفاسق يجب تلف هذا الدين وفساد أهله وقما وخساراً وقد عافولى أمير المؤمنين ذلك الحكم ابن أمير المؤمنين وعثمان ابن أمير المؤمنين من بعده وهما بمن يرجو أمير المؤمنين أن يكون الله خلقه لذلك وصاغه له وأكمل فيه أحسن مناقب من كان يوليه إياه في وفاء الرأي وصحة الدين وجزالة المروءة والمعرفة بصالح الأمور ولم يالكم أمير المؤمنين ولا نفسه في ذلك اجتهاداً وخيراً فبايعوا للحكم ابن أمير المؤمنين باسم الله وبركته ولاخيه من بعده على السمع والطاعة واحتسبوا في ذلك أحسن ما كان الله يريكم ويبيليكم ويعودكم ويعرفكم في أشباهه فيما مضى من اليسر الواسع والخير العام والفضل العظيم الذي أصبحتم في رجائه وخفضه وأمنه ونعمته وسلامته وعصمته فهو الأمر الذي استبطأتموه واستسرتم إليه وحدثتم الله على إرضائه وإياه وقضائه لكم وأحدثتم فيه شكراً ورايتموه لكم حظاً تستبقونه وتجهدون أنفسكم في أداء حق الله عليكم فإنه قد سبق لكم في ذلك من نعم الله وكرامته وحسن قسمه ما أنتم حقيقون أن تكون رغبتكم فيه وحبكم عليه على قدر الذي أبلاكم الله وصنع لكم منه وأمير المؤمنين مع ذلك إن حدث بواحد من ولي عهده حدث أولى بأن يجعل مكانه وبالمنزل الذي كان به من أحب أن يجعل من أمته أو ولده ويقدمه بين يدي الباقي منهما إن شاء أو أن يؤخره بعده فاعلموا ذلك وافهموه

نسال الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم أن يبارك لأمير المؤمنين ولكم في الذي قضى به على لسانه من ذلك وقدر منه وأن يجعل عاقبته عافية وسرورا وغبطة فإن ذلك بيده ولا يملكه إلا هو ولا يرغب فيه إلا إليه والسلام عليكم ورحمة الله وكتب سماط يوم الثلاثاء ثمان بقين من رجب سنة خمس وعشرين ومائة (وفي هذه السنة) ولي الوليد نصر بن سيار خراسان كلها وأفرده بها (وفيها) وفد يوسف بن عمر على الوليد فاشترى نصرا وعماله منه فرد إليه الوليد ولاية خراسان (وفي هذه السنة) كتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار يأمره بالقدوم عليه ويحمل معه ما قدر عليه من الهدايا والأموال

ذكر الخبر عما كان من أمر يوسف ونصر في ذلك

ه ذكر علي عن شيوخه أن يوسف كتب إلى نصر بذلك وأمره أن يقدم معه بعياله أجمعين فلما أتى نصر كتابه قسم على أهل خراسان الهدايا وعلى عماله فلم يدع بخراسان جارية ولا عبدا ولا بردونا فأرها إلا أعدده واشترى ألف مملوك وأعطاهم السلاح وحملهم على الخيل قال وقال بعضهم كان قد أعد خمسمائة وصيفة وأمر بصنعة أباريق الذهب والفضة وتمائيل الظباء ورؤوس السباع والأيايل وغير ذلك فلما فرغ من ذلك كله كتب إليه الوليد يستحثه فشرح الهدايا حتى بلغ أوائلها يبيق فكتب إليه الوليد يأمره أن يبعث إليه ببرابط وطنابير فقال

بعض شعرائهم

أبشِرْ يَا أَمِينَ الْإِلَهِ أَبْشِرْ بِتَبَاشِيرِ
عَلَيْهَا كَالْأَنْبِيرِ بِغَالٍ تَحْمَلُ الْحَمْرَ حَقَائِبُهَا طَنْابِيرِ
وَدَلَّ الْبَرَبَرِيَّاتِ بِصَوْتِ الْجَمِّ وَالزَّيْرِ وَقَرَعُ الدَّفِّ أَحْيَانًا
وَنَفَّخُ بِالْمَزَامِيرِ فَهَذَا لَكَ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْجَنَّةِ تَحْيِيرُ

قال وقدم الأزرق بن قررة المسمى من الترمذ أيام هشام على نصر فقال لنصر إنى أريت الوليد بن يزيد في المنام وهو ولي عهد شبه الهارب من هشام ورأيت على سرير فشرب عسلا وسقاني بعضه فأعطاه نصر أربعة آلاف دينار

وكسوة وبعثه إلى الوليد وكتب إليه نصر فأتى الأزرق الوليد فدفن إليه المال والكسوة فسر بذلك الوليد وألطف الأزرق وجزى نصرأ خيراً وانصرف الأزرق فبلغه قبل أن يصل إلى نصر مرت هشام ونصر لا علم له بما صنع الأزرق ثم قدم عليه فأخبره فلما ولي الوليد كتب إلى الأزرق وإلى نصر وأمر رسوله أن يتدبى بالأزرق فيدفع إليه كتابه فأتاه ليلاً فدفن إليه كتابه وكتاب نصر فلم يقرأ الأزرق كتابه وأتى نصرًا بالكتابين فكان في كتاب الوليد إلى نصر يأمره أن يتخذ له برابط وطنابير وأباريق ذهب وفضة وأن يجمع له كل صناعة بخراسان يقدر عليها وكل بازي وبرذون فاره ثم يسير بذلك كله بنفسه في وجوه أهل خراسان فقال رجل من باهلة كان قوم من المنجمين يخبرون نصرًا بفتنة تكون فبعث نصر إلى صدقة بن وثاب وهو بيلخ وكان منجماً وكان عنده وألح عليه يوسف بالقدم فلم يزل يتباطأ فوجه يوسف رسولا وأمره بلزومه يستحثه بالقدم أو ينادى في الناس أنه قد خلع فلما جاءه الرسول أجازته وأرضاه وتحول إلى قصره الذي هو دار الإمارة اليوم فلم يأت لذلك إلا يسير حتى وقعت الفتنة فتحول نصر إلى قصره بما جان واستخلف عصمة بن عبد الله الأسدي على خراسان وولى المهلب بن إياس العدوي الخراج وولى موسى بن ورقاء الناجي الشاش وحسان من أهل صغانيان الأسدي سمرقند ومقاتل بن علي السغدي آمل وأمرهم إذا بلغهم خروجه من مرو أن يستحلبوا الترك وأن يغيروا على ما وراء النهر لينصرف إليهم بعد خروجه يعتل بذلك فيبنا هو يسير يوماً إلى العراق طرقة ليلاً مولى لبني كيث فلما أصبح أذن للناس وبعث إلى رسل الوليد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد كان في مسيري ما قد علمتم وبعثي بالهدايا ما رأيتم فطرقني فلان ليلاً فأخبرني أن الوليد قد قتل وأن الفتنة قد وقعت بالشأم وقد قدم منصور بن جمهور العراق وقد هرب يوسف بن عمر ونحن في بلاد قد علمتم حالها وكثرة عدونا ثم دعا بالقادم فأحلفه أن ما جاء به لحق فخلف فقال سلم بن أحوز أصلح الله الأمير لو حلفت لكنت صادقاً انه بعض مكابد قريش أرادوا تهجين طاعتك فسروا تهجنا قال يا سلم أنت رجل

لك علم بالحروب ولك مع ذلك حسن طاعة لبني أمية فأما مثل هذا من الامور
 فرأيتك فيه رأى أمة هتاء ثم قال نصر لم أشهد بعد ابن خازم أمراً مفضلاً إلا كنت
 للمفرع في رأى فقال الناس قد علمنا ذلك فالرأى رأيتك (وفي هذه السنة)
 وجه الوليد بن يزيد خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي واليا على المدينة ومكة
 والطائف ودفع إليه ابراهيم ومحمد بن هشام بن اسماعيل المخزومي موثقين في
 عبادتين فقدم بهما المدينة يوم السبت لاثنتي عشرة بقية من شعبان سنة ١٢٥
 فأقامهما للناس بالمدينة ثم كتب الوليد إليه يأمر أن يبعث بهما إلى يوسف بن عمر
 وهو يومئذ عامله على العراق فلما قدما عليه عذبهما حتى قتلهما وقد كان رفع عليهما
 عند الوليد أنهما أخذتا مالا كثيراً (وفي هذه السنة) عزل يوسف بن محمد سعد
 ابن ابراهيم عن قضاء المدينة وولاهما يحيى بن سعيد الأنصاري (وفيها) غزى
 الوليد بن يزيد أخاه الغمر بن يزيد بن عبد الملك وأمر على جيش البحر الأسود
 بن بلال المحاربي وأمره أن يسير إلى قبرس فيخبرهم بين المسير إلى الشام إن شاؤوا
 وإن شاؤوا إلى الروم فاخترت طائفة منهم جوار المسلمين فنقلهم الأسود إلى
 الشام واختار آخرون أرض الروم فانتقلوا إليها (وفيها) قدم سليمان بن كثير
 ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ وقحطبة بن شبيب مكة فلقوا في قول بعض أهل
 السير محمد بن علي فأخبروه بقصة أبي مسلم وما رأوا منه فقال لهم أحر هو أم
 عبد قالوا أما عيسى فيزعم أنه عبد وأما هو فيزعم أنه حر قال فاشتروه وأعتقوه
 وأعطوا محمد بن علي مائتي ألف درهم وكسوة بثلاثين ألف درهم فقال لهم ما
 أظنكم تلقوني بعد عامي هذا فان حدث بي حدث فصاحبكم ابراهيم بن محمد فاني
 أثق به وأوصيكم به خيراً فقد أوصيته بكم فصدروا من عنده وتوفي محمد بن علي
 في مستهل ذي القعدة وهو ابن ثلاث وستين سنة وكان بين وفاته وبين وفاة أبيه
 علي سبع سنين (وحج) بالناس في هذه السنة يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي
 حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر (وفي
 هذه السنة) قتل يحيى بن زيد بن علي بخراسان

ذكر الخبر عن مقتله

قد مضى ذكرنا قبلُ أمر مصير يحيى بن زيد بن عليّ إلى خراسان وسبب ذلك وتذكر الآن سبب مقتله اذ كان ذلك في هذه السنة * ذكر هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف قال اقام يحيى بن زيد بن عليّ عند الحريش بن عمرو بن داود يبلخ حتى هلك هشام بن عبد الملك وولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك فكتب يوسف ابن عمر إلى نصر بن سيار بمسير يحيى بن زيد وبمنزله الذي كان ينزل حتى أخبره أنه عند الحريش وقال له ابعث إليه وخذه أشدّ الاخذ فبعث نصر بن سيار إلى عقيل بن معقل العجليّ يأمره أن يأخذ الحريش ولا يفارقه حتى تزهر نفسه أو يأتيه يحيى بن زيد بن عليّ فبعث إليه عقيل فسأله عنه فقال لا علم لي به فجلده ستماتة سوط فقال له الحريش والله لو أنه كان تحت قدمي ما رفعتها لك عنه فلما رأى ذلك قريش بن الحريش أتى عقيلًا فقال لا تقتل أبي وأنا أدلك عليه فأرسل معه فداه عليه وهو في بيت في جوف بيت فأخذه ومعه يزيد بن عمر والفضل مولى عبد القيس كان أقبل معه من الكوفة فأتى به نصر بن سيار فحبسه وكتب إلى يوسف ابن عمر يخبره بذلك فكتب بذلك يوسف إلى الوليد بن يزيد فكتب الوليد إلى نصر بن سيار يأمره أن يؤمنه ويخلى سبيله وسبيل أصحابه فدعاه نصر بن سيار فأمره بتقوى الله وحذرته الفتنة وأمره أن يلحق بالوليد بن يزيد وأمره بالني درهم وبغلين نخرج هو وأصحابه حتى انتهى إلى سرخس فأقام بها وعليها عبد الله بن قيس بن عباد فكتب إليه نصر بن سيار أن يشخصه عنها وكتب إلى الحسن بن زيد التميميّ وكان رأس بني تميم وكان على طوس أن انظر يحيى بن زيد فاذا مرّ بكم فلا تدعه يقيم بطوس حتى يخرج منها وأمرهما اذا هو مرّ بهما أن لا يفارقاه حتى يدفعاه إلى عمرو بن زرارة بأبر شهر فأشخصه عبد الله بن قيس من سرخس ومرّ بالحسن بن زيد فأمره أن يمضى ووكّل به سرحان بن فروخ بن مجاهد بن بلعاء العنبريّ أبا الفضل وكان على مسلحة قال فدخلتُ عليه فذكر نصر بن سيار وما أعطاه فاذا هو كالمستقل له فذكر أمير المؤمنين الوليد بن يزيد فأتى عليه

وذكر بجيئه بأصحابه معه وأنه لم يأت بهم إلا مخافة أن يُسَمَّ أو يُغَمَّ وعرض يوسف وذكر أنه آياه يتخوف وقد كان أراد أن يقع فيه ثم كف فقلت له قل ما أحببت رحمتك الله فليس عليك مني عين فقد أتى إليك ما يستحق أن تقول فيه ثم قال العجب من هذا الذي يقم الأحراس أو امر الأحراس قال وهو حينئذ يتفصح والله لو شئت أن أبعث إليه فأتى به مريبوطا قال فقلت له لا والله ما بك صنع هذا ولكن هذا شيء يصنع في هذا المكان ابدأ المكان بيت المال قال واعتذرت إليه من مسيرى معه وكنت أسير معه على رأس فرسخ فأقبلنا معه حتى وقفنا إلى عمرو بن زرارة فأمر له بألف درهم ثم أشخصه حتى انتهى إلى بيهق وخاف اغتيال يوسف آياه فأقبل من بيهق وهي أقصى أرض خراسان وأدناه من قومس فأقبل في سبعين رجلا إلى عمرو بن زرارة ومربه تجار فأخذ دوابهم وقال علينا أثمانها فكتب عمرو بن زرارة إلى نصر بن سيار فكتب نصر إلى عبدالله بن قيس وإلى الحسن ابن زيد أن يمضيا إلى عمرو بن زرارة فهو عليهم ثم نصبوا ليحيى بن زيد فيقاتلوه فجاءوا حتى انتهوا إلى عمرو بن زرارة فاجتمعوا فكانوا عشرة آلاف فأتاهم يحيى ابن زيد وليس هو إلا في سبعين رجلا فهزمهم وقتل عمرو بن زرارة وأصاب دواب كثيرة وجاء يحيى بن زيد حتى مر بهراة وعليها مغلس بن زياد العامري فلم يعرض واحد منهما لصاحبه فقطعها يحيى بن زيد وسرح نصر بن سيار سلم بن أحوز في طلب يحيى بن زيد فأتى هراة حين خرج منها يحيى بن زيد فاتبه فلحقه بالجوزجان بقرية منها وعليها حماد بن عمرو السغدي قال ولحق يحيى بن زيد رجل من بني حنيفة يقال له أبو العجلان فقتل يومئذ معه ولحق به الحساس الأزدي فقطع نصر بعد ذلك يده ورجله قال فبعث سلم بن أحوز سورة بن محمد بن عزيز الكندي على ميمته وحماد بن عمرو السغدي على ميسرته فقاتله قتالا شديدا فذكروا أن رجلا من عنزة يقال له عيسى مولى عيسى بن سليمان العنزي رماه بنشابة فأصاب جبهته قال وقد كان محمد شهد ذلك اليوم فأمره سلم بتعبية الناس فمارض عليه فمى الناس سورة بن محمد بن عزيز الكندي فاقتلوا وقتلوا من عند

آخرهم ومرسورة بيحيى بن زيد فأخذ رأسه وأخذ العنزي سلبه وقيصه وغلبه سورة على رأسه فلما قتل يحيى بن زيد وبلغ خبره الوليد بن يزيد كتب فيما ذكر هشام عن موسى بن حبيب أنه حدثه إلى يوسف بن عمر إذا أتاك كتابي هذا فانظر عجل العراق فأحرقه ثم انسفه في اليمّ نسفاً قال فأمر يوسف خراش بن حوشب فأنزله من جذعه وأحرقه بالنار ثم رضه فجعله في قوصرة ثم جعله في سفينة ثم ذراه في الفرات وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها وقد ذكرناهم قبل

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما كان من قتل يزيد بن الوليد الذي يقال له الناقص الوليد بن يزيد

ذكر الخبر عن سبب قتله إياه وكيف قتل

قد ذكرنا بعض أمر الوليد بن يزيد وخلاعه ومجائته وما ذكر عنه من تهاونه واستخفافه بأمر دينه قبل خلافته لما ولي الخلافة وأفضت إليه لم يزد من الذي كان فيه من اللهو واللذة والركوب للصيد وشرب النبيذ ومنادمة الفساق لإتماماً و جداً تركت الأخبار الواردة عنه بذلك كراهة إطالة الكتاب بذكرها فثقل ذلك من أمره على رعيته وجنده ففكر هو أمره وكان من أعظم ما جنى على نفسه حتى أورثه ذلك هلاكه إفساده على نفسه بنى عميه ولد هشام وولد الوليد ابني عبد الملك بن مروان مع إفساده على نفسه البيانية وهم عظم جند أهل الشام

ذكر بعض الخبر عن إفساده بنى عميه هشام والوليد

❁ حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا عليّ عن المنهال بن عبد الملك قال كان الوليد صاحب هو وصيد ولذات فلما ولي الأمر جعل يكره المواضع التي فيها الناس حتى قتل ولم يزل ينتقل ويتصيد حتى ثقل على الناس وعلى جنده واشتد على بنى هشام ضرب سليمان بن هشام مائة سوط وحلق رأسه ولحيتته وغربه إلى عمان

فحبسه بها فلم يزل بها محبوسا حتى قتل الوليد قال وأخذ جارية كانت لآل
الوليد فكلمه عمر بن الوليد فيها فقال لا أردّها فقال إذن تكثر الصواهل حول
عسكرك قال وحبس الأقم يزيد بن هشام وأراد البيعة لابنيه الحكم وعثمان
فشاور سعيد بن يهس بن صهيب فقال لا تفعل فأنهما غلامان لم يحتلّيا ولكن
بايع لعتيق بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فغضب وحبسه حتى مات في الحبس
وأراد خالد بن عبد الله على البيعة لابنيه فأبى فقال له قوم من أهله أرادك
أمير المؤمنين على البيعة لابنيه فأبى فقال ويحكم كيف أباع من لأصلى خلفه
ولا أقبل شهادته قالوا فالوليد تقبل شهادته مع مجونه وفسقه قال أمر الوليد أمر
غائب عنى ولا أعلمه يقينا إنما هي أخبار الناس فغضب الوليد على خالد قال وقال
عمرو بن سعيد الثقفي أوفدني يوسف بن عمر إلى الوليد فلما قدمت قال لي كيف
رأيت الفاسق يعنى بالفاسق الوليد ثم قال إياك أن يسمع هذا منك أحد فقلت
حبيبة بنت عبد الرحمن بن جبير طالق إن سمعته أذنى مادمت حيا فضحك قال
فقتل الوليد على الناس ورماه بنو هشام وبنو الوليد بالكفر وغشيان أمهات
أولاد أبيه وقالوا قد اتخذت مائة جامعة وكتب على كل جامعة اسم رجل من بني
أمية ليقتله بها ورموه بالزندقة وكان أشدهم فيه قولا يزيد بن الوليد بن عبد الملك
وكان الناس إلى قوله أميل لأنه كان يظهر النسك ويتواضع ويقول ما يسعنا الرضا
بالوليد حتى حمل الناس على الفتك به ❀ حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا علي
عن يزيد بن مضاء الكلبي عن عمرو بن شراحيل قال سيرنا هشام بن عبد الملك
إلى دَهْلَك فلم نزل بها حتى مات هشام واستخلف الوليد فكلّم فينا فأبى وقال والله
ما عمل هشام عملا أرجى له عندي أن تناله المغفرة به من قتله القدرية وتسييره
إلينا وكان الوالى علينا الحجاج بن بشر بن فيروز الديلمي وكان يقول لا يعيش
الوليد إلا ثمانية عشر شهرا حتى يقتل ويكون قتله سبب هلاك أهل بيته قال
فأجمع على قتل الوليد جماعة من قضاة والبيانية من أهل دمشق خاصة فآتى
حريث وشيب بن أبي مالك الغساني ومنصور بن جمهور ويعقوب بن

عبد الرحمن وحبال بن عمرو ابن عم منصور وحميد بن نصر اللخمي والاصبح بن ذؤالة وطفيل بن حارثة والسري بن زياد بن علافة خالد بن عبدالله فدعوه إلى أمرهم فلم يجبهم فسألوه أن يكتب عليهم فقال لا أسمي أحداً منكم وأراد الوليد الحج يخاف خالد أن يفتكوا به في الطريق فأتاه فقال يا أمير المؤمنين أئخر الحج العام فقال ولم فلم يخبره فأمر بحبسه وأن يستأدى ما عليه من أموال العراق وقال علي عن الحكم بن النعمان قال أجمع الوليد علي عزل يوسف واستعمال عبد الملك بن محمد ابن الحجاج فكتب إلى يوسف إنك كتبت إلى أمير المؤمنين تذكر تخريب ابن النصرانية البلاد وقد كنت علي ما ذكرت من ذلك تحمل إلى هشام ما تحمل وقد ينبغي أن تكون قد عمّرت البلاد حتى رددتها إلى ما كانت عليه فأشخص إلى أمير المؤمنين فصدق ظنه بك فيما تحمل اليه لعهارتك البلاد وليعرف أمير المؤمنين فضلك علي غيرك لما جعل الله بينك وبين أمير المؤمنين من القرابة فانك خاله وأحق الناس بالتوفير عليه ولما قد علمت مما أمر به أمير المؤمنين لأهل الشام وغيرهم من الزيادة في أعطياتهم وما وصل به أهل بيته لطول جفوة هشام إيام حتى أضر ذلك بيوت الأموال قال فخرج يوسف واستخلف ابن عمه يوسف بن محمد وحمل من الأموال والأمتعة والآنية ما لم يحمل من العراق مثله فقدم وخالد بن عبد الله محبوس فلقية حسان النبطي ليلاً فأخبره أن الوليد عازم علي تولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج وأنه لا بد ليوسف فيها من اصلاح أمر وزرائه فقال ليس عندي فضل درهم قال فعندي خمسمائة ألف درهم فان شئت فهي لك وإن شئت فارددها إذا تيسرت قال فانت أعرف بالقوم ومنازلهم من الخليفة منى فقرتها علي قدر علمك فيهم ففعل وقدم يوسف والقوم يعظمونه فقال له حسان لا تعد علي الوليد ولكن رُح اليه رواحا واكتب علي لسان خليفتك كتاباً اليك إني كتبت اليك ولا أملك إلا القصر وادخل علي الوليد والكتاب معك محتوماً متحازنا فأقره الكتاب ومر أبان بن عبد الرحمن الغنيري يشتري خالداً منه بأربعين ألف ألف ففعل يوسف فقال له الوليد ارجع

إلى عمك فقال له أبان ادفع إلى خالد وأدفع إليك أربعين ألف ألف درهم قال
ومن يضمن عنك قال يرسف قال أتضمن عنه قال بل ادفعه إلى فأنا أستاذيه
خمسين ألف ألف فدفعه إليه فحمله في حمل بغير وطاء قال محمد بن محمد بن القاسم
فرحمته فجمعت الطافا كانت معنا من أخصبة يابسة وغيرها في مندبل وأنا على
ناقة فارمة فتعقلت يوسف فأسرعت ودنوت من خالد ورميت بالمندبل في
عمله فقال لي هذا من متاع عمان يعني أن أخى الفيض كان على عمان فبعث إلى
بمال جسيم فقلت في نفسي هذا على هذه الحالة وهو لا يدع هذا فقطن يوسف بن
فقال لي ما قلت لابن النصرانية فقلت عرضت عليه الحاجة قال أحسنت هو أسير
فقال ولو فظن بما ألقى إليه لافني منه أذى وقدم الكوفة فقتله في العذاب فقال
الوليد بن يزيد فيما زعم الهيثم بن عدى شعراً يُوخج به أهل اليمن في تركهم نصرة خالد
ابن عبد الله وأما أحمد بن زهير فإنه حدثني عن علي بن محمد عن محمد بن سعيد
العامري عامر كلب أن هذا الشعر قاله بعض شعراء اليمن على لسان الوليد
يحرّض عليه اليمانية

ألم تهتج فتذكر الوصلا
بلى فالدمع منك له بجمام
فدع عنك أذكارك آل سعدى
ونحن المالكون الناس قسراً
وطنا الأشعرين يعز قيس
وهذا خالد فينا أسيرا
عظيمهم وسيدهم قديما
فلو كانت قبائل ذات عز
ولا تركوه مسلوباً أسيراً
ورواه المدائني يعالج من سلاسلنا
وكندة والسكون فما استقالوا
وحبلاً كان متصلاً فزالا
كأء المزن ينسجل انسجالا
فنحن الأكرؤن حصى ومالا
نسومهم المذلة والنكالا
فيا لك وطاة لن تستقالا
ألا منعه إن كانوا رجالا
جعلنا المخزيات له ظللالا
لما ذهبت صنائعه ضلالا
يسامر من سلاسلنا الثقالا
ولا برحت خيولهم الرحالا

بها سُئِنَا الْبَرِيَّةَ كُلَّ خَسْفٍ
 وَلَكِنِ الْوَقَائِعُ ضَعُفَتْهُمْ
 فَمَا زَالُوا لَنَا أَبَدًا عَيْدًا
 فَأَصْبَحَتْ الْغَدَاةُ عَلَى تَاجٍ
 فَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ هَلْبَاءِ الْكَلْبِيُّ بِجَبِيهِ
 قَفِي صَدْرَ الْمَطِيَّةِ يَا حَلَالًا
 أَلَمْ يَحْزُنْكَ أَنْ ذَوِي يَمَانٍ
 جَعَلْنَا لِلْقَبَائِلِ مِنْ نِزَارٍ
 بِنَا مَلِكَ الْمَمْلَكِ مِنْ قَرِيشٍ
 مَتَى تَلَقَّ السَّكُونُ وَتَلَقَّ كَلْبًا
 كَذَاكَ الْمَرْءُ مَالِمُ يُلْفَ عَدْلًا
 أَعْدُوا آلَ حَمِيرٍ إِذْ دُعِيْتُمْ
 وَكُلَّ مُقَابِصٍ نَهْدِ الْقُصَيْرِي
 يَذَرْنَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ قَبِيلًا
 لِنِ عَيْرَتَمُونَا مَا فَعَلْنَا
 لِإِخْوَانِ الْأَشَاعِثِ قَتْلُوهُمْ
 وَأَبْنَاءِ الْمُهَابِ نَحْنُ صُلْنَا
 وَقَدْ كَانَتْ جُدَامُ عَلَى أُخْيِهِمْ
 هَرَبْنَا أَنْ نُسَاعِدَكُمُ عَلَيْهِمْ
 فَإِنَّ عَدْتُمْ فَإِنَّ لَنَا سُيُوفًا
 سَلَبِكِي خَالِدًا بِمُهَنْدَاتٍ
 أَلَمْ يَكُ خَالِدُ غَيْثَ الْبَسَامِي
 يُكْفِنُ خَالِدُ مَوْقِي نِزَارٍ
 لَوْ أَنَّ الْجَارِيْنَ عَلَيْهِ كَانُوا
 سَتَلَقَى إِنْ بَقِيَتْ مُسَوِّمَاتٍ

وَهَدَمْنَا السُّهُولَةَ وَالْجِبَالَا
 وَجَدَّتْهُمْ وَرَدَّتْهُمْ شِلَالَا
 نُسُومُهُمُ الْمَذَلَّةُ وَالسَّفَالَا
 لِمَلِكِ النَّاسِ مَا يَبْغِي انْتِقَالَا
 وَجَدَى حَبْلَ مَنْ قَطَعَ الْوَصَالَا
 يُرَى مَنْ حَاذَ قَبْلَهُمْ حَلَالَا
 غَدَاةَ الْمَرْجِ أَيَّامًا طَوَالَا
 وَأُودَى جَدَّ مَنْ أُوْدَى فَرَالَا
 بَعْبِيسٍ تَخَشَّ مِنْ مُلِكِ زَوَالَا
 يَكُونُ عَلَيْهِ مِنْطِقُهُ وَبَالَا
 سُيُوفِ الْهِنْدِ وَالْأَسَلِ النَّهَالَا
 وَذَا فَوْدَيْنِ وَالْقُبِّ الْجِبَالَا
 عَلَيْهِ الطَّيْرُ قَدْ مَدَلَ السُّؤَالَا
 لَقَدْ قَلَمَ وَجَدَّكُمْ مَقَالَا
 فَمَا وَطِنُوا وَلَا لَاقُوا نِكَالَا
 وَقَاتَعَهُمْ وَمَا صَلَّمْتُ مَصَالَا
 وَلِحْمٍ يَقْتُلُونَهُمْ شِلَالَا
 وَقَدْ أَخْطَأَ مُسَاعِدُكُمْ وَقَالَا
 صَوَارِمَ تَسْتَجِدُّهَا الصَّقَالَا
 وَلَا تَذْهَبُ صَنَائِعُهُ ضَلَالَا
 إِذَا حَضَرُوا وَكُنْتَ لَهُمْ هُزَالَا
 وَيُرَى حَيْثُ نَشَبَا وَمَالَا
 بِسَاحَةِ قَوْمِهِ كَانُوا نِكَالَا
 عَوَائِسَ لَا يُزَايِلَنَّ الْجِلَالَا

❁ حدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد قال فازداد الناس على الوليد حنقا

لما روى هذا الشعر فقال ابن بيض

وَصَلَتْ سَمَاءَ الضَّرِّ بِالضَّرِّ بَعْدَ مَا زَعَمْتَ سَمَاءَ الضَّرِّ عَنَا سَتَقْلَعُ

فَلَيْتَ هَشَامًا كَانَ حَيًّا يَسُوسُنَا وَكُنَّا كَمَا كُنَّا نُزَجِّي وَنَطْمَعُ

وكان هشام استعمل الوليد بن القعقاع على قنسرين وعبد الملك بن القعقاع

على حمص فضرب الوليد بن القعقاع ابن هبيرة مائة سوط فلما قام الوليد هرب

بنو القعقاع منه فعاذوا بقبر يزيد بن عبد الملك فبعث إليهم فدفعهم إلى يزيد بن عمر بن

هبيرة وكان على قنسرين فعذبهم فمات في العذاب الوليد بن القعقاع وعبد الملك بن القعقاع

ورجلان معهما من آل القعقاع واضطغن على الوليد آل الوليد وآل هشام وآل القعقاع

واليمانية بما صنع بخالد بن عبد الله فأتت اليمانية يزيد بن الوليد فأرادوه على البيعة فشاور

عمرو بن يزيد الحكيم فقال لا يبايعك الناس على هذا وشاور أخاك العباس

ابن الوليد فانه سيد بني مروان فان بايعك لم يخالفك أحد وإن أبي كان

الناس له أطوع فان أبيت إلا المضي على رأيك فأظهر أن العباس قد بايعك

وكانت الشام تلك الأيام وية فخرجوا إلى البوادي وكان يزيد بن الوليد متبدياً

وكان العباس بالقسطل بينهما أميال يسيرة ❁ حدثني أحمد بن زهير قال حدثني علي

قال أتى يزيد أخاه العباس فأخبره وشاوره وعاب الوليد فقال له العباس مهلا

يا يزيد فان في نقض عهد الله فساد الدين والدنيا فرجع يزيد إلى منزله ودب في الناس

فبايعوه سرّاً ودسّ الأحنف الكلبيّ ويزيد بن عنبسة السكسكي وقوما من ثقافته

من وجوه الناس وأشرفهم فدعوا الناس سرّاً ثم عاود أخاه العباس ومعه قطن

مولاهم فشاوره في ذلك وأخبره أن قوما يأتونه يريدونه على البيعة فزبره العباس

وقال إن عدت لمثل هذا لأشدنك وثاقاً ولأحملك إلى أمير المؤمنين فخرج

يزيد وقطن فأرسل العباس إلى قطن فقال ويحك يا قطن أترى يزيد جاداً قال

جعلت فداك ما أظن ذاك ولكنه قد دخله مما صنع الوليد ببني هشام وبني

الوليد وما يسمع من الناس من الاستخفاف بالدين وتهاونه ما قد ضاق به ذرعاً

قال أم والله إنى لأظنه أشأم سخلة في بني مروان ولولا ما أخاف من عجلة الوليد مع تحامله علينا لشدت يزيد وثاقا وحملة اليه فازجره عن أمره فانه يسمع اليك فقال يزيد لقطن ما قال لك العباس حين رأك فأخبره فقال له والله لا أكف وبلغ معاوية بن عمرو بن عتبة خوض الناس فأتى الوليد فقال يا أمير المؤمنين إنك تبسط لسانى بالانس بك وأكفه بالهية لك وأنا أسمع ما لا تسمع وأخاف عليك ما أراك تأمن أفأتكلم ناصحا أو أسكت مطيعا قال كل مقبول منك والله فينا علم غيب نحن صائررون اليه ولو علم بنو مروان أنهم إنما يوقدون على رصف يلقونه في أجوافهم ما فعلوا و تقوؤد ونسمع منك وبلغ مروان بن محمد بأرمينية أن يزيد يرواب الناس ويدعو إلى خلع الوليد وكتب إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان يأمره أن ينهى الناس ويكفهم وكان سعيد يتأله أن الله جعل لكل أهل بيت أركانا يعتمدون عليها ويتقون بها المخاوف وأنت بحمد ربك ركن من أركان أهل بيتك وقد بلغنى أن قوما من سفهاء أهل بيتك قد استنوا أمرا إن تمت لهم رويتهم فيه على ما أجمعوا عليه من نقض بيعتهم استفتحوا بابا لن يغلقه الله عنهم حتى يسفك دماء كثيرة منهم وأنا مشتغل بأعظم ثغور المسلمين فرجأ ولو جمعتنى وإياهم لرميت فساد أمرهم بيدي ولسانى ولحقت الله في ترك ذلك لعلمى ما فى عواقب الفرقة من فساد الدين والدنيا وإنه لن ينتقل سلطان قوم قط إلا فى تشيت كلمتهم وإن كلمتهم إذا تشوشت طمع فيهم عدوهم وأنت أقرب اليهم منى فاحتل لعلم ذلك بإظهار المتابعة لهم فإذا صرت إلى علم ذلك فتهددهم بإظهار أسرارهم وخذم بلسانك وخوفهم العواقب لعلى الله أن يرد اليهم ما قد عزب عنهم من دينهم وعقولهم فان فيما سعوا فيه تغيير النعم وذهاب الدولة فعاجل الأمر وجبل الالفة مشدود والناس سكون والثغور محفوظة فان للجماعة دولة من الفرقة والسعة دافعا من الفقر وللعدد منتقضا ودول اللبالي مختلفة على أهل الدنيا والتقلب مع الزيادة والنقصان وقد امتدت بنا أهل البيت متابعات من النعم قد يعنى بها جميع الامم وأعداء النعم وأهل الحسد لأهلها وبحسد ابليس

خرج آدم من الجنة وقد أمل القوم في الفتنة أملا لعل أنفسهم تهلك دون ما أملوا ولكل أهل بيت مشائم يغير الله النعمة بهم فاعاذك الله من ذلك واجعلني من أمرهم على علم حفظ الله لك دينك وأخرجك مما أدخلك فيه وغلب لك نفسك على رشدك فأعظم سعيد ذلك وبعث بكتابه إلى العباس فدعا العباس يزيد فعذله وتهدده فحذره يزيد وقال يا أخى أخاف أن يكون بعض من حسدنا هذه النعمة من عدونا أراد أن يُغري بيننا وحلف له أنه لم يفعل فصدقه ﴿٥٤٥﴾ حدثني أحمد قال حدثنا علي قال قال ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك دخل أبي بشر بن الوليد على عمي العباس فكلمه في خلع الوليد وبيعة يزيد فكان العباس ينهاه وأبي يراده فكنت أفرح وأقول في نفسي أرى أبي يجترئ أن يكلم عمى ويرد عليه قوله وكنت أرى أن الصواب فيما يقول أبي وكان الصواب فيما يقول عمى فقال العباس يا بني مروان إني أظن الله قد أذن في هلاككم وتمثل قائلا

إني أعيدُكم بالله من قِتين مثل الجبال تسامى ثم تندفع
إن البرية قد ملت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تلحن ذناب الناس أنفسكم إن الذناب إذا ما أجمع رتعوا
لا تبقرن بأيديكم بطونكم فتم لاحسرة تغنى ولا تجزع

قال فلما اجتمع ليزيد أمره وهو متبداً أقبل إلى دمشق وبينه وبين دمشق أربع ليال متكرراً في سبعة نفر على حمير فنزلوا بجرود على مرحلة من دمشق فرمى يزيد بنفسه فنام وقال القوم لمولى لعباد بن زياد أما عندك طعام فاشتريه قال أما البيع فلا ولكن عندي قراكم ومايسعكم فأتاهم بدجاج وفراخ وعسل وسمن وشواريز فطعموا ثم سار فدخل دمشق ليلاً وقد بايع ليزيد أكثر أهل دمشق سرّاً وبايع أهل المزة غير معاوية بن مصاد الكلبي وهو سيد أهل المزة فمضى يزيد من ليلته إلى منزل معاوية بن مصاد ماشياً في نفر من أصحابه وبين دمشق وبين المزة ميل أو أكثر فأصابهم مطر شديد فأتوا منزل معاوية بن مصاد فضربوا بابه ففتح لهم فدخل فقال ليزيد القراش أصلحك الله قال إن في رجلي طينا وأكره

أن أفسد بساطك فقال الذي تريدنا عليه أفسدُ فكلمه يزيد فبايعه معاوية ويقال هشام بن مصاد ورجع يزيد الى دمشق فأخذ طريق القناة وهو على حمار أسود فنزل دار ثابت بن سليمان بن سعد الخشني وخرج الوليد بن روح وحلف لا يدخل دمشق الا في السلاح فلبس سلاحه وكفر عليه الثياب وأخذ طريق النيرب وهو على فرس أبلق حتى وافى يزيد وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف فخاف الوباء فخرج فنزل قطنا واستخلف ابنه علي دمشق وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمي فأجمع يزيد على الظهور فقيل للعامل إن يزيد خارج فلم يصدق وأرسل يزيد إلى أصحابه بين المغرب والعشاء ليلة الجمعة سنة ١٢٦ فكنوا عند باب الفراديس حتى أذنوا العتمة فدخلوا المسجد فصلوا وللمسجد حرس قد وكلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل فلما صلى الناس صاح بهم الحرس وتباطأ أصحاب يزيد فجعلوا يخرجون من باب المقصورة ويدخلون من باب آخر حتى لم يبق في المسجد غير الحرس وأصحاب يزيد فأخذوا الحرس ومضى يزيد بن عنبسة إلى يزيد بن الوليد فأعلمه وأخذ يديه وقال قم يا أمير المؤمنين وأبشر بنصر الله وهونه فقام وقال اللهم إن كان هذا لك رضى فأعنى عليه وسددنى له وإن كان غير ذلك فاصرفه عنى بموت وأقبل فى اثني عشر رجلا فلما كان عند سوق الحمر لقوا أربعين رجلا من أصحابهم فلما كانوا عند سوق القمح لقيهم زهاء مائتى رجل من أصحابهم فمضوا إلى المسجد فدخلوه فأخذوا باب المقصورة فضربوه وقالوا ارسل الوليد ففتح لهم الباب فآخذوه ودخلوا وأخذوا أبا العاج وهو سكران وأخذوا خزان بيت المال وصاحب البريد وأرسل إلى كل من كان يحذره فأخذ وأرسل يزيد من ليلته إلى محمد بن عبيدة مولى سعيد ابن العاص وهو على بعلبك فأخذه وأرسل من ليلته إلى عبد الملك بن محمد بن الحجاج ابن يوسف فأخذه ووجه إلى الثنية إلى أصحابه ليأتوه وقال للبوأين لا تفتحوا الباب غدوة إلا لمن أخبركم شعارنا فتركوا الأبواب بالسلاسل وكان في المسجد سلاح كثير قدم به سليمان بن هشام من الجزيرة ولم تكن الخزان قبضوه فأصابوا أسلحا

كثيراً فلما أصبحوا جاء أهل المزة وابن عصام فما انتصف النهار حتى تباع
الناس ويزيد يتمثل

إذا استنزلوا عنهنَّ للطعنِ أرقلوا إلى الموتِ إرقالَ الجمالِ المصاعِبِ

فجعل أصحاب يزيد يتعجبون ويقولون أنظروا إلى هذا هو قبيل الصبح يسبح
وهو الآن ينشد الشعر ❦ حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا علي قال حدثنا عمرو بن
مروان الكلبي قال حدثني رزين بن ماجد قال غدو ناعم عبد الرحمن بن مصاد ونحن
زهة ألف وخمسمائة فلما انتهينا إلى باب الجابية ووجدناه مغلقاً ووجدنا عليه
رسولاً للوليد فقال ما هذه الهيئة وهذه العدة أم والله لأعلن أمير المؤمنين فقتله
رجل من أهل المزة فدخلنا من باب الجابية ثم أخذنا في زقاق الكليين فضاقتنا
فأخذنا من سوق القمح ثم اجتمعنا على باب المسجد فدخلنا على يزيد فمافرع
آخرنا من التسليم عليه حتى جاءت السكاسك في نحو ثلثمائة فدخلوا من باب الشرق
حتى أتوا المسجد فدخلوا من باب الدرج ثم أقبل يعقوب بن عمير بن هانئ العبسي
في أهل داريا فدخلوا من باب دمشق الصغير وأقبل عيسى بن شبيب التغلبي في أهل
دومة وحرستا فدخلوا من باب توما وأقبل حميد بن حبيب اللخمي في أهل دير المران
والأرزة وسطرا فدخلوا من باب الفراديس وأقبل النضر بن عمر الجرشي في
أهل جرش وأهل الحديثة ودير زكا فدخلوا من باب الشرق وأقبل ربيع بن هاشم
الحارثي في الجماعة من بني عذرة وسلامان فدخلوا من باب توما ودخلت جهينة
ومن والام مع طلحة بن سعيد فقال بعض شعرائهم

فجاءتهم أنصارهم حين أصبحوا	سكاسكها أهل البيوت الصناديد
وكلب فجأؤهم بخيل وعدة	من البيض والأبدان ثم السواعد
فاكرم بهم أحياء أنصار سنة	ثم منعوا حرماها كل واحد
وجاءتهم شعبان والأزد شرعا	وعبس ولحم بين حام وذائد
وغسان والحيان قيس وتغلب	وأحجم عنها كل وان وزاهد
فما أصبحوا إلا وهم أهل ملكها	قد استوثقوا من كل عات ومارد

* حدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد عن عمرو بن مروان الكلبي قال حدثني
 قسيم بن يعقوب ورزين بن ماجد وغيرهما قالوا وجه يزيد بن الوليد عبد الرحمن
 ابن مصاد في مائتي فارس أو نحوهم إلى قطن ليأخذوا عبد الملك بن محمد بن الحجاج
 ابن يوسف وقد تحصن في قصره فأعطاه الأمان فخرج إليه فدخلنا القصر فأصبنا
 فيه خرَجين في كل واحد منهما ثلاثون ألف دينار قال فلما انتهينا إلى الميزة قلت
 لعبد الرحمن بن مصاد اصرف أحدهذين الخرجين إلى منزلك أو كليهما فإنك لا تصيب
 من يزيد مثلهما أبدا فقال لقد عجبت إذا بالحياة لا والله لا يتحدث العرب أني أول
 من خان في هذا الأمر فمضى به إلى يزيد بن الوليد وأرسل يزيد بن الوليد إلى عبد العزيز
 ابن الحجاج بن عبد الملك فأمره فوقف بباب الجابية وقال من كان له عطاء فليأت
 إلى عطائه ومن لم يكن له عطاء فله ألف درهم معونة وقال لبني الوليد بن عبد الملك
 ومعه منهم ثلاثة عشر تفرقوا في الناس يرونكم وحضوهم وقال للوليد بن روح
 ابن الوليد أنزل الراهب ففعل * وحدثني أحمد بن علي عن عمرو بن مروان
 الكلبي قال حدثني دكين بن الشماخ الكلبي وأبو علاقة بن صالح السلامي أن
 يزيد بن الوليد نادى بأمره مناد من ينتدب إلى الفاسق وله ألف درهم فاجتمع
 إليه أقل من ألف رجل فأمر رجلا فنادى من ينتدب إلى الفاسق وله ألف وخمسمائة
 فانتدب إليه يومئذ ألف وخمسمائة فعقد منصور بن جمهور على طائفة وعقد يعقوب
 ابن عبد الرحمن بن سليم الكلبي على طائفة أخرى وعقد لهرم بن عبد الله بن دحية
 على طائفة أخرى وعقد لحميد بن حبيب اللخمي على طائفة أخرى وعليهم جميعاً
 عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فخرج عبد العزيز فمسك بالحيرة * وحدثني
 أحمد بن زهير قال حدثنا علي بن عمرو بن مروان الكلبي قال حدثني يعقوب
 ابن إبراهيم بن الوليد ان مولى للوليد لما خرج يزيد بن الوليد خرج على فرس
 له فأتى الوليد من يومه فنفق فرسه حين بلغه فاخبر الوليد الخبر فضربه مائة سوط
 وحبسه ثم دعا أبا محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية فأجازه ووجهه إلى دمشق
 فخرج أبو محمد فلما انتهى إلى ذنبة أقام فوجه يزيد بن الوليد إليه عبد الرحمن بن

مصاد فسالمه أبو محمد وبائع ليزيد بن الوليد وأبي الوليد الخبر وهو بالأغدف والأغدف من عمان فقال بييس بن زميل الكلبي ويقال قاله يزيد بن خالد ابن يزيد بن معاوية يا أمير المؤمنين سر حتى تنزل حمص فانها حصينة ووجه الجنود إلى يزيد فيقتل أو يؤسر فقال عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاص ما ينبغي للخليفة أن يدع عسكره ونساءه قبل أن يقاتل ويعذر والله مؤيد أمير المؤمنين وناصره فقال يزيد بن خالد وماذا يخاف على حرمة وإنما أتاه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وهو ابن عمه فأخذ بقول ابن عنبسة فقال له الأبرش سعيد بن الوليد الكلبي يا أمير المؤمنين تدمر حصينه وبها قومي يمنعونك فقال ما أرى أن تأتي تدمر وأهلها بنو عامر وهم الذين خرجوا على ولكن دلتني على منزل حصين فقال أرى أن تنزل القرية قال أكرهها قال فهذا الهزيم قال أكره اسمه قال فهذا البخراء قصر النعمان بن بشير قال ويحك ما أقبح أسماء مياهم فأقبل في طريق السماوة وترك الريف وهو في مائتين فقال

إذا لم يكن خيراً مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجة حين تفزع
إذا ما هم هموا بإحدى هنتاتهم حسرت لهم رأسي فلا أتقنع

فر بشبكة الضحاك بن قيس الفهري وفيها من ولده وولد ولده أربعون رجلاً فساروا معه وقالوا إنا عزل فلو أمرت لنا بسلاح فإعطاهم سيفاً ولا رمحاً فقال له بييس بن زميل أما إذ أبيت أن تمضي إلى حمص وتدمر فهذا الحصن البخراء فإنه حصين وهو من بناء العجم فانزله قال إني أخاف الطاعون قال الذي يراد بك أشد من الطاعون فنزل حصن البخراء قال فندب يزيد بن الوليد الناس إلى الوليد مع عبد العزيز ونادي مناديه من سار معه فله ألفان فانتدب ألفاً رجل فأعطاهم ألفين ألفين وقال موعدهم بذنبة فوافى بذنبة ألف ومائتان وقال موعدهم مصنعة بنى عبد العزيز بن الوليد بالبرية فوافاه ثمانمائة فسار فتلقاهم ثقل الوليد فأخذوه ونزلوا قريباً من الوليد فأتاه رسول العباس بن الوليد إني آتيتك فقال الوليد أخرجوا سريراً فأخرجوا سريراً فجلس عليه وقال أعلى توثب الرجال

وأنا أئب على الأسد وانحصر الأفاعى وهم ينتظرون العباس فقاتلهم عبد العزيز
وعلى الميمنة عمرو بن حوى السكسكى وعلى المقدمة منصور بن جمهور وعلى
الرجالة عمارة بن بن أبي كثم الأزدي ودعا عبد العزيز ببغل له أدم فركبه
وبعث إليهم زياد بن حصين الكلبي يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه فقتله قطرى
مولى الوليد فانكشف أصحاب يزيد فترجل عبد العزيز ففكر أصحابه وقد قتل
من أصحابه عدة وحملت رؤسهم إلى الوليد وهو على باب حصن البخراء قد أخرج
لواء مروان بن الحكم الذى كان عقده بالجافية وقتل من أصحاب الوليد بن يزيد
عثمان الخشبي قتله جناح بن نعيم الكلبي وكان من أولاد الخشبية الذين كانوا مع
المختار وبلغ عبد العزيز مسير العباس بن الوليد فأرسل منصور بن جمهور فى خيل
وقال انكم تلقون العباس فى الشعب ومعه بنوه فخذوهم فخرج منصور فى الخيل
فلما صاروا بالشعب اذا هم بالعباس فى ثلاثين من بنيه فقالوا له أعدل إلى عبد العزيز
فشتمهم فقال له منصور والله لئن تقدمت لأنفذن حصينك يعنى درعك وقال
نوح بن عمرو بن حوى السكسكى الذى لقي العباس بن الوليد يعقوب بن عبد الرحمن
ابن سليم الكلبي فعدل به إلى عبد العزيز فأبى عليه فقال له يا ابن قسطنطين لئن
أبيت لأضربن الذى فيه عينك فظفر العباس إلى هريم بن عبد الله بن دحية فقال
من هذا قال يعقوب بن عبد الرحمن بن سليم قال أم والله ان كان لبغيضا إلى
أبيه أن يقف ابنه هذا الموقف وعدل به إلى عسكر عبد العزيز ولم يكن مع العباس
أصحابه كان تقدمهم مع بنيه فقال إنا لله فأتوا به عبد العزيز فقال له بايع لأخيك
يزيد بن الوليد فبايع ووقف ونصبوا راية وقالوا هذه راية العباس بن الوليد وقد
بايع لأمير المؤمنين يزيد بن الوليد فقال العباس انا لله خدعة من خدع الشيطان
هلك بنو مروان ففرق الناس عن الوليد فأتوا العباس وعبد العزيز وظاهر الوليد
بين درعين وأتوه بفرسيه السندی والزائد فقاتلهم قتالا شديدا فناداهم رجل
اقتلوا عدو الله قتلة قوم لوط ارموه بالحجارة فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق
الباب وأحاط عبد العزيز وأصحابه بالقصر فدنا الوليد من الباب فقال أما فيكم

رجل شريف له حسب وحياء أكله فقال له يزيد بن عنبسة السكسكى كلنى قال له من أنت قال أنا يزيد بن عنبسة قال يا أخا السكاسكك ألم أزد في أعطياتكم ألم أرفع المؤمن عنكم ألم أعطى فقراءكم ألم أخدم زمناً كم فقال انا ما تنقم عليك في أنفسنا ولكن تنقم عليك في انتهاك ما حرم الله وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أهلك واستخفافك بأمر الله قال حسبك يا أخا السكاسكك فلعمري لقد أكثرت وأغرقت وان فيما أحل لي لسعة عما ذكرت ورجع إلى الدار فجلس وأخذ مصحفاً وقال يوم كيوم عثمان ونشر المصحف يقرأ فعلوا الحائط فكان أول من علا الحائط يزيد بن عنبسة السكسكى فنزل إليه وسيف الوليد إلى جنبه فقال له يزيد نوح سيفك فقال له الوليد لو أردتُ السيف لكانت لي ولك حالة غير هذه فأخذ بيد الوليد وهو يريد ان يحبسه ويؤامر فيه فنزل من الحائط عشرة منصور بن جمهور وحبال بن عمرو الكلبي وعبد الرحمن بن عجلان مولى يزيد ابن عبد الملك وحميد بن نصر اللخمي والسري بن زياد بن أبي كبشة وعبد السلام اللخمي فضربه عبد السلام على رأسه وضربه السري على وجهه وجروه بين خمسة ليخرجوه فصاحت امرأة كانت معه في الدار فكفوا عنه ولم يخرجوه واحتزَّ ابو علاقة القضاعى رأسه فأخذ عقباً نخطا الضربة التي في وجهه ب قدم بالرأس على يزيد رَوْح بن مقبل وقال أبشر يا أمير المؤمنين بقتل الفاسق الوليد وأسر من كان معه والعباس ويزيد يتغدى فسجد ومن كان معه وقام يزيد بن عنبسة السكسكى وأخذ بيد يزيد وقال قم يا أمير المؤمنين رأبشر بنصر الله فاختلج يزيد يده من كفه وقال اللهم ان كان هذا لك رضا فسدنى وقال ليزيد بن عنبسة هل كلبكم الوليد قال نعم كلنى من وراء الباب وقال أما فيكم ذو حسب فأكله فكلمته ووبخته فقال حسبك فقد لعمري أغرقت رأكثر أم والله لا يرتق فتكم ولا يلتم شعثكم ولا تجتمع كلتكم ❀ حدثني أحمد عن علي بن عمرو بن مروان الكلبي قال قال نوح بن عمرو بن حوى السكسكى خرجنا إلى قتال الوليد في ليال ليس فيها قر فاذ كنت لأرى الحصى فأعرف أسوده من

أيضه قال وكان على ميسرة الوليد بن يزيد الوليد بن خالد بن أخى الأبرش الكلبي في بني عامر وكانت بنو عامر ميمنة عبد العزيز فلم يقاتل ميسرة الوليد ميمنة عبد العزيز ومالوا جميعا إلى عبد العزيز بن الحجاج قال وقال نوح بن عمرو رأيت خدام الوليد ابن يزيد وحشمه يوم قتل يأخذون بأيدي الرجال فيدخلونهم عليه * حدثني أحمد عن علي بن عمرو بن مروان الكلبي قال حدثني المثنى بن معاوية قال أقبل الوليد فنزل اللؤلؤة وأمر ابنه الحكم والمؤمل بن العباس أن يفرضوا لمن أتاهما ستين دينارا في العطاء فأقبلت أنا وابن عمي سليمان بن محمد بن عبد الله إلى عسكر الوليد فقربني المؤمل وأدناني وقال أدخلك على أمير المؤمنين وأكله حتى يفرض لك في مائة دينار قال المثنى فخرج الوليد من اللؤلؤة فنزل الملية فأتاه رسول عمرو ابن قيس من حمص يخبره أن عمرا قد وجه إليه خمسمائة فارس عليهم عبد الرحمن ابن أبي الجنوب البهراني فدعا الوليد الضحاك بن أيمن من بني عوف بن كلب فأمره أن يأتي ابن أبي الجنوب وهو بالغويرة فيستعجله ثم يأتي الوليد بالمليكة فلما أصبح أمر الناس بالرحيل وخرج على بردون كعبت عليه قباء خز وعمامة خز محتزما بربطة رقيقة قد طواها وعلى كتفيه ربطة صفراء فوق السيف فلقبه بنو سليم بن كيسان في ستة عشر فارسا ثم سار قليلا فلقاه بنو النعمان بن بشير في فوارس ثم أتاه الوليد ابن أخى الأبرش في بني عامر من كلب فحمله الوليد وكساه وسار الوليد على الطريق ثم عدل في تلة يقال لها المشبهة فلقبه ابن أبي الجنوب في أهل حمص ثم أتى البخراء فضج أهل العسكر وقالوا ليس معنا علف لدوابنا فأمر رجلا فنادى إن أمير المؤمنين قد اشترى زروع القرية فقالوا ما نضع بالقصيل تضعف عليه دوابنا وإنما أرادوا الدراهم قال المثنى أتيت الوليد فدخلت من مؤخر الفسطاط فدعا بالغداء فلما وضع بين يديه أتاه رسول أم كلثوم بنت عبد الله بن يزيد بن عبد الملك يقال له عمرو بن مرة فأخبره أن عبد العزيز بن الحجاج قد نزل اللؤلؤة فلم يلتفت إليه وأناه خالد بن عثمان المخراش وكان على شرطه برجل من بني حارثة بن جناب فقال له إن كنت بدمشق مع عبد العزيز وقد أتيتك بالخبر وهذه ألف وخمسمائة

قد أخذتها وحل هميانا من وسطه وأراه وقد نزل اللؤلؤة وهو غاد منها اليك فلم يجبه والتفت إلى رجل إلى جنبه وكلبه بكلام لم أسمه فسألت بعض من كان بيني وبينه عما قال فقال سأله عن النهر الذي حفره بالأردن كم بقي منه وأقبل عبد العزيز من اللؤلؤة فأنى الملكية فحازها ووجه منصور بن جمهور فأخذ شرقى القرى وهو تل مشرف فى أرض ملساء على طريق نهبيا إلى البخراء وكان العباس بن الوليد نهبيا فى نحو من خمسين ومائة من مواليه وولده فبعث العباس رجلا من بنى ناجية يقال له حبش إلى الوليد يخبره بين أن يأتيه فيكون معه أو يسير إلى يزيد بن الوليد فاتهم الوليد العباس فأرسل إليه يأمره أن يأتيه فيكون معه فلقى منصور ابن جمهور الرسول فسأله عن الأمر فأخبره فقال له منصور قل له والله لئن رحلت من موضعك قبل طلوع الفجر لأقتلك ومن معك فإذا أصبح فليأخذ حيث أحب فأقام العباس نهبيا فلما كان فى السحر سمعنا تكبير أصحاب عبد العزيز قد أقبلوا إلى البخراء فخرج خالد بن عثمان المخراش فعبأ الناس فلم يكن بينهم قتال حتى طلعت الشمس وكان مع أصحاب يزيد بن الوليد كتاب معلق فى رمح فيه إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأن يصير الأمر شورى فاقتلوا فقتل عثمان الخشبي وقتل من أصحاب الوليد زهاء ستين رجلا وأقبل منصور بن جمهور على طريق نهبيا فأنى عسكر الوليد من خلفهم فأقبل إلى الوليد وهو فى فسطاطه ليس بينه وبين منصور أحد فلما رأيته خرجت أنا وعاصم بن هبيرة المعافرى خليفة المخراش فأنكشف أصحاب عبد العزيز ونكص أصحاب منصور وصرع سمي بن المغيرة وقتل وعدل منصور إلى عبد العزيز وكان الأبرش على فرس له يدعى الأديم عليه قلنسوة ذات أذنين قد شدها تحت لحيته فجعل يصيح بابن أخيه يا ابن اللخاء ندم رايك فقال له لا أجد متقدما إنها بنوعامر وأقبل العباس بن الوليد فمنعه أصحاب عبد العزيز وشد مولى لسليمان بن عبد الله بن دحية يقال له التركي على الحارث ابن العباس بن الوليد فطعنه طعنة أرداه عن فرسه فعدل العباس إلى عبد العزيز فأسقط فى أيدي أصحاب الوليد وانكسروا فبعث الوليد بن يزيد الوليد بن خالد

إلى عبد العزيز بن الحجاج بأن يعطيه خمسين ألف دينار ويجعل له ولاية حمص ما بقي ويؤمنه على كل حدّث على أن ينصرف ويكفّ فأبى ولم يجبه فقال له الوليد ارجع إليه فعاوذه أيضا فأتاه الوليد فلم يجبه إلى شيء فانصرف الوليد حتى إذا كان غير بعيد عطف دابته فدنا من عبد العزيز فقال له أتجعل لي خمسة آلاف دينار والأبرش مثلها وأن أكون كأخص رجل من قومي منزلة وآتيك فأدخل معك فيما دخلت فيه فقال له عبد العزيز على أن تحمل الساعة على أصحاب الوليد ففعل وكان على ميمنة الوليد معاوية بن أبي سفيان بن يزيد بن خالد فقال لعبد العزيز أتجعل لي عشرين ألف دينار وولاية الأردن والشركة في الأمر على أن أصير معكم قال على أن تحمل على أصحاب الوليد من ساعتك ففعل فانهمز أصحاب الوليد وقام الوليد فدخل البخراء واقبل عبد العزيز فوقف على الباب وعليه سلسلة فجعل الرجل بعد الرجل يدخل من تحت السلسلة وأتى عبد العزيز عبد السلام بن بكير بن شماس اللخمي فقال له إنه يقول أخرج على حكمك قال فليخرج فلما ولي قيل له ما تصنع بنحروجه دعه يكفيك الناس فدعا عبد السلام فقال لا حاجة لي فيما عرض على فنظرت إلى شاب طويل على فرس فدنا من حائط القصر فعلاه ثم صار إلى داخل القصر قال فدخلت القصر فإذا الوليد قائم في قميص قصب وسراويل وشي ومعه سيف في غمد والناس يشتمونه فأقبل إليه بشر بن شيبان مولى كنانة بن عمير وهو الذي دخل من الحائط فمضى الوليد يريد الباب أظنه أراد أن يأتي عبد العزيز وعبد السلام عن يمينه ورسول عمرو بن قيس عن يساره فضربه على رأسه وتعاوره الناس بأسيا فمهم فقتل فطرح عبد السلام نفسه عليه يحمز رأسه وكان يزيد بن الوليد قد جعل في رأس الوليد مائة ألف وأقبل أبو الأسد مولى خالد بن عبد الله القسري فسلخ من جلد الوليد قدر الكف فأتى بها يزيد بن خالد بن عبد الله وكان محبوساً في عسكر الوليد فانتهب الناس عسكر الوليد وخزائنه وأتاني يزيد العلّيمي أبو البطريق بن يزيد وكانت ابنته عند الحكم ابن الوليد فقال امنع لي متاع ابنتي فما وصل أحد إلى شيء زعم أنه له قال أحمد قال

علي قال عمرو بن مروان الكلبي لما قتل الوليد قطعت كفه اليسرى فُبعت بها إلى يزيد بن الوليد فسبقت الرأس قدم بها ليلة الجمعة وأتى برأسه من الغد فنصبه للناس بعد الصلاة وكان أهل دمشق قد أرجفوا بعبد العزيز فلما أتاهم رأس الوليد سكتوا وكفوا قال وأمر يزيد بنصب الرأس فقال له يزيد بن فروة مولى بني مروان إنما تنصب رؤس الخوارج وهذا ابن عمك وخليفة ولا آمن إن نصبته أن ترق له قلوب الناس ويغضب له أهل بيته فقال والله لا نصبه فنصبه علي ربح ثم قال له انطلق به فطف به في مدينة دمشق وأدخله داراً إليه ففعل فصاح الناس وأهل الدار ثم رده إلى يزيد فقال انطلق به إلى منزلك فكث عنه قريباً من شهر ثم قال له ادفعه إلى أخيه سليمان وكان سليمان أخو الوليد ممن سعى على أخيه فغسل ابن فروة الرأس ووضعها في سبط وأتى به سليمان فنظر إليه سليمان فقال بعد أنه أشهد أنه كان شروباً للخمر ما جئنا فاسقاً ولقد أرادني على نفسي الفاسق فخرج ابن فروة من الدار فتلقت مولاة للوليد فقال له ويحك ما أشد ما شتمه زعم أنه أراد علي نفسه فقالت كذب والله الخبيث ما فعل ولئن كان أراد علي نفسه لقد فعل وما كان ليقدر على الامتناع منه

❦ ومثني أحمد عن علي عن عمرو بن مروان الكلبي قال حدثني يزيد بن مصاد عن عبد الرحمن بن مصاد قال بعثني يزيد بن الوليد إلى أبي محمد السفياي وكان الوليد وجهه حين بلغه خبر يزيد والياً على دمشق وأتى ذنبه وبلغ يزيد خبره فوجهني إليه فأتيته فسالم وباع ليزيد قال فلم نرم حتى رفع لنا شخص مقبل من ناحية البرية فبعث إليه فأتيت به فاذا هو الغزير أبو كامل المغني على بغلة للوليد تدعى مريم فأخبرنا أن الوليد قد قتل فانصرفت إلى يزيد فوجدت الخبر قد أتاه قبل أن آتته

❦ ومثني أحمد عن علي عن عمرو بن مروان الكلبي قال حدثني دكين بن شماغ الكلبي ثم العامري قال رأيت بشر بن هلباء العامري يوم قتل الوليد ضرب باب البعراء بالسيف وهو يقول: سبكي خالداً بمهنداتٍ ولا تذهب صنائعه ضلالاً

❦ ومثني أحمد عن علي عن أبي عاصم الزيادي قال ادعى قتل الوليد عشرة وقال إنني رأيت جلدة رأس الوليد في يد وجه الفليس فقال أنا قتله وأخذت هذه

الجلدة وجاء رجل فاحتز رأسه وبقيت هذه الجلدة في يدي واسم وجه الفلوس
عبد الرحمن قال وقال الحكم بن النعمان مولى الوليد بن عبد الملك قدم برأس الوليد
على يزيد منصور بن جمهور في عشرة فيهم روح بن مقبل فقال روح يا أمير المؤمنين
أبشر بقتل الفاسق وأسر العباس وكان فيمن قدم بالرأس عبد الرحمن وجه الفلوس وبشر
مولى كنانة من كلب فأعطى يزيد كل رجل منهم عشرة آلاف قال وقال الوليد يوم قتل
وهو يقاتلهم من جاء برأس فله خمسمائة فجاء قوم بأرؤس فقال الوليد اكتبوا أسماءهم
فقال رجل من مواليه ممن جاء برأس يا أمير المؤمنين ليس هذا بيوم يُعملُ
فيه بنسيته قال وكان مع الوليد مالك بن أبي السمع المغنّي وعمرو الوادي فلما
تفرق عن الوليد أصحابه وحضر قال مالك لعمر بن اذهب بنا فقال عمرو ليس
هذا من الوفاء ونحن لا نُعرض لنا لأننا لسنا ممن يقاتل فقال مالك ويلك والله لئن
ظفروا بنا لا يقتل أحد قبلي وقبلك فيوضع رأسه بين رأسينا ويقال للناس انظروا
من كان معه في هذه الحال فلا يعيبونه بشيء أشد من هذا فهربا وقتل الوليد بن يزيد
يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ۱۲۶ كذلك قال أبو معشر
حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه وكذلك قال هشام
ابن محمد ومحمد بن عمر الواقدي وعلي بن محمد المدائني واختلفوا في قدر المدة التي
كانت فيها خليفة فقال أبو معشر كانت خلافته سنة وثلاثة أشهر كذلك حدثني
أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه وقال هشام بن محمد كانت خلافته
سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً واختلفوا أيضاً في مبالغ سنة يوم قتل فقال
هشام بن محمد الكلبي قتل وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وقال محمد بن عمر قتل وهو
ابن ست وثلاثين سنة وقال بعضهم قتل وهو ابن اثنين وأربعين سنة وقال آخرون
وهو ابن إحدى وأربعين سنة وقال آخرون ابن خمس وأربعين سنة وقال بعضهم
وهو ابن ست وأربعين سنة وكان يكنى أبا العباس وأمه أم الحجاج بنت محمد بن
يوسف الثقفي وكان شديد البطش طويل أصابع الرجلين كان يوتد له سكة حديد
فيها خيط ويُشد الخيط في رجله ثم يثب على الدابة فينتزع السكة ويركب مايمس

الدابة ييده وكان شاعرا شرو وباللخمر ❀ حدثني أحمد قال حدثنا علي بن ابن الزناد قال قال أبي كنت عند هشام وعند الزهري فذكر الوليد فتقصاه وعاباه عيا شديدا ولم أعرض في شيء مما كانا فيه فاستأذن الوليد فأذن له وأنا أعرف الغضب في وجهه فجلس قليلا ثم قام فلما مات هشام كتب في نُخملت إليه فرحب بي وقال كيف حالك يا ابن ذكوان وألطف المسئلة بي ثم قال أتذكر يوم الاحوال وعند الفاسق الزهري وهما يعياني قلت أذكر ذلك فلم أعرض في شيء مما كانا فيه قال صدقت رأيت الغلام الذي كان قائما على رأس هشام قلت نعم قال فإنه نمي إلى ما قالا وإيم الله لو بقي الفاسق يعني الزهري لقتلته قلت قد عرفت الغضب في وجهك حين دخلت ثم قال يا ابن ذكوان ذهب الاحوال بعمرى فقلت بل يطيل الله لك عمرك يا أمير المؤمنين ويمتع الأمة ببقائك فدعا بالعشاء فتعشينا وجاءت المغرب فصلينا وتحدثنا حتى جاءت العشاء الآخرة فصلينا وجلس وقال اسقني جأوا يا ناء مغطى وجاء ثلاث جوار فصفقن بين يديه بيني وبينه ثم شرب وذهبن فتحدثنا واستسقى فصنعن مثل ما صنعن أولا قال فما زال على ذلك يتحدث ويستسقى ويصنعن مثل ذلك حتى طلع الفجر فأحصيت له سبعين قدحا (وفي هذه السنة) قتل خالد بن عبد الله القسري

ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك

قد تقدم ذكرنا الخبر عن عزل هشام إياه عن عمله وولايته العراق وخراسان واستعماله على العراق يوسف بن عمر وكان فيما ذكر عمل هشام على ذلك خمس عشرة سنة غير أشهر وذلك أنه فيما قيل ولي العراق لهشام سنة ١٠٥ وعزل عنها في جمادى الأولى سنة ١٢٠ ولما عزله هشام وقدم عليه يوسف واسطا أخذه وحبسه بها ثم شخص يوسف بن عمر إلى الحيرة فلم يزل محبوسا بالحيرة تمام ثمانية عشر شهرا مع أخيه إسماعيل بن عبد الله وابنه يزيد بن خالد وابن أخيه المنذر ابن أسد بن عبد الله واستأذن يوسف هشاما في إطلاق يده عليه وتعذيبه فلم يأذن له حتى أكر عليه واعتل عليه بانكسار الخراج وذهاب الاموال فأذنه

مرة واحدة وبعث حرسياً يشهد ذلك وحلف لئن أتى على خالد أجله وهو في يده ليقنته فدعا به يوسف فجلس على دكان بالحيرة وحضر الناس وبسط عليه قلم يكلمه واحدة حتى شتمه يوسف فقال يا ابن الكاهن يعني شق بن صعب الكاهن فقال له خالد إنك لاحق تعيرني بشرفي ولكنك يا ابن السباء إنما كان أبوك سباء خمر يعني يبيع الخمر ثم رده إلى حبسه ثم كتب إليه هشام يأمره بتخليه سيئه في شوال سنة ۱۲۱ فنزل خالد في قصر إسماعيل بن عبد الله بدوران خلف جسر الكوفة وخرج يزيد بن خالد وحده فأخذ على بلاد طيء حتى ورد دمشق وخرج خالد ومعه إسماعيل والوليد قد جهزهم عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص وبعث بالاثقال إلى قصر بني مقاتل وكان يوسف قد بعث خيلاً فأخذت الزاد والاثقال والإبل وموالي لخالد كانوا فيها فضرب وبيع ما أخذ لهم ورد بعض الموالى إلى الرق فقدم خالد قصر بني مقاتل وقد أخذ كل شيء لهم فسار إلى هيت ثم تحمّلوا إلى القرية وهي بإزاء باب الرصافة فأقام بها بقية شوال وذى القعدة وذى الحجة والمحرم وصفر لا يأذن لهم هشام في القدوم عليه والابرش يكاتب خالد وأخرج زيد بن علي فقتل قال الهيثم بن عدى فيما ذكر عنه وكتب يوسف إلى هشام إن أهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً حتى كانت همة أحدهم قوت عياله فلما ولي خالد العراق أعطاهم الأموال فقورابها حتى تآقت أنفسهم إلى طلب الخلافة وما خرج زيد إلا عن رأي خالد والدليل على ذلك نزول خالد بالقرية على مدرجة العراق يستنشى أخبارها فسكت هشام حتى فرغ من قراءة الكتاب ثم قال للحكم بن حزن القيني وكان على الوفد وقد أمره يوسف بتصديق ما كتب به ففعل فقال له هشام كذبت وكذب من أرسلك ومهما اتهمنا خالدنا فلسنا نتهمه في طاعة وأمر به فوجئت عنقه وبلغ الخبر خالدنا فسار حتى نزل دمشق فأقام حتى حضرت الصائفة فخرج فيها ومعه يزيد وهشام ابنا خالد بن عبد الله وعلى دمشق يومئذ كلثوم بن عياض القسري وكان متحاملاً على خالد فلما أدربوا ظهر في دور دمشق حريق كل ليلة يلقى به رجل من أهل العراق يقال له أبو العمرس

وأصحاب له فاذا وقع الحريق أغاروا يسرقون وكان إسماعيل بن عبد الله والمنذر ابن أسد بن عبد الله وسعيد ومحمد ابنا خالد بالساحل لحدث كان من الروم فكتب كلثوم إلى هشام يذكر الحريق ويخبره أنه لم يكن تطواً وأنه عمل موالي خالد يريدون الوثوب على بيت المال فكتب إليه هشام بأمره أن يحبس آل خالد الصغير منهم والكبير ومواليهم والنساء فأخذ إسماعيل والمنذر ومحمد وسعيد من الساحل فقدم بهم في الجوامع ومن كان معهم من مواليهم وحبس أم جرير بنت خالد والرائقة وجميع النساء والصبيان ثم ظهر على أبي العمرس فأخذ ومن كان معه فكتب الوليد بن عبد الرحمن عامل خراج دمشق إلى هشام يخبره بأخذ أبي العمرس ومن كان معه سماهم رجلاً رجلاً ونسبهم إلى قبائلهم وأمصارهم ولم يذكر فيهم أحد من موالي خالد فكتب هشام إلى كلثوم يشتمه ويعنفه ويأمره بتخليئة سبيل جميع من حبس منهم فأرسلهم جميعاً واحتبس الموالى رجاء أن يكلمه فيهم خالد إذا قدم من الصائفة فلما أقبل الناس وخرجوا عن الدرب بلغ خالد بأس أهله ولم يبلغه تخليتهم فدخل يزيد بن خالد في غمار الناس حتى أتى حمص وأقبل خالد حتى نزل منزله من دمشق فلما أصبح أتاه الناس فبعث إلى ابنتيه زينب وعاتكة فقال إني قد كبرت وأحببت أن تلياً خدمتي فسررتا بذلك ودخل عليه إسماعيل أخوه ويزيد وسعيد ابناه وأمر بالإذن فقامت ابنتاه لتتنحيا فقال ومالهما يتنحيان وهشام في كل يوم يسوقهن إلى الحبس فدخل الناس فقام إسماعيل وابناه دون ابنتيه يسترونهما فقال خالد خرجت غازياً في سبيل الله سامعاً مطيعاً تخلفت في عقبى وأخذ حرمي وحرم أهل بيتي فحبسوا مع أهل الجرائم كما يفعل بأهل الشرك فما منع تصابة منكم أن تقوم فتقول علام حبس حرم هذا السامع المطيع أخفتم أن تقتلوا جميعاً أخافكم الله ثم قال مالي وهشام ليكفن عني هشام أو لأدعون إلى عراقى الهوى شامى الدار حجازى الأصل يعنى محمد بن على بن عبد الله بن عباس وقد أذنت لكم أن تبلغوا هشاماً فلما بلغه ما قال قال خرف أبو الهيثم وذكر أبو زيد أن أحمد بن معاوية حدثه عن أبي الخطاب قال قال خالد أم والله لئن ساء صاحب الرصافة يعنى

هشاما لتنصبن لنا الشامي الحجازي العراقي ولو نخر نخرة تداعت من أقطارها
فبلغت هشاما فكتب اليه إنك هذائة هذرة أبيجيلة القليلة الذليلة تهددني قال
فوالله ما نصره أحد بيد ولا بلسان إلا رجل من عبس فانه قال
أَلَا إِنَّ بَحْرَ الْجُودِ أَصْبَحَ سَاجِيًا أَسِيرَ ثَقِيفٍ مُوثِقًا فِي السَّلَاسِلِ
فَإِنْ تَسْجُنُوا الْقَسْرَى لَا تَسْجُنُوا اسْمَهُ وَلَا تَسْجُنُوا مَعْرُوفَهُ فِي الْقَبَائِلِ
فأقام خالد ويزيد وجماعة أهل بيته بدمشق ويوسف ملح على هشام يسأله
أن يوجه اليه يزيد وكتب هشام إلى كلثوم بن عياض يأمره بأخذ يزيد والبعثة به
إلى يوسف فوجه كلثوم إلى يزيد خيلا وهو في منزله فشد عليهم يزيد فافر جوا له
ثم مضى على فرسه وجاءت الخيل إلى كلثوم فأخبره فأرسل إلى خالد الغد من يوم
تنجى يزيد خيلا فدعا خالد بثيابه فلبسها وتصارخ النساء فقال رجل منهم لو أمرت
هؤلاء النسوة فسكنن فقال ولم أم والله لو لا الطاعة لعلم عبد بن قسرازه لا ينال
هذه مني فأعلموه مقالتي فإن كان عربيا كما يزعم فليطلب جده مني ثم مضى معهم
فحبس في حبس دمشق وسار اسماعيل من يومه حتى قدم الرصافة على هشام
فدخل على أبي الزبير حاجبه فأخبره بحبس خالد فدخل أبو الزبير على هشام فأعلمه
فكتب إلى كلثوم يعنفه ويقول خلعت عن أمرتك بحبسه وحبست من لم أمرك
بحبسه ويأمره بتخلية سبيل خالد فخلاه وكان هشام اذا أراد أمرا أمر الأبرش
فكتب به إلى خالد فكتب الأبرش إنه بلغ أمير المؤمنين أن عبد الرحمن بن
ثويب الضبي ضنة سعد إخوة عذرة بن سعد قام اليك فقال يا خالد اني لأجك
لعشر خصال إن الله كريم وأنت كريم والله جواد وأنت جواد والله رحيم
وأنت رحيم والله حلیم وأنت حلیم حتى عد عشرأ وأمير المؤمنين يقسم بالله
لئن تحقق عنده ذلك ليستحلن دمك فكتب إلى بالأمر على وجهه لاخبر به
أمير المؤمنين فكتب اليه خالد ان ذلك المجلس كان أكثر أهلا من أن يجوز
لأحد من أهل البغي والفجور أن يحرف ما كان فيه إلى غيره فأثم إلى عبد الرحمن
ابن ثويب فقال يا خالد اني لأجك لعشر خصال ان الله كريم يحب كل كريم

والله يحبك وأنا أحبك لحب الله اياك حتى عدد عشر خصال ولكن أعظم من ذلك قيام ابن شق الحميري الى أمير المؤمنين وقوله يا أمير المؤمنين خليفتك في أهلك أكرم عليك أم رسولك فقال أمير المؤمنين بل خليفتي في اهلي فقال ابن شق فأنت خليفة الله ومحمد رسوله صلى الله عليه وسلم ولعمري لضلالة رجل من بجيلة ان ضل أهون على العامة والخاصة من ضلال أمير المؤمنين فأقرأ الأبرش هشاما كتابه فقال خرف أبو الهيثم فأقام خالد بدمشق خلافة هشام حتى هلك فلما هلك هشام وقام الوليد قدم عليه أشراف الأجناد فيهم خالد فلم يأذن لأحد منهم واشتكى خالد فاستأذن فأذن له فرجع الى دمشق فأقام أشهراً ثم كتب اليه الوليد إن أمير المؤمنين قد علم حال الحسين الألف ألف ألم تعلم فاقدم على أمير المؤمنين مع رسوله فقد أمره أن لا يعجلك عن جهاز فبعث خالد الى عدة من ثقاته منهم عمارة بن أبي كلثوم الأزدي فأقرأهم الكتاب وقال أشيروا علي فقالوا إن الوليد ليس بمأمون عليك فالرأي أن تدخل دمشق وتأخذ بيوت الأموال وتدعو إلى من أحببت فأكثر الناس قومك ولن يختلف عليك رجلا قال أو ماذا قالوا تأخذ بيوت الأموال وتقيم حتى تتوثق لنفسك قال أو ماذا قالوا أو توارى قال أما قولكم تدعو إلى من أحببت فإني أكره أن تكون الفرقة والاختلاف على يدي وأما قولكم تتوثق لنفسك فأنتم لا تأمنون على الوليد ولا ذنب لي فكيف ترجون وفاء لي وقد أخذت بيوت الأموال وأما التوارى فوالله ما قنعت رأسي خوفاً من أحد قط فالآن وقد بلغت من السن ما بلغت لا ولكن أمضى وأستعين الله فخرج حتى قدم على الوليد فلم يدع به ولم يكلمه وهو في بيته معه مواله وخدمه حتى قدم برأس يحيى بن زيد من خراسان فجمع الناس في رواق وجلس الوليد وجاء الحاجب فوقف فقال له خالد ان حالي ماترى لا أقدر على المشي وإنما أحمل في كرسى فقال الحاجب لا يدخل عليه أحد يحمل ثم أذن لثلاثة نفر ثم قال قم يا خالد فقال حالي ما ذكرت لك ثم أذن لرجل أو رجلين فقال قم يا خالد فقال إن حالي ما ذكرت لك حتى أذن لعشرة ثم قال قم يا خالد وأذن

للناس كلهم وأمر بخالد فحمل على كرسیه فدخل به والولید جالس على سريره
والموائد موضوعة والناس بين يديه سماطان وشبه بن عقال أو عقال بن شبه بخطب
ورأس يحيى بن زيد منصوب فمیل بخالد إلى أحد السماطين فلما فرغ الخطيب قام
الولید وصرف الناس وحمل خالد إلى أهله فلما نزع ثيابه جاءه رسول الولید
فرّده فلما صار إلى باب السرادق وقف فخرج إليه رسول الولید فقال يقول لك
أمیر المؤمنین ابن یزید بن خالد فقال كان أصابه من هشام ظفر ثم طلبه
فهرب منه وكنا نراه عند أمير المؤمنين حتى استخلفه الله فلما لم يظهر ظنناه ببلاد
قومه من الشراة وما أوشكه فرجع إليه الرسول فقال لا ولكنك خلفته طلباً للفتنة
فقال خالد للرسول قد علم أمير المؤمنين أنا أهل بيت طاعة أنا وأبي وجدی قال خالد
وقد كنت أعلم بسرعة رجعة الرسول أن الولید قريب حيث يسمع كلامی فرجع
الرسول فقال يقول لك أمير المؤمنين لتأتين به أو لأرهقن نفسك فرجع خالد
صوته وقال قل له هذا أردت وعليه دُرت والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها
لك عنه فاصنع ما بدالك فأمر الولید غيلان صاحب حرسه بالبسط عليه وقال له
أسمعني صوته فذهب به غيلان إلى رحله فعذبه بالسلاسل فلم يتكلم فرجع غيلان
إلى الولید فقال والله ما أعذب إنساناً والله ما يتكلم ولا يتأوه فقال اكف عنه
واحبسه عندك فحبسه حتى قدم يوسف بن عمر بمال من العراق ثم أداروا الأمر
بينهم وجلس الولید للناس ويوسف عنده فكلم أبان بن عبد الرحمن النخعي
في خالد فقال يوسف أنا اشتريه بخمسين ألف فأرسل الولید إلى خالد إن
يوسف يشتريك بخمسين ألف ألف فان كنت تضمنها وإلا دفعتك إليه فقال
خالد ما عهدت العرب تباع والله لو سألتني أن أضمن هذا ورفع عوداً من الأرض
ما ضمنتها فَرَأَيْكَ فدفعه إلى يوسف فنزع ثيابه ودرعه عباءة ولحفه بأخرى وحمله
في محمل بغير وطاء وزميله أبو قحافة المري ابن أخي الولید بن تليد وكان عامل
هشام على الموصل فانطلق به حتى نزل المحدثه على مرحلة من عسكر الولید ثم دعا
به فذكر أمه فقال وما ذكر الأمهات لعنك الله والله لا أكلمك كلمة أبداً فبسط

عليه وعذبه عذاباً شديداً لا يكلمه كلمة ثم ارتحل به حتى إذا كان ببعض الطريق بعث إليه زيد بن تميم القيني بشربة سويق حبّ رمان مع مولى له يقال له سالم النفاط فبلغ يوسف فضرب زيدا خمسمائة سوط وضرب سالماً ألف سوط ثم قدم يوسف الحيرة فدعا به ويبراهيم ومحمد ابني هشام فبسط على خالد فلم يكلمه وصبر ابراهيم بن هشام وخرع محمد بن هشام فمكث خالد يوماً في العذاب ثم وضع على صدره المخرسة فقتله من الليل ودفن بناحية الحيرة في عباة التي كان فيها وذلك في المحرم سنة ١٢٦ في قول الهيثم بن عدى فأقبل عامر بن سهلة الأشعري فعقر فرسه على قبره فضربه يوسف سبعمائة سوط (قال أبو زيد) حدثني أبو نعيم قال حدثني رجل قال شهدت خالداً حين أتى به يوسف فدعا بعود فوضع على قدميه ثم قامت عليه الرجال حتى كسرت قدماه فوالله ما تكلم ولا عبس ثم على ساقيه حتى كسرتا ثم على فخذه ثم على حقويه ثم على صدره حتى مات فوالله ما تكلم ولا عبس فقال خلف بن خليفة لما قتل الوليد بن يزيد

لقد سكنت كلب وأسباق مذحج
 تركن أمير المؤمنين بخالد
 فإن تقطعوا منا مناط قلادة
 وإن تشغلونا عن ندانا فإننا
 وإن سافر القسري سفرة هالك
 فإن أبا العباس ليس بشاهد

وقال حسان بن جعدة الجعفرى يكذب خلف بن خليفة في قوله هذا
 إن امرأة يدعى قتل الوليد سوى
 ما كان إلا امرأة خانت منيته

وقال أبو مخجن مولى خالد

سائل وليداً وسائل أهل عسكره
 هل جاء من مضر نفس قمتعه
 من يهجن جاهلاً بالشعر تنقضه
 غداة صبحه شوبوبنا البرد
 والخيل تحت عجاج الموت تطرد
 بالبيض إنا بها نهجو ونقتد

وقال نصر بن سعيد الأنصاري
 أبلغ يزيد بني كرز مغلغلة
 قطعت أوصال قنور على حنق
 أمست حلائل قنور مجدعة
 ظلت كلاب دمشق وهي تنهشه
 غاذرن منه بقايا عند مصرعه
 حكمت سيفك إذ لم ترض حكمهم
 لا ترض من خالد إن كنت متراً
 أسعرت ملك زارهم رعتهم
 ما كان في آل قنور ولا ولدوا
 أنى شفيت بغيب غير مؤتور
 بصارم من سيوف الهند ما تور
 لمصرع العبد قنور بن قنور
 كأن أعضاء أعضاء خنزير
 أنقاض شلو على الأطناب مجرور
 والسيف بحكم حكماً غير تعذير
 إلا بكل عظيم الملك مشهور
 بالخييل تركض بالشم المغاوير
 عدلاً لبدر سماء ساطع النور

(وفي هذه السنة) بويع ليزيد بن الوليد بن عبد الملك الذي يقال له يزيد الناقص وإنما قيل يزيد الناقص لنقصه الناس الزيادة التي زادهموها الوليد بن يزيد في أعطياتهم وذلك عشرة عشرة فلما قتل الوليد نقصهم تلك الزيادة ورد أعطياتهم إلى ما كانت عليه أيام هشام بن عبد الملك وقيل أول من سماه بهذا الاسم مروان بن محمد رضي الله عنه حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا علي بن محمد قال شتم مروان بن محمد يزيد ابن الوليد فقال الناقص بن الوليد فسماه الناقص فسماه الناس الناقص لذلك (وفي هذه السنة) اضطرب جبل بني مروان وهاجت الفتنة

ذكر الخبر عما حدث فيها من الفتن

فكان من ذلك وثوب سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد ما قتل الوليد ابن يزيد بعمان رضي الله عنه حدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد قال لما قتل الوليد خرج سليمان بن هشام من السجن وكان محبوساً بعمان فأخذ ما كان بعمان من الأموال وأقبل إلى دمشق وجعل يلعن الوليد ويعيبه بالكفر (وفيها) كان وثوب أهل حمص بأسباب العباس بن الوليد وهدمهم داره وإظهارهم الطلب بدم الوليد بن يزيد

ذكر الخبر عن ذلك

❁ مثنى أحمد عن علي قال كان مروان بن عبد الله بن عبد الملك عاملاً للوليد على حمص وكان من سادة بني مروان نبلاً وكرماً وعقلاً وجمالاً فلما قتل الوليد بلغ أهل حمص قتله فأغلقوا أبوابها وأقاموا النوائح والبواكي على الوليد وسألوا عن قتله فقال بعض من حضرهم مازلنا منتصفين من القوم قاهرين لهم حتى جاء العباس ابن الوليد فقال إلى عبد العزيز بن الحجاج فوثب أهل حمص فهدموا دار العباس وانتهبوا وسلبوا حرمة وأخذوا بنيه فحبسواهم وطلبوه فخرج إلى يزيد بن الوليد وكتبوا الأجناد ودعواهم إلى الطلب بدم الوليد فأجابوهم وكتب أهل حمص بينهم كتاباً لا يدخلوا في طاعة يزيد وإن كان ولياً عهد الوليد حين قاموا بالبيعة لهما والا جعلوها لخير من يعلمون على أن يعطيهم العطاء من المحرم إلى المحرم ويعطيهم للذرية وأمروا عليهم معاوية بن يزيد بن حصين وكتب إلى مروان بن عبد الله ابن عبد الملك وهو بحمص في دار الإمارة فلما قرأه قال هذا كتاب حضره من الله حاضر وتابعهم على ما أرادوا فلما بلغ يزيد بن الوليد خبرهم وجه اليهم رسلاً فيهم يعقوب بن هانئ وكتب اليهم أنه ليس يدعوا إلى نفسه ولكنه يدعواهم إلى الشورى فقال عمرو بن قيس السكوني رضينا بولي عهدنا يعني ابن الوليد بن يزيد فأخذ يعقوب بن عمير بلحيته فقال أيها العشمة إنك قد فأت وذهب عقلك إن الذي تعنى لو كان يتيماً في حجر ك لم يحل لك أن تدفع إليه ماله فكيف أمر الأمة فوثب أهل حمص على رسل يزيد بن الوليد فطردوهم وكان أمر حمص لمعاوية بن يزيد ابن حصين وليس إلى مروان بن عبد الله من أمرهم شيء وكان معهم السمط بن ثابت وكان الذي بينه وبين معاوية بن يزيد متباعداً وكان معهم أبو محمد السفيناني فقال لهم لو قد أتيت دمشق وأنظر إلى أهلها لم تخالفني فوجه يزيد بن الوليد مسروراً بن الوليد والوليد بن روح في جمع كبير فنزلوا حواريين أكثرهم بنوعا من كلب ثم قدم على يزيد سليمان بن هشام فأكرمه يزيد وتزوج أخته أم هشام بنت هشام بن عبد الملك ورد عليه ما كان الوليد أخذه من أموالهم ووجهه إلى

مسرور بن الوليد والوليد بن روح وأمرهما بالسمع والطاعة له وأقبل أهل حمص فنزلوا قرية لخالد بن يزيد بن معاوية * حدثني أحمد قال حدثنا علي عن عمرو بن مروان الكلابي قال حدثني عمرو بن محمد ويحيى بن عبد الرحمن البهراني قال أقام مروان ابن عبد الله فقال يا هؤلاء إنكم خرجتم لجهاد عدوكم والطلب بدم خليفتمكم وخرجتم مخرجاً أرجو أن يعظم الله به أجركم ويحسن عليه ثوابكم وقد نجم لكم منهم قرن وشال إليكم منهم عُقُوقُ إن أنتم قطعتموه أتبعه ما بعده وكنتم عليه أحرى وكانوا عليكم أهون ولست أرى المضي إلى دمشق وتخليف هذا الجيش خلفكم فقال السمط هذا والله العدو القريب الدار يريد أن ينقض جماعتكم وهو ممايل للقدرية قال فوثب الناس على مروان بن عبد الله فقتلوه وقتلوا ابنه ورفعوا رؤوسهم للناس وإنما أراد السمط بهذا الكلام خلاف معاوية بن يزيد فلما قتل مروان بن عبد الله ولوا عليهم أبا محمد السفياي وأرسلوا إلى سليمان بن هشام إنا آتوك فأقم بمكانك فأقام قال فتركوا عسكر سليمان ذات اليسار ومضوا إلى دمشق وبلغ سليمان مضيهم فخرج مغذاً فلقبهم بالسليمانية مزرعة كانت لسليمان بن عبد الملك خلف عذراء من دمشق على أربعة عشر ميلاً قال علي قال عمرو بن مروان بن بشار والوليد بن علي قال لما بلغ يزيد أمر أهل حمص دعا عبد العزيز بن الحجاج فوجهه في ثلاثة آلاف وأمره أن يثبت على ثنية العقاب ودعا هشام بن مصاد فوجهه في ألف وخمسمائة وأمره أن يثبت على عقبة السلامة وأمرهم أن يمد بعضهم بعضاً قال عمرو بن مروان فحدثني يزيد بن مصاد قال كنت في عسكر سليمان فلحقنا أهل حمص وقد نزلوا السليمانية فجعلوا الزيتون على أيمانهم والجبل على شمائلهم والجباب خلفهم وليس عليهم مأتى إلا من وجه واحد وقد نزلوا أول الليل فأرادوا بهم وخرجنا نسرى ليلتنا كلها حتى دفعنا إليهم فلما منع النهار واشتد الحر ودوابنا قد كلت وثقل علينا الحديد دنوت من مسرور بن الوليد فقلت له وسليمان يسمع كلامي أنشدك الله يا أبا سعيد أن يقدم الأمير جنده إلى القتال في هذه الحال فأقبل سليمان فقال يا غلام اصبر نفسك فوالله لا أنزل حتى يقضى الله بيني وبينهم ما هو

قاضي فتقدم وعلى ميمته الطفيل بن حارثة الكلبي وعلى ميسرته الطفيل بن زرارة الحبشي فحملوا علينا حملة فانهزمت اليمنة والميسزة أكثر من غلوتين وسليمان في القلب لم يزل من مكانه ثم حمل عليهم أصحاب سليمان حتى ردوهم إلى موضعهم فلم يزالوا يحملون علينا ونحمل عليهم مرارا فقتل منهم زهاء مائتي رجل فيهم حرب ابن عبد الله بن يزيد بن معاوية وأصيب من أصحاب سليمان نحو من خمسين رجلا وخرج أبو الهلباء البهراني وكان فارس أهل حمص فدعا إلى المبارزة فخرج إليه حية ابن سلامة الكلبي فطعنه طعنة أذراه عن فرسه وشد عليه أبو جعدة مولى لقريش من أهل دمشق فقتله وخرج ثابت بن يزيد البهراني فدعا إلى المبارزة فخرج إليه إيراك السغددي من أبناء ملوك السغدكان منقطعاً إلى سليمان بن هشام وكان ثابت قصيراً وكان إيراك جسيماً فلبارآه ثابت قد أقبل نحوه واستطرد فوق إيراك ورماه بسهم فأثبت عضلة ساقه إلى لبدته قال فيناهم كذلك إذا قبل عبدالعزيز من ثنية العقاب فشد عليهم حتى دخل عسكرهم وقتل ونفذ إلينا (قال) علي قال عمرو بن مروان فحدثني سليمان بن زياد الغساني قال كنت مع عبدالعزيز بن الحجاج فلما عين عسكر أهل حمص قال لأصحابه موعدكم التل الذي في وسط عسكرهم والله لا يتخلف منكم أحد إلا ضربت عنقه ثم قال لصاحب لوائه تقدم ثم حمل وحملنا معه فما عرض لنا أحد إلا قتل حتى صرنا على التل فصدع عسكرهم فكانت هزيمتهم ونادى يزيد بن خالد بن عبد الله القسري الله الله في قومك فكف الناس وكره ما صنع سليمان وعبدالعزيز وكاد يقع الشر بين الذكوانية وسليمان وبين بني عامر من كلب فكفوا عنهم على أن يبايعوا يزيد ابن الوليد وبعث سليمان بن هشام إلى أبي محمد السفياي ويزيد خالد بن يزيد بن معاوية فأخذا فرهما على الطفيل بن حارثة فصاحا به يا خاله نشدك الله والرحم فمضى معهما إلى سليمان فحبسهما فخاف بنو عامر أن يقتلها فجاءت جماعة منهم فكانت معهما في القسطاط ثم وجههما إلى يزيد بن الوليد فحبسهما في الخضراء مع ابني الوليد وحبس أيضاً يزيد بن عثمان بن محمد بن أبي سفياي خال عثمان بن الوليد معهم ثم دخل سليمان وعبدالعزيز إلى دمشق ونزلا بعذراء واجتمع أمر أهل دمشق وبايعوا

يزيد بن الوليد وخرجوا إلى دمشق وحصص وأعطاهم يزيد العطاء وأجاز الأشراف منهم معاوية بن يزيد بن الحسين والسمط بن ثابت وعمرو بن قيس وابن حوى والصقر بن صفوان واستعمل معاوية بن يزيد بن حصين من أهل حمص وأقام الباقون بدمشق ثم ساروا إلى أهل الأردن وفلسطين وقد قتل من أهل حمص يومئذ ثمانمائة رجل (وفي هذه السنة) وثب أهل فلسطين والأردن على عاملهم فقتلوه

ذكر الخبر عن أمرهم وأمر يزيد بن الوليد معهم

❁ حدثني أحمد بن علي بن محمد بن عمرو بن مروان الكلبي قال حدثني رجاء ابن روح بن سلامة بن روح بن زنباع قال كان سعيد بن عبد الملك عاملاً للوليد على فلسطين وكان حسن السيرة وكان يزيد بن سليمان سيد ولد أبيه وكان ولد سليمان بن عبد الملك ينزلون فلسطين فكان أهل فلسطين يحبونهم لجوارهم فلما أتى قتل الوليد ورأس أهل فلسطين يومئذ سعيد بن روح بن زنباع كتب إلى يزيد بن سليمان أن الخليفة قد قتل فاقدم علينا نولك أمرنا فجمع له سعيد قومه وكتب إلى سعيد بن عبد الملك وهو يومئذ نازل بالسبع ارتحل عنا فان الأمر قد اضطرب وقد ولينا أمرنا رجلاً قد رضينا أمره فخرج إلى يزيد بن الوليد فدعا يزيد ابن سليمان أهل فلسطين إلى قتل يزيد بن الوليد وبلغ أهل الأردن أمرهم فولوا عليهم محمد بن عبد الملك وأمر أهل فلسطين إلى سعيد بن روح وضيعان بن روح وبلغ يزيد أمرهم فوجه اليهم سليمان بن هشام في أهل دمشق وأهل حمص الذين كانوا مع السفياي قال علي قال عمرو بن مروان حدثني محمد بن راشد الخزازي أن أهل دمشق كانوا أربعة وثمانين ألفاً وسار اليهم سليمان بن هشام قال محمد بن راشد وكان سليمان ابن هشام يرسلني إلى ضيعان وسعيد ابن روح وإلى الحكم وراشد ابن جروم من باقين فأعدم وأمنهم على الدخول في طاعة يزيد بن الوليد فأجابوا قال وحدثني عثمان بن داود الخولاني قال وجهني يزيد بن الوليد ومعى حذيفة بن سعيد إلى محمد بن عبد الملك ويزيد بن سليمان يدعوهما إلى طاعته ويعدهما ويمنيهما فبدأنا

بأهل الأردن ومحمد بن عبد الملك فاجتمع اليه جماعة منهم فكلّمته فقال بعضهم أصلح الله الأمير أقبل هذا الفتى أقيمت الصلاة فخلوتُ به فقلتُ إني رسول يزيد اليك والله ما تركت ورائي راية تُعقَدُ إلا على رأس رجل من قومك ولأدرهم يخرج من بيت المال إلا في يد رجل منهم وهو يحمل لك كذا وكذا قال أنت بذاك قلت نعم ثم خرجت فأتيت صبعان بن روح فقلت له مثل ذلك وقلت له إنه يوليك فلسطين ما بقي فأجابني فانصرفت فما أصبحت حتى رحل أهل فلسطين

❦ حدثني أحمد بن علي عن عمرو بن مروان الكلبي قال سمعت محمد بن سعيد بن حسان الأردني قال كنت عينا ليزيد بن الوليد بالأردن فلما اجتمع له ما يريد ولاني خراج الأردن فلما خالفوا يزيد بن الوليد أتيت سليمان بن هشام فسألته أن يوجه معي خيلا فاشن الغارة على طبرية فأبى سليمان أن يوجه معي أحداً فخرجت إلى يزيد بن الوليد فأخبرته الخبر فكتب إلى سليمان كتاباً بخطه يأمره أن يوجه معي ما أردت فأتيت به سليمان فوجه معي مسلم بن ذكوان في خمسة آلاف فخرجت بهم ليلاً حتى أنزلتهم البطيحة ففرقوا في القرى وسرت أنا في طائفة منهم نحو طبرية وكتبوا إلى عسكرهم فقال أهل طبرية على ما نقيم والجنود تجوس منازلنا وتحكم في أهالينا ومضوا إلى حجرة يزيد بن سليمان ومحمد بن عبد الملك فانهبواهما وأخذوا دوابهما وسلاحهما ولحقوا بقراهم ومنازلهم فلما تفرق أهل فلسطين والأردن خرج سليمان حتى أتى الصنبرة وأتاه أهل الأردن فبايعوا ليزيد بن الوليد فلما كان يوم الجمعة وجه سليمان إلى طبرية وركب مركباً في البحيرة فجعل يسيرهم حتى أتى طبرية فصلى بهم الجمعة وبايع من حضر ثم انصرف إلى عسكره

❦ حدثني أحمد بن علي عن عمرو بن مروان الكلبي قال حدثني عثمان بن داود قال لما نزل سليمان الصنبرة أرسلني إلى يزيد بن الوليد وقال لي أعلمه أنك قد عدت جفاء أهل فلسطين وقد كفى الله مؤمنهم وقد أزمعت علي أن أولى ابن سراقه فلسطين والأسود بن بلال المحاربي الأردن فأتيت يزيد فقلت له ما أمرني به سليمان فقال أخبرني كيف قلت لضبعان بن روح فأخبرته قال فما صنع قلت ارتحل بأهل

فلسطين وارتحل ابن جرو بأهل الاردن قبل أن يصبحنا قال فليس بأحق بالوفاء منا ارجع فأمره أن لا ينصرف حتى ينزل الرملة فبايع أهلها وقد استعملت إبراهيم ابن الوليد على الأردن وضبعان بن روح على فلسطين ومسرور بن الوليد على قنسرين وابن الحصين على حمص ثم خطب يزيد بن الوليد بعد قتل الوليد فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أيها الناس إني والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا ولا رغبة في الملك وما بي اطراء نفسي إني لظلوم لنفسي إن لم ير حمي ربي ولكني خرجت غضباً لله ورسوله ودينه داعياً إلى الله وكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لما هدمت معالم الهدى وأطفئ نور أهل التقوى وظهر الجبار العنيد المستحل لكل حرمة والراكب لكل بدعة مع أنه والله ما كان يصدق بالكتاب ولا يؤمن بيوم الحساب وأنه لابن عمي في الحسب وكفي في النسب فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره وسألته أن لا يكلني إلى نفسي ودعوت إلى ذلك من أجنبي من أهل ولايتي وسعيت فيه حتى أراح الله منه العباد والبلاد بحول الله وقوته لا بحولي وقوتي أيها الناس إن لكم عليّ ان لا أضع حجراً على حجر ولا ابنة على ابنة ولا أكرى نهراً ولا أكثر مالا ولا أعطيته زوجة ولا ولداً ولا أنقل مالا من بلدة إلى بلدة حتى أسدّ ثغر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يغنيهم فان فضل فضلة نقلته إلى البلد الذي يليه من هو أحوج إليه ولا أجركم في ثغوركم فأفتنكم وأفتن أهليكم ولا أغلق بابي دونكم فإكل قرئكم ضعيفكم ولا أحمل على أهل جزيتكم ما يجلبهم عن بلادهم ويقطع نسلهم وإن لكم أعطياتكم عندي في كل سنة وأرزاقكم في كل شهر حتى تستدرّ المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كأدناهم فان وفيت لكم بما قلت فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة وإن انا لم أف فلکم ان تخلعونني إلا أن تستيبوني فان تبت قبلتم مني فان علمت أحداً من يعرفُ بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم ان تبايعوه فاننا أول من يبايعه ويدخل في طاعته أيها الناس ان لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا وفاء له بنقض عهد انما الطاعة طاعة الله فأطيعوه بطاعة الله ما اطاع

فاذا عصى الله ودعا إلى المعصية فهو أهل أن يُعصى ويُقتل اقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ثم دعا الناس إلى تجديد البيعة له فكان أول من بايعه الأقم يزيد بن هشام وبايعه قيس بن هانئ العبسي فقال يا أمير المؤمنين اتق الله ودم على ما أنت عليه فما قام مقامك أحد من أهل بيتك وان قالوا عمر بن عبد العزيز فانت اخذتها بجبل صالح وان عمر اخذها بجبل سوء فبلغ مروان بن محمد قوله فقال ماله قاتله الله ذمنا جميعاً وذم عمر فلما ولي مروان بعث رجلاً فقال إذا دخلت مسجد دمشق فانظر قيس بن هانئ فانه طال ما صلى فيه فاقتله فانطلق الرجل فدخل مسجد دمشق فرأى قيساً يصلي فقتله (وفي هذه السنة) عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر عن العراق وولاها منصور بن جمهور

ذكر الخبر عن عزل يوسف بن عمر وولاية منصور بن جمهور

ولما استوثق ليزيد بن الوليد على الطاعة أهل الشام ندب فيما قيل لولاية العراق عبد العزيز بن هارون بن عبد الله بن دحية بن خليفة الكلابي فقال له عبد العزيز لو كان معي جند لقبلت فتركه وولاها منصور بن جمهور واما ابو مخنف فانه قال فيما ذكر هشام بن محمد عنه قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ١٢٦ وبايع الناس يزيد بن الوليد بن عبد الملك بدمشق وسار منصور بن جمهور من البخراء في اليوم الذي قتل فيه الوليد بن يزيد إلى العراق وهو سابع سبعة فبلغ خبره يوسف بن عمر فهرب وقدم منصور بن جمهور الحيرة في أيام خلون من رجب فأخذ بيوت الأموال فأخرج العطاء لاهل العطاء والأرزاق واستعمل حريث بن أبي الجهم على واسط وكان عليها محمد بن نباتة فطره ليلاً فخبسه واوثقه واستعمل جرير بن يزيد بن يزيد بن جرير على البصرة واقام منصور وولى العمال وبايع ليزيد بن الوليد بالعراق وفي كورها واقام بقية رجب وشعبان ورمضان وانصرف لايام بقين منه وأما غير أبي مخنف فانه قال كان منصور بن جمهور اعراياً جافياً غيلانياً ولم يكن من أهل الدين وانما صار مع يزيد لرأيه في الغيلانية وحمية لقتل خالد بن

لذلك قتل الوليد فقال يزيد له ولما ولاه العراق قد وليتك العراق فسر إليه واتق الله
واعلم أني إنما قتلت الوليد لفسقه ولما أظهر من الجور فلا ينبغي لك أن تتركب مثل
ما قتلناه عليه فدخل على يزيد بن الوليد يزيد بن حجرة الغساني وكان دينا فاضلا
ذا قدر في أهل الشام قد قاتل الوليد ديانته فقال يا أمير المؤمنين أوليت منصورا
العراق قال نعم لبلائه وحسن معونته قال يا أمير المؤمنين انه ليس هناك في اعرايته
وجفائه في الدين قال فإذا لم أول منصورا في حسن معاونته فمن أولى قال تولى
رجلا من أهل الدين والصلاح والوقوف عند الشبهات والعلم بالأحكام والحدود
ومالي لا أرى أحدا من قيس يغشاك ولا يقف بيا بك قال لولا انه ليس من شأني
سفك الدماء لعاجلت قيسا فوالله ما عزت إلا ذل الإسلام ولما بلغ يوسف بن عمر
قتل الوليد جعل يعمد إلى من يحضرته من اليمانية فيلقبهم في السجون ثم جعل يخلو
بالرجل بعد الرجل من المضربة فيقول له ما عندك ان اضطرب حبل أو انفتق فتق
فيقول أنا رجل من أهل الشام أبايع من بايعوا وأفعل ما فعلوا فلم ير عندهم ما يجب
فأطلق من في السجون من اليمانية وأرسل إلى الحجاج بن عبد الله البصري ومنصور
ابن نصير وكانا على خبر ما بينه وبين أهل الشام فأمرهما بالكتاب إليه بالخبر
وجعل على طريق الشام أرسادا وأقام بالحيرة وجلا وأقبل منصور حتى إذا كان
بالجمع كتب إلى سليمان بن سليم بن كيسان كتابا أما بعد فان الله لا يغير ما يقوم
حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وان الوليد بن
يزيد بدل نعمة الله كفرا فسفك الدماء فسفك الله دمه وعجله إلى النار وولى
خلافته من هو خير منه وأحسن هديا يزيد بن الوليد وقد بايعه الناس وولى على
العراق الحارث بن العباس بن الوليد ووجهي العباس لأخذ يوسف وعماله
وقد نزل الأبيض ورأى على مرحلتين فخذ يوسف وعماله لا يفوتك منهم
أحد فاحبسهم قبلك وإياك أن تخالف فيحل بك وبأهل بيتك ما لا قبل لك
به فاختر لنفسك أودع وقيل إنه لما كان بعين التمر كتب إلى من بالحيرة من
قواد أهل الشام يخبرهم بقتل الوليد ويأمرهم بأخذ يوسف وعماله وبعث بالكتب

كلها إلى سليمان بن سليم بن كيسان وأمره أن يفرقها على القواد فأمسكها سليمان ودخل على يوسف فأقرأه كتاب منصور إليه فبعل به قال حريث بن أبي الجهم كان مكثى بواسطة فما شرت إلا بكتاب منصور بن جمهور وقد جاءني أن آخذ عمال يوسف فكننت أتولى أمره بواسطة فجمعت موالى وأصحابى فركبنا نحواً من ثلاثين رجلاً في السلاح فأتينا المدينة فقال البوابون من أنت قلت حريث بن أبي الجهم قالوا نقسم بالله ما جاء بحريث إلا أمر مهم ففتحوا الباب فدخلنا فأخذنا العامل فاستسلم فأصبحنا فأخذنا البيعة من الناس ليزيد بن الوليد قال وذكر عمر ابن شجرة أن عمرو بن محمد بن القاسم كان على السند فأخذ محمد بن غزان أو غزان الكلبى فضربه وبعث به إلى يوسف فضربه وأزماه مالا عظيماً يؤدي منه في كل جمعة نجماً وإن لم يفعل ضرب خمسة وعشرين سوطاً فجفت يده وبعض أصابعه فلما ولي منصور بن جمهور العراق ولاء السند وسجستان فأتى سجستان فبايع ليزيد ثم سار إلى السند فأخذ عمرو بن محمد فأوثقه وأمر به حرساً يحرسونه وقام إلى الصلاة فتناول عمرو سيفاً مع الحرس فاتكأ عليه مسلولاً حتى خالط جوفه وتصايح الناس فخرج ابن غزان فقال مادعاك إلى ما صنعت قال خفت العذاب قال ما كنت أبلغ منك ما بلغت من نفسك فلبث ثلاثاً ثم مات وبايع ابن غزان ليزيد فقال يوسف بن عمر لسليمان بن سليم بن كيسان الكلبى حين أقرأه كتاب منصور بن جمهور ما رأى قال ليس لك إمام تقاثل معه ولا يقاثل أهل الشام الحارث بن العباس معك ولا آمن عليك منصور بن جمهور إن قدم عليك وما رأى إلا أن تلحق بشأمك قال هو رأي فكيف الحيلة قال تظهر الطاعة ليزيد وتدعوله في خطتك فإذا قرب منصور وجهت معك من أثق به فلما نزل منصور بحيث يصبح الناس البلد خرج يوسف إلى منزل سليمان بن سليم فأقام به ثلاثاً ثم وجه معه من أخذ به طريق السماوة حتى صار إلى البلقاء (وقد قيل) إن سليمان قال تستخني وتدع منصوراً والعمل قال فعند من قال عندي وأضعك في ثقة ثم مضى سليمان إلى عمرو بن محمد بن سعيد بن العاص فأخبره بالأمر وسأله أن يؤوى يوسف وقال

أنت امرؤ من قريش وأخوالك بكر بن وائل فأواه قال عمرو فلم أر رجلاً كان مثل عتوه رُعب رُعبه أتيته بجارية نفيسة وقلت تدفنه وتطيب بنفسه فوالله ما قربها ولا نظر إليها ثم أرسل إلى يوم ما أتيتته فقال قد أحسنت وأجملت وقد بقيت لي حاجة قلت هاتها قال تخرجني من الكوفة إلى الشام قلت نعم وصبحنا منصور بن جمهور فذكر الوليد فعابه وذكر يزيد بن الوليد فقرضه وذكر يوسف وجوره وقامت الخطباء فشعثوا من الوليد ويوسف فأتيته فأقصصت قصتهم فجعلت لأذكر رجلاً ممن ذكره بسوء إلا قال الله على أن أضربه مائة سوط مائتي سوط ثلاثمائة سوط فجعلت أتعجب من طمعه في الولاية بعد وتهده الناس فتركه سليمان ابن سليم ثم أرسله إلى الشام فاختنق بها ثم تحول إلى البلقاء ذكر علي بن محمد أن يوسف بن عمر وجه رجلاً من بني كلاب في خمسمائة وقال لهم إن مر بكم يزيد بن الوليد فلا تدعنه يجوز فأتاهم منصور بن جمهور في ثلاثين فلم يهاجوه فانتزع سلاحهم منهم وأدخلهم الكوفة قال ولم يخرج مع يوسف من الكوفة إلا سفيان بن سلامة ابن سليم بن كيسان وغسان بن قعاس العذري ومعه من ولده لصلبه ستون بين ذكر وأنثى ودخل منصور الكوفة لأيام خلون من رجب فأخذ بيوت الأموال وأخرج العطاء والأرزاق وأطلق من في سجون يوسف من العمال وأهل الخراج قال فلما بلغ يوسف البلقاء حينئذ بلغ خبره إلى يزيد بن الوليد رضي الله عنه فحدثني أحمد بن زهير قال حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم بن يزيد بن هرير قال حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد ابن صالح مولى عثمان بن عفان قال سمعت محمد بن سعيد الكلبي وكان من قواد يزيد ابن الوليد يقول إن يزيد وجهه في طلب يوسف بن عمر حيث بلغه أنه في أهله بالبلقاء قال فخرجت في خمسين فارساً أو أكثر حتى أحطت بداره بالبلقاء فلم نزل نفتش فلم نر شيئاً وكان يوسف قد لبس لبسة النساء وجاس مع نسائه وبناته ففتشهن فظفر به مع النساء فجاء به في وثاق فحبسه في السجن مع الغلامين ابني الوليد فكان في الحبس ولاية يزيد كلها وشهرين وعشرة أيام من ولاية إبراهيم فلما قدم مروان الشام وقرب من دمشق ولي قتلهم يزيد بن خالد فأرسل يزيد مولى خالد يكنى

أبوالاسد في عدة من أصحابه فدخل السجن لشدخ الغلامين بالعمد وأخرج يوسف ابن عمر فضرب عنقه وقيل إن يزيد بن الوليد لما بلغه صير يوسف إلى البلقاء وجه إليه خمسين فارسا فعرض له رجل من بني نمير فقال يا ابن عم أنت والله مقتول فأطعني وامتنع وأئذني لي حتى أنتزعك من أيادي هؤلاء قال لا قال فدعني أقتلك أنا ولا يقتلك هذه اليمانية فتغيظنا بقتلك قال مالي في واحدة مما عرضت علي خيار قال فأنت أعلم ومضوا به إلى يزيد فقال ما أقدمك قال قدم منصور بن جمهور والياً فركته والعمل قال لا ولكنك كرهت أن تلي لي فأمر بحبسه وقيل إن يزيد دعا مسلم بن ذكوان ومحمد بن سعيد بن مطرف الكلبي فقال لهما إنه باغني أن الفاسق يوسف بن عمر قد صار إلى البلقاء فانطلقا فأتيا به فطلباه فلم يجدها فرها ابنا له فقال أنا أدلكما عليه فقال إنه انطلق إلى مزرعة له على ثلاثين ميلاً فأخذا معهما خمسين رجلاً من جند البلقاء فوجدوا أثره وكان جالساً فلما أحس بهم هرب وترك نعليه ففتشوا فوجداه بين نسوة قد ألقين عليه قطيفة خز وجلسن على حواشها حاسرات فجروا برجله فجعل يطالب إلى محمد بن سعيد أن يرضى عنه كلباً ويدفع عشرة آلاف دينار ودية كلثوم بن عمير وهاني بن بشر فأقبلا إلى يزيد فلقية عامل لسليمان على نوبة من نواب الحرس فأخذ بلحيته فهزها وتنف بعضها وكان من أعظم الناس لحيته وأصغرهم قامته فأدخله على يزيد فقبض على لحيته نفسه وإنها حينئذ لتجوز سرتة وجعل يقول تنف والله يا أمير المؤمنين لحيتي فما بقي فيها شعرة فأمر به يزيد فحبس في الخضراء فدخل عليه محمد بن راشد فقال له أما تخاف أن يطلع عليك بعض من قد وترت فياقي عليك حجراً فقال لا والله ما فطنت إلى هذا فلشدتك الله إلا كنت أمير المؤمنين في تحويلي إلى مجلس غير هذا وإن كان أضيقت منه قال فأخبرت يزيد فقال ما غاب عنك من حقه أكثر وما حبسته إلا لأوجهه إلى العراق فيقام للناس ويؤخذ المظالم من ماله ودمه ولما قتل يزيد بن الوليد الوليد بن يزيد ووجه منصور بن جمهور إلى العراق كتب يزيد بن الوليد إلى أهل العراق كتاباً فيه مساوي الوليد فكان مما كتب به فيما حدثني أحمد بن زهير

عن علي بن محمد ان الله اختار الاسلام ديناً وارتضاه وطهره واقترض فيه حقوقاً
امر بها ونهى عن أمور حرمها ابتلاء لعباده في طاعتهم ومعصيتهم فأكمل فيه كل
منقبة خير وجسيم فضل ثم تولاه فكان له حافظاً ولأهله المقيمين حدوده ولياً
يحوظهم ويعرفهم بفضل الاسلام فلم يكرم الله بالخلافة أحداً يأخذ بأمر الله وينتهي
إليه فيناوته أحد بميثاق أو بحلول صرف ما حباه الله به أو ينكث ناكث إلا كان
كيداً إلا وهن ومكره إلا بور حتى يتم الله ما أعطاه ويدخر له أجره ومشوبته ويجعل
عدوه الأضل سبيلاً الأخر عملاً فتناحرت خلفاء الله ولأهله قاضين فيه بحكمه
متبعين فيه لكتابته فكانت لهم بذلك من ولايته ونصرته ماتمت به النعم عليهم قد
رضى الله بهم لها حتى توفي هشام ثم أفضى الأمر إلى عدو الله الوليد المنتهك
للحارم التي لا يأتي مثلها مسلم ولا يقدم عليها كافر تكراً عن غشيان مثلها فلما
استفاض ذلك منه واستعان واشتد فيه البلاء وسفك فيه الدماء وأخذت الأموال
بغير حقها مع أمور فاحشة لم يكن الله ليخلي العاملين بها إلا قليلاً سرت إليه مع
انتظار مراجعته واعدار إلى الله وإلى المسلمين منكرًا لعمله وما اجتراً عليه من
معاصي الله متوخياً من الله أتمام الذي نويت من اعتدال عمود الدين والأخذ في
أهله بما هو رضى حتى أتيت جنداً وقد غرت صدورهم على عدو الله لما رأوا من
عمله فإن عدو الله لم يكن يرى من شرائع الاسلام شيئاً إلا أراد تبديله والعمل فيه
بغير ما أنزل الله وكان ذلك منه شائعاً شاملاً عريان لم يجعل الله فيه سترًا ولا أحد
فيه شكاً فذكرت لهم الذي نقتت وخفت من فساد الدين والدنيا وحضضتهم على
تلافي دينهم والمحاماة عنه وهم في ذلك مستريبون قد خافوا أن يكونوا قد أبقوا
لأنفسهم بما قاموا عليه إلى أن دعوتهم إلى تغييره فأسرعوا الإجابة فابتعث الله
منهم بعضاً يخبرهم من أولى الدين والرضى وبعثت عليهم عبدالعزيز بن الحجاج بن
عبد الملك حتى لقي عدو الله إلى جانب قرية يقال لها البخراء فدعوه إلى أن يكون
الأمر شورى ينظر المسلمون لأنفسهم من يقلدونه ممن اتفقوا عليه فلم يجب عدو
الله إلى ذلك وأبى إلا تتابعاً في ضلالتة فبدرهم الحملة جهالة بالله فوجد الله عزيزاً

حكيمًا وأخذه إليها شديدًا فقتله الله على سوء عمله وعصبيته بمن صاحبه من بطانته الخبيثة لا يبلغون عشرة ودخل من كان معه سواهم في الحق الذي دُعوا إليه فأطفأ الله جمرته وأراح العباد منه فبعداً له ولمن كان على طريقته أحببت أن أعلمكم ذلك وأعجل به إليكم لتحمدوا الله وتشكروه فإنكم قد أصبحتم اليوم على أمثل حالكم إذ ولاتكم خياركم والعدل مبسوط لكم لا يُسار فيكم بخلافه فأكثروا على ذلك حمد ربكم وتابعوا منصور بن جمهور فقد ارتضيتُ لكم على أن عليكم عهد الله وميثاقه وأعظم ما عهد وعقد على أحد من خلقه لتسمعن وتطيعن لي ولمن استخلفته من بعدى ممن اتفقت عليه الأمة ولكم على مثل ذلك لأعلمن فيكم بأمر الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واتبع سبيل من سلف من خياركم نسأل الله ربنا وولينا أحسن توفيقه وخير قضائه (وفي هذه السنة) امتنع نصر بن سيار بخراسان من تسليم عمله لعامل منصور بن جمهور وقد كان يزيد بن الوليد ولاها منصوراً مع العراق (قال أبو جعفر) قد ذكرت قبل من خبر نصر وما كان من كتاب يوسف ابن عمر إليه بالمصير إليه مع هدايا الوليد بن يزيد وشخص نصر من خراسان متوجهاً إلى العراق وتباطئه في سفره حتى قدم عليه الخبر بقتل الوليد فذكر على ابن محمد أن الباهلي أخبره قال قدم على نصر بشر بن نافع مولى سالم الليثي وكان على سكك العراق قال أقبل منصور بن جمهور أميراً على العراق وهرب يوسف ابن عمر فوجه منصور أخاه منظور بن جمهور على الري فأقبلت مع منظور إلى الري وقلت أئدم على نصر فأخبره فلما صرت بنيسابور حبسني حميد مولى نصر وقال لن تجاوزني أو تخبرني فأخبرته وأخذت عليه عهد الله وميثاقه ألا يخبر أحداً حتى أقدم على نصر فأخبره ففعل فأقبلنا جميعاً حتى قدمنا على نصر وهو بقصره بماجان فاستأذنا فقال خصي له هو نائم فألحجنا عليه فانطلق فأعلمه فخرج نصر حتى قبض على يدي وأدخلني فلم يكلمني حتى صرت في البيت فسألتني فأخبرته فقال حميد مولاه انطلق به فإنه بجائزة ثم أتاني يونس بن عبد ربه وعبيد الله بن اسام فأخبرتهما وأتاني سلم بن أخوز فأخبرته قال وكان الوليد بن يوسف عند نصر فأقره

حين بلغه الخبر فأرسل إلى فلما أخبرتهم كذبوني فقلت استوثق من هؤلاء فلما مضت ثلاث على ذلك جعل على ثمانين رجلاً حرساً فأبطل الخبر على ما كنت قدرت فلما كانت الليلة التاسعة وكانت ليلة نوروز جاءهم الخبر على ما وصفت فصرف إلى عامة تلك الهدايا وأمر لي ببردون بسرجه ولجامه وأعطاني سرجاً صينياً وقال لي أقم حتى أعطيك تمام مائة ألف قال فلما تبين نصر قتل الوليد رد تلك الهدايا وأعتق الرقيق وقسم روقه الجوارى في ولده وخاصته وقسم تلك الآنية في عوام الناس ووجه العمال وأمرهم بحسن السيرة قال وأرجفت الأزد في خراسان أن منظور بن جمهور قادم خراسان فخطب نصر فقال في خطبته إن جاءنا أمير ظنين قطعنا يديه ورجليه ثم باح به بعد فكان يقول عبد الله المخدول المبتور قال وولي نصر ربيعة واليمن وولي يعقوب بن يحيى بن حنين على أعلى طخارستان ومسعدة ابن عبد الله الشكري على خوارزم وهو الذي يقول فيه خلف

أقول لأصحابي معاً دون كردٍ لمسعدة البكري غيث الأراميل

ثم أتبعه بأبان بن الحكم الزهراني واستعمل المغيرة بن شعبة الجهضمي على قهستان وأمرهم بحسن السيرة فدعا الناس إلى البيعة فبايعوه فقال في ذلك

أقول لنصر وباعته على جل بكر وأحلافها

يدي لك رهن ب بكر العرا

أخذت الوثيقة للمسلمين

إذا لا تجيب إلى ما تري

دعوت الجنود إلى بيعة

وظللت خراسان للمسلمين

وإن جمعت ألفة المسلمين

أجار وسلم أهل البلاد

فصرت على الجند بالمشرقي

فنحن على ذاك حتى تبدي

ن إن الأرض همت بأرجافها

ن صرفت الضراب لآلافها

ن والنازلين بأطرافها

ن لقوتهم در أحلافها

ن مناهج سبل لعرافها

وحتى تبوح قريش بما
 فأقسمت للمعبرات الرنا
 إلى ما تؤدى قريش البطا
 فإن كان من عز بز الضعيف
 وجدنا العلائف أنى يكو
 إذا ما تشارك فيه كبت
 فنحن على عهدنا نستدي
 سنرضى بظلك كئنا لها
 لعل قريشاً إذا ناضلت
 وتلبس أغشيّة بالعرا
 وللأمد منا وإن الأسو
 فإن جاذرت تلفاً فى النفا
 فقد ثبتت بك أقدامنا
 وجدناك برأ رؤفابنا
 ولم تك بيعتنا خلصة
 نكاح التى أسرعت بالحلي
 فكشفتها البعل قبل الصدا
 تَجُنْ ضَمَائِرُ أَجْرَافِهَا
 عُ لِّلغَزْرِ أَوْفَى لِأَصْوَابِهَا
 ح أَحْلَافُهَا بَعْدَ أَشْرَافِهَا
 فَ ضَرَبْنَا الْخَيْولَ بِأَعْرَافِهَا
 ن يُحْمَى أَوَارِيُّ أَعْلَافِهَا
 خَوَاصِرُهَا بَعْدَ إِخْطَافِهَا
 م قُرَيْشاً وَنَرْضَى بِأَحْلَافِهَا
 وَظِلِّكَ مِنْ ظِلِّ أَكْنِافِهَا
 تُقَرِّطُسُ ... فِى أَهْدَافِهَا
 قِ رَمَتْ دَلْوً شَرِيقَ بِحِطَافِهَا
 دَهَا لِبَدُّ فَوْقَ أَكْنِافِهَا
 رِ فَالْدَهْرُ أَذْنَى لِإِتْلَافِهَا
 إِذَا أَنْبَارَ مُبَارِ أَجْرَافِهَا
 كِرَاقَةَ أُمِّ وَإِلْطَافِهَا
 لِأَسْرَعِ نَسْفَةِ خَطَافِهَا
 لِ قَبْلَ تَحْضِبِ أَطْرَافِهَا
 قِ فَاسْتَقْبَلْتَهُ بِمُعْتَابِهَا

قال وكان نصرولى عبد الملك بن عبد الله السلى خوارزم فكان يخطبهم
 ويقول فى خطبته ما أنا بالأعرابى الجلف ولا الفزارى المستنبط ولقد كرمتى
 الامور وكرمتها أم والله لاضعن السيف موضعه والسوط موضعه والسجن
 مدخله ولتجدنى غشمشما أغشى الشجر ولتستقيمن لى على الطريقة رقص البكاره
 فى السنن الاعظم أو لاصكنكم صك القطامى القارب يصكهن جانبا جانبا قال
 قدم رجل من بلقين خراسان وجهه منصور بن جمهور فأخذه مولى لنصر يقال
 له حميد كان على سكك بنيسابور فضربه وكسرأنه فشكاه إلى نصر فأمر له نصر

بعشرين ألفاً وكساه وقال إن الذي كسر أنفك مولى لي وليس بكفء فأقصك منه فلا تقل إلا خيراً قال عصمة بن عبد الله الأسدي يا أخا بلقين أخبر من أتى أنا قد أعددتنا قيساً لربيعة وتميماً للأزد وبقيت كنانة ليس لها من يكافئها فقال نصر كلما أصلحت أمراً أفسدتموه قال أبو زيد عمر بن شبة حدثني أحمد بن معاوية عن أبي الخطاب قال قدم قدامة بن مصعب العبدى ورجل من كندة على نصر ابن سيار من قبل منصور بن جمهور فقال أمات أمير المؤمنين قال نعم قال وولى منصور بن جمهور وهرب يوسف بن عمر عن سرير العراق قال نعم قال إنا بجمهوركم من الكافرين ثم حبسهما ووسع عليهما ووجه رجلا حتى أتى فرأى منصوراً يخطب بالكوفة فأخرجهما وقال لقدامة أوليكم رجل من كلب قال نعم إنما نحن بين قيس واليمن قال فكيف لا يولاها رجل منكم قال لأنا كما قال الشاعر

إِذَا مَا خَشِينَا مِنْ أَمِيرٍ ظَلَامَةً دَعَوْنَا أَبَا غَسَّانَ يَوْمًا قَعَسَكِرًا

فضحك نصر وضمه إليه قال ولما قدم منصور بن جمهور العراق ولى عبيد الله ابن العباس الكوفة أو وجدته واليا عليها فأقره وولى شرطته ثمامة بن حوشب ثم عزله وولى الحجاج بن أرطاة النخعي (وفي هذه السنة) كتب مروان بن محمد إلى الغمر بن يزيد أخى الوليد بن يزيد يأمره بدم أخيه الوليد ذكر نسخة ذلك الكتاب الذى كتب اليه

❁ حدثني أحمد عن عليّ قال كتب مروان إلى الغمر بن يزيد بعد قتل الوليد أما بعد فإن هذه الخلافة من الله على مناهج نبوة رساله وإقامة شرائع دينه أكرمهم الله بما قدم يُعزّم ويعزّ من يعزّم والحين على من ناوهم فابتغى غير سبيلهم فلم يزالوا أهل رعاية لما استودعهم الله منها يقوم بحققها ناهض بعد ناهض بأنصار لها من المسلمين وكان أهل الشام أحسن خلقه فيه طاعة وأذية عن حرمه وأوفاه بعهده وأشدّه نكابة في مارق مخالف ناكث ناكب عن الحق فاستدرت نعمة الله عليهم قد عمر بهم الإسلام وكتب بهم الشرك وأهله وقد نكثوا أمر الله وحاولوا نكث العهود وقام بذلك من

أشعل ضرامها وإن كانت القلوب عنه نافرة والمطلوبون بدم الخليفة ولاية من
 بنى أمية فإن دمه غير ضائع وإن سكنت بهم الفتنة والتأمت الامور فأمر أراده
 الله لا مرد له قد كتبت بحالك فيما أبرموا وما ترى فاني مطرق إلى أن أرى غيراً
 فأسطو بانتقام وأتقم لدين الله المتبول وفرائضه المتروكة مجانة ومعى قوم أسكن
 الله طاعتي قلوبهم أهل إقدام إلى ما قدمت بهم عليه ولهم نُظُرٌ إذ صدورهم مُترعة
 ممتلئة لو يجدون مَنزَعاً وللنقمة دولة تأتي من الله ووقت موكلٌ ولم أشبه محمداً
 ولا مروان غير أن رأيت غيراً إن لم أشمر للقدرية إزارى وأضربهم بسيفي
 جارحاً وطاعناً يرمى قضاء الله في ذلك حيث أخذ أو يرمى في عقوبة الله حيث
 بلغ منهم فيها رضاه وما إطراقى إلا لما أنتظر مما يأتي عنك فلا تن عن تارك
 بأخيك فإن الله جارك وكافيك وكفى بالله طالباً ونصيراً ﷺ شئى أحمد عن عليّ
 عن عمرو بن مروان الكلبي عن مسلم بن ذكوان قال كلم يزيد بن الوليد العباس
 ابن الوليد في طفيل بن حارثة الكلبي وقال إنه حمل حَمالةً فإن رأيت أن تكتب
 إلى مروان بن محمد في الوصاية به وأن يأذن له أن يسأل عشيرته فيها وكان مروان
 يمنع الناس أن يسألوا شيئاً من ذلك عند العطاء فأجابه وحمله على البريد وكان
 كتاب العباس ينفذ في الآفاق بكل ما يكتب به فكتب يزيد إلى مروان أنه اشترى
 من أبي عبيدة بن الوليد ضيعة بثمانية عشر ألف دينار وقد احتاج إلى أربعة آلاف
 دينار قال مسلم بن ذكوان فدعاني يزيد وقال انطلق مع طفيل بهذه الكتب وكله
 في هذا الأمر قال فخرجنا ولم يعلم العباس بخروجه فلما قدمنا خلط لقينا عمرو
 ابن حارثة الكلبي فسألنا عن حالنا فأخبرنا فقال كذبتهم إن لساكم ولمروان لقصة
 قلنا وما ذاك قال أخلاقي حين أردت الخروج وقال لي جماعة أهل المزة يكونون
 ألفاً قلت وأكثر قال وكم بينها وبين دمشق قلت يسمعهم المنادي قال كم ترى حدة
 بنى عامر يعني بنى عامر من كلب قلت عشرون ألف رجل فحرك أصبعه ولوى
 وجهه قال مسلم فلما سمعت ذلك طمعت في مروان وكتبت إليه على لسان يزيد
 أما بعد فانتى وجهت إليك ابن ذكوان مولاي بما سيدكره لك وبينه إليك

فألق إليه ما أحببت فانه من خيار أهلى وثقات موالى وهو شعب حصين ووعاء أمين إن شاء الله فقدمنا على مروان فدفعت طفيل كتاب العباس إلى الحاجب وأخبره أن معه كتاب يزيد بن الوليد فقرأه فخرج الحاجب وقال أما معك كتاب غير هذا ولا أوصاك بشيء قلت لا ولكنى معى مسلم بن ذكوان فدخل فأخبره فخرج الحاجب فقال مر مولاہ بالرواح قال مسلم فانصرفت فلما حضرت المغرب أتيت المقصورة فلما صلى مروان انصرفت لأعيد الصلاة ولم أكن أعتد بصلاته فلما استويت قائما جاءنى خصى فلما نظر إلى انصرف وأوجزت الصلاة فلحقته فأدخلنى على مروان وهو فى بيت من بيوت النساء فسلمت وجلست فقال من أنت فقلت مسلم بن ذكوان مولى يزيد قال مولى عتاقة أو مولى تباعة قلت مولى عتاقة قال ذاك أفضل وفى كل ذلك فضل فاذا ذكر ما بدالك قلت إن رأى الأمير أن يجعل لى الأمان على ماقلته أو وافقه فى ذلك أو أخالفه فأعطانى ما أردت فحمدت الله وصليت على نبيه ووصفت ما أكرم الله به مروان من الخلاقه ورضا العامة بهم وكيف نقض الوليد العرى وأفسد قلوب الناس وذمته العامة وذكرت حاله كلها فلما فرغت تكلم فوالله ما حمد الله ولا تشهد وقال قد سمعت ماقلت قد أحسنت وأصبت ولنعم الراى رأى يزيد فأشهد الله أنى قد بايعته أبذل فى هذا الأمر نفسى ومالى لا أريد بذلك إلا ما عند الله والله ما أصبحت أستزيد الوليد لقد وصل وفوض وأشرك فى ملكه وإبكنى أشهد أنه لا يؤمن بيوم الحساب وسألنى عن أمر يزيد فكبرت الأمر وعظمته فقال اكنم أمرك وقد قضيت حاجة صاحبك وكفيته أمر حماته وأمرت له بألف درهم فأقمت أياما ثم دعانى ذات يوم نصف النهار ثم قال الحق بصاحبك وقل له سددك الله امض على أمر الله فانك بعين الله وكتب جواب كتابى وقال لى إن قدرت أن تطوى أو تطير فطر فانه يخرج بالجزيرة إلى ست ليال أو سبع خارجه وقد خفت أن يطول أمرهم فلا تقدر أن تجوز قلت وما علم الأمير بذلك فضحك وقال ليس من أهل هوى إلا وقد أعطيتهم الرضا حتى أخبرونى بذات أنفسهم فقلت فى نفسى أنا واحد

من أولئك ثم قلت لئن فعلت ذلك أصلحك الله إنه قيل لخالد بن يزيد بن معاوية
إني أصبت هذا العلم قال وافقت الرجال على أهوائهم ودخلت معهم في
آرائهم حتى بذلوا لي ما عندهم وأفضوا لي بذات أنفسهم فودعته وخرجت فلما
كنت بآمد لقيت البرد تتبع بعضها بعضا بقتل الوليد وإذا عبد الملك بن مروان
قد وثب على عامل الوليد بالجزيرة فأخرجه منها ووضع الأرصاء على الطريق
فتركت البرد واستأجرت دابة ودليلا فقدمت على يزيد بن الوليد (وفي هذه
السنة) عزل يزيد بن الوليد منصور بن جمهور عن العراق وولاهما عبد الله
ابن عمر بن عبد العزيز بن مروان

ذكر الخبر عن ذلك

ذكر عن يزيد بن الوليد أنه قال لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز إن أهل العراق
يميلون إلى أيك فسر إليهم فقد وليتها هـ فذكر عن أبي عبيدة قال كان عبد الله بن
عمر متألماً لما تقدم حين شخص إلى العراق بين يديه رسلاً وكتبنا إلى قوام الشام
الذي بالعراق وخاف أن لا يسلم له منصور بن جمهور العمل فانقاد له كلهم
وسلم له منصور بن جمهور وانصرف إلى الشام ففرق عبد الله بن عمر عماله
في الأعمال وأعطى الناس أرزاقهم وأعطياتهم فنازعه قواد أهل الشام وقالوا
تقسم على هؤلاء فيئنا وهم عدونا فقال عبد الله لأهل العراق إني قد أردت أن
أرد فيئكم عليكم وعلبت أنكم أحق به فنازعني هؤلاء فأنكروا على نخرج
أهل الكوفة إلى الجبابة وتجمعوا فأرسل إليهم قواد أهل الشام يعتذرون
وينكرون ويحلفون أنهم لم يقولوا شيئاً مما بلغهم وثار غوغاء الناس من
الفريقين فتناوشوا وأصيب منهم رهط لم يعرفوا وعبد الله بن عمر بالحيرة
وعبيد الله بن العباس الكندي بالكوفة قد كان منصور بن جمهور استخلفه
عليها وأراد أهل الكوفة إخراجه من القصر فأرسل إلى عمر بن الغضبان بن
القبيري فأتاه فنحى الناس عنه وسكنهم وزجرهم حتى تجاوزوا وأمن بعضهم
بعضاً وبلغ ذلك عبد الله بن عمر فأرسل إلى ابن الغضبان فكساه وحمله وأحسن

جائزته وولاه شرطه وخراج السواد والمحاسبات وأمره أن يفرض لقومه
فقرض في ستين وفي سبعين (وفي هذه السنة) وقع الاختلاف في خراسان بين
اليمانية والنزارية وأظهر الكرماني فيها الخلاف لنصر بن سيار واجتمع مع كل
واحد منهما جماعة لنصرته

ذكر الخبر عما كان بينهما من ذلك وعن السبب الذي أحدث ذلك
ذكر علي بن محمد عن شيوخه أن عبد الله بن عمر لما قدم العراق والياً
عليها من قبل يزيد بن الوليد كتب إلى نصر بعهدده على خراسان قال ويقال بل أتاه
كتابه بعد خروج الكرماني من حبس نصر فقال المنجمون لنصر إن خراسان
سيكون بها فتنه فأمر نصر برفع حاصل بيت المال وأعطى الناس بعض أعطياتهم
ورقاً وذهباً من الآنية التي كان اتخذها للوليد بن يزيد وكان أول من تكلم رجل
من كندة أفوه طوال فقال العطاء العطاء فلما كانت الجمعة الثانية أمر نصر رجلاً
من الحرس فلبسوا السلاح وفرقهم في المسجد مخافة أن يتكلم متكلم فقام الكندي
فقال العطاء العطاء فقام رجل مولى للأزد وكان يلقب أبا الشياطين فتكلم وقام
حماد الصائغ وأبو السليل البكري فقالوا العطاء العطاء فقال نصر إياي والمعصية
عليكم بالطاعة والجماعة فاتقوا الله واسمعوا ما توعدون به فصعد سلم بن أجوز
إلى نصر وهو على المنبر فكلمه فقال ما يغني عنا كلامك هذا شيئاً ووثب أهل
السوق إلى أسواقهم فغضب نصر وقال مالكم عندي عطاء بعد يومكم هذا ثم قال
كأنى بالرجل منكم قد قام إلى أخيه وابن عمه فلطم وجهه في جمل يهتدى له ووثوب
يكساه ويقول مولاي وظري وكأنى بهم قد نبغ من تحت أرجلهم شر لا يطاق
وكأنى بكم مطر حين في الأسواق كالجزر المنحورة إنه لم تطبل ولا لاية رجل
إلا ملوها وأنتم يا أهل خراسان مسلحة في نحور العدو فإياكم أن يختلف فيكم
سيفان قال علي قال عبد الله بن المبارك قال نصر في خطبته إني لمكفر ومع
ذاك لمظلم وعسى أن يكون ذلك خيراً لي إنكم ترشون أمرا تريدون فيه الفتنة
ولأبقي الله عليكم والله لقد نشرتكم وطويتكم ونشرتكم فاعندى منكم

عشرة وإني وإياكم كما قال من كان قبلكم
استمسكوا أصحابنا نحدو بكم فقد عرفنا خيركم وشركم
فاتقوا الله فوالله إن اختلف فيكم سيفان ليمتدنان الرجل منكم أنه يخلع
من ماله وولده ولم يكن رآه بأهل خراسان إنكم غمظتم الجماعة وركنتم إلى الفرقة
أسلطان المجهول تريدون وتلتظرون ان فيه هلاككم معشر العرب وتمثل
بقول النابغة الذبياني :

فإن يغلب شقاؤكم عليكم فإني في صلاحكم سعيتُ

قال الحارث بن عبد الله بن الحشرج بن المغيرة بن الورد الجعدي :

أبيتُ أرى النجوم مرتفقا إذا استقلت تجرى أوائلها

من فتنه أصبحت مجللة قد عم أهل الصلاة شاملها

من بخراسان والعراق ومن بالشام كل شجاء شاغلها

فالناس منها في لون مظلمة دهماء ملتجة غياطلها

يمسي السفيه الذي يعنف بالجهل سواء فيها وعافلها

والناس في كربة يكاد لها تنيد أولادها حواملها

يغدون منها في كل مبهمة عمياء تمنى لهم غوائلها

لا ينظر الناس في عواقبها إلا التي لا بين قائلها

كرغوة البكر أو كصيحة حبة لي طرقت حولها قوابلها

جفاء فينا أزرى بوجهته فيها خطوب حمر زلازلها

قال فلما أتى نصرأ عهده من قبل عبد الله بن عمر قال الكرمانى لأصحابه

الناس في فتنه فانظروا في أموركم رجلا وإنما ستمى الكرمانى لأنه ولد بكرمان

واسمه جديع بن على بن شبيب بن برارى بن صنيم المعنى فقالوا أنت لنا فقالت

المضرية لنصر الكرمانى يفسد عليك فأرسل إليه فاقتله قال لا ولكن لى أولاد

ذكور وإناث فأزوج بنى من بناته وبنيه من بناتى قالوا الا قال فأبعث اليه بمائة

ألف درهم فإنه بخيل ولا يعطى أصحابه شيئا ويعلمون بها فيفترقون عنه قالوا الا هذه قوة

له قال فدعوه على حاله يتقينا ونتقيه قالوا فأرسل اليه فأحبسه قال وبلغ نصر أن
الكرماني يقول كانت غايتي في طاعة بني مروان أن تقلدني السيوف فأطلب بثأري
بني المهلب مع مالقينا من نصر وجفائه وطول حرمانه ومكافأته إيانا بما كان من
صنيع أسد اليه فقال له عصمة بن عبد الله الأسدي إنها بدء فتنة فتجن عليه
فأحشته وأظهر أنه مخالف واضرب عنقه وعنق سباع بن النعمان الأزدي والفراصة
ابن ظهير البكري فإنه لم يزل متعصباً على الله بتفضله على مضر وبفضله على
ربيعة كان بخراسان وقال جميل بن النعمان إنك قد شرفته وإن كرهت قتله
فادفعه إلى أقتله وقيل إنما غضب عليه في مكاتبته بكر بن فراس البهراني
عامل جرجان يعلبه حال منصور بن جمهور وحيث بعث عهد الكرماني مع أبي
الزعفران مولى أسد بن عبد الله فطلبه نصر فلم يقدر عليه والذي كتب إلى الكرماني
بقتل الوليد وقدم منصور بن جمهور على العراق صالح الأثرم الحرار وقيل إن
قوماً أتوا نصرأ فقالوا الكرماني يدعو إلى الفتنة وقال أصرم بن قبيصة لنصر
لو أن جدي عالم يقدر على السلطان والملك إلا بالنصرانية واليهودية لتنصر وتهود
وكان نصر و الكرماني متصافين وقد كان الكرماني أحسن إلى نصر في ولاية
أسد بن عبد الله فلما ولي نصر خراسان عزل الكرماني عن الرئاسة وصيرها
لحرب بن عامر بن أيثم الواشجي فما زجرت فأعاد الكرماني عليها فلم يلبث
إلا يسيراً حتى عزله وصيرها لجميل بن النعمان قال فتباعد ما بين نصر و الكرماني
فحبس الكرماني في القهندز وكان على القهندز مقاتل بن علي المرثي ويقال المرثي
قال ولما أراد نصر حبس الكرماني أمر عبيد الله بن بسام صاحب حرسه
فأتاه به فقال له نصر يا كرماني ألم يأتني كتاب يوسف بن عمر يا مرثي بقتلك فراجعته
وقلت له شيخ خراسان وفارسها وحقنت دمك قال بلي قال ألم أغرم عنك ما كان
لزمك من الغرم وقسمته في أعطيات الناس قال بلي قال ألم أرّس عليك علي
كره من قومك قال بلي قال فبدلت ذلك إجماعاً على الفتنة قال الكرماني لم يقل
الأمير شيئاً إلا وقد كان أكثر منه فأنا لذلك شاكر فإن كان الأمير حقن دمي فقد كان

منى أيام أسد بن عبد الله ماقد علم فليستان الأمير وليثبت فليست أحب الفته
 فقال عصمة بن عبد الله الأسدي كذبت وأنت تريد الشغب ومالا تناله قال سلم
 ابن أحوز اضرب عنقه أيها الأمير فقال المقدم وقدامة ابنا عبد الرحمن بن نعيم
 الغامدي جلساء فرعون خير منكم إذ قالوا أرجو أخاه والله لا يقتلن الكرمانى
 بقول ابن أحوز فأمر نصر سلباً فحبس الكرمانى لثلاث بقين من شهر رمضان
 سنة ١٢٦ فكلمت الأزدي فقال نصرانى حلفت أن أحبسه ولا ينداه منى سوء فان
 خشيم عليه فاختروا رجلا يكون معه قال فاختروا يزيد النحوى فكان معه في
 القهندز وصير حرسه بنى ناجية أصحاب وجهم عثمان ابني مسعود قال
 وبعث الأزدي إلى نصر المغيرة بن شعبة الجهضمي وخالد بن شعيب بن أبي صالح
 الحداني فكلماه فيه قال فلبث في الحبس تسعة وعشرين يوماً فقال علي بن وائل
 أحد بني ربيعة بن حنظلة دخلت علي نصر والكرمانى جالس ناحية وهو يقول
 ما ذنبي إن كان أبو الزعفران جاء فوالله ما واريته ولا أعلم مكانه وقد كانت الأزدي
 يوم حبس الكرمانى أرادت أن تزعه من رسله فنادى الله الكرمانى ألا
 يفعلوا ومضى مع رسل سلم بن أحوز وهو يضحك فلما حبس تكلم عبد الملك
 ابن حرمة اليحمدي والمغيرة بن شعبة وعبد الجبار بن شعيب بن عباد وجماعة
 من الأزدي فنزلوا بنوش وقالوا لا نرضى أن يحبس الكرمانى بغير جناية ولا حدث
 فقال لهم شيوخ من التحمد لا تفعلوا وانظروا ما يكون من أميركم فقالوا لا نرضى
 ليكفرن عنا نصر أو نبدأن بكم وأتاهم عبد العزيز بن عباد بن جابر بن همام بن
 حنظلة اليحمدي في مائة ومحمد بن المثني وداود بن شعيب فباتوا بنوش مع
 عبد الملك بن حرمة ومن كان معه فلما أصبحوا أتوا حوزان وأحرقوا منزل عزة
 أم ولد نصر وأقاموا ثلاثة أيام وقالوا لا نرضى فعند ذلك صيروا عليه الأمان
 فجعلوا معه يزيد النحوى وغيره فجاء رجل من أهل نسف فقال لجعفر غلام
 الكرمانى ما تجعلون لي إن أخرجته قالوا لك ما سألت فأتى مجرى الماء من القهندز
 فوسعه وأتى ولد الكرمانى وقال لهم اكتبوا إلى أبيكم يستعد الليلة للخروج فكتبوا

اليه وأدخلوا الكتاب في الطعام فدعا الكرمانى يزيد النحوى وحصين بن حكيم فتعشيامعه وخرجا ودخل الكرمانى السرب فأخذوا بعضده فانطوت على بطنه حية فلم تضره فقال بعض الأزد كانت الحية أزدية فلم تضره قال فانتهى إلى موضع ضيق فسحبوه فسحج منكبه وجنبه فلما خرج ركب بغلته دوامة ويقال بل ركب فرسه البشير والقيد في رجله فأثرا به قرية تسمى غلطان وفيها عبد الملك بن حرمة فأتلق عنه قال على وقال أبو الوليد زهير بن هنيذ العدوى كان مع الكرمانى غلامه بسام فرأى خرقا على القهندز فلم يزل يوسعه حتى أمكنه الخروج منه قال فأرسل الكرمانى إلى محمد بن المثنى وعبد الملك بن حرمة إلى خارج الليلة فاجتمعوا وخرج فأتاهم فرقد مولاه فأخبرهم فلقوه في قرية حرب بن عامر وعليه ما حفة مقلدا سيفاً ومعه عبد الجبار بن شعيب وابنا الكرمانى على وعثمان وجعفر غلامه فأمر عمرو بن بكر أن يأتى غلطان وأندغ واشترج معنا وأمرهم أن يوافقوه على باب الريان بن سنان اليمدى بنوش في المرج وكان مصلاهم في العيد فأتاهم فأخبرهم فخرج القوم من قراهم في السلاح فصلى بهم الغداة وهم زهاء ألف فما ترجلت الشمس حتى صاروا ثلاثة آلاف وأتاهم أهل السقادم فسار على مرج نيران حتى أتى حوزان فقال خلف بن خليفة

أَصْحِرُوا لِلْمَرْجِ أَجْلَى لِلْعَمَى فَلَقَدْ أَصْحَرَ أَصْحَابُ السَّرْبِ
 إِنَّ مَرْجَ الْأَزْدِ مَرْجٌ وَاسِعٌ تَسْتَوِي الْأَقْدَامُ فِيهِ وَالرُّكْبُ

وقيل إن الأزد بايقت لعبد الملك بن حرمة على كتاب الله عز وجل ليلة خرج الكرمانى فلما اجتمعوا في مرج نوش أقيمت الصلاة فاختلف عبد الملك والكرمانى ساعة ثم قدمه عبد الملك وصير الأمر له فصلى الكرمانى ولما هرب الكرمانى أصبح نصر معسكراً بباب مرو الروذ بناحية ابردانه فأقام يوماً أو يومين وقيل لما هرب الكرمانى استخلف نصر عصمة بن عبد الله الاسدى وخرج إلى القناطر الخمس بباب مرو الروذ وخطب الناس فقال من الكرمانى فقال ولد بكرمان وكان كرمانياً ثم سقط إلى هراة فكان هروياً والساقط بين الفراشين لأصل

ثابت ولا فرع ثابت ثم ذكر الأزد فقال إن يستوثقوا فأذل قوم وإن يأبوا فهم كما قال الأخطل: ضَفَادِعُ فِي ظِلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ
ثم ندم على ما فرط منه فقال اذكروا الله فإن ذكر الله شفاء ذكر الله خير لا شرف فيه يذهب الذنب وذكر الله براءة من النفاق ثم اجتمع إلى نصر بشر كثير فوجه سلم بن أحوز إلى الكرماني في المجففة في بشر كثير فسفر الناس بين نصر والكرماني وسألوا نصر أن يؤمنه ولا يحبس به وضمن عنه قومه ألا يخالفه فوضع يده في يد نصر فأمره بلزوم بيته ثم بلغه عن نصر شيء فخرج إلى قرية له وخرج نصر فعسكر بالقناطر فأتاه القاسم بن نجيب فكلمه فيه فأمنه وقال له إن شئت خرج لك عن خراسان وإن شئت أقام في داره وكان رأى نصر إخراجهم فقال له سلم إن أخرجته توهمت باسمه وذكره وقال الناس أخرجته إنه هابه فقال نصر إن الذي أتخوفه منه إذا خرج أيسر مما أتخوفه منه وهو مقيم والرجل إذا نفي عن بلده صغر أمره فأبوا عليه فكف عنه وأعطى من كان معه عشرة عشرة وأتى الكرماني نصرًا فدخل سرادقه فأمنه ولحق عبد العزيز بن عبد ربه بالحارث ابن سريج وأتى نصرًا عزل منصور بن جمهور وولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في شوال سنة ١٢٦ فخطب الناس وذكر ابن جمهور وقال قد علمت أنه لم يكن من عمال العراق وقد عزله الله واستعمل الطيب بن الطيب فغضب الكرماني لابن جمهور فعاد في جمع الرجال واتخاذ السلاح وكان يحضر الجمعة في ألف وخمسمائة وأكثر وأقل فيصلى خارجا من المقصورة ثم يدخل على نصر فيسلم ولا يجلس ثم ترك إتيان نصر وأظهر الخلاف فأرسل إليه نصر مع سلم بن أحوز إني والله ما أردت بك في حبسك سوءاً ولكن خفت أن تفسد أمر الناس فأنتى فقال الكرماني لولا أنك في منزلي لقتلتك ولولا ما أعرف من حمقك أحسنت أدبك فأرجع إلى ابن الأقطع فأبلغه ما شئت من خير وشر فرجع إلى نصر فأخبره فقال عد إليه فقال لا والله وما بي هية له ولكني أكره أن يسمعي فيك ما أكره فبعث إليه عصمة بن عبد الله الأسدي فقال يا أبا علي إني أخاف عليك عاقبة ما ابتدأت به

في دينك ودينك ونحن نعرض عليك خصالا فانطلق إلى أميرك يعرضها عليك
وما تريد بذلك إلا الإندار إليك فقال الكرمانى إنى أعلم أن نصراً لم يقل هذا لك
ولكنك أردت أن تبلغه فتحظى والله لا أكلمك كلمة بعد انقضاء كلامى حتى ترجع
إلى منزلك فيرسل من أحب غيرك فرجع عصمة وقال ما رأيت علجا أعدى لظوره
من الكرمانى وما أعجب منه ولكن أعجب من يحيى بن حنين لعنهم الله هم أشد
تعظيماً له من أصحابه قال سلم بن أحوز إنى أخاف فساد هذا الثغر والناس فأرسل
إليه قديداً وقال نصر لقد يدب منيع انطلق إليه فأتاه فقال له يا أبا على لقد لجت
وأخاف أن يتفاقم الأمر فهلك جميعاً وتشمت بنا هذه الأعاجم قال يا قديد إنى
لا أتهمك وقد جاء مالاً أثق بنصر معه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
البكرى أخوك ولا تثق به قال أما إذ وقع هذا في نفسك فأعطه رهناً قال من قال
أعطه علياً وثمان قال فمن يعطينى ولا خير فيه قال يا أبا على أنشدك الله أن يكون
خراب هذه البلدة على يدك ورجع إلى نصر فقال لعقيل بن معقل الليثى ما أخوفنى
أن يقع بهذا الثغر بلاء فكلم ابن عمك فقال عقيل لنصر أيها الأمير أنشدك الله
أن تشأم عشيرتك إن مروان بالشأم تقاتله الخوارج والناس والأزد في فتنة
أخفاء سفهاء وهم جيرانك قال فما أصنع، إن علقت أمراً يصلح الناس فدونك
فقد عزم أنه لا يثق بى قال فأتى عقيل الكرمانى فقال أبا على قد سنت سنة تطلب
بعدك من الأمراء انى أرى أمراً أخاف أن يذهب فيه العقول قال الكرمانى
إن نصراً يريد أن آتبه ولا آمنه ونريد أن يعتزل ونعتزل ونختار رجلاً من بكر
ابن وائل نرضاه جميعاً فيلى أمرنا جميعاً حتى يأتى أمر من الخليفة وهو يابى هذا
قال يا أبا على إنى أخاف أن يهلك أهل هذا الثغر فأت أميرك وقل ما شئت تجاب
إليه ولا تطمع سفهاء قومك فيما دخلوا فيه فقال الكرمانى إنى لا أتهمك في
نصيحة ولا عقل ولكنى لا أثق بنصر فليحمل من مال خراسان ما شاء ويشخص
قال فهل لك في أمر يجمع الأمر بينكما تزوج إليه ويتزوج إليك قال لا آمنه على
حال قال ما بعد هذا خير وانى خائف أن تهلك غداً بمضيعة قال لا حول ولا قوة

إلا بالله فقال له عقيل أعود إليك قال لا ولكن أبلغه عنى وقل له لا آمن أن يحملك قوم على غير ما تريد فتركب منا ما لا بقية بعده فان شئت خرجت عنك لا من هبة لك ولكن أكره أن أشأم أهل هذه البلدة وأسفك الدماء فيها فتهياً ليخرج إلى جرجان (وفي هذه السنة) آمن يزيد بن الوليد الحارث بن سريج وكتب له بذلك فكتب إلى عبد الله بن عمر يأمره برد ما كان أخذ منه من ماله وولده ذكر الخبر عن سبب ذلك

ذكر أن الفتنة لما وقعت بخراسان بين نصر والكرماني خاف نصر قدوم الحارث بن سريج عليه بأصحابه والترك فيكون أمره أشد عليه من الكرماني وغيره وطمع أن يناصحه فأرسل إليه مقاتل بن حيان النبطي وثلعة بن صفوان البناني وأنس بن بجالة الأعرجي وهذبة الشعراوى وربيعة القرشي ليردوه عن بلاد الترك فذكر علي بن محمد عن شيوخه أن خالد بن زياد البدي من أهل الترمذ وخالد بن عمرو ومولى بني عامر خرجا إلى يزيد بن الوليد يطلبان الأمان للحارث ابن سريج فقدا الكوفة فلقيا سعيد خدينة فقال لخالد بن زياد أتدرى لم سموني خدينة قال لا قال أرادوني علي قتل أهل اليمن فأبيت وسألا أيا حنيفة أن يكتب لهما إلى الأجلح وكان من خاصة يزيد بن الوليد فكتب لهما إليه فأدخلهما عليه فقال له خالد بن زياد يا أمير المؤمنين قتلت ابن عمك لإقامة كتاب الله وعمالك يغمسون ويظلمون قال لا أجد أعوانا غيرهم وإني لأبغضهم قال يا أمير المؤمنين ولأهل البيوتات وضم إلى كل عامل رجالا من أهل الخير والفقه يأخذونهم بما في عهدك قال أفعل وسألاه أمانا للحارث بن سريج فكتب له أما بعد فإننا غضبنا لله إذ عطلت حدوده وبلغ بعباده كل مبلغ وسفكت الدماء بغير حلها وأخذت الأموال بغير حقها فأردنا أن نعمل في هذه الأمة بكتاب الله جل وعز وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولا قوة إلا بالله فقد أروضنا لك عن ذات أنفسنا فأقبل آمنة أنت ومن معك فإنكم إخواننا وأعواننا وقد كتبت إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز برد ما كان اصطفى من أموالكم وذراريكم فقدا الكوفة

فدخل علي بن عمر فقال خالد بن زياد أصلى الله الأمير ألا تأمر عمالك بسيرة
أبيك قال أو ليس سيرة عمر ظاهرة معروفة قال فما ينفع الناس منها ولا يعمل
بها ثم قدما مرو فدفعنا كتاب يزيد إلى نصر فرد ما كان أخذ لهم مما قدر عليه ثم
نقذا إلى الحارث فلقيا مقاتل بن حيان وأصحابه الذين وجههم نصر إلى الحارث
وكان ابن عمر كتب إلى نصر إنك آمنت الحارث بغير إذني ولا إذن الخليفة فأسقط
في يديه فبعث يزيد بن الأحمر وأمره أن يفتك بالحارث إذا صار معه في السفينة
فلما لقيا مقاتلا بأمل قطع إليه مقاتل بنفسه فكف عنه يزيد قال فأقبل الحارث
يريد مرو وكان مقامه بأرض الشرك اثنتي عشرة سنة وقدم معه القاسم الشيباني
ومُضَرَّس بن عمران قاضيه وعبد الله بن سنان فقدم سمرقند وعليها منصور
ابن عمر فلم يتلقه وقال الحسن بلانته وكتب إلى نصر يستأذنه في الحارث أن
يثب به فأيهما قتل صاحبه فالجنة أو إلى النار وكتب إليه لئن قدم الحارث
على الأمير وقد ضربت بني أمية في سلطانهم وهو والغ في دم بعد دم قد طوى
كشعاً عن الدنيا بعد أن كان في سلطانهم أقرام لضيف وأشدهم بأساً وأنفذهم
غارة في الترك ليفرقن عليك بنى تميم وكان سردرُ حُداه محبوساً عند منصور
ابن عمر لأنه قتل ياسان فاستعدى ابنه جنده منصوراً فخبسه فكلّم الحارث
منصوراً فيه فغلى سبيله فلزم الحارث ووفى له (وفي هذه السنة) فيما زعم
بعضهم وجه إبراهيم بن محمد الإمام أبا هاشم بكير بن ماهان إلى خراسان وبعث
معه بالسيرة والوصية فقدم مرو وجمع النقباء ومن بها من الدعاة فنعى لهم الإمام
محمد بن علي ودعاهم إلى إبراهيم ودفعت إليهم كتاب إبراهيم فقبلوه ودفعوا إليه
ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة فقدم بها بكير على إبراهيم بن محمد (وفي هذه
السنة) أخذ يزيد بن الوليد لأخيه إبراهيم بن الوليد على الناس البيعة وجعله
ولي عهد ولعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بعد إبراهيم بن الوليد وكان
السبب في ذلك فيما حدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد أن يزيد بن الوليد
مرض في ذي الحجة سنة ١٢٦ فقبل له بايع لأخيك إبراهيم ولعبد العزيز

ابن الحجاج من بعده قال فلم تزل القدرية يحثونه على البيعة ويقولون له إنه لا يحل لك أن تهمل أمر الامة فبايع لأخيك حتى بايع لإبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج من بعده (وفي هذه السنة) عزل يزيد بن الوليد يوسف بن محمد بن يوسف عن المدينة وولاهها عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال محمد بن عمر يقال ان يزيد بن الوليد لم يوله ولكنه اقتعل كتاباً بولايته المدينة فعزله يزيد عنها وولاهها عبد العزيز بن عمر فقدمها لليلتين بقيتا من ذى القعدة (وفي هذه السنة) أظهر مروان بن محمد الخلف على يزيد بن الوليد وانصرف من أرمينية إلى الجزيرة مظهراً انه طالب بدم الوليد بن يزيد فلما صار بحران بايع يزيد

ذكر الخبر عما كان منه في ذلك وعن السبب الذي حمله على الخلف ثم البيعة
 * حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا عبد الوهاب بن ابراهيم بن خالد بن يزيد ابن هرير قال حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد بن صالح مولى عثمان بن عفان وسألته عما شهد مما حدثنا به فقال لم أزل في عسكر مروان بن محمد قال كان عبد الملك ابن مروان بن محمد بن مروان حين انصرف عن غزاته الصائفة مع الغمر بن يزيد بحران فأتاه قتل الوليد وهو بها وعلى الجزيرة عبدة بن رباح الغساني عاملاً للوليد عليها فشنخص منها حيث بلغه قتل الوليد إلى الشام ووثب عبد الملك ابن مروان بن محمد على حران ومدائن الجزيرة فضبطها وولاهها سليمان بن عبدالله بن علاثة وكتب إلى أبيه بأرمينية يعلمه بذلك ويشير عليه بتعجيل السير والقدم قهياً مروان للسير وأظهر أنه يطلب بدم الوليد وكره أن يدع الثغر معطلا حتى يحكم أمره فوجه إلى أهل الباب إسحاق بن مسلم العقيلي وهو رأس قيس وثابت بن نعيم الجذامي من أهل فلسطين وهو رأس اليمن وكان سبب صحة ثابت إياه أن مروان كان يخلصه من حبس هشام بالرصافة وكان مروان يقدم على هشام المرة في السنتين فيرفع إليه أمر الثغر وحاله ومصلحة من به من جنوده وما ينبغي أن يعمل به في عدوه وكان سبب حبس هشام ثابتاً ما قد ذكرنا قبل

من أمره مع حنظلة بن صفوان وإفساده عليه الجند الذين كان هشام وجدهم معه لحرب البربر وأهل إفريقية إذ قتلوا عامل هشام عليهم كلثوم بن عياض القشيري فشكا ذلك من أمره حنظلة إلى هشام في كتاب كتبه إليه فأمر هشام لحنظلة بتوجيهه إليه في الحديد فوجهه حنظلة إليه فحبسه هشام فلم يزل في حبسه حتى قدم مروان ابن محمد على هشام في بعض وفاداته وقد ذكرنا بعض أمر كلثوم بن عياض وأمر إفريقية معه في موضعه فيما مضى من كتابنا هذا فلما قدم مروان على هشام أتاه رؤوس أهل اليمانية ممن كان مع هشام فطلبوا إليه فيه وكان ممن كلبه فيه كعب بن حامد العبسي صاحب شرط هشام وعبد الرحمن بن الضخم وسليمان بن حبيب قاضيه فاستوهبه مروان منه فوهبه له فشدخص إلى أرمينية فولاه وحباه فلما وجه مروان ثابثاً مع إسحاق إلى أهل الباب كتب اليهم معهما كتاباً يعلمهم فيه حال ثغرهم وما لهم من الأجر في لزوم أمرهم ومرا كزهم وما في ثبوتهم فيه من دفع مكروه العدو عن ذراري المسلمين قال وحمل اليهم معهما أعطياتهم وولى عليهم رجلاً من أهل فلسطين يقال له حميد بن عبد الله اللخمي وكان راضياً فيهم وكان وليهم قبل ذلك فحمدوا ولايته فقاما فيهم بأمره وأبلغاهم رسالته وقرأ عليهم كتابه فاجابوا إلى الثبوت في ثغرهم ولزوم مرا كزهم ثم بلغه أن ثابثاً قد كان يدس إلى قوادهم بالانصراف من ثغرهم واللحاق بأجنادهم فلما انصرفوا إليه تهباً للسير وعرض جنده ودس ثابثاً بن نعيم إلى من معه من أهل الشام بالانخزال عن مروان والانضمام إليه ليسير بهم إلى أجنادهم ويتولى أمرهم فانخزلوا عن عسكرهم مع من قر ليلا وعسكروا على حدة وبلغ مروان أمرهم فبات ليلته ومن معه في السلاح يتحارسون حتى أصبح ثم خرج اليهم بمن معه ومن مع ثابث يضعفون على من مع مروان فصافوهم ليقاتلوهم فأمر مروان منادين فنادوا بين الصفين من الميمنة والميسرة والقلب فنادوهم يا أهل الشام مادعاكم إلى الانخزال وما الذي نقيم على فيه من سيرى ألم اليكم ماتحبون وأحسن السيرة فيكم والولاية عليكم ما الذي دعاكم إلى سفك دماكم فأجابوه بأنا كنا نطيعك بطاعة خليفتنا وقد قتل خليفتنا

وبايع أهل الشام يزيد بن الوليد فرضينا بولاية ثابت ورأسناه ليسير بنا على ألويتنا حتى نرد إلى أجنادنا فأمر مناديه فنادى أن قد كذبتكم وليس تريدون الذي قلم وإنما أردتم أن تركبوا رؤوسكم فتغصبوا من مررتكم به من أهل الذمة أموالهم وأطعمتهم وأعلافهم وما بيني وبينكم إلا السيف حتى تنقادوا إلى فأسير بكم حتى أوردكم الفرات ثم أخلى عن كل قائد وجنده فتلحقون بأجنادكم فلما رأوا الجدمنه انقادوا إليه ومالوا له وأمكذوه من ثابت بن نعيم وأولاده وهم أربعة رجال رفاة ونعيم وبكر وعمران قال فأمر بهم فأنزلوا عن خيولهم وسلبوا سلاحهم ووضع في أرجلهم السلاسل ووكل بهم عدة من حرسه يحتفظون بهم وشخص بجماعة من الجند من أهل الشام والجزيرة وضمهم إلى عسكره وضبطهم في مسيره فلم يقدر أحد منهم على أن يشد ولا يظلم أحداً من أهل القرى ولا يرزاه شيئاً إلا بشئ حتى ورد حران ثم أمرهم باللحاق بأجنادهم وحبس ثابتا معه ودعا أهل الجزيرة إلى الفرض ففرض لنيف وعشرين ألفاً من أهل الجلد منهم وتها للسير إلى يزيد وكاتبه يزيد على أن يبايعه ويوليه ما كان عبد الملك بن مروان ولى أباه محمد ابن مروان من الجزيرة وأرمينية والموصل وأذربيجان فبايع له مروان ووجه إليه محمد بن عبدالله بن علاثة ونفرا من وجوه الجزيرة (وفي هذه السنة) مات يزيد بن الوليد وكانت وفاته سلخ ذى الحجة من سنة ١٢٦ قال أبو معشر ما حدثني به أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه توفي يزيد بن الوليد في ذى الحجة بعد الأضحى سنة ١٢٦ وكانت خلافته في قول جميع من ذكرنا ستة أشهر وقيل كانت خلافته خمسة أشهر وليتين وقال هشام بن محمد ولى ستة أشهر وأياما وقال علي بن محمد كانت ولايته خمسة أشهر واثني عشر يوماً وقال علي بن محمد مات يزيد بن الوليد لعشر بقين من ذى الحجة سنة ١٢٦ وهو ابن ست وأربعين سنة وكانت ولايته فيما زعم ستة أشهر وليتين وتوفي بدمشق واختلف في مبلغ سنه يوم توفي فقال هشام توفي وهو ابن ثلاثين سنة وقال بعضهم توفي وهو ابن سبع وثلاثين سنة وكان يكنى أبا خالد وأمه أم ولد اسمها شاه آفر يد بنت فيروز بن يزديجر بن

شَهْرِيَارِ بْنِ كَسْرَى وَهُوَ الْقَائِلُ

أَنَا ابْنُ كِسْرَى وَأَبِي مَرْوَانَ وَقَيْصَرُ جَدِّي وَجَدِّي خَاقَانَ

وقيل إنه كان قَدْرِيًّا وكان فيما حدثني أحمد عن علي بن محمد في صفته أسمر طويلًا صغير الرأس بوجهه خال وكان جميلًا من رجل في فمه بعض السعة وليس بالمفرط وقيل له يزيد الناقص لنقصه الناس العشرات التي كان الوليد زادها الناس في قول الواقدي وأما علي بن محمد فإنه قال سبه مروان بن محمد فقال الناقص ابن الوليد فسماه الناس الناقص (وحج) بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ابن مروان في قول الواقدي وقال بعضهم حج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد الله ابن عبد الملك بعثه يزيد بن الوليد وخرج معه عبد العزيز وهو على المدينة ومكة والطائف وكان عامله على العراق في هذه السنة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وعلى قضاء الكوفة ابن أبي ليلى وعلى أحداث البصرة المسور بن عمر بن عباد وعلى قضائها عامر بن عبيدة وعلى خراسان نصر بن سيار الكنانى

خِلافة أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْوَلِيدِ

ثم كان إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان غير أنه لم يتم له أمر ❀ فحدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد قال لم يتم لإبراهيم أمره وكان يسلم عليه جمعة بالخلافة وجمعة بالإمرة وجمعة لا يسلمون عليه لا بالخلافة ولا بالإمرة فكان على ذلك أمره حتى قدم مروان بن محمد فخلعه وقتل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وقال هشام بن محمد استخلف يزيد بن الوليد أبا إسحاق إبراهيم بن الوليد فمكث أربعة أشهر ثم خلع في شهر ربيع الآخر من سنة ١٢٦ ثم لم يزل حيا حتى أصيب في سنة ١٣٢ أمه أم ولد ❀ حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم قال حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد قال كانت ولاية إبراهيم بن الوليد سبعين ليلة

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك مسير مروان بن محمد إلى الشام والحرب التي جرت

بينه وبين سليمان بن هشام بعين الجر

ذكر ذلك والسبب الذي كانت عنه هذه الواقعة

(قال أبو جعفر) وكان السبب ما ذكرت بعضه من أمر مسير مروان

بعد مقتل الوليد بن يزيد إلى الجزيرة من أرمينية وغلبته عليها مظهراً أنه نائر

بالوليد منكر قتله ثم إظهاره البيعة ليزيد بن الوليد بعد ما ولاه عمل أبيه محمد بن

مروان وإظهاره ما أظهر من ذلك وتوجيهه وهو بجران محمد بن عبدالله بن علانة

وجماعة من وجوه أهل الجزيرة رضي الله عنه فحدثني أحمد قال حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم

قال حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد قال لما أتى مروان موت يزيد أرسل إلى ابن

علانة وأصحابه فردهم من منبج وشخص إلى إبراهيم بن الوليد فسار مروان في جند

الجزيرة وخلف ابنه عبد الملك في أربعين ألف من الرابطة بالركة فلما انتهى إلى

قنسرين وبها أخ يزيد بن الوليد يقال له بشر كان ولاه قنسرين فخرج إليه فصافه

فنادى الناس ودعاهم مروان إلى مبايعته فقال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة في القيسية

وأسلموا بشراً وأخا له يقال له مسرور بن الوليد وكان أخا بشر لأمه وأبيه فأخذه

مروان وأخاه مسرور بن الوليد فحبسهما وسار فيمن معه من أهل الجزيرة وأهل

قنسرين متوجهاً إلى أهل حمص وكان أهل حمص امتنعوا حين مات يزيد بن الوليد

أن يبايعوا إبراهيم وعبد العزيز بن الحجاج فوجه إليه إبراهيم عبد العزيز بن الحجاج

وجند أهل دمشق فحاصروهم في مدينتهم وأغذ مروان السير فلما دنا من مدينة

حمص رحل عبد العزيز عنهم وخرجوا إلى مروان فبايعوه وساروا بأجمعهم معه

ووجه إبراهيم بن الوليد الجنود مع سليمان بن هشام فسار بهم حتى نزل عين الجر

وأناه مروان وسليمان في عشرين ومائة ألف فارس مروان في نحو من ثمانين

ألفاً فالتقيا فدعاهم مروان إلى الكف عن قتاله والتخلى عن ابني الوليد الحكم وعثمان وهما في سجن دمشق محبوسان وضمن عنهما ألا يؤاخذاهم بقتلهم أباهما وأن لا يطلبوا أحداً ممن ولي قتله فأبوا عليه وجدوا في قتاله فاقتلوا ما بين ارتفاع النهار إلى العصر واستحرق القتلى بينهم وكثر في الفريقين وكان مروان مجرباً مكيداً فدعا ثلاثة نفر من قواده أحدهم أخ لإسحاق بن مسلم يقال له عيسى فأمرهم بالمسير خلس صفه في خيله وهم ثلاثة آلاف ووجه معهم فعلة بالفؤوس وقدملاً الصفان من أصحابه وأصحاب سليمان بن هشام ما بين الجبلين المحيطين بالمرج وبين العسكرين نهر جرار وأمرهم إذا انتهوا إلى الجبل أن يقطعوا الشجر فيعقدوا جسوراً وليجيزوا إلى عسكر سليمان ويغيروا فيه قال فلم تشعر خيول سليمان وهم مشغولون بالقتال إلا بالخييل والبارقة والتكبير في عسكرهم من خلفهم فلما رأوا ذلك انكسروا وكانت هزيمتهم ووضع أهل حمص السلاح فيهم لخردهم عليهم فقتلوا منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً وكف أهل الجزيرة وأهل قنسرين عن قتلهم فلم يقتلوا منهم أحداً وأتوا مروان من أسراهم بمثل عدة القتلى وأكثر واستيبح عسكرهم فأخذ مروان عليهم البيعة للغلامين الحكم وعثمان وخلي عنهم بعد أن قواهم بدينار دينار وألحقهم بأهاليهم ولم يقتل منهم إلا رجلين يقال لأحدهما يزيد بن العقار وللآخر الوليد بن مصاد الكلباني وكانا فيمن سار إلى الوليد وولي قتله وكان يزيد بن خالد ابن عبد الله القسري معهم فسار حتى هرب فيمن هرب مع سليمان بن هشام إلى دمشق وكان أحدهما يعني الكلبيين على حرس يزيد والآخر على شرطه فإنه ضربهما في موقفه ذلك بالسياط ثم أمر بهما فحبسا فهلكا في حبسه قال ومضى سليمان ومن معه من الفل حتى صبحوا دمشق واجتمع إليه وإلى إبراهيم وعبد العزيز ابن الحجاج رؤوس من معهم وهم يزيد بن خالد القسري وأبو علاقة السكسكي والأصبغ بن ذؤالة الكلبى ونظراؤهم فقال بعضهم لبعض إن بقي الغلامان ابنا الوليد حتى يقدم مروان ويخرجهما من الحبس ويصير الأمر إليهما لم يستبقيا أحداً من قتلة أبيهما والرأى أن نقتلها فولوا ذلك يزيد بن خالد ومعهما في الحبس

أبو محمد السفيناني ويوسف بن عمر فأرسل يزيد مولى الخالد يقال له أبا الأسد في عدة من أصحابه فدخل السجن فشدخ الغلامين بالعمد وأخرج يوسف بن عمر ليقتلوه وضربت عنقه وأرادوا قتل أبي محمد السفيناني فدخل بيتاً من بيوت السجن فأغلقه وألقى خلفه الفرش والوسائد واعتمد على الباب فلم يقدرُوا على فتحه فدعوا بنار ليحرقوه فلم يؤتوا بها حتى قيل قد دخلت خيل مروان المدينة وهرب إبراهيم بن الوليد وتغيّب وأنهب سليمان ما كان في بيت المال وقسمه فيمن معه من الجنود وخرج من المدينة (وفي هذه السنة) دعا إلى نفسه عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالكوفة وحاربها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ابن مروان فهزمه عبد الله بن عمر فلهحق بالجبال فغلب عليها

ذكر الخبر عن سبب خروج عبد الله ودعائه الناس إلى نفسه

وكان إظهار عبد الله بن معاوية الخلفاء على عبد الله بن عمر ونصبه الحرب له فيما ذكر هشام عن أبي مخنف في المحرم سنة ١٢٧ وكان سبب خروجه عليه فيما حدثني أحمد عن علي بن محمد عن عاصم بن حفص التميمي وغيره من أهل العلم أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر قدم الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز يلتمس حملته لا يريد خروجه فتزوج ابنة حاتم بن الشرقى بن عبد المؤمن ابن شيبث بن ربيع فلما وقعت العصبية قال له أهل الكوفة ادع إلى نفسك فبنو هاشم أولى بالأمر من بني مروان فدعا سراً بالكوفة وابن عمر بالحيرة وبايعه ابن ضمرة الخزاعي فدس إليه ابن عمر فأرضاه فأرسل إليه إذا نحن التقينا بالناس انهزمت بهم وبلغ ابن معاوية فلما التقى الناس قال ابن معاوية إن ابن ضمرة قد غدر ووعد ابن عمر أن ينهزم الناس فلا يهولنكم انهزامه فإنه عن غدر يفعل فلما التقوا انهزم ابن ضمرة وانهزم الناس فلم يبق معه أحد فقال

تَفَرَّقَتِ الظُّبَاءُ عَلَى خِدَائِشٍ فَمَا يَدْرِي خِدَاشٌ مَا يَصِيدُ

فرجع ابن معاوية إلى الكوفة وكانوا التقوا ما بين الحيرة والكوفة ثم خرج إلى المدائن فبايعوه وأتاه قوم من أهل الكوفة فخرج فغلب على حلوان والجبال

قال ويقال قدم عبد الله بن معاوية الكوفة وجمع جمعاً فلم يعلم عبد الله بن عمر حتى خرج في الجبابة مجعاً على الحرب فالتقوا وخالد بن قطن الحارثي على أهل اليمن فشد عليه الأصبع بن ذؤالة الكلبي في أهل الشام فانهزم خالد وأهل الكوفة وأمسكت نزار عن نزار ورجعوا وأقبل خمسون رجلاً من الزيدية إلى دار ابن محرز القرشي يريدون القتال فقتلوا لم يقتل من أهل الكوفة غيرهم قال وخرج ابن معاوية من الكوفة مع عبد الله بن عباس التيمي إلى المدائن ثم خرج منها فغلب على الماهين وهمدان وقومس واصبهان والرّي وخرج إليه عبيد أهل الكوفة وقال

لَا تَرْكَبَنَّ الصَّنِيعَ الَّذِي تَلُومُ أَخَاكَ عَلَى مَثَلِهِ

وَلَا يُعْجِبَنَّكَ قَوْلُ امْرِئٍ يَخَالَفُ مَا قَالَ فِي فِعْلِهِ

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فإنه زعم أن سبب ذلك أن عبد الله والحسن ويزيد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر قدموا على عبد الله بن عمر فنزلوا في النخع في دار مولى لهم يقال له الوليد بن سعيد فأكرمهم ابن عمر وأجازهم وأجرى عليهم كل يوم ثلاثمائة درهم فكانوا كذلك حتى هلك يزيد بن الوليد وبايع الناس أخاه إبراهيم بن الوليد ومن بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فقدمت بيعتهما على عبد الله بن عمر بالكوفة فبايع الناس لها وزادهم في العطاء مائة مائة وكتب بيعتهما إلى الآفاق فجاءته البيعة فبينما هو كذلك إذ أتاه الخبر بأن مروان بن محمد قد سار في أهل الجزيرة إلى إبراهيم بن الوليد وأنه امتنع من البيعة له فاحتبس عبد الله بن عمر عبد الله بن معاوية عنده وزاده فيما كان يجرى عليه وأعدده لمروان بن محمد إذ هو ظفر بإبراهيم بن الوليد ليبايع له ويقبض به مروان فهاج الناس في أمرهم وقرب مروان من الشام وخرج إليه إبراهيم فقاتله فهزمه مروان وظفر به وخرج هارباً وثبت عبد العزيز بن الحجاج يقاتل حتى قتل وأقبل اسماعيل بن عبد الله أخو خالد بن عبد الله القسري هارباً حتى أتى الكوفة وكان في عسكر إبراهيم فافتعل كتاباً على لسان إبراهيم بولاية الكوفة فأرسل إلى اليمانية فأخبرهم سرّاً أن إبراهيم بن الوليد ولاه العراق فقبلوا ذلك منه

وبلغ الخبر عبد الله بن عمر فباكره صلاة الغداة فقاتله من ساعته ومعه عمر بن الغضبان فلما رأى اسماعيل ذلك ولا عهد معه وصاحبه الذي افتعل العهد على لسانه هارب منهزم خاف أن يظهر أمره فيفتضح ويقتل فقال لأصحابه إنى كاره لسفك الدماء ولم أحسن أن يبلغ الأمر ما بلغ فكفوا أيديكم فتفرق القوم عنه فقال لأهل بيته إن إبراهيم قد هرب ودخل مروك دمشق فحكي ذلك عن أهل بيته فانتشر الخبر وأشرأت الفتنة ووقعت العصبية بين الناس وكان سبب ذلك أن عبد الله بن عمر كان أعطى مضر وربيعة عطايا عظاما ولم يعط جعفر بن نافع بن القعقاع بن شور الدهلي وثمان بن الخيبري أخا بني تميم اللات بن ثعلبة شيئا ولم يسوا بنظرهما فدخلا عليه فكلاماه كلاما غليظا فغضب ابن عمر وأمر بهما فقام إليهما عبد الملك الطائي وكان على شرطه يقوم على رأسه فدفعهما فدفعاه وخرجا مغضبين وكان ثمامة بن حوشب بن رويم الشيباني حاضرا فخرج مغاضبا لصاحبيه فخرجوا جميعا إلى الكوفة وكان هذا وابن عمر بالحيرة فلما دخلوا الكوفة نادوا يا آل ربيعة فثارت إليهم ربيعة فاجتمعوا وتتمروا وبلغ الخبر ابن عمر فأرسل إليهم أخاه عاصما فأتاهم وهم بدير هند قد اجتمعوا وحشدوا فألقى نفسه بينهم وقال هذه يدي لكم فاحكموا فاستحيوا وعظموا عاصما تشكروا له وأقبل على صاحبهم فسكتا وكفا فلما أمسى ابن عمر أرسل من تحت ليلته إلى عمر بن الغضبان بمائة ألف فقسمها في قومه بنى همام بن مرة بن ذهل بن شيبان وأرسل إلى ثمامة بن حوشب بن رويم بمائة ألف فقسمها في قومه وأرسل إلى جعفر بن نافع بن القعقاع بعشرة آلاف وإلى عثمان بن الخيبري بعشرة آلاف (قال أبو جعفر) فلما رأت الشيعة ضعفه اغتمزوا فيه واجترؤا عليه وطمعوا فيه ودعوا إلى عبد الله بن معاوية بن جعفر وكان الذي رلى ذلك هلال بن أبي الورد مولى بني عجل فثاروا في غوغاء الناس حتى أتوا المسجد فاجتمعوا فيه وهلال القائم بالأمر فبايعه الناس من الشيعة لعبد الله بن معاوية ثم مضوا من فورهم إلى عبد الله فأخرجوه من دار الوليد بن سعيد حتى أدخلوه القصر وحالوا بين عاصم

ابن عمر وبين القصر فلاحق بأخيه عبد الله بالحيرة وجاء ابن معاوية الكوفيون
فبايعوه فيهم عمر بن الغضبان بن القبعثري ومنصور بن جمهور واسماعيل بن
عبد الله القسري ومن كان من أهل الشام بالكوفة له أهل وأصل فأقام بالكوفة
أياماً يبايعه الناس وأتته البيعة من المدائن وفم النيل واجتمع إليه الناس فخرج
يريد عبد الله بن عمر بالحيرة وبرز له عبد الله بن عمر فيمن كان معه من أهل
الشام فخرج رجل من أهل الشام يسأله البراز فبرز له القاسم بن عبد الغفار
فقال له الشامي لقد دعوتُ حين دعوت وما أظن أن يخرج إلى رجل من
بكر بن وائل والله ما أريد قتالك ولكن أحببتُ أن ألقى إليك ما انتهى إلينا
أخبرك أنه ليس معكم رجل من أهل اليمن لا منصور ولا اسماعيل ولا غيرها
إلا قد كاتب عبد الله بن عمر وجاءته كتب مضر وما أرى لكم أيها الحبي من ربيعة
كتاباً ولا رسولا وليسوا مواقعيكم يومكم حتى تصبحوا فإياكم فإني استطعتم أن لا
تكون بكم الحزة فافعلوا فإني رجل من قيس وسنكون غدا بإزائكم فان أردتم
الكتاب إلى صاحبنا أبلغته وان أردتم الوفاء لمن خرجتم معه فقد أبلغتكم حال
الناس فدعا القاسم رجالا من قومه فأعلمهم ما قال له الرجل وإن ميمنة ابن عمر
ربيعة ومضر ستقف بإزاء ميسرته وفيها ربيعة فقال عبد الله بن معاوية إن هذه
علامة ستظهر لنا إن أصبحنا فان أحب عمر بن الغضبان فليلقني الليلة وإن منعه
شغل ما هو فيه فهو غدر وقل له إني لأظن القيسي قد كذب فأتى الرسول عمر
بذلك فردّه إليه بكتاب يعلمه أن رسول هذا بمنزلي عندي ويأمره أن يتوثق من
منصور وإسماعيل وإنما أراد أن يعلمهما بذلك قال فإني ابن معاوية أن يفعل
فأصبح الناس غادين على القتال وقد جعل اليمن في الميمنة ومضر وربيعة في الميسرة
ونادى مناد من أتى برأس فله كذا وكذا أو بأسير فله كذا وكذا والمسال عند
عمر بن الغضبان والتقى الناس واقتلوا وحمل عمر بن الغضبان على ميمنة ابن عمر
فانكشفوا ومضى إسماعيل ومنصور من فورهما إلى الحيرة وزحمت غوغاء الناس
لأهل اليمن من أهل الكوفة فقتلوا فيهم أكثر من ثلاثين رجلا وقتل الهاشمي العباس

ابن عبد الله زوج ابنة الملاء ذكر عمر أن محمد بن يحيى حدثه عن أبيه عن عائكة بنت الملاء تزوجت أزواجا منهم العباس بن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل قتل مع عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في العصية بالعراق وقتل مبكر ابن الحواري بن زياد في غيرهم ثم انكشفوا وفيهم عبد الله بن معاوية حتى دخل نصر الكوفة وبقيت الميسرة من مضر وربيعه ومن يازاتهم من أهل الشام وحمل أهل القلب من أهل الشام على الزيدية فانكشفوا حتى دخلوا الكوفة وبقيت الميسرة وهم نحو من خمسمائة رجل وأقبل عامر بن ضبارة ونباتة بن حنظلة بن قبيصة وعتبة بن عبد الرحمن الثعلبي والنضر بن سعيد بن عمرو الحرشي حتى وقفوا على ربيعة فقالوا لعمر بن الغضبان أما نحن يا معشر ربيعة فما كنا نأمن عليكم ما صنع الناس بأهل اليمن وتتخوف عليكم مثلها فانصرفوا فقال عمر ما كنت يبارح أبداً حتى أموت فقالوا إن هذا ليس بمن عنك ولا عن أصحابك شيئاً فأخذوا بعنان دابته فأدخلوه الكوفة قال عمر حدثني علي بن محمد عن سليمان بن عبد الله النوفلي قال حدثني أبي قال حدثنا خراش بن المغيرة بن عطية مولى لبني ليث عن أبيه قال كنت كاتب عبد الله بن عمر فوالله إني لعنده يوماً وهو بالحيرة إذ أتاه آتٍ فقال هذا عبد الله بن معاوية قد أقبل في الخلق فأطرق ملياً وجاءه رئيس خبازيه فقام بين يديه كأنه يؤذنه بادراك طعامه فأوما إليه عبد الله أن هاته فجاء بالطعام وقد شخصت قلوبنا ونحن نتوقع أن يهجم علينا ابن معاوية ونحن معه قال فجعلت أتفقده هل أراه تغير في شيء من أمره من مطعم أو مشرب أو منظر أو أمر أو نهى فلا والله ما أنكرت من هيئته قليلاً ولا كثيراً وكان طعامه إذا أتى به وُضع بين كل اثنين منا صحيفة قال فوضعت بيني وبين فلان صحيفة وبين فلان و فلان صحيفة أخرى حتى عدت من كان على خوانه فلما فرغ من غدائه ووضوته أمر بالمال فأخرج حتى أخرجت آنية من ذهب وفضة وكسي ففرق أكثر ذلك في قواده ثم دعا مولى له أو مملوكاً كان يتبرك به ويتفاءل باسمه إما يدعى ميمونا أو فتحا أو اسماً من الأسماء المتبرك بها فقال له خذ لواءك وامض إلى تل كذا وكذا

فاركزه وادع أصحابك وأقم حتى آتيتك ففعل وخرج عبد الله وخرجنا معه حتى صار إلى التل فاذا الأرض بيضاء من أصحاب ابن معاوية فأمر عبد الله مناديا فنادى من جاء برأس فله خمسمائة فوالله ما كان بأسرع من أن أتى برأس فوضع بين يديه فأمر له بخمسمائة فدفعت إلى الذي جاء به فلما رأى أصحابه وفاءه لصاحب الرأس نادوا بالقوم فوالله ما كان إلا هنيهة حتى نظرت إلى نحو من خمسمائة رأس قد ألقيت بين يديه وانكشف ابن معاوية ومن معه منهزمين فكان أول من دخل الكوفة من أصحابه منهزما أبو البلاد مولى بني عبس وابنه سليمان بين يديه وكان أبو البلاد متشيعا فجعل أهل الكوفة ينادونهم كل يوم كأنهم يعيرونهم بانهمزامة فجعل يصيح بابنه سليمان امض ودع النواضح ينفقن قال ومر عبد الله بن معاوية فطوى الكوفة ولم يعرج بها حتى أتى الجبل وأما أبو عبيدة فإنه ذكر أن عبد الله بن معاوية وإخوته دخلوا القصر فلما أمسوا قالوا لعمر بن الغضبان وأصحابه يامعشر ربيعة قدرأيتم ما صنع الناس بنا وقد أعلقنا دماءنا بكم في أعناقكم فإن كنتم مقاتلين معنا قاتلنا معكم وإن كنتم ترون الناس خاذلينا وإياكم نخذوا لنا ولكم أمانا فما أخذتم لأنفسكم فقد رضينا لأنفسنا فقال لهم عمر بن الغضبان ما نحن بتارككم من إحدى خلتين إما أن نقاتل معكم وإما أن نأخذكم أمانا كما نأخذ لأنفسنا فطيبوا أنفسا فأقاموا في القصر والزيدية على أفواه السكك يغدون عليهم أهل الشام ويروحون يقاتلونهم أيما ثم إن ربيعة أخذت لأنفسها وللزيدية ولعبد الله بن معاوية أمانا لا يمنعونهم ويذهبوا حيث شاءوا وأرسل عبد الله بن عمر إلى عمر بن الغضبان يأمره بنزول القصر وإخراج عبد الله بن معاوية فأرسل إليه ابن الغضبان فرحله ومن معه من شيعته ومن تبعه من أهل المدائن وأهل السواد وأهل الكوفة فسار بهم رسل عمر حتى أخرجوهم من الجسر فنزل عمر من القصر (وفي هذه السنة) وافي الحارث بن سريج مرو خارجا إليها من بلاد الترك بالأمان الذي كتب له يزيد بن الوليد فصار إلى نصر بن سيار ثم خالفه وأظهر الخلاف له وبأيعه على ذلك جمع كبير

ذكر الخبر عن أمره وأمر نصر بعد قدومه عليه

ذكر علي بن محمد عن شيوخه أن الحارث سار إلى مرو ومخرجه من بلاد الترك فقدمها يوم الأحد لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ١٢٧ فلتقاه سلم بن أحوز والناس بكشماهن فقال محمد بن الفضيل بن عطية العبسي الحمد لله الذي أقر أعيننا بقدومك وردك إلى فته الإسلام وإلى الجماعة قال يابني أما علمت أن الكثير إذا كانوا على معصية الله كانوا قليلا وأن القليل إذا كانوا على طاعة الله كانوا كثيرا وماقرت عيني منذ خرجت إلى يومى هذا وماقرة عيني إلا أن يطاع الله فلما دخل مرو قال اللهم إني لم أنو قط في شيء مما بيني وبينهم إلا الوفاء فإن أرادوا الغدر فانصرني عليهم وتلقاه نصر فأنزله قصر بخار اخذاه وأجرى عليه نزلا خمسين درهما في كل يوم وكان يقتصر على لون واحد وأطلق نصر من كان عنده من أهله أطلق محمد بن الحارث والألوف بنت الحارث وأم بكر فلما أتاه ابنه محمد قال اللهم اجعله باراً تقياً قال وقدم الوضاح بن حبيب بن بديل على نصر بن سيار من عند عبد الله ابن عمر وقد أصابه برد شديد فكساه أثرا بابا وأمر له بقري وجاريتين ثم أتى الحارث ابن سريج وعنده جماعة من أصحابه قيام على رأسه فقال له إنا بالعراق نشهر عظم عمودك وثقله وإني أحب أن أراه فقال ما هو إلا كبعض ماترى مع هؤلاء وأشار إلى أصحابه ولكنى إذا ضربت به ضربى قال وكان فى عموده بالشامى ثمانية عشر رطلا قال ودخل الحارث بن سريج على نصر وعليه الجوشن الذى أصابه من خاقان وكان خيره بين مائة ألف دينار دنبكانية وبين الجوشن فاختر الجوشن فنظرت اليه المرزبانة بنت قديد امرأة نصر بن سيار فأرسلت إليه بجرز لها سمور مع جاريتة لها فقالت أقرنى ابن عمى السلام وقولى له اليوم بارد فاستدنى بهذا الجرز السمور فالحمد لله الذى أقدمك صالحا فقال للجاريتة أقرنى بنت عمى السلام وقولى لها أعاريتة أم هدية فقالت بل هدية فباعه بأربعة آلاف دينار وقسمها فى أصحابه وبعث اليه نصر بفرش كثيرة وفرس فباع ذلك كله وقسمه فى أصحابه بالسوية وكان يجلس على بردعة وثنى له وسادة غليظة وعرض نصر على الحارث أن يوليه ويعطيه

مائة ألف دينار فلم يقبل فأرسل إلى نصراني لست من هذه الدنيا ولا من هذه اللذات
ولا من تزويج عقائل العرب في شيء وإنما أسأل كتاب الله عز وجل والعمل
بالسنة واستعمال أهل الخير والفضل فإن فعلت ساعدتك على عدوك وأرسل
الحارث إلى الكرماني إن أعطاني نصر العمل بكتاب الله وما سألته من استعمال
أهل الخير والفضل عضدته وقلت بأمر الله وإن لم يفعل استعنت بالله عليه
وأعتك إن ضمننت لي ما أريد من القيام بالعدل والسنة وكان كلما دخل عليه
بنو تميم دعاهم إلى نفسه فبايعه محمد بن حمران ومحمد بن حرب بن جرفاس المنقریان
والخليل بن غزوان العدوي وعبد الله بن مجاعة وهبيرة بن شراحيل السعديان
وعبد العزيز بن عبد ربه الليثي وبشر بن جرموز الضبي ونهار بن عبد الله بن الحنات
المجاشعي وعبد الله النباتي وقال الحارث لنصر خرجت من هذه المدينة منذ ثلاث
عشرة سنة إنكارا للجور وأنت تريدني عليه فانضم إلى الحارث ثلاثة آلاف
(وفي هذه السنة) بويج بدمشق لمروان بن محمد بالخلافة

ذكر الخبر عن سبب البيعة له

❦ حدثني أحمد قال حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم قال حدثنا أبو هاشم مخلد
ابن محمد مولى عثمان بن عفان قال لما قيل قد دخلت خيل مروان دمشق هرب
إبراهيم بن الوليد وتغيب فأنهب سليمان ما كان في بيت المال وقسمه فيمن معه
من الجند وخرج من المدينة وثار من فيها من موالى الوليد بن يزيد إلى دار
عبد العزيز بن الحجاج فقتلوه ونبشوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الجابية
ودخل مروان دمشق فنزل عالية وأتى بالغلامين مقتولين ويوسف بن عمر
فأمر بهم فدفنوا وأتى بأبي محمد السفيناني محمولا في كبوله فسلم عليه بالخلافة ومروان
يومئذ يسلم عليه بالإمرة فقال له مه فقال إنهما جعلاهما لك بعدهما وأنشده شعرا
قاله الحكم في السجن قال وكانا قد بلغا وولد لأحدهما وهو الحكم والآخر قد احتلم
قبل ذلك بسنتين قال فقال الحكم

أَلَا مَنْ مَبْلِغٌ مَرَّوَانَ عَنِّي وَعَمِّي الْعَمْرَ طَالَ بَدَا حَيْنِنَا

بأني قد ظلمتُ وصارَ قومي
أيذهبُ كلُّهمُ يدي ومالي
ومروانُ بأرضِ بني زيارِ
ألم يحزنك قتلُ قتي قريشِ
ألا فاقرَ السَّلامَ على قريشِ
وسادَ الناقصِ القَدريِّ فينا
فلو شهدَ الفوارِسُ من سليمِ
ولو شهدتُ ليوثُ بني تميمِ
أأنكثَ بيعتي من أجلِ أمي
فليتَ خولتي من غيرِ كليبِ
فإن أهلكَ أنا ووليُّ عهدي
على قتلِ الوليدِ متابعينا
فلا غنا أصبتُ ولا سمينَا
كلَّيتِ الغابِ مُفتَرِسَ عرينَا
وشقُّهُم عصى المسلمينا
وقيسِ بالجزيرةِ أجمعينا
وألقي الحربَ بينَ بني أينا
وكعبِ لم أكن لهم رهينا
لما بعنا نراتِ بني أينا
فقد بايعتم قبلي هجينا
وكانت في ولادةِ آخرينا
فروانُ أميرُ المؤمنينَا

ثم قال ابسط يدك أبايعك وسمعه من مع مروان من أهل الشام فكان أول من نهض معاوية بن يزيد بن الحُصين بن نمر ورؤس أهل حمص فبايعوه فأمرهم أن يختاروا لولاية أجنادهم فاختر أهل دمشق زامل بن عمرو الجبراني وأهل حمص عبد الله بن شجرة الكندي وأهل الأردن الوليد بن معاوية بن مروان وأهل فلسطين ثابت بن نعيم الجذامي الذي كان استخرجه من سجن هشام وغدر به بأرمينية فأخذ عليهم اليهود المؤكدة والأيمان المغلظة على بيعته وانصرف إلى منزله من حران (قال أبو جعفر) فلما استوت لمروان بن محمد الشام وانصرف إلى منزله بجران طلب الأمان منه إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام فأمنهم فقدم عليه سليمان وكان سليمان بن هشام يومئذ بتدريمن معه من إخوته وأهل بيته ومواليه الذكوانية فبايعوا مروان بن محمد (وفي هذه السنة) انتقض على مروان أهل حمص وسائر أهل الشام فخاربههم

ذكر الخبر عن أمرهم وأمره وعن سبب ذلك

❁ حدثني أحمد قال حدثني عبد الوهاب بن إبراهيم قال حدثنا أبو هاشم بخلد

ابن محمد بن صالح قال لما انصرف مروان إلى منزله من حران بعد فراغه من أهل الشام لم يلبث إلا ثلاثة أشهر حتى خالفه أهل الشام وانتقضوا عليه وكان الذي دعاهم إلى ذلك ثابت بن نعيم وراسلهم وكاتبهم وبلغ مروان خبرهم فسار إليهم بنفسه وأرسل أهل حمص إلى من بتدمر من كلب فشخص إليهم الأصبغ بن ذؤالة الكلبي ومعه بنون له ثلاثة رجال حمزة وذؤالة ورافصة ومعاوية السكسكي وكان فارس أهل الشام وعصمة بن المقشعر وهشام بن مصاد وطفيل بن حارثة ونحو من ألف من فرسانهم فدخلوا مدينة حمص ليلة الفطر من سنة ١٢٧ قال ومروان بحماية ليس بينه وبين مدينة حمص إلا ثلاثون ميلاً فأتاه خبرهم صديحة الفطر فجد في السير ومعه يومئذ إبراهيم بن الوليد المخلوع وسايبان بن هشام وقد كانا راسلناه وطلبنا إليه الأمان فصارا معه في عسكره يكرمهما ويدنيهما ويجلسان معه على غدائه وعشائه ويسيران معه في موكبه فانتهى إلى مدينة حمص بعد الفطر بيومين والكلبية فيها قد ردموا أبوابها من داخل وهو على عُدّة معه روابطه فأحدثت خيله بالمدينة ووقف حذاء باب من أبوابها وأشرف على جماعة من الحائط فناداهم مناديه مادعاهم إلى النكث قالوا إنا على طاعتك لم نكث فقال لهم فإن كنتم على ما تذكرون فافتحوا ففتحوا الباب فاقتم عمرو بن الوضاح في الوضاحية نحو من ثلاثة آلاف فقاتلهم في داخل المدينة فلما كثرتهم خيل مروان انهوا إلى باب من أبواب المدينة يقال له باب تدمر فخرجوا منه والروابط عليه فقاتلهم فقتل عامتهم وأفلت الأصبغ بن ذؤالة والسكسكي وأسرا بنا الأصبغ ذؤالة ورافصة في نيف وثلاثين رجلاً منهم فأتى مروان بهم فقتلهم وهو واقف وأمر بجمع قتلاهم وهم خمسمائة أو ستمائة فصلبوا حول المدينة وهدم من حائط مدينتها نحو من غلوة وثار أهل الغوطة إلى مدينة دمشق فحاصروا أميرهم زامل بن عمرو وولوا عليهم يزيد بن خالد القسري وثبت مع زامل المدينة وأهلها وقائد في نحو أربعمائة يقال له أبو هبار القرشي فوجه إليهم مروان من حمص أبا الورد بن الكوثر بن زفر ابن الحارث واسمه مجزاة وعمرو بن الوضاح في عشرة آلاف فلما دنوا من المدينة

حملوا عليهم وخرج أبو هبار وخيله من المدينة فهزموهم واستباحوا عسكرهم وحرقوا المزة من قرى اليمانية ولجأ يزيد بن خالد وأبو علاقة إلى رجل من لحم من أهل المزة فدل عليهما زامل فأرسل اليهما فقتلا قبل أن يوصل بهما إليه فبعث برأسيهما إلى مروان بجمص وخرج ثابت بن نعيم من أهل فلسطين حتى أتى مدينة طبرية فحاصر أهلها وعليها الوليد بن معاوية بن مروان ابن أخي عبد الملك بن مروان فقاتلوه أياما فكتب مروان إلى أبي الورد أن يشخص اليهم فيمد لهم قال فرحل من دمشق بعد أيام فلما بلغهم دنوه خرجوا من المدينة على ثابت ومن معه فاستباحوا عسكرهم فانصرف إلى فلسطين منهزما فجمع قومه وجنده ومضى إليه أبو الورد فهزمه ثانية وتفرق من معه وأسر ثلاثة رجال من ولده وهم نعيم وبكر وعمران فبعث بهم إلى مروان فقدم بهم عليه وهو بدير أبوب جرحى فأمر بمداواة جراحتهم وتغيب ثابت بن نعيم فولى الرماحس بن عبد العزيز الكنانى فلسطين وأفلت مع ثابت من ولده رفاعه بن ثابت وكان أخبثهم فلحق بمنصور بن جمهور فأكرمه وولاه وخلفه مع أخ له يقال له منظور بن جمهور فوثب عليه فقتله فبلغ منصورا وهو متوجه إلى الملتان وكان أخوه بالمنصورة فرجع إليه فأخذه فبنى له اسطوانة من آجر مجوفة وأدخله فيها ثم سمره إليها وبني عليه قال وكتب مروان إلى الرماحس في طلب ثابت والتلطف له فدل عليه رجل من قومه فأخذ ومعه نفر فأتى به مروان موثقا بعد شهرين فأمر به وبينه الذين كانوا في يديه فقطعت أيديهم وأرجلهم ثم حملوا إلى دمشق فرأيتهم مقطعين فأقيموا على باب مسجد لها لأنه كان يباغها أنهم يرجفون بثابت ويقولون إنه أتى مصر فغلب عليها وقتل عامل مروان بها وأقبل مروان من دير أيوب حتى بايع لابنيه عبيد الله وعبد الله وزوجهما ابنتي هشام ابن عبد الملك أم هشام وعائشة وجمع لذلك أهل بيته جميعا منهم من ولد عبد الملك محمد وسعيد وبكار وولد الوليد وسليمان ويزيد وهشام وغيرهم من قريش ورؤوس العرب وقطع على أهل الشام بعثا وقواهم وولى على كل جند منهم قائدا منهم وأمرهم بالحقاق بيزيد بن عمر بن هبيرة وكان قبل مسيره إلى الشام وجهه في عشرين ألفا من أهل قلسرين والجزيرة وأمره أن ينزل دبرين إلى أن يقدم وصيره

مقدمة له وانصرف من دير أيوب إلى دمشق وقد استقامت له الشام كلها ما خلا
تدمر وأمر بثابت بن نعيم وبنيه والنفر الذين قطعهم فقتلوا وصلبوا على أبواب
دمشق قال فرأيتهم حين قتلوا وصلبوا قال واستبقى رجلا منهم يقال له عمرو بن
الحارث الكلبي وكان فيما زعموا عنده علم من أموال كان ثابت وضعا عند قوم
ومضى بمن معه فنزل القسطل من أرض حمص مما يلي تدمر بينهما مسيرة ثلاثة
أيام وبلغه أنهم قد عوروا ما بينه وبينها من الآبار وطموها بالصخر فهياً المزاد
والقرب والأعلاف والإبل فحمل ذلك له ولمن معه فكلمه الأبرش بن الوليد وسليمان
ابن هشام وغيرهما وسألوه أن يعذر اليهم ويحتج عليهم فاجابهم إلى ذلك فوجه الأبرش
اليهم أخاه عمرو بن الوليد وكتب اليهم يحذرهم ويعلمهم أنه يتخوف أن يكون هلاكه
وهلاك قومه فطردوه ولم يجيبوه فسأله الأبرش أن يأذن له في التوجه اليهم ويوجهه
أياماً ففعل فأتاهم فكلمهم وخوفهم وأعلمهم أنهم حرقوا أنه لا طاقة لهم به وبمن معه فأجابوه
عامتهم وهرب من لم يثق به منهم إلى بركة كلب وناديتهم وهم السكسكي وعصمة بن المقشعر
وطفيل بن حارثة ومعاوية بن أبي سفيان بن يزيد بن معاوية وكان صهر الأبرش على
ابنته وكتب الأبرش إلى مروان يعمله ذلك فكتب إليه مروان أن اهدم حائط
مدينتهم وانصرف إلى بمن بايعك منهم فانصرف إليه ومعه رؤوسهم الأصبع
ابن ذؤالة وابنه حمزة وجماعة من رؤوسهم وانصرف مروان بهم على طريق البرية
على سورية ودير اللثق حتى قدم الرصافة ومعه سليمان بن هشام وعمه سعيد بن
عبد الملك وإخوته جميعاً وإبراهيم المخلوع وجماعة من ولد الوليد وسليمان ويزيد
فأقاموا بها يوماً ثم شخص إلى الرقة فاستأذنه سليمان وسأله أن يأذن له أن يقيم
أياماً ليقوى من معه من مواليه ويحتم ظهره ثم يتبعه فأذن له ومضى مروان فنزل
عند واسط على شاطئ الفرات في عسكر كان ينزله فأقام به ثلاثة أيام ثم مضى
إلى قرقيسيا وابن هبيرة بها ليقدمه إلى العراق لمحاربة الضحاك بن قيس الشيباني
الخروري فأقبل نحو من عشرة آلاف ممن كان مروان قطع عليه البعث بدير أيوب
لغزو العراق مع قوادهم حتى حلوا بالرصافة فدعوا سليمان إلى خلع مروان
ومحاربتة (وفي هذه السنة) دخل الضحاك بن قيس الشيباني الكوفة

ذكر الاخبار عن خروج الضحاك محكما ودخوله الكوفة

ومن أين كان إقباله اليها

اختلف في ذلك من أمره فاما أحمد فانه حدثني عن عبد الوهاب بن إبراهيم قال حدثني أبو هاشم مخلد بن محمد قال كان سبب خروج الضحاك أن الوليد حين قتل خرج بالجزيرة حروري يقال له سعيد بن بهدل الشيباني في مائتين من أهل الجزيرة فيهم الضحاك فاغتم قتل الوليد واشتغال مروان بالشأم فخرج بأرض ككفر توتوا وخرج بسطام البيهسي وهو مفارق لرأيه في مثل عدتهم من ربيعة فسار كل واحد منهما الى صاحبه فلما تقارب العسكران وجه سعيد بن بهدل الخيبري وهو أحد قواده وهو الذي هزم مروان في نحو من مائة وخمسين فارسا لبيته فانتهى الى عسكره وهم غارون وقد أمر كل واحد منهم أن يكون معه ثوب أبيض يجلل به رأسه ليعرف بعضهم بعضا فبكروا في عسكرهم فأصابوهم في غرة فقال الخيبري إن يك بسطام فإني الخيبري أضرب بالسيف وأحمي عسكري

فقتلوا بسطاما وجميع من معه الا أربعة عشر فلاحقوا بمروان فكانوا معه فأثبتهم في روابطه وولى عليهم رجلا منهم يقال له مقاتل ويكنى أبا النعثل ثم مضى سعيد بن بهدل نحو العراق لما بلغه من تشتيت الأمر بها واختلاف أهل الشأم وقاتل بعضهم بعضا مع عبد الله بن عمر والنضر بن سعيد الحرشي وكانت اليمانية من أهل الشأم مع عبد الله بن عمر بالحيرة والمضرية مع ابن الحرشي بالكوفة فهم يقتلون فيما بينهم غدوة وعشية قال فمات سعيد بن بهدل في وجهه ذلك من طاعون أصابه واستخلف الضحاك بن قيس من بعده وكانت له امرأة تسمى حوماة فقال الخيبري في ذلك

سقى الله يا حوماة قبر ابن بهدل إذا رحل السارون لم يترحل

قال واجتمع مع الضحاك نحو من ألف وتوجه الى الكوفة ومر بأرض الموصل فاتبعه منها ومن أهل الجزيرة نحو من ثلاثة آلاف وبالكوفة يومئذ النضر بن سعيد الحرشي ومعه المضرية وبالحيرة عبد الله بن عمر في اليمانية فهم متعصبون يقتلون فيما بين الكوفة والحيرة فلما دنا اليه الضحاك فيمن معه من

الكوفة اسطاح ابن عمرو الحرشي فصار أمرهم واحداً وبدأ على قتال الضحاك وخذقا على الكوفة ومعهما يومئذ من أهل الشام نحو من ثلاثين ألفاً لهم قوة وعدة ومعهم قائد من أهل قنسرين يقال له عباد بن الغزِيل في ألف فارس قد كان مروان أمدّ به ابن الحرشي فبرزوا لهم فقاتلوهم فقتل يومئذ عاصم بن عمر بن عبد العزيز وجعفر بن عباس الكندي وهزموهم أقبح هزيمة ولحق عبد الله ابن عمر في جماعتهم بواسطة وتوجه ابن الحرشي وهو النضر وجماعة المضرية وإسماعيل ابن عبد الله القسري إلى مروان فاستولى الضحاك والجزرية على الكوفة وأرضها وجبوا السواد ثم استخلف الضحاك رجلاً من أصحابه يقال له ملحان على الكوفة في مائتي فارس ومضى في عظم أصحابه إلى عبد الله بن عمر بواسطة فحاصره بها وكان معه قائد من قواد أهل قنسرين يقال له عطية التغلبي وكان من الأشداء فلما تخوف محاصرة الضحاك خرج في سبعين أو ثمانين من قومه متوجهاً إلى مروان فخرج على القادسية فبلغ ملحاناً عمره فخرج في أصحابه مبادراً يريد به فلقبه على قنطرة السيلجيين وملحان قد تسرع في نحو من ثلاثين فارساً فقاتله فقتله عطية وناساً من أصحابه وانهمز بقيتهم حتى دخلوا الكوفة ومضى عطية حتى لحق فيمن معه مروان وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فإنه قال حدثني أبو سعيد قال لما مات سعيد بن بهدل المري وبايعت الشراة للضحاك أقام بشهر زور وثابت إليه الصفيرية من كل وجه حتى صار في أربعة آلاف فلم يجتمع مثلهم لخارجي قط قبله قال وهلك يزيد بن الوليد وعامله على العراق عبد الله بن عمر فانحط مروان من أرمينية حتى نزل الجزيرة وولى العراق النضر بن سعيد وكان من قواد ابن عمر فشخص إلى الكوفة ونزل ابن عمر الحيرة فاجتمعت المضرية إلى النضر واليمانية إلى ابن عمر فخاربه أربعة أشهر ثم أمد مروان النضر بابن الغزِيل فأقبل الضحاك نحو الكوفة وذلك في سنة ١٢٧ فأرسل ابن عمر إلى النضر هذا لا يريد غيري وغيرك فهلم نجتمع عليه فتعاقدنا عليه وأقبل ابن عمر فنزل تلّ الفتح وأقبل الضحاك ليعبر الفرات فأرسل إليه ابن عمر حمزة بن الأصبع بن ذؤالة الكلبي لينعه من العبور فقال عبيد الله بن العباس الكندي دعه يعبر الينا فهو

أهون علينا من طلبه فأرسل ابن عمر إلى حمزة يكفه عن ذلك فنزل ابن عمر الكوفة وكان يصلي في مسجد الأمير بأصحابه والنصر بن سعيد في ناحية الكوفة يصلي بأصحابه لا يجامع ابن عمر ولا يصلي معه غير أنهما قد تكافأوا اجتماعاً على قتال الضحاك وأقبل الضحاك حين رجع حمزة حتى عبر الفرات ونزل النخيلة يوم الأربعاء في رجب سنة ١٢٧ فخف إليهم أهل الشام من أصحاب ابن عمر والنصر قبل أن ينزلوا فأصابوا منهم أربعة عشر فارساً وثلاث عشرة امرأة ثم نزل الضحاك وضرب عسكره وعبى أصحابه وأراح ثم تغادوا يوم الخميس فاقتلوا قتلاً شديداً فكشفوا ابن عمر وأصحابه وقتلوا أخاه عاصماً قتله البرذون بن مرزوق الشيباني فدفنه بنو الأشعث بن قيس في دارهم وقتلوا جعفر بن العباس الكندي أخا عبيد الله وكان جعفر على شرطة عبد الله بن عمر وكان الذي قتل جعفراً عبد الملك بن علقمة بن عبد القيس وكان جعفر حين رهبه عبد الملك نادی ابن عم له يقال له شاشلة فكر عليه شاشلة وضربه رجل من الصفرية فقلق وجهه قال أبو سعيد فرأيته بعد ذلك كأن له وجهين وأكب عبد الملك على جعفر فدبحه ذبحاً فقالت أم البرذون الصفرية

نَحْنُ قَتَلْنَا عَاصِمًا وَجَعْفَرًا وَالْفَارِسَ الضَّيِّبِيَّ حِينَ أَحْضَرَا
وَنَحْنُ جِئْنَا الخَنْدُقَ الْمُقَرَّرَا

فانهزم أصحاب ابن عمر وأقبل الخوارج فوقفوا على خندقنا إلى الليل ثم انصرفوا ثم تغادينا يوم الجمعة فوالله ما تئامنا حتى هزمونا فدخلنا خنادقنا وأصبحنا يوم السبت فإذا الناس يتسللون ويهربون إلى واسط ورأوا قوما لم يروا مثلهم قط أشد بأساً كأنهم الأسد عند أشبالها فذهب ابن عمر ينظر أصحابه فإذا عامتهم قد هربوا تحت الليل ولحق عظمهم بواسط فكان ممن لحق بواسط النصر بن سعيد وإسماعيل بن عبد الله ومنصور بن جمهور والأصبغ بن ذؤالة وابناه حمزة وذؤالة والوليد بن حسان الغساني وجميع الوجوه وبقى ابن عمر فيمن بقي من أصحابه مقبياً لم يبرح ويقال إن عبد الله لما ولي العراق ولي الكوفة عبيد الله بن العباس الكندي وعلى شرطة عمر بن الغضبان بن القَبَعْرِيَّ فلم يزالا على ذلك حتى مات يزيد بن الوليد وقام إبراهيم بن الوليد فأقر ابن عمر على العراق فولى ابن عمر أخاه عاصماً

على الكوفة وأقرّ ابن الغضبان على شرطه فلم يزالوا على ذلك حتى خرج عبد الله
ابن معاوية فاتهم عمر بن الغضبان فلما انقضى أمر عبد الله بن معاوية ولى
عبد الله بن عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب الكوفة
وعلى شرطه الحكم بن عتيبة الأسدي من أهل الشام ثم عزل عمر بن عبد الحميد
عن الكوفة وولى عمر بن الغضبان وعلى شرطه الحكم بن عتيبة الأسدي ثم عزل
عمر بن الغضبان عن شرطه وولى الوليد بن حسان الغساني ثم ولى إسماعيل بن
عبد الله القسري وعلى شرطه أبان بن الوليد ثم عزل إسماعيل وولى عبدالصمد
ابن أبان بن النعمان بن بشير الأنصاري ثم عزل فولى عاصم بن عمر فقدم عليه
الضحاك بن قيس الشيباني ويقال إنما قدم الضحاك وإسماعيل بن عبد الله القسري
في القصر وعبد الله بن عمر بالحيرة وابن الحرشي بدير هند فغلب الضحاك على
الكوفة وولى ملحان بن معروف الشيباني عليها وعلى شرطه الصفر من بني حنظلة
حروري فخرج ابن الحرشي يريد الشام فعارضه ملحان فقتله ابن الحرشي فولى
الضحاك على الكوفة حسان فولى ابنه الحارث على شرطه وقال عبد الله بن عمر
يرثي أخاه عاصما لما قتله الخوارج

رَمَى غَرَضِي رَيْبُ الزَّمَانِ فَلَمْ يَدَعْ
رَمَى غَرَضِي الْأَقْصَى فَأَقْصَدَ عَاصِمًا
غَدَاةَ رَمَى لِلْقَوَسِ فِي الْكَفِّ مِزْعَا
أَخَا كَانَ لِي حِرْزًا وَمَاوَى وَمَفْزَعَا
فَإِنْ تَكُ أَحْزَانٌ وَفَائِضٌ عَبْرَةٌ
تَجَرَّعْتُهَا فِي عَاصِمٍ وَاحْتَسَيْتُهَا
فَلَيْتَ الْمَنَايَا كُنَّ خَلْفَنَ عَاصِمًا
فِعِشْنَا جَمِيعًا أَوْ ذَهَبْنَا بِنَا مَعَا

وذكر أن عبد الله بن عمر يقول بلغني أن عين بن عيين بن عيين بن عيين
يقتل ميم بن ميم بن ميم وكان يأمل أن يقتله فقتله عبد الله بن علي بن
عبد الله بن عباس بن عبد المطلب فذكر أن أصحاب ابن عمر لما انهزموا فلحقوا
بواسط قال لابن عمر أصحابه علام تقيم وقد هرب الناس قال أتلوم وأنظر فأقام
يوما أو يومين لا يرى إلا هاربا قد امتلأت قلوبهم رعبا من الخوارج فأمر عند
ذلك بالرحيل إلى واسط وجمع خالد بن الغزير أصحابه فلحق بمروان وهو مقيم

بالجزيرة ونظر عبد الله بن العباس الكندي إلى مالتى الناس فلم يأمن على نفسه
فجئح إلى الضحاك فبايعه وكان معه في عسكره فقال أبو عطاء السندى يعيره باتباعه
الضحاك وقد قتل أخاه

قُلْ لِعَبِيدِ اللَّهِ لَوْ كَانَ جَعْفَرٌ هُوَ الْحَيُّ لَمْ يَجْنَحْ وَأَنْتَ قَتِيلٌ
وَلَمْ يَتَّبِعِ الْمُرَّاقَ وَالنَّارُ فِيهِمْ وَفِي كَفِّهِ عَضْبُ الذَّبَابِ صَقِيلٌ
إِلَى مَعْشَرٍ أَرَدُوا أَخَاكَ وَأَكْفَرُوا أَبَاكَ فَمَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ تَقُولُ
فلما بلغ عبيد الله بن العباس هذا البيت من قول أبي عطاء قال أقول أعضك
الله يبظر أمك :

فَلَا وَصَلَّتْكَ الرَّحْمُ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ وَطَالِبٍ وَتَرٍ وَالذَّلِيلُ ذَلِيلٌ
تَرَكَتَ أَخَا شَيْبَانَ يَسْلُبُ بَزَّهُ وَنَجَّكَ خَوَارُ الْعِنَانِ مَطُولٌ
قال فنزل ابن عمر منزل الحجاج بن يوسف بواسط فيما قيل في اليمانية ونزل
النضر وأخوه سليمان ابنا سعيد وحنظلة بن نباتة وابناه محمد ونباته في المضرية
ذات اليمين إذا صعدت من البصرة وخلوا الكوفة والحيرة للضحاك والشراة
وصارت في أيديهم وعادت الحرب بين عبد الله بن عمر والنضر بن سعيد الحرشي إلى
ما كان عليه قبل قدوم الضحاك يطلب النضر أن يسلم إليه عبد الله بن عمرو ولاية العراق
بكتاب مروان ويأبى عبد الله بن عمر واليمانية مع ابن عمر والزارية مع النضر وذلك
أن جند أهل اليمين كانوا مع يزيد الناقص تعصباً على الوليد حيث أسلم خالد بن عبد الله
القسرى إلى يوسف بن عمر حتى قتله وكانت القيسية مع مروان لأنه طلب بدم
الوليد وأخوال الوليد من قيس ثم من ثقيف أمه زينب بنت محمد بن يوسف ابنة
أخي الحجاج فعادت الحرب بين ابن عمر والنضر ودخل الضحاك الكوفة فأقام
بها واستعمل عليها ملحان الشيباني في شعبان سنة ١٢٧ فأقبل منقضاً في الشراة
إلى واسط متبعاً لابن عمر والنضر فنزل باب المضمار فلما رأى ذلك ابن عمر والنضر
نكلا عن الحرب فيما بينهما وصارت كلمتهما عليه واحدة كما كانت بالكوفة فجعل
النضر وقواده يعبرون الجسر فيقاتلون الضحاك وأصحابه مع ابن عمر ثم يعودون
إلى مواضعهم ولا يقيمون مع ابن عمر فلم يزالوا على ذلك شعبان وشهر رمضان

وشوال فاقتلوا يوماً من تلك الأيام فاشتد قتالهم فشد منصور بن جمهور على قائد من قواد الضحاك كان عظيم القدر في الشراة يقال له عكرمة بن شيبان فضربه على باب القورج فقطعه باثنين فقتله وبعث الضحاك قائداً من قواده يدعى شوالاً من بني شيبان إلى باب الزاب فقال اضرمه عليهم ناراً فقد طال الحصار علينا فانطلق شوال ومعه الخيبري أحد بني شيبان في خيلهم فلقبهم عبد الملك بن علقمة فقال لهم أين تريدون فقال له شوال نريد باب الزاب أمرني أمير المؤمنين بكذا وكذا فقال أنا معك فرجع معه وهو حاسر لادرع عليه وكان من قواد الضحاك أيضاً وكان أشد الناس فانتهروا إلى الباب فأضرموه فأخرج لهم عبد الله بن عمر منصور ابن جمهور في ستمائة فارس من كلب فقاتلهم أشد القتال وجعل عبد الملك بن علقمة يشد عليهم وهو حاسر فقتل منهم عدة فنظر إليه منصور بن جمهور فغاضه صنيعه فشد عليه فضربه على جبل عاتقه فقطعه حتى بلغ حرقفته نقر ميتاً وأقبلت امرأة من الخوارج شادة حتى أخذت بلجام منصور بن جمهور فقالت يا فاسق أجب أمير المؤمنين فضرب يدها ويقال ضرب عنان دابته فقطعه في يدها ونجا فدخل المدينة الخيبري يريد منصوراً فاعترض عليه ابن عم له من كلب فضربه الخيبري فقتله وكان يزعم أنه من أبناء ملوك فارس فقال يرثي عبد الملك بن علقمة

وقائلة وَدَمْعُ الْعَيْنِ تَجْرِي على روح بن علقمة السَّلامُ
أَذْرَكَ الْحَمَامُ وَأَنْتَ سَارٍ وكلُّ فتي لمصرعه حمامُ
فلا رَعشُ البَدَيْنِ ولا هَدَانُ ولا وكلُّ اللقاءِ ولا كهامُ
وما قَتْلُ على شَارٍ بَعَارٍ ولكن يُقْتَلُونَ وَهُمْ كِرَامُ
طَغَامُ النَّاسِ لَيْسَ لَهُمْ سَبِيلُ شجاني يا ابن علقمة الطغَامُ

ثم إن منصوراً قال لابن عمر ما رأيت في الناس مثل هؤلاء قط يعني الشراة فلم تحاربهم وتشغلهم عن مروان أعطهم الرضا واجعلهم بينك وبين مروان فإنك إن أعطيتهم الرضا خلوا عنا ومضوا إلى مروان فكان حدم وبأسهم عليه وأقت أنت مستريحاً بموضعك هذا فإن ظفروا بها كان ما أردت وكنت عندهم آمناً وإن ظفروا بهم وأردت خلافة وقتاله قاتله جأماً مستريحاً مع أن أمره وأمرهم

سيطول ويوسعونه شرا فقال ابن عمر لا تعجل حتى تلوم ونظر فقال أى شيء
 تنتظر فما تستطيع أن تطلع معهم ولا تستقر وإن خرجنا لم نقم لهم فما انتظرنا
 بهم ومروان فى راحة وقد كفيناه حدهم وشغلناهم عنه أما أنا فنخرج لاحق بهم
 فخرج فوق حبال صفهم وناداهم إني جائح أريد أن أسلم وأسمع كلام الله قال وهى
 محتهم فلاحق بهم فبايعهم وقال قد أسلمت فدعوا له بغيره فتغدى ثم قال لهم من
 الفارس الذى أخذ بعناني يوم الزاب يعنى يوم ابن علقمة فنادوا يا أم العنبر فخرجت
 إليهم فإذا أجمل الناس فقالت له أنت منصور قال نعم قالت قبح الله سيفك أين
 ماتدكر منه فوالله ما صنع شيئا ولا ترك تعنى ألا يكون قتلها حين أخذت بعنانه
 فدخلت الجنة وكان منصور لا يعلم يومئذ أنها امرأة فقال يا أمير المؤمنين زوجها
 قال إن لها زوجاً وكانت تحت عبيدة بن سوار التغلبي قال ثم إن عبد الله بن عمر
 خرج إليهم فى آخر شوال فبايعه (وفى هذه السنة) أعنى سنة ١٢٧ خلع سليمان
 ابن هشام بن عبد الملك بن مروان مروان بن محمد ونصب الحرب

ذكر ما جرى بينهما

❦ حدثني أحمد بن زهير قال حدثني عبد الوهاب بن ابراهيم قال حدثني أبو هاشم
 مخلد بن محمد بن صالح قال لما شخص مروان من الرصافة إلى الرقة لتوجيه ابن
 هبيرة إلى العراق لمحاربة الضحاك بن قيس الشيباني استأذنه سليمان بن هشام فى
 مقام أيام لإجمام ظهره وإصلاح أمره فأذن له ومضى مروان فأقبل نحو من
 عشرة آلاف ممن كان مروان قطع عليه البعث بدير أيوب لغزو العراق مع قوادهم
 حتى جاءوا الرصافة فدعوا سليمان إلى خلع مروان ومحاربه وقالوا أنت أرضى
 منه عند أهل الشام وأولى بالخلافة فاستزله الشيطان فأجابهم وخرج إليهم بإخوته
 وولده ومواليه فعسكر وسار بجميعهم إلى قنسرين فكاتب أهل الشام فانقضوا
 إليه من كل وجه وجند وأقبل مروان بعد أن شارف قرقيسيا منصرفاً إليه وكتب
 إلى ابن هبيرة يأمره بالثبوت فى عسكره من دورين حتى نزل معسكره بواسطة
 واجتمع من كان بالمنى من موالى سليمان وولده هشام فدخلوا حصن الكامل
 بذراريهم فتحصنوا فيه وأغلقوا الأبواب دونه فأرسل إليهم ماذا صنعتم خلعتم

طاعتي ونقضتم بيعتي بعد ما أعطيتموني من العهود والمواثيق فردوا على رسله إنا مع سليمان على من خالفه فرد إليهم إني أحذركم وأندركم أن تعرضوا لأحد ممن تبعني من جندي أو يناله منكم أذى فتحطوا بأنفسكم ولا أمان لكم عندي فأرسلوا إليه أنا سنكف ومضى مروان فجعلوا يخرجون من حصنهم فيغيرون على من اتبعه من أخريات الناس وشذآن الجند فيسلبونهم خيولهم وسلاحهم وبلغه ذلك فتحرق عليهم غيظا واجتمع إلى سليمان نحو من سبعين ألفا من أهل الشام والذكوانية وغيرهم وعسكر في قرية لبني زفر يقال لها خساف من قلسرين من أرضها فلبادنا مه مروان قدم السكسكي في نحو سبعة آلاف ووجه مروان عيسى بن مسلم في نحو من عدتهم فالتقوا فيما بين العسكرين فاقتلوا قتالا شديدا والتقى السكسكي وعيسى وكل واحد منها فارس بطل فاطعنا حتى تقصفت رماحهما ثم صارا إلى السيوف فضرب السكسكي مقدم فرس صاحبه فسقط لجامه في صدره وجال به فرسه فاعترضه السكسكي فضربه بالعمود فصرعه ثم نزل إليه فأسره وبارز فارساً من فرسان انطاكية يقال له سلساق قائد الصقالبة فأسره وانهمت مقدمته وبلغه الخبر وهو في مسيره فمضى وطوى على تعبته ولم ينزل حتى انتهى إلى سليمان وقد تعبي له وتها لقتاله فلم يناظره حتى واقعه فانهزم سليمان ومن معه واتبعتهم خيوله تقتلهم وتأسرهم وانتهوا إلى عسكرهم فاستباحوه ووقف مروان موقفاً وأمر ابنه فوقفا موقفين ووقف كوثر صاحب شرطته في موضع ثم أمرهم ألا يأتوا بأسير إلا قتلوه إلا عبداً بملوكاً فأحصى من قتلاهم يومئذ نيف على ثلاثين ألفاً قال وقتل ابراهيم بن سليمان أكبر ولده وأتى بخال هشام بن عبد الملك يقال له خالد بن هشام المخزومي وكان بادنا كثير اللحم فأدنى إليه وهو يلهث فقال له يا فاسق أما كان لك في خمر المدينة وقيانها ما يكفك عن الخروج مع الخراء تقاتلتني قال يا أمير المؤمنين أكرهني فأشهدك الله والرحم قال وتكذب أيضاً كيف أكرهك وقد خرجت بالقيان والزقاني والبرابط معك في عسكره فقتله قال وأدعى كثير من الأسراء من الجند أنهم رقيق فكف عن قتلهم وأمر ببيعهم فيمن يريد مع ما يبيع مما أصيب في عسكرهم قال ومضى سليمان مفلولا حتى انتهى

إلى حص فانضم إليه من أفلت ممن كان معه فعسكر بها وبني ما كان مروان أمر
يهدمه من حيطانها ووجه مروان يوم هزمه قواداً وروابط في جريدة خيل
وتقدم إليهم أن يسبقوا كل خير حتى يأتوا الكامل فيجدقوا بها إلى أن يأتهم
حنقاً عليهم فأتوهم فنزلوا عليهم وأقبل مروان نحوهم حتى نزل معسكره من
واسط فأرسل إليهم أن انزلوا على حكى فقالوا لا حتى تؤمننا بأجمعنا فدف إليهم
ونصب عليهم المجانيق فلما تابعت الحجارة عليهم نزلوا على حكمة فمثل بهم
واحتلمهم أهل الرقة فأوهم وداووا جراحاتهم وهلك بعضهم وبقى أكثرهم
وكانت عدتهم جميعاً نحواً من ثلاثمائة ثم شخص إلى سليمان ومن تجمع معه بخصص
فلما دنا منهم اجتمعوا فقال بعضهم لبعض حتى متى نهزم من مروان هلبوا فانتبأبع
على الموت ولا تفرق بعد معاينته حتى نموت جميعاً فمضى على ذلك من فرسانهم
من قد وطن نفسه على الموت نحو من تسعمائة وولى سليمان على شطرهم معاوية
السكسكى وعلى الشطر الباقي ثبيتا البهراني فتوجهوا إليه مجتمعين على أن يبيتوه
إن أصابوا منه غرة وبلغه خبرهم وما كان منهم فتحرزوا وحف إليهم في الخنادق
على احتراس وتعبية فراموا تبيتته فلم يقدرُوا فتهيؤوا له وكنوا في زيتون ظهر
على طريقه في قرية تسمى تلّ منس من جبل السماق فخرجوا عليه وهو يسير على
تعبية فوضعوا السلاح فيمن معه وانتبذ لهم ونادى خيوله فثابت إليه من المقدمة
والمجنبتين والساقة فقاتلوه من لدن ارتفاع النهار إلى بعد العصر والتقى السكسكى
وفارس من فرسان بنى سليم فاضطربا فصرعه السلى عن فرسه ونزل إليه وأعانه
رجل من بنى تميم فأتياه به أسيراً وهو واقف فقال الحمد لله الذى أمكن منك
فطالما بلغت منا فقال استبقنى فإني فارس العرب قال كذبت الذى جاء بك أفرس
منك فأمر به فأوثق وقتل ممن صبر معه نحو من ستة آلاف قال وأفلت ثبيت
ومن انهزم معه فلما أتوا سليمان خلف أخاه سعيد بن هشام في مدينة حصص
وعرف أنه لا طاقة له به ومضى هو إلى تدمر فأقام بها ونزل مروان على حصص
فحاصرهم بها عشرة أشهر ونصب عليها نيفاً وثمانين منجنيقاً فطرح عليهم حجارتها
بالليل والنهار وهم في ذلك يخرجون إليه كل يوم فيقاتلونه وربما يبتوا نواحي

عسكره وأغاروا على الموضع الذي يطمعون في اصابة العورة والفرصة منه فلما تتابع عليهم البلاء ولزمهم الذل سألوه أن يؤمنهم على أن يمكنوه من سعيد ابن هشام وابنيه عثمان و مروان ومن رجل كان يسمى السكسكى كان يغير على عسكرهم ومن حبشى كان يشتمه ويفترى عليه فأجابهم إلى ذلك وقبلة وكانت قصة الحبشى انه كان يشرف على الحائط ويربط في ذكره ذكر حمار ثم يقول يا بنى سليم يا أولاد كذا وكذا هذا لواؤكم وكان يشتم مروان فلما ظفر به دفعه إلى بنى سليم فقطعوا امذا كيره وأنفه ومثلوا به وأمر بقتل المتسمى السكسكى والاستيثاق من سعيد وابنيه وأقبل متوجها إلى الضحاك ه وأما غير أبي هاشم مخلد بن محمد فانه ذكر من أمر سليمان بن هشام بعد انهزامة من وقعة خساف غير ما ذكره مخلد والذي ذكره من ذلك ان سليمان بن هشام بن عبد الملك حين هزمه مروان يوم خساف أقبل هاربا حتى صار إلى عبد الله بن عمر فخرج مع عبد الله بن عمر إلى الضحاك فبايعه وأخبر عن مروان بفسق وجور وحضض عليه وقال أنا سائر معكم في موالى ومن اتبعنى فسار مع الضحاك حين سار إلى مروان فقال شليل بن عزرة الضبعى في بيعتهم الضحاك

ألم تر أن الله أظهر دينه فصلت قريش خلف بكر بن وائل فصارت كلبه ابن عمر وأصحابه واحدة على النضر بن سعيد فلم أنه لا طاقة له بهم فارتحل من ساعته يريد مروان بالشام وذكر أبو عبيدة أن بيها أخبره لما دخل ذو القعدة سنة ١٢٧ استقام لمروان الشام ونفى عنها من كان يخالفه فدعا يزيد بن عمر بن هبيرة فوجهه عاملا على العراق وضم اليه أجناد الجزيرة فأقبل حتى نزل نهر سعيد بن عبد الملك وأرسل ابن عمر إلى الضحاك يعلمه ذلك قال فجعل الضحاك لتاميسان وقال انها تكفيكم حتى تنظر عما تنجلي واستعمل ابن عمر عليها مولاه الحكم بن النعمان (فأما أبو مخنف) فانه قال فيما ذكر عنه هشام إن عبد الله بن عمر صالح الضحاك على أن يبد الضحاك ما كان غلب عليه من الكوفة وسوادها ويبد ابن عمر ما كان بيده من كسكر وميسان ودستميسان وكوردجلة والأهواز وفارس فارتحل الضحاك حتى لقي مروان بكفر توثا من

أرض الجزيرة قال أبو عبيدة تها الضحاك ليسير إلى مروان ومضى النضر يريد الشام فنزل القادسية وبلغ ذلك ملحان الشيباني عامل الضحاك على الكوفة فخرج إليه فقاتله وهو في قلة من الشراة فقاتله فصر حتى قتله النضر وقال ابن جدره يرثيه و عبد الملك بن علقمة

كَأَنَّ كِلْحَانَ مِنْ شَارٍ أَخِي ثِقَةٍ وَأَبْنِ عَلْقَمَةَ الْمُسْتَشْهِدِ الشَّارِي
مَنْ صَادِقٍ كُنْتُ أَصْفِيهِ مَخَالِصِي فَبَاعَ دَارِي بِأَعْلَى صَفْقَةِ الدَّارِ
إِخْوَانِ صِدْقٍ أَرْجِيهِمْ وَأَخَذَهُمْ أَشْكُو إِلَى اللَّهِ خِذْلَانِي وَإِخْفَارِي

و بلغ الضحاك قتل ملحان فاستعمل على الكوفة المثني بن عمران من بني عائذة ثم سار الضحاك في ذي القعدة فأخذ الموصل وانحط ابن هبيرة من نهر سعيد حتى نزل غزة من عين التمر وبلغ ذلك المثني بن عمران العائذي عامل الضحاك على الكوفة فسار إليه فيمن معه من الشراة ومعه منصور بن جمهور وكان صار إليه حين بايع الضحاك خلافا على مروان فالتقوا بغزة فافتلوا قتالا شديدا أياما متوالية فقتل المثني وعزير وعمرو وكانوا من رؤساء أصحاب الضحاك وهرب منصور وانهمت الخوارج فقال مسلم حاجب يزيد

أَرَتِ لِلْمَثْنِيِّ يَوْمَ غَزَا حَتْفَهُ وَأَذْرَتْ عُزَيْرًا بَيْنَ تَلْكَ الْجُنَادِلِ
وَعَمْرًا أَزَارَتُهُ الْمَنِيَّةَ بَعْدَ مَا أَطَافَتْ بِمَنْصُورٍ كِفَاتُ الْحَبَائِلِ

وقال غيلان بن حريث في مدحه ابن هبيرة

نَصْرَتْ يَوْمَ الْعَيْنِ إِذْ لَقِينَا كَنْصَرِ دَاوُودَ عَلَى جَالوتَا

فلما قتل منهم من قتل في يوم العين وهرب منصور بن جمهور أقبل لا يلوى حتى دخل الكوفة فجمع بها جمعا من اليمانية والصفرية ومن كان تفرق منهم يوم قتل ملحان ومن تخلف منهم عن الضحاك فجمعهم منصور جميعا ثم سار بهم حتى نزل الروحاء وأقبل ابن هبيرة في أجناده حتى لقيهم فقاتلهم أياما ثم هزمهم وقتل البرذون بن مرزوق الشيباني وهرب منصور فني ذلك يقول غيلان بن حريث ويوم رَوْحَاءِ الْعُدَيْبِ دَفَّوْا عَلَى ابْنِ مَرْزُوقٍ سَمَامٌ مَرْعِفٌ
قال وأقبل ابن هبيرة حتى نزل الكوفة ونفى عنها الخوارج وبلغ الضحاك

مالتى أصحابه فدعا عبدة بن سوار التغلبي فوجه إليهم وانحط ابن هبيرة يريد واسطا
وعبد الله بن عمر بها وولى على الكوفة عبد الرحمن بن بشير العجلي وأقبل عبدة
ابن سوار مغذاً فى فرسان أصحابه حتى نزل الصراة ولحق به منصور بن جمهور
وبلغ ذلك ابن هبيرة فسار إليهم فالتقوا بالصراة فى سنة ١٢٧ (وفى هذه السنة)
توجه سليمان بن كثير ولاهز بن قريظة وقحطبة بن شبيب فيما ذكر إلى مكة فلقوا
إبراهيم بن محمد الإمام بها وأعلوه أن معهم عشرين ألف دينار ومائتى ألف درهم
ومسكا ومتاعا كثيرا فأمرهم بدفع ذلك إلى ابن عروة مولى محمد بن على وكانوا
قدموا معهم بأبى مسلم ذلك العام فقال ابن كثير لإبراهيم بن محمد إن هذا مولاك
(وفىها) كتب بكير بن ماهان إلى إبراهيم بن محمد يخبره أنه فى أول يوم من أيام
الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا وأنه قد استخلف حفص بن سليمان وهورضى
للأمر وكتب إبراهيم إلى أبى سلة يأمره بالقيام بأمر أصحابه وكتب إلى أهل
خراسان يخبرهم أنه قد أسند أمرهم إليه ومضى أبو سلة إلى خراسان فصدّ قوه
وقبلوا أمره ودفعوا إليه ما اجتمع قبلهم من نفقات الشيعة وخمس أموالهم (وحج)
بالناس فى هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عامل مروان على
المدينة ومكة والطائف حدثنى بذلك أحمد بن ثابت الرازى عن ذكره عن إسحاق
ابن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى وغيره وكان العامل على العراق
النضر بن الحرشى وكان من أمره وأمر عبد الله بن عمر والضحاك الخرورى
ما قد ذكرت قبل وكان بخراسان نصر بن سيار وبها من ينازعه فيها كالكرماني
والحارث بن سريج

(تم الجزء الخامس؛ ويليه الجزء السادس)

(وأوله سنة ثمان وعشرين ومائة)

فهرس الجزء الخامس

من تاريخ الامم والملوك

صفحة	صفحة
٢٤	٢
أسماء من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم وللخلفاء الراشدين	(سنة سبعين) ثورة الروم على من بالشام من المسلمين
٢٩	٢
(سنة ثلاث وسبعين) ومقتل عبد الله بن الزبير	شخص مصعب بن الزبير إلى مكة بأموال عظيمة قسمها في قومه
٣٤	٢
تولية عبد الملك طارق مولى عثمان المدينة .	(سنة إحدى وسبعين) مسير عبد الملك ابن مروان إلى العراق لحرب مصعب بن الزبير
٣٤	١١
وفاة بشر بن مروان	دخول عبد الملك بن مروان الكوفة
٣٤	١٣
توجيه عبد الملك بن مروان عمر ابن عبيد الله بن معمر لقتال أبي فديك	تنازع الرياسة بالبصرة عبيد الله ابن أبي بكوة وحران بن أبان
٣٤	١٣
عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وتوليته أخاه بشر ابن مروان	بعث عبد الملك خالد بن عبد الله على البصرة والياً
٣٥	١٣
غزو محمد بن مروان الصائفة وهزمه الروم	رجوع عبد الملك إلى الشام
٣٥	١٥
(سنة أربع وسبعين) وعزل عبد الملك طارق بن عمرو عن المدينة واستعماله عليها الحجاج ابن يوسف	فتح عبد الملك قيسارية
٣٥	١٥
نقض الحجاج بن يوسف بنيان الكعبة وتولية عبد الملك أبان ادريس الخولاني على القضاء	(سنة اثنتين وسبعين) وذكر خبر الخوارج وأمر المهلب ابن أبي صفرة الخ
٣٥	٢٠
شخص بشر بن مروان من الكوفة إلى البصرة وتولية المهلب حرب الأزارقة وذكر الخبر عن أمره وأمرم فيها	خروج أبي فديك الخارجي وتغلبه على البحرين الخ
	٢٠
	توجيه عبد الملك الحجاج بن يوسف إلى مكة لقتال عبد الله ابن الزبير
	٢١
	كتاب عبد الملك إلى عباد بن خازم السلمي يدعو إلى بيعته
	٢٣
	فصل في ذكر الكتاب من بدء أمر الاسلام

صفحة	صفحة
والسبب الذي من أجله حدث الاختلاف بينهم حتى صار أمرهم إلى الهلاك	٣٨ عزل عبد الملك بكير بن وشاح عن خراسان وتولية أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد
١٢٦ هلاك قطري وعبيدة بن هلال وعبدرب الكبير ومن كان معهم من الأزارقة وذكر سبب مهلكهم	٤٠ (سنة خمس وسبعين) غزوة محمد ابن مروان الصائفة وتولية عبد الملك يحيى بن الحكم بن أبي العاص المدينة
١٢٨ قتل بكير بن وشاح السعدي أمية ابن عبد الله بن خالد بن أسيد وذكر سبب قتله إياه	٤٠ تولية عبد الملك الحجاج بن يوسف العراق و قدوم الحجاج الكوفة وخطبته بها
١٣٤ (سنة ثمان وسبعين) عزل عبد الملك بن مروان أمية بن عبد الله عن خراسان وضمه خراسان وسجستان إلى الحجاج بن يوسف	٤٥ خروج الحجاج من الكوفة إلى البصرة
١٣٤ ذكر الخبر عن العمال الذين ولاهم الحجاج خراسان وسجستان وذكر السبب في توليته من ولي ذلك وشيئا منه	٤٦ نفي المهلب وابن مخنف الأزارقة عن راهرمز وما كان من أمرهم
١٣٦ (سنة تسع وسبعين) وغزوة عبيد الله بن أبي بكر رتبيل وذكر الخبر عن غزوه إياه	٤٩ نحر ك صالح بن مصرح وذكر خبر ما كان منه
١٣٨ (سنة ثمانين) وذكر الأحداث الجليلة التي كانت فيها	٥٠ (سنة ست وسبعين)
١٤٠ توجه الحجاج عبدالرحمن بن محمد ابن الأشعث إلى سجستان لحرب رتبيل صاحب النرك	٥٦ دخول شبيب الكوفة ومعه زوجته غزلة وما كان من أمره وأمر الحجاج
١٤٣ (سنة إحدى وثمانين) فتح قبالقلا وقتل بحير بن ورقاء الصريمي وذكر الخبر عن مقتله	٨٣ أمر عبد الملك بن مروان بنقش الدنانير والدرهم ووفود يحيى ابن الحكم على عبد الملك
١٥١ (سنة اثنتين وثمانين) ذكر الخبر	٨٤ (سنة سبع وسبعين) قتل شبيب عتاب بن ورفاء الرياحي وزهرة ابن حوية والخبر عن سبب مقتلها
	٩٢ دخول شبيب الكوفة وحربه بها الحجاج
	١٠٢ ذكر سبب هلاك شبيب
	١١٩ وقوع الاختلاف بين الأزارقة

صفحة	صفحة
١٩٥ قتل موسى بن عبد الله بن خازم السلمي بالترمذوذ كرسبب قتله بها	عما كان بين الحجاج وعبدالرحمن ابن محمد من الحروب بالزاوية
٢٠٦ ذكر الخبر عما اراده عبد الملك بن مروان من خلق اخيه عبد العزيز ابن مروان وما كان من امرهما	١٥٧ ذكر الخبر عن وقعة دير الجاجم بين الحجاج وابن الاشعث
٢٠٧ وفاة عبدالعزیز بن مروان	١٥٨ وفاة المغيرة بن المهلب بخراسان
٢٠٩ بعة عبد الملك لابنيه الوليد وسليمان وجعلهما ولي عهد المسلمين	١٦١ وفاة المهلب بن أبي صفرة وذكر الخبر عن سبب موته ومكان وفاته
٢١٠ (سنة ست وثمانين) خبر هلاك عبد الملك بن مروان	١٦٢ تولية الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب وعزل عبد الملك أبان بن عثمان عن المدينة
٢١١ ذكر الخبر عن مبلغ سنه يوم توفي وذكر نسبه وكنيته وذكر اولاده وأزواجه	١٦٣ (سنة ثلاث وثمانين) هزيمة عبد الرحمن بن محمد بدير الجاجم
٢١٣ خلافة الوليد بن عبد الملك	١٧٠ ذكر الخبر عن سبب الوقعة بمسكن بين الحجاج وابن الاشعث وعن صفتها
٢١٤ قدوم قتيبة بن مسلم خراسان والياً عليها من قبل الحجاج وذكر ما كان من أمره	١٨٥ (سنة أربع وثمانين) غزوة عبد الله ابن عبد الملك بن مروان الروم وقتل الحجاج أيوب بن الفزيرة
٢١٦ غزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم وحبس الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب	١٨٦ فتح يزيد بن المهلب قاعة نيزك وذكر سبب فتحه إياها
٢١٦ (سنة سبع وثمانين) عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن اسماعيل عن المدينة	١٨٨ (سنة خمس وثمانين) هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وذكر السبب الذي به هلك وكيف كان
٢١٦ تولية الوليد هجر بن عبد العزيز المدينة وقدوم نيزك على قتيبة وذكر الخبر عن ذلك	١٩١ عزل الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب عن خراسان واستعماله عليها المفضل بن المهلب
٢١٨ غزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ومعه يزيد بن جبير وغزوة قتيبة يكند وذكر الخبر عن غزوته	١٩٤ غزو المفضل باذاغيث وذكر الخبر عن ذلك

صفحة	صفحة
٢٢١	(سنة ثمان وثمانين) ذكر ما كان فيها من الاحداث
٢٢٢	ميلاد الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأمر الوليد بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدم بيوت أزواج رسول الله وادخالها في المسجد وابتداء عمر بن عبد العزيز في بناء المسجد وغزوة مسلمة الروم وفتح حصن قسطنطين وغزالة وحصن الأخرم وغزوة قتيبة نو مشكث وراميته
٢٢٣	كتابة الوليد بن عبد الملك إلى عمر ابن عبد العزيز في تسهيل الثبايا وحفر الآبار في البلدان
٢٢٤	(سنة تسع وثمانين) افتتاح المسلمين حصن سورية وغزوة قتيبة بخارى وولاية خالد بن عبد الله القسرى مكة وغزوة مسلمة بن عبد الملك الترك
٢٢٦	(سنة تسعين) غزوة مسلمة أرض الروم من ناحية سوريا وغزوة العباس بن الوليد وقتل محمد بن القاسم الثقفي داهر بن صصة ملك السند واستعمال الوايد قره بن شريك على مصر وأسر الروم خالد بن كيسان صاحب البحر وفتح قتيبة بخارى وهزم جموع العدو بها
٢٢٨	تجديد قتيبة الصلح بينه وبين
٢٣٠	طرخون ملك السغد وغدر نيزك ونقضه الصلح الذي كان بينه وبين المسلمين
٢٣٠	قتال قتيبة أهل الطالقان وذكر الخبر عن سبب ذلك
٢٣٠	هروب يزيد بن المهلب واخوته الذين كانوا معه في السجن وذكر الخبر عن سبب تخلصهم من سجن الحجاج ومسيرهم إلى سليمان ابن عبد الملك
٢٣٥	(سنة إحدى وتسعين) غزوة عبد العزيز بن الوليد الصائفة وغزوة مسلمة الترك
٢٣٥	غزوة موسى بن نصير الاندلسي وقتل قتيبة بن مسلم نيزك طرخان
٢٤١	غزو قتيبة شومان وكس ونسف غزوته الثانية وذكر الخبر عن ذلك
٢٤٥	(سنة اثنتين وتسعين) غزوة مسلمة بن عبد الملك وعمر بن الوليد أرض الروم وغزوة طارق بن زياد الاندلس وغزوة قتيبة سجستان
٢٤٦	(سنة ثلاث وتسعين) غزوة العباس ابن الوليد أرض الروم وغزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم وقتل قتيبة ملك خام جرد وذكر الخبر عن سبب ذلك
٢٤٨	غزوة قتيبة بن مسلم سمرقند وذكر الخبر عن ذلك
٢٥٥	عزل موسى بن نصير طارق بن

صفحة	صفحة
عبد الملك يزيد بن أبي كريمة على الحرب والصلاة بالمصريين الكوفة والبصرة	زيد عن الاندلس وذكر الخبر عن ذلك وجدب أهل الفريقية وعزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة
٢٦٥ (سنة ست وتسعين) غزوة بشر ابن الوليد الثانية و وفاة الوليد ابن عبد الملك	وذكر سبب عزل الوليد إياه عنها وضرب عمر بن عبد العزيز خبيب ابن عبد الله بن الزبير
٢٦٨ افتتاح قتيبة بن مسلم كاشغر وغزوة الصين وذكر الخبر عن ذلك	٢٥٧ (سنة أربع وتسعين) غزوة العباس ابن الوليد أرض الروم وغزوة
٢٧٢ خلافة سليمان بن عبد الملك وعزل سليمان بن عبد الملك عثمان بن حيان عن المدينة	عبد العزيز بن الوليد أرض الروم والرجفة بالشام وافتتاح القاسم ابن محمد أرض الهند وغزوة قتيبة
٢٧٣ عزل سليمان يزيد بن أبي مسلم عن العراق وقتل قتيبة بن مسلم بخراسان	شاش وفرغانة وذكر الخبر عن غزوة قتيبة
٢٨٥ عزل سليمان بن عبد الملك خالد ابن عبد الله القسري عن مكة وغزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم و وفاة قره بن شريك العبسي	٢٥٨ قدوم عثمان بن حيان المرى المدينة والأعلى عنها وذكر الخبر عن سبب ولايته
٢٨٦ (سنة سبع وتسعين) تجهز سليمان ابن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية وغزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم وغزوة عمر بن هبيرة الفزاري أرض الروم وقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بالاندلس وتولية سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب خراسان وذكر الخبر عن سبب ولايته	٢٦٠ قتل الحجاج سعيد بن جبير وذكر الخبر عن مقتله
٢٩٠ شخوص يزيد بن المهلب إلى خراسان أميراً عليها	٢٦٣ (سنة خمس وتسعين) غزوة العباس ابن الوليد بن عبد الملك أرض الروم وفتح آخر الهند وبناء واسط القصب وانصراف موسى بن نصير إلى الفريقية
٢٩١ عزل سليمان طلحة بن داود الحضرمي	٢٦٤ موت الحجاج بن يوسف واستخلافه لما حضرته الوفاة على الصلاة ابنه عبد الله وافتتاح العباس بن الوليد قنسر بن وقتل الوضاحي بأرض الروم وذكر ولد المنصور عبداً ابن محمد بن علي وتولية الوليد بن

صفحة	صفحة
٢٩١	عن مكة
٢٩٣	(سنة ثمان وتسعين) توجيه سليمان ابن عبد الملك أخاه مسلمة إلى القسطنطينية
٣٠٠	بيعة سليمان بن عبد الملك لابنه أيوب وفتح مدينة الصقالبة وغزوة الوليد بن هشام وعمرو بن قيس الطاكية وغزوة يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان
٣٠٣	فتح يزيد جرجان الفتح الآخر و وفاة أيوب بن سليمان بن عبد الملك وفتح مدينة الصقالبة وغزوة داود ابن سليمان الروم
٣٠٤	(سنة تسع وتسعين) وفاة سليمان ابن عبد الملك
٣٠٤	ذكر الخبر عن بعض سيره
٣٠٦	خلاله عمر بن عبد العزيز وذكر الخبر عن سبب استخلاف سليمان إياه
٣٠٩	توجيه عمر بن عبد العزيز إلى مسلمة وهو بأرض الروم وأمره بالقفول منها وإغارة الترك على آدريجان
٣١٠	(سنة مائة) خروج الخارجة التي خرجت على عمر بن عبد العزيز بالعراق
٣١١	شخص عمر بن هيرة الفزارى إلى الجزيرة عاملا لعمرو بن عبد العزيز وفتح يزيد بن المهلب من العراق إلى عمر ابن عبد العزيز وذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف وصل إليه حتى استوثق منه
٣١٣	عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله عن خراسان و ذكر سبب عزل عمر إياه
٣١٥	ذكر الخبر عن سبب تولية عمر ابن عبد العزيز عبد الرحمن بن نعم وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري خراسان وأول الدعوة
٣١٧	(سنة إحدى ومائة) هرب يزيد ابن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز وذكر الخبر عن سبب هربه منه
٣١٨	وفاة عمر بن عبد العزيز
٣١٩	ذكر بعض سيره
٣٢٢	وفاة عمارة بن أكيمة الليثي
٣٢٢	زيادة في سير عمر بن عبد العزيز
٣٢٤	خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان
٣٢٦	قتل شوذب الخارجي وذكر الخبر عن مقتله
٣٢٦	لحق يزيد بن المهلب بالبصرة
٣٣٧	(سنة اثنين ومائة) مسير العباس ابن الوليد ومسلمة بن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب وقتل يزيد بن المهلب وذكر الخبر عن مقتله
٣٥٠	توجيه مسلمة بن عبد الملك سعيد ابن عبد العزيز بن الحارث إلى خراسان
٣٥٠	ذكر الخبر عن أمر سعيد في ولاية خراسان وعزل سعيد شعبة بن ظهير عن سمرقند وذكر الخبر عن

صفحة	صفحة
٢٦٨	سبب عزل سعيد شعبة وسبب هذه الواقعة
غزوة الجراح بن عبدالله الحكيم أرض الترك ودخول أبو محمد الصادق إلى محمد بن علي	٢٥٥ قطع سعيد خزينة نهر باخ و غزوة السغد و ذكر الخبر عما كان من أمره
٢٧٠	٢٥٧ عزل مسلمة بن عبدالملك عن العراق وخراسان و ذكر الخبر عن سبب عزله
تولية عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد خراسان و ذكر الخبر عن سبب توليته إياه	سبب عزله
٢٧٣ (سنة خمس ومائة) غزوة الجراح ابن عبدالله الحكيم اللان	٢٥٨ غزوة عمر بن هبيرة الروم بأرمينية و ترجيه ميسرة رساله من العراق إلى خراسان
٢٧٤	٢٥٨ قتل يزيد بن أبي مسلم بافريقية و ذكر الخبر عن سبب قتله
موت الخليفة يزيد بن عبدالملك ابن مروان	٢٥٩ (سنة ثلاث ومائة) عزل عمر بن هبيرة سعيد خزينة عن خراسان و غزوة العباس بن الوليد الروم وإغارة الترك على اللان و ضم مكة إلى عبدالرحمن بن الضحاك النهري وولاية عبد الواحد بن عبدالله النضري الطائف واستعمال عمر ابن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي على خراسان
٢٧٤	٢٦١ ارتحال أهل السغد عن بلادهم و ذكر الخبر عما كان منهم ومن صاحب فرغانة
ذكر بعض سيره وأمره وخلافة هشام بن عبدالملك	٢٦٢ (سنة أربع ومائة) وقعة الحرشي بأهل السغد وقتله من قتل من دهاقينا
٢٧٦	٢٦٦ عزل يزيد بن عبدالملك عبدالرحمن ابن الضحاك عن المدينة ومكة
٢٧٦	٢٦٦ عزل يزيد بن عبدالملك عبدالرحمن ابن الضحاك عن المدينة ومكة
٢٧٩	٢٦٦ عزل يزيد بن عبدالملك عبدالرحمن ابن الضحاك عن المدينة ومكة
(سنة ست ومائة) عزل هشام بن عبدالملك عن المدينة عبدالواحد ابن عبدالله النضري وعن مكة والطائف و غزوة سعيد بن عبدالملك الصائفة و غزوة الحجاج ابن عبدالملك اللان وميلاد عبدالصمد بن علي وموت الامام طاووس و ذكر الخبر عن سبب الواقعة التي كانت بين المضرية واليمانية و ربيعة	
٢٨٢	
٢٨٥	

صفحة	صفحة
معأوية بن هشام أرض الروم ووقوع الطاعون بالشام ٤٢٨ (سنة ست عشرة ومائة) وفاة الجنيد بن عبدالرحمن وولاية عاصم ابن عبدالله وذكر الخبر عن أمرهم ٤٢٨ خلع الحارث بن سريج وذكر الخبر عن ذلك	أسد بن عبدالله أمير اعلي خراسان ٣٨٧ (سنة سبع ومائة) خروج عباد الرعي بن بالين ٣٨٨ غزوة أسد الغور ٣٨٩ (سنة ثمان ومائة) غزوة مسلمة ابن عبد الملك الروم وغزوة أسد بن عبد الله الخنل
٤٣١ (سنة سبع عشرة ومائة) عزل هشام ابن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان وذكر الخبر عن ذلك ٤٣٩ وفاة فاطمة بنت علي وسكينة ابنة الحسين بن علي	٣٩١ (سنة تسع ومائة) غزوة عبدالله ابن عتبة ومعأوية بن هشام أرض الروم وقتل عمر بن يزيد الأسدي وذكر الخبر عن ذلك ٣٩٢ عزل هشام بن عبد الملك خالد ابن عبدالله عن خراسان وذكر الخبر عن ذلك
٤٤٠ (سنة ثمان عشرة ومائة) غزوة معأوية وسليمان ابني هشام بن عبد الملك أرض الروم	٣٩٧ (سنة عشرة ومائة)
٤٤٢ وفاة علي بن عبدالله بن العباس ٤٤٣ (سنة تسع عشرة ومائة) غزوة الوليد بن القعقاع العبسي أرض الروم وغزوة أسد بن عبدالله الخنل	٣٩٧ دعاء الأشرس أهل الذمة من أهل سمرقند ومن وراء النهر إلى الاسلام ٤٠٧ (سنة إحدى عشرة ومائة) غزوة معأوية بن هشام الصائفة البسري وغزوة سعيد بن هشام الصائفة اليمنى
٤٥٦ خروج المغيرة بن سعيد في نفر وذكر الخبر عن مقتلهم	٤١٠ (سنة اثني عشرة ومائة)
٤٥٧ حكم بهلول بن بشر وذكر الخبر عن مخرجه ومقتله	٤١٠ وقعة الجنيد مع الترك
٤٦١ ذكر الخبر عن غزوة أسد الخنل وسبب قتله بدرطرخان	٤١٤ ذكر الخبر عن مقتل سورة بن الحري التميمي
٤٦٣ ذكر خبر الصحاري بن شبيب	٤٢٤ (سنة ثلاث عشرة ومائة) وهلاك عبد الله بن بخت بأرض الروم
٤٦٤ (سنة عشرين ومائة) وفاة أسد ابن عبدالله وذكر الخبر عن سبب وفاته	٤٢٥ (سنة أربع عشرة ومائة) ومالها من الاحداث
٤٦٧ توجيه شيعة بني العباس بخراسان	٤٢٩ (سنة خمس عشرة ومائة) غزوة

صفحة	صفحة
٥٢٣	إلى محمد بن علي بن العباس وذكر
ونصر	الخبر عن سبب توجيهم
٥٣٥	٤٦٧ عزل هشام بن عبد الملك خالد بن
ابن محمد بن يوسف الثقفي واليا	ابن عبد الله وذكر سبب ذلك
على المدينة ومكة والطائف	٤٧١ ذكر الخبر عن عمل هشام في عزل
٥٣٥ قتل يحيى بن زيد بن علي بن خراسان	خالد حين صبح عزمه على عزله
٥٣٦ ذكر الخبر عن مقتله	٤٧٧ قدوم يوسف بن عمر العراق وتوليته
٥٣٨ (سنة ١٢٦) قتل يزيد بن الوليد	خراسان جديع بن علي الكرماني
الذي يقال له الناقص الوليد بن	٤٨١ (سنة إحدى وعشرين ومائة) قتل
يزيد وذكر الخبر عن سبب قتله	زيد بن علي بن حسين بن علي بن
إياه وكيف قتل	أبي طالب وذكر الخبر عن سبب
٥٣٨ ذكر الخبر عن المساد بن عميه	مقتله وأموره وسبب نخرجه
هشام والوليد	٤٩٧ (سنة اثنين وعشرين ومائة) ذكر
٥٥٧ مقتل خالد بن عبد الله القسري	الخبر عن مقتل زيد بن علي
وذكر سبب ذلك	٥٠٧ قتل كلثوم بن عياض القشيري
٥٦٤ ذكر الخبر عما حدث من الفتن	وعبد الله البطل
في بني مروان	٥٠٧ (سنة ثلاث وعشرين ومائة) ذكر
٥٦٥ وثوب أهل حصن بأسباب العباس	الخبر عما جرى بين أهل السغد
ابن الوليد وهدمهم تداره	ونصر بن سيار من الصلح
٥٦٨ وثوب أهل فلسطين والأردن على	٥١٢ (سنة أربع وعشرين ومائة)
عاملهم وذكر الخبر عن أمرهم	٥١٣ وفاة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس
وأمر يزيد بن الوليد معهم	٥١٣ (سنة خمس وعشرين ومائة)
٥٧١ عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر	٥١٣ وفاة هشام بن عبد الملك بن مروان
عن المراق وولاية منصور بن جمهور	٥١٤ ذكر الخبر عن العلة التي كانت بها
٥٨٠ كتاب مروان بن محمد إلى الغمر	وفاته وذكر بعض سيره
ابن يزيد بأمره بدم أخيه الوليد	٥٢٠ خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك
٥٨٣ عزل يزيد بن الوليد منصور بن	مروان وذكر أسباب ولايته الخلافة
جمهور عن العراق وتولته عبد الله	٥٢٣ تولية الوليد نصر بن سيار خراسان
ابن عمر بن عبد العزيز بن مروان	ووفود يوسف بن عمر على الوليد

صفحة	صفحة
إلى الشام وحربه سليمان بن هشام	وذكر الخبر عن ذلك
٥٩٩ ذكر الخبر عن سبب خروج	٥٨٤ وقوع الاختلاف في خراسان بين
عبدالله بن معاوية بالكوفة ودعائه	البيامة والنزارية
الناس إلى نفسه	٥٩١ ذكر الخبر عن سبب أمان يزيد
٦٠٤ ذكر الخبر عن أمر الحارث بن	ابن الوليد الحارث بن سريج
سريج وأمر نصر بن سيار	٥٩٣ عزل يزيد بن الوليد يوسف بن
٦٠٦ ذكر الخبر عن البيعة لمروان بن	محمد عن المدينة وتوليته إياها
محمد بالخلافة	عبد العزيز بن عبدالله
٦٠٧ انتفاض أهل حمص وسائر أهل	٥٩٣ إظهار مروان بن محمد الخلاف
الشام على مروان وحربه إيام	علي يزيد بن الوليد
٦٠٧ دخول الضحاك بن قيس الشيباني	٥٩٥ موت يزيد بن الوليد
الكوفة	٥٩٦ خلافة أبي اسحاق ابراهيم بن الوليد
٦٠٧ خلع سليمان بن هشام مروان بن	٥٩٨ (سنة ١٢٧) مسير مروان بن محمد
محمد ونصب الحرب وما جرى بينهما	

تم الفهرس

TARIKH AL-TABARI

BY

AL-IMAM - ABI JAAFAR MOUHAMAD - BIN

JARIR AL-TABARI

PUBLISHED BY

Al-Atami Library

BEIRUT - LEBANON

P. O. BOX 7120